# شعب الله المختار

## و صدمة العُرْى

رؤية (موضوعية) لعلاقة اليهود بالعالم من خلال علاقتهم بمصر


تأليف

**عزت الأمير**




# شعب الله المختار

## و صدمة العرى

رؤية (موضوعية) لعلاقة اليهود بالعالم من خلال علاقتهم بمصر

تأليف

عزت الأمير

صورة الغلاف : (آدم وحواء) معدن مطروق من أعمال المؤلف

# الإهــداء

**إلى من يستطيع أن يكبت إنسانيته**

**من أجــل خـــلاص الإنســـان**

# مقـــــــدمة

بداية أسجل عميق شكرى وتقديرى للدكتور عادل صادق أستاذ علم النفس .. ففى عام ١٩٩٣ أصدرت كتابا بعنوان « صدمة العرى » قدمت فيه وجهة نظر مخالفة لنظرية « صدمة الولادة » أو « العطب الولادى THE TRAUMA OF BIRTH » لعالم النفس « أوتو رانك » .. وفى عام ١٩٩٤ أقيمت ندوة حول كتاب « صدمة العرى » وشرفنى أن يشارك فيها الأستاذ الدكتور عادل صادق الذى شهد بأن البحث الذى جاء فى الكتاب يستحق أن يناقش على المستوى الجامعى إذ أنه يقدم فكرا جديدا يدرجه ضمن رسائل الدكتوراة .. كما يمثل نظرية جديدة فى علم النفس تستحدث فرعا جديدا إسمه « علم النفس الكونى » .

وشهادة الدكتور عادل صادق تفوق عندى أعلى الجوائز .. ليس فقط لمكانته العلمية وإنما أيضا لأنه لم يعرفنى إلا من خلال ما كتبت .. فهو مثال لرجل العلم الموضوعى .. وليس أقيم من الجائزة الموضوعية .. وليس أرخص من جوائز الشللية ....

والجوائز جعلت أصلا لشحذ الهمم .. وأكون كاذبا لو قلت إنه لولا جائزة الدكتور عادل صادق لما أنجزت هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء.. فالعقل حين يحمل لابد أن يضع .. ولكنى أكون صادقا حين أقول إن جائزة الدكتور عادل صادق كانت عكازى كلما أجهدنى السير فى طريق البحث لكى أوفى بوعدى له بعد انتهاء الندوة حيث قلت له إن لنا موعدا آخر مع عمل تطبيقى لنظرية « صدمة العرى » على تاريخ شعب الله المختار وإننى أستطيع أن أزعم أن شمولية الرؤية الكونية لهذه النظرية تتيح الكشف عن أبعاد فى شخصية الشعب المختار لا تصل إليها غيرها من النظريات .. وها أنا أوفى بوعدى فى هذا البحث وفى اعتقادى أنه يكشف فى شخصية الشعب المختار ما لا يعرفه حتى أحباره وزعماؤه

.. ولا عجب فى ذلك وشمولية نظرية «صدمة العرى» توصل الباحث إلى الجذور الأصلية للقضية التى يتناولها ومن ثم يمكنه أن يقدم التفسير النهائى بشأنها.. والأمثلة فى هذا البحث يصعب حصرها ومن أبرزها رؤية «فرويد» بوجود موسيين أحدهما مصرى والآخر مدينى .. وهى رؤية أوصلتنى إلى تناقضات أمكننى حلها عن طريق نظرية «صدمة العرى» التى كشفت لى عن ازدواج شخصية الشعب المختار وانعكاس ذلك على قصص التوراة - من قصة آدم وحواء حتى قصة يوسف - ومن ثم انتهيت مثل «فرويد» إلى وجود الموسيين (موسى المصرى وموسى المدينى) ولكن فى شخص واحد .. وهو ما يعنى ازدواج الشخصية .

والازدواجية هى الوجه العكسى للثنائية .. وسوف أبين أثناء البحث الفرق بين ثنائية الشخصية وازدواجية الشخصية .. ولكن يعنينى الآن أن أوضح علاقة الثنائية بفعالية نظرية «صدمة العرى» فى التوصل إلى الجذور النهائية للقضايا .. فبحكم أنها كونية فإن القاعدة التى تعمل عليها هى ثنائية الكون التى يحكم توازنها قانون إلهى [1] يتعلق بالحقيقة المطلقة بعكس القوانين الوضعية التى تتعلق بالحقيقة النسبية .. ولكن ليس معنى ذلك أن الحقيقة النسبية لا يمكن أن تكون حقيقية .. فمثلا بخصوص رؤية «فرويد» بوجود موسيين فإن هذا يدخل فى عداد الحقيقة النسبية حيث احتمال الصواب والخطأ .. ولكن هذا لا يؤثر على الحقيقة التى أوصلتنى إليها نظرية «صدمة العرى» وهى ازدواج شخصية الشعب المختار.. ومن هنا فهى حقيقة مطلقة.. ولكى أوضح ما أعنيه أقول إن ازدواج شخصية الشعب المختار قد نتج عن تفاعل الثقافة الرعوية مع الثقافة الزراعية أثناء تواجد العبريين فى مصر .. وعلى هذا نعود إلى رؤية «فرويد» بوجود موسيين أحدهما ينتمى إلى الثقافة الزراعية والآخر إلى الثقافة الرعوية.. فسواء صحت رؤية «فرويد» أو لم تصح فإن هذا لا يؤثر سلبا على حقيقة ازدواج شخصية الشعب المختار لأنها ترجع إلى الصراع الأصلى بين الثقافة الزراعية والثقافة الرعوية.. أو بين الثقافة الشمسية والثقافة

---

(١) «إنا كلَّ شيء خلقناه بقدَر» (سورة القمر آية ٤٩)

القمرية .. أو - طبقا للبعد الكونى لنظرية «صدمة العرى» - بين الشمس والقمر حيث يتمرد التلمود على حقيقة كونية وهى أن الشمس أكبر من القمر «وحيث قال القمر لله: أخطأت إذ جعلتنى أصغر من الشمس» (١).

والخلاصة أن اختلاف الأحكام حول أى قضية لايؤثر على الحكم بشأنها من خلال نظرية «صدمة العرى»

والتوراة هى محور هذا البحث.. وقراءتى للتوراة على ضوء نظرية «صدمة العرى» قد اختلفت تماما عن قراءتى قبلها حيث كانت تستوقفنى أشياء بدت لى غير منطقية أو عشوائية أو ساذجة .. أما على ضوء نظرية «صدمة العرى» فقد تبين لى أن كل قصة منسوجة بحذق وأن كل كلمة محسوبة بدقة.. فمثلا نجد أن اختيار فعل مبنى للمجهول بدلا من مبنى للمعلوم يحمل مغزى عميقا يصلح لأن يكون موضوع بحث بذاته.. وكذلك بالنسبة لأسماء «الرب» و«الرب الإله» و «الله» و «إيل» و «يهوه» إذ أن اختلاف مواقع ورودها الذي كثيرا ما يبدو عشوائيا هو فى الواقع عكس ذلك.. بل إن أرقام بعض الاصحاحات والنصوص التى تضمها قد تم التحكم فيها وفقا لمضامين معينة.. وهكذا وهكذا بحيث يمكننى القول بأن «العهد القديم» من أكثر الكتب - إن لم يكن أكثرها على الإطلاق - ثراء وعمقا بحيث لايتسع عمر فرد لاستكشاف كل مكنوناته.

ومرة أخرى .. فبفضل نظرية «صدمة العرى» أمكننى فى هذا البحث أن أقدم تفسيرات لأشياء كنت مثل الكثيرين أواجهها بتعليقلت حائرة أو بتساؤلات لا إجابة لها مثل بعض التعليقات والتساؤلات الموجودة فى كتاب «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة» رغم الجهد الضخم والمفيد الذى بذله فى إعداده الأستاذ محمد قاسم محمد.

ولماذا اخترت الشعب المختار بالذات لكى أطبق عليه نظريتى ؟ هناك إجابتان إحداهما قريبة والأخرى بعيدة .. أما الإجابة القريبة فهى أن إسرائيل تمثل واقعا معترفا به دوليا بدءا من وعد بلفور وانتهاء بالاتفاق

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٤).

مع ياسر عرفات .. وأما الإجابة البعيدة فهى أن اليهود متواجدون خلف كواليس المسرح العالمى تواجد لاعبى العرائس فى المسرح الأسود .. ولا جدال فى أن ما يخص الإجابة البعيدة أهم وأخطر مما يخص الإجابة القريبة إذ أن الكيان اليهودى العالمى أهم وأخطر من الكيان اليهودى الإسرائيلى .. وسأذكر فى هذا الشأن ما جاء فى مقدمة كتاب « الخطر اليهودى » حيث أقدم هذه المقتطفات ( ص ٦٨ - ٧٩ ) : « إن الدولة اليهودية قائمة دون شك لكن ليس فى إسرائيل فحسب ... ونفوذ الدولة اليهودية قائم فى كل مكان عن طريق جمعياتهم الدينية والسياسية والماسونية سرية وعلنية ... وبإشرافهم على الصحافة ودور النشر ووكالات الأنباء ومذاهب العلم والفلسفة والفن والمسرح والسينما والمدرسة ونظم التعليم والبنوك والشركات والبورصات وأهم منابع الثروة فى معظم البلاد واحتكار الذهب ... ونلمس سطوة الدولة اليهودية ونفوذها فى تسلطهم على اقتصاديات الدول الكبرى كأمريكا وروسيا ... وإذا كان المعيار لقوى دولة ما هو نفوذها ، فأى دولة أقوى نفوذا من اليهود ؟... ليس لهذه الدولة إقليم معين فى العالم لكنها تمتد إلى كل أقطاره ، فحيث يقوم نشاط يهودى تقوم دولتهم . والاستعمار لم يجن من الخير لأى دولة استعمارية ما جنى للدولة اليهودية استعمارها العالم على هذا النحو الغريب . وليست العبرة فى الاستعمار بكثرة الجيوش والأساطيل بل بالتسلط الاقتصادى والفكرى والسياسى وهو مكفول لليهودية فهم من أعظم سادة العالم بنفوذهم لا شك . وبهذا يقاس خطرهم ولا يقاس بدولة إسرائيل معزولة عن قوة اليهود العالمية » .

وعلى ذلك فإن هذا البحث - على عكس المتوقع والمعتاد بحكم تاريخنا مع إسرائيل - لا يتناول الشعب المختار برؤية محلية تخص الشعوب المعنية فى الشرق الأوسط وإنما يتناول الشعب المختار برؤية عالمية تخص المجتمع الدولى ككل يحوى الشرق الأوسط كجزء .. أو بعبارة أخرى فإن هذا البحث يتناول الشعب المختار برؤية تخص الكيان الأصلى اليهودى الذى نبع منه كيان إسرائيل .

وعلى ذلك فإن مسألة التطبيع مع إسرائيل ليست بالحجم الذى يتصوره أو يصوره البعض حتى من منطلق أنها « كارت » مؤقت فى مفاوضات السلام بين إسرائيل والأطراف المعنية فى منطقة الشرق الأوسط.. وكل ما فى الأمر أن تأثرنا بالمباشر دون غير المباشر يلهينا عن أن ما يخص الأول يحكمه ما يخص الأخير .. وما أعنيه أن علاقة المنطقة المباشرة مع إسرائيل محكومة بالعلاقة غير المباشرة مع الكيان الأصلى اليهودى الذى نبع منه كيان إسرائيل (١) والذى يعمل حاليا من خلال نفوذ أمريكا بالمنطقة بعد أن كان يعمل من خلال نفوذ إنجلترا صاحبة وعد بلفور .. وعلى هذا فإن القضية الحقة هى التطبيع المفتقد بين معظم الدول المعنية بالمنطقة بل والتطبيع المفتقد بين مسئولى الحكومة الواحدة فى بعض هذه الدول .. وناهيك عن التطبيع المفتقد بين المثقفين مما يذكرنى بقول الدكتور عاطف العراقى : إن أزمة الثقافة العربية ترجع إلى المثقفين أنفسهم فكم أثيرت من فرص استغلها المثقفون لتصفية حساباتهم الشخصية » (٢) .. والنتيجة أن الخاسر هو البلد الذى يحيله مثقفوه إلى ساحة لمعاركهم الشخصية .. وأن المثقفين الجادين البعيدين عن هذه المعارك وما يتبعها من شللية يشعرون بالغربة فى بلدهم.. وليس أضر بالمجتمع من ذلك .. والخلاصة أن قضية الانتماء أهم وأخطر من قضية التطبيع .

وإذا كنا نأخذ على التلمود موقفه بالنسبة لغير اليهود فما البال بموقف فئة من المواطنين بالنسبة لفئة من نفس الوطن لأنهم ليسوا على مذهبهم الفكرى أو السياسى إلخ !! إن العداء بين أهل البلد الواحد يمكن أن يكون أخطر من العداء بين بلد وآخر .

ولقد قصدت تناول شخصية الشعب المختار بمنطق يخصه ومنطق يخص العالم بما فيه الشرق الأوسط .. أما المنطق الذى يخصه فهو «

---

(١) « ليس كل مواطن اسرائيلى جزءا من الأمة الإسرائيلية فإن أكثرية السكان فى إسرائيل هم يهود ينتمون إلى أمة عالمية هى الأمة اليهودية » (دراسات فى المجتمع الاسرائيلى ص ١٣١ )

(٢) « الوفد » ١٩٩٦/٥/٢١

إعرف نفسك » وأما المنطق الذى يخص العالم بما فيه الشرق الأوسط فهو « إعرف جارك » وليس « إعرف عدوك » وذلك اعتبارا للمساعى الرامية إلى السلام على المستوى العالمى والشرق أوسطى .. وعلى هذا فمهما بلغت سوءات الشعب المختار فى هذا البحث فلنؤجل الحكم بشأنها إلى حين قراءة الفصل الأخير الذى يمثل رسالة موجهة إلى الشعب المختار وإلى العالم .. فهى رسالة موضوعية تعرض سوءات كل من الطرفين ولا تدين طرفا دون الآخر وذلك خروجا على قاعدة إدانة الشعب المختار على طول الخط وتبرئة العالم على طول الخط .. وهى رسالة تتحدى الطرفين كلا فيما يخصه من أجل تحقيق السلام .. وعلى هذا فالبحث كله يعتبر تمهيدا لهذه الرسالة الموضوعية ومن ثم فبدون الفصل الأخير ينتفى الهدف من هذا الكتاب ويصبح لا داعى لقراءته .

وأعود إلى كلمة موضوعية التى وصفت بها الرسالة فأقول إن جميع مشاكل البشر ترجع إلى صعوبة أن يكونوا موضوعيين .. فالذاتية تتعارض مع أول شرط للتواصل بين إنسان وإنسان أو بين شعب وشعب وهو أن يضع كل منهما نفسه مكان الآخر .. وبدون هذا الشرط لن ينصلح حال العالم .. وإذا كانت ( الذات ) هى محور قضية الإنسان فإن إغراقه فى ( الذاتية ) يقضى عليه مثلما حدث لـ « نرسيس » .. وكم سنتعلم من هذه الأسطورة أثناء هذا البحث وبالذات فى الفصل الأخير .

**عـزت الأميـر**

مارس ١٩٩٦

# القسم الأول

# الإنسان والشجرة

# الفصل الأول :

# الشجرة .. وقصة آدم وحواء

## ■ الشجرة قبل الإنسان .. لماذا ؟

- تقابل قصتى الخلق فى القرآن والتوراة
- تقابل عمليتى الخلق من الناحية الدينية ومن الناحية العلمية

## ■ التمثيل الضوئى والدورة الدموية والحبل السرى :

- عملية التمثيل الضوئى = وظيفة الدورة الدموية الجهازية والرئوية = وظيفة المشيمة والحبل السرى
- النبات بالنسبة إلى الإنسان خارج الرحم = الحبل السرى بالنسبة إلى الجنين داخل الرحم

## ■ ( الشجرة = الحياة + الموت ) :

- عملية التمثيل الضوئى = خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى

## ■ شجرة المعرفة والرغبة فى الخلود :

- الفرق بين جنة عدن وجنة الخلد
- حتمية موت آدم وحواء

## ■ الإنسان بين شجرتين :

- مغزى وجود شجرة الحياة السماوية فى الجنة الأرضية
- الطريق إلى شجرة الحياة يجب أن يمر بشجرة المعرفة .

## الشجرة قبل الإنسان .. لماذا ؟

تعتبر الشجرة محور قصة آدم وحواء سواء فى القرآن الكريم أو فى التوراة .

ففى القرآن نجد : « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » [١] .

وفى التوراة نجد : « وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنه يوم تأكل منها موتا تموت » [٢] .

والسؤال هو : لماذا كانت الشجرة محور قصة آدم وحواء ؟

ولكى نجيب عن هذا السؤال نشير أولا إلى ترتيب قصة الخلق كما وردت فى القرآن وفى التوراة .

ففى القرآن نجد فى سورة « الرعد » أن الله خلق السماوات ثم ذلل الشمس والقمر ثم مد الأرض وأرسى فيها الجبال وأجرى الأنهار ثم أوجد النبات .. وذلك كله لصالح الإنسان .

وكذلك فى التوراة ( الإصحاح الأول من سفر التكوين ) نجد أن الله خلق السماوات والأرض ثم أوجد النور ثم أظهر اليابسة وجمع الماء فى بحار ثم أوجد النبات .. وذلك كله لصالح الإنسان .

ونلاحظ فى كلا الحالين أن وجود النبات - وبالتالى الشجرة - قد سبق وجود الإنسان .. فما الحكمة فى ذلك ؟

الإجابة نجدها فى عملية التمثيل الضوئى فى النبات Photosynthesis حيث يتم التفاعل بين الطاقة الشمسية والماء وثانى أكسيد الكربون وينتج عن ذلك الأكسچين والكربو إيدراتات اللازمة لغذاء الإنسان والحيوان .

وإذا كنا قد توصلنا إلى هذه الإجابة عن طريق قصة الخلق من الناحية الدينية .. فسوف نستعرض قصة نشأة الحياة على الأرض من الناحية العلمية لنجد أنها توصلنا إلى نفس الإجابة [٣] .

فطبقا لأحدث النظريات العلمية فإن الأرض نشأت من سحابة من الغاز تكونت منها الشمس والكواكب والأقمار التابعة لها .. وبعد أن تكثفت سحابة الغاز تحولت الأرض إلى كوكب صلب محدد الصفات وكان ذلك منذ نحو ٤٦٠٠ مليون سنة .. وبعد ٦٠٠ مليون سنة من ذلك

---

(١) « سورة الأعراف » ( ١٩ ) .

(٢) « تكوين » ( ٢ : ١٦ ، ١٧ ) .

(٣) مرجعنا فى ذلك كتاب « هل نحن وحدنا فى هذا الكون ؟ » .

التاريخ وحسب الدراسات الچيولوچية نشأت الحياة على الأرض فى صورة بعض الجزيئات العضوية الصغيرة التى تكونت فى البداية فى طبقات الغلاف الجوى العلوى للأرض .. وفى ذلك الحين كان جو الأرض غنيا بالإيدروچين والنتروچين وثانى أكسيد الكربون.. ولكنه كان خاليا من الأكسچين اللازم للحياة .

وكان جو الأرض فى ذلك الزمان تتخلله آلاف الصواعق كما كانت الطبقات العليا للغلاف الجوى معرضة لتركيز عال جدا من أشعة الشمس فوق البنفسجية .. وقد أدى هذان العاملان إلى التفاعل بين ذرات الإيدروچين وجزيئات ثانى أكسيد الكربون ونتج عن ذلك جزيئات عضوية معروفة باسم « الإيدروكربونات » مثل الميثان والإيثان وغيرهما .. ومن المعتقد أنه تحت بعض الظروف المماثلة تكونت أيضا بعض الجزيئات العضوية المركبة من الكربون والإيدروچين والأكسچين والنتروچين .. وقد ذابت بعض هذه الجزيئات فى مياه البحار الضحلة خاصة حيث يتوافر الدفء وأشعة الشمس وحيث بدأت بين هذه الجزيئات العضوية الصغيرة تفاعلات جديدة نتجت عنها مركبات عضوية ذات جزيئات كبيرة لها صفات وخواص متنوعة .

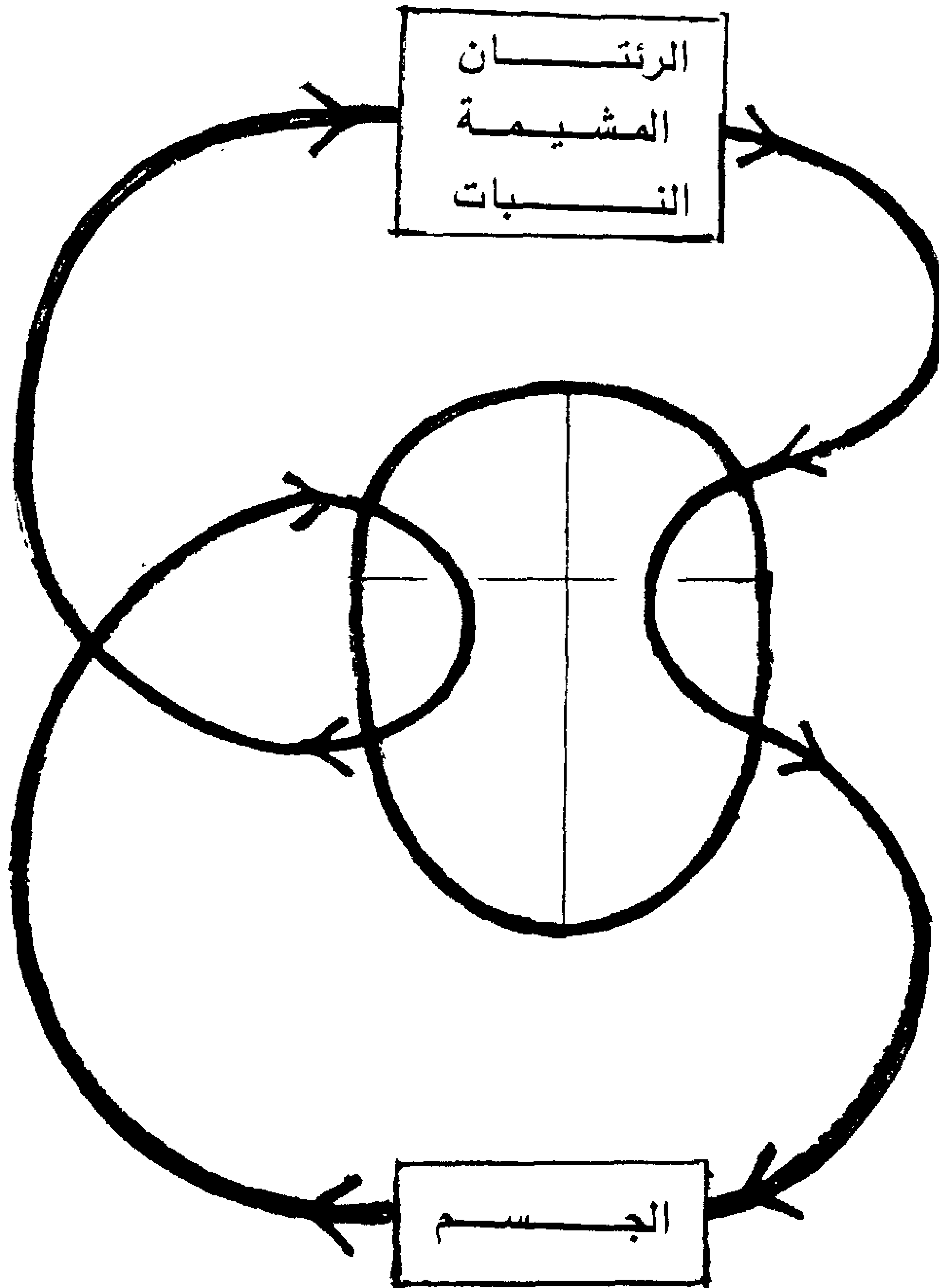
ومن المعتقد أنه نشأ فى هذه المرحلة جزىء من نوع خاص استطاع أن يكوِّن نسخا بدائية من نفسه .. ومن المعتقد أيضا أن هذا الجزىء هو السلف القديم لجزىء الحمض النووى الموجود حاليا فى أنوية خلايا جميع الكائنات الحية والمسئول عن نقل الصفات الوراثية والمعروف باسم « حمض ديزوكسى رايبوز النووى » أو « دينا » D N A .

وبمضى الزمن تنوعت أشكال هذه الجزيئات العضوية وانتقلت إلى مرحلة التخصص الوظيفى ثم إلى مرحلة تكوين مجتمعات مستقلة ذات وظائف مختلفة.. وكانت هذه أول صورة من صور الخلية الحية التى تدور فيها مئات التفاعلات الكيميائية والحيوية .. وقد استغرق تطور الجزيئات الكيميائية نحو ألف مليون عام على أقل تقدير .. ثم حدث خلال الثلاثة آلاف مليون سنة التى تلت ذلك أن التحمت بعض هذه الخلايا المفردة وكونت مستعمرات من الخلايا المتشابهة ونتج عن ذلك ظهور النباتات الحقيقية التى تتكون من عدد كبير من الخلايا .. وقد أدى ازدياد تجمع الخلايا الكمى إلى ظهور نباتات أكبر حجما وأقدر على مواجهة البيئة المحيطة بها ( ومن ثم ظهرت الأشجار ) وهى النباتات التى لم تعد تعتمد فى غذائها على مركبات الكربون الذائبة فى الماء بل تولت بنفسها تصنيع وتخليق ما تحتاجه من هذه المركبات العضوية فى خلاياها من مركبات بسيطة مثل ثانى أكسيد الكربون والماء .. وبهذا نكون قد وصلنا إلى عملية التمثيل الضوئى حيث يمتص النبات ثانى أكسيد الكربون من الجو .. والماء من التربة .. ثم يصنع منهما فى ضوء الشمس وفى وجود مادة الكلوروفيل فى خلاياه بعض المواد الكربوإيدراتية مثل النشا والسكر الأحادى بينما ينطلق الأكسچين فى الجو .. ثم يصنع منهما بعد ذلك كل ما يحتاجه من بروتينات ودهون وغيرها من المركبات العضوية اللازمة لغذاء النبات والحيوان وبالتالى ( الإنسان ) وهو ما يعنى أن النبات – وبالتالى الشجرة – كان يجب أن يوجد على الأرض قبل وجود الإنسان.

وإذا كنا قد توصلنا إلى هذه النتيجة عن طريق القصة العلمية لنشأة الحياة على الأرض .. فقد سبق أن توصلنا إليها عن طريق قصة الخلق فى القرآن والتوراة حيث وجدنا أن الحكمة فى وجود النبات قبل الإنسان هى مده بالغذاء .. وأن الفضل فى ذلك يرجع إلى عملية التمثيل الضوئى.

## التمثيل الضوئى والدورة الدموية والحبل السرى

قلنا إن الإنسان يستمد غذاء ه من النبات بفضل عملية التمثيل الضوئى .. وما يحدث فى عملية التمثيل الضوئى شبيه بما يحدث فى الدورة الدموية بقسميها : الجهازى والرئوى ( شكل ١ ) .




شكل رقم (١)

ففى الدورة الجهازية يخرج الدم النقى من البطين الأيسر الى أجهزة الجسم ليمدها بالأوكسجين والغذاء وفى نفس الوقت يمتص فضلات التمثيل الغذائى وثانى أكسيد الكربون .. ثم يعود بها الى الأذين الأيمن ومنه الى البطين الأيمن حيث تبدأ الدورة الرئوية .

وفى الدورة الرئوية يضخ الدم إلى الرئتين حيث تتم تنقيته من ثانى أكسيد الكربون ويتشبع بالأكسجين ثم يذهب إلى الأذين الأيسر ومنه إلى البطين الأيسر ليعاود دورته الجهازية .

وبالمقارنة بين عملية التمثيل الضوئى والدورة الدموية يمكننا القول بأن النبات يؤدى نفس وظيفة الرئتين من حيث تنقية الهواء من ثانى أكسيد الكربون وإخراج الأكسچين .. كما يمد الإنسان بالغذاء عن طريق الكربوإيدراتات الناتجة عن عملية التمثيل الضوئى .

وما يحدث فى عملية التمثيل الضوئى يشبه أيضا ما يحدث فى وظيفة الحبل السرى [١] التى تتم خلالها عملية تبادل دم الأم ودم الجنين حيث يمر من خلال المشيمة [٢] ما يحمله الدم من مواد غذائية وأكسچين وثانى أكسيد الكربون .

وبالمقارنة بين عملية التمثيل الضوئى وما يحدث فى الحبل السرى عن طريق المشيمة يمكننا القول بأنه لا فرق بين وظيفة التمثيل الضوئى ووظيفة المشيمة المتصلة بالحبل السرى.. وبالتالى يمكننا القول بأن النبات بالنسبة للإنسان خارج الرحم يقابل الحبل السرى بالنسبة للجنين داخل الرحم .

ونخلص مما سبق بأن النبات أو بأن الشجرة تجمع بين وظائف الدورة الدموية والحبل السُّرى .

## (الشجرة = الحياة + الموت )

ننتقل إلى بُعد آخر للشجرة وهو نابع أيضا من عملية التمثيل الضوئى وبالذات ما يخص عنصرى الأكسچين وثانى أكسيد الكربون .. فبالإشارة إلى عملية التنفس حيث الشهيق يتعلق بالحصول على الأكسچين اللازم للحياة وحيث الزفير يتعلق بالتخلص من ثانى أكسيد الكربون لاستمرار الحياة .. وبالإشارة إلى أن نهاية الحياة تقترن بالزفير.. فإنه يمكننا القول بأن الأكسچين مرادف للحياة وبأن ثانى أكسيد الكربون مرادف للموت.. وبالتالى يمكننا القول بأن

---

(١) حبل غليظ يبلغ طوله ٥٠ سم تقريبا ويمتد من سرة الحميل إلى السخد ( المشيمة ) ويتكون من طبقة رقيقة بها مادة هلامية شبه مخاطية يتخللها شريانان ووريد واحد ، ويحمل الشريانان دما غير منقى بالأكسچين من الحميل إلى السخد بينما يحمل الوريد دما نقيا من السخد إلى الحميل ( الموسوعة العربية الميسرة ) .

(٢) سخد ( المشيمة ) : قرص غليظ مقوس شبه لحمى ملتصق بباطن جدار الرحم ويتصل بالحميل بوساطة الحبل السرى ، تتخلله أوعية دموية كثيرة وهو عضو مؤقت مكون من نسيج مستمد من الأم والحميل ووظيفته إجراء عمليات التبادل بين دم الأم ودم الحميل بتطويعه مرور مقومات الدم كالمواد الغذائية والأكسچين وثانى أكسيد الكربون ، أما الدم نفسه فلا يتخالط (الموسوعة العربية الميسرة ) .

عملية التمثيل الضوئى ينطبق عليها قوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » [1] . وعلى هذا يمكننا القول بأن الشجرة ترمز إلى هذه الآية الكريمة .

وإذا كنا قد توصلنا إلى هذه النتيجة من خلال العلاقة العكسية بين الأكسجين وثانى أكسيد الكربون فى عملية التمثيل الضوئى .. فإننا نجد هذا المضمون بما يخص النبات – وبالتالى الشجرة – مباشرة وذلك فى قوله تعالى : « إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » [2] .. ( أى يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها ويفلق النوى لخروج الشجر منها ) [3] .

وباعتبار أن قصة آدم وحواء تدور حول قضية الموت .. وبتوصلنا إلى أن الشجرة تحمل مضمون الحياة والموت .. نكون قد أجبنا عن السؤال الذى سبق أن طرحناه وهو : لماذا كانت الشجرة محور قصة آدم وحواء ؟

ومع ذلك فإن الإجابة عن ذلك السؤال لم تنته بعد .. فقضية الحياة والموت بالنسبة إلى الإنسان تقودنا إلى قضية الخلود .. وهو ما سنتناوله فيما يلى .

## شجرة المعرفة والرغبة فى الخلود

كما نعرف فإن آدم وحواء عندما عصيا أمر ربهما وأكلا من الشجرة المحرمة كان دافعهما إلى ذلك هو الرغبة فى الخلود حيث نجد فى القرآن الكريم قوله تعالى : « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » [4] . وكذلك : « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » [5] . وأيضا حيث نجد فى التوراة : « بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه ( أى من ثمر الشجرة ) تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » [6].

وقد يبدو أن الدافع إلى التعامل مع الشجرة المحرمة الذى ورد فى القرآن وهو الرغبة فى الخلود يختلف عن الدافع الذى ورد فى التوراة وهو معرفة الخير والشر كالله .. ولكن هذا الإختلاف ينتفى فى قولة « كالله » حيث أن الله خالد .. كما وأن معرفة الخير والشر كالله توصل إلى الخلود حسبما جاء فى نفس الإصحاح « وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى

---

(١) « سورة الروم » ( من الآية ١٩ ) .
(٢) « سورة الأنعام » ( من الآية ٩٥ ) .
(٣) « صفوة التفاسير » ( جـ ١ ص ٤٠٧ ) .
(٤) « سورة الأعراف » ( الآية ٢٠ ) .
(٥) « سورة طه » ( الآية ١٢٠ ) .
(٦) « تكوين » ( ٣ ٢ ) .

الأبد » [1] ونلاحظ أن كلمة أيضا تجعل نتيجة الأكل من شجرة الحياة وهى الخلود مشروطة بأسبقية الأكل من الشجرة المحرمة الذى ينتج عنه معرفة الخير والشر كالاله .. ولأن معرفة الخير والشر كالاله أمر مستحيل [2] بالنسبة إلى البشر فكذلك الخلود .. وآدم وحواء بشر .. والجنة التى عاشا فيها « ليست جنة الخلد لأن الحياة فى جنة الخلد لا تأتى إلا بعد الحياة الدنيا » [3] ومن ثم يسرى عليهما حكم الموت والعودة إلى تراب الجنة الأرضية التى خلقا فيها « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » [4].. « قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون » [5]، « لأنك تراب وإلى التراب تعود » [6] .

## الإنسان بين شجرتين

مما سبق نخرج بأن القضية الأولى التى تشغل الإنسان منذ البداية هى البعث والخلود بعد الموت .. وعلى هذا يمكننا أن نحدد هذه القضية بين قوسين : الأول يمثل الحياة الدنيا حيث الموت والآخر يمثل الحياة الآخرة حيث لا موت .. أو يمكننا أن نحدد القضية بين شجرتين : الأولى تمثل الحياة الدنيا حيث الموت والأخرى تمثل الحياة الآخرة حيث لا موت .. فلا غرابة أن نجد هاتين الشجرتين مجتمعتين فى جنة عدن « وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر » [7] .

ولكن إذا كانت شجرة الحياة ترمز إلى الخلود فما مغزى وجودها فى جنة عدن حيث لاخلود ؟ أو بعبارة أخرى إذا كانت شجرة الحياة تتعلق بعالم السماء حيث الحياة الآخرة فما مغزى وجودها على الأرض حيث الحياة الدنيا ؟

لكى نجيب عن هذا السؤال نتوقف أمام النص : « وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر » حيث نلاحظ أن الترتيب التسلسلى قد راعى القيمة العليا لشجرة الحياة فسبقها على شجرة المعرفة فى حين أن الترتيب المكانى لم يرا ع ذلك إذ جعل الشجرتين فى مكان واحد جدير بشجرة الحياة وحدها حيث أن « وسط الجنة » يقابله بالمفهوم الهندسى مركز المساحة وهو أهم نقطة فيها .

---

(١) « تكوين » ( ٣ : ٢٢ ) .
(٢) وهو ما نجده فى مضمون ما وقع بين موسى عليه السلام والفتى فى سورة « الكهف » .. وفى قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » .
(٣) « الشيطان والإنسان » ( ص ٤٥ ) .
(٤) « سورة طه » ( الآية ٥٥ ) .
(٥) « سورة الأعراف » ( آية ٢٥ ) .
(٦) « تكوين » ( ٣ : ١٩ ) .
(٧) « تكوين » ( ٢ : ٩ ) .

وقبل أن نتساء ل عن تفسير هذا التناقض نبادر بأنه غير موجود إذ أن شجرة المعرفة تمثل رمزا ماديا بحكم انتمائها إلى عالم الأرض ومن ثم فإن تواجدها يحتاج إلى مكان مادى وذلك عكس شجرة الحياة التى تمثل رمزا معنويا بحكم انتمائها إلى عالم السماء .. وتواجد المعنوى لا يحتاج إلى مكان ومن ثم ينتفى تناقض وجود الشجرتين فى نفس المكان .. وعلى هذا نستطيع أن نفسر وجود شجرة الحياة فى الجنة الأرضية بالآتى :

١ – أن شجرة الحياة تمثل المطلق .. والمطلق لا يحده مكان أى أنه موجود فى كل مكان.. وكل مكان يشمل ضمنا الجنة الأرضية .

٢ – أن الإنسان بقدراته المحدودة يعجز عن استيعاب اللامحدود ومن ثم عوملت شجرة الحياة معاملة المحدود أى معاملة شجرة المعرفة وإن كانت قد قدمت عليها باعتبار قيمتها العليا .

٣ – أن « الدراما » الإنسانية تدور حول التوصل إلى اللامحدود عن طريق المحدود وذلك من خلال التفاعل بينهما .. وقد قصدنا استخدام كلمة « دراما » للتأكيد على أن غياب أحد الطرفين يلغى الفعل الدرامى .. فلو فرضنا أن شجرة الحياة – بغض النظر عن لامحدودية مكانها – اقتصر وجودها على السماء لانتفى سعى الإنسان للوصول إليها بسبب قصور قدراته المحدودة بشأن استيعاب اللامحدود .. وعلى هذا نعود إلى النص : « والآن لعله ( أى الإنسان ) يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ( أى كما فعل مع شجرة المعرفة ) ويأكل ويحيا إلى الأبد » حيث نجد أن شجرة الحياة فى موقع يجعلها فى متناول اليد مثلها مثل شجرة المعرفة .. ومعنى هذا أن الإنسان وهو على الأرض يمكنه أن يمد يده فيطول السماء .. أو بعبارة أخرى أن الإنسان المحكوم عليه بالموت يمكنه أن ينال الخلود .

والموت يتعلق بالحياة المؤقتة والخلود يتعلق بالحياة الأبدية .. وبتوصلنا إلى مغزى الجمع بين الشجرتين فى نفس المكان تصلنا رسالة مضمونها أن الطريق إلى الحياة الأبدية التى ترمز إليها شجرة الحياة يجب أن يمر بالحياة المؤقتة التى ترمز إليها شجرة المعرفة .. وهذا يقودنا إلى البُعد الروحى لشجرة المعرفة .

## الفصل الثانى :

# البعد الروحى لشجرة المعرفة

### ■ تحريم شجرة المعرفة :

- شجرة المعرفة تمثل عناصر الحياة المؤقتة ( الغذاء ـ الجنس ـ الموت )
- ( أبعاد شجرة المعرفة = أبعاد الشجرة عامة )
- ( الإنسان = الشجرة )
- اسم « شجرة المعرفة » من « إعرف نفسك »
- الفرق بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى
- سبب تحريم شجرة المعرفة

### ■ سيطرة البعد الروحى لشجرة المعرفة :

- همزة الوصل بين شجرة المعرفة وشجرة الحياة
- البُعد الروحى يشمل جميع أبعاد شجرة المعرفة

### ■ (١) « الغذاء » والبُعد الروحى ( أ - غذاء الجسد ) :

- القرابين النباتية والحيوانية والبشرية
- أهمية الجسد للوصول إلى عالم الروح

### ■ (١) « الغذاء » والبُعد الروحى (ب ـ غذاء العقل ) :

- الفرق بين ( ١ = ١ ) وبين ( ١ = ٢ ) و ( ١ = ٣ )
- مغزى أن الأرض مركز الكون
- الفرق بين الكيمياء والسيمياء
- السحر هو الأب الروحى للعلم والدين
- الجذور السحيقة لعادة أكل لحوم البشر ترجع إلى بداية نشأة الحياة على الأرض
- تطبيق على نص يخص الملك « وناس »
- العلاقة بين الحية فى قصة آدم وحواء .. والثعبان فى نص الملك « وناس »
- المصرى القديم كان يعرف أن الرأس مقر العقل رغم العرف السائد بأن القلب مقر العقل.

## ■ (١) « الغذاء » والبعد الروحي ( جـ - غذاء الروح ) :

- ○ الفرق بين الرمز الكيميائى ( يد٢ أ ) ومضمون الآية : « وجعلنا من الماء كل شيء حى »
- ○ شجرة معرفة الخير والشر تحمل المضامين : (١) خروج المعرفة الروحية من المعرفة العقلية والعكس (٢) خروج العقل الاختيارى من العقل الجبرى والعكس (٣) خروج الخير والشر من الخير المطلق والعكس (٤) خروج الغذاء الروحى من الغذاء العقلى والعكس (٥) خروج الحياة من الموت والعكس (٦) خروج الإيمان من الكفر والعكس
- ○ شجرة المعرفة تمثل الامتحان اللازم للوصول إلى شجرة الحياة .

## ■ (٢) « الجنس » والبعد الروحي :

- ○ لماذا كانت شجرة المعرفة رمزا للجنس فقط ؟
- ○ العلاقة بين نشأة الجنس عند آدم وحواء ونشأته فى النبات
- ○ نحن والنبات لنا جد واحد مشترك بيننا
- ○ خلق آدم وإخراج حواء منه يرمز إلى مرحلتى التكاثر عن طريق التوالد الذاتى وعن طريق الجنس
- ○ متعة الجنس فى النبات والحيوان وفضلها فى استمرار الحياة
- ○ العقل الاختيارى جعل من الجنس خطيئة
- ○ بغاء المعابد وعلاقة الجنس بالسحر والدين
- ○ أصل « الغنج »
- ○ مقابلة بين عناصر قصة الخلق فى سفر التكوين .. وعناصر « تاسوع أون » و « ثامون الأشمونين »
- ○ مقابلة بين عناصر « تاسوع أون » و « ثامون الأشمونين » وبين الإنسان والنبات
- ○ العلاقة بين الثالوث والشجرة والإنسان والأسرة
- ○ مقارنة بين الثالوث الشمسى والثالوث الأوزيرى (المائى)
- ○ شجرة المعرفة تمثل الثالوث
- ○ العلاقة بين الثالوث والجنس والموت .

## ■ (٣) « الموت » والبعد الروحي :

- ○ التغلب على الموت عن طريق الجمع بين الناسوت واللاهوت فى الثالوث
- ○ الفرق بين الفلسفة المسيحية وفلسفة الديانة اليهودية .

## تحريم شجرة المعـــرفة

لأول وهلة يبدو أن ( الأكل ) أى الغذاء هو موضوع القضية المثارة بشأن شجرة المعرفة .. ولكن إذا قلنا إن الغذاء عنصر لازم للحياة فإن استمرارية هذه الحياة المؤقتة يحتاج إلى عنصر ثان هو الجنس وإلى عنصر ثالث هو الموت باعتبار خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى .. وعلى هذا فإن شجرة المعرفة كرمز للحيــاة المؤقتة لابد أن تحمل مضمون هذه العناصر الثلاثة : « الغذاء .. الجنس .. الموت » .. وسوف نوضح ذلك بالنسبة إلى شجرة المعرفة وبالنسبة إلى الشجرة عامة .. وذلك استمرارا للإجابة عن السؤال الذى بدأنا به بحثنا وهو : لماذا كانت الشجرة محور قصة آدم وحواء ؟

(١) **الغذاء** : بالنسبة إلى شجرة المعرفة نجده فى استخدام كلمة ( الأكل ) : « وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » [١] وإن كان هذا قد جاء فى صيغة النهى وهو ما يتعارض مع شرطية الغذاء لاستمرار الحياة .. وسوف نفسر ذلك فى تناولنا لغذاء العقل .

أما بالنسبة إلى الشجرة عامة فقد سبق أن بينا وظيفة النبات كمصدر للغذاء .

(٢) **الجنس** : بالنسبة إلى شجرة المعرفة نجـــده فى الحـــكم على حـواء بعد الأكل منها : « تكثيرا أكثر أتعاب حبلك .. وإلى رجلك يكون اشتياقك » [٢] .. وهو ما يعنى فعل الجنس .

أما بالنسبة إلى الشجرة عامة فالجنس موجود فى النبات : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » [٣] .. « أى جعل فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين اثنين ذكرا وأنثى ليتم بينهما أسباب الإخصاب والتكاثر » [٤] .

(٣) **الموت**: بالنسبة إلى شجرة المعرفة نجده فى : « لأنك يوم تأكل منها موتا تموت »[٥].

أما بالنسبة إلى الشجرة عامة فقد سبق أن بينا وجود الموت فى عملية التمثيل الضوئى التى تنطبق عليها الآية الكريمة : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » .

كان ذلك بشأن أبعاد شجرة المعرفة التى ترمز إلى حياة الإنسان المؤقتة .. ومن تطابق هذه الأبعاد مع أبعاد الشجرة عامة يمكننا القول بأن كلا الشجرتين تمثلان الإنسان .. وكما يقول د. كارل ساجان : « فنحن والأشجار متماثلان بصورة جوهرية » [٦] - فيما عدا تميز الإنسان

(١) « تكوين » ( ٢ : ١٧ ) .
(٢) « تكوين » ( ٣ : ١٦ ) .
(٣) « سورة الرعد » ( من الآية ٣ ) .
(٤) « صفوة التفاسير » ( جـ ٢ . ص ٧٤ ) .
(٥) « تكوين » ( ٢ : ١٧ ) .
(٦) « الكون » ( ص ٦ ) .

بعقله الاختيارى – وعلى هذا يمكننا القول بأن موقف المواجهة بين آدم وشجرة المعرفة يمثل مواجهة الإنسان لنفسه من أجل معرفة نفسه – وكما قال سقراط : « إعرف نفسك » – ومن هنا كان اسمها شجرة المعرفة .

والمعرفة هى غذاء العقل .. والعقل نوعان : عقل جبرى يخص القانون الذى وضعه الخالق لحفظ توازن عناصر الكون – ومنها الشجرة – ومن ثم فهو يتعلق بالخير المطلق .. وعقل اختيارى يخص الإنسان وحده ومن ثم فهو يتعلق بالخير والشر اللذين ترمز إليهما شجرة معرفة الخير والشر ومن ثم فهى ترمز إلى عقل الإنسان .. وعلى هذا فإن مواجهة آدم لشجرة معرفة الخير والشر هى مواجهة الإنسان لعقله الاختيارى .. ولأن العقل الاختيارى يعجز عن التفرقة بين الخير والشر اللذين لا يعرف حقيقتهما إلا الله .. ولأنه يطمح إلى معرفة الخير والشر كالله .. فمن هنا أكل آدم – وحواء – من ثمر شجرة المعرفة « بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » [١] .. ومن هنا كان تحريم الأكل من شجرة المعرفة ببعدها كغذاء للعقل .

## سيطرة البعد الروحى لشجرة المعرفة

توصلنا إلى أن شجرة المعرفة تمثل نوعين من الغذاء هما غذاء الجسد اللازم لاستمرار الحياة وغذاء العقل اللازم لمعرفة الخير والشر.. ورأينا لماذا اقتصر تحريم شجرة المعرفة على بُعدها كغذاء للعقل .. فهل معنى ذلك أنه لا أمل للعقل الاختيارى فى الوصول إلى الخير ؟

الإجابة نجدها فى بُعد ثالث لشجرة المعرفة من حيث الغذاء وهو غذاء الروح .. والمقصود بغذاء الروح هو الدين حيث التسليم بأوامر ونواهى الله فى مواجهة عجز العقل الاختيارى عن معرفة الخير من الشر .. فشجرة المعرفة بهذا المعنى تعتبر همزة وصل بشجرة الحياة ( الأبدية ) أو وسيلة الانتقال من الحياة الدنيا حيث الموت والخير والشر إلى الحياة الآخرة حيث الخلود والخير المطلق .

ونخرج مما سبق بأن شجرة المعرفة ببعدها كغذاء للروح تحمل جميع أبعادها التى ذكرناها ( غذاء الجسد ، غذاء العقل ، الجنس ، الموت ) ومن ثم انعكس الدين على هذه الأبعاد .. وهو ما سنعرضه بإيجاز فيما يلى سواء على مستوى الديانات الطبيعية التى ابتدعها الإنسان أو على مستوى الديانات المنزلة .

### ( ١ ) « الغذاء » والبعد الروحى ( أ - غذاء الجسد )

استُخدم الغذاء من النبات والحيوان وكذلك من البشر قربانا للتقرب إلى الآلهة .. وأول مثال لذلك هو القربان الذى قدمه قايين من النبات والذى قدمه هابيل من الحيوان [٢] .

---

(١) « تكوين » ( ٢ : ٥ ) .
(٢) « تكوين » ( ٤ : ٣ ، ٤ ) .

ومن أهم قرابين ( العهد القديم ) التيس والعجل « وأقام لنفسه كهنة للمرتفعات والتيوس والعجول التى عمل » [1] ، وكذلك الحمل فى طقوس الفصح التى أملاها الرب على موسى « تكون لكم شاةً صحيحة ذكرا ابن سنة » [2] .

« ويعتبر صلب المسيح أعظم تضحية فى التاريخ عند المسيحيين ويرمز له بالحمل المقدم للذبح ، كما يعتبر تناول القربان المقدس [3] ذكرى لذلك ومواصلة للتضحية ، وتسمى الكنيسة الكاثوليكية القداس ذبيحة القداس ، وفى المسيحية قرابين أخرى كالشموع التى تقدم فى الكنائس أو تماثيل الحمل الصغيرة الفضية التى تعلق فيها » [4] .

« أما الإسلام فقد أقر فكرة التضحية تكفيرا عن معصية أو عن التقصير فى شعيرة من الشعائر ، كما أقرها إظهارا للبهجة ومعونة للمحتاجين فى عيد الأضحى » [5] .

« أما الديانات الطبيعية فتصل القرابين فيها إلى أزهاق النفس وحرق الزرع ، وكانت الذبائح البشرية مظهرا للعبادة فى الديانات المكسيكية القديمة » [6] ، كما نجد ذلك فى ( العهد القديم ) فى تقديم يفتاح الجلعاوى إبنته قربانا فوق المحرقة حسب نذره للرب إذا نصره على بنى عمون [7] ، وأيضا فيما وراء قصة افتداء ابراهيم لإبنه إسحق بالكبش الذى ذبحه بدلا منه » [8].

« ويرجح أكثر من باحث أن يكون الوأد هو نوع من القرابين وخاصة أنه لم يكن مقصورا على البنات - كما هو شائع - وإنما شمل الذكور أيضا ، وعندما جاء الإسلام حرم الوأد واستعاض عنه بالختان » [9] .

وفى الديانات المصرية القديمة نجد فكرة القربان فى العقيدة الأوزيرية حيث استرد «حور» عينه التى كان « ست » قد انتزعها منه وأعطاها لأبيه « أوزير » بعد موته فصار روحا ( با ) ومنذ ذلك الحين سمى القربان الذى يقدم للميت « عين حور » حتى يتحقق له ما تحقق لـ « أوزير » ويصير روحا ( با ) ومن ثم يتحقق له الخلود .. ولذا كان الكاهن يقول أمام جثمان الميت : « قم لخبزك هذا الذى لايمكن أن يجف وجعتك التى لا يمكن أن تصير فاسدة إذ بها تصبح روحا [10] . ويعتبر هذا القول خير مثال للعلاقة بين شجرة المعرفة كغذاء مادى وبينها كغذاء روحى .. كما أنه

---

(١) « أخبار الأيام الثانى » ( ١١ · ١٥ ) .

(٢) « خروج » ( ١٢ . ٥ ) .

(٣) خبز يقدم فى القداس عند الكاثوليك والأرثوذكس وتصنعه الكنيسة من دقيق صاف على شكل قرص .

(٤) « الموسوعة العربية الميسرة » ( ص ١٣٧٤ ) .

(٥) « الموسوعة العربية الميسرة » ( ص ١٣٧٤ ) .

(٦) « الموسوعة العربية الميسرة » ( ص ١٣٧٤ ) .

(٧) « قضاة » ( ١١ : ٢٩ - ٤٠ ) .

(٨) « تكوين » ( ٢٢ : ١ - ١٣ ) .

(٩) « الأسطورة والتراث » ( ص ٨٠ ) .

(١٠) « فجر الضمير » ( ص ٦٦ ) .

يبين أهمية الغذاء المادى وبالتالى أهمية الجسد - الذى يتغذى عليه - للوصول إلى عالم الروح .. وقد تناولنا هذه النقطة بتوسع فى كتاب « صدمة العرى » حيث بينا أن الجسد موصل روحى جيد.

## ( ١ ) ‹ الغذاء › والبعد الروحى ( ب - غذاء العقل )

المقصود بغذاء العقل هو العلم المجرد الذى لا علاقة له بالقيم الخلقية أو الدينية .. فمثلا عندما نقول إن ( ١ = ١ ) فإننا نذكر حقيقة علمية لا تتعلق بالأخلاق أو الدين .. ولكن فى مجال سعى الإنسان إلى شجرة الحياة ( الأبدية ) عن طريق شجرة المعرفة .. ولسيطرة البُعد الرحى لشجرة المعرفة على بقية أبعادها ومنها البُعد العقلى فقد انعكس ذلك على الحقائق العلمية المجردة مثل حقيقة ( ١ = ١ ) فأصبحت ( ١ = ٢ ) أو ( ١ = ٣ ) وهو ما نجده فى عقائد التثنية وعقائد التثليث التى تمثل المرحلة الوسطى بين تعدد الآلهة والتوحيد حيث اختصرت تلك الآلهة إلى إلهين أو ثلاثة .

وأيضا من الحقائق العلمية المجردة أن الأرض تدور حول الشمس [١] .. ولكن لنفس السبب الذى ذكرناه - وهو سيطرة البُعد الروحى لشجرة المعرفة على بُعدها العقلى - فقد ظل الاعتقاد لفترة طويلة بأن الأرض التى استخلف عليها ( الإنسان ) هى مركز الكون [٢] .

وكذلك علم الكيمياء الذى يعتمد على الحقائق العلمية المجردة .. فشتان بينه وبين السيمياء [٣] التى تبحث عن حجر الفلاسفة وأكسير الحياة الذى يحيل المعادن الخسيسة إلى ذهب ويعيد الشباب إلى الإنسان فكأنه قد تناول من شجرة الحياة .. وجدير بالذكر أن الكيميائى يسعى إلى قيمة مادية بينما السيميائى يسعى إلى قيمة روحية إيمانا منه بأن الجمادمثل الكائن الحى له روح وأن كل ما فى الكون من جماد وأحياء ومنها الإنسان تجمعها روح واحدة .. وعلى هذا فإن الذهب الذى كان السيميائى يسعى إليه ليس ذهبا عاديا ولكنه ذهب نقى نقاءاً مطلقا حيث أن «هدف ممارسة السيمياء هو تنقية المادة الكونية والعودة بها إلى أصلها المطلق أو المادة الأولى التى هى نفحة من نفحات الخالق المطلق [٤] .

(١) وضع هذه النظرية الفلكى البولندى كوبرنيكوس ( ١٤٧٣ - ١٥٤٣ ) وعلى أساسها بنى علم الفلك الحديث .. وقد أهدى النظرية إلى البابا بولس الثالث ولكنه لم ينشرها إلا قبيل وفاة كوبرنيكوس .

(٢) كان صاحب هذه النظرية بطليموس وهو عالم فلك ورياضة وجغرافيا وفيزياء ومؤرخ يونانى مصرى نشأ بالاسكندية قبل منتصف القرن الثانى الميلادى ، وقد صور الكون كما تخيله القدماء حيث الأرض فى المركز وتدور حولها باقى الأجرام السماوية .

(٣) قال البعض بنشوئها فى مصر وقال آخرون فى الصين ( القرن ٣ أو ٥ ق.م. ) وتعتبر الاسكندرية المركز الأول للسيمياء حيث تأثرت بفلسفة الإغريق ، وقد زاملت السيمياء التنجيم واختلط بها السحر حين وصلت إلى العرب فى القرن ٨ وبقيت حتى القرن ١٢ وانتقلت إلى أوربا ترجمات أعمالهم التى انتشرت منها كتابات جابر ، واليونانى زوسيموس ، وقد سيطرت الرمزية على السيمياء فى العصور الوسطى وغرقت فى الغموض ، ( الموسوعة العربية الميسرة تحت عنوان : « كيمياء قديمة » ) .

(٤) « العلم والسحر » ( ص ٥٦ ) .

والسحر هو الأب ( الروحى ) للعلم ومن ثم اختلط بالسيمياء باعتبارها علم الكيمياء القديم وحوّل معادلاتها العلمية – إن صح التعبير – إلى رموز وطقوس سحرية لم تلبث أن تحولت إلى رموز وطقوس دينية حيث أن « السحر القديم يؤلف الأساس الأول للدين » (١) وحيث أن « دراسة الأفكار الأساسية فى السحر والدين تبين أن السحر أقدم من الدين » (٢) ومن ثم كان منطقيا بل وحتميا أن يغزو السحر الدين بالنسبة إلى شجرة المعرفة ببعدها كغذاء للعقل بحكم تأثرها ببعدها كغذاء للروح .. ولأنها ببعدها الروحى تمثل همزة الوصل بشجرة الحياة .. وأيضا لأن شجرة الحياة تمثل الهدف النهائى الذى يصبو أليه الإنسان عن طريق شجرة المعرفة بجميع أبعادها .. فقد كان منطقيا بل وحتميا أن يغزو السحر الدين بالنسبة إلى شجرة الحياة ، ( وهو ما سنتناوله فى حينه أثناء تناولنا لبُعدى الجنس والموت فى شجرة المعرفة ) .

وقد بلغ من تأثير سيطرة البُعد الروحى لشجرة المعرفة على بقية أبعادها أن نشأت عادة أكل لحوم البشر بهدف اكتساب الصفات المميزة للشخص المأكول مثل الشجاعة والقوة ... إلخ.

وإذا كنا قد بينا أننا والشجر متماثلان بصورة جوهرية فلا عجب أن نجد فى الماضى السحيق للنبات – الجد القديم للشجر المماثل للإنسان – ما يقابل أكل لحوم البشر (٣) وذلك على أساس وحدة الأصل فى نشأة النبات والحيوان .. وأنه « قد نبع من هذا الأصل فرعان استطاع أحدهما ( وهو النبات ) أن يصنع غذاء ه بنفسه من مواد أولية بسيطة مثل الماء وثانى أكسيد الكربون .. أما الفرع الثانى ( وهو الحيوان ) فلم يستطع أن يصنع غذاء ه بنفسه فراح يلتهم جيرانه من النباتات » (٤) التى تشترك معه فى الأصل.. وهكذا ترجع عادة أكل لحوم البشر إلى جذور سحيقة فى ماضى النبات بل وربما إلى ما قبل ذلك حيث الفيروسات التى قد تكون أول خطوة فى التطور بالنسبة للحياة على الأرض ( راجع هامش ٣ ) .

ونعود إلى قولنا بأن تأثير البُعد الروحى لشجرة المعرفة على بقية أبعادها قد نتجت عنه عادة أكل لحوم البشر بهدف اكتساب الصفات المميزة للشخص المأكول (٥) .. وبديهى أن تميز الصفات يتعلق بأشخاص متميزين مثل الآلهة والأسلاف المؤلهين .. ولأننا بصدد الغذاء العقلى فسوف نقدم مثالا يخص اكتساب التميز العقلى للشخص المأكول .. وإذا كنا سنقدم هذا المثال

---

(١) « الغصن الذهبى » ( ص ٢٢٤ ) وجدير بالذكر أن الشامان وهو الساحر الذى كان يتحكم فى حياة الإنسان القديم يعتبر أول رمز فى التاريخ لرجل الدين .

(٢) « الغصن الذهبى » ( ص ٢٢٨ ) .

(٣) وقد يمكن إرجاع ذلك إلى ماض أبعد من ماضى النبات حيث يظن بعض العلماء « أن الفيروسات التى نعرفها اليوم قد تكون أول خطوة فى خطوات التطور بالنسبة إلى الحياة على الأرض ، وتختلف الفيروسات عن بقية المواد الكيميائية فى أنها تنشط فجأة وتدب فيها الحياة عند ملامستها للخلايا الحية فتبدأ فى التكاثر بالتهام الوحدات العضوية الموجودة بالخلايا الحية التى تصادفها ( « هل نحن وحدنا فى هذا الكون ؟ » ص ٣٣ – ٣٤ ) .

(٤) « هل نحن وحدنا فى هذا الكون ؟ » ( ص ٣٩ ) .

(٥) ويتحول الضحية البشرية إلى ضحية حيوانية استمر نفس الاعتقاد وانتقل إلى العامة حيث يظن البعض أن أكل قلب الحيوان يقوى قلبه وأن أكل خصيتيه يقوى قدرته الجنسية ... إلخ .

من التـاريخ المصرى القديم من خـلال « الصورة التى نشاهد فيهـا الفرعون ينقض على الآلهة كصياد فى الغابة متعطش للدماء » [١] فمن المهم الإشـارة إلى « أنه ليس لدينا برهان آخر يقوم دليلا على وجود هذه العادة بمصر القديمة » [٢] كما وأن الصورة تبين الفرعون « وكأنه لايزال يباشر حياة الصيد فى عصر ما قبل التاريخ » [٣] مما يؤكد انتماءها إلى فترة مبكرة جدا من تاريخ الفراعنة .

وما يؤكد وجهة نظرنا بشأن التوصل إلى البُعد ( الروحى ) عن طريق البُعد ( العقلى ) أن ذلك الفرعون من الدولة القديمة [٤] المدعو « وناس » [٥] يصعد إلى السماء ( التى تتعلق بالبُعد الروحى ) حيث يأكل الآلهة ( التى تتعلق أيضا بالبُعد الروحى ) وبخاصة أعضاءهم الداخلية مثل القلب ( الذى هو مقر العقل عند المصريين القدماء ) وذلك اعتقادا منه بأنه يمكنه بهذا أن يستولى على صفات الآلهة وبالذات قواهم العقلية أى العلمية « فمتى استولى على قلوب الآلهة فقد ابتلع علم كل الآلهة » [٦] . ولنتأمل على ضـــوء ما قدمناه ما جاء فى النص [٧] الذى يصـــور رحلة الملك « وناس » إلى عالم السماء :

« السحب تظلم الدنيا »

« والنجوم تمطر على الأرض »

« والأقواس ( مجموعة نجوم ) تترنح »

« وعظام كلاب جهنم ترتعد »

« والبوابون واجمون »

« عندما يرون الملك « وناس » يشرق فى صورة روح بصفته إلها يعيش بأكل آبائه »

« ويتغذى بأكل أمهاته »

« إن الملك « وناس » هو رب الحكمة »

. . . . . . . . . . . .

« وقد استولى على قلوب الآلهة »

. . . . . . . . . . . .

(١) « فجر الضمير » ( ص ١٠٣ ) .

(٢) « فجر الضمير » ( ص ١٠٣ ) .

(٣) « فجر الضمير » ( ص ١٠٣ ) .

(٤) ( ٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م ) .

(٥) أو « يونس » UNAS والـذى يمكن نطق اسمه كما نقول UNIT. UNIVERS. UNITE ويمـــكن أن ننطقه « أوناس » أو « ونيس » أو « أنس » وكلها أسماء لازلنا نستخدمها فاسمه مرتبط بمدينة « يون » أو « أون » التى تعنى مدينة الشمس وترجمها الإغريق إلى « هليوبوليس » والعرب إلى « عين شمس » ( « آلهة المصريين » ص ٧ ) .

(٦) « فجر الضمير » ( ص ١٠٦ ) .

(٧) « فجر الضمير » ( ص ١٠٤ ، ١٠٥ ) .

« وإنه شبعان إذ يعيش على قلوبهم وسحرهم »

. . . . . . . . . . . .

« وتعاويذهم فى جوفه »

. . . . . . . . . . . .

« فإنه ابتلع علم كل الآلهة »

ونلاحظ فى هذا النص أن الملك « وناس » يأكل أسلافه بصفته إلها .. ولأن غذاء الآلهة شىء غير عادى فهو يكسبه الحكمة الإلهية وهى حكمة الأسلاف المؤلهين التى تجعله رب الحكمة.. ولأن الحكمة تتعلق بالعلم ( غذاء العقل ) ولأن العقل يتعلق بالقلب ولأن الحكمة الإلهية تتعلق بقلوب الآلهة فإن « وناس » يستولى على قلوبهم ويأكلها .. وأيضا لأن السحر - كما بينا - يتعلق بالعلم ومن ثم بالعقل ومن ثم بقلوب الآلهة فهى تعتبر فى جوفه بمثابة التعاويذ السحرية .

وكما قلنا فإن شجرة المعرفة بجميع أبعادها - ومنها البُعد العقلى - تمثل الطريق إلى شجرة الحياة ( الأبدية ) .. كماوأنها ببعدها الروحى تمثل همزة الوصل بشجرة الحياة ( الأبدية ) التى هى الهدف النهائى الذى يسعى إليه الإنسان .. وهو ما يعبر عنه النص :

« ومدة حياة الملك « وناس » هى **الأبدية** » .

بل إن هناك ما هو أبعد من ذلك وما يعود بنا إلى الدافع الذى جعل آدم وحواء يأكلان من شجرة المعرفة « بل الله عالم أنه يوم تأكلان منها تكونان كالله » أى يكونان صاحبى إرادة مطلقة وسلطة إرسال الرسل وهو ما نجده فى النص الخاص بالملك « وناس » :

« والملك « وناس » هو الواحد العظيم القوى »

« وهو رب الرسل ومرسل رسالاته »

« وإذا أراد فعل وإذا لم يرد لم يفعل »

وإذا كانت الحية هى التى أغوت آدم وحواء بأن يكونا ( كالله ) وإذا كانت بذلك قد تطاولت على أمر الله .. فإننا نجد فى النص الخاص بالملك « وناس » دورا للثعبان يشبه دور الحية :

« وإن **الثعبان** « الرأس الفاخرة » هو الذى يحرسهم له ويكبح جماحهم له » ( والمقصود هم الآلهة ) .

ونلاحظ تميز الثعبان بوصفه « الرأس الفاخرة » وهى صفة قد يكون المقصود بها تمييزه على سائر الثعابين ، أو - وهو ما نرجحه طبقا لموضوعنا ( غذاء العقل ) - قد يكون المقصود بها هو تميزه بالعقل غير العادى باعتبار أن الرأس مقر العقل ، وإذا بدا أن هذا التفسير يتعارض مع مفهوم أن العقل مقره القلب فالواقع أن الجراح المصرى كان يعرف منذ عهد الدولة القديمة - التى

ينتمى إليها الملك « وناس » – وظيفة المخ كمركز للإحساس والسيطرة على أعضاء الجسم .. ولكن لحداثة هذه المعلومة فى زمانها (١) ظل استخدام القلب بمعنى العقل (٢) .

وسبق أن تطرقنا إلى تأثير السحر والدين على شجرة المعرفة كغذاء للعقل بحكم سيطرة بُعدها كغذاء للروح .. ونجد ذلك فى النص الذى نحن بصدده حيث يحصل الملك « وناس » على سحر الآلهة عن طريق أكل قلوبهم أى عقولهم :

« والملك وناس هو الذى يلقف سحرهم » .

## ( ١ ) ، الغذاء ، والبعد الروحى ( جـ - غذاء الروح )

قلنا بشأن غذاء العقل إن المقصود به هو المعرفة العلمية المجردة التى لا علاقة لها بالقيم الخلقية والدينية فعندما يقول العلم إن الماء يتكون من ذرتى إيدروچين وذرة أكسچين وهو ما يعبر عنه الرمز الكيميائى ( يد٢ أ ) فإن هذا لا يتعلق بالأخلاق والدين .. ولكن عندما نذكر الآية الكريمة : « وجعلنا من الماء كل شىء حى » فإن الرمز الكيميائى ( يد٢ أ ) يتحول من المعرفة العقلية ( غذاء العقل ) إلى المعرفة الروحية ( غذاء الروح ) .

والمعرفة الروحية – سواء على المستوى الأخلاقى أو الدينى – تتعلق بقضية الخير والشر ومسئولية الإنسان فى الاختيار بينهما .. وذلك عكس المعرفة العقلية المجردة التى تتعلق بالجبر حيث لا اختيار للإنسان بشأنها .. وما نعنيه هو أن الرمز ( يد٢ أ ) يعبر عن قانون تركيب الماء وهو قانون العقل الجبرى الذى وضعه الخالق لجميع عناصر الكون والذى يحكم ميزان الكون ومن ثم فهو خير مطلق وبالتالى فهو خارج مسئولية الإنسان من حيث الاختيار بين الخير والشر .. وإنما تبدأ مسئوليته لحظة تعامله مع عناصر الكون .. فبالنسبة إلى الماء كعنصر حيوى « وجعلنا من الماء كل شىء حى » يكون الخير فى المحافظة على نظافة مصدر الماء ويكون الشر فى تلويثه .. وبعبارة أخرى تكون الحياة فى المحافظة على نظافة مصدر الماء ويكون الموت فى تلويثه .

وذكر الحياة والموت يقودنا إلى الآية الكريمة : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » ، وسوف نطبق مضمون هذه الآية على مثال الماء الذى قدمناه ، فقد رأينا أن الماء بالنسبة إلى المعرفة العقلية هو عنصر جماد يخص قانون العقل الجبرى .. أما بالنسبة إلى المعرفة الروحية فهو عنصر حيوى يخص العقل الاختيارى .

---

(١) كان هيروفيلوس « HEROPHILUS » عالم الفيزيولوجى بمكتبة الإسكندرية ( ٣٠٠ ق. م. ) أول من أثبت أن الدماغ وليس القلب هو مركز الذكاء أى مقر العقل ( « الكون » ص ٣٣ ) .

(٢) وعلى هذا ففى رأينا أن فصول « كتاب الموتى » التى تهتم بسلامة الرأس تهدف ضمنا إلى الحفاظ على المخ الموجود داخل الرأس بجانب المحافظة على الأنف واللسان والأذنين والعينين من أجل أداء وظائفها التى يعمل المخ ( العقل ) عليها ، ونذكر بهذه المناسبة قول المتوفى : « *إنى أسير على الطريق التى أغسل فيها رأسى فى بحيرة الحق* » حيث يمكن أن يعنى غسيل الرأس تطهر العقل من الآثام .

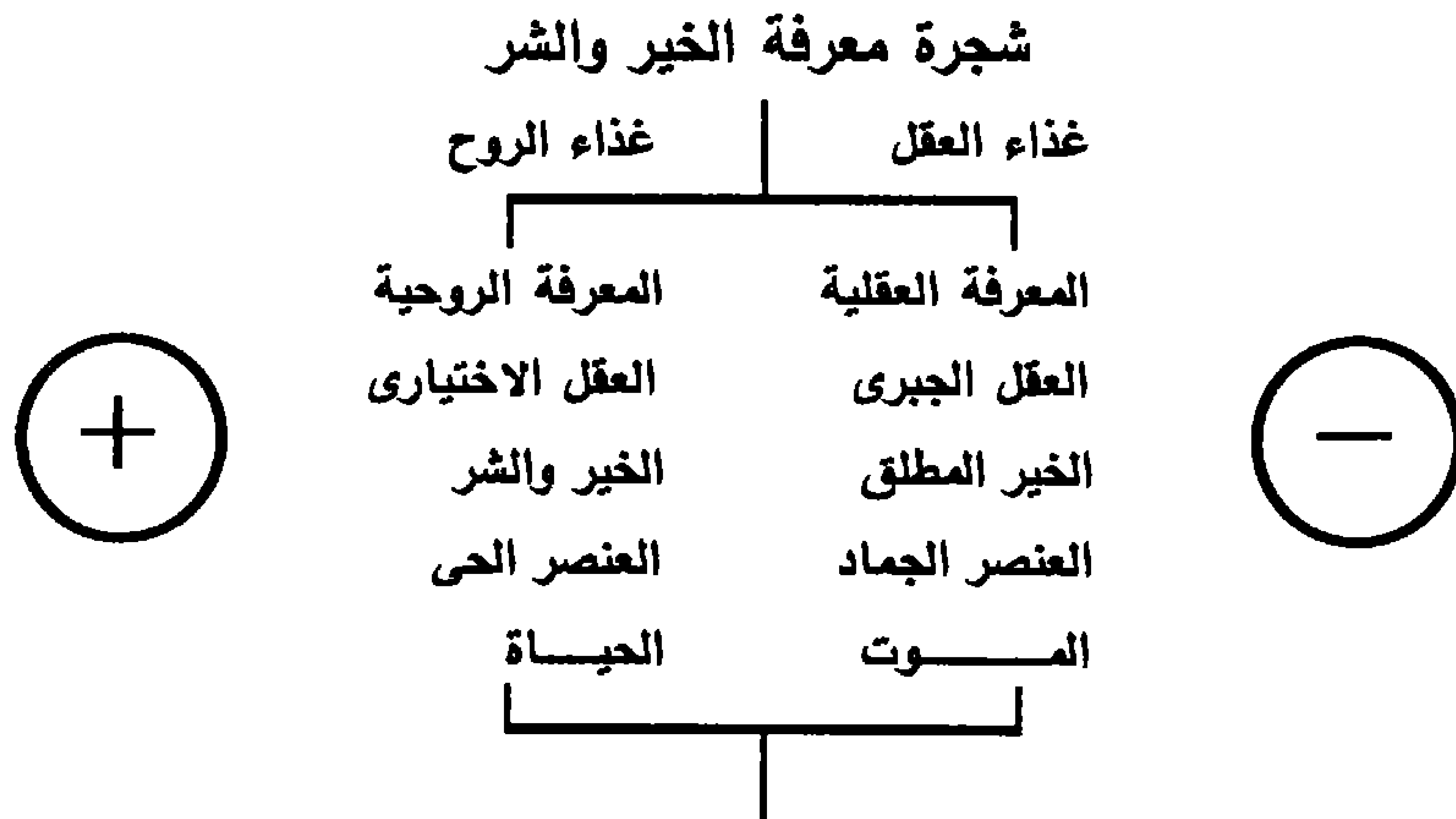
وباعتبار أن عنصر الجماد يتعلق بالموت وأن العنصر الحيوى يتعلق بالحياة .. يمكننا القول بأن المعرفة الروحية تخرج من المعرفة العقلية وأن المعرفة العقلية تخرج من المعرفة الروحية .

وباعتبار أن المعرفة العقلية تتعلق بالعقل الجبرى وأن المعرفة الروحية تتعلق بالعقل الاختيارى .. يمكننا القول بأن العقل الاختيارى يخرج من العقل الجبرى وأن العقل الجبرى يخرج من العقل الاختيارى [1] .

وباعتبار أن العقل الجبرى يتعلق بالخير المطلق وأن العقل الاختيارى يتعلق بالخير والشر.. يمكننا القول بأن الخير والشر يخرجان من الخير المطلق وأن الخير المطلق يخرج من الخير والشر [2] .

وباعتبار أن المعرفة العقلية تخص شجرة المعرفة كغذاء للعقل وأن المعرفة الروحية تخص شجرة المعرفة كغذاء للروح .. يمكننا القول بأن شجرة الغذاء الروحى تخرج من شجرة الغذاء العقلى وأن شجرة الغذاء العقلى تخرج من شجرة الغذاء الروحى .

وباعتبار أن الشجرتين تمثلان بعدين لشجرة واحدة هى شجرة معرفة الخير والشر .. وبالعودة إلى مثال الماء الذى قادنا إلى الآية الكريمة : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » ومن ثم قادنا إلى الاعتبارات والاستنتاجات التى قدمناها بشأن شجرة معرفة الخير والشر.. فإنه يمكننا القول بأن هذه الشجرة تحمل مضمون خروج الحياة من الموت وخروج الموت من الحياة ، وعلى هذا سوف نلخص ما توصلنا إليه فى الجدول المبين فى ( شكل ٢ ) .




« يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى »

( حياة مؤقتة تنتهى بالموت )

( شكل ٢ )

---

(١) فآدم كرمز للإنسان الذى يتميز بالعقل الاختيارى خرج من التراب وإلى التراب يعود ، والتراب جماد يخضع للعقل الجبرى.

(٢) وذلك باعتبار أن الهدف من الخير والشر هو امتحان آدم ونسله من بعده للوصول إلى الخير المطلق عن طريق غذاء الروح .

ولنر الآن ما الذى يمكن أن نخرج به من هذا الجدول على أساس أن ما يخص غذاء العقل سالب وأن ما يخص غذاء الروح موجب وذلك باعتبار أن البعد الروحى لشجرة المعرفة يسيطر على جميع أبعادها ومنها البُعد العقلى .. فبتحويل مبدأ ( خروج الحياة من الموت وخروج الموت من الحياة ) إلى عملية حسابية تعتمد مرة على الضرب بمعنى التفاعل بين الحياة والموت وتعتمد مرة أخرى على الجمع بمعنى إضافة الحياة إلى الموت الذى كان نقطة البدء طبقا لبداية نص الآية : « يخرج الحى من الميت ..... » وليس يخرج الميت من الحى . نخرج بالآتى :

١ - $( - ) = ( + ) \times ( - )$

٢ - $( ٠ ) = ( + ) + ( - )$

وهاتان النتيجتان تنطبقان على مضمونى شقى الآية الكريمة : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » حيث المضمون الأول يعنى الحياة المؤقتة أى استمرارية الحياة التى يتخللها الموت وهو ما تعبر عنه النتيجة السالبة ( - ) .. وحيث المضمون الثانى يعنى نهاية المضمون الأول - مهما طالت استمراريته - بالموت ( نهاية الخليقة ) وهو ما تعبر عنه النتيجة ( ٠ ) وذلك باعتبار أن الموت كان نقطة البدء .

ولكن قد يعترض قائل بأننا أخطأنا حين نسبنا صفة السالب إلى ( العقل الجبرى ) وإلى ( الخير المطلق ) باعتبار أن الأول يخص قانون التوازن الذى وضعه الخالق لعناصر الكون وأن الثانى يخص الخير الذى لا يشوبه شر ( راجع شكل ٢ ) ولن نعارض هذا القول بل سنضيف إليه أننا أخطأنا أيضا حين نسبنا صفة الموجب إلى ( العقل الاختيارى ) وإلى ( الخير والشر ) وذلك باعتبار أن الأول يعجز عن التفرقة بين الخير والشر وأن الثانى يجمع بين الخير والشر ( راجع نفس الشكل ) .

والواقع أننا نشكر صاحب هذا الاعتراض لأنه يؤكد ما قلناه سابقا بأن موقف المواجهة بين آدم وشجرة المعرفة يمثل مواجهة الإنسان لنفسه .. أى أن الإنسان هو المحرك الدرامى فى هذا الموقف ومن ثم استحق صفة الموجب ومن ثم أيضا انصبت هذه الصفة على الصفتين اللتين تخصانه واللتين أيضا تمثلان موضوع الموقف الدرامى وهما ( العقل الاختيارى ) وما يتعلق به من ( الخير والشر ) .

وهذا يقودنا إلى بُعد جديد للآية : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » وهو : « يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن » (١) .

فالاختيارية تتبعها المسئولية ومن ثم استحقاق الثواب أو العقاب بشأن ما يقع عليه الاختيار .. وقد اختار آدم الأكل من الشجرة المحرمة فاستحق عقوبة الموت .. وكان لابد أن يحدث

---

(١) « صفوة التفاسير » ( جـ ٢ ص ٤٧٤ ) .

هذا طبقا للآية : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » وكذلك طبقا لتفسيرها بخروج المؤمن من الكافر وخروج الكافر من المؤمن .

فبالنسبة إلى نص الآية فإن آدم قد خلق من تراب وهو عنصر جماد = الموت ( راجع شكل ٢ ) وقد دبت فيه الحياة .. وطبقا لمضمون الآية فهى حياة مؤقتة يتخللها الموت وهو ما يعنى خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى .

أما بالنسبة إلى تفسير الآية وهو خروج المؤمن من الكافر وخروج الكافر من المؤمن فسوف نجد أنفسنا لأول وهلة أمام معنى لا يستقيم وهو أن آدم قد خلق كافرا [(١)] .. ولكننا نبادر ونذكر قولنا بأنه كان لابد أن يأكل آدم من الشجرة المحرمة ويكفر بأمر ربه .. وقبل أن يقول معترض بأن هذا معناه نفى اختيارية آدم وبالتالى نفى استحقاقه للعقاب نبادر بأن المقصود بحتمية ما فعله آدم هو علم الله المسبق بذلك طبقا لقوله تعالى : « إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » [(٢)] .. وعلى هذا كان آدم مسئولا عما فعله وبعد أن أدرك خطأ كفره بأمر الله تاب وآمن بأمره وهو ما ينطبق عليه تفسير الآية بخروج المؤمن من الكافر .

ومن ناحية أخرى فإن آدم خلق مؤمنا بربه ولكنه ايمان لا فضل له فيه لأنه لم يمر بتجربة الخطأ باختياره ثم التوبة باختياره أيضا .. وهذا يقودنا إلى مضمون جديد لشجرة المعرفة ببعدها الروحى يرمز إلى الامتحان .. وهو امتحان تجريبى لآدم الهدف منه إطلاعه – ونسله من بعده – على نتيجة طاعة أوامر ونواهى الله وعلى نتيجة عصيانها .. وهو هدف يرمى إلى الهدف النهائى وهو استحقاق الحياة الأبدية فى جنة الآخرة لمن ينجح فى الامتحان.. وبهذا نصل إلى سابق قولنا بأن شجرة معرفة الخير والشر هى الطريق إلى شجرة الحياة الأبدية .. وأن شجرة المعرفة ببعدها الروحى هى همزة الوصل بين الشجرتين .

## ( ٢ ) ‹ الجنس › والبعد الروحى

رغم تعدد الأبعاد التى بيناها لشجرة المعرفة فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو بعدها الجنسى حتى أنها تكاد تكون رمزا للجنس فقط .. ويرجع ذلك إلى أن ما جاء بشأن قصة آدم وحواء قد انصب أساسا على نشأة الجنس وعلاقة التزاوج بين الإثنين .. وطبقا لمنهج بحثنا الذى ينطلق أساسا من علاقة التماثل بين الإنسان والشجرة فسوف نبحث فى النبات عما يقابل نشأة الجنس بين آدم وحواء .

فاستكمالا لما قدمناه بشأن ظهور النبات بعد نشأة الحياة على الأرض منذ أربعة مليارات من السنين.. فإنه « يبدو أن الجنس اخترع قبل ما يقرب من مليارى سنة ، أما قبل ذلك فلم تكن

---

(١) وذلك على أساس أن مضمون الآية يعنى البدء من الموت ويقابله فى سياق التفسير الكفر .

(٢) « سورة البقرة » ( من الآية ٣٣ ) .

العضويات المختلفة تنشأ من تراكم التحولات العرضية أى بانتقاء التغيرات حرفا بحرف من الدليل الوراثى ، ومع اختراع الجنس أصبح من الممكن لكائنين عضويين مختلفين تبادل فقرات وصفات وكتب كاملة من شفرة (CODE) كل منهما وإنتاج أنواع جديدة للانتقاء ، وتنخرط العضويات المنتقاة فى الجنس ولكن التى لا تجد هذا ممتعا أو مهما سرعان ما تنقرض ، ولا يصح ذلك على الميكروبات فقط قبل مليارى سنة فنحن البشر نملك أيضا رغبة ملموسة فى تبادل أجزاء من الـ ( دنا ) DNA [1] من خلال التزاوج الجنسى مثلما يحدث فى النبات بحكم وحدة الأصل التى تجمع بيننا ، فنحن « نجد فى صميم الحياة على الأرض – أى فى البروتينات التى تسيطر على كيمياء الخلية وفى الحموض النووية التى تحمل التعليمات الوراثية – تلك الجزيئات التى هى متماثلة بصورة جوهرية فى النباتات والحيوانات كلها ، فشجرة السنديان وأنا مصنوعان من المادة ذاتها ، وإذا عدنا بعيدا فى الزمن نجد أنه كان لنا جد واحد » [2] .

وإذا كنا قد أثبتنا علميا علاقة التماثل بين الإنسان والنبات من حيث الجنس .. وإذا كنا قد أشرنا إلى أننا لو عدنا بعيدا فى الزمن سنجد أننا والنبات لنا جد واحد .. فإن ذلك الجد لم يكن يتكاثر عن طريق الجنس وإنما عن طريق التكاثر أى التوالد الذاتى .. ورغم أن الإنسان لم يكن قد وجد فى ذلك الحين إلا أننا نجد فى خلق آدم وحواء ما يرمز إلى ذلك « فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام . فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت » [3] .

فإذا طبقنا هذا المعنى الرمزى لتطور التكاثر من الذاتى إلى الجنسى فسنجد « أن الأرض كانت قبل أربعة مليارات من السنين بمثابة حديقة عدن مليئة بالجزيئات – ولم تكن توجد حتى ذلك الوقت أى حيوانات مفترسة [4] – التى عمل بعضها على التكاثر ( التوالد الذاتى ) وبالتالى خلقت نسخا من ذاتها » [5] .. ولأن الجنس لم يكن قد ظهر بعد فإن هذه النسخ كانت من نوع المنسوخة منه .. ولكننا نجد فى رمزية قصة آدم وحواء أن النسخة التى خرجت منه كانت من نوع آخر هو الأنثى .. وهذا يجعل لرمزية خلق آدم وإخراج حواء منه بعدا أعمق يشمل مرحلتى التكاثر عن طريق التوالد الذاتى – لدى جدنا المشترك نحن والنبات – ثم عن طريق الجنس « وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت » [6] أو بعبارة أخرى فإن رمزية خلق آدم وإخراج حواء منه تجمع بين

---

(١) « الكون » ( ص ٤٩ ) .
(٢) « الكون » ( ص ٥٢ ) .
(٣) « تكوين » ( ٢ . ٢١ – ٢٣ ) .
(٤) وهى سمة مميزة لجنة عدن .
(٥) « الكون » ( ص ٤٨ ) .
(٦) « تكوين » ( ٤ : ١ ) .

عملية التكاثر فى النبات عن طريق التقليم وبين عملية التكاثر فى النبات والحيوان عن طريق الجنس .

ونعود إلى ملحوظة أوردناها فيما سبق وهى أن العضويات التى لم تجد متعة فى الجنس سرعان ما انقرضت .. فبالمقابل نجد أن تعامل آدم وحواء مع شجرة المعرفة ببعدها الجنسى قد أدى إلى الموت (١) وبالتالى كان يمكن أن يؤدى ذلك إلى انقراض البشرية فى بدايتها كما حدث فى بداية بعض العضويات .. وعلى هذا يمكننا القول بأن الفضل فى استمرار البشرية يرجع إلى متعة الجنس فى حد ذاتها بغض النظر عن أن الجنس هو وسيلة استمرارية الحياة .. ومن ثم فلا عجب أن متعة الجنس هى أقوى المتع الحسية وبالتالى فلا عجب أن آدم لم يستطع أن يمنع نفسه من التعامل مع شجرة المعرفة ببعدها الجنسى .

وبذلك نكون قد أضفنا بعدا جديدا بشأن المماثلة بين الإنسان والنبات – وبالتالى الشجرة – وهو أن الإثنين يشتركان فى الإحساس بمتعة الجنس (٢) .

ومع ذلك فهناك فرق بين الإنسان والشجرة من حيث الجنس .. فرغم أن الجنس عند الإثنين هو الوسيلة لاستمرارية الحياة التى يتخللها الموت إلا أنه أصبح عند الانسان خطيئة عقوبتها الموت كما فى قصة آدم وحواء .. فكأنما العقوبة انصبت على الحياة ذاتها باعتبار خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى .. ويرجع ذلك الى أنه رغم التماثل الجوهرى بين الانسان والشجرة إلا أن هناك فارقا جوهريا بين الاثنين وهو تميز الانسان بالعقل الاختيارى المتعلق بالخير والشر ومن ثم بالأخلاق والدين .. وقد انعكس ذلك على الجنس فأصبح حلالا أو حراما طبقا للقوانين الوضعية والتشريعات الدينية .. ومع ذلك وفى ظل القيم الدينية كان الجنس مقدسا فى العبادات القديمة وكان البغاء يمارس فى المعابد لأهداف دينية (٣) .

بل إن الجنس جمع بين السحر والدين عن طريق « الكلمة » ببعدها الدينى الذى يعنى الخلق « كن فيكون » ويقابلها فى السحر القوة الخارقة للتعازيم السحرية .. ولهذا نجد عند قدماء المصريين أن « الكلمة » عنصر مشترك بين « بتاح» إله الخلق و «تحوت» إله السحر .. فقد كان «بتاح» يلقب بالكلمة وكان «تحوت» يلقب برب الكلمة المقدسة أو الكلمة السحرية (٤) (أنظر الهامش).

---

(١) فكما قلنا كانت العضويات الأولية تتكاثر بالانقسام ( ٢ – ٤ – ٨ – ١٦ الخ ) أى أنها كانت تعيش حياة مستمرة لا يتخللها الموت بعكس ما حدث بعد ظهور الجنس واستمرار الحياة من جيل إلى جيل والموت يتخللها .

(٢) وفى رأينا أن المتعة تشمل التفاعل بين جميع عناصر الكون الحية منها والجماد ، وقد بينا ذلك فى كتابنا « صدمة العرى » تحت مسمى « مبدأ اللذة » الذى يصبو إلى « ما فوق مبدأ اللذة » الذى يغرى عناصر الكون بالتعامل مع بعضها البعض .

(٣) مثال ذلك أنه « لم تكن التضحية بالبكارة فى الهياكل عملا يتقرب به إلى عشتروت وحسب ، بل كان فوق ذلك مشاركة لها فى التهتك الذى يرجى منه أن يضمن تكاثر النبات والحيوان والإنسان » ( الأسطورة والتراث ص ٥٩ ) وكان لقب العشتارية الأفضل هو « قاديشتو » وهو الذى أصبح فى اليهودية « قديشا » – وكانت تطلق على زانيات الهيكل السليمانى – والتى ننطقها « قديسة » ( الأسطورة والتراث ص ٩٥ ) .

(٤) « وعلى هذا فليس مستبعدا أن الزوجين أثناء اجتماعهما جنسيا كانا يرددان اسم بتاح لضمان النسل باعتباره إله الخلق الملقب بالكلمة ، وباعتبار أن السحر قد ارتبط بالخصوبة منذ القدم وباعتبار تغلغله فى حياة المصريين القدماء فمن البديهى أن يلجأ الزوجان أيضا إلى تحوت صاحب الكلمة السحرية ، ولنا أن نتصور الزوجين وهما يرددان الإسمين « بتاح تحوت » فى =

وكل ذلك الذى مر به الجنس من تحريم وتشريع وتقديس كان نتيجة سيطرة البعد الروحى لشجرة المعرفة على بقية أبعادها بما فيها البعد الجنسى .

وكما قلنا فإن المقصود بالجنس هو التكاثر عن طريق التزاوج .. وقد انعكس التزاوج الجنسى على الديانات القديمة فلم يقتصر على البشر بل شمل قصة الخلق [1] والآلهة وعناصر الكون .. ونجد ذلك فى الأسطورة المصرية القديمة «تاسوع أون» التى تقول إن الإله «آتون» بعد أن خلق نفسه خلق منها زوجها فى راحته ثم جعل فيها نطفته وردها إلى فمه فعطس ونتج عن ذلك توأمان من ذكر وأنثى هما « شو » ( الهواء ) و « تفنوة » ( الماء ) .. ثم تزوج الإثنان فأنجبا توأمين من ذكر وأنثى هما « جب » ( الأرض ) و « نوة » (السماء ) .. ثم تزوج الإثنان فأنجبا البشر من ذكرين وأنثيين هم « أوزيريس » وأخته « إيزيس » و « ست » وأخته « نفتيس » .

وكذلك نجد « ثامون الأشمونين » وهى أيضا أسطورة مصرية قديمة « نسجها خيال الكهان فى « الأشمونين » [2] فصوروا الكون قائما على أصول ثمانية : « نون » وزوجته « نونة» ( الماء ) و « حاح » وزوجته « حاحة » ( الفضاء ) و « كاك » وزوجته « كاكة » ( الظلام ) و « أمون » وزوجته « أمونة » ( الهواء ، الأثير ) وكانا بمثابة الروح التى حركت الحياة فى هذا المزيج المختلط فكانت (الأرض) وكان (النور).. وشبيه بذلك ما جاء فى سفر التكوين [3] حيث سنورد النص [4] ونضع ما يقابل عناصره من عناصر « تاسوع أون » و « ثامون الأشمونين » بين قوسين: « فى البدء خلق الله السماوات ( نوة ) والأرض ( جب ) ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة ( كاك وكاكة ) وروح الله يرف على وجه المياه ( تفنوة) أو (نون ونونة ) ، وقال الله ليكن نور فكان نور ( وهو ما نتج عن مزيج عناصر « ثامون الأشمونين » بفعل « الهواء » الذى كان بمثابة « الروح » التى حركت « الحياة » فى هذا المزيج .. علما بأن المقصود بالنور هو ضوء الشمس ) وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهارا ودعا الظلمة ليلا » .

ومما يؤكد تأثر بعض ما جاء فى التوراة بالعقائد المصرية القديمة [5] أن هذه العناصر الثلاثة التى نتج النور عن مزيجها وهى ( الهواء ) و ( الروح ) و ( الحياة ) نجدها فى المناظر التى على القبور وتوابيت الموتى والتى تصور الرمز ( با ) الذى يعبر عن ( الروح ) وبيده شراع منشور يرمز إلى ( الهواء ) ويمد يده إلى أنف الميت ويقابله فى اليد الأخرى رسم للعلامة الهيروغليفية التى ترمز إلى ( الحياة ) .

---

= تلاحق لاهث أثناء النشوة الجنسية وما ينتج عن ذلك من سقوط بعض الأحرف وبقاء اللفظ الذى تردده بعض النساء أثناء الجماع والذى كان يردده معها الرجل ثم اقتصر عليها بعد أن فقد مغزاه الأصلى وأصبح مجرد تعبير عن الانفعال الجنسى لا يليق بالرجل » ( صدمة العرى ص ٧٧ ) .

(١) وظهور « أتوم » ( آدم ) فى العقيدة المصرية القديمة حيث رفع الإله « بتاح » الأرض وأخرجها من « النون » ثم دحاها ليسكنها « أتوم » .

(٢) مدينتان تعرف كل منهما باسم « شمون » ومعناها « الشامون » أى الثمانية العناصر الطبيعية التى قامت منها الحياة .

(٣) « الموسوعة العربية الميسرة » ( ص ٥٧٨ ) .

(٤) « تكوين » ( ١ : ١ – ٥ ) .

(٥) تناولنا ذلك بتوسع فى كتابنا « صدمة العرى » .

فإذا عدنا إلى علاقة التماثل بين الإنسان والنبات – أو الشجرة – وبحثنا عما يقابلهما فى عناصر الكون التى ذكرناها فسنجد ما يقابل الإنسان فى الآلهة البشرية التى ابتدعها وجعلها تمثل تلك العناصر .. أما ما يقابل النبات – كعنصر حيوى بالنسبة إلى الإنسان يمده بالأكسچين والغذاء – فنجده فى العناصر ذاتها وبالأخص ما يتعلق بعملية التمثيل الضوئى التى تحتاج إلى ثانى أكسيد الكربون والماء والطاقة الشمسية .. ونبين ذلك فى الجدول الآتى :

| عناصر التمثيل الضوئى | عناصر « تاسوع أون » | عناصر « ثامون الأشمونين » |
|---|---|---|
| ١ – الهواء حيث ثانى أكسيد الكربون | ١ – « شو » | ١ – « آمون » وزوجته « أمونة » |
| ٢ – المـــاء | ٢ – « تفنوة » | ٢ – « نون » وزوجته « نونة » |
| ٣ – الطاقة الشمسية | ٣ – « نوة » ( الســمـــاء ) | ٣ – « النور » |

ونلاحظ أن عملية التمثيل الضوئى فى النبات تعتمد على ثلاثة عناصر أساسية ( الشمس والماء والهواء ) وأن النبات – وبالتالى الشجرة – يتكون أيضا من ثلاثة أجزاء رئيسية ( الجذور والساق والأوراق ) وأن الآلهة التى تمثل عناصر عملية التمثيل الضوئى تجمع بينها علاقة تزاوج مكونة أسرة من أب وأم وابن أو إبنة .. فهل بعد ذلك يمكننا القول بأن هناك علاقة بين عملية التمثيل الضوئى وبالتالى الشجرة وبين الثالوث فى الديانات القديمة الذى يمثل أسرة مكونة من أب وأم وإبن [1] .. وذلك تمشيا مع سيطرة البعد الروحى لشجرة المعرفة على بقية أبعادها ومنها البعد الجنسى ؟

وقبل أن ننتهى إلى رأى بشأن هذا السؤال سنستعرض بعض الثواليث لنرى ما الذى نخرج به :

فهناك الثالوث الهندى [2] وأقانيمه [3] الثلاثة هى :

١ – سافسترى ( الشمس ) أى الأب السماوى.

٢ – آنى ( النار ) أى الإبن وهو النار المنبثقة من الشمس .

٣ – فايو ( نفخة الهواء ) أى الروح .

من الواضح أننا نجد فى هذا الثالوث عنصرين من عناصر عملية التمثيل الضوئى :

---

(١) نلاحظ أن الثواليث يوجد بها إبن فقط دون إبنة ، وقد فسرنا ذلك فى كتابنا « صدمة العرى » حيث أرجعناه إلى احتلال الرجل عرش المرأة التى كانت هى الإلهة والحاكمة فى عصر الانتساب إلى الأم ، وكذلك فسرنا لماذا انتقل مكان الأم من رأس الثالوث إلى آخره واحتل الإبن مكان الأب فى الوسط .

(٢) « الله » واحد أم ثالوث ؟ » ( ص ٨١ ) .

(٣) مفردها أقنوم وهى كلمة سريانية الأصل معناها شخص أو كائن مستقل بذاته ( الله واحد أم ثالوث ص ٩ ) .

العنصر الأول هو ( الشمس) ويقابلها في « تاسوع أون » « نوة »( السماء ) مقر الشمس، كما يقابلها في « ثامون الأشمونين » « النور » أى ضوء الشمس ( راجع الجدول السابق ) .

أما العنصر الثانى فهو ( الهواء ) ويقابله فى « تاسوع أون » « شو » كما يقابله فى « ثامون الأشمونين » « أمون وزوجته أمونة » ( راجع الجدول السابق ) .

ونلاحظ أن عنصر الماء لا وجود له فى هذا الثالوث - الشمسى - الذى يعتمد أساسا على عبادة الشمس وبالتالى فهى ترأسه باعتبار أن الشمس كانت أقدم العناصر الطبيعية التى عبدها الإنسان حيث كان يعيش على مصادر الطبيعة بالصيد وجمع الثمار .. ولكن عندما انتقل إلى مرحلة الزراعة عرف قيمة الماء كمصدر طبيعى حيوى وهو ما نجده فى ثالوث « أوزيريس » إله النبات .. فلأن النبات لايحيا إلا بالماء فقد اتحد «أوزيريس» معه فى نفس واحدة ودخل مع إله الشمس فى منافسة انتهت بأن أصبحت العقيدة الأوزيرية تخص طبقة الشعب الذى يزرع وبقيت العقيدة الشمسية تخص الطبقة الحاكمة .. وعلى هذا يمكننا القول بصفة عامة بأن الثالوث الشمسى - الذى ترأسه الشمس - هو ثالوث سماوى ينتمى إلى عالم السماء مقر الشمس .. وأن الثالوث الأوزيرى - الذى يرأسه أوزير - هو ثالوث أرضى ينتمى إلى عالم الأرض حيث النبات والماء .. وبالتالى يمكننا أن نسميه - من حيث موضوعنا - بالثالوث المائى .. وعلى هذا سنعقد مقارنة بين الثالوث الأوزيرى والثالوث الشمسى متخذين الثالوث الهندى نموذجا له [1] أى بديلا للثالوث الشمسى .. وسوف نبين هذه المقارنة فى الجدول الآتى :

| الثالوث الهندى | الثالوث الأوزيرى |
|---|---|
| ١ - سافسترى ( الشمس )<br>٢ - آنى ( النار المنبثقة من الشمس )<br>٣ - فايو ( نفخة الهواء أى الروح ) | ١ - أوزيريس ( الماء )<br>٢ - حوريس ( النور والشمس المشرقة ) [2]<br>٣ - إيزيس ( ملكة السماء وباعثة الحياة |

(١) وذلك على أساس « أن الحضارتين القديمتين فى كل من مصر والهند تكشفان عن بعض التطابقات فى مجال الأساطير وفى رمز الموت والبعث لدى كل منهما ، فهناك تطابق بين ( كا ) المصرية وهى الروح الهائمة بعد الموت وبين ( أتمان ) الهندية وهى الروح الرقيقة ، أما بالنسبة للشمس فهى مصدر الطاقة التى اهتم بها الهنود والمصريون القدماء ، ففى تماثيل كل منهما تسلم القوة والسلطة للفرعون والملك عبر الشمس ، كما يتضح من تماثيل أمينحوتب وتوت عنخ آمون فى مصر وتماثيل الإمبراطور أكبر بعد ذلك فى الهند ( مجلة صوت الشرق ، العدد ٣٤١ يناير ١٩٩٢ ) .

ملحوظة : بخصوص أن ( كا ) تمثل الروح الهائمة بعد الموت ففى رأينا أنها يمكن أن تكون رمزا للجسد ، وقد بينا ذلك فى كتابنا « صدمة العرى » ( ص ٩٢ ، ٢٦٠ ) ونضيف هنا « أن ( أدولف أرمان ) و ( هرمان رانكة ) الآثاريين الألمانيين يؤكدان أنه « ... ليس من الواضح لنا ، وربما لم يكن واضحا بالنسبة للمصريين القدماء أنفسهم ، كيف كانت حالة الكا أثناء الحياة ، ولا الدور الذى كانت تلعبه » ( أوزيريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة ص ١٠٦ ) .

(٢) « الله واحد أم ثالوث » ( ص ٨٠ ) .

(٣) « الله واحد أم ثالوث » ( ص ٨٠ ) .

ونلاحظ فى هذا الجدول تماثل صفتى كل من العضوين الثانيين والثالثين بينما نجد فى العضوين الأولين أن صفة الشمس غير صفة الماء .. ولكن إذا نظرنا إليهما من الناحية الوظيفية فسنجد أن كلا منهما يمثل مصدرا للحياة وكل ما فى الأمر أن الماء احتل مكان الشمس نتيجة الانتقال من مرحلة الصيد وجمع الثمار إلى مرحلة الزراعة كما سبق أن بينا .. ونخرج من ذلك بأن كلا الثالوثين يتضمنان عناصر عملية التمثيل الضوئى ومن ثم يمثلان النبات أو الشجرة .. وكذلك نخرج بأن الشجرة من حيث عملية التمثيل الضوئى تحمل مغزى التفاعل بين العقيدة الشمسية والعقيدة الأوزيرية أو المائية .

وعلى أساس التماثل بين الإنسان والشجرة – الذى نبع منه الثالوث كما أوضحنا – فإن الثالوث يماثل فى تركيبه تركيب الإنسان المكون من جسد وعقل وروح .. ويقابل ذلك شجرة المعرفة من حيث أبعادها الثلاثة الخاصة بالغذاء [1] ( غذاء الجسد وغذاء العقل وغذاء الروح ) وعلى هذا فإن الثالوث الإلهى تمتد جذوره إلى شجرة المعرفة .

وهنا يستوقفنا فى قصة الخلق بالتوراة أن الشجر ظهر فى اليوم ( الثالث ) وأن خلق الإنسان حدث فى اليوم ( السادس ) أى بعد ( ثلاثة ) أيام من ظهور النبات .. الأمر الذى يتفق والمماثلة بين الشجرة والإنسان .. فالنبات ظهر بعد ثلاثة أيام من بدء عملية الخلق وبعد ثلاثة أخرى ظهر حفيده الإنسان .

وإذا كان البعد الجنسى لشجرة المعرفة قد قادنا إلى الثالوث فالثالوث يقودنا إلى الموت وذلك لأن الموت يتعلق بظهور الجنس. فكما قلنا كانت العضويات الأولية تتكاثر بالانقسام ( ٢ – ٤ – ٨ – ١٦ الخ ) أى أنها كانت تعيش حياة مستمرة لا يتخللها الموت بعكس ما حدث بعد ظهور الجنس واستمرار الحياة من جيل إلى جيل والموت يتخللها .

## ( ٣ ) « الموت » والبعد الروحى

قضية الموت تقودنا مباشرة إلى مسألة الخلود .. وإذا كان الثالوث هو الذى قادنا إلى قضية الموت فذلك لأن الهدف منه تحقيق الرغبة فى الخلود عن طريق الجمع بين الناسوت واللاهوت.. وإذا كنا نجد ذلك بشكل مباشر فى الفلسفة المسيحية [2] فهو موجود فى الديانة اليهودية بشكل غير مباشر فى نصوص التوراة ويحتاج للكشف عنه إلى استقراء ما فيها من رموز.. وهو ما سنتناوله فى الفصل التالى ( وفى بقية البحث بصفة عامة ) .

---

(١) رغم أننا توصلنا إلى علاقة الثالوث بالإنسان والشجرة من خلال عنصر الجنس – الذى نحن بصدده – إلا أننا بنينا هذه العلاقة على أساس عنصر الغذاء في شجرةالمعرفة وذلك على أساس أن النبات – وبالتالى الشجرة – وجد أولا من أجل غذاء الإنسان .. وهو ما يتمشى مع أسبقية غريزة الطعام على غريزة الجنس « فحيثما تتعارض غريزة المحافظة على الذات – وهى التى تعبر عن نفسها أساسا فى البحث عن الطعام – مع الغريزة إلى استمرار النوع فإن الغريزة الأولى تكون لها الغلبة باعتبارها الغريزة الأولية والأساسية » ( الغصن الذهبى ص ٤٧٠ ) .

(٢) تناولنا هذا بتوسع فى كتابنا « صدمة العرى » .

## الفصل الثالث :

# قراءة فى رموز التوراة

### ■ أصل لقب ( الرب الإله ) :

- تفنيد رأى د. سيد القمنى بشأن التعبير ( الرب الإله )
- حل مسألة ( الرب الإله ) عن طريق العلاقة بين الشجرة والإنسان وبالتالى عن طريق التفاعل بين المذهب الشمسى والمذهب الأوزيرى

### ■ أصل ( الله ) فى التوراة :

- مفهوم ( الله ) و ( الرب ) و ( الرب الإله )
- مسألة أن ( الله ) خلق العالم فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع
- العبريون هم الوحيدون الذين جمعوا بين ( إيل ) و ( الله )
- ( الله ) فى التوراة لا يعنى الواحد الأحد

### ■ ( الرب ) لقب آدم التوراتى و ( الرب الإله ) لقب الملك الفرعون:

- ( الله ) التوراتى غير الله الواحد الأحد
- ( الله ) التوراتى = إله الشمس « رع » و « بتاح » .. وتفسير قول التوراة بأن الله خلق الإنسان على صورته
- ( الرب الإله ) لقب الملك و « أوزيريس » ولقب آدم أيضا ولكنه رغم ذلك لا يستحق إلا لقب ( الرب ) فقط
- مفهوم معرفة الخير والشر ( كالله ) يرجع إلى البعد الأخلاقى لإله الشمس
- إله الشمس يفصل الوحدة بين الملك و « أوزيريس » بسبب غلبة المذهب الشمسى (السماوى) على المذهب الأوزيرى ( الأرضى ) .. وتفسير عبارة (العالم السفلى للموتى) الذى اختص به «أوزيريس» .
- قصة آدم والشجرة المحرمة ترمز لما حدث للملك وحرمانه من الخلود الأبدى
- حتمية تميز الملك بلقب ( الرب الإله ) بينما يبقى لآدم لقب ( الرب ) وذلك طبقا للعلاقة بين الحاكم والمحكوم وهو ما يعنى إضافة بعد سياسى إلى رمزية قصة آدم فى التوراة .

## أصل لقب ( الرب الإله )

سنبدأ من حيث انتهينا بأن الثالوث تمتد جذوره إلى شجرة المعرفة بأبعادها الثلاثة الخاصة بالغذاء .. وبهذا ينطبق عليها أن ( ١ = ٣ ) وليس ( ١ = ١ ) وقد حدث ذلك كما قلنا نتيجة تأثير البعد الروحي لشجرة المعرفة على بعدها العقلي .. وبهذا نكون قد أضفنا من خلال بحثنا في شجرة المعرفة حيثية جديدة بشأن قول الباحث د. سيد القمني بأن « ديانة العبريين - على الأقل في مراحلها الأولى - كانت ديانة تثليث »[١] رغم أن الشعب اليهودي موحد[٢] يؤمن بأن ( ١ = ١ ) .

إلا أنه يمكننا القول بأن الديانة العبرية كانت تعتقد أيضا بأن ( ١ = ٢ ) حيث يتكرر في التوراة التعبير ( الرب الإله ) الذي يوحي بوجود ( رب ) فقط ورب أعلى شأنا هو ( الرب الإله ) ومن ثم فله حق التكلم بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن الآخر : « وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر »[٣] ، ولاحظ التعبير « كواحد منا » الذي يتضمن ( الرب ) و ( الرب الإله ) وإن كان د. القمني يرى بشأن هذه المسألة أن ( ١ = أكثر من ٢ وأكثر من ٣ ) حيث يقول : « إن التعبير ( الرب الإله ) يوحي أن هناك أكثر من رب : رب إله وأربابا ربما أقل شأنا »[٤] .

ومع احترامنا لرأي د. القمني فإننا نرجح الرأي الذي قدمناه وذلك على أساس أن الثالوث هو مرحلة وسطى بين تعدد الآلهة والتوحيد حيث تناقص عدد تلك الآلهة إلى إلهين أو ثلاثة ومن ثم فإن وصول العبريين إلى هذه المرحلة يعني تخلصهم من كثرة الآلهة وتوجههم نحو الله الواحد الأحد حيث نجد اسمه يتردد في التوراة بجانب إسمي ( الرب ) و ( الرب الإله ) .. بل إن الإصحاح الأول الخاص بقصة الخلق ينفرد بذكر الله فقط[٥] وهو ما يعني نسبة الخلق إلى الواحد الأحد وذلك بغض النظر مؤقتا عن تأثر العبريين بشأن قصة الخلق بتراث المنطقة[٦] .

---

(١) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٣١ ) .

(٢) قانون الإيمان اليهودي بالإله « يهوه » يقول : « لويهي لك إلوهيم أحريم » أي « لا يكن لك آلهة أخرى أمامي » ( خروج ٢٠ : ٣ ) ، « أو على الأصح لا إله إلا الله » ( الأسطورة والتراث ص ١٣٧ ) .

(٣) « تكوين » ( ٣ : ٢٢ ) .

(٤) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٣١ ) .

(٥) وإن كان ذكر الله قد ورد في الإصحاح الثالث بشأن تحريم الشجرة وذلك على لسان حواء والحية ، وسوف نتناول هذا في حينه علما بأنه لا يؤثر على هذه المرحلة من البحث .

(٦) كان المظنون حتى عهد قريب أن الكاتب التوراتي هو الناظم الأول لأسطورة الخلق بهذا الشكل الذي اكتسب ثباتا عجيبا وانتقل إلى ديانات أخرى مع بعض التهذيب هنا والتشذيب هناك ، حتى بدأت الكشوف الأركيولوجية المعاصرة في آثاريات المنطقة تأتي بثمارها ، وتم فك الرموز الهيروغليفية والمسمارية الرافدية والأوغاريتية الكنعانية ، مما أثبتت أن هذه الملحمة ليست إلا تهجينا مستهجنا لمجموعة من الملاحم القديمة التي عرفها بنوعابر مبكرين وأعادوا صياغتها في توراتهم بينما اندثرت تلك الحضارات القديمة ونسي تراثها ( الأسطورة والتراث ص ١٥٧ ) .

وإذا كان بحثنا فى العلاقة بين النبات أو بين الشجرة والإنسان هو الذى قادنا إلى مسألة ( الرب الإله ) فمن المنطقى أن تكون هـذه العلاقة هى طريقنا إلى حل هذه المسألة حيث نعود إلى « أوزيريس » إله النبات والصراع الذى دار بينه وبين إله الشمس وحيث نعرض الآتى :

١ - أن الصراع بين المذهب الشمسى والمذهب الأوزيرى هو فى جوهره صراع بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة .

٢ - أن سلطة وألوهية الملك كحاكم نشأت مستمدة من تحالفه مع إله الشمس (١) أول من حكم مصر القديمة (٢) ، وعلى هذا فإن الملك ( إله ينتمى إلى عالم السماء ) ، فى حين أن سلطة وألوهية « أوزيريس » مستمدة من تحالفه مع الطبقة المحكومة التى تعمل أساسا بالزراعة ومن ثم فهو إله للنبات وبالتالى فهو ( إله ينتمى إلى عالم الأرض ) .

وما يعنينا بالتحديد أن الملك ( وهو بشر ) ارتفع فوق مستوى البشرية بحكم انتمائه إلى السماء فصار ( إلها بشريا ) .. فى حين أن « أوزيريس » ( وهو إله ) نزل إلى مستوى البشرية بحكم انتمائه إلى الأرض فصار ( بشرا إلهيا ) (٣) .

٣ - أن الملك كان يعـانى من تناقض ناتج عن جـمـعـه بين الألوهيـة والبشـرية .. فألوهيته ( السماوية ) تمنحه ميزة الخلود الأبدى بينما بشريته ( الأرضية ) تجعله محكوما عليه بالموت (٤) . وكان لابد لحل هذا التناقض من وجود إله ( أرضى ) يتمتع بالخلود .. وقد وجد الملك ضالته المنشودة فى الإله « أوزيريس » فنزل من عليائه ( السماوى ) واتحد مع « أوزيريس » ( الأرضى ) ليكون خالدا مثله (٥) .

---

(١) وكما تقول متون الأهرام « إنه يمكن له مصر العليا ويمكن له مصر السفلى ، ويخضع له كل الناس أى أهل مصر » ( فجر الضمير ص ٤٧ ) .

(٢) « وذلك بعد أن انتقل إله الشمس من عالم الطبيعة إلى عالم الناس فأصبح فيه ملكا قديما كان قد حكم مصر يوما كما حكمها الفراعنة من بعده ، وقد تغيرت مظاهره الخارجية تبعا لهذا التحول فتحول زورق الغاب المزدوج الذى كان يسبح فيه إله الشمس فيما قبل التاريخ إلى سفينة ملكية فاخرة مثل سفينة فرعون الأرضية ، وكان الاعتقاد أن إله الشمس يعبر بأبهته فى هذه السفينة الشمسية الساطعة المحيط السماوى كما كان فرعون يعبر النيل ، وقد ظهرت أساطير عدة تتحدث عن حكم إله الشمس على الأرض » ( فجر الضمير ص ٤٦ ) .

(٣) وذلك عن طريق العلاقة المتبادلة بينه وبين إبنه « حوريس » بعد أن اختص « أوزيريس » بالعالم السفلى عالم الأموات وخلفه « حوريس » فى دنيا الأحياء حيث جمع بين اللاهوت والناسوت ليكون قابلا للموت من أجل خلاص البشر ، وقد تناولنا ذلك فى كتابنا « صدمة العرى » وبينا العلاقة بينه وبين اجتماع اللاهوت والناسوت لدى السيد المسيح نتيجة تأثر الفكر المسيحى بالتراث العقائدى المصرى ومن قبله الفكر العبرى الذى انعكس على التوراة وهو ما يعنينا هنا .

(٤) ولعل أبلغ تعبير عن إدراك عجز العقيدة عن قهر الموت هو وصف « برستد » لشعور الكاهن وهو يؤدى الطقوس الخاصة عند قبر الملك بأن : « حقيقة الموت الصارخة كان من المستحيل تجاهلها فى تلك الصيغ التى لم توضع إلا للاعتقاد بأن الملك المتوفى لايزال حيا » ( فجر الضمير ص ٧٧ ) .

(٥) ونجد فى متون الأهرام ما يعبر عن ذلك ( فجر الضمير ص ١٢٣ ) :

« إن جسمك هو جسم الملك « وناس »

ولحمك هو لحم الملك « وناس » ...

وعظامك هى عظام الملك « وناس »

وكما أنه ( أى أوزيريس ) يعيش فإن هذا الملك « وناس » يعيش .

وكما أنه لا يموت فإن هذا الملك « وناس » لا يفنى » .

٤ – ولكن ذلك الخلود الذى سعى إليــه الملك هو فى حقيقة الأمر خلود يتخلله الموت إذ أن « أوزيريس » كإله للنبات يستمد استمرارية حياته عن طريق خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى [١] وبالتالى فإن واقع الموت يظل قائما .. وهذا يتعارض مع الخلود السماوى الأبدى الذى يخص المذهب الشمسى .

٥ – ولتفادى ذلك التعارض كان لابد للملك الذى نزل من عليــائه السماوى لكى يتوحد مع « أوزيريس » الأرضى أن يصعد به إلى عالم السماء حتى يحول خلوده المؤقت إلى خلود أبدى .. وقد تم ذلك عن طريق سلم الســماء الذى نصبه إله الشمس لصـعود الملك إليه والذى كان محرما على « أوزيريس » قبل التفاعل بين المذهبين الشمسى والأوزيرى وتوحد الملك مع « أوزيريس » .

٦ – وعلى أساس توحد الملك مع « أوزيريس » يكون الذى صعد إلى السماء إلها واحدا وليس إلهين .. ولكن لأن إله الشمس هو الإله والحاكم الأول الذى كان الملك يستمد منه ألوهيته وحاكميته فإنه رغم التفاعل الذى تم بين المذهبين ظل المذهب الشمسى صاحب المكانة الأولى ومن ثم كان إله الشمس ( أو الملك بحكم توحده معـه ) هو الذى يأخذ « أوزيريس » إلى جواره عندما يصعد به إلى الســماء وليس العكس .. فهل نجد فى ذلك صـــدى لما ورد فى إنجيل مرقس ( ١٦ : ١٩ ) : « ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله » ؟

قبل أن نجيب عن ذلك السؤال نشير أولا إلى تأثر الفكر المسيحى بالتراث العقائدى المصرى القديم [٢] .. فما البال بالفكر العبرى الذى سبق المسيحية وكان أقرب معاصرة لذلك التراث الذى جعله يستخدم التعبير ( الرب الإله ) مقابل ( الرب ) و ( الله ) فى قول القديس مرقس ، ومعنى هذا أن ( الله ) يقابله ( الإله ) الذى أرجعناه إلى إله الشمس أو الملك المتواجد معه .. وهذا يدعونا إلى البحث فى مدلول ( الله ) فى التوراة .

## أصل ( الله ) فى التوراة

نعود إلى قول مرقس : « ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله » حيث نلاحظ – كما قلنا – وجود ( الرب ) و ( الله ) مقابل ( الرب الإله ) .. وقد سبق أن أبدينا ملحوظتين سنعيد ذكرهما ونضيف إليهما ملحوظة ثالثة :

١ – أن التوراة يتردد فيها ( الله ) وكذلك ( الرب ) و ( الرب الإله ) .

٢ – أن الإصحاح الأول الخاص بعملية الخلق يذكر ( الله ) فقط .

٣ – أن ذكر الرب يبدأ من الإصحاح الثانى .

---

(١) وهكذا انطبق على الملك قول القديس بولس : « يا جاهل إن ما تزرعه أنت لا يحيى إلا إذا مات » ( فجر الضمير ص ١٢٠).

(٢) سبق الإشارة إلى أننا تناولنا هذا بتوسع فى كتابنا « صدمة العرى » .

وقبل أن نرى ما الذى نخرج به من هذه الملحوظات الثلاث سنتفق أولا على الفرق بين مفهوم كل من ( الله ) و ( الرب ) و ( الإله ) :

١ - **( الله )** : عندما نذكر ( الله ) يتجه الذهن فورا إلى الواحد الأحد .

٢ - **( الرب )** : كما جاء فى مختار الصحاح : إسم من أسماء الله تعالى ولا يقال فى غيره إلا بالإضافة ، وقد قالوه فى الجاهلية للملك [١] .

٣ - **( الإله )** : كما جاء فى مختار الصحاح : أَلَهَ بالفتح أى عَبَدَ ، وفرعون كان يُعبد ، ومنه قولنا الله وأصله ( إلاه ) لأنه مألوه أى معبود وعندما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة للتخفيف اللاه ( الله ) ، و ( إلاهة ) إسم للشمس وقد سموها إلاهة لتعظيمهم وعبادتهم إياها ، وكذلك فعل عبدة الأصنام فسموها ( آلهة ) .

ونخرج مما سبق بأن ( الله ) و ( الرب ) يعنيان الله الواحد الأحد .. ومع ذلك فإن ( الرب ) يعنى أيضا إلها من البشر .. وكذلك ( الإله ) يعنى إلها من البشر أو من عناصر الطبيعة أو من الصنم .. ونضيف قول د. القمنى بشأن الفرق بين مفهوم العربى الجاهلى [٢] للربوبية والألوهية حيث الربوبية تعنى تقديس الأسلاف والألوهية تعنى إلهـا غير منظور يسكن السماء [٣] .. أى أن ( الرب ) إله بشرى أرضى و ( الإله ) إله غيبى سماوى .

وعلى أساس ما سبق سنعود إلى الملحوظات الثلاث التى ذكرناها بشأن ما جاء فى التوراة من حيث ذكر ( الله ) و ( الرب ) و ( الرب الإله ) لنرى ما الذى نخرج به :

قلنا إن اللفظ ( الله ) يتميز عن لفظى ( الرب ) و ( الإله ) بأنه يعنى تحديدا الواحد الأحد.. وقلنا أيضا إن الإصحاح الأول ينفرد بذكر ( الله ) فقط .. وهو أمر منطقى حيث إن هذا الإصحاح يحكى قصة الخلق بما فى ذلك خلق الإنسان « فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وأنثى » [٤] .

ولكن هناك ملحوظة وهى أن الإصحاح الأول ينتهى بالعدد ( ٣١ ) ثم يليه ثلاث فقرات تخص الإصحاح الثانى وهى تبدأ بإشارة صريحة تدل على ذلك وهى ( ص ٢ ) أى الإصحاح الثانى .. كما وأن الإصحاح الثانى يبدأ بالعدد ( ٤ ) وعنوانه مكتوب هكذا ( الإصحاح الثانى ع٤) وكذلك فإن هذه الفقرات الثلاث تخص اليوم السابع الذى يلى الأيام الستة التى استغرقتها عملية الخلق حيث تقول الفقرة الأخيرة ( ٣١ ) فى الإصحاح الأول : « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا ، وكان مساء وكان صباح يوما سادسا » .

---

(١) وثقافة اليهود القديمة كانت متصلة بثقافة الجاهلية .
(٢) نفس الملحوظة السابقة وهى أن ثقافة اليهود كانت متصلة بثقافة الجاهلية .
(٣) « الحزب الهاشمى » ( ص ٢٣ ) .
(٤) « تكوين » ( ١ : ٢٧ ) .

وقبل أن نخرج بأى استنتاجات من الملحوظة السابقة سنورد نص الفقرات الثلاث الخاصة بها وهى : (١) فأكملت السماوات والأرض وكل جندها (٢) وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل (٣) وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا .

فمن مضمون الفقرات الثلاث لهذا النص نخرج بأن (الله ) انتهى من عملية الخلق فى ستة أيام ثم ( استراح ) فى اليوم السابع .. الأمر الذى يجعلنا نعيد النظر فى مفهوم لفظ ( الله ) بمعنى الواحد الأحد الذى حاشى أن يشعر بالتعب ومن ثم يحتاج إلى الراحة كما يحدث للبشر .. بل إن أصحاب التوراة يعتقدون حسب قول الحاخامات « بأن العذاب فى جهنوم ( بالعبرية وجهنم بالعربية ) يتوقف يوم السبت يوم الراحة الإلهية »[١] .. فهنا إله يتعب من تعذيب البشر مثلما تعب من عملية الخلق ومن ثم يحتاج إلى إجازة أسبوعية « WEEK END » .. وعلى هذا يحق لنا - بل يجب علينا - أن نستبدل بلفظ ( الله ) لفظى ( الرب ) أو ( الإله ) حيث ان الأول كما أوضحنا يعنى بشرا إلهيا والآخر يعنى إلها بشريا .

وتأكيدا لما توصلنا إليه سنذكر ما ورد بهذا الشأن فى بعض الأسفار حيث يأتى ذكر ( الرب ) و ( الرب الإله ) بدلا من ( الله ) فى قصة الخلق .. فمثلا نجد فى سفر الخروج ( ٢٠ : ١١ ) « لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح فى اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » ، كما نجد فى نفس السفر ( ٣١ : ١٧ ) : « لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس» ( ونلاحظ الفعل « تنفس » الذى يعنى أن الرب استراح وتنفس الصعداء بعد عنائه من عملية الخلق .. أو أن الرب يتنفس شهيقا وزفيرا مثله مثل البشر) وكذلك نجد فى سفر التثنية ( ٥ : ١٣ ) : « ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك ، وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك ( أى الرب الإله ) لا تعمل» ( ونلاحظ المقابلة بين عمل ( الإنسان ) ستة أيام وراحته فى اليوم السابع .. وعمل ( الرب الإله ) ستة أيام فى خلق العالم وراحتة فى اليوم السابع ) .

أما وقد توصلنا إلى هذه الاستنتاجات بشأن استخدام لفظ ( الله ) فى التوراة فلابد أن نبحث فيما وراء هذا اللفظ .. وسبيلنا إلى ذلك نجده فى البحث الذى أنجزه د. سيد القمنى فى كتابه « الأسطورة والتراث » حيث يمكن الإطلاع عليه بتوسع إذ لا يتسع المجال هنا إلا لتقديم أقل ما يمكن من تفاصيله من أجل الوصول إلى ما نسعى إليه .. وسوف نذيل ما سنورده من ذلك البحث برقم الصفحة فى الكتاب الذى ذكرناه :

يحدثنا د. القمنى عن ثالوث قمرى يرأسه الإله ( إل ) الذى تردد ذكره فى النصوص السبئية باسم ( نوى سموى ) أى رب السماء أو الذى فى السماء ( ص ١٢٠ ) كما جاء فى

---

(١) « رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام » ( ص ٥٥ ) .

النقوش الثمودية بالصيغة ( إله ن ) [1] وتعنى الله ( ص ١١٩ ) وقد ظل للقمر دوره واحترامه فى الإسلام بعد أن تحول ( إل ) أو الله إلى آية من آيات الله فوضع فوق المآذن مع النجمة رمزا للزهرة [2] وظلت الشهور قمرية والحج قمريا والصيام قمريا بدويا كامل الجوع [3] ( ص ١٢٩ ) وعندما ننتقل من بداوة الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ( العراق وسوريا ولبنان وفلسطين القديمة ) نجد نفس الثالوث فى المجتمعات الزراعية وإن كان ( إل ) قد أصبح ( إيل ) [4] عند شعوب الساحل الفينيقى ( اللبنانى ) .. وقد عرفه الرافديون القدماء باسم ( إيلو ) مع إضافة حرف الواو للتفخيم فهو اسم جمع ونوع من جمع الجلالة .. وأما الآراميون فقد عرفوه بالإسم ( إله ) .. وأما العبريون فقد عرفوه بالإسمين ( إيل )[5] و ( الله ) ( ص ١٣٠ ) .

ونضيف إلى ما أخذناه عن د. القمنى ما أورده د. القس لبيب ميخائيل فى كتاب « هل المسيح هو الله ؟ » ( ص ٥٤ ، ٥٥ ) حيث يقول : « وأول إعلان عن وحدانية الله فى ثالوث عظيم جاء فى غرة سفر التكوين « فى البدء خلق الله السموات والأرض » ، وفى الأصل العبرى جاءت كلمة « خلق » بالمفرد بينما ورد اسم « الله » بالجمع إذ تقول الآية فى الأصل العبرى : « فى البدء خلق إلوهيم السموات والأرض » وكلمة « إلوهيم » هى جمع للإسم « إلوه » أى إله ، وتؤكد الصيغة اللفظية للآية « وحدانية الله فى ثالوث عظيم » ، هذا واضح من كلمة « خلق » التى تؤكد الوحدانية و « إلوهيم » التى تؤكد الثالوث فى هذه الوحدانية » .

وواضح من قول د. القس لبيب ميخائيل محاولة استخدام الثالوث لإثبات وحدانية الله بينما الثالوث فى حد ذاته يثبت العكس .

وبذلك نكون قد انتهينا بما لا يدع مجالا للشك إلى أن لفظ ( الله ) فى التوراة قد خرج

---

(١) كانت ( النون – ن ) أداة التعريف فى العربية الجنوبية وتضاف إلى نهاية الكلمة مثل ( رحمنن ) أى ( الرحمن ) كما كانت ( الهاء – هـ ) أداة التعريف فى العربية الشمالية وتأتى فى أول الكلمة مثل ( هبعل ) أى الإله ( بعل ) ( الأسطورة والتراث ص ١١٨ ) .

(٢) حسب الثالوث المكون من القمر الأب والشمس الأم والزهرة الإبن أو الرب ( إل ) والأم ( إلات ) والإبن ( عشتر ) (الأسطورة والتراث ص ١٢٣ ) .

(٣) بعكس الصيام الزراعى كما فى صيام العذراء المسيحى الذى يمتنع عن الطعام الحيوانى ويقتصر على النبات ( الأسطورة والتراث ص ١٢٩ ) .

(٤) وزوجته ( إلات ) أصبحت ( إيلات ) التى لم يزل اسمها علما على خليج البحر الأحمر الشرقى حتى الآن ( الأسطورة والتراث ص ١٣٠ ) .

(٥) جاء فى إنجيل متى ( ٢٧ : ٤٦ ، ٤٧ ) على لسان السيد المسيح وهو على الصليب : « إيلى إيلى لما شبقتنى أى ألهى إلهى لماذا تركتنى ، فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادى على إيليا » ، كما جاء فى إنجيل مرقس ( ١٥ : ٣٤ ، ٣٥ ) : « وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إلوى إلوى لما شبقتنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى ، فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا هوذا ينادى إيليا » .

عن معنى الواحد الأحد [1] ( وعلى هذا سنكتبه دائما بين قوسين باعتبار أن ( الله ) التوراتى غير الله الواحد الأحد ) .. وإذا كنا قد توصلنا إلى هذا عن طريق تأثر العبريين بالثقافات القمرية ( البدوية) إلا أنهم تأثروا أيضا بالثقافات الشمسية نتيجة لاندماجهم فى المجتمعات ( الزراعية ) بما فيها المجتمع المصرى حيث التفاعل الذى عرضناه بين المذهب الشمسى والمذهب الأوزيرى والذى خرجنا منه بأن هناك إلهين قد صعدا إلى السماء وجلسا على العرش السماوى بجوار إله الشمس.. وأن هذين الإلهين هما الملك و « أوزيريس » .. وأنهما يعتبران إلها واحدا بحكم توحد الأول مع الآخر .

وعلى هذا الأساس ننتقل إلى المسألة التالية .

## ( الرب ) لقب آدم التوراتي و ( الرب الإله ) لقب الملك الفرعون

بعد أن انتهينا إلى أن ( الله ) التوراتى غير الله عز وجل نعود إلى لقب ( الرب الإله ) وقد خرجنا منه بوجود ( رب ) و ( رب إله ) وقد آن الأوان لأن نحدد شخصية كل منهما بالنسبة إلى موضوعنا وهو قصة آدم وحواء كما جاء ت فى التوراة .

وبداية نشير إلى سابق قولنا بأن الإصحاح الأول الذى اختص بذكر ( الله ) فقط قد انتهى بثلاث فقرات تخص الإصحاح الثانى .. وأن هـــذه الفقرات قد وردت بها صفة بشرية نسبت إلى ( الله ) وهى أنه استراح من عناء عملية الخلق .. وأن التعبير ( الرب الإله ) الذى توصلنا إلى أنه يخص آلهة من البشر قد بدأ مع بداية الإصحاح الثانى .. وعلى هذا يمكننا تشبيه وضع الفقرات الثلاث الخاصة بالإصحاح الثانى فى نهاية الإصحاح الأول بأسلوب المزج السينمائى حين يستخدم فى الانتقال من وضع إلى وضع آخر .. وهو هنا الانتقال من ( الله ) إلى ( الرب الإله ) أو من خالق البشر إلى بشر إله أو إله من صنع البشر .. علما بأن المقصود بخالق البشر هنا ليس الله الواحد الأحد وإنما (الله) الذى جاء ذكره فى قصة الخلق بالتوراة التى سبق وقلنا إن العبريين أخذوها عن ملاحم تنتمى إلى ثقافات قديمة [2] أهمها الثقافة المصرية (الشمسية ) ومن ثم سنعتبر أن المقصود بالخالق هو ( إله الشمس) وأن المقصود ببشر إله هو (الملك) وأن المقصود بإله من صنع البشر هو ( أوزيريس) .. وعلى هذا سنتناول الثلاثة كلا على حدة :

### ١ - إله الشمس :

حسب ما انتهينا إليه من تحليلات فإن إله الشمس يقابل ( الله ) فى قصة الخلق بالتوراة.. وقد قلنا سابقا إن وجود الثالوث فى بداية العقيدة العبرية يعبر عن مرورهم بالمرحلة الوسطى بين التعددية والتوحيد وتوجههم نحو الله الواحد الأحد .. ونجد ما يقابل ذلك فى تاريخ

---

(١) بغض النظر عن أن الموحدين كانوا يعرفون الله بهذا المعنى بعكس التعدديين الذين اعتنقوا التوحيد حيث تعددت أسماء الآلهة حسب انتصار كل منهم على الآخرين ، إذ أن هؤلاء وأولئك شاركوا فى كتابة التوراة وهم يحملون تراث ثقافات تعددية مختلفة ، فضلا عن أن الموحدين يجمعون بين اسم الإله القمرى ( إيل ) و ( الله ) .

(٢) راجع الهامش (٦) ( ص ٤٢ ) .

إله الشمس حيث كانت مصر فى عهد ما قبل التاريخ مكونة من إمارات متفرقة لكل منها إله يخصها ثم تم توحيدها وضم آلهتها تحت لواء إله واحد [١] هو إله الشمس « رع » [٢] وبذلك بدأت رحلة العقيدة المصرية القديمة نحو التوحيد حيث كان الناس يخاطبون « رع » بقولهم : «إنك أنت الذى تشرف على كل الآلهة ولا يشرف عليك إله ما» [٣] وهو ما يعبر عن الإيمان الفطرى بالتوحيد [٤] الذى يقابله استخدام العبريين لفظ ( الله ) فى قصة الخلق بالتوراة حيث نسبوا عملية الخلق إلى إله واحد رغم اعتقادهم فى الثالوث .. ثم نجد ما يماثل ذلك عندما انتقلت السلطة الإلهية من « رع » إلى « بتاح » [٥] الذى يرأس ثالوثا مكونا منه ومن زوجته « زخمة » وإبنهما «نفرتوم » وفى نفس الوقت هو الإله الأوحد حيث ينفرد بخلق العالم والبشر وأيضا الآلهة .. كما وأننا نجد فيما يخص « بتاح » ما يقابل الكثير من تفاصيل قصة الخلق وما بعدها فى التوراة وكذلك فى الأناجيل.. ومثال ذلك :

أ - أن « بتاح » رفع الأرض بعد أن أخرجها من « النون » وهو « الماء الأزلى » الذى انطوى على أصل الكون وطفا منه « التل الأزلى » أى الأرض .. ويقابل ذلك فى التوراة : « وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة » [٦] .

ب - أن « بتاح » خرج منه كل شىء من طعام وغذاء .. ويقابل ذلك فى التوراة : « وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يُبزر بزرا وشجرا ذا ثمر » [٧] .

جـ - أن « بتاح » اطمأن بعد أن خلق كل شىء .. ويقابل ذلك فى التوراة : « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا » [٨] أى أن (الله) اطمأن - مثل «بتاح» - إلى ما عمله .. والاطمئنان تتبعه الراحة وهو ما نجده فى التوراة : « فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل » [٩] .

د - أن « بتاح » خلق « آتوم » إله الشمس القديم فى هليوبوليس .. و « بتاح » باحتلاله مكان « رع » يعتبر البديل لإله الشمس .. فكأن « بتاح » عندما خلق إله الشمس « أتوم » قد خلق إلها على صورته .. وكذلك عندما رفع الأرض من « النون » دحاها ليسكنها « أتوم » وينسل فيها ذريته .. و « أتوم » هنا يقابل آدم فكأن « بتاح » خلق آدم على صورته .. ويقابل ذلك فى التوراة: « فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه » [١٠] .

---

(١) حدث ذلك قبل عام ٤٠٠٠ ق. م. فيما يعرف بالاتحاد الأول على يد أمير من مدينة « أيون » التى أطلق عليها الإغريق إسم « هليوبوليس » .

(٢) أى الشمس المجسمة التى تصورها أقدم سكان وادى النيل من قبل فى شكل إنسان جعلوا مقره « هليوبوليس » ( عين شمس ) حيث حل محل إله شمسى قديم يدعى « أتوم » وأصبح أعظم إله فى مصر ( فجر الضمير ص ٤٤ ) .

(٣) « فجر الضمير » ( ص ٤٥ ، ٤٦ ) .

(٤) « كثير من الشعوب لم تمجد إلهها الأكبر أكثر إلا عندما كان يسيطر على مجموعة من الآلهة الأقل شأنا » ( موسى والتوحيد ص ٢٤٨ ) .

(٥) حيث يبدأ الاتحاد الثانى ( ٣٤٠٠ ق. م. ) على يد الملك « مينا » مؤسس الأسرة الأولى .

(٦) « تكوين » ( ١ : ٩ ) .

(٧) « تكوين » ( ١ : ١١ ) .

(٨) « تكوين » ( ١ : ٣١ ) .

(٩) « تكوين » ( ١ : ٢٧ ) .

(١٠) « تكوين » ( ١ : ٢٧ ) .

هـ - أن « بتاح » نطق بأسماء كل الأشياء .. ويقابل ذلك فى التوراة : « فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية »[1] ، ونلاحظ هنا أن آدم ( وهو بشر ) قام بالمهمة التى تخص ( الإله ) أى أن « بتاح » بدلا من أن يُعْلِم آدم بالأسماء عَلِمها آدم بنفسه[2] .. ولكن عندما نعود إلى مقابلة آدم بالإله « أتوم » الذى خلقه « بتاح » على صورته فإن ذلك يفسر علم آدم الذاتى بالأسماء بحكم مقابلته بالإله .

و - أن « بتاح » كان القلب واللسان .. والقلب كان يعنى العقل أما اللسان فهو الأداة التى تعبر عن أوامر العقل لكى تتحقق كواقع ملموس أو لكى تتحول من كلمة إلى فعل ( كن فيكون ) « فهل بعد هذا يمكننا أن نتعرف على الأساس التاريخى السحيق لعقيدة « الكلمة » فى أيام كتاب العهد الجديد ( الانجيل ) « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ؟ »[3] .

والآن وقد أوضحنا بما فيه الكفاية العلاقة بين إله الشمس و ( الله ) التوراتى فإنه يمكننا القول بأن إله الشمس = ( الله ) التوراتى .. وما يعنينا بعد ذلك بالنسبة إلى موضوعنا هو أن إله الشمس إله سماوى .. وأنه خالق الكون والبشر .. وأنه خالد خلودا أبديا .

## ٢ - الملك :

قلنا إنه بشر إله أى أن بشريته تسبق ألوهيته ومن ثم ينطبق عليه لقب ( رب ) وقلنا أيضا إن رغبته فى الخلود الأبدى جعلته يتحد مع إله الشمس ليصبح خالدا مثله .. وعلى هذا نضيف إلى لقبه ( رب ) لقب ( إله ) فيصبح ( الرب الإله ) .. وطبقا لاتحاده مع إله الشمس الذى يقابل (الله) التوراتى فهو يستحق أن يكون خالدا مثلهما ولكن يمنع ذلك بشريته التى تفرض عليه الموت وتحرمه من الخلود الأبدى الذى يتمتع به إله الشمس .

## ٣ - « أوزيريس » :

قلنا إنه كإله للنبات فهو ينتمى إلى عالم الأرض البشرى ومن ثم فهو يستحق لقب ( رب ) البشرى بعد لقبه ( إله ) الأصلى وعلى هذا يصبح لقبه ( الإله الرب ) .. ولكن لأن خلوده كإله للنبات يتخلله الموت بعكس خلود إله الشمس الأبدى فإن لقب ( رب ) يسبق لقب ( إله ) ليصبح لقبه ( الرب الإله ) مثله مثل الملك .

والآن بعد أن حددنا أبعاد كل من ( إله الشمس ) و ( الملك ) و ( أوزيريس ) من حيث لقبى ( الله ) و ( الرب الإله ) فسوف نطبق ذلك على العلاقة بين آدم والشجرة المحرمة .. وقد قصدنا ألا نقول شجرة معرفة الخير والشر لأن القضية التى تعنينا الآن هى رغبة الإنسان فى الخلود ومن ثم فإن ما يعنينا فى قول الحية بأن من يأكل من الشجرة سيكون كالله عارفا الخير والشر - ما يعنينا هو ( سيكون كالله ) بمعنى سيكون خالدا مثله .

---

(١) « تكوين » ( ٢ : ٢٠ ) .

(٢) خلافا لقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » .

(٣) يوحنا ( ١ : ١ ) وقد أوضحنا فى كتابنا « صدمة العرى » أن يوحنا كان أكثر تأثرا من بقية كتاب الأناجيل بالعقيدة المصرية القديمة وذلك فى فصل « صدمة العرى وموت السيد المسيح » .

ورغبة آدم فى الخلود تقابلها رغبة الملك فى الخلود .. وآدم والملك كلاهما بشر وعلى هذا فإن آدم يستحق نفس لقب الملك وهو ( رب ) .. ولكننا انتهينا إلى أن الملك يستحق لقب ( الرب الإله ) بحكم اتحاده مع إله الشمس فى حين أن آدم انفصل عن ( الله ) التوراتى – المقابل لإله الشمس – بسبب عصيان أمره .. وعلى هذا فإن آدم لا يستحق إلا لقب ( رب ) فقط [١] .

وهنا نذكر أنفسنا بأن موضوعناالأصلى هو تعبير ( الرب الإله ) فى التوراة الذى قلنا بشأنه إن هناك ( رب ) ورب أعلى شأنا هو ( الرب الإله ) ومن ثم فله الحق فى الكلام بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن الآخر .. وعلى هذا يمكننا القول بأن آدم لقبه ( الرب ) وبأن الملك الأعلى شأنا لقبه ( الرب الإله ) .

ولكن من حق معترض أن يذكرنا بقول ( الرب الإله ) : « هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر » [٢] وعلى هذا يخطئنا فى نسبة معرفة الخير والشر إلى الملك فى حين أن هذه المعرفة خارج قدرة البشر « عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » ، ولكننا سنرد هذا الاعتراض بأمرين أحدهما يخص إله الشمس والآخر يخص الملك :

فمن حيث إله الشمس فإن مفهوم ( الله ) اختلط كما رأينا بمفهوم إله الشمس .. كما وأن معرفة الخير والشر تتعلق بالأخلاق ومن ثم تخص إله الشمس « رع » أول إله خلقى عرفه التاريخ بعد أن تحول من إله للطبيعة إلى قاض يحكم فى شئون البشر على أساس الخير والشر .. وجدير بالذكر أن ذلك قد حدث فى « منتصف القرن الرابع ق. م. » [٣] وهو تاريخ يقارب تاريخ آدم فى التوراة العبرية وهو ٤٠٠٤ ق. م. [٤] .

وأما من حيث الملك فإن الأخلاق – ومعرفة الخير والشر – بحكم ارتباطها بالإله « رع » قد بدأت عند الملك بحكم اتحاده معه ثم انتقلت عن طريق البلاط إلى عامة الناس .. وعلى هذا يكون منطقيا قول الملك ( الرب الإله ) : « هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر » أى عارفا الأخلاق .

ونستمر مع رغبة الملك فى الخلود الأبدى حيث قلنا إن الملك كان يعانى من تناقض ناتج عن جمعه بين الألوهية والبشرية .. فألوهيته ( السماوية ) تمنحه ميزة الخلود الأبدى بينما بشريته ( الأرضية ) تجعله محكوما عليه بالموت .. وقد رأينا أن الملك قد عالج هذا التناقض بأن اتحد مع « أوزيريس » وصعد به إلى السماء لكى يحول خلوده ( الأرضى ) المؤقت إلى خلود (سماوى ) أبدى .. وقد تم ذلك عن طريق تفاعل المذهب الشمسى مع المذهب الأوزيرى .. ولكن لأن المذهب الشمسى ( السماوى ) له الغلبة على المذهب الأوزيرى ( الأرضى) فإن إله الشمس كان

---

(١) سبق القول بأن الربوبية تعنى تقديس الأسلاف ، وآدم هو السلف الأول للبشر .

(٢) « تكوين » ( ٣ : ٢٢ ) .

(٣) « فجر الضمير » ( ص ٥٢ ) .

(٤) تناولنا هذه المسألة بالمقارنة بتاريخ التوراة السبعينية وتاريخ آدم جيولوجيا ، وذلك فى مقدمة كتابنا « صدمة العرى » .

يأخذ الملك دون « أوزيريس » إلى جواره .. وبعبارة أخرى فإن إله الشمس كان يفصل الوحدة بين الإثنين طبقا لمبدأ الفصل بين السماء والأرض .. أو بين شجرة الحياة التى تخص الخلود الأبدى وشجرة المعرفة التى تخص الخلود المؤقت .. وقد نتج عن الفصل بين الملك و « أوزيريس » أن ظلت وحدة الملك مع إله الشمس بينما انفصلت مع « أوزيريس » الذى عاد إلى الأرض ليكون إلها للموت [1] ... وهكذا انتهى الأمر ببقاء الملك وحده فى اتحاده مع إله الشمس ومن ثم عاد إليه التناقض الذى حاول أن يتخلص منه عندما اتحد مع « أوزيريس » ( إله الموت ) لكى يتخلص من الموت .. فأصبح بذلك كمن أراد أن يداوى الداء بنفس الداء .

وبالعودة إلى تعامل آدم مع الشجرة المحرمة طمعا فى الخلود .. وإلى ما انتهى إليه هذا التعامل وهو الموت .. وإلى « أوزيريس » كإله للنبات – وبالتالى للشجرة – يرمز إلى الموت .. وإلى تعامل الملك معه الذى انتهى بالموت – بالعودة إلى كل ما سبق يمكننا أن نعتبر قصة آدم والشجرة رمزا لما حدث للملك ومن ثم يكون آدم رمزا للملك .

وكنا قد انتهينا بشأن بحثنا فى لقب (الرب الإله) بالتوراة إلى أن آدم لقبه (الرب) وأن الملك لقبه (الرب الإله) .. والآن بعد أن وصلنا إلى أن آدم يرمز للملك يكون من حقه نفس اللقب وهو (الرب الإله) .. وهنا نعود إلى سابق تفسيرنا لعبارة (الرب الإله) بوجود (رب) فقط ورب أعلى شأنا هو ( الرب الإله) ومن ثم فله حق الكلام بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن الآخر.. وعلى ذلك نتساء ل أين هو صاحب لقب (الرب) بعد أن انتهينا إلى أن آدم والملك يستحقان لقب (الرب الإله ) ؟

والإجابة عن ذلك السؤال نجدها فيما عرضناه بشأن التفاعل بين المذهب الشمسى والمذهب الأوزيرى حيث نتذكر الآتى :

١ – أن الملك يستمد حاكميته من إله الشمس أول من حكم مصر قديما ومن ثم فإن الملك ينتمى إلى المذهب الشمسى ( السماوى ) .

٢ – أن آدم كرمز للبشر بصفة عامة ينتمى إلى عامة الناس ومن ثم فهو ينتمى إلى المذهب الأوزيرى ( الأرضى ) .

٣ – أن المذهب الشمسى رغم تفاعله مع المذهب الأوزيرى ظلت له المكانة الأولى بحكم علو مكانة عالم السماء على عالم الأرض .. وأيضا بحكم كونه مصدر السلطة التى تحكم أهل الأرض.

ونخرج مما سبق بحتمية تميز الملك بلقب ( الرب الإله ) بينما يبقى لآدم لقب ( الرب ) .. وهو وضع تفرضه طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم حتى لو ألغينا العوامل العقائدية التى ذكرناها .. وهذا يضيف بعدا سياسيا إلى رمزية قصة آدم فى التوراة بالنسبة إلى « الشعب المختار » وهو ما سنتناوله فى القسم الثانى من هذه الرسالة .

---

(١) ولعل هذا يفسر تعبير ( العالم السفلى للموتى ) الذى اختص به « أوزيريس » بمعنى أن المقصود بالعالم السفلى هو الأرض ويقابله العالم العلوى وهو السماء ، وذلك بغض النظر عن ارتباط ( العالم السفلى ) بدفن الموتى تحت سطح الأرض .

# القســم الثانى

# الشعب المختــــار

# الفصل الرابع :

# ربوبية « الشعب المختـــــار »

## ■ مدخل إلى تحليل « الشعب المختار » :

- رغبة البشر فى التغلب على الموت تقابلها رغبة الشعب المختار فى الخلاص من الأسر بالخروج من مصر
- تعامل آدم مع شجرة المعرفة ليكون ( كالله ) تقابله رغبة الشعب المختار فى التغلب على الموت عن طريق الربوبية ومن ثم الألوهية
- توظيف الشعب المختار الدين لحساب السياسة من أجل تحقيق أهدافه

## ■ ( الرب ) لقب « الشعب المختار » :

- تأليه ( الرب ) حتى يكون الشعب المختار ندا للملك
- ثورة الشعب المختار على الملك تقابل ثورة المذهب الأوزيرى على المذهب الشمسى
- الجمع بين اللاهوت والناسوت لدى الشعب المختار
- النظام الكامن وراء استخدام ألقاب ( الله ) و ( الرب ) و ( الرب الإله ) فى التوراة

## ■ حيثيات ربوبية « الشعب المختار » :

- شهادة فرويد بشأن تقديس الشعب المختار
- الشعب المختار إبن ( الله )
- استغفال آدم لـ ( الرب الإله ) يقابله استغفال العبريين للفرعون
- لقب ( الرب ) دخيل على « يهوه »
- « يهوه » بين كونه إلها قمريا و بركانيا
- الثالوث اليهودى يمثل وضع العبريين المهزومين فى مصر
- الرد على تفسير مسألة تحريم النطق باسم « يهوه »
- تحليل قول « أرميا » : « ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه . مبارك الرجل الذى يتكل على الرب »
- تفسير معنى « إسرائيل » بأنه الشعب المختار الذى صارع الفرعون وصرعه
- إغراق « يهوه » لجيش الفرعون معجزة بشرية وليست إلهية

- البُعد السياسى للوعد الإلهى بمنح الشعب المختار أرض كنعان
- العلاقة بين احتواء « رع » لآلهة إمارات الاتحاد الأول وبين احتواء « يهوه » لآلهة الشعب المختار
- عبقرية الشعب المختار السياسية فى استخدام « يهوه » إله الكنعانيين من أجل استيطان أرض كنعان
- ما وراء قصة مصارعة يعقوب للإله « إيل » وتفسير جمع العبريين بين «إيل» و (الله)
- الشعب المختار منح نفسه لقب ( الرب ) ليعزز المعاهدة الإلهية بمنحه أرض كنعان
- الشعب المختار هو الذى منح نفسه أرض كنعان وليس ( الله )
- الخلط بين لقبى (الرب ) و (الله) لتحويل المعاهدة بشأن أرض كنعان من بشرية إلى إلهية
- الأدلة على بشرية المعاهدة بمنح أرض كنعان للشعب المختار

## ■ فرويد يشهد على ربوبية « الشعب المختار »

- هتلر وفكرة الشعب المختار
- اضطهاد النازية لفرويد منعه من الاعتراف صراحة بربوبية الشعب المختار .

## مدخل إلى تحليل « الشعب المختار »[1]

رأينا فيما سبق أن القضية الأولى والأخيرة للبشرية هى التغلب على الموت .. وعلى هذا سنتناول « الشعب المختار » على أساس مفهوم رمزى وهو أن مرحلة الأسر التى عاشها العبريون فى مصر تقابل الموت وأن التحرر من الأسر بالخروج من مصر يقابل الرغبة فى التغلب على الموت.. وأيضا على أساس العلاقة الرمزية بين قصة آدم فى التوراة و « الشعب المختار » فسوف نعتبر أن تعامل آدم مع شجرة المعرفة ليكون ( كالله ) تقابله رغبة « الشعب المختار » فى التغلب على الموت عن طريق الربوبية ومن ثم الألوهية.

ونعود إلى ما ختمنا به الفصل السابق حيث انتهينا إلى حتمية تميز الملك بلقب ( الرب الإله ) وبقاء لقب ( الرب ) فقط لآدم .. وقد قلنا إن هذا الوضع تفرضه طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وخرجنا من ذلك ببعد سياسى لرمزية قصة آدم بالنسبة إلى « الشعب المختار » .. وبإضافة البعد الحيوى الخاص بالرغبة فى التغلب على الموت .. ويتعلق هذه الرغبة بالبعد الروحى أى الدينى فإنه تكتمل رؤيتنا لرمزية قصة آدم بالنسبة إلى « الشعب المختار » من حيث استخدامه عنصرى الدين والسياسة وتوظيف الأول لحساب الآخر من أجل تحقيق أهدافه على مدى تاريخه .. وهو ما سيتضح لنا باستمرار أثناء هذه الرسالة .

## ( الرب ) لقب « الشعب المختار »

على أساس ما سبق أن قدمناه بشأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم . وأيضا بشأن البعد الدينى والسياسى معا .. فإن ( الرب الإله ) الذى يأمر وينهى فى التوراة هو الملك .. وهو يفعل ذلك مستندا إلى السلطة التى اكتسبها من إله الشمس باتحاده معه .. وأما آدم صاحب لقب (الرب ) فقط فهو يمثل الشعب المحكوم الذى يتمرد على أوامر ونواهى الحاكم .. وبما أننا بصدد التوراة التى كتبت فى تاريخ لاحق فإن المقصود بالشعب هو « الشعب المختار » أو العبريون أثناء وجودهم فى مصر [2] .. والمقصود بالملك الذى تمردوا عليه هو الفرعون الذى كان يضطهدهم .. وكما نعرف فإن « الشعب المختار » اختار موسى ليخلصه من هذا الاضطهاد بإخراجه من مصر.. ونلاحظ فى سفر الخروج استخدام لقب ( الرب) فى تفويض موسى فى هذا الشأن .. فإذا

---

(١) من المعروف أن هناك فرقا بين تسميات. العبريين والإسرائيليين واليهود حيث تعبر كل تسمية عن مرحلة معينة من التاريخ اليهودى القديم ، فالعبريون هم القبائل الرحل التى جابت أطراف الشرق الأوسط حتي استقرت عند تأسيس مملكة إسرائيل فى الشمال ومملكة يهودا فى الجنوب ، ولكنى سأتغاضى عن ذلك وسأستخدم غالبا تسمية « الشعب المختار » باعتبار أنه موضوع البحث كما سيتضح باستمرار لاسيما وأن كلمة « الشعب » تنم عن طموح القبائل العبرية المبكر إلى أن تصبح شعبا له وطن بدليل أن إله العبريين طلب من موسى أن يقول للفرعون . « أطلق شعبى ليعبدونى » ، كما وأن التوراة وضعت فى عهد متأخر بالنسبة للأحداث التى ترويها ومن ثم تضفى على الماضى أفكار وطموحات المستقبل الذى وضعت فيه بل والمستقبل الذى يليه .

(٢) راجع الهامش السابق .

قرأنا أمثله من هذه التفويضات وافترضنا أن لقب (الرب) يعنى الشعب فسنجد المعنى يستقيم مع وجهة نظرنا : « وكان يوم كلم الرب ( الشعب ) موسى فى أرض مصر ، إن الرب ( الشعب ) كلمه قائلا أنا الرب ( الشعب ) ، كلم فرعون ملك مصر بكل ما أنا أكلمك به »[(١)] . « ثم قال الرب (الشعب ) لموسى أدخل إلى فرعون وقل له هكذا يقول الرب ( الشعب ) إله العبرانيين أطلق شعبى ليعبدونى »[(٢)] .

وهنا يستوقفنا أن ( الرب ) يعنى الإله .. الأمر الذى يتعارض مع اعتبار لقب ( الرب ) كناية عن البشر .. وتعليلنا لذلك أن « الشعب المختار » فى تمرده كان يواجه ملكا إلها والإله لا يواجه ببشر وإنما يواجه بإله مثله .. ونقدم مثالا لذلك وهو أن الشعب المصرى عندما ثار على الملك الإله الذى يمثل المذهب الشمسى استعان فى مواجهته بإله هو « أوزيريس » الذى يمثل المذهب الأوزيرى .. وإذا كانت هذه الثورة تبدو فى ظاهرها دينية فالواقع أن فى باطنها ثورة سياسية من الطبقة المحكومة الفقيرة ضد الطبقة الحاكمة الغنية[(٣)] . ونجد ما يقابل ذلك بالنسبة لثورة « الشعب المختار » على الملك فى القول السابق « أطلق شعبى ليعبدونى » فهو قول ينم عن دافع دينى هدفه الحقيقى سياسى وهو الرغبة فى التحرر من اضطهاد الملك .. هذا بالإضافة إلى أن ثورة « الشعب المختار » تحولت إلى حرب انتهت بغرق جيش الفرعون فى البحر عن طريق معجزة تحتاج إلى إله .. وهو بالقطع ليس ( الرب الإله ) لقب الملك العدو .. ومن ثم لا يبقى إلا ( الرب ) كإله يقوم بالمعجزة وأيضا كبشر محارب يصفه « الشعب المختار » أو تصفه التوراة بـ « الرب رجل الحرب »[(٤)] حيث نلاحظ الجمع بين اللاهوت فى( الرب ) والناسوت فى (رجل ) مما يتفق وعقيدة الثالوث التى اعتنقها العبريون قديما وأيضا يتفق ورغبة الرجل المحارب – وبالتالى « الشعب المختار » – فى اكتساب قوة الإله عن طريق الجمع بين الناسوت واللاهوت كما يفعل الإبن فى الثالوث .

وقبل الاسترسال فى تقديم الأدلة بشأن استخدام لقب ( الرب ) كناية عن « الشعب المختار » نشير إلى أن الألقاب ( الله ) و ( الرب ) و ( الرب الإله ) ترد فى التوراة بمظهر يوحى تارة بالعشوائية وتارة أخرى بنظام مقصود يجعل كلا منها يختص بمرحلة معينة من التاريخ

---

(١) « خروج » ( ٧ ٢٨ ) .

(٢) « خروج » ( ٩ : ١ ) .

(٣) ويعبر عن ذلك ما ورد فى أسطورة « أوزيريس » :

« عندما سقط الطفل الإلهى « حور » صريع السم
هرعت الإلهة الأم تبحث عن ملجأ ومأوى ومداو
أوصدت المرأة الغنية أبوابها
وسهر الفقراء على الطفل حتى عوفى
بينما تزحف العقارب على بيت السيدة الغنية البخيلة لتلدغ ابنها حتى الموت » ( أوزيريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة ص ١٤٤ ، ١٤٥ ) .

(٤) « خروج » ( ١٥ · ٣ ) كما جاء فى ( هوشع ١٢ . ٥ ) « والرب إله الجنود يهوه إسمه » .

المسرود وهو كما نعلم متأثر بثقافات قديمة منهاما كان معاصرا لأحداث التوراة ومنها ما كان سابقا عليها ومنها ما كان معاصرا لبعضه البعض أو متباعدا عن بعضه البعض .. الأمر الذى يرجح مظهرية العشوائية وبالتالى يرجح نظامية استخدام الألقاب التى ذكرناها .. وهى نظامية تعتمد - حسب رؤيتنا - على الجمع بين الدين والسياسة أى بين أمور الدين وأمور الدنيا وما يتبع ذلك من نسبة الإله إلى اللاهوت أحيانا وإلى الناسوت أحيانا أخرى أو جمعه بين الإثنين .

وفى كتاب « التوراة بين الوثنية والتوحيد » يرجع مؤلفه سهيل إدريس مسألة تضارب وفوضى استخدام أسماء الآلهة إلى مشكلة ترجمة التوراة إلى مختلف اللغات وقد انتهى بشأن هذه الفوضى إلى قوله ( ص ٣٣ ) : « وحلها إن كنت شاطرا » .

وفى رأيى كما سبق وقلت أن وراء تلك الفوضى نظام يحتاج لكشفه إلى إجراء دراسة مقارنة بشأن استخدام مختلف أسماء الآلهة فى التـوراة .. وإلى أن أتولى هذا أو يتولاه غيرى فسوف أفعل الآن ما يتطلبه هذا البحث حيث أضيف الحيثيات الخاصة باستخدام لقب ( الرب ) كناية عن « الشعب المختار » مع المقارنة بين لقب ( الرب ) وبقية الألقاب التي تخص آلهة التوراة.

## حيثيات ربوبية « الشعب المختار »

من المهم أولا الإشارة إلى ملحوظة أوردها « فرويد » فى كتابه « موسى والتوحيد » ( ص ١٠٠ ) الذى سأتعرض له فيما بعد .. والملحوظة تقول : « من المؤكد تاريخيا أن النموذج اليهودى تحدد نهائيا كنتيجة إصلاحات عزرا ونحميا فى القرن الخامس الميلادى ، وطبقا لحسابنا فإن ٩٠٠ سنة تقريبا مرت منذ ظهور موسى ، وعن طريق هذه الإصلاحات أخذ الشعب التنظيمات التى تهدف إلى تقديس الشعب المختار مأخذ الجد وطبق الانفصال عن القبائل الأخرى بالقوة بمنع الزواج المختلط » .

ونخرج من هذه الملحوظة بنقطتين :

النقطة الأولى أن « فرويد » - وهو يهودى - يعترف بفكرة تقديس « الشعب المختار » التى تتفق ورؤيتى بأن « الشعب المختار » قد منح نفسه رتبة الربوبية مما جعله - كما يشهد « فرويد » - يحرم الزواج من غيره باعتبار أنه شعب مميز على بقية الشعوب .

والنقطة الثانية أن التوراة كتبت فى زمن لاحق بنحو ألف عام للأحداث التى وردت فيها ومن ثم - وكما تشهد النقطة الأولى - فإن أحداث الماضى عولجت بحيث تتوافق مع فكر وفلسفة المستقبل الذى سجلت فيه حيث تبلورت واستقرت فكرة تقديس « الشعب المختار » التى نشأت كما قلنا نتيجة أسره فى مصر ولجوئه إلى فكرة الربوبية ومن ثم الألوهية حتى يكون ندا للملك الإله فى مواجهته له .

وعلى ضوء ما سبق أرجو استقبال الحيثيات الآتية التى سأضيفها بشأن استخدام لقب ( الرب ) كناية عن « الشعب المختار » وهو ما يعنى ربوبية الشعب المختار :

١ - أن الديانة العبرية فى بدايتها كانت تعتقد فى الثالوث .. وأن فكرة الجمع بين اللاهوت والناسوت تتعلق بالثالوث من حيث ( الإبن ) الذى بصفته الناسوتية ( الأرضية ) يستحق لقب ( الرب ) وبصفته اللاهوتية ( السماوية ) يستحق لقب ( إله ) أو ( الله ) وهو فى كلا الحالين يعتبر إبن ( الله ) .. وقد « ورد فى كلام موسى عليه السلام أن بنى إسرائيل جميعا أبناء الله حين قال لفرعون : « دع إبنى يخرج » ووردت بهذا المعنى فى كتب أخرى كسفر التثنية حيث جاء فيه : « أنتم أبناء الله » ( تثنية ١٤ ) ، وأشيرَ إلى الشعب كله بأنهم أبناؤه وبناته ( تثنية ٣٢ ) ، ووردت كذلك غير مرة فى المزامير حيث قيل : « قدموا للرب يا أبناء الله » ( ٢٩ ) و « من يشبه الرب بين أبناء الله » ( ٨٩ ) وكذلك وردت فى هوشع وجاء فيه من خطاب الشعب : « أنتم أبناء الله الحى » [١] .

فشعب إسرائيل بشهادة هذه النصوص هو إبن ( الله ) وكما قلنا فإن ( الإبن ) فى الثالوث يستحق بصفته الناسوتية ( الأرضية ) لقب ( الرب ) .

٢ - أننا انتهينا إلى بُعد سياسى لرمزية قصة آدم فى التوراة وعلى هذا قلنا إن ( الرب الإله ) الذى يأمر وينهى فى التوراة هو الفرعون الذى اضطهد العبريين وأن آدم صاحب لقب ( الرب ) يرمز للشعب المختار .. وبديهى أن الشعب المضطهد عندما يسرد تاريخه [٢] لابد أن ينتقم من الحاكم الذى اضطهده من خلال الصورة التى يرسمها له .. وهو ما يعبر عنه د. سيد القمنى تعليقا على قول ( الرب الإله ) بعد أن أكل آدم من الشجرة المحرمة : « والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويحيا إلى الأبد » ففى هذا يشير د. القمنى إلى « خشية الرب الإله من استغلال آدم لغفلته واحتمال أكله من شجرة الخلود فيخلد كالآلهة » [٣] أى يخلد مثل الملك الفرعون [٤] .

فبخصوص استغلال آدم لغفلة ( الرب الإله ) نجد المقابل فى استغفال العبريين للفرعون حين استعاروا من المصريين حليهم وثيابهم وخرجوا بها من مصر .. وفى هذا يقول الرب : «فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها

---

(١) « المسيح » ( ص ١٧٨ ) .

(٢) « التوراة نصوص تعكس تاريخ بنى إسرائيل أكثر مما تعكس النبوة ، وهى كتاب تاريخ أكثر منها كتاب وحى ، وبالتالى كل نص فى الحقيقة هو وثيقة تاريخية ، والتوراة تظن أن موسى كتبها بينما موسى عاش فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ولم تدون التوراة إلا أيام الأسر البابلى فى القرن السابع قبل الميلاد ودونها عزرا أي بعد ٧٠٠ - ٨٠٠ سنة من التراث الشفوى وبالتالى دخل فيها كل تاريخ إسرائيل » ( الأسطورة والتراث ص ٢٨٢ والقول للدكتور حسن حنفى فى محاضرة حول أعمال مؤلف الكتاب ) .

(٣) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٣٢ ) .

(٤) فقد خص الملوك وحدهم بحكم اتحادهم مع إله الشمس بالآخرة السماوية حيث الحياة الأبدية .

أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين »[١] .. وإذا كان الرب هو الذى أوعز إليهم بهذا فباعتبار أن ( الرب ) كناية عن الشعب المختار يكون العبريون هم الذين أوعزوا بهذا لأنفسهم وبالتالى يمكن تحويل النص : فنكون حينما نمضى أننا لا نمضى فارغين ... الخ .

٣ - أن بنى إسرائيل فى عهد موسى انتقلوا من عبادة « إيل » إلى عبادة « يهوه »[٢] وتنغيمات اسمه ( ياو . ياه . ياهو .إهيه )[٣] لاتتضمن لفظ ( الرب ) ومع ذلك فهو يدعى به فى سفر الخروج بجانب دعوته بلفظ ( الله ) ومعنى هذا أن التوراة جعلت « يهوه » = ( الله )[٤] .. وسبق القول بأن العبريين كانوا يطلقون لقب ( الله ) على إلههم القديم « إيل » كما سبق وتوصلنا إلى أن لقب ( الله ) = لقب ( الرب الإله ) الذى أصبح لقب الملك .. والملك فى سفر الخروج هو عدو بنى إسرائيل وهذا لا يتفق مع إطلاق لقبه على « يهوه »[٥] الذى نصرهم عليه .. ونخرج من ذلك بأن لقب ( الرب ) دخيل على « يهوه » الأمر الذى يساند وجهة نظرنا بشأن الكناية عن الشعب

---

(١) « خروج » ( ٣ : ٢١ ، ٢٢ ) .

(٢) عرفه موسى خلال مرحلة مبكرة من أحداث الخروج أثناء تخلفه فى الصحراء جنوبى فلسطين عند قبيلة بدوية تعرف بأهل « مَدْيَن » وذلك عن طريق « شعيب » أحد خدامهم المقدسين ( فجر الضمير ص ٣٧٦ ) .

(٣) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٣٦ ) وقد وردت (إهيه) فى التوراة هكذا · (أهْيَه) (خروج ٣ : ١٤) .

(٤) باعتبار أن « ايل » = ( الله ) عند العبريين فكذلك « يهوه » . ولعل إلى هذا يرجع استخدام بعض تنغيمات الإسم « يهوه » بمعنى الله أو اللاه قبل حذف الألف وذلك فى تعبيرات مثل · ( « ياه » بمعنى « اللاه » تعبيرا عن الإعجاب ) ومثل ( « ياه » بمعنى « الله » – التى تنطق مخطوفة – تعبيرا عن الدهشة ) ومثل ( « اهيه » بمعنى « الله » – التى تنطق مخطوفة – تعبيرا عن الاستنكار ) ومثل ( « ياهو » – بمد الواو – بمعنى « يا ألله » تعبيرا عن الاستنجاد ) ومثل ( « ياهو » – بمد الواو – التى تذكرنا بصيحة الزهو كما لدى رعاة البقر بأمريكا ) ومثل ( ياناس « ياهو » بمعنى « يا شعب الله » تعبيرا عن الاستنفار ) وهى فى الأصل « يا شعب ياهو » أى « يا شعب يهوه » .

(٥) « يهوه » إله قمرى وإليه ترجع معجزة « عبور اليهود البحر من مصر عبر خليج السويس وقت الجزر ، والقمر هو الذى يسبب المد والجزر » ( الأسطورة والتراث ص ١٣٨ ) كما نجد هذا المعني في سفر الخروج ( ١٤ : ٢١ ) «فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء »

ويرى « برستد » أن « يهوه » إله بركاني إذ حدث أن « تخلف موسى فى الصحراء جنوبى فلسطين عند قبيلة بدوية تعرف بأهل « مَدْيَن » وكان مكثه هناك كثيرا وبخاصة مع أحد خدامهم المقدسين الذى يدعى « شعيب' Jethro "حتي أنه عرف منه شيئا عن إلههم المحلى « يهوه » ، وهذا الإقليم الممتد شمالا وبخاصة على حدود الأخدود العظيم الذى نتج فيه «البحر الميت» ووادى نهر الأردن تتوافر فيه البينات الچيولوچية الدالة على وقوع ثوران بركاني حديث نوعا ، ولاشك في أن الرواية العبرانية التى ذكرت فى سفر التكوين ( ٩ : ٢٣ – ٢٨ ) عن تخريب « سدوم » و « عمورة » وهما مدينتان كانتا فى تلك البقعة « بالنار والكبريت » من السماء ليست إلا إشارة مبهمة عن حدوث انفجار بركاني لم تنس ذكراه القبائل المحلية فى العهد العبرانى المبكر ، وقد صحب خروج العبرانيين من مصر خوارق جاء وصفها فى كتاب العهد القديم لا شك فى أنها ذات صبغة بركانية ، فالمظهر الغريب الذى ظهر به « يهوه » فى صورة « عمود نار » أو « عمود دخان » ثم تجليه فوق « طور سيناء » نهارا محدثا « للرعد والبرق والسحاب الكثيف » هى بالبداهة ظواهر بركانية ، وعلى ذلك كان من المعترف به منذ زمن بعيد أن « يهوه » ليس إلا إلها محليا للبراكين وكان مقره المختار « طور سيناء » ( فجر الضمير ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ) .

ويقول « فرويد » فى كتابه « موسى والتوحيد » ( ص ٨٥ ) : « من المؤكد أن « يهوه » كان إلها بركانيا وكما نعرف فإن مصر تخلو من البراكين ولم يحدث أن كانت جبال شبه جزيرة سيناء بركانية ، ولكن البراكين من ناحية أخرى التى ربما كانت ماتزال حية حتى مرحلة متأخرة توجد على طول الطرف الغربى لشبه الجزيرة العربية ، ولابد أن أحد هذه الجبال هو جبل =

المختار بلقب ( الرب ) بدافع رغبته كشعب محارب فى اكتساب قوة الإله المحارب عن طريق الجمع بين الناسوت واللاهوت كما قلنا سابقا .

٤ – أن الثالوث الذى توارثه اليهود « كان يتكون من « إيل » فى دور الإله الأب الكهل و«إناث ياهو » أو الأنثى ياهو فى دور الإلهة الأم و « يهوه » فى دور الإله الإبن الذى اضطلع مع موسى بالدور الرئيسى وقام بدلا من أبيه « إيل » ضلعا أكبر فى الثالوث »[(١)] .

وحين نطبق أبعاد هـذا الثالوث على العبريين فى الفترة التى نحن بصددها فسنجد أن ( الأب ) الكهل يمثل وضعهم المهزوم فى مصر وأن صفة الكهولة ( البشرية ) المنسوبة إلى (الأب ) تعنى أن العبريين كبشر عاجزون عن الخلاص من هذا الوضع وبالتالى هم فى حاجة إلى محارب فوق البشر وهو « يهوه » .. ولأن واقع الأمر أن من يحاربون فعلا هم بشر أى العبريون فقد كان لابد أن يرفعوا بشريتهم إلى المستوى الإلهى عن طريق الجمع بين الناسوت واللاهوت أى بين لقب ( الرب ) البشرى ولقب ( الإله ) الإلهى كما يحدث مع ( الإبن ) فى الثالوث .. و ( الإبن) هنا هو « يهوه » وهو أيضا ( الله ) كما جعلته التوراة فى إجابته حين سأله موسى عن اسمه .. وكلاهما « يهوه » و ( الله ) لا يسرى عليهما اللقب البشرى ( الرب ) وبالتالى لا يبقى فى أحداث الخروج إلا الشعب المختار لكى تنسبه إليه .. وهو ينسب إليه كما قلنا عن طريق الجمع بين الناسوت واللاهوت مثلما يحدث مع ( الإبن ) فى الثالوث[(٢)] .. والناسوت هنا يتمثل فى الشعب المختار واللاهوت يتمثل فى ( الإبن ) « يهوه » .. ولكى يتحقق الهدف المطلوب وضع الشعب المختار نفسه مكان ( الإبن ) وبذلك أضاف إلى لقبه اللاهوتى لقب ( الرب ) الناسوتى ثم بعد ذلك ألغى لقب « يهوه » اللاهوتى فلم يبق له إلا لقب ( الرب ) الناسوتى الذى يصلح للبشر أى للشعب المختار .. ولعلنا بهذا نقدم تفسيرا لما فعله اليهود حين « لفظوا بكلمة عبرانية تدل على ( رب ) بدل كلمة « يهوه » وهذا الاستعمال أدى فى النهاية إلى فقدان النطق القديم لكلمة « يهوه»

---

= حوريب سيناء Sinai Horeb الذى يعتقد أنه مقر « يهوه » . ( ثم يضيف فرويد ملحوظة هامشية تقول بأن التوراة تستبقى فقرات معينة تقول لنا إن يهوه هبط من سيناء إلى مربة قادش ) وقبل الفقرة التى قدمناها يقول ( ص ٨٥ ) « إن القبائل اليهودية التى أصبحت فيما بعد شعب إسرائيل قد قبلت فى وقت معين دينا جديدا . ولكن هذه الحادثة لم تقع فى مصر وليس كذلك عند قدم جبل فى شبه جزيرة سيناء ، ولكن عند مكان يدعى « مربة قادش » Meribat Qades وهو واحة فى البلاد الواقعة جنوبى فلسطين بين الطرف الشرقى لشبه جزيرة سيناء والطرف الغربى لشبه الجزيرة العربية . وهناك اعتنقت هذه القبائل عبادة الإله « يهوه » وربما كان ذلك عن القبيلة العربية « المديانيين » الذين كانوا يعيشون فى الجوار ، ثم يورد « فرويد » ( ص ٨٦ ) بشأن غرق جيش الفرعون بفعل « يهوه » كاله للبراكين قول « ادوارد ميير » بأنه لم يشك أبدا فى وجود نواة من الحقيقة التاريخية فى قصة الكارثة التى وقعت للمصريين ولكنه صراحة لا يعرف المكان الذى جرت فيه تلك الواقعة

وأيا ما كان الأمر فقد قدمنا مختلف الآراء بشأن « يهوه » لأنها ستعزز رؤيتنا فيما بعد من حيث دوره كإله قمرى وليس كإله بركانى بشأن غرق جيش الفرعون ( المؤلف ) .

(١) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٣٩ ) .

(٢) وكما يحدث مع ( الإبن ) فى دور المخلص فهو ( ينزل ) من عالم اللاهوت إلى عالم الناسوت ، ونجد هذا فى قول الرب « فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين » ( خروج ٣ - ٨ ) .

وصارت حروفها الأربعة الساكنة « ى هـ ف هـ » تلفظ بإضافة الحركات التى تستعمل مع كلمة (رب ) فى العبرية وبذلك أصبحت كلمة « يهوه » تلفظ جهوفه ( يهوفاه ) وهو صورة لهذا الإسم ليس له أصل قديم قط » (١) .. الأمر الذى جعل الباحث سهيل ديب يتساءل مندهشا بشأن « عدم معرفة اليهود الأكيدة باسم الههم » (٢) : « كيف يمكن أن ينسى شعب بأكمله اسم ربه » (٣) .. ثم يتساءل أيضا بشأن تحريم اسم « يهوه » : « كيف يحرم على اليهود النطق باسم الإله ؟ » (٤) .. وهو يرفض تعليل اليهود لذلك بأن « اسم الجلالة محرم على العامة حتى لا يساء استعماله ويفرغ من مضمونه » (٥) ويرى أن « التفسير الأقرب للمنطق هو تعدد الأسماء التى أطلقت على هذا الإله حسب الطوائف والقبائل العبرانية الإسرائيلية واليهودية وامتداد هذا الاختلاف مئات السنين مما دفع زعماء اليهود المعروفين بسيطرتهم التامة على شعوبهم إلى منع إعطاء الجلالة أية تسمية ريثما يتم الإجماع على واحدة منها » (٦) ، ثم يختتم الباحث سهيل ديب تفسيره هذا بقوله: « ولم يتم هذا الإجماع إلى اليوم » (٧) ، ونضيف إليه قولنا بأنه لن يتم فى يوم من الأيام لأن الأمر يتعلق باللاشعور .. وسوف يتضح ما نعنيه من خلال التفسير الذى نقدمه من حيث قولنا بنسبة لقب ( الرب ) إلى الشعب المختار .

ففى رأينا أن اليهود لم ينسوا اسم « يهوه » أو يحرموا النطق به وإنما حدث ذلك تلقائيا نتيجة أسلوب التفكير فى المجتمعات القديمة أو البدائية أو القبلية حيث توجد أفعال بدون أسماء أو حيث يجتمع الفعل والفاعل فى كلمة واحدة مثل « بَرق » بمعنى « برقت السماء » .. وحيث توجد أيضا أسماء كافية بذاتها مثل قولهم « ماء » مقابل « وعاء ماء » .. وهو أسلوب منطقى يتمشى مع التفكير العملى الذى يقول إن الهدف من الوعاء هو الماء الذى يحتويه ومن ثم لا داعى لذكر الوعاء.. فإذا طبقنا هذا على ما فعله اليهود مع « يهوه » حين نسبوا إليه لقب ( الرب ) فإن « يهوه » يصبح بمثابة الوعاء الذى يحوى الماء .. وكما ألغيت كلمة وعاء باعتبار أن الهدف هو الماء فكذلك ألغيت كلمة « يهوه » باعتبار أن الهدف هو ( الرب ) لقب الشعب المختار .. وهكذا يكون إلغاء اسم « يهوه » مرادفا لنسيانه .. ولا يختلف الأمر بالنسبة لتحريم النطق به وكل ما هنالك أن التفكير الدينى جعلهم يقولون : « إن اسم الجلالة محرم على العامة حتى لا يساء استعماله ويفرغ من مضمونه » .. فالدين هنا قد أدى جانبه الوظيفى اللاشعورى الذى يتعلق بعلم النفس إذ أن

(١) « فجر الضمير » ( ص ٣٧٦ ) .

(٢) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » ( ص ١٥ ) ، والمؤلف يعرض هذه المسألة بتوسع ( ص ١٣ - ٢٢ ) ولمن يريد أن يرجع إليها .

(٣) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » ( ص ٢١ ) .

(٤) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » ( ص ١٩ ) .

(٥) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » ( ص ٢٢ ) .

(٦) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » ( ص ٢٢ ) .

(٧) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » ( ص ٢٢ ) .

استغلال الشعب المختار لإلهه « يهوه » قد نتج عنه إحساس دينى بالذنب وهو إحساس لاشعورى حيث أن العملية كلها تمت فى اللاشعور الجمعى .. ولكى يخلّص الدين الشعب المختار من إحساسه بالذنب طفى بما حدث فى اللاشعور إلى الشعور بعد أن ألبسه قناعا يخفى حقيقته دون أن يلغى الهدف المقصود منه .. بمعنى أنه إذا كان المطلوب هو الحصول على لقب ( الرب ) وإذا كان تحقيق ذلك قد أدى إلى نفى ( الإله ) وإفراغه من مضمونه فلا بأس من المحافظة على هيبته وجلاله بأن يقال : « إن اسم الجلالة محرم على العامة حتى لا يساء استعماله ويفرغ من مضمونه » .

وهكذا يتضح من التفسير الذى قدمناه أنه - كما قلنا - لن يتم فى يوم من الأيام الإجماع على اسم الإله ومن ثم عدم تحريم النطق به ( وسوف نعود إلى مسألة تحريم اسم « يهوه » من خلال نظريتنا « صدمة العرى » ) .

٥ - أننا بنينا النقطة السابقة على أساس أن عجز الشعب المختار راجع إلى بشريته وأنه تخلص من هذا العجز برفع بشريته إلى المستوى الإلهى .. ومعنى هذا أن اللعنة التى أصابت العبريين فى الأسر سببها بشريتهم .. ويشهد على هذا المنطق ما جاء فى سفر النبى العبرانى « أرميا » : « ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه .. مبارك الرجل الذى يتكل على الرب »[1] .. وعلى هذا يمكننا أن نعيد صياغة هذا القول كالآتى باعتبار أن ( الرجل ) يعنى الشعب المختار : « ملعون الشعب الذى يتكل على بشريته ( أى على الناسوت ) ومبارك الشعب الذى يتكل على بشريته الإلهية ( أى على جمعه بين الناسوت واللاهوت فلا يجعل البشر ذراعه وإنما يجعل الإله ذراعه ) »[2] .

٦ - أن كلمة « إسرائيل » هى فى الأصل العبرى ( صرع - إيل ) وتعنى ( مصارع الرب ) أو ( صارع الرب ) ومن يصارع أو يصرع الأرباب لابد أن يكون ربا مثلهم أو على أقل تقدير بشرا فى مستواهم .. وهو هنا شعب إسرائيل أى ( الشعب مصارع الرب ) أو ( الشعب الذى صرع الرب ) والرب المصارَع أو المصروع هو الإله « إيل » أو ( الله )[3] عند العبريين .. وحتى يكونوا ندا له فى صراعهم معه نسبوا إليه وأيضا إلى أنفسهم لقب ( الرب ) البشرى وذلك كحل وسط يقرب الإله من مستوى البشر ويقرب البشر من مستوى الإله .. وكما قلنا سابقا فإن نسبة ( الرب ) إلى ( الله ) جعلته ( الرب الإله ) وهو لقب الفرعون وعلى هذا يكون « إيل » مقابلا

---

(١) « أرميا » ( ١٧ : ٥ ، ٧ ) .

(٢) ونشير هنا إلى قول فرويد فى كتابه « موسى والتوحيد » ( ص ٧٦ ) بأن موسى قاد الخروج « بقوة الذراع » وهى قوة - كما تشهد التوراة - مستمدة من الإله الذى منح الشعب صفة « المختار » فميز بذلك قوته وجعلها فوق قوة البشر .

(٣) آثار تل شمرا ( مدينة أوغاريت الكنعانية القديمة ) تكشف لنا فى ملاحمها المتعددة عن عبادة الإله « إيل » كسيد للآلهة وخالق للبشر ( الأسطورة والتراث ص ١٧٨ ) أى أن « أيل » = ( الله ) فى قصة الخلق بالتوراة المأخوذة - كما ذكرنا سابقا - من ثقافات قديمة مختلفة ، وما يعنينا هنا هو ما سبق استقرارنا عليه من أن لقب ( الرب ) البشرى لا يخص ( الله ) وإنما هو قد نسب إليه نتيجة اتحاد الإنسان معه كما فعل الفرعون مع إله الشمس فأصبح ( الرب الإله ) .

للفرعون ويكون معنى « إسرائيل » هو مصارع أو صارع الفرعون ويكون معنى « بنى إسرائيل » هو الشعب الذى صارع الفرعون وصرعه .

٧ - أن الشعب المختار عندما رفع نفسه إلى مرتبة الربوبية لم يكن هدفه فقط الانتصار على الفرعون وإنما أيضا استحقاق الوعد الإلهى بمنحه أرض كنعان.. فعندما ننظر إلى هذا الوعد من حيث وجود جماعة من البشر - هى فى الأصل قبيلة رعوية بدون وطن - تحررت من الأسر لتوها ومن الطبيعى أن تسعى إلى تأمين نفسها عن طريق وطن تستقر فيه فسنجد أن ذلك الوعد الإلهى بمنحهم وطنا هو فى حقيقته وعد بشرى منهم لأنفسهم .. وكذلك عندما ننظر إلى انتصارهم على الفرعون عن طريق معجزة إلهية فسنجد أن صفة « الشعب المختار » هى منحة إلهية .. ولكن عندما نعيد النظر من حيث ان الإله صاحب المعجزة فى التوراة ليس الله عز وجل وإنما هو « يهوه » الإله القمرى أو البركانى فستصبح المعجزة إعجازا بشريا بعد أن كانت إلهية بمعنى أنهم علموا من أصحاب « يهوه » الأصليين طبيعة المنطقة وما يسببه فيها إلههم من مد وجزر بفعل القمر أو بفعل الزلازل الناتجة عن ثورة البركان ومن ثم استغلوا ذلك لإغراق جيش الفرعون .. أى أن ما حدث كان نتيجة تخطيط حربى يمنحهم صفة التميز على المستوى البشرى.. وهذا يجعلنا نقول إنه يمكن التنبؤ بظاهرة المد والجزر الناتجة عن تأثير القمر ومن ثم تحديد الوقت المناسب لإغراق الجيش وذلك بعكس تأثير الزلزال البركانى الذى يعتمد على المصادفة إذ لا يمكن التنبؤ بموعده وبالتالى لا يمكن تحديد موعد ما ينتج عنه من مد وجزر .. وعلى هذا نرجح فاعلية « يهوه » كإله قمرى - وليس كإله بركانى - بشأن ظاهرة المد والجزر وبالتالى بشأن الإعجاز الحربى البشرى الذى تم بإغراق جيش الفرعون .

وإذا كانت التوراة تجمع بين صفات « يهوه » القمرى وصفات « يهوه » البركانى ( راجع هامش ٥ ص ٦١ ) فأغلب الظن أن هذا يرجع إلى سببين : السبب الأول هو ظاهرة المد والجزر التى تجمع بين الاثنين .. والسبب الثانى هو طبيعة البركان التى تناسب « يهوه » كإله حربى .

٨ - أن هدف العبريين بعد خروجهم من مصر هو استيطان أرض كنعان .. ولكى يؤكدوا حقهم فى هذا الاستيطان فقد رفعوا تميزهم البشرى إلى مستوى التميز الإلهى بأن جعلوا أنفسهم « الشعب المختار » من الإله ومن ثم فهو يستحق رتبة الربوبية .. فهنا هدف سياسى مغلف بعباءة إلهية وهو أمر منطقى بالنسبة إلى طبيعة العصر العقائدية كما أنه أمر مشروع من وجهة نظر جماعة قررت - بعد تحرير نفسها من الأسر - أن تؤمن نفسها عن طريق تحولها من قبيلة مرتحلة وضعيفة إلى شعب مستقر وقوى (١) .. وحيث انه « لا توجد شعوب بدون وطن ولكن توجد قبائل بلا وطن » (٢) فقد قررت أن يكون لها وطن .. وعلى هذا فإن الهدف السياسى المغلف

(١) ومما يعبر عن الحماس الشديد لهذه الفكرة ما جاء فى سفر الخروج ( ١ . ٨ ) حيث يقول ملك مصر الجديد : « هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا » فالقبيلة العبرية التى لم تخرج من مصر بعد ولم تصبح شعبا بعد تجعل نفسها فى التوراة أعظم من شعب مصر وأكثر عددا » .

(٢) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٧٦ ) .

بالعباءة الإلهية هو بالتحديد هدف دفاعى ضد التعرض للأسر من جديد .. والتاريخ غنى بالأمثلة لجماعات متفرقة تحولت باسم الإله إلى شعوب ذات أوطان لضمان الحماية بحيث يمكن القول بأن هذا هو الأسلوب الأساسى لنشأة الشعوب والأوطان .

ولابد أن العبريين قد استلهموا الدرس من التاريخ المصرى القديم حيث بدأ شعب مصر من إمارات متفرقة قبل أن يتم ضمها فيما يعرف بالاتحاد الأول .. ومن أجل تعزيز ذلك الاتحاد تم ضم آلهة تلك الإمارات تحت لواء إله واحد أعلى مكانة وهو إله الشمس « رع » وهكذا أصبح إلها قوميا وتحقق الهدف السياسى داخل عباءة دينية وهو الاعتراف بملك يحكم جميع الإمارات مقابل ملك يحكم جميع الآلهة ويخاطبه الناس بقولهم : « إنك أنت الذى تشرف على كل الآلهة ولا يشرف عليك إله ما »[(١)] وهو قول يحمل بذرة التوحيد من الناحية الدينية وأيضا بذرة التوحيد من الناحية السياسية وهو بهذا يذكرنا « بقانون الإيمان اليهودى بالإله « يهوه » الذى يقول : « لويهى لك إلوهيم أحريم » ويعنى « محرم عليك الإيمان بغيرى »[(٢)] ، علما بأن « يهوه » قد « كان معروفا قبل نبوة موسى بقرون طويلة كإله وثنى عبدته شعوب مختلفة بصفته مشاركا مع آلهة أخرى »[(٣)] ثم جاء العبريون فعاملوه بما يشبه معاملة المصريين للإله « رع » فكما جعله المصريون يحتوى غيره من الآلهة فكذلك جعل العبريون « يهوه » يحتوى غيره من الآلهة .. ويشهد على ذلك ما ورد فى سفر الخروج ( ٦ : ٢ ، ٣ ) : « وكلم الله موسى وقال أنا الرب . وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء . وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم » .. ونتوقف عند هذا النص لنواجه ملحوظة تتمثل فى إقرار «يهوه » بأنه كان إله إبراهيم وإسحق ويعقوب دون أن يعرفوا ذلك[(٤)] ولكى نفسر هذا نضرب مثلا بمؤلف يكتب مسلسلا مطولا وبعد مائة حلقة مثلا يجد أن الأحداث قد ساقته إلى وضع يحتم عليه إظهار شخصية جديدة لم يمهد لها من قبل ولكى يعالج هذا الموقف يقدم الشخصية الجديدة على أنها كانت موجودة أصلا وأنها كانت المحرك الخفى للأحداث التى مرت دون أن تعرف شخصيات المسلسل ذلك .. وهذا ما فعله العبريون عندما دعت الحاجة إلى استيطان أرض كنعان التى يعبد أهلها الإله « يهوه »[(٥)] وأصبح من دواعى السياسة أن يعترفوا بدينهم – أى بدين الكنعانيين –

---

(١) « فجر الضمير » ( ص ٤٥ ، ٤٦ ) .

(٢) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٣٦ ، ١٣٧ ) .

(٣) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٣٧ ) .

(٤) ورغم هذا يخبرنا سفر التكوين ( ٢٢ : ١٤ ) بأن ابراهيم عرف « يهوه » حيث نجد « فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه . حتى يقال اليوم فى جبل الرب يرى » ولكننا نجد فى كتاب ( التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة ص ٥٩ ) تعليقا على ذلك وهو : « لم يعرف ابراهيم الله باسم « يهوه » وظهر هذا الإسم لأول مرة فى زمن موسى .. وكلمة اليوم تعنى أن هذا الكلام كتب بعد موسى بزمن طويل لأن اسم ( جبل الرب ) أطلق فى أيام داود وليس قبل وفاة موسى » .

ومن ناحيتنا فإن معرفة ابراهيم بـ « يهوه » ترجع إلى أسباب سنوضحها فى حينها ، وما يعنينا الآن هو أن هذا لا يؤثر على وجهة نظرنا التى سنقدمها بشأن ظهور « يهوه » الفجائى .

(٥) « ثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه عبد لدى الكنعانيين بعد العثور – عام ١٩٣١ – على الاسمين ( ياه وياهو ) منقوشين على قطع خزفية من عصر البرونز وعلى ألواح ضمن مكتشفات مدينة أوغاريت « تل شمرا » ( الأسطورة والتراث ص ١٣٧ ) .

وإلههم [1] .. ودرءا لشبهة الافتعال فى اعترافهم هذا تمخضت عبقريتهم السياسية عن جعل « يهوه » إلها لأجدادهم مؤكدين بذلك المبدأ الذى نبنى عليه تحليلنا بشأن « الشعب المختار » وهو جمعه بين عنصرى الدين والسياسة وتوظيف الأول لحساب الآخر من أجل تحقيق أهدافه .

وتعزيزا لما ذهبنا إليه من إقحام « يهوه » على الأحداث دون سابق تمهيد نشير إلى ما ورد فى كتاب ( التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٣ ، ١٤ ) من أن العلماء التوراتيين قد انتهوا إلى أن أسفار الشريعة الخمسة الأولى من التوراة ترجع إلى ثلاثة مؤلفين أو ثلاث مدارس تأليف أولها « المدرسة اليهوية » نسبة إلى « يهوه » ويشار إليها بحرف (J) أى الحرف الأول من اسم « يهوه » باللاتينية ويعود إليها الفضل فى تأليف القسم الذى يسيطر فيه الإله « يهوه » على الأمور.. والفكرة الدينية والسياسية المحركة لهذه المدرسة هى تثبيت كون إسرائيل شعب الله المختار فى أرض كنعان .

٩ – أنه تأكيدا لما سبق ومن أجل إلباس القرار السياسى قناع القرار الإلهى تحكى التوراة قصة مصارعة يعقوب لإنسان مجهول يقول له عندما يضيق يعقوب عليه الخناق : « أطلقنى لأنه قد طلع الفجر» [2] .. « ويكتشف يعقوب شخصية خصمه الحقيقية التى تخشى النور والنهار [3] ويعرف فيه « إيل » إله كنعان .. فيرفض يعقوب إطلاقه إن لم يباركه بما تحمل هذه البركة من أعطيات » [4] .. وعلى رأس هذه الأعطيات أرض كنعان حيث نجد فى التوراة صيغا عديدة تعبر عن هذا المنح الإلهى كما تدل على تثبيت النية مسبقا بشأنه قبل عهد يعقوب حيث نجد وعدا بهذا المنح موجها إلى إبراهيم رأس سلالة العبريين ومؤسس اليهودية : « وتكلم الله معه قائلا... وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعام ملكا أبديا وأكون لهم إلها » [5].. ونلاحظ أن ( الله ) طلب من إبراهيم مقابلا لوعده فى قوله : « وأكون لهم إلها » أى لنسل ابراهيم « لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك » [6] .. وإله نسل ابراهيم فى عهد يعقوب هو «إيل » وبهذا يمكننا تفسير أن العبريين – كما ذكرنا سابقا – جمعوا بين « إيل » و ( الله ) [7] وذلك التزاما بالمقابل أو بالشرط الذى طلبه ( الله ) .

١٠ – أن تلك الشروط والمساومات تخص عالم البشر ولا تخص الله عز وجل .. ولكنه

---

(١) وتستمر هذه السياسة فيما بعد حيث نجد فى سفر القضاة ( ٣ : ٦ – ٨ ) : « فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ،،، وعبدوا آلهتهم » .

(٢) « تكوين » ( ٣٢ : ٢٦ ) .

(٣) فهو « إيل » إله القمر الذى يغلب نور الشمس نوره ، ولأن الشعب المختار جعل « يهوه » بديلا لآلهته السابقة للأسباب السياسية التى ذكرناها ، فهو يتهرب من الاعتراف بأن الإله الذى صارعه يعقوب هو « إيل » ، بل ويجعل « إيل » نفسه هو الذى يتهرب من الكشف عن شخصيته عندما سأله يعقوب عن اسمه فقال : « لماذا تسأل عن اسمى » ( تكوين ٣٢ : ٢٩ ).

(٤) « الأسطورة والتراث » ( ص ١٧٨ ) .

(٥) « تكوين » ( ١٧ : ٣ ، ٨ ) .

(٦) « تكوين » ( ١٧ · ٧ ) .

(٧) سبق وذكرنا أن « إيل » عرفه الرافديون القدماء بالإسم « إيلو » وعرفه الآراميون بالإسم « إله » وأما العبريون فقد عرفوه بالاسمين « ايل » و ( الله ) .

هنا ( الله ) التوراتي الذي بينا حقيقته فلا عجب أن يعقد مع ابراهيم معاهدة صريحة ومباشرة تسجل التزام كل طرف نحو الآخر .. ولكن أيا ما كان ( الله ) في التوراة فهي معاهدة طرفين غير متكافئين أحدهما إله والآخربشر وهو أمر يضعف من قوة المعاهدة .. ولأن الآلهة لا تنزل إلى مستوى البشر ولأن البشر لا يرقون إلى مستوى الآلهة فقد كان الحل في الربوبية التي تجمع بين الناسوت واللاهوت ومن ثم منح الشعب المختار نفسه لقب ( الرب ) .

١١ - أنه رغم بشرية لقب ( الرب ) الذي نسبه الشعب المختار إلى نفسه إلا أن التوراة تخلط بين هـذا اللقب و ( الله ) ومثـال ذلك : « ظهر الرب لإبرام ( أي لإبراهيم ) وقال له أنا الله » [١] .. وطبقا لوجهة نظرنا بشأن زعم الشعب المختار الربوبية فإن هذا الخلط يوحي بأنه هو في الحقيقة صاحب المعاهدة التي عقدها ( الله ) مع إبراهيم وأنه انتحل فيها لقب ( الله ) ليحولها من معاهدة بشرية إلى معاهدة إلهية تمنحه الحق في استيطان أرض كنعان على أنه تلبية لمشيئة إلهية وليس تخطيطا لجماعة قبلية من أجل الحصول على وطن .. ولذا فإن التعليمات الخاصة بهذا التخطيط والتي تبدأ بالتجسس على أرض كنعان تصدر باسم ( الرب ) أي باسم الشعب المختار: « ثم كلم الرب موسى قائلا أرسل رجالا ليتجسسوا على أرض كنعان » [٢] .. فلو كان رجال موسى يعتقدون حقا أ هـذه مشيئة ( الله ) لاعتقدوا بالتالي أنها نافذة لا محالة مهما بلغ دونها من صعاب .. ولما كان هناك مجال للخوف مما عاينه الجواسيس في رحلتهم من حصون منيعة وبشر عمالقة « وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة ، فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم » [٣] ، بل لقد بلغ بهم أنهم فضلوا عبودية الأسر التي عاشوها في مصر على الخطر الذي يتهددهم فيمـا عاهدهم عليه ( الله ) وهو منحهم أرض كنعان « أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر » [٤] مما يؤكد عدم إيمانهم بألوهية هذه المعاهدة حتى أن صاحبها يقول : «حتى متى يهينني هذا الشعب ، وحتى متى لا يصدقونني » [٥] .. ونلاحظ في هذا القول الجمع بين صيغة المفرد وصيغة الجمع في الحديث عن الشعب وهو ما يعني الخلط بين صفة العبريين كجماعة - أو قبائل - لم تتحول بعد إلى شعب وبين صفة الشعب - التي تقابل وحدة الفرد - التي وعدهم بها الإله .. وباعتبار أن وعد الإله نافذ لا محالة فليس هناك مبرر لاستخدام صيغة الجمع التي تشي بعدم تصديق الوعد الإلهي .. ولكن لأن الوعد صادر من العبريين إلى أنفسهم فمن هنا كان عدم ثقتهم في إمكانية تحقيقه بعدما شاهده جواسيسهم من موانع .

---

(١) « تكوين » ( ١٧ : ١ ) والأمثلة من هذا النوع كثيرة .
(٢) « عدد » ( ١٣ : ١ ، ٢ ) .
(٣) « عدد » ( ١٣ : ٣٣ ) .
(٤) « عدد » ( ١٤ : ٣ ) .
(٥) « عدد » ( ١٤ : ١١ ) .

كانت النقاط السابقة بداية الحيثيات بشأن ما ذهبنا إليه من ربوبية الشعب المختار .. فالموضوع سيظل مستمرا طوال هذه الرسالة وإن كنا سنضيف الآن إلى ما قدمناه شهادة واحد من أبناء الشعب المختار وهو عالم النفس « فرويد » .

## فرويد يشــهد على ربوبية ‹ الشعب المختــار ›

يقول « فرويد » : « إن لليهود فكرة عالية عن أنفسهم وهم يعتقدون أنهم أنبل من غيرهم وعلى مستوى أعلى وأكثر تقدما من الآخرين » (١) .

وواضح من هذا القول أنه لا فرق بين تحليلنا لنفسية الشعب المختار وتحليل « فرويد » وإن كنا قد زدنا عليه مسألة الربوبية .. وهو ما يجعلنا نتساءل : لماذا لم يفعل « فرويد » مثلنا ؟

ولعل الإجابة عن هذا السؤال تكمن فى أن فكرة « الشعب المختار » قد نادى بها هتلر عندما رفع شعار تميز الشعب الألمانى ومن ثم فلم يكن من الممكن بالنسبة إلى « فرويد » وهو اليهودى المضطهد من النازية (٢) أن يصرح بفكرة ربوبية « الشعب المختار » ، كما وأنه بغض النظر عن اضطهاد النازية لليهود فإن «فرويد» ما كان ليصرح بفكرة ربوبية « الشعب المختار » وهو يعيش فى زمن لا يقبل فكرة كهذه .. ذلك أن ما ذهبنا إليه بشأن ربوبية « الشعب المختار » إنما يتعلق بزمن التوراة حيث ثقافات تعدد الآلهة والأرباب .. كما وأن « الشعب المختار » عندما نسب إلى نفسه صفة الربوبية لم يفعل ذلك عن طريق الوعى المباشر وإنما عن طريق اللاوعى الجمعى الذى جعله يستخدم لقب ( الرب ) تلك الاستخدامات التى توصلنا بتحليلنا لها إلى هذا الاستنتاج .

---

(١) «موسى والتوحيد » ( ص ٧ ) .

(٢) فى مارس ١٩٣٨ قبض عليه النازى واستجوبوه لانضمامه إلى جمعية « بناى بريث » وهى من أكبر الجمعيات اليهودية انتشارا فى العالم وأشدها غلوا فى الصهيونية ومعاداة للأممية ( من المقدمة التى كتبها د. عبد المنعم الحفنى لكتاب «موسى والتوحيد» ص ٨ ) .

# الفصل الخامس :

# قراءة نفسية «الشعب المختار»

## ■ أساس قراءة نفسية الشعب المختار

- ○ عقدة الأسر والاضطهاد فى مصر هى المحرك النفسى للشعب المختار
- ○ مغزى عيد الفصح
- ○ تأثر العبريين بديانة «إخناتون» أثناء وجودهم فى مصر
- ○ توراة موسى هيروغليفية الأصل وليست عبرية
- ○ ربوبية الشعب المختار والنرجسية

## ■ النرجسية وتطور الشعوب

- ○ التعريف بالنرجسية
- ○ علاقة الشعوب بالنرجسية وتطورهـــا من نظام الحكم الفردى إلى نظام الحكم الديمقراطى

## ■ «الشعب المختار» والعصاب النرجسى المزدوج

- ○ رفض العبريين للفرعون الذى يضطهدهم جعلهم يتوقفون عند الوجه الأول للعصاب النرجسى
- ○ فكرة «الشعب المختار» نقلت العبريين إلى الوجه الآخر للعصاب النرجسى مع الاحتفاظ بالوجه الأول
- ○ الشعب المختار مثل طفل يتيم وسط أطفال غير يتامى وما نتج عن ذلك من تضخم (الأنا) الذى نتجت عنه فكرة «الشعب المختار» ومن ثم الانطوائية
- ○ تطبيق صفات المنطوى على الشعب المختار

## أساس قراءة نفسية «الشعب المختار»

بداية أوضح أن قراءتى لنفسية الشعب المختار مبنية على أساس أن فترة الأسر والاضطهاد التى قضاها العبريون فى مصر هى المحرك الشعورى أحيانا واللاشعورى غالبا وراء ما ورد فى التوراة (١) بصفة عامة وفى سفر الخروج بصفة خاصة باعتبار أنه يمثل تحرر العبريين من الأسر والاضطهاد .. وبعبارة أخرى فإن فترة الأسر والاضطهاد تلك هى الدافع النفسى الأصلى الكامن وراء الدوافع التى أثرت على الشعب المختار وبالتالى على ما جاء فى التوراة بشأن تلك الفترة وأيضا بشأن موسى .

ولا يؤثر فى وجهة نظرنا هذه القول بأن التوراة أدخلت عليها إضافات أو بالأصح حرفت فى عهد السبى الثانى البابلى (راجع كتاب «التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٥٧ ، ٦٧) إذ لا جدال فى أن تجربة الأسر بمصر - باعتبارها الأولى - كان لها التأثير الأقوى وهو ما سيتأكد دائما أثناء المضى فى رسالتنا .. وإن كان يكفى الإشارة إلى أن أهم أعياد اليهود وهو عيد الفصح «هو تسجيل للخروج من مصر والنجاة من السبى والإضطهاد . ويأتى عيد الفصح فى الربيع دائما حيث تبدأ الطبيعة فى الازدهار بعد الشتاء كرمز للخلاص والانطلاق والحرية» (٢) .. وإن كنا نضيف إلى تفسير هذا القول لمغزى الربيع : أنه يعبر عن عودة الحياة بعد الموت وذلك على أساس سابق قولنا بأن فترة الأسر بمصر تقابل الموت وأن الخروج يقابل الرغبة فى التغلب على الموت .

وعلى أساس ما سبق يجب علينا أن نتعرف على نفسية العبريين فى فترة الأسر بمصر . ومفتاح ذلك يتمثل فى عنوان كتاب فرويد «موسى والتوحيد» الذى يقودنا إلى فترة التوحيد فى عهد «إخناتون» .. وهنا نذكر أن د . فؤاد حسنين يثبت فى كتابه «التوراة الهيروغليفية» أن توراة موسى هيروغليفية الأصل وليست عبرية . وقد اعتمد فى دراسته على عنصرين أحدهما لغوى والآخر لاهوتى وانتهى إلى قوله (ص ٥٧ ، ٥٩) : «هذه هى التوراة التى تنسب إلى موسى وقد رأينا من ثنايا عرضها أنها لن تصلح لموسى . وأنا لا أنكر هنا أن موسى عليه السلام جاءته صحف وأنزلت عليه توراة إلا أن هذه التوراة العبرية والتى هى بين أيدينا ويؤمن بها اليهود وغيرهم ليست توراتنا التى أنزلت على موسى ولسبب جوهرى صحيح أنها جاءتنا باللغة العبرية . والعبرية لم يعرفها موسى ولم يعرفها الإسرائيليون طيلة حياة موسى . فموسى عاش وتوفى قبل أن توجد العبرية (٣) ويعرفها الإسرائيليون . فموسى كما تذكر المصادر اليهودية وغيرها ولد فى

---

(١) نستخدم كلمة «التوراة» على سبيل التعميم بغض النظر عن معناها العبرى الذى يعنى الشريعة المكونة من الأسفار الخمسة الأولى وهى «تكوين» و «خروج» و «لاويين» و«عدد» و «تثنية» وذلك لأننا نستشهد أحيانا بنصوص من بقية أسفار العهد القديم

(٢) «رحلة الانسان مع الاديان من اليهودية إلى الاسلام» (ص ٦٤)

(٣) « ولن يرجع تاريخ ظهور العبرية إلى ما قبل ١١٠٠ ق . م » (التوراة الهيروغليفية ص ٤)

مصر وتسمى باسم مصرى (١) وتهذب بكل حكمة المصريين (٢) كما أن مصر هى الوطن الأصلى لإله الاسرائيليين «يهوه» (٣) .

ونخرج من ذلك بأن تأثير ديانة «إخناتون» على المصريين أثناء وجودهم فى مصر هو السبيل إلى معرفة نفسيتهم فى تلك الفترة .

وحيث أن موضوعنا الأساسى هو نسبة الشعب المختار إلى نفسه - لا شعوريا - رتبة الربوبية .. وحيث أن تعبير «الشعب المختار» يعنى التميز على سائر شعوب العالم وبالتالى يعنى النرجسية .. إذن فالنرجسية هى مفتاح تعرفنا على نفسية الشعب المختار

## النرجسية وتطور الشعوب

النرجسية هى حالة الشخص المستغرق فى حب ذاته والإعجاب بها .. ويتمثل هذا فى أسطورة «نار سيسوس» الفتى اليونانى الجميل الذى رفض أن يستجيب لحب إلهة الماء «إيكو» فعاقبته إلهة العدالة «نيميزيس» بإيقاعه فى حب صورته المنعكسة على صفحة الماء وبعد ما أغرق نفسه حولته إلى زهرة النرجس

وتنقسم النرجسية من حيث التحليل النفسى إلى ثلاثة أقسام (٤) :

١ - **النرجسية الأولية** : وهى مرحلة طبيعية من حياة الرضيع حيث تكون الليبيدو (٥) محصورة فى جسمه ثم تقل النرجسية بانتقال شحنات الليبيدو إلى موضوع خارجى ليصبح موضوع حب .

٢ - **النرجسية الثانوية** : وفيها تسترد الذات بعض شحنات الليبيدو من الموضوع الخارجى فتتركز ثانية فى جسم الشخص كما يحدث عادة فى بدء المراهقة .

٣ - **العصاب النرجسى** : ويحدث عندما يتوقف النمو الوجدانى عند مرحلة النرجسية الأولية أو عندما تتضخم النرجسية الثانوية

---

(١) موسى اسم مصرى صميم تشير إليه النقوش المصرية القديمة بالحرفين «م س» دون أحرف علة (لعدم وجودها فى المصرية القديمة) ومعناه «المولود - الإبن» ونجد نفس التسمية فى الكثير من الأسماء الفرعونية مثل «أحمس» و «تحوتمس» و«أمنمس» و «رعمسس» وغيرهم والاسم العبرى هو «موشيه» وقد أطلقت عليه الأميرة المصرية التى وجدته فى النهر اسما مصريا وليس عبريا وقد حرف الاسم وجعل عبريا فيما بعد (التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٦٢)

(٢) «فتهذب موسى بكل حكمة المصريين» (أعمال الرسل ٧ . ٢٢)

(٣) «والرب إله الجنود يهوه اسمه» (هوشع ١٢ : ٥) . «وأنا الرب الهك من أرض مصر» (هوشع ١٣ : ٤) «ورفعت يدى لنسل بيت يعقوب وعرفتهم نفسى فى أرض مصر ورفعت لهم يدى قائلا أنا الرب إلهكم» (حز قيال ٢٠ : ٥) (سبق أن أوضحنا وجهة نظرنا بشأن «يهوه» كإله للبراكين موطنه سيناء) .

(٤) مصدرنا فى ذلك «الموسوعة العربية الميسرة»

(٥) مصطلح من أصل لاتينى معناه الشهوة الشبقية استخدمه فرويد لتمثيل الطاقة التى تعبر عن نفسها فى الفريزة الجنسية ورأى كارل يونج تعميم هذه الطاقة بحيث تشمل جميع الغرائز

وباعتبار أن الشعوب تمر بنفس المراحل التى يمر بها الإنسان من الطفولة إلى المراهقة إلى النضج فسوف نطبق عليها أقسام النرجسية الثلاثة التى قدمناها مع تغيير مفهوم الليبيدو عند «فرويد» إلى مفهومه عند «يونج» أى تعميم الطاقة التى تعبر عن نفسها فى الغريزة الجنسية بحيث تشمل جميع الغرائز ورؤيتنا فى ذلك أنه إذا كـــان الهدف من الغريزة الجنســـية هو استمرارية الحياة فإن عوامل اســـتمرارية الحياة لا تقتصر على الجنـــس فقط فهى كما رأينا فى تحليلنا الرمزى لشـــجرة المعرفة تشمل بجانب الجنس والموت الغذاء بعناصـــره الثلاثة : غذاء الجســـد وغذاء العقل وغذاء الروح وباعتبار أن الحياة بالنســـبة إلى الشعوب تعنى الكينونة فسوف نستبدل بتعبير «طاقة الليبيدو» تعبير «طاقة الكينونة» .. وبهذا المفهوم سنطبق أقسام النرجسية على الشعوب كالآتى :

١ – **النرجسية الأولية** : فى حالة النرجسية الأولية فإن الشعوب فى بداية تكوينها تكون كالطفل منغلقة على نفسها وطاقتها الكينونية محصورة فى ذاتها .. وكما يحدث للطفل حين تنتقل شحنات الليبيدو إلى موضوع خارجى – وهو عادة الوالدان – ليصبح موضوع حب فإن ذلك يحدث أيضا لدى الشعوب ولكن مع تبدل موضوع الحب الخارجى من الوالدين إلى أولياء الأمر أى الحكام حيث تتجه إليهم طاقة الشعوب الكينونية وهو ما يعنى التسليم المطلق من الشعب للحاكم [١] .

٢ – **النرجسية الثانوية** : وأما فى حالة النرجسية الثانوية التى تحدث عادة فى بدء المراهقة فإن الشعوب تسترد بعض طاقتها الكينونية الموجهة إلى الحكام فتتركز ثانية فى ذاتها . وهو ما يعنى بداية نضج الشعب والدخول فى مرحلة المشاركة فى الحكم أو على أقل تقدير إبداء الرأى فى الحاكم .

٣ – **العصاب النرجسى** : وأما فى حالة العصاب النرجسى فإن الشعب إما أن يتوقف عند مرحلة النرجسية الأولية فيظل عبدا للحاكم وإما أن تتضخم لديه النرجسية الثانوية فيرفض الحاكم .

## ‹ الشعب المختار › والعصاب النرجسى المزدوج

على ضوء ما سبق نستطيع أن نتعرف على نفسية الشعب المختار بالنسبة إلى فترة الأسر فى مصر .. ففى تلك الفترة كان الشعب المختار فى المرحلة القبلية أى مرحلة الطفولة حيث المفروض أن تبدأ طاقته الكينونية فى الانتقال من ذاته الوليدة إلى ذات الحاكم والتسليم المطلق له كموضوع حب خارجى .. ولكن لأن الحاكم هو الفرعون الذى يضطهد العبريين فقد توقفت طاقتهم

---

(١) ومن هنا نجد فى التراث المصرى القديم من الحكم والأمثال ما يحث على طاعة الفرعون كاله وحاكم وولى أمر . وهى إفراز طبيعى لنظام حكم الفرد المطلق الذى تمر به الشعوب فى مرحلة طفولتها .

الكينونية عند مرحلة الانحصار الذاتى فى النرجسية الأولية الطفولية وهو ما يعنى الوجه الأول من العصاب النرجسى .. ثم إن العبريين لكى يتغلبوا على استحالة التحرر من الأسر والخروج من مصر شحنوا أنفسهم بفكرة «الشعب المختار» الذى تنصره الآلهة [1] فانتقلوا بهذه الفكرة إلى الوجه الآخر من العصاب النرجسى حيث تتضخم النرجسية الثانوية الخاصة بمرحلة المراهقة .. ومعنى هذا أن الشعب المختار جمع بين عصاب الطفولة وعصاب المراهقة وهو ما يعنى العصاب المركب أو المزدوج .

وتبسيطا لما سبق نشبه الأمر بطفل يتيم أو لقيط (حيث سنرى فيما بعد أن اليهود نسبوا إلى أنفسهم هذه الصفة عن طريق نسبتها إلى موسى) وأن هذا الطفل اليتيم يعيش وسط أطفال غير يتامى وأنه مثل أى طفل يريد أن يحقق ذاته من خلال أبويه ولكن لأنه يتيم فهو يجد نفسه عاجزا عن ذلك ومن ثم يتولد لديه إحساس بالنقص يجعله يعزل نفسه عن الآخرين وهو ما يعنى الانطواء

ونتوقف هنا لنتعرف على أهم سمات الانطواء - وعكسه الانبساط - من خلال الجدول الآتى :

| المنبسط | المنطوى |
|---|---|
| ١ - العوامل الموضوعية هى التى توجه سلوكه | ١ - العوامل الذاتية هى التى توجه سلوكه . |
| ٢ - يتكيف بسرعة مع المواقف الطارئة . | ٢ - يخضع لمبادىء مجردة وقوانين صارمة تعجزه عن التكيف السريع . |
| ٣ - قليل المبالاة بما يصيبه من أمراض | ٣ - مسرف فى ملاحظة حالته الصحية . |
| ٤ - يحقق التوافق عن طريق التعويض . | ٤ - يحقق التكافؤ عن طريق النكوص واللجوء إلى عالم الخيال . |
| ٥ - معرض للإصابة بالهستيريا . | ٥ - معرض للإصابة بعصاب الوسواس وذهان الفصام . |

والانبساط والانطواء عند «يونج» يشيران إلى نموذجين متقابلين للاتجاه النفسى العام مما يتفق وتناولنا لنفسية الشعب المختار كأحد هذين النموذجين وهو نموذج المنطوى حيث نطبق عليه الصفات التى تخصه والتى أوردناها فى الجدول السابق والتى سنتناولها حسب ترتيب أرقامها :

---

(١) مرة «إيل» ومرة «يهوه» ومرة (الله)

**١ - العوامل الذاتية هى التى توجه سلوكه** : نجد ذلك فى فكرة «الشعب المختار» الانطوائية التى جعلته يعزل نفسه عن بقية الشعوب بمنع التزاوج معها .. وفى الحى الذى يخصصه لنفسه GHETTO فى البلد الذى يتواجد فيه .

**٢ - يخضع لمبادىء مجردة وقوانين صارمة تعجزه عن التكيف السريع** : نجد ذلك فى نكوصه المتكرر عن تعليمات موسى فى البرية بعد الخروج .

**٣ - مسرف فى ملاحظة حالته الصحية** : نجد ذلك فى التلمود «فى الباب السادس باب التطهر أو الطهارة (يسمى بالعبرية طو هوروت) ويختص بالطعام وأنواعه والآنية المستعملة فى الطهى والاغتسال عند الأشخاص . أى بكل نواحى النظافة والصحة فى الحياة» (١)

**٤ - يحقق التكافؤ عن طريق النكوص واللجوء إلى عالم الخيال** : نجد ذلك فى حل مشاكله عن طريق المعاهدات التى يبرمها مع الآلهة على مستوى الند للند .

**٥ - معرض للإصابة بعصاب الوسواس وذهان الفصام** : من حيث عصاب الوسواس نجده كنتيجة للمقاومة اللاشعورية لعدم القدرة على التكيف . ومن حيث ذهان الفصام نجده كنتيجة لتقوقع (الأنا) داخل عالم من التخيلات والتفكير الاجترارى .. وأيضا فيما يتعلق بالهذيان الفصامى مثل أفكار الاضطهاد والقوة والعظمة وكذلك مظاهر الفوضى والتقلب التى تخفى نوعا من التنظيم يسوده المنطق الوجدانى الشبيه بمنطق الأحلام حيث تطغى العمليات الرمزية والتكثيفية ومن أبرزها فكرة «الشعب المختار» و «تضخم الذات» الذى سنتناوله فيما بعد.

(١) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الاسلام» (ص ٤٤)

## الفصل السادس :

# أزدواج الأب لدى «الشعب المختار»

### ■ موسى المصرى .. الأب الأول للشعب المختار

- ( العلاقة بين الشعب المختار وموسى = العلاقة بين الإبن والأب فى الثالثوث )

### ■ التقابل بين موسى المصرى و «الشعب المختار»

- التقابل من حيث المولد وأصل وتحليل أسطورة موسى
- التقابل من حيث الطفولة
- التقابل من حيث البنوة ومسألة اسم موسى
- التقابل من حيث اليتم ومسألة تسمية موسى باسم عبرى
- التقابل من حيث الاضطهاد وعلاقته باضطهاد أتباع إخناتون
- التقابل من حيث الخلاص
- التقابل من حيث الجنسية
- التقابل من حيث الختان وعلاقته بفكرة «الشعب المختار» وتخلصه من عقدة الأسر
- الهدف من نسبة فكرة ربوبية الشعب المختار إلى موسى

### ■ موسى المَدْيَنى .. الأب الثانى للشعب المختار

- الفرق بين ديانة موسى المصرى وديانة موسى المدينى
- العلاقة بين رفض اليهود عيسى عليه السلام ورفض أجدادهم «إخناتون»
- موسى المدينى يمثل الهوية الأصلية للشعب المختار

### ■ تناقضات فى رؤية «فرويد» بوجود موسيين

- خيانة الشعب المختار لموسى المصرى الذى أخرج العبريين من مصر
- تناقض اشتراك الموسيين فى اخراج العبريين من مصر

## موسى المصرى .. الأب الأول للشعب المختار

بعد الذى قدمناه فى الفصل السابق بشأن نرجسية وانطوائية الشعب المختار . تذكر أنفسنا بأن ما قادنا إلى ذلك هو تشبيهنا للشعب المختار – أثناء وجوده فى مصر – بالطفل اليتيم أو بالطفل اللقيط .. وطبيعى أن هذا الطفل سيبحث عن أب [1] يتبناه – وهو بلا شك ليس الفرعون الذى يضهده – وقد كان موسى هو ذلك الأب المنشود .

لكن إذا كانت فكرة الأب البديل هى أمر طبيعى .. فالأمر غير الطبيعى هو ازدواجية الأب لدى الشعب المختار وذلك حسب رؤية فرويد – فى كتابه «موسى والتوحيد» – بأنه لم يكن هناك موسى واحد وإنما إثنان أحدهما مصرى والآخر مدينى نسبة إلى «مَدْيَن» بجنوبى فلسطين . وسوف نفسر ذلك من وجهة نظرنا مع المقارنة بوجهة نظر «فرويد» .. وسنبدأ بموسى المصرى باعتباره الأب الأول .

وتأسيسا لوجهة نظرنا نقول إن موسى كان بالنسبة للقبيلة العبرية بمثابة الأب وأيضا بمثابة المقابل للعبريين أنفسهم وذلك باعتبار أن هدف الطفل من الأب البديل هو تحقيق مشروع كينونته عن طريق كينونة الأب الجاهزة بواسطة المبادلة . ومعنى هذا تقابل صفات الأب مع صفات الإبن سواء من حيث ما هو موجود أصلا لدى الأب أوما يوجده الإبن . وقد فعل العبريون ذلك مع موسى بمزيج من اللاشعور والشعور الجمعيين أى بمزيج يجمع بين الناحية النفسية والناحية العقائدية حيث تمت محاكاة ما يحدث فى الثالوث حين يحقق (الإبن) كينونته عن طريق تبادل الصفات والأدوار بينه وبين (الأب) .. الأمر الذى يعزز وجهة نظرنا بشأن ربوبية الشعب المختار والذى سيظهر من خلال عرضنا لأشكال التقابل بين موسى والعبريين .

## التقابل بين موسى المصرى و «الشعب المختار»

١ – **التقابل من حيث المولد** : تربط قصة موسى بين مولده وفترة اضطهاد الفرعون للعبريين .. وعلى هذا فالمقابل لمولد موسى يتمثل فى أن وجود العبريين بمصر كان بمثابة مولد الشعب المختار أو بتعبير دقيق : مولد فكرة « الشعب المختار» .

ومن ناحية أخرى .. فمن حيث أسطورة موسى – وكما يقول فرويد – فإن «تعريضه فى السله هو رمز واضح يمثل عملية الميلاد . فالسلة هى الرحم والنهر هو ماء الولادة . وفى عدد لا يحصى من الأحلام تمثل العلاقة بين الطفل وأبويه بعملية جر الماء أو بالإنقاذ من الغرق فى الماء . وعندما تلصق فى مخيلة شعب من الشعوب هذه الأسطورة بشخصية مشهورة فإنما لتشير *إلى أن الشعب قد اعترف به بطلا»* [2] .. *ولأن البطل هنا هو موسى ولأن «موسى مصرى ..*

---

(١) قصدنا الأب دون الأم حيث أن المجتمع الزراعى نتج عنه انتقال السلطة من الأم إلى الأب وقدتنا ولنا هذا بالنسبة للمجتمع المصرى من خلال مفهومنا الخاص لأسطورة « إيزيس وأوزيريس» وذلك فى كتابنا «صدمة العرى»

(٢) «موسى والتوحيد» (ص ٣٨ ، ٣٩)

تجعله الأسطورة يهوديا» [1] .. ثم بعد بحث وتحليل بشأن مصرية أو يهودية أصل أسطورة موسى يقول فرويد إن هذه الأسطورة «كما نعرفها اليوم تتسكع للأسف وراء دوافعها السرية» [2] . وفي رأينا أن هذه الدوافع السرية تتلخص فيما ذهبنا إليه عندما شبهنا العبريين بالطفل اليتيم حين يحقق كينونته عن طريق الأب البديل .

٢ - **التقابل من حيث الطفولة** : قلنا إن القبيلة العبرية تمثل مرحلة الطفولة لدى الشعب المختار . ويقابل هذا أن الإسم موسى معناه في المصرية القديمة «طفل» فهو ينسحب على العبريين كإسم نابع من صفة الطفولة التي تخصهم .

٣ - **التقابل من حيث البنوة** : جاء في كتاب «موسى والتوحيد» أن «الكلمة المصرية» «موسى Mose » التي تعني «طفل » هي اختصار للإسم المكون من شقين مثل «آمون موسى» أي «طفل آمون» أو «بتاح موسى» أي «طفل بتاح» وهذه الأشكال هي اختصارات للشكل الكامل الذي يعني أن «آمون قد أنجب طفلا» أو أن «بتاح قد أنجب طفلا» ولا شك أن والد موسى قد أطلق على ابنه إسما يسبقه ويضاف إليه وهو إسم أحد الآلهة المصرية مثل آمون أو بتاح ولكن هذا الإسم الإلهي سقط تدريجيا مع الاستعمال حتى اقتصر على اسم موسى « Mose » (أضيف الحرف الأخير s إلى الإسم فصار « Moses » عند ترجمته إلى اليونانية في العهد القديم ولكن الحرف غير موجود في الترجمة العبرية حيث تكتبه « Mosheh» أي موشيه) [3] .

ونخرج من ذلك بنتيجتين : الأولى أن الإسم موسى يعني (إبن) وهذا يقابل بنوة الشعب المختار لموسى .. والثانية أن موسى حسب تسمية أبيه له التي نسبته إلى أحد الآلهة يعتبر إبنا إلهيا . فإذا نظرنا إلى علاقة العبريين به كأب وإلى العلاقة التبادلية بين الأب والإبن فسنجد ما يعزز وجهة نظرنا بشأن ربوبية الشعب المختار . كما سنجد أن هذه الربوبية تقابلها ربوبية موسى باعتباره إبنا إلهيا من البشر مثله مثل الشعب المختار .. ومن ثم يناسبه مثله لقب (الرب) .

٤ - **التقابل من حيث اليتم** : قد شبهنا العبريين أثناء وجودهم في مصر بالطفل اليتيم .. ولكننا نجد أن موسى لم يكن يتيما حيث «تجمع كتب الدين اليهودية على أن اسم أبيه عمران واسم أمه يوشبيد» [4] .. وهذا يتعارض مع قولنا بتقابل صفات الأب والإبن .. وسوف نرد هذا التعارض من خلال وجهة نظر فرويد بشأن تسمية موسى بالإسم العبري «موشيه» حيث يقول

---

(١) «موسى والتوحيد» (ص ٤٤)

(٢) «موسى والتوحيد» (ص ٤٢)

(٣) «موسى والتوحيد» (ص ٣١) والفقرة أخذها فرويد عن برستد في كتابه «فجر الضمير» وهي موجودة في النسخة المترجمة (ص ٣٧٦) وما يعنينا هو أن فرويد يقر بما فيها حيث يقول : «وأنا أخذت هذه الفقرة حرفيا من كتاب برستد ومستعد تماما للإسهام في تحمل مسئولية ما أوردته من تفاصيل»

(٤) «موسى والتوحيد» (ص ٢٣) (في هامش يخص المترجم)

ردا على تساؤله عن مصدر هذا الإسم ومعناه : «إن قصة الإسم كما ترد فى الإصحاح الثانى من سفر الخروج تجيب عن السؤال حيث نعلم من القصة أن الأميرة المصرية التى أنقذت الطفل من ماء النيل أعطته اسمه «فلأنى التقطته من الماء» يصير اسمه «موشيه» بمعنى لقيط الماء . وهذا هو التفسير اللغوى للإسم ولكن الواضح أن هذا التفسير غير مناسب» [1] .. وبعد أن يبرهن فرويد من الناحية اللغوية خطأ هذا التفسير يدلى بالحجة الحاسمة لرفضه اسم «موشيه» بقوله : «إنه من السخف أن ننسب إلى أميرة مصرية معرفة اللغة العبرية» [2]

وإذا كنا نتفق مع فرويد فى رفضه المنطقى لتسمية موسى بإسم عبرى إلا أننا نجد فى هذه التسمية ما ينفى التعارض الذى أشرنا إليه بشأن تقابل صفات الأب والإبن حيث أن الإسم «موشيه» نسب إلى موسى صفة «لقيط» [3] التى تقابل صفة «يتيم» بالنسبة للعبريين وذلك باعتبار أن اللقيط فى حكم اليتيم .

وجدير بالذكر أن ما حدث بشأن تسمية موسى قد تم على يد مسجلى التوراة فى زمن لاحق إذ أن تسمية موسى أثناء حياته بإسم عبرى يتعارض مع حقيقة أن «موسى عاش وتوفى قبل أن توجد العبرية» [4] .. وهنا نذكر رأى فرويد فى قصة موسى التى ترويها التوارة بأنها ليست أكثر من أسطورة دينية «قلبت إحدى الروايات البعيدة لمصلحة اتجاهاتها» [5] . وطبقا لوجهة نظرنا فإن من ضمن هذه الاتجاهات المصلحية إيجاد التقابل بين صفات موسى وصفات العبريين.. وقد قلنا إن هذا التقابل قد يوجد جاهزا وقد يستحدث .. ومن الصفات المستحدثة صفة «لقيط» التى أضفتها الأسطورة على موسى والتى تنسحب على العبريين . ومن الصفات الجاهزة صفة «يتيم» لدى موسى – التى شبهنا بها العبريين – وذلك طبقا للنظرية التى تقول إن موسى قد وجد فى عهد «إخناتون» حيث يقول «فرويد» إن موسى «ربما كان من أعضاء البيت المالك كما تقول الأسطورة . وإنه كان من المؤمنين المتبعين للديانة الجديدة بحكم صلته الوثيقة بفرعون . وإنه كان يفهم فهما كاملا مبادئها الأساسية وجعلها مبادئه . وبموت الملك وما أعقب ذلك من رد فعل رأى كل آماله ومشاريعه تدمر وأن مصر لن يكون لديها ما يمكن أن تمنحه إياه . لقد فقد بلده الأم» [6] .. ونتوقف عند الجملة الأخيرة «لقد فقد بلده الأم» التى تعبر عن اليتم نتيجة انتهاء ديانة «إخناتون» .. وإذا كان اليتم هنا من ناحية الأم (الوطن) فهو أيضا من ناحية الأب باعتبار أن «إخناتون» كان بمثابة الأب الروحى لموسى .

---

(١) «موسى والتوحيد» (ص ٢٨)

(٢) «موسى والتوحيد» (ص ٢٩)

(٣) جاء فى سفر الخروج (٢ : ١٠) عن إبنة فرعون : «ودعت اسمه موسى وقالت إنى انتشلته من الماء» أى التقطته

(٤) «التوراة الهيروغليفية» (ص ٥٧) .

(٥) «موسى والتوحيد» (ص ٨٤)

(٦) «موسى والتوحيد» ( ص٧٤)

٥ - **التقابل من حيث الاضطهاد** : كما نعلم فإنه بعد انتهاء ديانة «آتون» وعودة عبادة «آمون» سادت موجة شديدة من الاضطهاد ضد أتباع «إخناتون» ومنهم موسى باعتباره أحد أتباعه .. وهذا يقابل الاضطهاد الذى وقع على العبريين فى الأسر .

٦ - **التقابل من حيث الخلاص** : كما يرى فرويد فإنه بعد سقوط «إخناتون» وانتهاء ديانته التى كان موسى من أتباعها [1] .. وضع موسى «خطة لتأسيس إمبراطورية جديدة والعثور على شعب جديد يعطيه الديانة التى احتقرتها مصر» [2] وكان نتيجة ذلك قيادته لحدث الخروج وتخليص العبريين من الأسر .. وعلى هذا يمكن القول بأن كارثة سقوط «إخناتون» تحمل بالنسبة للعبريين وجها عكسيا هو الخلاص ويقابل ذلك فى الأسطورة اليهودية خلاص موسى على يد إبنة فرعون حين انتشلته من الماء .. والمغزى الذى يكمن وراء هذا التقابل ومن ثم يعززه هو وحدة مصدر الخلاص المتمثلة فى وحدة سلطة البيت الملكى بمعناها المجرد الذى يشمل «إخناتون» وإبنة الفرعون

٧ - **التقابل من حيث الجنسية** : رأينا فيما سبق أن موسى مصرى الجنسية .. ولأن هذا يتعارض مع مبدأ المقابلة بينه وبين العبريين فقد جعلوه عبريا مثلهم سواء فى التوراة أو فى الأسطورة .

٨ - **التقابل من حيث الختان** : تؤكد لنا المومياوات ورسوم جدران المقابر أن عادة الختان كانت تخص الشعب المصرى «ولم يتبع شعب آخر من شعوب شرقى البحر الأبيض هذه العادة . ونستطيع أن نقول عن يقين إن الساميين والبابليين والسومريين لم يكونوا يختتنون . والتوراة تقول مثل ذلك فيما تذكره من تواريخ سكان كنعان» [3] .. ورغم اضطهاد العبريين من المصريين فقد اتخذوا شرعتهم فى الختان . ويفسر فرويد ذلك بقوله إن «أولئك الذين اختاروا الختان يفخرون به ويحسون بأنفسهم أنهم أسمى من غيرهم وأنهم شُرِّفوا وينظرون باحتقار إلى الآخرين الذين يبدون غير مطهرين . والمصدق أن موسى وكان هو نفسه مختونا بوصفه مصريا كان له نفس الرأى وكان على اليهود الذين برفقتهم غادر موسى بلده أن يكونوا بديلا أحسن من المصريين الذين خلفهم وراءه وكان يتمنى أن يجعل منهم «أمة مقدسة» فهكذا قيل تحديدا فى

---

(١) لا يختلف الأمر إذا كان فرويد قد جعل موسى فى عهد «إخناتون» ثم عاد فقال إنه من الجائز جدا أن موسى لم يعش فى زمن «أخناتون» وإنما كان من جيل تلاه وظل على دين «آتون» وكما يقول فرويد فلا يجب أن نفترض أن انهزام ديانة «آتون» قد أنهى تماما الاتجاه التوحيدى من مصر فلقد تحملت الكارثة مدرسة الكهنة فى «أون» التى قامت على هذا الاتجاه وشدت إليه أجيالا بعد «إخناتون» من ضمنهم موسى ويعزز هذا أنه يؤخر تاريخ الخروج ويقربه من الزمن المفترض عادة وهو القرن الثالث عشر ق م (موسى والتوحيد ص ٨٠ ، ٨١)

وفى كتاب «التوراة بين الوثنية والتوحيد» وفى فصل بعنوان «إخناتون» يقدم الباحث سهيل ديب وجهة نظر جديدة بشأن تاريخ الخروج تعتمد على تقديم عهد «إخناتون» ستة قرون فتجعله يعيش بين الأعوام ٨٣٧ - ٨١٠ ق . م وليس بين الأعوام ١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق م . وسواء كان الأمر هذا أو ذاك فهو لا يؤثر على رسالتنا أو على الموضوع الذى نحن بصدده

(٢) «موسى والتوحيد» (ص ٧٤)

(٣) «موسى والتوحيد» ( ص ٧١ ، ٧٢)

نص التوراة . وأكثر من ذلك أنه كان يحب لهم لو أن هذه العادة عزلتهم ومنعتهم من الاختلاط بالشعوب الأجنبية التى سيلتقون بها خلال ترحالهم» (١)

ومن حقنا بعد ما قدمناه فى النقاط السابقة بشأن التقابل المقصود بين صفات موسى وصفات العبريين – من حقنا أن نضيف إلى الأسباب التى قدمها فرويد بشأن ختان العبريين سببا آخر وهو تحقيق التقابل بينهم وبين موسى – الأب البديل – المختون أصلا .

وفى النهاية نقول إنه أثناء قراء تنا للتفسير الذى قدمه فرويد بشأن ختان العبريين أسوة بالمصريين .. فلا شك أن فكرة «الشعب المختار» قد برزت أمامنا بكل وضوح .. وأن السبب الذى يكمن وراء هذه الفكرة هو رغبة العبريين فى التفوق على المصريين حتى لو كان ذلك عن طريق تقليدهم فى سمة تتعارض مع تعصبهم الشديد لجنسيتهم مما جعل اليهود حتى الآن يحرمون الزواج من خارجهم .. ولا شك أيضا أن هذه الرغبة الشديدة فى التفوق على المصريين تعزز رؤيتنا بأن فترة الأسر والاضطهاد التى قضاها العبريون فى مصر هى المحرك الشعورى أحيانا واللاشعورى غالبا . وراء ما ورد فى التوراة بصفة عامة وفى سفر الخروج بصفة خاصة .. وقد كان الختان من أهم وسائل التخلص من هذه العقدة التى تتمثل فى عار الأسر بمصر .. ويشهد على ذلك أن يشوع بعد أن ختن فى البرية الجيل الجديد من شعب الخروج الذى لم يختن مثل جيل آبائه الذين خرجوا من مصر – بعد أن فعل ذلك قال : «قد دحرجت عنكم عار مصر» (٢) .. وقد بلغت أهمية المعنى الذى يحمله هذا الفعل أن سمى تل القلف (٣) الذى تم فيه الختان «الجلجال» ومعناه التدحرج (٤) أى – حسب القول الذى ذكرناه ليشوع – مغناه التطهر من عار أو التخلص من عقدة الأسر . (ولعل هناك علاقة بين الجلجال وبين «الجُلْجل» مفرد «الجلاجل» وصوته «الجلجلة» وبين تعبير : فضيحة بجلاجل) .

ولا شك أن سيطرة عقدة الأسر بالدرجة التى أوضحناها تجعلنا لا نستغرب فكرة ربوبية «الشعب المختار» .. بل إن رغبة موسى – كما أشرنا سابقا – فى أن يجعل شعبه «أمة مقدسة» تعزز هذه الفكرة .. وإذا كان معنى ذلك أن فكرة الربوبية مصدرها موسى وليس «الشعب المختار» كما قلنا فإن هذا يرجع إلى سابق قولنا ببنوة العبريين لموسى وأبوته لهم وتبادل الأدوار بين (الأب) و (الإبن) فى الثالوث الذى بنينا عليه مبدأ تقابل صفات الاثنين .. فطبقا لهذا المبدأ نسبت التوراة فكرة ربوبية «الشعب المختار» إلى موسى بهدف تعزيزها وتأكيد الإعلاء من شأنها .

وبعد أن تناولنا موسى المصرى من وجهة نظرنا بالمقارنة بوجهة نظر «فرويد» فسوف ننتقل إلى موسى المَدْيَنى أو المديانى .

---

(١) «موسى والتوحيد» ( ص ٧٧ ، ٧٨)

(٢) «يشوع» (٥ : ٩)

(٣) القلفة أى الغرلة . والأقلف أى الذى لم يختن

(٤) حسب الهامش الخاص بالنص فى التوراة .

## موسى المدينى .. الأب الثانى للشعب المختار

يرتبط انتقال الشعب المختار من موسى المصرى إلى موسى المدينى بانتقاله من ديانة إلى أخرى .. وهذا يجعلنا نسأل عن سبب احتياجه إلى ديانة جديدة . وبديهى أن الإجابة عن هذا السؤال نجدها فى الفرق بين الديانتين : ديانة «آتون» وديانة «يهوه»

فديانة «آتون» كانت عاطفية قلبا وقالبا بعكس ديانة «يهوه» الباطش المنتقم بغير رحمة .. والرحمة صفة إنسانية فكانت ديانة «آتون» تضفى على الطبيعة السمة الإنسانية بعكس «يهوه» الذى يمثل ثورة الطبيعة بكل عنفها وجبروتها .. وباختصار فإن ديانة «آتون» جعلت من «إخناتون» صاحبها «رسولا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الإنسانية مثله فى ذلك مثل عيسى استقى دروسه من سوسن الحقل وطيور الهواء وسحب الماء» .. [1] فى حين أن ديانة «يهوه» جعلت من أصحابه رسلا يستقون دروسهم من مظاهر البراكين والزلازل وأعمدة النار وسحب الدخان .. فليس من المستغرب إذن أن يرفض اليهود عيسى عليه السلام كما رفض أجدادهم «إخناتون» وقد تعلموا منهم أهم درس فى تاريخهم وهو أن خلاصهم كان على يد «يهوه» الذى أغرق جيش الفرعون .

ولكنْ خلاص العبريين من الأسر كان أيضا على يد موسى الذى أعطاهم ديانة «إخناتون» ورغم ذلك أنتهى بهم الأمر برفض ديانة «آتون» واعتناق ديانة «يهوه» . وكذلك قتل موسى المصرى - حسب افتراض فرويد [2] .. واستبدال موسى المدينى به .

## تناقضات فى رؤية ‹فرويد› بوجود موسيين

سوف نساير رؤية فرويد فى كتابه «موسى والتوحيد» بوجود موسيين لنرى إلى ماذا تقودنا .

ونبدأ فنقول إن «آتون» ينتمى إلى ثقافة شمسية وإن «يهوه» ينتمى إلى ثقافة قمرية .. ولأن العبريين ينتمون أصلا إلى الثقافة القمرية التى ترجع إلى الإله «إيل» فمن الطبيعى أن يعودوا إلى هويتهم الدينية الأصلية بأن يعتنقوا ديانة «يهوه» الإلة القمرى [3] وبالتالى فمن الطبيعى أيضا أن يتخلوا عن موسى المصرى الذى ينتمى إلى الثقافة الشمسية أى (موسى الشمسى) وأن يستبدلوا به موسى المدينى الذى ينتمى إلى الثقافة القمرية أى (موسى القمرى) .

ولكن رغم منطقية التعليل الذى قدمناه بشأن (موسى الشمسى) و (موسى القمرى) إلا أنه يضعنا أمام تناقض يحتاج إلى تعليل . وذلك أن الشعب المختار بعودته إلى (موسى القمرى) قد

---

(١) «فجر الضمير» ( ص ٣١٩)

(٢) يستند فرويد فى ذلك إلى أنه «فى سنة ١٩٢٢ اكتشف إرنست سيللين اكتشافا له أهمية حاسمة إذ وجد فى سفر النبى هو شع آثارا لا تخطىء لرواية تفيد بأن موسس ديانتهم موسى قد صادف نهاية عنيفة فى تمرد شعبه العنيد المشاكس لأنهم كانوا قد هجروا الديانة التى أقامها» (موسى والتوحيد ص ٨٩) ويظن سيللين أن أرض شتين shittin شرقى الأردن هى التى يشار إليها بوصفها مسرح هذا الفعل العنيف (موسى والتوحيد ص ٩٠)

(٣) وفى هذا تعزيز لرؤيتنا التى أوضحنا فيها توافق الأحداث مع «يهوه» كإله قمرى وليس كإله بركانى

خان (موسى الشمسى) الذى كان له الفضل فى خروج العبريين من مصر .. ومن السهل أن نبرئهم من هذه الخيانة بقولنا إن (موسى الشمسى) يخص مصر وبالتالى يرتبط بعقدة الأسر بمصر ومن ثم كان عليهم التخلص منه كمعادل موضوعى للتخلص من عقدة الأسر .. ولكن هذا التعليل رغم أنه منطقى يضعنا أيضا أمام تناقض يحتاج هو الآخر إلى تعليل .. وذلك أن (موسى الشمسى) عندما أخرج العبريين من مصر قد فعل ذلك بمساعدة «يهوه» الذى يخص (موسى القمرى) .. فكأن خروجهم من مصر وكأن تخلصهم من عقدة الأسر قد تم على يدى الموسيين وكأن أيضا الموسيين قد صارا موسى واحدا رغم التناقض الذى يفرق بينهما .. بل ورغم قول «فرويد»: «إن موسى المصرى لم يحدث أن كان فى قادش أبدا وإنه لم يسمع أبدا باسم يهوه . بينما لم يضع موسى المديانى قدما فى مصر ولم يعرف شيئا عن آتون » [1] .

وهكذا تنتهى بنا رؤية «فرويد» بوجود موسيين إلى تناقضات تجعلنا فى طريق مسدود . ولكن هذا الطريق سينفتح أمامنا على ضوء نظرية «صدمة العرى» .

(١) «موسى والتوحيد» ( ص ٩٨ ) .

# الفصل السابع :

# نظرية « صدمة العرى »
# وحل تناقضات رؤية فرويد

## ■ عرض موجز لنظرية «صدمة العرى»

- ○ العلاقة بين الجنة والرحم
- ○ أوجه الخلاف مع نظرية «صدمة الولادة» عند أوتورانك
- ○ مفهوم العرى بالنسبة لخروج آدم من الجنة وخروج الجنين من الرحم
- ○ العرى كتجربة أولى شمولية يحتوى ما بعده من تجارب
- ○ الفرق بين العقل الاختيارى والعقل الجبرى . وبين الدين الاختيارى والدين الجبرى . وبين صفة مولود وصفة جنين
- ○ تفرد الإنسان بصفة مولود و «صدمة العرى الكونى»
- ○ نظرية «صدمة العرى» تخرج من محدودية ليبيدو الجنس لدى فرويد

## ■ (موسى الاختيار) + (موسى الجبر) = (الذات)

- ○ موسى المصرى يمثل ديانة «آتون» التى تتعلق بالعقل الاختيارى
- ○ موسى المدينى يمثل ديانة «يهوه» التى تتعلق بالعقل الجبرى
- ○ حتمية تخلى العبريين عن موسى المصرى من أجل موسى المدينى الذى يمثل هويتهم الأصلية وذلك طبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى
- ○ ما حدث فى الثالوث اليهودى بين الأب والإبن يؤكد حتمية غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى

## ■ الموازنة بين (الدين الإختيارى) و (الدين الجبرى)

- ○ تحقيق الموازنة عن طريق الثالوث اليهودى
- ○ مقابلة بين نشيد فى مدح «آتون» ومزمور فى مدح «يهوه»
- ○ الفرق بين مفهوم التوحيد عند «إخناتون» ومفهومه فى قانون الإيمان اليهودى
- ○ العقل الجبرى بين مذهب المثالية ومذهب المادية

## ■ العقل الجبرى والتسليم للخالق

- ○ طريق الخلاص من «صدمة العرى» العقلى والروحى

## عرض موجز لنظرية «صدمة العرى»

قد عرضت هذه النظرية فى كتابى «صدمة العرى» .. ومن الأفضل أن يكون القارىء قد أطلع عليه حيث أن هذه النظرية ستكون الأساس الذى ستستمر عليه رسالتنا .. وتحسبا لعدم معرفة البعض بهذه النظرية فسوف أحاول بقدر الإمكان تقديم موجز لها .

وإذا كنا قد بدأنا رسالتنا هذه بالعلاقة بين الانسان والشجرة .. وإذا كان ذلك قد قادنا إلى شجرة المعرفة .. فالواقع أن شجرة المعرفة هى التى قادتنى إلى نظرية «صدمة العرى» . ذلك أن آدم عندما تعامل مع الشجرة المحرمة فقد الجنة التى كان يعيش فيها ومن ثم فقد الأمن الذى كان يتمتع به بشأن الأبعاد الثلاثة - التى سبق أن ذكرناها - لشجرة المعرفة وهى :

١ - بعد الغذاء بعناصره الثلاثة : غذاء الجسد . غذاء العقل . غذاء الروح .

٢ - بعد الجنس

٣ - بعد الموت .

وقد جمعت بين الأمن الذى كان يعيشه آدم فى الجنة والأمن الذى يعيشه الجنين فى الرحم وبالتالى جمعت بين جنة آدم ورحم الأم .. وبالتالى أيضا جمعت بين خروج آدم من الجنة وخروج الجنين من الرحم وفقدان الإثنين للأمن ومن ثم رغبة الإنسان اللاشعورية - عن طريق البعد الجنسى لشجرة المعرفة - فى العودة إلى الرحم كبديل للعودة إلى الجنة .

وباعتبار أن الخروج من الجنة قد اقترن بالعرى (إدراك آدم وحواء لعريهما) وأن الخروج من الرحم يعنى التعرى منه .. وبفقدان الأمن فى كلا الخروجين فمعنى هذا اقتران العرى بفقدان الأمن .. ومن هنا جاء اسم نظرية «صدمة العرى» .

ولقد عارضت بنظرية «صدمة العرى» نظرية العالم النفسى «أوتورانك» (١) المسماة «صدمة الولادة» أو العطب الولادى "The Trauma of Birth" وفيها يرى رانك أن الجنين فى الرحم يعيش فى سلام مطلق ولذة لا حدود لها حيث يحصل على احتياجاته دون عناء حتى من مجرد طلبها .. فهو باختصار يعيش فى جنة وفجأة يطرد منها بالولادة التى يعتبرها رانك أقسى تجربة يمر بها الانسان فى حياته إلا أن عقله الباطن يتولى كبتها عن ذاكرته

وتتركز معارضتى لنظرية أوتورانك فى أنه يرى أن الولادة تمثل العطب الأول وأن فطام الرضاعة يمثل العطب الثانى .. حيث أرى أن هناك حدثا يسبق الفطام الرضاعى ويفوقه خطورة

---

(١) أوتورانك (١٨٨٤ - ١٩٣٩) محلل نفسى نمسوى من تلاميذ فرويد استخدم مفاهيم التحليل النفسى لتفسير الأساطير . اختلف مع فرويد فى تفسير العصاب ورد نشأته إلى «صدمة الولادة» من مؤلفاته : «أسطورة مولد بطل» و «صدمة الولادة» و «الفن والفنان»

وهو قطع الحبل السرى أو (الفطام السرى) .. بل وفى رأيى أيضا أن الفطام السرى يمثل عطبا أخطر من العطب الأصلى وهو «العطب الولادى» الذى بنى عليه رانك نظريته .. ذلك أن التعرى الفعلى من الرحم لا يقع إلا بقطع الحبل السرى الذى يحقق للجنين الأمن الغذائى .

وطبقا لعلاقة التماثل بين الرحم والجنة من حيث الأمن الغذائى فقد اعتبرت أن قطع الحبل السرى يقابل خروج آدم من الجنة وفقدانه الأمن الغذائى «بعرق وجهك تأكل خبزا» [(١)] .. ثم بعد هذا أوضحت العلاقة الرمزية بين الحبل السرى وأبعاد شجرة المعرفة فاتسع بذلك مضمونه من رمز لغذاء الجسد إلى رمز لعناصر الحياة الثلاثة وهى : الغذاء بأنواعه الثلاثة (غذاء الجسد وغذاء العقل وغذاء الروح) والجنس والموت ولكنى رغم ذلك لم أعتبر أن انقطاع الحبل السرى (الفطام السرى) هو السبب المباشر لحدوث «صدمة العرى» .. وقد أوضحت وجهة نظرى بشأن ذلك من خلال الجدول الآتى الذى يبين موقع العرى بالنسبة لما قبله وما بعده بخصوص خروج آدم وحواء من الجنة وخروج الجنين من الرحم :

| بالنسبة إلى آدم وحواء | بالنسبة إلى الجنين |
|---|---|
| ١ - أكل آدم وحواء من الشجرة<br>٢ - إدراك الإثنين لعريهما<br>٣ - صدور الأمر بطردهما من الجنة | ١ - الولادة<br>٢ - الإحساس بالعرى<br>٣ - قطع الحبل السرى |

وبمقارنة مضمون كل حدثين متقابلين خرجت بالآتى :

١ - نتج عن أكل آدم وحواء من الشجرة خروجهما من الجنة وينتج عن الولادة خروج الجنين من الرحم .. وفى كلتى الحالتين لا يوجد انفصال فعلى حيث لم يصدر بعد الأمر بطرد آدم وحواء من الجنة وحيث لم يقطع بعد الحبل السرى .

٢ - نتج عن أكل آدم وحواء من الشجرة إدراكهما لعريهما وينتج عن ولادة الجنين إحساسه بالعرى .. وفى كلتى الحالتين أيضا لا يوجد انفصال فعلى عن الجنة أو الرحم .

٣ - انفصل آدم وحواء عن الجنة بصدور الأمر بطردهما وينفصل الجنين عن الرحم بقطع الحبل السرى .

ورغم أن العرى فى كلتى الحالتين يأتى ترتيبه الثانى كما يأتى قبل الإنفصال الفعلى عن الجنة وعن الرحم .. إلا أننى رأيت أن رد فعل العرى أقوى من رد فعل الخروج من الجنة ومن

(١) «تكوين» (٣ : ١٩) وقد شرحت فى كتاب «صدمة العرى» لماذا اخترت قصة آدم وحواء فى التوراة بالذات محورا للنظرية .

الرحم بل وأقوى أيضا من رد فعل الإنفصال وذلك أن العرى هو أول تجربة غير عادية مر بها آدم وحواء ويمر بها الجنين لحظة ولادته بالإضافة إلى أنه - أى العرى - يدخل فى نطاق الإدراك المفاجىء (الصدمة) بعكس الإنفصال الذى يُدرك تدريجيا مع مرور الزمن .

ولكى أوضح مدى تأثير الإحساس المفاجىء بالعرى على الجنين لحظة ولادته أشرت إلى أن المقصود بالعرى ليس تجرد الجسد من الملابس وإنما المقصود هو التغير الفجائى لعالم الجنين داخل الرحم مثل : التغير الفجائى لدرجة الحرارة فى العالم الخارجى عنها فى داخل الرحم سواء بالزيادة أو النقص .. وايقاعات الأصوات المختلفة التى تصدم طبلة الأذن بعد الإيقاع المنتظم لضربات قلب الأم .. واحتكاك الهواء عند أول شهيق بالجدار الداخلى للأنف والقصبة الهوائية ولكى ندرك مدى تأثير كل ذلك وغيره على الجنين لحظة ولادته وتعريه من الرحم علينا أن نتخيل حيوانا بحريا أخرج من قوقعته أو سلحفاة نزع عنها درعها أو أرنبا سلخ جلده وهو حى . فهذه التشبيهات وما يماثلها تصور لنا صدمة تعرية الجنين من الرحم .

فالعرى كما صورته وبالإحساس الفجائى الذى أوضحته يكون تأثيره على الجنين أقوى من قطع الحبل السرى الذى يأتى بعده .. فالإنسان حين يمر بتجربة عنيفة فإن التجارب التى تليها تكون أقل عنفا بحكم الممارسة كما وأنها تضاف إليها بمعنى احتواء التجربة الأولى للتجارب التى تأتى بعدها .. فما البال والتجربة الأولى تتصف بالشمولية ؟ ذلك أن فقدان الحماية التى يتمتع بها الجنين داخل الرحم يشمل ضمنا فقدان الحماية الذى يتم خارج الرحم نتيجة الفطام السرى والفطام الرضاعى حيث أن الفطام السرى يتم تعويضه بالرضاعة والفطام الرضاعى يتم تعويضه بالغذاء العادى .

وبفقدان الأمن الذى يخص الرحم (والجنة) يتسع معناه من حسى إلى حسى ومعنوى إذ أن الحسيات تخص عالم الجنين فى الرحم (وآدم فى الجنة) بينما المعنويات تخص عالم المولود بعد خروج الجنين من الرحم (وخروج آدم من الجنة) . ذلك أن المعنويات تخص عقل المولود الذى يختلف عن عقل الجنين .. فالجنين يحكمه (العقل الجبرى) الذى وضعه الخالق عز وجل ليحكم توازن عناصر مادة الكون ومن ضمنها الجنين .. أما المولود فيحكمه عقلان : العقل الجبرى من حيث أنه جسد ينتمى إلى مادة الكون كما يحكمه أيضا (العقل الاختيارى) من حيث أنه صاحب عقل مميز قادر على الاختيار .

والفرق ين العقل الجبرى والعقل الاختيارى أن الأول يتعلق بالخير فقط والآخر يتعلق بالخير والشر .. فآدم عندما كان فى الجنة لم يكن يعرف إلا الخير فقط مثله مثل العقل الجبرى.. وعندما (أختار) التعامل مع شجرة معرفة الخير والشر عرف الشر بجانب الخير .. ولأن ذلك حدث نتيجة اختياره فهو يتعلق بالعقل الاختيارى الذى نشأ لحظة التعامل مع شجرة معرفة الخير والشر

.. والخير والشر يتعلقان بالأخلاق [1] والأخلاق تتعلق بالدين ومن ثم بالعقل الاختيارى وهو ما أسميته بـ (الدين الاختيارى) الذى يخير الإنسان بين الخير والشر .. وهو عكس (الدين الجبرى) نسبة إلى العقل الجبرى أى القانون الذى وضعه الخالق عز وجل لحفظ توازن عناصر خلقه [2] والذى لا علاقة له باختيار الإنسان بين الخير والشر حيث أنه خير فقط .

وعلى ذلك فإن (الدين الاختيارى) - سماويا كان أو وضعيا - يخص الإنسان فقط بينما (الدين الجبرى) أو دين الفطرة يخص جميع المخلوقات من جماد وأحياء بما فيها الإنسان .

ولأن معرفة الخير والشر لا تعنى معرفة الخير من الشر (عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) ولأن معرفة آدم للخير والشر اقترنت بإدراكه لعريه .. فمن هنا كان مضمون «صدمة العرى» بأنه عجز الإنسان عن معرفة الخير من الشر وهو ما يعنى عجز العقل الاختيارى أمام العقل الجبرى وبالتالى عجز الإنسان عن الاتصال بالكون .. وهو ما أسميته بـ «صدمة العرى الكونى» .

وصدمة العرى الكونى هى قدر الإنسان مقابل تميزه بالعقل الإختيارى أو بعبارة أخرى : مقابل تميزه بصفة مولود . ذلك أن كل ما فى الكون لا يخرج عن كونه (جنين) أو (رحم) وهو ما بينته فى الجدول الآتى :

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الإنســــــان | ← | مــولود بالنســبــة للأم | ← | جنين بالنســبــة للأرض |
| الأرض | ← | رحم بالنسـبــة للإنسـان | ← | جنين بالنســبــة للشــمس |
| الشــــمس | ← | رحم بالنســبــة للأرض | ← | جنين بالنســبــة للمــجـرة |
| المجــــــرة | ← | رحم بالنســبــة للشــمس | ← | جنين بالنســبــة للكون |
| الـــكـــون | ← | رحم بالنســبــة للمـجـرة | ← | جنين بالنسبة للرحم الكلى (مــعـــجــزة الخلق) . |

ونخرج من هذا الجدول بأن الإنسان رغم وجوده فى الكون إلا أنه خارج رحم الكون .. وأنه لكى يدخل رحم الكون يجب أن يتخلص من صفة (مولود) ويقتصر على صفة (جنين) حيث أن الرحم لا يقبل صفة (مولود) .. وبعبارة أخرى : أن الإنسان لكى يتخلص من «صدمة العرى» يجب أن يستسلم للعقل الجبرى .. وسواء شاء الإنسان هذا أو لم يشأ فهو محكوم بالعقل الجبرى حيث أنه القانون الذى يحكم عناصر الكون وحيث أن الإنسان أحد تلك العناصر .. وإنما القضية أن

(١) بينت فى مقدمة كتاب «صدمة العرى» توافق تاريخ بزوغ الأخلاق لدى البشرية (فى مصر) مع تاريخ خلق آدم حسب التوراة

(٢) «إنا كل شىء خلقناه بقدر» (سورة القمر ٤٩)

تميز الإنسان بـ (الذات) قد نتج عن إضافة عقله الاختيارى (الاستثنائى) إلى عقله الجبرى (الأصلى) وأن هذا التميز جعله يظن أن عقله الاختيارى - سبب تميزه - له الغلبة عي العقل الجبرى .. وبهذا انطبقت عليه الآية الكريمة «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولاً» (١) حيث نلاحظ أن الحديث عن السماوات والأرض والجبال قد جاء فى صيغة العاقل رغم أنها جماد «مما يعنى أن الجماد رغم عدم تميزه بعقل الإنسان قد تصرف دونه بتعقل .. وهو تعقل العقل الجبرى الذى يحكم جميع ظواهر الكون من جماد وأحياء بما فيها الإنسان وفى هذا دليل على شمولية العقل الجبرى وتفوقه على العقل الاختيارى» (٢) ودليل على جهل الإنسان الذى جعله يظلم نفسه حين حمل أمانة العقل الإختيارى على ظن أنه بهذا سيتفوق على العقل الجبرى أى على القانون الإلهى الذى يحكم جميع ظواهر الكون بما فيها الإنسان .

وهكذا تنتهى معارضتى لنظرية «أوتورانك» وهى «صدمة الولادة» بنظرية «صدمة العرى» إلى إتساع الرؤية من علاقة الإنسان برحم الأم إلى علاقته برحم الكون (وما تشمله هذه العلاقة من أبعاد شجرة المعرفة) حيث تتفتح فى علم النفس آفاق جديدة تحت عنوان جديد هو «علم النفس الكونى» حيث تتسع الرؤية من محدودية فردية طاقة ليبيدو الجنس لدى «فرويد» إلى الطاقة الأولية أو الحيوية لدى «يونج» (٣) التى تحيل فعالية اللاشعور الفردى إلى لا شعور جماعى يتكون من أنماط قديمة من النزعات والتصورات الموروثة مما يساعدنا على تفسير تاريخ الجماعات الإنسانية وبالتالى - بالنسبة لموضوعنا - تاريخ «الشعب المختار» من حيث تأثره بتلك الموروثات وأيضا من حيث ما أسميناه بطاقة الكينونة التى حولته من قبائل متفرقة إلى شعب له وطن .

وبعد أن أوجزت بقدر المستطاع عرض نظرية «صدمة العرى» لا يسعنى إلا أن استكمل ما سنحتاج إليه أثناء التطبيق - وإن كان الأفضل كما قلت الإطلاع عليها بتوسع فى كتابى المسمى باسمها - وعلي هذا نعود إلى رؤية «فرويد» بوجود موسيين التى أنتهت بنا إلى تناقضات جعلتنا فى طريق مسدود بشأن التعرف على نفسية «الشعب المختار» .. وقد قلنا إن هذا الطريق سينفتح أمامنا على ضوء نظرية «صدمة العرى» .

## (موسى الاختيار) + (موسى الجبر) = (الذات)

قلنا إن الإنسان يتميز على سائر المخلوقات بصفة (مولود) الذى يجمع بين العقل الاختيارى والعقل الجبرى . وسوف نطبق هذا على موسى المصرى وموسى المدينى لنرى ما الذى نخرج به :

(١) سورة الأحزاب (٧٢)

(٢) «صدمة العرى» (ص ٩٩)

(٣) كارل جوستاف يونج (١٨٧٥ - ١٩٦١) فيلسوف سويسرى وطبيب أمراض عقلية . أسس مدرسة علم النفس التحليلى بعد انفصاله عن فرويد ١٩١٣ ويرى أن الليبيدو طاقة أولية شبيهة بالوثبة الحيوية عند برجسون وأن وراء اللاشعور الفردى لا شعور جماعى يتكون من أنماط قديمة من النزاعات والتصورات الموروثة ( الموسوعة العربية الميسرة) .

١ - **موسى المصرى** : يمثل ديانة «آتون» وهى كما قلنا ديانة عاطفية قلبا وقالبا .. والعواطف تتعلق بالمشاعر [(١)] ومن ثم بالعقل الإختيارى .. وقلنا أيضا إن ديانة «آتون» تضفى على الطبيعة الطابع الإنسانى وهذه سمة تخص العقل الإختيارى الذى يوحى إلى الإنسان بخصوصية تميزه التى تجعله يعكس صورته على الكون بل وجعلته يوما يعتقد أنه محور الكون فظن أن الأرض التى يعيش عليها هى مركز الكون وأن الشمس تدور حولها وليس العكس .. كما جعلت «بروتاجوراس» يقول : « الإنسان مقياس كل شىء» [(٢)] .. وجدير بالذكر أن «فرويد» يصف موسى المصرى بقوله : «موسى الإنسان» [(٣)] .. وهو ما يعنى حسب رؤيتنا «موسى العقل الإختيارى» أو (موسى الإختيار) وهو ما يتفق وانتمائه إلى (الدين الإختيارى) .

٢ - **موسى المدينى** : يمثل ديانة «يهوه» الذى يمثل قوة الطبيعة ويحتقر بجانبها قوة الإنسان حيث نجد فى سفر النبى دانيال : «ملعون ذلك الرجل الذى يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه . ومبارك ذلك الرجل الذى يتكل على الرب» وواضح من هذا القول أننا بصدد إله يمثل العقل الجبرى وعلى هذا يمكننا أن نعيد صياغة ذلك القول فنجعله : «ملعون ذلك الرجل الذى يتكل على العقل الاختيارى (أى على تميز عقله) ومبارك ذلك الرجل الذى يتكل على العقل الجبرى» . وعلى هذا يمكننا أن نقول عن موسى المدينى إنه «موسى العقل الجبرى» أو (موسى الجبر) وهو ما يتفق وانتمائه إلى (الدين الجبرى)

وسبق وأوضحنا أن الذات توجد لدى الإنسان بعد ولادته أى بعد تحوله من صفة (جنين ) إلى صفة (مولود) حيث يضاف عقله الإختيارى إلى عقله الجبرى .. وبالجمع بين (موسى الإختيار) و (موسى الجبر) يتم الجمع بين شرطى صفة (مولود) أى شرطى وجود (الذات) .

وسبق وقلنا إن تميز الإنسان بـ (الذات) الذى نتج عن إضافة عقله الإختيارى (الإستثنائى) إلى عقله الجبرى (الأصلى) قد جعله يظن أن عقله الإختيارى - سبب تميزه - له الغلبة على العقل الجبرى .. وعندما نطبق هذا على العبريين منذ بدايتهم - أى فى المرحلة القبلية - نجد أنهم كانوا ينتمون دينيا إلى العقل الجبرى (الأصلى) المتمثل فى إله يقابل «يهوه» وهو الإله

---

(١) أوضحنا فى كتاب «صدمة العرى» كيف أن عقل الإنسان (الاختيارى) يتعلق بالمشاعر وأن عقل الكون (الجبرى) لا يتعلق بالمشاعر وضربنا أمثلة لحركة عناصر الطبيعة مثل ثورة البركان وبروز جزيرة فوق سطح البحر وسقوط المطر وقلنا إن الهدف من ذلك هو حفظ توازن الطبيعة بغض النظر عن مشاعرنا نحوه مثل الخوف من ثورة البركان والفرح لوجود الجزيرة والرضا بشأن المطر حين يسقى زرعنا والنقمة عليه حين يهدم سقف بيتنا

(٢) بروتاجوراس : سفسطائى يونانى (ح ٤٨٠ - ٤١٠ ق م) ومقولته هذه تعنى أن الحق نسبى يختلف باختلاف الأفراد وهى سمة ذاتية تخص العقل الاختيارى بعكس الموضوعية التى تخص العقل الجبرى .

وبمناسبة مقولة بروتاجوراس تناولنا فى كتاب «صدمة العرى» (ص ١٥٧ وما بعدها) مدى صحة مقولة إخوان الصفا «الإنسان كون صغير والكون إنسان كبير» وأثبتنا أنها صحيحة من حيث العقل الجبرى وغير صحيحة من حيث العقل الاختيارى الذى يفصل الإنسان عن الكون بعكس العقل الجبرى

(٣) «موسى والتوحيد» (ص ٩٧)

القمرى «إيل» [1] .. ثم نجد أن طاقة الكينونة دفعتهم إلى التحول من قبيلة إلى شعب وهو ما يعنى تحقيق (الذات) .. وشرط تحقيق الذات – كما قلنا – هو العقل الإختيارى وقد تحقق هذا الشرط باعتناقهم ديانة «آتون» على يد (موسى الإختيار) ثم لغلبة العقل الجبرى (الأصلى) على العقل الإختيارى (الاستثنائى) كان حتما عليهم أن يعودوا إلى الديانة القمرية التى يمثلها هذه المرة الإله «يهوه» وذلك على يد (موسى الجبر) .

ومما يؤكد غلبة العقل الجبرى على العقل الإختيارى أن العبريين عندما اعتنقوا ديانة «آتون» (الدين الإختيارى) على يد (موسى الإختيار) أضفوا عليه هويتهم – كما سبق أن بينا – بتحويل صفاته إلى ما يقابل صفاتهم وقد كانت هذه الصفات تخصهم وهم فى مرحلة (الدين الجبرى) .. وقد قلنا إنهم فعلوا ذلك بمزيج من اللاشعور من الناحية النفسية والشعور من الناحية الدينية إذ تمت محاكاة ما يحدث فى الثالوث حيث يحقق (الإبن) كينونته عن طريق الأب .. وقلنا أيضا فى تشبيهنا للعبريين بالطفل اليتيم أنهم بدلا من أن يختاروا أبا بديلا اختاروا أبين هما موسى المصرى وموسى المدينى .. وعندما نتأمل الثالوث اليهودى المكون من (الأب) «إيل» و (الأم) «إناث ياهو» و (الإبن) «يهوه» نجد أن (الأب) و (الأبن) إلهان قمريان يمثلان العقل الجبرى .. ويتبادل الأدوار والصفات بينهما يصبح الإبن أبا مثل «إيل» .. وبمقابلة هذين الأبين (الجبريين) بالأبين (موسى الإختيار) و (موسى الجبر) .. وطبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى (الأصلى) على العقل الإختيارى (الاستثنائى) تتأكد لنا النتيجة التى سبق أن توصلنا إليها وهى حتمية عودة العبريين إلى ديانتهم الأصلية وهى الديانة القمرية الجبرية وبالتالى حتمية تخليهم عن موسى المصرى ممثل (الدين الإختيارى) وانتقالهم إلى موسى المدينى ممثل (الدين الجبرى) .

## الموازنة بين (الدين الإختيارى) و (الدين الجبرى)

إنتهينا إلى حتمية غلبة (موسى الجبر) على (موسى الإختيار) طبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الإختيارى .. ولكن هذا معناه نفى فعالية العقل الإختيارى كشرط لتحقيق (الذات) وبالتالى معناه الحيلولة دون تحقيق هدف العبريين وهو تحولهم من قبيلة إلى شعب . ولكن كما أن الثالوث اليهودى يحمل هذا المعنى الذى يتضمن هذه المشكلة فهو أيضا يحمل المعنى العكسى الذى يتضمن علاج المشكلة .

والعلاج المقصود يكمن فى (الأم) «إناث ياهو» فى الثالوث اليهودى حيث أن «إلهة الخصب فى البلاد الكنعانية التى استطونها الإسرائيليون كانت تدعى إناث» [2] وحيث أن « العناصر

(١) الواقع أن كل الآلهة التى تتمثل فى عناصر الطبيعة تنتمى إلى العقل الجبرى باستثناء إله الشمس «رع» بعد تحوله إلى إله أخلاقى ينتمى إلى العقل الاختيارى

(٢) «الأسطورة والتراث» (ص ١٤٠)

الثقافية الكنعانية التى أثرت فى اليهود الغزاة تعود بدورها إلى أصول مصرية» [1] أى إلى ثقافة زراعية (شمسية) تخص (موسى الإختيار) .. كما وأنه عندما نعود إلى جنور الثالوث اليهودى نجد ثالوثا يمثل فيه «إل» (القمر) دور (الأب) وتمثل فيه «إلات» (الشمس) دور (الأم) .. «وعندما نرحل شمالا من جزيرة العرب – عبر بادية الشام – نحو الهلال لخصيب .. العراق وسوريا ولبنان وفلسطين القديمة» [2] نجد أن «إل» تحول إلى «إيل» وأن «إلات» تحولت إلى «إيلات» كما نجد أن زوجها «إيل» الذى عرفناه قبلا إلها للقمر قد حظى فى تلك الربوع الخضراء بالتمجيد» [3]

ونخرج من ذلك الماضى للثالوث اليهودى بأنه يجمع فى الأصل من حيث (الأب) «إيل» و (الأم) «إناث ياهو» بين الثقافة القمرية (البدوية) والثقافة الشمسية (الزراعية) أى بين ثقافة (موسى الجبر) وثقافة (موسى الإختيار) .. ولأن هذا الجمع بين كفتى الجبر والإختيار يرجح الكفة الأولى على الأخرى – بحكم غلبة العقل الجبرى على العقل الإختيارى – ومن ثم ينفى فعالية العقل الإختيارى كشرط لتحقيق (الذات) وبالتالى يحول دون تحقيق هدف العبريين وهو التحول من قبيلة إلى شعب .. فقد تمت الموازنة بين الكفتين عن طريق التمجيد الذى حظى به «إيل» فى (الربوع الخضراء) وهو ما يعنى استمالته نحو الثقافة الشمسية (الزراعية) أى ثقافة (موسى الإختيار) .. وبهذا تعادلت كفة العقل الجبرى مع كفة العقل الإختيارى شرط تحقيق (الذات) .

والواقع أن هذه الموازنة التى تمت فى الثالوث اليهودى بين (الأب) «إيل» و (الأم) «إناث ياهو» نجدها فى «إناث ياهو» ذاتها حيث أن المقطع الأول «إناث» ترجع جنوره – كما أوضحنا – إلى الثقافة الشمسية وحيث أن المقطع الثانى «ياهو» يمثل إحدى تنغيمات اسم «يهوه» الذى يمثل الثقافة القمرية .

وتعزيزا لما ذهبنا إليه بشأن الموازنة بين العقل الإختيارى والعقل الجبرى أو بين (الدين الإختيارى) و (الدين الجبرى) أو بين ديانة «آتون» وديانة «يهوه» .. نسجل ما أورده د . عبد المنعم الحفنى فى هامش ترجمته لكتاب «موسى والتوحيد» (ص ٦٢) بشأن التشابه بين نشيد «إخناتون» فى مدح «آتون» وبين المزمور (١٠٤) من مزامير داود فى مدح «يهوه» .

---

(١) «الأسطورة والتراث» (ص ١٥١)

(٢) «الأسطورة والتراث» (ص ١٣٠) .

(٣) «الأسطورة والتراث» (ص ١٣٠)

| المزمور (١٠٤) | نشيد «إخناتون» |
|---|---|
| تجعل ظلمة فيصير ليلا . | وعندما تغرب فى الأفق الغربى وتظلم الأرض كالموت . |
| فيه يدب كل حيوان الوعر الأشبال تزمجر لتخطف | ويخرج كل أسد من عرينه وكل ما يزحف ويلدغ . |
| تشرق الشمس فتجتمع وفى مأويها تربض . | وعندما يطلع النهار وتشرق فى الأفق تسوق الظلام بعيدا . |
| الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء . | يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم . |
| | جميع من فى الكون يعملون عملهم . |
| ما أعظم أعمالك يارب . | ما أكثر أعمالك . |
| كلها بحكمة صنعت . | إنها تخفى عن نظر الإنسان . |
| ملآنة الأرض من غناك . | أيها الإله الأوحد الذى لا مثيل له . لقد خلقت الأرض حسب مشيئتك . |

ونلاحظ أن التقابل فى هذين النصين يعزز ما سبق أن تناولناه من خلط فى التوراة بين الله كما نعرفه وبين (الله) التوراتى ذلك أن «إخناتون» قد «عبد الشمس ليس بوصفها موضوعا ماديا ولكن كرمز لكائن إلهى تتكشف طاقاته فى شعاعاتها»[1] . وهذه الرمزية المبنية على التجريد هى التى أوصلته إلى فكرة التوحيد وجعلته يسجل فى أناشيده صيغا تنفى التعددية وأبلغها قوله : «أنت أيها الإله الواحد لا إله إلا أنت»[2] .. وهذا القول التوحيدى الصرف نجد مثيله فى قانون الإيمان اليهودى بالإله «يهوه» وهو : «لويهى لك إلوهيم أحريم» ويعنى محرم عليك الإيمان بغيرى أو على الأصح لا إله إلا الله»[3] .. ولكن شتان بين توجيه هذا القول إلى الإله «آتون» الذى إقترب مفهومه الرمزى المجرد من مفهوم الخالق الأحد وبين توجيهه إلى الإله «يهوه» أحد عناصر الكون .. فهنا تقابل يساوى ما بين مذهب المثالية الذى يعنى وجود خالق للكون ومذهب المادية الذى يجعل المادة أصلا للكون .

---

(١) «موسى والتوحيد» (ص ٦٢ ، ٦٣) ويرى إيرمان فى صيغة تمجيد الإله عن طريق قرص الشمس أن «هناك كلمات يقصد بها التعبير فى شكل مجرد عن واقعة أن الكوكب نفسه لم يكن محل عبادة ولكنه الكائن الذى يظهر ذاته فى الكوكب» (نفس المصدر ص ٦٣)

(٢) «موسى والتوحيد» (ص ٦٣)

(٣) «الأسطورة والتراث» (ص ١٣٦ ، ١٣٧)

وقد حدث ذلك نتيجة الجمع بين العقل الإختيارى المتمثل فى ديانة «آتون» حيث مذهب المثالية وبين العقل الجبرى المتمثل فى ديانة «يهوه» حيث مذهب المادية .. وطبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الإختيارى نُسبت إلى «يهوه» صفة «آتون» كخالق للكون وأصبح بذلك الخالق والمخلوق معا .. ولكن هذا معناه أن مبدأ غلبة العقل الجبرى الذى سلمنا له فى نظرية «صدمة العرى» يؤدى إلى مذهب المادية حيث إنكار وجود الخالق .. وهنا نتوقف لنوضح أن الأمر عكس ذلك تماما .

## العقل الجبرى والتسليم للخالق

كما قلنا فإن العقل الجبرى هو القانون الذى وضعه الخالق لحفظ توازن الكون .. والخالق خير مطلق ومن ثم فقانونه أيضا خير مطلق .. وكذلك العقل الإختيارى حيث أنه هبة من الخالق ميز بها الإنسان .. والمقصود بالتميز هو الإمتحان حيث يختار الإنسان بين الخير والشر ومن هنا كان تعلق العقل الإختيارى بالخير والشر .. ولأن الإنسان عاجز عن معرفة الخير من الشر فالمطلوب منه لكى ينجح فى الإمتحان أن يقتدى بالعقل الجبرى الذى يتعلق بالخير فقط وذلك عملا بقوله تعالى : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» [(١)] .. فالآيات هنا حسب مفهومنا تخص قانون العقل الجبرى (الخيِّر) الذى وضعه الخالق لخلقه فمن يقتدى به يصل إلى الخير [(٢)] .. وهذا ما نعنيه بمبدأ غلبة العقل الجبرى حيث أن التسليم بهذا المبدأ هو العلاج لعجز الإنسان عن معرفة الخير من الشر ومن ثم الخلاص من «صدمة العرى» العقلى أو المعرفى – نسبة إلى المعرفة – والخلاص أيضا من «صدمة العرى» الروحى .. ومعنى هذا أن التسليم بمبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الإختيارى هو الطريق إلى التسليم التام للخالق .

---

(١) «سورة فصلت» (من الآية ٥٣)

(٢) بينا فى كتاب «صدمة العرى» (ص ٢٣٠ – ٢٤٩) كيفية الاقتداء بالعقل الجبرى من خلال مفهومنا للجمال وعلاقته بالأداء الوظيفى لعناصر الكون

# الفصل الثامن :

# تضخم ذات «الشعب المختار»

## ■ تضخم ذات «الشعب المختار» وموقفه من الخالق

- ○ الذات تحول العقل الجبرى إلى مفعول به . وتضخم الذات يجعلها تتعدى إلى الفاعل الاصلى
- ○ أستقلالية الذات تعوقها عن الوصول إلى الذات العليا

## ■ تأليه ذات «الشعب المختار» على حساب «يهوه»

- ○ ( العقل الجبرى = الفطرة )
- ○ عودة إلى ثنائية الثالوث اليهودى وعلاقته بلقبى (الرب) و (الرب الإله)
- ○ مسألة وجود «يهوه» فى «إناث ياهو»
- ○ تحليل ربوبية وتضخم ذات الشعب المختار .

## ■ دوافع سلب ذات «يهوه»

- ○ رغبة العبريين فى الخلاص من الأسر
- ○ نفى الفرعون الذى حكم على العبريين بالأسر
- ○ تعويض ضعف العبريين أمام المصريين
- ○ تبرئه الشعب المختار من خيانته لموسى المصرى
- ○ مسألة (عكس) – وليس (دمج) – ديانة «آتون» على ديانة «يهوه»
- ○ نشوء وتطور الذات
- ○ نفى «يهوه» رغم الاعتراف به ذاتا إلهية

## ■ (تحريم إسم «يهوه» = نفى الإله)

- ○ ( تحريم الإسم = نفى صاحبه )
- ○ ( موقف كهنة «آمون» ضد «إخناتون» = موقف الشعب المختار ضد «يهوه» )

## ■ من ثنائية الشعب المختار إلى ثنائية التلمود

- ○ الفرق بين تبعية الشعب المختار لديانة «آمون» وتبعيته لديانة «يهوه»
- ○ المصريون القدماء كانوا يتبعون آلهتهم والشعب المختار يجعل ألهته تابعة له
- ○ الشعب المختار نفى الإله وجعل نفسه التابع والمتبوع معا
- ○ الشعب المختار خرج عن مبدأ غلبة العقل الجبرى
- ○ الشعب المختار يجمع بين التوحيد والتثنية ويحول «يد الله» إلى «يدا الله»
- ○ الشعب المختار يعتبر أنه خليفة الله على الأرض وأن له حق التدخل فى صياغة القانون الإلهى
- ○ التلمود وليد الثنائية
- ○ الشعب المختار رفع التلمود إلى مستوى التوراة

## تضخم ذات «الشعب المختار» وموقفه من الخالق

بعد أن أوضحنا في الفصل السابق كيف يكون مبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الإختيارى وسيلة للتسليم للخالق سنوضح لماذا كان - كما رأينا - وسيلة لإنكار الخالق .

فكما قلنا فإن مضمون «صدمة العرى» هو انفصال الإنسان عن الكون نتيجة انفصال عقله الإختيارى عن العقل الجبرى .. وإن الخلاص من «صدمة العرى» يستدعى تسليم العقل الإختيارى للعقل الجبرى .. وهذا معناه نفى (الذات) التى شرط وجودها العقل الإختيارى .. فالذات إذن هى الفاعل لفعل «صدمة العرى» والمفعول به هو الإنسان الذى يجمع بين عقله الإختيارى والعقل الجبرى .. أى أن الذات تجعل العقل الجبرى مفعولا به بينما هو أصلا فاعل بحكم غلبته على العقل الإختيارى شرط تحقيق الذات .

والخلاصة أن الذات بحكم طبيعتها الاستقلالية تعكس وضعها أمام العقل الجبرى فتجعل نفسها فاعلا وتجعله مفعولا به .. ولأن شرط الوصول إلى الخالق هو فناء الذات فى الذات العليا ولأن طبيعة الذات الاستقلالية تعوق ذلك فمن هنا يحدث إنكار الخالق .

وقبل أن يفزع القارىء من هذه النتيجة نقول إن هذا يحدث فى حالة تضخم الذات وبالتالى تضخم طبيعتها الاستقلالية .. وهذا يقودنا إلى فكرة «الشعب المختار» التى تكشف عن إحساسه بتميز ذاته عن ذوات سائر الشعوب والتى جعلته يبالغ فى الاستقلالية ويعزل نفسه عن بقية شعوب العالم بتحريم التزاوج معها .

ولكن رغم ذلك فالشعب المختار لا ينكر الخالق وإن كان يخلط فى التوراة - كما رأينا - بين الله كما نعرفه وبين (الرب) و (الرب الإله) .. وقد حدث ذلك للأسباب التى بيناها والتى نلخصها فى كون الفرق بين الذات العادية والذات المتضخمة هو أن الذات العادية تحول العقل الجبرى من فاعل إلى مفعول به بينما الذات المتضخمة تمتد إلى الفاعل الأصلى واضع قانون العقل الجبرى .. ولأن الذات العادية رغم تمردها على العقل الجبرى تؤمن بالفطرة بوجود الفاعل الأصلى ولأن الفطرة سابقة على الذات وبالتالى متأصلة فيها فإن تضخم الذات لا ينفى فعالية الفطرة وكل ما فى الأمر أن الذات ترضى تضخمها (غرورها) داخل حدود الموازنة بين العقل الاختيارى الذى يخصها والعقل الجبرى المتمردة عليه .

## تأليه ذات «الشعب المختار» على حساب «يهوه»

قولنا السابق بأن الفطرة سابقة على الذات لا يختلف عن قولنا بأن العقل الجبرى سابق على العقل الاختيارى .. ومعنى هذا أن الفطرة تتعلق بالعقل الجبرى أو هى العقل الجبرى من حيث الغلبة مثله على العقل الاختيارى وبالتالى على الذات .. وعلى هذا نعيد صياغة النتيجة السابقة واضعين (الفطرة) مكان (العقل الجبرى) فنقول إن الذات ترضى تضخمها (غرورها)

داخل حدود الموازنة بين العقل الاختيارى الذى يخصها والفطرة المتمردة عليها .. وهو ما حدث - كما رأينا - فى موازنة الشعب المختار بين ديانة «آتون» وديانة «يهوه» عن طريق إضفاء صفات الأول على الآخر أى إضفاء صفات العقل الاختيارى على العقل الجبرى أى الفطرة .

ولكن نظرا لانفصال العقل الاختيارى عن العقل الجبرى فقد كانت هذه الموازنة بين الطرفين بمثابة التعددية الثنائية التى مر بها الشعب المختار من تعددية الكثرة إلى التوحيد .. وفى هذا تعزيز لوجهة نظرنا عندما عارضنا د . سيد القمنى بشأن تعبير (الرب الإله) حيث يرى أنه يوحى بوجود رب إله وأرباب أقل شأنا .. بينما نرى أنه يوحى بوجود (رب) فقط ورب أعلى شأنا هو (الرب الإله) .. وكما أوضحنا سابقا فقد بنينا رأينا هذا على أساس أن الثالوث هو مرحلة وسطى بين تعدد الآلهة والتوحيد حيث تتناقص تلك الآلهة إلى إلهين أو ثلاثة وأن وجود الثالوث فى تلك المرحلة يعنى التخلص من تعددية الكثرة والاتجاه نحو التوحيد .. وكما سبق أن بينا فإن الثالوث اليهودى المكون من (الأب) «إيل» و (الأم) «إناث ياهو» و (الإبن) «يهوه» هو فى حقيقته مثنى إذ أن «إيل» و «يهوه» إلهان قمريان أى إله واحد وبهذا ينقص من الثالوث ضلع ويبقى ضلعان هما (الأم) «إناث ياهو» و (الإبن) «يهوه» الذى احتل مكان (الأب) «إيل» .. فتحول الثالوث إلى ثنائى يعزز رأينا بشأن (الرب) و (الرب الإله) كما يعزز ما ذهبنا إليه بشأن الموازنة بين «آتون» و «يهوه» حيث يقابل «آتون» المتعلق بالثقافة الشمسية «إناث» فى «إناث ياهو» التى أثبتنا تعلقها بالثقافة الشمسية .. وحيث يقابل «يهوه» المتعلق بالثقافة القمرية «يهوه» .

ولكننا نلاحظ أن «يهوه» موجود فى الثالوث اليهودى مرتين حتى بعد تحوله إلى ثنائى .. فهو موجود مرة فى ضلع (الإبن) ومرة أخرى فى ضلع (الأم) «إناث ياهو» حيث أن «ياهو» أحد مسميات «يهوه» .. وهنا يستوقفنا أن «إناث» تتعلق بالثقافة الشمسية أى ثقافة مصر التى أسرت العبريين .. وهو أمر يحتاج إلى تعليل .

والواقع أن لدينا تعليلين يرجعان كليهما إلى عقدة الأسر : التعليل الأول يرجع إلى مبدأ قلب الأوضاع الذى كثيرا ما يلجأ إليه الشعب المختار كما سنرى فيما بعد .. وطبقا لهذا المبدأ فإن نسبة «إناث» إلى «ياهو» فى «إناث ياهو» يعكس واقع أسر المصريين للعبريين فيجعلهم فأسورين لديه .. والتعليل الثانى هو أن تضخم الذات الذى واجه به الشعب المختار عقدة الأسر يحتاج أصلا إلى وجود ذات .. ولأن شرط تحقيق الذات هو العقل الاختيارى الذى يتعلق بالثقافة الشمسية التى تمثلها «إناث» فمن هنا كان دمج «يهوه» مع «إناث» فى «إناث ياهو» .

ولأن موضوعنا هو تضخم ذات الشعب المختار فسوف نبين كيف تم هذا .. وذلك باعتبار أن ديانة «آتون» تخص «إناث» .

فطبقا لما سبق أن قدمناه بشأن التقابل بين ثنائى (الرب) و (الرب الإله) وثنائى «آتون» و «يهوه» .. فإنه يمكننا القول بأن (الرب) = «آتون» وبأن (الرب الإله) = «يهوه» .. وعلى هذا نخرج بالآتى :

«آتون» = العقل الاختيارى (بحكم انتمائه إلى الثقافة الشمسية) .

«يهوه» = العقل الجبرى (بحكم انتمائه إلى الثقافة القمرية)

وبما أن «آتون» = (الرب) إذن (الرب) = العقل الاختيارى

وبما أن «يهوه» = (الرب الإله) إذن (الرب الإله) = العقل الجبرى

وبما أن (الذات) = العقل الاختيارى + العقل الجبرى

إذن (الذات) = (الرب) + (الرب الإله) .

وبما أن (الرب) موجود مرتين : مرة فى (الرب) ومرة فى (الرب الإله) .

إذن (الذات) = (العقل الاختيارى × ٢) + العقل الجبرى = تضخم الذات .

وهكذا نكون قد توصلنا عن طريق «إناث ياهو» إلى تضخم الذات لدى الشعب المختار .. وإلى أن التضخم قد نتج عن مضاعفة (الرب) بعد أن أضيف إليه الرب الموجود فى (الرب الإله) الذى أصبح بذلك (الإله) فقط .. وينتج عن ذلك :

أن العقل الجبرى بعد أن كان = (الرب الإله) أصبح = (الإله) .

وأن «يهوه» بعد أن كان = (الرب الإله) أصبح = (الإله)

وبالعودة إلى ما توصلنا إليه من أن (الرب) = العقل الاختيارى شرط تحقيق الذات .. فإن حرمان «يهوه» من (الرب) يجعله عديم الذات .. ومعنى هذا أن تضخم ذات الشعب المختار الذى بناه على أساس «يهوه» هو مجرد وهم .. وفى هذا تفسير لما سبق أن توصلنا إليه من أن لقب (الرب) دخيل على «يهوه» (راجع الفقرة ٣ ص ٦١) .

ونخرج مما سبق بحيرة الشعب المختار بين أن يكون لـ «يهوه» ذات أو لا يكون .. إذ أن الوضع الأول يجعل من تضخم ذاته - أى ذات الشعب المختار - وهما والوضع الثانى يحرمه أصلا من الذات .. ولأن تضخم الذات حتى لو كان وهما يتعلق بمواجهة عقدة الأسر فقد لجأ الشعب المختار إلى حل القضية بأن حول تضخم الذات لديه إلى تأليه الذات .. وكان ذلك على حساب ذات «يهوه» .

## دوافع سلب ذات «يهوه»

سبق أن قادنا بحثنا لمسألة (الرب) و (الرب الإله) إلى أن لقب (الرب) يرمز للعبريين فى مصر ولقب (الرب الإله) يرمز للفرعون .. وكذلك سبق أن انتهينا إلى أن لقب (الرب) يرمز للذات ولقب (الرب الإله) يرمز لـ «يهوه» .. وعلى هذا سنبين دوافع سلب (الرب) من (الرب الإله) باعتباره الفرعون على أنه ينطبق على سلب (الرب) من (الرب الإله) باعتباره «يهوه» :

١ - رغبة العبريين فى الخلاص من الأسر عن طريق الانفصال عن حكم الفرعون .. فباعتبار أن (الرب) يمثلهم وأن (الرب الإله) يمثل الفرعون فإن سلب (الرب) من (الرب الإله) يعنى انفصالهم عنه .

٢ - الوجه الآخر لرغبة العبريين فى الخلاص من الأسر وهو نفى الفرعون عن طريق نفى ذاته حيث أن (الرب) = (العقل الاختيارى) شرط تحقيق الذات .. وهى هنا ذات ملكية ومن ثم فإن نفيها يعنى نفى الفرعون كملك وبهذا تنتفى حاكميته التى تمكنه من أسر العبريين .

٣ - إدراك العبريين (الشعورى) لسبب ضعفهم الذى أدى إلى أسرهم وهو أن المصريين شعب وهم مجرد قبيلة .. وقد حاولوا أن يتغلبوا على ضعفهم هذا عن طريق الحل الدينى (اللاشعورى) وهو الربوبية .. فباعتبار أن صفة (شعب) تعنى تحقيق الذات وأن ذات الفرعون تمثل ذات شعبه فقد جردوا لقبه (الرب الإله) من لقب (الرب) الذى يمثل العقل الاختيارى شرط تحقيق الذات وبهذا جردوا المصريين من صفة (شعب) أى من ذاتهم ونسبوها إلى أنفسهم .

٤ - بقوة الحل الدينى (اللاشعورى) انتقل العبريون إلى الحل الدنيوى (الشعورى) وهو الخلاص من الأسر بالخروج من مصر .. ولكن بسبب ادراكهم (الشعورى) بضعفهم ظلوا متمسكين بالدافع الدينى (اللاشعورى) وهو فكرة الربوبية التى تنتج عنها أعراض تضخم الذات الذى سيظل يحكم تصرفاتهم كما سنرى .

٥ - الخروج من مصر بقيادة موسى العسكرية ثم إغراق جيش الفرعون بقيادة «يهوه» المعجزية .. فبانتماء موسى إلى (الدين الاختيارى) فهو يمثل العقل الاختيارى ورمزه (الرب) .. وبانتماء «يهوه» إلى (الدين الجبرى) فهو يمثل العقل الجبرى ورمزه (الإله) .. واجتماع الإثنين معا يمثل (الرب الإله) .. ولأن (الرب الإله) هو لقب الفرعون المتسبب فى عقدة الأسر لدى العبريين فقد عكسوا رفضهم له على (الرب الإله) الذى يخص (موسى و «يهوه») فسلبوا منه (الرب) فأصبح (الإله) فقط أى «يهوه» فقط .. وفى هذا تفسير جديد لحتمية تخليهم عن موسى المصرى التابع للفرعون وانتقالهم إلى موسى المدينى التابع لـ «يهوه» .. وهى حتمية مبنية على أساس منطقى يبرىء العبريين من تهمة خيانة القائد العسكرى للخروج وذلك أن الخيانة تتعلق بالأخلاق ومن ثم بالعقل الاختيارى المتمثل فى موسى المصرى والواقع تحت غلبة العقل الجبرى المتمثل فى «يهوه» .. وبهذا يكون العبريون قد ألقوا على «يهوه» تبعة تخليهم عن موسى المصرى وبالتالى تبعة استبعاد (الرب) من (الرب الإله) وهو ما نتج عنه تضخم الذات .. فكأن «يهوه» قد تخلى عن ذاته طواعية من أجل تضخم ذات «الشعب المختار» .

٦ - استعداد العبريين بعد الخروج لدخول أرض كنعان لتحقيق هدفهم المنشود بالتحول من قبيلة إلى شعب له وطن وهو ما يعنى تحقيق الذات .. ولأن العقل الاختيارى هو شرط تحقيق الذات ولأن العبريين تخلوا عن هذا الشرط بتخليهم عن موسى المصرى صاحب (الدين الاختيارى)

دين «آتون» فقد عالجوا الأمر بأن عكسوا ديانته على ديانة «يهوه» وبالتالى عاد لقب (الرب الإله) كما كان .. وقد يقال إن العبريين بإعادتهم لقب (الرب) الذى يمثلهم إلى (الإله) فقدوا خاصية «الشعب المختار» وهى تضخم الذات .. وردنا على ذلك أننا قلنا (عكسوا) ديانة «آتون» على ديانة «يهوه» ولم نقل (أدمجوا) ديانة «آتون» فى ديانة «يهوه» .. وذلك - كما قلنا سابقا - أن الانسان فى علاقته الانفصالية بالكون (العقل الجبرى) يعكس عليه نفسه عن طريق العقل الاختيارى [١] .. ومن هنا فإن إعادة (الرب) رمز الشعب المختارر إلى (الإله) تخدم تضخم الذات عن طريق إعلاء (الرب) إلى المستوى الإلهى وهو ما يعنى ألوهية «الشعب المختار» بدلا من ربوبيته .. وذلك على حساب ذات «يهوه» كما سبق أن بينا .

★★★

وهنا نشير إلى أننا نستخدم لقب (الرب) أحيانا كرمز للشعب المختار وأحيانا أخرى كرمز لـ (الذات) مما يتعارض مع انعدام الذات لدى الشعب المختار حيث أنه لم يتحول بعد من قبيلة إلى شعب .. وتعليلنا لذلك أن (انعدام الذات) تعبير نسبى بمعنى أن الذات تخضع للنشوء والتطور بحكم ارتباطها بنشأة وتطور العقل الاختيارى [٢] .. وبالتالى فإن أى جماعة بشرية مهما بلغت بدائيتها لديها ذات تلائم درجتها فى سلم التطور .. وعلى هذا فإن تضخم الذات لدى الشعب المختار حدث بالتدريج أثناء إلحاق ذاته بذات (الإله) حتى أنتهى الأمر برفع ربوبيته إلى مستوى الألوهية .. وما نعنيه هو أن ذات الشعب المختار فى مرحلته القبلية كانت بدائية وأن تضخم ذاته حدث بناء على ربوبيته وليس العكس .. أى حدث نتيجة إعلاء ذاته المتنامية عن طريق إلحاقها بذات (الإله) الجاهزة .

وبناء على ما سبق نقول إنه إذا كانت مظاهر عكس ديانة «آتون» (الدين الاختيارى) على ديانة «يهوه» (الدين الجبرى) قد ظهرت فى مزامير داود أى فى عهد مملكة داود حيث تحول الشعب المختار إلى شعب بالفعل .. فإن ما حدث قبل ذلك يعد نقطة البداية وهو نزول الوصايا العشر فى عهد موسى المصرى بعد الخروج .. وما نعنيه هو أن هذه الوصايا تعتبر المثل الأعلى بالنسبة إلى (الدين الاختيارى) لدى الشعب المختار الذى لم يتحول بعد إلى شعب .. ولكن عندما ننتقل إلى الشعب المصرى الجاهز بالفعل نجد أنه سبق هذه الوصايا بما يفوق عليها وذلك فى

---

(١) تناولنا فى كتاب «صدمة العرى» (ص ٦٤) علاقة النفس بالعقل الاختيارى وقلنا إن العقل الجبرى يتضمن الروح والعقل والنفس وعلى هذا يسرى على النفس ما يسرى على العقل الجبرى فى تعلقه بالخير فقط - ورغم ذلك نقول إن النفس أمارة بالسوء . وقد عللنا ذلك بأن شبهنا جسم الانسان بوعاء يحوى النفس المتعلقة بالخير فقط كما يحوى أيضا العقل الاختيارى المتعلق بالخير والشر . وعلى هذا فعندما نقول إن النفس أمارة بالسوء فنحن ننسب إليها فعل *العقل الاختيارى البريئة منه* . وبهذا يكون القول الصحيح إن العقل أمار بالسوء .

(٢) تناولنا هذه المسألة فى كتاب «صدمة العرى» فى تحليلنا لشجرة الحياة فى الكابالا عند اليهود ( ص ٢٨٨) .

«كتاب الموتى» فى الفصل (١٢٥) الخاص بالمحاكمة فى قاعة «ماعت المزدوجة» [١] .. فهذا الفصل «يتفق علماء المصريات وغيرهم على أنه يمثل أرقى ما وصل إليه الحس الخلقى فى أى شعب من الشعوب» [٢] ..

وقد سبق أن قلنا فى موجز عرضنا لنظرية «صدمة العرى» إن التجربة الأولى يكون تأثيرها أقوى من التجارب التى تليها ومن ثم تحتويها .. ومن هنا اعتبرنا فترة الأسر فى مصر المحرك اللاشعورى والشعورى وراء تاريخ الشعب المختار .. وعلى هذا سنتخطى مرحلة الأسر البابلى [٣] وننتقل إلى الشعب المختار وقد استقر على دينه الحالى دين اليهود «حيث تشابه الإله اليهودى فى صورته المستحدثة مع إله موسى القديم .. والإقرار به إلها واحدا لا إله إلا هو والوحدانية التى آمن بها «إخناتون» آمن بها كل الشعب إيمانا صادقا» [٤] .

ومعنى هذا أن «يهوه» أصبح ذاتا إلهية وأن لقب (الرب الإله) قد عاد إليه نهائيا .. وسبق وبينا أن ألوهية الشعب المختار اعتمدت على إلحاق ذاته المتنامية بذات (الإله) الجاهزة .. أى إلحاق (الرب) بـ (الرب الإله) أى بـ «يهوه» .. ولكن رغم خطورة أهمية «يهوه» هذه فقد تم نفيه .

## ( تحريم اسم «يهوه» = نفى الإله )

سبق أن تناولنا مسألة تحريم اسم «يهوه» فى الفقرة (٤ ص ٦٢) ضمن الفقرات التى قدمناها بشأن استخدام لقب (الرب) كناية عن «الشعب المختار» .. وقد ختمنا الفقرة المذكورة بأننا سوف نعود إلى تفسير ما جاء فيها من خلال نظرية «صدمة العرى» فأرجو مراجعة هذه الفقرة قبل متابعة تفسيرنا الجديد الذى لا يتعارض مع تفسيرنا السابق وإن كان يضيف إليه بعدا جديدا من خلال نظرية «صدمة العرى» .

وبداية سنقدم الدليل على أن تحريم الاسم = نفيه .. وهو دليل مستمد من المفهوم المصرى القديم وبالذات فيما يخص ديانة «آتون» التى عكسها الشعب المختار على ديانة «يهوه» مما يؤكد صحة الدليل الذى نقدمه .. فقد «اعتقد المصرى القديم بوجود علاقة خفية بين الانسان واسمه

---

(١) أوضحنا فى كتاب «صدمة العرى» (ص ٢٥٥ – ٢٧٩) كيف أن «ماعت» تجمع بين العقل الاختيارى والعقل الجبرى وهو ما يتفق وجمع الشعب المختار بين العقلين الاختيارى والجبرى فى المرحلة التى نتحدث عنها وجدير بالذكر أن «ماعت» رمز (الحق والصدق والعدل) قد ازدهرت فى عهد «إخناتون» صاحب ديانة «آتون» التى اعتنقها الشعب المختار على يد موسى المصرى . وعلى هذا كان يجب أن ترقى الوصايا العشر إلى مستوى الوصايا المصرية . ولكن هذا لم يحدث بسبب الفارق التطورى بين الشعب المختار والشعب المصرى وأيضا بسبب طبيعة الشعب المختار وهو ما سنتناولة فيما بعد

(٢) «كتاب الموتى» (الحاشية الختامية ص ٢٤٤) .

(٣) «سبى الأشوريون مملكة إسرائيل الشمالية فى ٧٢١ ق . م وأخذوا الإسرائيليين أسرى إلى العراق . ثم سقطت المملكة الجنوبية أمام الزحف البابلى عام ٥٧٦ ق . م وأخذ اليهود أسرى بابل .. وهناك إجتمعوا بأبناء عمومتهم الإسرائيليين» (التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٧٦) .

(٤) «موسى والتوحيد» ( ص ١٣٦)

المكتوب .. بل واعتقد أن الاسم المكتوب يكون الجزء الحى من صاحبه والعنصر الذى يقوِّم شخصيته وقوته .. ومن أجل هذا نرى المصرى ينتقم من عدوة بمحو إسمه» [١] وهو ما فعله كهنة «آمون» مع عدوهم «إخناتون» بعد سقوط ديانة «آتون» حيث «لم يظهر إسم اخناتون قط فى القوائم الملكية العظمى المسجلة فوق الآثار بين أسماء كل ملوك مصر الماضين» [٢] .

ومما سبق يتضح لنا التماثل بين ما ارتكبه كهنة «آمون» ضد (عدوهم) «إخناتون» وما ارتكبه الشعب المختار ضد (عدوه) «يهوه» .. ونلاحظ أن هذا التماثل قد جعل «يهوه» عدوا للشعب المختار فكأنه بذلك قد حرم اسم «يهوه» بسبب عدائه له .. ولكن قبل أن نسلم بهذا الاستنتاج الغريب نلفت النظر إلى أننا سبقناه بقولنا (فكأنه) مما يثير الشك فى دقة هذا الاستنتاج وبالتالى فى دقة التماثل الذى نبع منه .. وعلى هذا فسوف نعيد النظر فيه من جديد .

فالتماثل جعل «يهوه» مكان «إخناتون» صاحب ديانة «آتون» التى يتبعها (موسى المصرى) ممثل العقل الاختيارى .. كما جعل الشعب المختار مكان كهنة «آمون» أصحاب ديانة «آمون» التى يتبعها طبقا للتماثل (موسى المدينى) ممثل العقل الجبرى .. وسنبين ذلك فى الجدول الآتى وفقا لتبعية الأطراف للعقل الاختيارى أو للعقل الجبرى :

| العقل الاختيارى | العقل الجبرى |
| --- | --- |
| «يهوه» | «الشعب المختار» |
| ديانة «آتون» | ديانة «آمون» |
| «إخناتون» | كهنة «آمون» |
| موسى المصرى | موسى المدينى |

ونخرج من هذا الجدول بأن التماثل فصل الشعب المختار التابع للعقل الجبرى عن إلهه «يهوه» التابع للعقل الاختيارى وطبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى سنحذف من شقى الجدول كل ما يتعلق بالعقل الاختيارى سواء مباشرة أو عن طريق عكس صفاته على ما يتعلق بالعقل الجبرى مثلما حدث مع «يهوه» وبالتالى مع (موسى المدينى) .. وبهذا لا يبقى من الجدول إلا الآتى :

---

(١) «إخناتون» (ص ١٠٦) .

(٢) «فجر الضمير» (٣٣١) .

| العقل الاختيارى | العقل الجبرى |
|---|---|
| | «الشعب المختار»<br>كهنة «آمون»<br>ديانة «آمون» |

وهكذا ينتهى الأمر بتبعية الشعب المختار لديانة «آمون» التى تمثل (الدين الجبرى) حيث تعبد الشمس باعتبارها إلها يمثل أحد عناصر الطبيعة بعكس ديانة «آتون» التى جردت الشمس من كونها موضوعا ماديا محلا للعبادة واعتبرتها رمزا لكائن إلهى يظهر ذاته فى قرص الشمس وتتكشف طاقته فى أشعتها .

وتبعية «الشعب المختار» لديانة «آمون» تتساوى مع تبعيته لديانة «يهوه» حيث أن كلا الديانتين تتعلقان بالعقل الجبرى .. وكل ما فى الأمر أن ديانة «آمون» تخص الثقافة الشمسية التى تتعلق بعقدة الأسر فى مصر ومن ثم رفضها الشعب المختار وظل على ثقافته القمرية الأصلية التى تخص «يهوه» .

## من ثنائية الشعب المختار إلى ثنائية التلمود

رغم المساواة التى توصلنا إليها بين تبعية الشعب المختار لديانة «آمون» وتبعيته لديانة «يهوه» فهناك فرق بين الحالتين وهو أن المصريين عندما اتبعوا ديانة «آمون» كانوا شعبا بينما الشعب المختار عندما اتبع ديانة «يهوه» لم يكن قد تحول إلى شعب بعد .. فباعتبار أن الشعب يعنى (الذات) فإن «آمون» كان يمثل ذات الشعب المصرى بينما ظل «يهوه» بدون ذات يمثلها إلى أن تحول الشعب المختار إلى شعب بالفعل حيث كان المفروض أن يمثل «يهوه» ذات شعبه .. ولكن هذا لم يحدث بسبب تضخم ذات الشعب المختار .. وهنا يبرز فرق آخر بين تبعية المصريين للإله «آمون» وتبعية الشعب المختار للإله «يهوه» وهو فرق ناتج عن عكس وضع التبعية بسبب تضخم الذات .. فالمصريون كانوا يتبعون آلهتهم بينما الشعب المختار يجعل آلهته تابعة له .. وشتان بين التابع والمتبوع فالأول يمنح ذاته للإله والآخر يمنع ذاته عن الإله ثم يضخمها بنفى الإله وهو ما حدث مع «يهوه» حين نفاه الشعب المختار وجعل نفسه التابع والمتبوع معا وهو ما يعنى تأليه ذاته.. ولكن لأن شرط تحقيق الذات إضافة العقل الاختيارى إلى العقل الجبرى ولأن الذات هنا أصبحت إلهيه فقد خالف الشعب المختار مبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى ونفى العقل الجبرى بنفى «يهوه» وهو غافل ومتغافل (أى لا شعوريا وشعوريا) عن أن غلبة العقل الجبرى تأتى من كونه قانون الخالق الذى لا غلبة عليه .. ومن هنا نشأ *الوضع الفريد للشعب المختار* وهو الجمع شعوريا ولا شعوريا بين الإيمان بالإله الحق (التوحيد) حيث تفنى الذات فى

الذات العليا وبين تضخم الذات - بل والألوهية - الذى يعوق الذات عن الفناء فى الذات العليا . وهو ما يعنى وجود ذات مناوئه للذات العليا أى وجود الثنائية (نقيض الوحدانية) التى أنتهى إليها تحليلنا للثالوث اليهودى حيث تحول من ثلاثة أضلاع إلى ضلعين أحدهما «إناث ياهو» والآخر «يهوه» أو إلى ضلع مزدوج يجمع بين الإثنين وهو «إناث ياهو» الذى يمثل فى «إناث» الديانة الشمسية (العقل الاختيارى) ويمثل فى «ياهو» الديانة القمرية (العقل الجبرى) .. وهكذا أمسك الشعب المختار الشمس فى يد والقمر فى يد وساوى بين اليدين منكرا بذلك مبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى فحول بذلك - نتيجة تأليه ذاته - تعبير «يد الله» الذى يخص الوحدانية إلى تعبير «يدا الله» الذى يخص الثنائية .

ولكن رغم ذلك .. فإذا كانت مناوأة الشعب المختار لمبدأ غلبة العقل الجبرى قد أوصلته إلى الثنائية فالواقع أن هذه الثنائية تشهد بغلبة العقل الجبرى .. وذلك أن العقل الجبرى يمثل القانون الذى وضعه الخالق لحفظ توازن عناصر الكون .. والتوازن يقتضى وجود طرفين تتم بينهما الموازنة وهو ما يعنى ثنائية الكون .. وما يعنى أيضا إيمان الشعب المختار بالخالق الأحد واضع قانون التوازن الذى يعمل من خلال ثنائية الكون .. ولكنه كما رأينا إيمان يجمع - ولاحظ الثنائية - بين اللاشعور والشعور .. اللاشعور من حيث الدين والشعور من حيث الدنيا .. ولأن ربوبية الشعب المختار تتعلق باللاشعور والشعور أى بأمور الدين وأمور الدنيا فقد نتج عن ذلك «أن اليهود يعتبرون أنفسهم خلفاء الله على الأرض ولذلك أعطوا أنفسهم حق التدخل أحيانا فى صياغة القانون الإلهى وهو ما فعلوه عندما وضعوا التلمود ورفعوه إلى مستوى التوراة الأصلية» (١) .. ومعنى ذلك أن التلمود وليد ثنائية الشعب المختار (ثنائية اللاشعور والشعور) وبالتالى وليد اللاشعور من حيث الدين والشعور من حيث الدنيا .. وبالتالى هو انعكاس لطبيعة الشعب المختار الذى يوظف - كما قلنا سابقا - أمور الدين لحساب أمور الدنيا .. ومن هنا نجد فى التلمود «بابين هامين أحدهما فى التشريع والآخر فى السياسة» (٢) .

وقبل أن نستعرض التلمود من حيث ثنائيته نشير إلى الثنائية - أيضا - الناتجة عن رفعه إلى مستوى التوراة وهو ما يعنى وجود كتابين على مستوى واحد من القداسة رغم أن «التلمود بما يحتويه لا يمكن أن يكون من الكتب المنزلة على عكس ما يعتقد اليهود» (٣) .

---

(١) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» ( ص ٤٥) ولاحظ كلمة (الأصلية) حيث أن التوراة الحالية محرفة .
(٢) «الموسوعة العربية الميسرة» (ص ٥٤٣) .
(٣) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٥) .

# الفصل التاسع :

# قراءة فى التلمود

## ■ ثنائية التلمود وتوظيف الدين لحساب السياسة

- ○ سبب ظهور التلمود
- ○ سبب إعطاء الحاخامات سلطة إلهية
- ○ تحول الديانة الموسوية إلى التوراة والمدراش
- ○ التوراة فى يد والتلمود فى يد مقابل الشمس فى يد والقمر فى يد
- ○ تحليل ثنائية التوراة والتلمود
- ○ ثنائية حكماء المدراش
- ○ تقسيم المدراش إلى قسمين ومسألة غموض القسم الثانى
- ○ ظهور المشنا والجيمارا
- ○ ظهور تلمود بابل وتلمود فلسطين ومسألة الخلاف بينهما
- ○ لا نهائية القانون الشفهى شهادة بعبقرية الشعب المختار السياسية
- ○ إعلاء التلمود على التوراة

## ■ أسطورة الحوت ملك الأسماك وتوظيف الدين لحساب السياسة

- ○ عرض وتحليل الأسطورة
- ○ مغزى الشتات الأكبر
- ○ هدم هيكل سليمان وانتقام يهوه من شعبه لخيانته له
- ○ الحوت رمز الشعب المختار
- ○ تحليل قول التلمود بأن الله اعترف بخطئه فى هدم الهيكل وبكائه وهو يزأر كسبع الآى

## ■ أسطورة سبع الآى

- ○ مبدأ قلب الأوضاع وجعل المهزوم منتصرا والمنتصر مهزوما
- ○ مغزى الشتات الأكبر فى جهات العالم الأربع وعلاقة ذلك بأوزيريس والسيد المسيح وفكرة قيام الشعب المختار بدور المخلص لشعوب العالم

## ■ معالم الربوبية وتضخم الذات فى التلمود

- ○ التلمود يخطِّىء الله لأنه جعل القمر أصغر من الشمس وعلاقة ذلك باختيار يوم السبت يوما مقدسا
- ○ توظيف الاخلاق والدين لحساب ذات الشعب المختار على حساب ذوات شعوب العالم

## ■ مفهوم الجنة والجحيم فى التلمود

- ○ التضارب بشأن البعث والحساب
- ○ البعث والحساب عن طريق تناسخ الأرواح
- ○ عدم التفريط فى روح اليهودى حتى لو قتل يهوديا
- ○ العلاقة بين كم اليهود وكم مادة الكون
- ○ مغزى خلق اليهود من ٦٠٠,٠٠٠ يهوديا
- ○ تبرئه اليهود من الخطيئة ووصم المصريين بها
- ○ مغزى الجمع بين اسمى الخضر و «إيليا»
- ○ الجنة والجحيم عند اليهود يخصان العالم الأرضى
- ○ إضفاء صفة الأبدية على الجنة والجحيم

## ■ قضية (الذات) والحياة الأبدية فى التلمود

- ○ الذات شرط أساسى للجنة
- ○ ضرورة اجتماع (با) و (كا) فى عالم الآخرة واجماع الديانات السماوية على البعث بالجسد والروح
- ○ الحياة الآخرة وسيلة لفناء الذات فى الذات العليا وليست هدفا فى حد ذاته
- ○ تضخم الذات لدى الشعب المختار جعل ذاته تفنى فى ذاته
- ○ مغزى تمليح زوجة الحوت رمز الذات لدى الشعب المختار وتمليح القرابين الإلهية
- ○ التقابل بين الحوت وزوجته وبين أدم وحواء
- ○ (الخروج إلى الجنة) بدلا من (الخروج من الجنة)

## ثنائية التلمود وتوظيف الدين لحساب السياسة

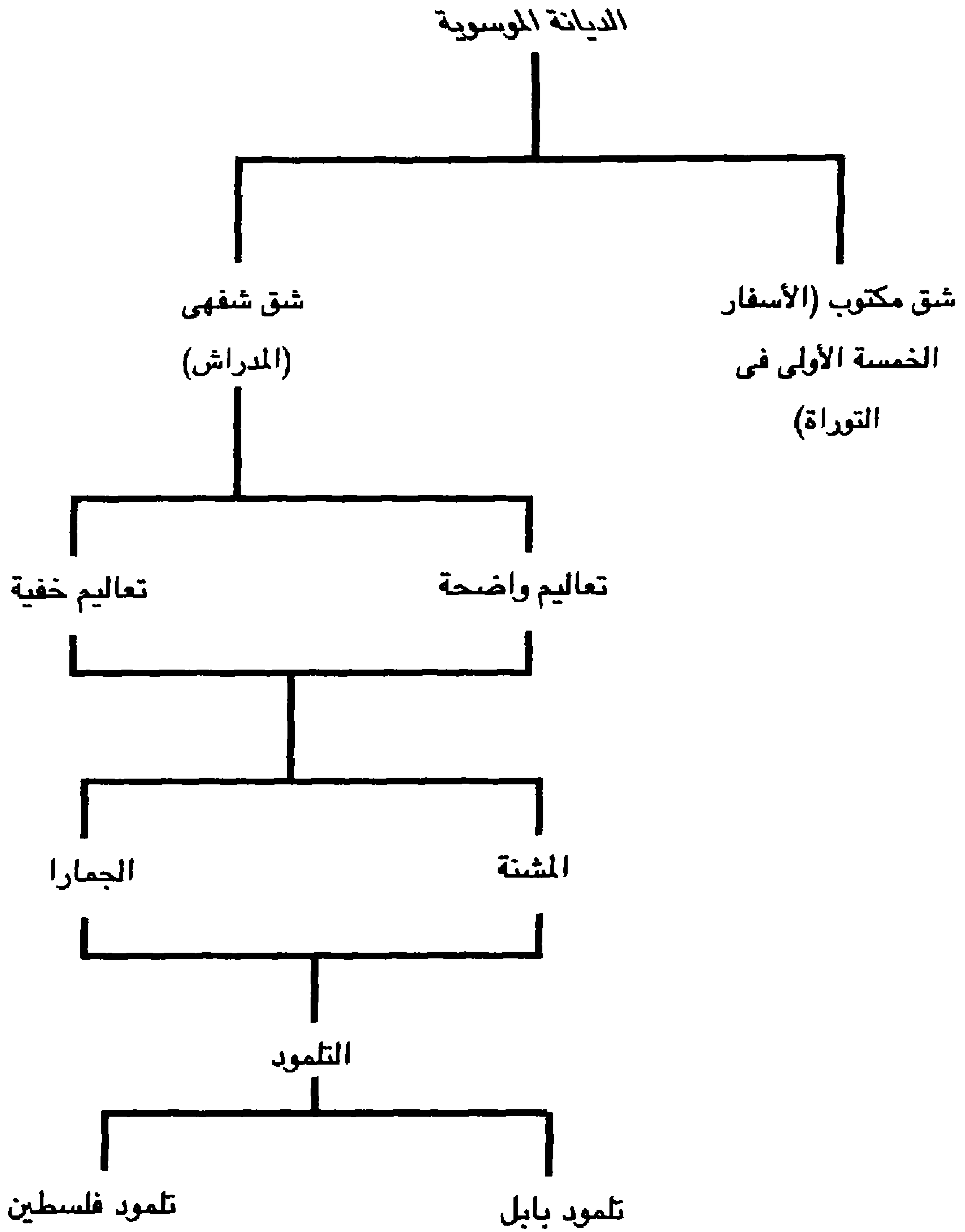
«ظل اليهود فى فترة تاريخهم الأول يركزون على العبادة فى المعبد ومركز تلك العبادة هى التوراة وما تحمله من قوانين وتشريعات . ولكن بعد انهيار المملكة اليهودية وتحطم المعبد الأول بواسطة نبوخذ نصر وماتبعها من سبى اليهود إلى الشتات البابلى . تحولت العبادة بالتدريج عن المعبد غير الموجود إلى المعابد الصغيرة التى يشرف عليها الحاخامات . وبدأت محاولات لهؤلاء الحاخامات فى الظهور هدفها شـــــرح ما غمض فى التوراة وإضافة ما تحتاجه من شرح وإيضاح» (١) ومن هنا جاء التلمود .. والتلمود تسمية آرامية عن العبرية ومعناها التعلم .

وباعتبار «أن التلمود لا يزال بعد التوراة هو القوة الروحية والأخلاقية المثمرة فى الحياة اليهودية» (٢) وعلى أساس قولنا السابق بأن التلمود يعكس طبيعة الشعب المختار الذى يوظف أمور الدين لحساب أمور الدنيا وأيضا على أساس قولنا السابق بأن الشعب المختار جعل آلهته تابعة له بدلا من العكس (٣) .. فإنه يمكن القول بأن محاولات الحاخامات لشرح ما غمض فى التوراة كان مجرد ذريعة لكى يمارس الشعب المختار ربوبيته - بل وألوهيته - عن طريق تعامله مع الآلهة تعامل المتبوع مع التابع أو على أقل تقدير تعامل الند مع الند .. ولأنه من غير المعقول أن يكون ذلك على المستوى الشعبى فقد تم عن طريق الحاخامات .. ومن هنا - حسب ما ذهبنا إليه - كان «اليهود يعتقدون أن للحاخامات سلطة إلهية» (٤) وهى حسب مفهومنا سلطة تمثل الشعب المختار بثنائيته التى أوضحناها والتى تظهر أول ما تظهر فى تقسيم الحاخامات للديانة الموسوية إلى قسمين طبقا لنظرية صدرت عنهم «وهى أن الله عندما كلم موسى وأعطاه الألواح أعطاه أيضا القانون الشفهى الذى لم يدونه بل نقله إلى أتباعه المقربين مثل هرون أخيه ويوشع تابعه .. ومن هؤلاء ظل هذا القانون ينتقل من واحد لآخر بين الأنبياء والحكماء» (٥)

وهكذا تحولت الديانة الموسوية على يد الحاخامات إلى ثنائية من شقين : «الشق الأول هو المكتوب فى الألواح ويشكل الأسفار الخمسة الأولى من التوراة .. والشق الثانى (بالعبرية «مدراش») غير مكتـــــوب بل منقول شفهيا من حكيم لآخر مختار وهدفه تفسير الشق الأول» (٦) (شكل ٣) .

---

(١) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٤٢) .
(٢) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٥) .
(٣) راجع الفصل السابق تحت عنوان «ثنائية الشعب المختار» .
(٤) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص٦) .
(٥) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص٤٢) .
(٦) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الاسلام» (ص٤٢) .




**(شكل ٣)**

وباعتبار أن ديانة موسى التى أعطاها للعبريين هى ديانة «آتون» (الشمسية) وأن تعاليم الحاخامات ترجع إلى ديانة «يهوه» (القمرية) .. فمعنى هذا أن الثنائية المكونة من التوراة والتلمود هى ثنائية تجمع بين الثقافة الشمسية (العقل الاختيارى) والثقافة القمرية (العقل الجبرى) ومن ثم تعود بنا إلى سابق قولنا بأن الشعب المختار أمسك الشمس فى يد والقمر فى يد .. والذى يقابله الآن قولنا : أمسك التوراة فى يد والتلمود فى يد أو – طبقا للهدف الدنيوى والسياسى للتلمود – أمسك أمور الدين والتشريع فى يد وأمور الدنيا والسياسة فى يد .. ولأن أمور الدنيا والسياسة

تخص التلمود الذى يتعلق بالعقل الجبرى .. وطبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى الذى يخص أمور الدين والتشريع فمن هنا كان مبدأ توظيف أمور الدين والتشريع لحساب أمور الدنيا والسياسة .. وهو ما يشهد عليه تاريخ الشعب المختار وما يشهد عليه أيضا إعلاء التلمود على التوراة - كما سنرى فيما بعد - أو إعلاء القمر على الشمس .

ونستمر مع تطور التقسيم السابق أو الثنائية السابقة لنجد أن مبدأ الثنائية مستمر إذ «بعد تشتت المملكة اليهودية إلى بابل بدأ حفظ القانون الشفهى وكتابته لأول مرة وأعيدت الكتابة بالحذف والزيادة عدة مرات حتى وصلت إلى قمتها فى مدرسة عبرانية خاصة يشرف عليها رجلادين من الحاخامات هما الحاخام إشماعيل والحاخام أكيبا . وقد كانت المدارس اليهودية تقوم على الإزدواج [1] بأن يقودها اثنان من الحكماء حتى تزداد الفائدة» [2] .. وطبقا لما ذهبنا إليه فإن التعلل بوجود اثنين من الحكماء لازدياد الفائدة يؤكد فكرة مبدأ الثنائية وإلا فلنا الحق فى أن نقول : إذا كان الهدف من ثنائية الحكماء القائمين على «المدراش » هو زيادة الفائدة فقد كان الأجدر زيادتهم على أثنين حتى تعم الفائدة أكثر .

ويستمر مبدأ الثنائية من خلال الثنائى الحاخامى اشماعيل وأكيبا اللذين وضعا « شكلا نهائيا للمدراش بعد أن قسماه إلى قسمين : قسم يحتوى على الأمور والتعاليم الواضحة المباشرة . وقسم آخر يحتوى على أمور غير مفهومة بدقة تركت كما هى على أنها تحتوى تفسيرات خفية لحكمة إلهية» [3] .. ونتوقف عند هذا الوصف للقسم الثانى حيث نذكر قولنا السابق بأن الشعب المختار أعطى نفسه حق التدخل فى صياغة القانون الإلهى وأناب عنه فى ذلك الحاخامات بعد أن منحهم السلطة الإلهية .. فعندما نربط هذا بوصف القسم الثانى من المدراش بأنه يحتوى تفسيرات خفية لحكمة إلهية فلابد أن نشك فى وجود هدف سياسى وراء هذا الوصف وهو توظيف الدين لحساب السياسة عن طريق إضفاء سمة الحكمة الإلهية عليها .. ويعزز قولنا هذا أن تاريخ الشعب المختار يسجل السمة السياسية فى علاقته بالآلهة كما سبق أن رأينا فى المعاهدة المتبادلة بينه وبينهم بشأن أرض كنعان .. كما وأن هذه التفسيرات الخفية للحكمة الإلهية لا تأتى إلا على يد الحاخامات الذين وضعوا التلمود من أجل تحقيق أهداف سياسية .

ومن ثنائية القسمين السابقين للمدراش ونتيجة للدراسة المجتمعة لهما خرجت ثنائية أخرى حيث «ظهر ما يسمى المشنا [4] « هامشناه» . وتعاقب الدراسون للمشنا خاصة فى فترة الشتات

---

(١) نفضل كلمة (الثنائية) على كلمة (الازدواج) التى استخدمها مؤلف المصدر الذى أخذنا منه وذلك لأن الثنائية تخص قانون العقل الجبرى الذى تبنى رؤيتنا على أساسه وسوف نوضح فيما بعد الفرق بين الثنائية والازدواجية أثناء تناولنا لظاهرة ازدواج الشخصية لدى الشعب المختار

(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٤٣)

(٣) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٤٣) .

(٤) أو «المشنة ومعناها بالعبرية «المعرفة» ويتكون المشنة من ست رسائل تسمى «سيداريم» أى أحكام (التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٨) .

البابلي وبدأوا يفسرون ويضيفون الهوامش شارحين لبعض ما خفي وبالتدريج تجمعت تلك الإضافات فيما يسمى «جيمارا» [1] .. وإعيدت كتابتها ليصبح كل ما كتب من المشنا والجيمارا يسمى التلمود . أي أن التلمود هو تجميع لكل الدراسات للقانون الشفهى الأول ويحتوى على كل الأحكام والشرائع المنظمة لكل نواحي الحياة الدينية والدنيوية» [2]

وبالوصول إلى التلمود كان المفروض أن تنتهى رحلة الثنائية .. ولكن الذى حدث أنه «ظهر تلمودان .. واحد جمعه حاخامات الشتات ويسمى التلمود البابلى [3] وواحد جمعه حاخامات عاشوا فى فلسطين ولم يغادروها ويسمى التلمود الفلسطينى [4] ورغم اشتراكهما فى معظم الفصول إلا أنه يوجد اختلافات وقصور بينهما فى عدة فصول أخرى . لذلك فإن الفلسفة اليهودية وضعت للتغلب على هذا القصور تصورا جديدا هو أن القانون الشفهى ليس له نهاية وأنه قابل لاستقبال أفكار جديدة باستمرار . وهو ما يؤكد سطوة الحاخامات وسيطرتهم على المجتمع اليهودى بشكل دائم تحت مسمى الإشراف الدينى» [5] .. الأمر الذى يؤكد قولنا بشأن الهدف السياسى للتلمود ودور الحاخامات فى توظيف الدين لحساب السياسة .

وقبل أن نبدى رأينا بشأن الخلاف بين التلمود البابلى والتلمود الفلسطينى أشير إلى أننى أثناء عرضى لنظرية «صدمة العرى» قلت إن العقل الاختيارى بحكم تعلقه بالذات وبحكم تعلقه بالخير والشر فإنه بالتالى يتعلق بالنفعية الذاتية .. بمعنى أن ما ينفعنى فهو خير ولو كان شرا لغيرى وأن ما يضرنى فهو شر ولو كان خيرا لغيرى .. وذلك عكس العقل الجبرى الذى يتعلق بالخير فقط وبالتالى فهو يتعلق بالنفعية الموضوعية .

وعلى ذلك نعود إلى الخلاف بين التلمودين البابلى والفلسطينى حيث نجد أنه خلاف غير منطقى باعتبار وحدة المصدر الدينى .. وحيث نجد أنه خلاف منطقى باعتبار اختلاف النظرة الذاتية ومن ثم النفعية لدى أصحاب كل من التلمودين .. وإذا كان فعل الذاتية والنفعية يتعلق بأمور الدنيا فهو بالنسبة للشعب المختار يتعلق بأمور السياسة بالذات .. ونظرا لوحدة الهدف السياسى التى استوجبت وحدة اليهود وأيضا لتأثير تجربة الأسر البابلى كامتداد لتجربة الأسر المصرى ذات الفعالية الأصلية – كما قلنا – فمن هنا فى رأينا كان «تلمود بابل هو المعتمد» [6] .. ثم لنظرة اليهود السياسية المستقبلية التى يصل مداها إلى التخطيط لأحداث تخص الزمن الحالى

---

(١) أو «جمارا» والجمارا إثنان : «جمارة أورشليم» و «جمارة بابل» . والأول هو سجل المناقشات التى أجراها حاخامات أورشليم لشرح أصول «المشنة» ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠ م والثانى هو سجل المناقشات حول تعاليم «المشنة» دونها علماء بابل اليهود وانتهوا من جمعة سنة ٥٠٠ م (التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٩) .

(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص٤٢) .

(٣) كتب باللغة الآرامية الشرقية ذات اللكنة البابلية (المصدر السابق ص ٤٣) .

(٤) كتب باللغة الآرامية الغربية ذات الأصل الكنعانى (المصدر السابق ص ٤٣) .

(٥) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٤٣) .

(٦) «الموسوعة العربية الميسرة» (ص ٥٤٣) .

وما بعده فقد كان لابد من فتح الباب على مصراعيه لكل ما يستجد بشأن السياسة وتوظيف الدين لحسابها ومن ثم قيل إن القانون الشفهى ليس له نهاية وإنه قابل لاستقبال أفكار جديدة باستمرار .

وإذا كنا نرفض طبيعة أهداف اليهود السياسية وتدخلهم فى صياغة القانون الإلهى من أجل تطويعه لصالح تلك الأهداف .. إلا أنه من صالحنا أن نشهد بعبقريتهم السياسية (وأرجو عدم الحساسية من هذا الوصف) وأن تتعلم جميع دول المنطقة الدرس بشأن الفرق بين وحدة الهدف السياسى والنظر إلى بعيد وبين تشتت الهدف السياسى والنظر إلى ما تحت القدمين .. ونظرا لأهمية التلمود من هذه الناحية فسوف نزيد من تعرفنا عليه .

ولكى ندرك مدى أهمية التلمود الذى تم إعلاوه علي التوراة وهو ما يعنى إعلاء أمور الدنيا والسياسة على أمور الدين والتشريع نذكر قول التلمود ذاته : «إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ومن درس «المشنة» فعل فضيلة يستحق أن يكافأ عليها ومن درس «الجمارا» فعل أعظم فضيلة» (١) .. وخلاصة ذلك أن الشروح والتفسيرات التى قام بها العلماء للتوراة صارت أهم من التوراة ذاتها .. أو بعبارة أخرى : أن تعاليم البشر صارت أهم من تعاليم الدين المنزل .

## أسطورة الحوت ملك الأسماك وتوظيف الدين لحساب السياسة

تأكيدا لما قلناه عن إعلاء أمور الدنيا والسياسة على أمور الدين والشريعة وتوظيف الأخيرة لحساب الأولى سنقدم بعض ما جاء فى التلمود مطبقين بذلك مبدأ وشهد شاهد من أهلها .. وسنبدأ بأسطورة الحوت ملك الأسماك .

«يقول التلمود إن النهار إثنتا عشر ساعة . فى الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة. وفى الثلاث الثانية يحكم . وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم . وفى الثلاث الرابعة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك» (٢)

و نخرج من النص السابق بأن ربع النهار مخصص لأمور الدين والشريعة وأن ثلاثة أرباعه مخصص لأمور الدنيا والسياسة وهو ما يعنى إعلاء الثانية على الأولى .. وسنوضح ذلك بالآتى :

١ - الربع الأول يخص الشريعة وهى من أمور الدين .

٢ - الربع الثانى يخص الحكم وهو من أمور السياسة .

٣ - الربع الثالث يخص الطعام وهو من أمور الدنيا .وأيضا السياسة حيث نلاحظ أن (الله) يطعم (العالم) وهو ما يبدو لأول وهله أن (الله) الذى يخص الشعب المختار يطعم شعوبا

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص١١) .

(٢) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص١٢) .

أخرى مناقضا بذلك اختياره للشعب المختار وتمييزه على بقية شعوب العالم .. وعلى ذلك فإن مفهومنا لقول التلمود بأن (الله) يطعم العالم يرجع إلى انتشار اليهود فى جميع أنحاء العالم «فإنى قد فرقتكم كرياح السماء الأربع يقول الرب» (١) .. كما يرجع إلى تطلع اليهود إلى سيادة العالم .. كما يرجــع أيضا إلى تضخم الذات لدى الشعب المختار الذى يعنى نفى ما عــــداه من شعوب العالم ومن ثم يصبح هو المقصـــــود بـ (العالم) الذى يطعمه (الله) .

٤ – الربع الرابع يخص اللعب مع الحوت ملك الأسماك وهو أيضا من أمور السياسة باعتبار أن عبارة «الحوت ملك الأسماك» تعنى الشعب المختار ملك الشعوب غير المختارة وهو معنى سياسى يعنى السيادة على شعوب العالم بالتميز عليها .. ومن هنا يخص (الله) شعبه المتميز بـ (اللعب) معه .

ولكن (الله) لا يلبث أن يكف عن اللعب مع الحوت.. فلماذا ؟

مفتاح الإجابة عن السؤال نجده فى نص الأسطورة الذى يقول : «ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل» (٢) حيث نفهم أن هدم الهيكل هو السبب الذى جعل (الله) يكف عن اللعب مع الحوت .. فما هى حكاية هدم الهيكل ؟

الحكاية ترجع أصــلا إلى خـلاف وقع بين «يهوه» وشـعبـه .. ذلك أن «الإقامة فى مدن والاعتماد على الزراعة غير من عادات القبائل الرحل فى شعب إسرائيل فبدأوا يطالبون بأن يكون لهم ملك كما هو الحال بالنسبة للحضارات العظيمة المحيطة بهم .. وحذرهم «يهوه» من الملوك وما يسببونه من مشاكل ومآسى .. ولكن الشعب أصر على طلبه فكانت فكرة الملك الذى يحكم باسم الله» (٣) حيث يمكن القول بأن (الله) هنا يخص الثقافة الشمسية ثقافة الحضارات الزراعية العظيمة التى أراد الشعب المختار أن يقلدها فى نظامها الملكى وهو ما يعنى خيانة «يهوه» الذى يخص الثقافة القمرية والذى كان له الفضل فى إنقاذ أسلاف الشعب المختار من أسر الفرعون الملك الشمسى وذلك بإغراق جيشه .

كما وأنه بعد الاستقرار فى أرض كنعان «بدأت عدوى عبادة الآلهة الموجودة أصلا – وعلى الأخص الإله بعل – تتسلل إلى نفوسهم وبدأت النفوس تميل وتخرج عن طاعة الإله «يهوه» (٤) .. وهذه خيانة أعظم من السابقة حيث أنها وقعت فى الأرض التى وعـدهم بها «يهوه» مقابل أن يكون الههم «وأيضا أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان .. واتخذكم لى شعبا وأكون لكم إلها» (٥)

(١) «زكريا» (٢ : ٦)
(٢) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص١٤)
(٣) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٣١) .
(٤) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٣٠) .
(٥) «خروج» (٦ : ٤ ، ٧) .

وكذلك «عندما قرر داود أن يبنى هيكلا وضع التابوت (١) داخل الخيمة (٢) حتى لا يصبح الهيكل تقليدا لهيكل الإله «بعل» أو الآلهة الأخرى . وحتى لا تنتهى فكرة أن الإله «يهوه» الذى أخرجهم من أسر الفراعنة وجاء معهم فى خيمتهم قد تغيرت صفاته وتحول لما يشبه الآلهة المحلية» (٣) .. ولكن الملك سليمان عندما بنى الهيكل الذى فكر أبوه داودفى إقامته خالفه بأن وضع فيه تابوت العهد .. وبهذا تحقق تحذير «يهوه» من أن الملوك يسببون المشاكل والمآسى واتضح أن المشاكل والمآسى تخص «يهوه» الذى وقعت له ومن ثم وجب معاقبة من تسببوا فيها بعكسها عليهم حيث «تقول كتب اليهود إن الإله عاقب المملكة الإسرائيلية أولا بأنها انفصلت بعد موت سليمان لتصبح مملكتين هما يهوذا وإسرائيل ثم انهارت أكثر بعد ذلك وتحولت إلى صراعات ما بين القبائل حتى انهارت مملكة إسرائيل الشمالية تحت أقدام الغزاة الآشوريين عام ٧٢١ ق . م وتبعتها مملكة يهوذا الجنوبية تحت أقدام البابليين بقيادة نبوخذ نصر عام ٥٨٧ ق . م وسبى من تبقوا من اليهود إلى بابل فيما يسمى «الشتات البابلى» (٤) . ثم بعد ذلك اكتملت العقوبة من خلال رمز خيانة «يهوه» حيث تم «تحطيم الهيكل وكذلك تدمير أورشليم بواسطة الرومان سنة ٧٠ ميلادية وبدأت مرحلة الشتات الأكبر حيث تبعثر اليهود فى شتى أنحاء الأرض» (٥) .

وقد استعرضنا ما سبق تمهيدا لتفسير ما جاء فى أسطورة الحوت من أن (الله) بعد أن كان يلعب مع الحوت كف عن اللعب معه .. وقبل أن نقدم تفسيرنا سنتعرف أولا على ما جاء فى وصف الحوت بأنه «كبير جدا بحيث يمكن أن يدخل فى حلقه سمكة طولها ٣٠٠ ميل بدون أن تضايقه .. ونظرًا لحجمه الكبير رأى (الله) أن يحرمه من زوجته لأنه إن لم يفعل لامتلأت الدنيا وحوشا أهلكت من فيها . ولذلك حبس (الله) الحوت وقتل أنثاه وملحها وأعدها لطعام المؤمنين فى الجنة . ولم يلعب (الله) مع الحوت بعد هدم الهيكل» (٦) .

وأول ما نلاحظه أن توقف (الله) عن اللعب مع الحوت يرتبط بهدم الهيكل وهو الحدث الذى انتهت إليه سلسلة العقوبات التى أنزلها «يهوه» على شعبه نتيجة خيانتهم له .. وفى هذا إشارة واضحة إلى أن ما جاء فى وصف الحوت هو إشارات رمزية لقصة الخيانة وسلسلة العقوبات التى رد بها «يهوه» على تلك الخيانة .. وهى إشارات أشبه بالرموز - أو هى كذلك - الخاصة بالأحلام التى تعبر عن اللاشعور الجمعى .. وعلى هذا فسيكون تفسيرنا لرموز وصف الحوت بمثابة تفسير الأحلام .. وسيكون منطلق تفسيرنا هو رمزية الحوت ذاته الذى قلنا إنه يمثل الشعب المختار .

---

(١) تابوت العهد رمز «يهوه» .

(٢) «كان تابوت العهد يتنقل بين القبائل بطريقة دورية ولكن مع إقامة مملكة إسرائيل أخذ داود التابوت إلى العاصمة الجديدة أورشليم (القدس) كرمز لتوحد الأمة وفى احتفال كبير مهيب أحضر التابوت إلى جبل صهيون وأقيم داخل الخيمة تحت سقفه» (صموئيل الثانى ٦) (رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام ص ٣٢) .

(٣) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٣٢ - ٣٣) .

(٤) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٣٤)

(٥) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٤١) .

(٦) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٤) .

فالشعب المختار = تضخم الذات = ضخامة الحوت بحيث يمكن أن يدخل فى حلقه سمكة طولها ٣٠٠ ميل بدون أن تضايقه .. وعلى هذا فلا فرق بين القول بأن تضخم الذات جعل الشعب المختار يخون «يهوه» بعبادة غيره دون أن يشعر بالذنب .. وبين القول بأن ضخامة الحوت جعلته يبتلع سمكة طولها ٣٠٠ ميل دون أن يشعر بالضيق.. وذلك باعتبار أن الضيق يقابل الشعور بالذنب .

ومثل هذا الحوت يعتبر وحشا .. وطبقا لتقابل صفات الرمز والمرموز إليه فى الأحلام فإن الشعب المختار يعتبر وحشا أيضا وبالتالى تصبح الوحشية مقابلا للخيانة .. ومن هنا قرر «يهوه» أن يحرم الحوت من زوجته حتى لا تمتلىء الدنيا بالوحوش . ولأن تضخم الذات هو سبب الخيانة فمن الطبيعى أن تنصب العقوبة على السبب وهو ما يعنى حرمان الشعب المختار من ذاته وهو ما يعنى بالمقابل حرمان الحوت من زوجته .. وعلى هذا تكون الزوجة رمزا للذات .

وقد قلنا إن تحقيق الذات يتمثل فى تحول القبيلة إلى شعب .. وعلى هذا يتمثل حرمان الشعب المختار من ذاته فى تجريده من صفة شعب .. وقد تم ذلك على مراحل نظرا لتضخم ذات الشعب المختار .. فلأن تضخم الذات كما قلنا = (الذات × ٢) فقد وجب أولا تحويل الذات المتضخمة إلى ذات عادية بتحويل عملية الضرب إلى عملية قسمة (الذات ÷ ٢) وهو ما حدث عن طريق انقسام المملكة الاسرائيلية إلى مملكتى يهوذا وإسرائيل (لاحظ الثنائية) وبهذا المنطق أصبح لكل مملكة ذات عادية تمهيدا لنفيها - أى تجريدها من صفة شعب - وهو ما حدث عن طريق صراع القبائل فى المملكتين الذى أدى إلى انهيارها على يد الآشوريين والبابليين ثم إلى الأسر البابلى ومو ما يقابل حبس الحوت كما جاء فى الأسطورة .

ولكن إذا كانت عقوبة «يهوه» لشعبه على خيانته له قد تمت عند الشتات البابلى فقد بقى رمز الخيانة وهو الهيكل الذى وضع فيه تابوت العهد رمز «يهوه» والذى تم هدمه على يد الرومان ومن ثم تم تصعيد الشتات البابلى إلى الشتات الأكبر .

وقد عاملنا ما جاء فى وصف الحوت معاملة الحلم الذى يعبر عن اللاشعور الجمعى .. وقد قلنا سابقا إن اللاشعور يخص الدين وعلى هذا خرجنا من تحليلنا لحلم الحوت بأن «يهوه» هو الفاعل للأحداث التى ذكرناها .. ولكن الواقع يقول إن الفاعل هو الآشوريون والبابليون والرومان.. ولأن الواقع يخص الشعور ولأن طبيعة الشعب المختار - كما رأينا فى أكثر من مناسبة - تخلط بين اللاشعور والشعور وتوظف الأول لحساب الآخر فقد تحول «يهوه» من فاعل فى اللاشعور إلى فاعل فى الشعور حيث يقول اليهود فى التلمود : «لقد اعترف الله بخطئه بتخريب الهيكل» [1] وهو اعتراف شعورى صريح بأن «يهوه» هو الفاعل لحدث تحطيم الهيكل الذى يمثل قمة العقوبة وبالتالى هو الفاعل لكل الأحداث الخاصة بالعقوبة .. وهكذا حسب مبدأ توظيف اللاشعور (أمور

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص١٤) .

الدين والشريعة) لحساب الشعور (أمور الدنيا والسياسة) يكون الشعب المختار قد برأ نفسه من مسئولية هزيمته أمام الآشوريين والبابليين والرومان وألقى تبعة ذلك على «يهوه» .

وقد قلنا بشأن ما يفعله (الله) - أو ما يفعله «يهوه» حسب تفسيرنا للأسطورة بمنطق الحلم - فى أسطورة الحوت أثناء النهار المكون من اثنتى عشر ساعة إن ربع النهار مخصص لأمور الدين والشريعة (وهى تخص «يهوه») وإن ثلاثة أرباع النهار مخصص لإشرافه على أمور الدنيا والسياسة (وهى تخص شعبه) .. وعلى هذا نستكمل قول التلمود - بعد اعتراف (الله) بخطئه فى تصريحه بهدم الهيكل - بأنه : «صار يبكى ويقضى ثلاثة أرباع الليل يزأر كسبع الآى» (١) حيث تستوقفنا علاقة التقابل بين (ثلاثة أرباع) النهار و (ثلاثة أرباع) الليل وما يحمله هذا التقابل من تناقض إذ أن (الثلاثة الأرباع) التى تخص الشعب أصبحت تخص «يهوه» الذى يقضيها وهو يبكى ويزأر كسبع الآى .. ولكننا نحكم من الآن بأن هذا التناقض غير موجود وبأن الشعب وليس «يهوه» هو الذى يبكى ويزأر كسبع الآى .. وسوف نثبت صحة حكمنا هذا بالتحليل الآتى :

١ - أن النهار يخص الشمس ومن ثم الديانة الشمسية التى يمثلها «آتون» .. وأن الليل يخص القمر ومن ثم الديانة القمرية التى يمثلها «يهوه» .

٢ - أن النهار يخص معاقبة «يهوه» لشعبه على خيانته له .. وأن الليل يخص ندم «يهوه» وبكاء ه على ما فعله .

٣ - أنه طبقا للاستنتاج (١) يكون «آتون» هو الذى عاقب شعبه على خيانته له .. ويكون «يهوه» قد ندم وبكى على ما فعله «آتون» (وفى هذا تناقض) .

٤ - أن ديانة «آتون» تخص (موسى المصرى) الذى خانه شعبه .. وأن ديانة «يهوه» تخص (موسى المدينى) الذى انتقل إليه الشعب بعد خيانته لـ (موسى المصرى) .. وعلى هذا يكون (موسى المصرى) هو الذى عاقب شعبه على خيانته له ويكون (موسى المدينى) قد ندم وبكى على ما فعله (موسى المصرى) (وفى هذا تناقض أيضا) .

٥ - أن الشعب المختار بعد أن تخلى عن ديانة «آتون» وانتقل إلى ديانة «يهوه» عاد وعكس الأولى على الثانية فجمع بذلك بين (موسى المصرى) و (موسى المدينى) .

٦ - أن ديانة (موسى المصرى) (الشمسية) تمثل العقل الاختيارى وديانة (موسى المدينى) (القمرية) تمثل العقل الجبرى .. واجتماع العقلين معا يمثل الذات أى الشعب المختار وبهذا ينتفى التناقض الذى أشرنا إليه ويصبح الشعب المختار هو الذى عاقب نفسه على الخيانة وهو الذى ندم على خيانته هذه وصار يبكى ويزأر كسبع الآى .

والواقع أن أسطورة سبع الآى تشهد على استنتاجنا هذا .

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٤) .

## أسطورة سبع الآى [1]

«إن التلمود يقص أسطورة سبع غابة «الآى» الذى أراد قيصر روما مشاهدته فأحضروه إليه . فلما وصل على بعد ٤٠٠ ميل زأر فسقط القيصر عن عرشه مغشيا عليه وسقط الناس على ظهورهم ووقعت أسنانهم على الأرض . وعندما أفاق الإمبراطور طلب إعادة السبع إلى مكانه فوراً » [2] .

فإذا تعاملنا مع هذه الأسطورة بمنطق الحلم كما فعلنا مع أسطورة الحوت فسنجد أن قيصر روما هو رمز للرومان الذين هدموا الهيكل وما تبع ذلك من الشتات الأكبر وتفرق الشعب المختار فى شتى أنحاء العالم أو فى جهات العالم الأربع حسبما جاء فى (زكريا ٢ : ٦) «فإنى قد فرقتكم كرياح السماء الأربع يقول الرب» الأمر الذى يغرينا بالربط بين العدد (٤) والعدد (٤٠٠) حيث سمع القيصر زئير السبع على بعد ٤٠٠ ميل فسقط عن عرشه مغشيا عليه .. فكأن القيصر قد أصابه الرعب من الشعب المختار رغم هزيمته وتفرقه فى جهات العالم الأربع وكأن مضاعفة (٤) إلى (٤٠٠) تعبر عن هذا المعنى الذى يعبر ضمنا عن تضخم الذات .

وهكذا تكون أسطورة السبع قد قامت بمهمة الإشباع فى الأحلام عن طريق قلب الأوضاع الذى جعل المهزوم منتصرا والمنتصر مهزوما كما جعل قيصر روما - المهزوم بدلا من المنتصر - يفقد عرشه بسقوطه عنه .. وطبقا لذلك كان يجب أن يعود اليهود من الشتات ويستردون عرش مملكتهم .. ولكننا نجد العكس حيث طلب القيصر إعادة السبع إلى مكانه وهو ما يعنى استمرار الشتات الأكبر .. فما تفسير هذا ؟

هناك تفسيران : التفسير الأول نجده بالعودة إلى الهامش (١) حيث افترضنا وجود علاقة بين (آى) و (عاى) وبناء عليه تكون إعادة السبع إلى مكانه معناها إعادة الشعب المختار إلى أرض كنعان .. وسنرى فورا أن الشتات الأكبر يعنى استبدال أرض العالم بأرض كنعان (فلسطين) تمهيدا للعودة إليها وهو ما حدث بالفعل .. وهنا يصبح سبع الآى بعد أن كان رمزا للشعب المختار رمزا ليشوع الذى قاد الشعب المختار فى دخوله أرض كنعان والذى تحايل على شعب «عاى» وهزمه وعلق ملكه فى شجرة (يشوع الاصحاح ٨) .

والتفسير الثانى نجده فى فلسفة الأحبار «بأن شعب إسرائيل مكتوب عليه الانتشار فى كل بقاع الأرض لأن (الرب) قال ذلك : «فإنى قد فرقتكم كرياح السماء الأربع» [3] وبالتالى يكون سبب الشتات فى رأيهم هدف إلهى حتى يجمعوا تراب الأرض من الجهات الأصلية

---

(١) لعل الاسم «أى» يرجع إلى «عاى» الذى جاء ذكره فى وعد الرب لإبراهيم بمنحه أرض كنعان التى حل فيها بقبيلته قبل الرحيل إلى مصر «وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقى بيت إيل ونصب خيمته . وله بيت إيل من المغرب وعاى من المشرق» (تكوين ١٢ : ٧ ، ٨)

(٢) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٤) .

(٣) «زكريا» (٢ : ٦) .

الأربع» [1] .. وهذا يذكرنا – طبقا لتأثر الشعب المختار بالثقافة المصرية – بما حدث فى أسطورة «أوزيريس» [2] عندما قتله «ست» وقطعه أربعة عشر قطعة ورمى كل قطعة فى أحد أقاليم مصر وهو ما يعنى الجهات الأصلية الأربع حسب تفسيرنا الذى قدمناه فى كتاب «صدمة العرى» (ص ١٢٩ – ١٣١) لمسألة تقسيم ثياب السيد المسيح بعد صلبه إلى أربعة أقسام .. فقد بينا العلاقة بين هذا وما حدث لـ «أوزيريس» فى بحثنا بشأن تأثر الفلسفة المسيحية بالأساطير الدينية المصرية حيث ربطنا بين فكرة المخلّص فى «أوزيريس» وفى السيد المسيح .. ونضيف هنا تأثر الفكر اليهودى بنفس المصدر وهو ما يعنى تأثره أيضا بفكرة للمخلّص [3] .. فما البال والشعب المختار قد حمله الرب مسئولية هداية شعوب العالم «وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم» [4] .

فهل بعد هذا يوجد تناقض فى أسطورة سبع الآى عندما شذ الشعب المختار عن قاعدة قلب الأوضاع ( لا شعوريا) وظلوا باختيارهم فى الشتات الأكبر لكى ينفذوا (شعوريا) الرسالة التى كلفهم بها الرب ؟

وإذا كنا قد عاملنا أسطورة سبع الآى معاملة الأحلام كما فعلنا مع أسطورة الحوت وما تبع ذلك من ترجمة لرموزها .. وإذا كنا قد توصلنا إلى أن الحوت يمثل الشعب المختار فالسبع أيضا يمثله حيث أن كلا منهما ملك (ملك الأسماك وملك الحيوانات) وحيث أن لقب (ملك) يعبر عن تميز الشعب المختار على بقية شعوب العالم ومن ثم عن طموحه فى أن يحكم العالم كما سنبين فيما بعد .

## معالم الربوبية وتضخم الذات فى التلمود

أياما كان مدى التشعبات التى قادتنا إليها أسطورتا الحوت والسبع .. ومدى التداخلات بين الشعور واللاشعور وتوظيفها لحساب الشعب المختار عن طريق توظيف اللاشعور (أمور الدين والتشريع) لحساب الشعور (أمور الدنيا والسياسة) – أيا ما كان كل ذلك فقد دار – شعوريا ولا شعوريا – حول محور أساسى هو التفاعل بين الثقافة الشمسية والثقافة القمرية .. ولأن الشعب المختار رغم اعتناقه الديانة الشمسية التى يمثلها «آتون» قد عاد وتعصب لديانته الأصلية القمرية التى يمثلها «يهوه» .. فمن هنا جعل «يهوه» يخطىء (الله) – الذى سبق أن أرجعناه إلى الديانة الشمسية – «حيث قال القمر له : «أخطأت حين جعلتنى أصغر من الشمس» [5] (أنظر

(١) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٧٢) .

(٢) حسب رواية بلوتارك (المسرح المصرى ص ١٤ وما بعدها) .

(٣) فى كتاب «دليل الحائرين» لموسى بن ميمون (١١٣٥ – ١٢٠٤ م) الذى وضع فيه ١٣ أساسا للديانة اليهودية نجد ضمن هذه الأسس : «أن المخلص أو المسيح قادم» (رحلة الانسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام ص ٤٦ ، ٤٧) .

(٤) «أشعياء» (٤٢ : ٦) .

(٥) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٤) وتعليقا على هذا القول نذكر أنه فى مجال السحر والتنجيم كان كل كوكب من الكواكب المعروفة فى ذلك الحين يخصص له يوم من أيام الأسبوع (الأحد يوم الشمس والإثنين يوم القمر والثلاثاء يوم المريخ =

الهامش) وهو قول يؤكد ما ذهبنا إليه من أن فترة الأسر فى مصر (الشمسية) هى المحرك الشعورى واللاشعورى معا وراء تاريخ الشعب المختار .. والدافع الأصلى التعويضى وراء ربوبيته وتضخم ذاته كوسيلة لتفوق القمر على الشمس أو تفوق المأسور على الآسر .

ولأن هذا المحرك هو الذى أيقظ طاقة الكينونة لدى العبريين فتحولوا من قبيلة إلى شعب وهو ما يعنى تحقيق (الذات) .. ولأن ديانة «آتون» الشمسية تخص (العقل الاختيارى) وديانة «يهوه» القمرية تخص (العقل الجبرى ) .. ولأن الإثنين معا يكونان (الذات) فقد كان على الشعب المختار أن يتقبل – على مضض – العقل الاختيارى وبالتالى يتقبل ما يتعلق به من قيم أخلاقية ودينية .. ولكن لأنه يتقبل ذلك على مضض أى مرغما من أجل تحقيق ذاته فقد وظف تلك القيم من أجل إرضاء ذاته وعلى حساب نوات الآخرين .. وإذا كان هذا الذى فعله الشعب المختار أمرا طبيعيا حيث أن الذات تحكمها الذاتية ومن ثم النفعية إلا أن ما يجعل الأمر غير طبيعى أن الذات هنا متضخمة .. وسوف نبين ذلك من خلال ما جاء فى التلمود من حيث القيم الأخلاقية والدينية .

فمن حيث القيم الأخلاقية نجد على سبيل المثال لا الحصر «أنه يجوز لليهودى حسب التلمود أن يغش الكافر .. وأن يضر غير اليهودى .. وإذا اشترك اثنان من اليهود فى سرقة أو غش أو نهب أحد الأجانب فالقسمة بينهما واجبة (فهنا التزام أخلاقى بين اليهودى واليهودى فقط) [1] وإذا فقد أجنبى سندا عنده على يهودى ووجده يهودى فليمتنع عن رده لأن الدين يسقط بوجود السند تحت يد يهودى .. وغير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع أنه من الواجب علينا أن نضره .. وإذا وجد اليهودى كافرا وقع فى حفرة فعليه ألا يخرجه منها حتى لو وجد سلما يمكن للكافر أن يخرج بواسطته فالواجب عليه نزع السلم .. ويبيح التلمود لليهودى أن يكون مؤدبا مع الكافر وأن يدعى محبته إذا خاف منه الأذى» [٢].

ونخرج مما سبق بأنه إذا كانت طبيعة الذات تجعلها ترضى الشر للآخرين طالما أن فيه خيرا لها .. فإن تضخم الذات جعل إلحاق الشر بالآخرين هدفا متعمدا فى حد ذاته .. ويتجلى ذلك

= والأربعاء يوم عطارد والخميس يوم المشترى والجمعة يوم الزهرة والسبت يوم زحل) ولأن الإثنين يوم القمر يجىء بعد الأحد يوم الشمس وبسبب منافسة القمر للشمس ففى رأينا أنه تم نقل يوم القمر إلى يوم السبت حتى يسبق يوم الأحد الذى يخص الشمس وبهذا أصبح السبت يوما مقدساً لدى الشعب المختار وسابقا على يوم الأحد المقدس لدى المسيحيين . أى أن المنافسة انتقلت من موقف الثقافة العبرية القمرية من الثقافة المصرية الشمسية إلى موقفها من الثقافة المسيحية مما يعلل موقف اليهود من المسيح .. ونلاحظ أن يوم الجمعه يسبق السبت والأحد . وجدير بالذكر أن يوم السبت الذى وضع يوم القمر مكانه مخصص فى مجال السحر للأذى والقتل والحصول على معلومات عن الكنز المخبأ وكل ما يتعلق بالبناء والإنشاء . وذلك طبقا لكتاب «مفتاح سليمان» الذى يعتبر من أهم كتب السحر

(١) الملحوظة بين القوسين تخصنا .

(٢) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٢٧ – ٢٩) .

فى رفع السلم من الحفرة حتى لا يخرج من وقع فيها (يعنى لا يرحم ولا يسبب رحمة ربنا تنزل) فكأن الأخلاق قد جُعلت لخدمة اليهود فقط .. فلا عجب أن «يعتبر التلمود أنه لولا خلق الله لليهود لما خلقت الشمس» [١] أى لما وجدت الأخلاق حيث أن الثقافة الشمسية تتعلق بالعقل الاختيارى المتعلق بالأخلاق .. بل إن هذا القول يعنى أيضا أن العقل الاختيارى - شرط تحقيق الذات - قد وجد من أجل اليهود فقط وهو ما يعنى نفى نوات غيرهم من الشعوب .. وكل هذا سببه تضخم الذات .. وعلى هذا يمكننا أن نستقبل قول د . عبد الرحمن نور الدين : «ظلت فكرة الشر والأذى تسيطر على فكر اليهود .. فقد لاقوا كثيرا من العذاب والاضطهاد» [٢] وذلك باعتبار أن العذاب والاضطهاد اللذين لقيهما اليهود قد نتج عنهما تضخم ذاتهم وما نتج عنه من طبيعة أخلاقياتهم .

وأما من حيث القيم الدينية فإن أهم أعراض تضخم الذات نجدها فى الاعتقاد بأن اليهود «لابد أن يكونوا فى جنة عدن دون الخلق أجمعين» [٣] .. «أما الجحيم فهو مـــأوى الكفار من غير اليهود» [٤] .. أى بقية شعوب العالم وعددهم بالطبع أضعاف عدد اليهود ولهذا يرى التلمود أن «الجحيم أكبر من الجنة ستين مرة» [٥] .

## مفهوم الجنة والجحيم فى التلمود

رأينا قول التلمود بأن الجحيم مخصص للكفار من غير اليهود .. ولكن لأن الشعب المختار معرض للخطيئة مثل بقية الشعوب ومن ثم معرض لدخول جهنم معهم فقد تضاربت أقوال الحاخامات بشأن التخلص من هذا الحرج فنجدهم يقولون : «إن نار جهنم لا سلطان لها على مذنبى بنى إسرائيل» [٦] .. ولأن هذا يجعل دخولهم جهنم بلا معنى وتمشيا مع تميز الشعب المختار على بقية الشعوب حتى فى جهنم نجدهم يقولون : «إن العذاب فى جهنم يتوقف يوم السبت يوم الراحة الإلهية» [٧]

بل إن التضارب يشمل أيضا مســألة البعث ويوم الحســاب وما يتبعه من دخـول الجنة أو الجحيم وفقا للديانات السماوية .. فبينما «يؤمن اليهود بأن البعث يكون بالجسد حيث تعود إليه الروح ويكون الحساب» [٨] نجد أن التلمود يخلط بين هذا وبين البعث والحساب على طريقة تناسخ الأرواح حيث يقول : «بعد موت اليهودى تخرج روحه وتشغل جسما آخر من أجسام نسله الحديثى الولادة . أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتل يهودى فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم فى

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٢٦) .
(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٥٤) .
(٣) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٥٩) .
(٤) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص٢٣) .
(٥) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٢٢) .
(٦) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٢٢) .
(٧) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٥٥) .
(٨) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٥٩) .

الحيوانات أو النباتات ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب لمدة عام ثم تعود ثانية وتدخل فى الجمادات ثم فى الحيوانات ثم فى الوثنيين ثم ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها» (١)

فإذا تركنا جانبا استهجاننا لهذا الخلط بشأن البعث والحساب ونظرنا إليه طبقا لمبدأ الثنائية الذى يعمل عليه قانون العقل الجبرى فسنجد فيه انعكاس الصراع الذى سبق أن بيناه فى ثنائية العقل الاختيارى والعقل الجبرى نتيجة تضخم الذات .

فبالنسبة لانتقال روح اليهودى الميت إلى جسم **مولود** من نسله نجد فى ذلك صورة تراكمية تعبر عن تضخم الذات وهى صورة تجمع بين العقل الاختيارى - شرط وجود الذات - والعقل الجبرى حيث أن الإنسان **كمولود** يجمع بين الإثنين .. أما بالنسبة لانتقال روح اليهودى الميت الذى يقتل يهوديا إلى الحيوانات أو النباتات - وهى تخص العقل الجبرى - ثم ذهاب هذه الروح إلى الجحيم لمدة عام - وهو ما يخص (الدين الاختيارى) - فنجد فى ذلك ثنائية الجمع بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى التى تحفظ لليهودى ذاته رغم قتله يهوديا مثله .. ولأن اليهودى ينتمى أصلا إلى العقل الجبرى نجده يخرج من الجحيم الذى يتعلق بالعقل الاختيارى ويعود إلى العقل الجبرى بدخول روحه فى الجمادات ثم الحيوانات ثم الوثنيين .. ونلاحظ هنا تطور ما يتعلق بالعقل الجبرى من مرحلة الجماد إلى الحيوان إلى الإنسان الوثنى الذى ينتمى إلى العقل الجبرى باعتبار أن الوثنية تعنى عبادة آلهة من عناصر الطبيعة تتمثل فى الجماد أو النبات أو الحيوان ومنها «يهوه» الإله القمرى أو البركانى الذى يخص اليهود .. ومعنى هذا أن التلمود قد ساوى بين اليهودى والوثنى (٢) ومن هنا نجد أن الوثنى هو المرحلة الأخيرة التى تمر بها الروح قبل عودتها إلى جسم يهودى آخر . وهكذا تنتهى رحلة اليهودى قاتل اليهودى إلى الصورة التراكمية التى تعبر عن تضخم الذات حيث تنتقل أو بالأصح تضاف - حسب مبدأ تضخم الذات - روح اليهودى العادى إلى جسم مولود من نسله وبهذا يتساوى اليهودى قاتل اليهودى بعد تطهيره ببقية اليهود وهو ما يتفق والنظرة التميزية الذاتية للشعب المختار حيث «تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله (٣) ومن ثم وجب عدم التفريط فى أى روح منها حتى لو قتل صاحبها يهوديا مثله .

ومن ناحية أخرى يمكن إرجاع عدم التفريط هذا إلى انتماء اليهود إلى العقل الجبرى الذى يتمثل فى مادة الكون حيث قانون : المادة كم ثابت لا يفنى ولا يستحدث .. وحيث من هذا الكم الثابت تتعدد ظواهر الكون إلى مالا نهاية وهو ما نفهمه من قول التلمود : «إن الله خلق

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» ( ص ٢٢) .

(٢) وهى نتيجة خرجنا بها من تحليلنا لمنطق اليهود فى التلمود ومن ثم ينطبق عليها القول : «وشهد شاهد من أهلها» ومادامت هذه وجهة نظرهم التى تخصهم فهى تتفق ورغبتهم التميزية الدائمة حيث أن الإنسان الوثنى يمثل درجة لاحقة لدرجة الحيوان ويشهد على ذلك قول التلمود : «إن الفرق بين اليهود وباقى الشعوب هو الفرق بين الإنسان والحيوان» ، ويعتبر التلمود صراحة أن الأجانب بصفة كلاب لأنه مذكور فى سفر لخروج : «إن الأعياد المقدسة لم تجعل للكلاب أو الأجانب» ويقول الحاخام أبار بانيل : «الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية أما باقى الشعوب فمثلهم مثل الحمير» (التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٢٦)

(٣) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٢٢)

٦٠٠,٠٠٠ يهودى وفى كل يوم سبت تتجدد عند اليهودى روح جديدة» (١) .. ويستوقفنا هنا أن العدد ٦٠٠,٠٠٠ كان عدد العبريين عند خروجهم من مصر «فارتحل بنو إسرائيل من رَعَمْسيس إلى سُكّوت نحو ست مائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد» (٢) حيث نلاحظ أن هذا العدد يخص الرجال فقط وهو المادة الأصلية لشعب اليهود باعتبار أن الأولاد يمثلون الأجيال التى ستخرج عن ديانتهم الأصلية باعتناق ديانة المصريين على يد موسى المصرى .. وحيث نلاحظ أيضا أن النساء لم يذكرن فى هذا العدد وهو ما نعلله بأن النساء ينتمين إلى صفة الأنثى التى تخص الثقافة الشمسية (المصرية) المؤنثة التى ترفضها الثقافة القمرية المذكرة التى تخص الشعب المختار .. وسوف نبين صحة تعليلنا هذا عندما نتناول موقف التلمود المضاد للمرأة .

كما نلاحظ أيضا أن الرقم (٦) فى (٦٠٠,٠٠٠) يمثل عدد أيام الخلق فى التوراة (٣) وأن الله خلق آدم – ممثل الشعب المختار – فى اليوم السادس ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت الذى تتجدد فيه روح كل يهودى التى يقول عنها التلمود إنها «جزء من الله» .. فإذا قابلنا هذا القول بقول التوراة فى قصة الخلق : «فخلق الله الانسان على صورته .. على صورة الله خلقه» (٤) لوجدنا إشارة إلى وحدة صورة اليهودى وصورة (الله) التوراتى ولفهمنا قول التلمود بأن روح اليهودى «جزء من الله» بمعنى وحدة روح اليهودى وروح (الله) التوراتى .. فلا عجب بعد ذلك أن الشعب المختار قد رفع نفسه إلى مرتبة الربوبية بل والألوهية «وأن اليهود يعتبرون أنفسهم خلفاء الله فى الأرض » (٥) وأن آدم الذى يمثل الشعب المختار قد أكل من شجرة معرفة الخير والشر ليكون (كالله) عارفا الخير والشر حيث «يعتبر التلمود أن الله مصدر الشر كما أنه مصدر الخير وأنه أعطى الإنسان طبيعة سيئة ولهذا فاليهود عليهم أن يقبلوا طبيعتهم كما هى وأنه ليست هناك خطيئة » (٦)

وواضح أن اليهود يبرئون أنفسهم من الخطيئة على أساس مغالطة تتجاهل الفرق بين معرفة الخير والشر ومعرفة الخير من الشر .. فالأولى تخص الإنسان والهدف منها امتحانه الذى تكون نتيجته إما خيرا وإما شرا .. والثانية تخص الله عز وجل ونتيجتها دائما خير .. ولأن عدم

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٢٢) .

(٢) «خروج» (١٢ : ٣٧)

(٣) الأمر الذى يجعلنا نشك فى صحة العدد (٦٠٠,٠٠٠) بمعنى أنه اختير تمشيا مع عدد أيام الخلق

(٤) «تكوين» (١ : ٢٧) .

(٥) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٤٥) .

(٦) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٥) «وهم يقولون إن داود الملك لم يرتكب خطيئة يستحق عليها العقاب بقتله «أوريا» وبزناه بامرأته لأن الله هو السبب فى كل ذلك (نفس المصدر والصفحة) وكما يقول د . مصطفى محمود فى كتابه «التوراة» (ص ٢٤) : «ولا ينجو داود النبى مما أصاب غيره من الأنبياء على يد كتاب التوراة فما نلبث أن نراه يزنى بامرأة الضابط أوريا الحثى ويرسله إلى الجبهة ليضرب ويموت ليستأثر هو بزوجته» ذلك أن الملك داود رأى من فوق سطح بيته زوجة الضابط «بتشبع بنت بلعام» فأرسل وأخذها واضطجع معها فحبلت منه ولما أخبرته بذلك أمر بارسال زوجها إلى الصفوف الأولى فى الحرب ليقتل» .

معرفة الخير من الشر تتعلق بالعقل الاختيارى الذى يخص الثقافة الشمسية (المصرية) التى تقبلوها على مضض فقد تبرأوا منه وكأنهم بذلك قد وصموا أصحاب الثقافة الشمسية بالخطيئة وبرأوا أنفسهم منها بأن نسبوا إلى أنفسهم معرفة الخير من الشر .. متشبهين بذلك بصاحب موسى فى سورة «الكهف» (٥٩ – ٨٢) المعروف فى التراث باسم الخضر أو باسم «إيليا» [١] الذى سبق أن أرجعناه إلى إله اليهود الأصلى «إيل» (انظر هامش (٥) ص ٤٧) ونضيف الآن قولنا بأن الجمع بين الإسمين «إيليا» والخضر يعنى الجمع بين الثقافة القمرية والثقافة الشمسية التى تقبلها الشعب المختار على مضض من أجل تحقيق الذات .. وما نعنيه هو أن «إيليا» يمثل العقل الجبرى وأن الخضر يمثل العقل الاختيارى شرط تحقيق الذات .. وسوف نبين ذلك فيما يلى :

بداية نذكر قول د . أنيس فريحة بأن «تموز عشيق الزهرة قد بقى حيا فى المأثورات الإسلامية وأنه هو الولى الخضر . ولنا أن نلاحظ اشتقاق الخضر من الخضرة . والخضرة هى الخصب خاصية تموز والزهرة» [٢] .. ونخرج من ذلك بأن الإسم «الخضر» يرمز إلى الثقافة الزراعية أو الشمسية التى تتعلق بالعقل الاختيارى .. وبالعودة إلى الإسم الآخر «إيليا» الذى يرمز إلى الثقافة البدوية أو القمرية التى تتعلق بالعقل الجبرى .. وبالجمع بين الاسمين أى بين الثقافتين نجد أنفسنا أمام المعادلة (العقل الجبرى + العقل الاختيارى = الذات) وهى بالنسبة إلى موضوعنا تمثل ذات الشعب المختار التى تحققت بالجمع بين الثقافتين : الثقافة القمرية والثقافة الشمسية .. وعلى هذا نستطيع أن نفهم «ما ذكره خليل أحمد من أن اسم الخضر يرجع إلى حدث تحولى . جلس مرة على فروة بيضاء ، فإذا هى تحته خضراء» [٣] – نستطيع أن نفهم هذا القول بأنه يمثل تحول الثقافة القمرية الرعوية إلى الثقافة الشمسية الزراعية حيث أن الفروة البيضاء – فروة الغنم – ترمز إلى الثقافة الأولى وحيث أن تحولها إلى اللون الأخضر يرمز لتحولها إلى الثقافة الثانية .. وهو ما يعنى تحول الشعب المختار من قبيلة إلى شعب .

وخلاصة ما سبق أن وهم تضخم الذات لدى الشعب المختار جعله ينسب إلى الخضر الإسم «إيليا» الذى يخص (العقل الجبرى) كرد فعل لاضطراره إلى تقبل الثقافة الشمسية التى تخص (العقل الاختيارى) وذلك من أجل أن يحقق ذاته بالفعل وليس بالوهم .. وبهذا يكون قد أرضى غروره الناتج عن تضخم ذاته وذلك عن طريق مبدأ قلب الأوضاع حيث أضاف العقل الجبرى الذى يمثله إلى العقل الاختيارى الذى تمثله الثقافة الشمسية (المصرية) شرط تحقيق الذات بالنسبة إليه .. وذلك على عكس الوضع الصحيح وهو إضافة العقل الاختيارى إلى العقل الجبرى .. فكأنه بهذا الذى فعله يكون هو أو تكون ثقافته القمرية هى صاحبة الفضل فى تحقيق

---

(١) الخضر ، إيليا : ابن إلياس . صاحب موسى عليه السلام (الموسوعة العربية الميسرة) وجدير بالذكر أن الاسم إلياس يرجع إلى الاسم «إيليا» .

(٢) «الأسطورة والتراث» (ص ٧٤) .

(٣) «الأسطورة والتراث» (ص ٧٤) .

ذاته وليست الثقافة الشمسية .. كما يكون أيضا قد صحح خطأ (الله) حين جعل القمر أصغر من الشمس .

وننتقل إلى بعد جديد لتقبل الشعب المختار للعقل الاختيارى على مضض وذلك من خلال مفهومه للجنة والجحيم اللذين يتعلقان بـ (الدين الاختيارى) حيث الثواب والعقاب .

«فالجنة التى تعد بها التوراة هى نعمة دنيوية» [١] أى هى جنة أرضية .. وكما ذكرنا سابقا فهى اسمها عدن وهو اسم الجنة التى كان يعيش فيها آدم - رمز الشعب المختار - والتى تصف التوراة حدودها الجغرافية على سطح الأرض [٢] .. فهى غير جنة الخلد التى تعدنا بها الديانات السماوية .

«أما الجحيم فهو لعنة تنزل بصاحبها فى الدنيا» [٣] حيث يعاقب عن طريق الأمراض والكوارث والشتات إلخ .. وأيضا - كما رأينا - عن طريق تناسخ الأرواح حيث تمر روح الميت بعناصر الطبيعة من جماد ونبات وحيوان تبعا لدرجة العقوبة .. وحيث تمر بالجحيم لمدة عام .. وهنا نتوقف لنوضح نقطة حان أوانها .. ففى سياق تحليلنا للحساب عن طريق تناسخ الأرواح قلنا إن الجحيم يتعلق بالعقل الاختيارى (الدين الاختيارى) والواقع أنه كذلك من حيث الإسم فقط أما من حيث المضمون فهو غير الجحيم الأبدى الذى نعرفه فى الإسلام إذ أنه جحيم مؤقت مثله مثل المطهر فى المسيحية وإن كان يختلف عنه فى أن موقعه بين (الدخول فى) و (الخروج من) عناصر الطبيعة يجعله مرحلة ضمن مراحل تناسخ الأرواح .. فهو جحيم يتعلق بالعقل الجبرى بحكم تعلقه بعناصر الطبيعة . وأما عن (الروح) فى (تناسخ الأرواح) فهذا يرجع إلى أن الفكر البدائى كان يعتقد بوجود الروح فى عناصر الكون من جماد وحيوان وبشر باعتبار أن هذه العناصر من خلق الإله ومن ثم ففيها قبس من الروح الإلهية .. كما وأن الثقافة المصرية التى تأثرت بها الثقافة اليهودية كانت تعتقد أن الروح الإلهية «بوسعها أن تنتقل من صورة إلى أخرى ويمكنها أن تعيش بكل صورها فى وقت واحد . فبوسع الروح المتألقة لـ «رع» أن تتدفق داخل صقر فى نفس الوقت الذى تتدفق فيه خلال فرعون أو ثور أو جعران . كانت الروح واحدة وغير قابلة للتجزؤ» [٤] .. وهو ما نسميه الروح الشمولية وهو ما يذكرنا بقول التلمود بأن روح اليهودى «جزء من الله» .

والخلاصة أن علاقة الجنة والجحيم لدى اليهود بـ (الدين الاختيارى) هى علاقة من حيث الإسم لا من حيث المضمون .. فالجنة والجحيم فى (الدين الاختيارى) يخصان عالم الآخرة (الأبدى) بينما عند اليهود يخصان عالم الدنيا (المؤقت) .. وإذا كنا قد أرجعنا ذلك إلى تقبل اليهود للعقل الاختيارى على مضض ومن ثم تقبلهم للجنة والجحيم من حيث الإسم لا المضمون إلا أننا نجدهم يخلطون بين الجنة والجحيم من حيث الاسم وبين الجنة والجحيم من حيث المضمون

---

(١) «التوراة» (ص ٢١) .

(٢) «تكوين» (٢ : ١٠ - ١٤) .

(٣) «التوراة» (ص ٢٢) .

(٤) «كتاب الموتى» الحاشية الختامية (ص ٢٢٣)

(لاحظ الثنائية) .

فبالنسبة للجنة (المؤقتة) نجدهم يضفون عليها صفة (الأبدية) إذ «يعتبر اليهودى أن الحياة الآخرة هى حياة الأبدية حيث تعيش الأرواح الطاهرة فى نعيم دائم بالقرب من الإله الواحد» (١) (لاحظ الإيمان بالتوحيد الذى يخص الدين الاختيارى) .

وبالنسبة للجحيم (المؤقت) نجدهم أيضا يضفون عليه صفة (الأبدية) حيث «العقاب يأتى جزء منه فى الحياة الدنيا أما الجزء الأكبر فيأتى فى الحياة الآخرة» (٢) .

وهنا يتكشف لنا البعد الجديد الذى نسعى إلى توضيحه بشأن تقبل الشعب المختار للعقل الاختيارى ولو على مضض وهذا البعد يتمثل فى صفة (الأبدية) التى تخص الجنة والجحيم فى (الدين الاختيارى) .

## قضية الذات والحياة الأبدية فى التلمود

الحياة الأبدية هى حلم الإنسان منذ أن تبلورت ذاته حيث بدأت سلسلة أولى حلقاتها إدراك الموت وثانيتها الرغبة فى التغلب على الموت وثالثتها فكرة الحياة الأبدية ورابعتها فكرة (الدين الاختيارى) حيث الثواب والعقاب فى عالم الآخرة حيث الحياة الأبدية .. ولأن الذات هى منبع هذه السلسلة التى تنتهى بالحياة الأبدية ولأن الإنسان يحلم بالحياة الأبدية فى الجنة لا فى الجحيم .. فالذات شرط أساسى للجنة وبدونه تنتفى الجنة بمعنى أنه إذا لم أدرك فى الجنة أننى (أنا) فلا معنى للجنة .

وعندما أقول (أنا) فأنا أعنى نفسى (٣) جسدا وعقلا (أو روحا) (٤) ومن هنا تنص الأديان السماوية على البعث بالجسد والروح .. ومن هنا أيضا نص (الدين الاختيارى) عند المصريين القدماء على ضرورة اجتماع الروح أو العقل (با) والجسد (كا) (٥) فى عالم الآخرة .. ولا شك أن العبريين أثناء وجودهم فى مصر قد تأثروا بهذا الفكر الدينى الذى يرضى رغبتهم - مثلهم مثل سائر البشر - فى الحياة الأبدية وإن كانوا قد عكسوا عليه طبيعة تضخم الذات لديهم .. وهو ما سنوضحه من خلال ما جاء فى أسطورة الحوت من أن طعام المؤمنين فى الجنة هو لحم زوجة الحوت المملحة التى اعتبرناها رمزا للذات .

وبداية نقول إن الهدف الأسمى فى الحياة الآخرة هو فناء الذات فى الذات العليا ومعنى

---

(١) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٥٩) .

(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الاسلام» (ص ٥٥)

(٣) يرى أرسطو أن النفس لا تفارق الجسم حيث هى صورة هذا الجسم وأنها لا تفعل ولا تنفعل بدونه وأن التفكير لا يوجد بغير الجسم (الكندى فيلسوف العرب ص ٢٦٠) وكما يقول د . تشارلى بروض : «إن الشكل لازم للتعبير عن الذات» (أصل الإنسان وسر الوجود ص ٢٧) .

(٤) الموسوعة العربية الميسرة تحيل تعريف (الروح) إلى (النفس) مبدأ الحياة فى الجسد وتوجد متحدة به طول الحياة وتنفصل عنه عند الموت . أما علاقة العقل بالروح فقد أوضحنا أنهما يعنيان شيئا واحدا وذلك فى كتاب «صدمة العرى» وفى دراستنا للرمز (با) .

(٥) أوضحنا فى كتاب «صدمة العرى» أن الرمز (كا) يعنى الجسد

هذا أن الحياة الآخرة – حيث الأبدية – هى وسيلة وليست هدفا .. ولأن شرط فناء الذات فى الذات العليا هو أن تتخلص الذات من طبيعتها الاستقلالية (١) ولأن تضخم الذات لدى الشعب المختار يعوق هذا الشرط فقد تحولت الحياة الأبدية من وسيلة إلى هدف فانتفى بذلك الهدف الحقيقى وهو فناء الذات فى الذات العليا وأصبح البديل هو فناء ذات الشعب المختار فى ذاته عن طريق أكله فى الجنة لحم زوجة الحوت المملحة التى قلنا إنها ترمز لذات الشعب المختار والتى أصبحت الآن رمزا أو بديلا للذات العليا .

وقد آن الأوان لنفسر مغزى تمليح زوجة الحوت .. فمضمون ما سبق أن الذات أى زوجة الحوت بدلا من أن تقدم قربانا للذات العليا قدمت قربانا لذاتها .. ولكى تظل الذات محتفظة بطبيعتها الاستقلالية – لضمان عدم فنائها فى الذات العليا – تم تمليحها حتى لا تفسد وتفقد خاصيتها (٢). ولأنها قربان ذاتى يخص الشعب المختار الذى منح نفسه رتبة الربوبية ومن ثم الألوهية فهى قربان إلهى .. ومن هنا يأتى فهمنا لإلحاح التوراة على تمليح القرابين الإلهية «وكل قربان تقادمك بالملح تملحه . ولا تخل تقدمتك من ملح عهد إلهك. على جميع قرابينك تقرب ملحا» (٣) .

ولا شك أن هذا الوضع الذى بيناه بشأن ذات الشعب المختار بالنسبة للذات العليا يحتاج إلى معرفة الأسباب التى أدت إليه .

فطبقا لرمزية كل من آدم والحوت للشعب المختار تصبح حواء مقابلا لزوجة الحوت .. وطبقا لإغراء حواء لآدم بالتعامل مع الشجرة المحرمة لاكتساب صفة الذات العليا حسبما جاء فى التوراة «ليكونا كالله» وهو ما يعنى تضخم الذات لدى الشعب المختار – طبقا لهذا تصبح زوجة الحوت هى السبب فى تضخم الحوت الذى جعل (الله) التلمودى يحرم الحوت من زوجته .. ومعنى هذا أن المذنب بشأن الرغبة فى أن يكون «كالله» هو حواء أو زوجة الحوت ولكن رغم ذلك فقد شملت العقوبة آدم والحوت : آدم بطرده مع حواء من الجنة والحوت بحرمانه من زوجته .. ولأول وهلة تبدو العقوبة الأولى مختلفة عن الثانية حيث ظلت حواء مع آدم بينما حرم الحوت من زوجته .. ولكن عندما نعود إلى مسألة تقبل الشعب المختار لـ (الدين الاختيارى) على مضض الذى نتج عنه الخلط بين جنة عدن الأرضية وجنة الخلد السماوية نجد أن جنة الخلد التى يأكل فيها الحوت لحم زوجته هى نفسها جنة عدن .. ومعنى هذا انتفاء حرمان الحوت من زوجته ومن ثم انتفاء الخلاف بين وضعه معها ووضع آدم مع حواء وإن كان ينشأ عن هذا اختلاف آخر هو خروج آدم وحواء من الجنة بعكس الحوت وزوجته رغم اشتراك الجانبين فى نفس الذنب واستحقاقهما نفس العقوبة .. ويرجع ذلك إلى الوضع المتفرد للشعب المختار الذى عكس (الخروج من الجنة) إلى (الخروج إلى الجنة) وهو ما سنفرد له الفصل التالى .

(١) أوضحنا فى كتاب «صدمة العرى» كيفية تخلص الذات من طبيعتها الاستقلالية .
(٢) كان الظن قديما أن الأرواح الشريرة هى السبب فى فساد الطعام . وعندما كشفت الصدفة ثم التجربة أن الملح يمنع ذلك نشأ الاعتقاد بأن الملح يطرد الأرواح الشريرة ومن ثم نشأت عادة رش العروسين – التى استمرت حتى الآن – بالملح حماية لهما من الأرواح الشريرة وأيضا من الحسد «حصوة – أى حصوة ملح فى عين الحسود»
(٣) «لاويين» (٢ : ١٣) .

الفصل العاشر :

# الخروج (إلى) الجنة وليس الخروج (من) الجنة

## ■ مصر كانت الأرض الموعودة قبل كنعان :

- ○ تناقض الوعود الإلهية لإبراهيم واسحق ويعقوب
- ○ تفنيد التناقض وإثبات أن مصر كانت الأرض الموعودة قبل كنعان
- ○ ختان العائلة الابراهيمية دليل على عدم وجود الانعزالية لدى العبريين قبل الأسر

## ■ الأرض الموعودة تشمل مصر وكنعان :

- ○ إعادة ترتيب الوعود الإلهية لإبراهيم واسحق ويعقوب من اللامعقول إلى المعقول لبيان أن الأرض الموعودة تشمل مصر وكنعان
- ○ الشعب المختار يعد نفسه بملكية العالم أجمع «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم»

## ■ الأسباب الحقيقية لأسر واضطهاد العبريين فى مصر :

- ○ تعاطف العبريين مع الهكسوس ليس السبب الوحيد لأسرهم واضطهادهم
- ○ الصدام بين الديانة الشمسية والديانة القمرية

## ■ جنة عدن كانت مصر ثم أصبحت كنعان :

- ○ فقدان آدم للأمن بعد خروجه من الجنة يقابله فقدان العبريين للأمن فى عهد يوسف
- ○ جنة عدن كانت مصر ثم صارت كنعان
- ○ الخروج (من) الجنة (مصر) صار الخروج (إلى) الجنة (كنعان)

## ■ «صدمة الإجهاض»

- ○ خروج آدم من الجنة بصفة (مولود) وخروج العبريين من مصر بصفة (جنين)
- ○ «صدمة الاجهاض» أقوى من «صدمة العرى»
- ○ تغلب العبريين على «صدمة الإجهاض» عن طريق كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود)
- ○ مفهوم الوطن والوطنية وتأليه الحاكم وعلاقة ذلك بموسى المصرى و«يهوه»
- ○ المصريون سبقوا العبريين فى كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) والفرق بين الإثنين

## مصر كانت الأرض الموعودة قبل كنعان

تذكر التوراة أن كنعان هى الأرض الموعودة للشعب المختار .. ولكن هناك ما يجعلنا نقول إن مصر كانت هى الأرض الموعودة قبل كنعان ثم نظرا لاستحالة تحقيق ذلك الوعد زعم كتاب التوراة أن كنعان هى الأرض الموعودة منذ البداية .. وسوف نقدم فيما يلى الحيثيات التى تبرر هذا الاستنتاج حيث نتابع رواية التوراة لارتحال العبريين سعيا وراء الأراضى الخصبة فنصحب آل إبراهيم (١) حين خرجوا «من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان . فأتوا حاران وأقاموا هناك» (٢) .. فنحن بصدد قبيلة مرتحلة تعرف وجهتها وهى كنعان وإن كانت قد توقفت مؤقتا فى حاران حيث توفى تارح أبو إبراهيم وحيث يبدأ توجيه الرحلة إلهيا : «وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك» (٣) .. وعلى الفور نلاحظ فى هذا التوجيه الإلهى الصيغة المجهلة «إلى الأرض التى أريك» التى تتعارض مع معرفة المرتحلين بوجهتهم وهى أرض كنعان .. ومعنى هذا أن (الرب) يقصد أرضا غير أرض كنعان التى يقصدها المرتحلون .. ومع ذلك فقد استمرواعلى مقصدهم الأصلى «فأتوا إلي أرض كنعان» (٤) .. ونتخطى هذا التناقض ونستمر مع تسلسل الأحداث لنجد (الرب) يقرر أن أرض كنعان التى قصدها الابراهيميون من أنفسهم دون توجيه منه هى الأرض التى أراد أن يدلهم عليها وأن يمنحهم إياها «وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض» (٥) .. وباعتبار أن الوعد الإلهى محقق لا محالة فقد كان المفروض أن يظل ابراهيم فى أرض كنعان حتى يرثها نسله .. ولكننا نفاجأ بأنه غادر الأرض الموعودة «ثم ارتحل ابرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب» (٦) .. ومرة أخرى نتخطى هذا التناقض ونستمر مع تسلسل الأحداث حيث يذهب ابراهيم إلى مصر «وحدث جوع فى الأرض . فانحدر ابرام إلى مصر ليتغرب هناك» (٧) .. وهنا نلاحظ ثلاث نقاط : النقطة الأولى أن ذكر الجوع كسبب للذهاب إلى مصر قد أتى بعد مغادرة ابراهيم لكنعان أى أنه لا علاقة له بمغادرة كنعان .. والنقطة الثانية أن ذهاب ابراهيم إلى مصر قد وصف بالتغرب أى أنه ترك كنعان – الوطن الموعود – دون سبب وذهب ليتغرب فى مصر .. والنقطة الثالثة أن النص يقول : «ليتغرب» ولا يقول : «وتغرب» .. فالعبارة الأولي تعنى قصدية التغرب وبالتالى قصدية الذهاب إلى

---

(١) من سياق التوراه نفهم أن قائد القبيلة المرتحلة هو تارح أبو ابراهيم . وأن كان هناك خلاف أشار إليه د. سيد القمنى فى كتابه «النبى ابراهيم والتاريخ المجهول» (ص٢٧ ، ٢٨) نتج عنه القول بأن ابرام(إبراهيم) كان هو قائد الارتحال وليس تارح . ونلاحظ أن الارتحال أصبح موجها إلاهيا مع إبراهيم .

(٢) «تكوين» (١١: ٣١)

(٣) «تكوين» (١٢ : ١ ، ٢)

(٤) «تكوين» (١٢ : ٥)

(٥) «تكوين» (١٢ : ٧)

(٦) «تكوين» (١٢ : ٩)

(٧) «تكوين» (١٢ : ١٠)

مصر أما العبارة الثانية فتعنى أن التغرب مجرد حدث معطوف على حدث الذهاب إلى مصر ولا يعنى بالضرورة قصدية الذهاب إلى مصر .

ثم يخرج ابراهيم من مصر رغم أنفه (١) ويستمر الوعد الإلهى بأرض كنعان مع سلالته (ابنه اسحق ثم حفيده يعقوب) ومع ذلك ينتهى الأمر بالعودة إلى مصر فى عهد يعقوب حيث عاش العبريون فى ثراء فى كنف يوسف الذى وصل إلي مرتبة عالية فى البلاط المصرى» (٢) .

ونخرج مما سبق بالآتى :

١ - أن قول (الرب) المبهم لإبراهيم : «أذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة» (٣) قد انتهى بوصول السلالة الإبراهيمية إلى مصر رغم وعدها مرارا وتكرارا وعلى مدى ثلاثة أجيال بأرض كنعان .

٢ - أن قول (الرب) لإبراهيم : «فأجعلك أمة عظيمة» يعنى تحقيق الذات بالتحول من قبيلة بلا وطن إلى شعب له وطن .. وعندما نذكر أن إبراهيم قد اتخذ شرعة الختان (المصرية) قبل استقرار أحفاده في مصر فمعنى هذا أن مصر - وليست كنعان - كانت هى الهدف من أجل تحقيق الذات .. وتعزيزا لاستنادنا إلى مسألة الختان نذكر «أن مصدره مصر . ويقص علينا هيرودوت أبو التاريخ أن عادة الختان كانت تمارس من زمن فى مصر (٤) وتأيد قوله بفحص المومياوات وكذلك بالرسومات على جدران المقابر . ولم يتبع شعب آخر من شعوب شرقى البحر الأبيض هذه العادة . ونستطيع أن نقول عن يقين إن الساميين والبابليين والسومريين لم يكونوا يختتنون . والتوراة نفسه يقول ذلك فيما ذكره من تواريخ عن سكان كنعان» (٥) .. وما يعنينا بالتحديد هو أن الختان لم يكن معروفا فى كنعان ومن ثم فإن اتخاذ ابراهيم شرعة الختان (المصرية) يؤكد قولنا بأن مصر كانت هى الأرض الموعودة وليست كنعان .

٣ - أن التمهيد بالختان لدخول مصر (كوطن موعود) يماثله ما فعله العبريون بعد خروجهم من مصر قاصدين كنعان (كوطن موعود بديل بعد الفشل فى مصر) حيث مهدوا لذلك بالانتقال من عبادة «إيل» أو (الله) إلى عبادة «يهوه» الذى كان الكنعانيون يعبدونه (٦) ومن ثم كان من دواعى السياسة أن يعتنقوا دينهم ويعبدوا إلههم .. وقد استمرت هذه السياسة حيث نجد فى سفر «القضاة» (٣ : ٥ ، ٦) «فسكن بنو اسرائيل وسط الكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين

---

(١) بسبب كذبه على الفرعون بادعائه أن سارة أخته وليست زوجته (تكوين ١٢ : ١٤ - ٢٠)

(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص٢٣)

(٣) «تكوين» (١٢ : ١ ، ٢)

(٤) كان قدماء المصريين يختتنون قبل ١٤٠٠ ق . م (الموسوعة العربية الميسرة)

(٥) «موسى والتوحيد» (ص ٧١ ، ٧٢)

(٦) حيث تم «العثور عام ١٩٣١ على الاسمين (ياه وياهو) منقوشين على قطع خزفية من عصر البرونز على ألواح ضمن مكتشفات مدينة أوغاريت «تل شمرا» (الأسطورة والتراث ص ١٣٧)

واليبوسيين .. وعبدوا آلهتهم» .. وما نعنيه هو أنه لو كانت الأرض الموعودة هى من البداية أرض كنعان لما كان هناك داع لاتخاذ شرعة الختان (المصرية) ولكانت عبادة «يهوه» قد ظهرت من البداية استعدادا لدخول كنعان .. ولكننا نجد أن «يهوه» قد ظهر فجأة عند الخروج إلى كنعان بعد الفشل فى مصر «وكلم الله موسى وقال أنا الرب .. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شئ . وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم» (١) .. فهذا النص فيه إقرار بأن «يهوه» كان إله ابراهيم واسحق ويعقوب دون أن يعرفوا ذلك .. وقد سبق أن فسرنا هذا (٢) بأن ضربنا مثلا بمؤلف يكتب مسلسلا مطولا وبعد مائة حلقة مثلا يجد أن الأحداث قد ساقته إلى وضع يحتم عليه إظهار شخصية جديدة لم يمهد لها من قبل ولكى يعالج هذا الموقف يقدم الشخصية الجديدة على أنها كانت موجودة أصلا وأنها كانت المحرك الخفى للأحداث التى مرت دون أن تعرف شخصيات المسلسل ذلك .. وهذا ما فعله العبريون بعد فشلهم فى مصر وتوجههم إلى كنعان التى يعبد أهلها الإله «يهوه» وأصبح من دواعى السياسة أن يعبدوه مثلهم .. ودرءا لشبهة الافتعال تمخضت عبقريتهم السياسية عن جعل «يهوه» إلها لأجدادهم .

وإذا كانت التوراة تخبرنا بأن ابراهيم قد عرف «يهوه» فقد سبق وبينا أن مثل هذه الأخبار قد كتبت بعد موسى بزمن طويل أى بعد الخروج نتيجة الفشل فى مصر (راجع هامش ٤ ص ٦٦) وهذا يقودنا إلى النقطة التالية .

٤ – أن التوجيه المبهم من (الرب) لإبراهيم «إلى الأرض التى أريك» يرجع إلى كتاب التوراة فيما بعد حيث أرادوا تغطية فشل العبريين فى مصر وهو ما يعنى فشل الشعب المختار الذى يمثله (الرب) فى اختيار البلد المناسب لتحقيق الذات .. وعلى هذا فلو فرضنا أن العبريين فشلوا فى تحقيق هدفهم فى كنعان – كما حدث فى مصر – وحققوه فى بلد «كذا» فقد كان سيسرى على كنعان التوجيه المبهم ويصبح التوجيه المحدد خاصا بالبلد «كذا» .

٥ – وتأكيدا لوجهة نظرنا نذكر أن إبراهيم دخل مصر.. وإن كان قد طرد منها بسبب كذبته على الفرعون عندما أدعى أن سارة أخته وليست زوجته .. وهى القصة التى يذكرها (الاصحاح ١٢ تكوين ) الخاص بوعد (الرب) المبهم لإبراهيم .. ولكننا نجد فى (الاصحاح ١٧ تكوين) أن (الرب) يظهر لإبراهيم بصفة (الله) ويعده صراحة بأرض كنعان ومقابل ذلك فرض على نسله شرعة الختان التى تخص مصر .. مما يؤكد أن الشعب المختار المتمثل فى (الرب) كان هدفه الأول هو مصر وليس كنعان وأنه لكى يعيد الكرة عن طريق أحفاد ابراهيم جعلهم يستعدون بشرعة الختان وكأنهم بذلك قد تجنسوا بالجنسية المصرية لمواجهة رفض مصر لهم بسبب الخطأ الذى ارتكبه جدهم ابراهيم بشأن زوجته .. ولأن فشل ابراهيم فى مصر يقترن بتوجيه (الرب) له

---

(١) «خروج» (٦ : ٢ ، ٣)

(٢) راجع الفقرة ٨ ( ص ٦٥)

أى بتوجيه الشعب المختار .. فهو - أى الشعب المختار - لكي يبعث الثقة في الأحفاد الموعودين بأرض مصر لجأ إلي التحدث باسم (الله) أى الإله «إيل» .. وبذلك يكون قد تنازل عن ربوبيته وسلم أمره إلى (الله) أى «إيل» - مؤقتا - إلى أن يتحقق الهدف الذى يرمى إليه .. متبعا كالمعتاد مبدأ توظيف أمور الدين والشريعة لحساب أمور الدنيا والسياسة .

٦ - أن الالتزام بشرعة الختان مثل المصريين يعنى عدم وجود صفة الانعزالية لدى العبريين في تلك الفترة .. وأن هذه الصفة ظهرت فيما بعد كرد فعل للأسر ومواجهة الشعب المختار له بفكرة الربوبية التي جعلته يعزل نفسه عن شعوب العالم تأكيدا لتميزه عليها .. وبانتفاء صفة الانعزالية لدى العبريين وبتوفر الحياة الرغدة التى كانوا يعيشونها بمصر في كنف يوسف في تلك الفترة .. يكون منطقيا القول بتفكيرهم في تحقيق الذات بالتحول من قبيلة إلى شعب عن طريق الانتماء إلى شعب مصر .. ولكن مصر رفضت ذلك (وهو ما سندرس أسبابه بعد قليل) .

٧ - وبرفض مصر انتماء العبريين إليها نشأت الحاجة إلى الوعد بوطن آخر وهو كنعان .. ومما يعزز وجهة نظرنا هذه ما جاء في وصية يوسف : «وقال يوسف لأخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلي الأرض التى حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب . واستحلف بنى اسرائيل قائلا الله سيفتقدكم . فتصعدون عظامى من هنا» (١) .. والمقصود هو نقل عظام يوسف إلى أرض كنعان مثلما فعل هو مع أبيه يعقوب بعد موته (٢) .. ولكن وصية يوسف لم تنفذ «ثم مات يوسف فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر» (٣) .. وواضح من ذلك «أن يوسف قد فقد منصبه ووضعه المتميز لفترة طويلة قبل وفاته . فقد اقتصر دوره على فترتى الشبع والجوع (١٤ سنة) ثم اشتراكه فى دفن أبيه وكان عمره وقتها ٥٥ سنة . ثم لم يأت ذكر أى دور ليوسف بعد ذلك طوال ٥٥ سنة أخرى عاشها بعد دفن أبيه . وقد كان بنو إسرائيل مضطهدين فى زمنه وحركتهم مقيدة بدليل أنهم لم يستطيعوا دفن يوسف فى كنعان كوصيته لهم . وتدل العبارة التى قالها : «الله سيفتقدكم» على إدراكه لما يتعرضون له من كبت واضطهاد . وهذا دليل على أن اضطهاد المصريين لبنى اسرائيل قد حدث منذ زمن وجود يوسف على قيد الحياة ولفترة غير قصيرة. وليس كما سيأتى بعد ذلك فى التوراة من أن الاضطهاد حدث بعد موت يوسف» (٤).

ولكن إذا كانت مصر كما قلنا هى الأرض الموعودة قبل كنعان فلماذا أوصى يعقوب بدفنه فى كنعان رغم أن يوسف وقتها لم يكن قد فقد مكانته بدليل أن الفرعون سمح له بتنفيذ وصية أبيه؟

---

(١) «تكوين» (٥٠ : ٢٤ ، ٢٥)

(٢) «تكوين» (إصحاح ٥٠)

(٣) «تكوين» (٥٠ : ٢٦)

(٤) «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة» (ص ١٠٨)

الإجابة : أن الأرض الموعودة أصبحت مصر وكنعان ومن ثم كان يتساوى أن يدفن يعقوب هنا أو هناك لولا أن أباه وجده مدفونان فى كنعان ومن ثم فضل أن يدفن معهما «ادفنونى عند آبائى .. فى أرض كنعان» (١)

## الأرض الموعودة تشمل مصر وكنعان

بينا وجهة نظرنا بأن الأرض الموعودة كانت مصر ثم أصبحت كنعان .. ثم انتهينا إلى أن الأرض الموعودة أصبحت تشمل مصر وكنعان .. ولكى نبين كيف تم ذلك سنستعرض أولا الوعود التى وقعت مع إبراهيم ثم إسحق ثم يعقوب :

### ● إبراهيم

١ - «وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض» (٢) (أى أرض كنعان)

٢ - «جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك من بعدك» (٣) (والأرض المقصودة هى كنعان)

٣ - «لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات» (٤)

٤ - «فهوذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم» (٥) (وقد صحب هذا الوعد عهد الختان) .

### ● إسحق

١ - «لا تنزل إلى مصر . اسكن فى الأرض التى أقول لك . لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد» (٦) (بعد ذهاب اسحق إلي أبيمالك ملك الفلسطينيين) .

### ● يعقوب

١ - «الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك» (٧) (بعد خروج يعقوب من بئر سبع إلى حاران)

٢ - «والأرض التى أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب لك أعطيها . ولنسلك من بعدك» (٨) (حين جاء يعقوب من فدان أرام)

---

(١) «تكوين» (٤٩ : ٢٩ ، ٣٠)
(٢) «تكوين» (١٢ : ٧)
(٣) « تكوين » ( ١٣ : ١٥ ) .
(٤) «تكوين» (١٥ : ١٨)
(٥) «تكوين» (٢٣ : ٣١)
(٦) «تكوين» (٢٦ : ٢)
(٧) «تكوين» (٢٨ : ١٣)
(٨) «تكوين» (٣٥ : ١٢)

٣ – «لا تخف من النزول إلى مصر . لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك . أنا أنزل معك إلي مصر وأنا أصعدك أيضا» (١) (بعد عودة يعقوب إلي بئر سبع).

والآن بعد أن قدمنا مختلف العهود الإلهية إلي ابراهيم واسحق ويعقوب .. فإن المتتبع لها حسب تسلسلها سرعان ما يلمس تناقضها .. فبعد الوعد لإبراهيم بأرض كنعان يأتى ذكر اسم مصر ثم نجد تعزيز الوعد بمصر عن طريق عهد الختان .. ثم نفاجأ بعد ذلك بتحذير اسحق من الذهاب إلى مصر .. ثم نفاجأ مرة أخرى بتشجيع يعقوب على الذهاب إلى مصر حيث يصير أمة عظيمة .. ثم تكون المفاجأة الكبرى في أن الإله الذى سينزل معه إلى مصر ويجعله أمة عظيمة سيخرجه منها .. وهكذا نجد أنفسنا أمام مسألة غير معقولة .. ولكنها تصبح معقولة حين نتذكر أنها سجلت بعد زمانها بطريقة تهدف إلى تغطية الفشل فى مصر وهو ما سبق أن أشرنا إليه .. ونضيف إليه الآن هدفا آخر وهو مستقبلية سريان الوعد الإلهى بمصر وكنعان أو بعبارة أخرى فتح باب المستقبل لتحقيق مالم يمكن تحقيقه فى الماضى .. وعلى أساس هذا المفهوم سنعيد سرد الأحداث التى بدت لا معقولة لنجدها معقولة :

١ – تحرك العبريين الأوائل نحو مصر .

٢ – دخول مصر وادعاء ابراهيم أن سارة اخته وليست زوجته (تكوين . اصحاح ١٢) وإذا كانت التوراة تزعم أنه فعل ذلك خوفا من أن يقتله المصريون ليستحوذوا على امرأته الجميلة.. فحسب مفهومنا أنه فعل ذلك تقربا إلى الفرعون عن طريق مصاهرته حيث أنه تزوج سارة .. وليس أقرب من ذلك سبيلا للاستيطان فى مصر .

٣ – اكتشاف الفرعون أكذوبة ابراهيم بشأن زوجته والخروج من مصر .

٤ – التفكير فى كنعان كهدف احتياطى بديل لمصر والتخطيط لذلك بتكرار خديعة ابراهيم للفرعون مع أبيمالك (تكوين . اصحاح ٢٠) وانتهاء الأمر بأن اشترى ابراهيم منه بئر سبع (تكوين . اصحاح ٢١) لتكون – فى رأينا – مسمار جحا عند الحاجة .

٥ – بجانب دق ابراهيم مسمار جحا فى كنعان على سبيل الاحتياط نجده يخطط لعودة نسله إلى الهدف الأساسى مصر وذلك باتخاذ شرعة الختان .

٦ – اسحق بن ابراهيم يخشى الذهاب إلى مصر وهو ما نفسره بقرب عهد اسحق بعهد خداع أبيه للفرعون «وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر» ومن ثم نجده يعزز مسمار جحا الذى تركه أبوه فى كنعان فيعيد حفر بئر سبع .

٧ – يعقوب حفيد ابراهيم يستعد للذهاب إلى مصر لبعد عهده بعهد خداع جده للفرعون «لا تخف من النزول إلى مصر» .

٨ – الفشل فى مصر ثم استيطان البديل كنعان ثم السبى البابلى .

---

(١) «تكوين» (٤٦ : ٣، ٤)

٩ - إدخال الإضافات على التوراة «وقد حدثت هذه الإضافات أو هذا التحريف بمعنى أصح أثناء السبى البابلى» (١) وهنا تم ما قلناه وهو تعويض الفشل فى الماضى بفتح باب المستقبل بشأن الهدفين الأول والبديل أى مصر وكنعان .. وذلك عن طريق الوعد الإلهى لإبراهيم : «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات» .. ونتوقف هنا لنشير إلى ما جاء فى كتاب «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة » (ص ٤٤) من أن كتبة التوراة خلطوا بين نهر مصر ووادى مصر .. كما نشير إلى أن كلمة «الكبير» فى النص المذكور فوقها إشارة تحيلنا إلي عدة نصوص تدل على أن المقصود هو تخوم مصر .. ومن هذه النصوص : «وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر إلى فلسطين وإلى تخوم مصر» (٢) .. ورغم ذلك فقد كان يمكننا الاستغناء عن كل ما قدمناه - لتعزيز رؤيتنا بأن الأرض الموعودة تشمل مصر وكنعان - والاكتفاء بما جاء فى سفر التثنية (١١: ٢٤) «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم» فبهذا يكون الشعب المختار قد أعطى لنفسه الحق ليس فى مصر وكنعان فقط بل فى العالم أجمع على أساس أنه داس أرضه .

## الأسباب الحقيقية لأسر وا ضطهاد العبريين فى مصر

بداية نشير إلى الرأى التقليدى المطروح بشأن أسر واضطهاد العبريين فى مصر وهو القول بمواكبة الفترة التى نحن بصددها بفترة حكم الهكسوس الذين يشتركون مع العبريين من حيث الأصل الرعوى مما يعزز فكرة تعاطف العبريين المستوطنين فى مصر مع الهكسوس (٣) . الغزاة وبالتالي يبرر اضطهادهم بعد طرد الهكسوس من مصر .. وفى رأينا أن هذا لا يكفى وحده لتبرير اضطهاد العبريين وذلك طبقا لرؤيتنا وهى المقابلة بين تحريم الشجرة على آدم الذى يعنى حرمانه من تحقيق الذات .. وتحريم الانتماء إلى شعب مصر على العبريين الذى يعنى حرمانهم من تحقيق الذات .. وبناء على هذه المقابلة سوف نبرر اضطهاد العبريين بالأسباب الآتية :

١ - أن العبريين كانوا ينتمون إلى عبادة «إيل» وهو إله قمرى يتعارض مع عبادة المصريين الشمسية .

---

(١) «التوراة بين الوثنية والتوحيد» (ص٧٥)

(٢) «الملوك الأول» (٤ : ٢١)

(٣) هكسوس : تصحيف للفظ الفرعونى القديم «خفاو خاسوت» (حكام الأراضى الصخرية الأجنبية) عرف فى مصر أيام الأسرة ١٢ وأطلقه المصريون على أولئك الغزاة الذين اجتاحوا بلادهم حوالى ١٧٣٠ ق . م فأتوهم فى دينهم وأذلوهم وظلوا يحكمون البلاد قرنا ونصف قرن ثم ثار عليهم صعيد الوادى بزعامة أمراء طيبة فأجلوهم عن مصر (الموسوعة العربية الميسرة) أو كما جاء فى هامش يخص مترجم «موسى والتوحيد» (ص٧٥) : فالهكسوس هم الملوك الرعاة وهو اسم مشتق من كلمتى «هيكا» و«كاس» ومعناهما الحاكم الأجنبى . وتحكى نقوش الملكة حتشبسوت أن مصر حكمها أجانب من آسيا لم يعبدوا «رع» وإنما عبدوا «ست» وعاصمتهم أفاريس واستمروا يحكمون مصر ١٠٨ سنوات .

٢ – أن اتخاذ شرعة الختان أسوة بالمصريين من أجل التقرب إليهم كان له تأثير عكسى إذ أن الختان هنا يخص جماعة تعبد إلها قمريا يتعارض مع إله المصريين الشمسى .

٣ – أن النقطتين السابقتين تتعلقان بالدين وعلى هذا نضيف سببا دينيا إلي القول باضطهاد العبريين بسبب تعاطفهم مع الهكسوس وهو أن الهكسوس كانوا يعبدون الإله «ست» (راجع الهامش السابق) عدو الإله المصرى المحبوب «أوزيريس» .. الأمر الذى يعزز تعاطف العبريين مع الهكسوس ورفض المصريين للعبريين .

ونخرج من النقاط السابقة بأن السبب الحقيقى والعميق للصدام بين المصريين والعبريين هو الصدام بين الديانة الشمسية والديانة القمرية .. وعلى هذا نلخص رغبة العبريين فى تحقيق ذاتهم بالانتماء إلى الشعب المصرى برغبة الثقافة القمرية التى تخص العقل الجبرى فى الانتماء إلى الثقافة الشمسية التى تخص العقل الاختيارى .. ولأن العقل الاختيارى يتعالى على العقل الجبرى – أو بلغة علم النفس : لأن طبيعة الذات (الأنا) تقاوم ظهور ذات (أنا) تخص الآخر – فقد كان لابد أن يرفض المصريون العبريين حتى لو لم يتعاطفوا مع الهكسوس .

## جنة عدن كانت مصر ثم أصبحت كنعان

ونستمر فى المقابلة بين أسباب تحريم الشجرة على آدم وأسباب تحريم انتماء العبريين إلى المصريين .

فباعتبار أن آدم التوراتى يمثل الثقافة القمرية التى تسعى إلى تحقيق الذات عن طريق الانتماء إلى الثقافة الشمسية حيث العقل الاختيارى – شرط تحقيق الذات – الذى يتعلق بالخير والشر والذى يتمثل فى شجرة معرفة الخير والشر .. ولأن العقل الاختيارى يتعالى على العقل الجبرى الذى يخص الثقافة القمرية فقد حرم عليه التعامل – أى الانتماء – مع الشجرة التى تمثله.

ولأن دافع تحقيق الذات أقوى من دافع الاستجابة لأمر التحريم فقد عصى آدم الأمر وتعامل مع الشجرة المحرمة ومن ثم أدرك عريه .. أو بمفهوم «صدمة العرى» تعرى من الأمن الذى كان يعيشه فى الجنة بجميع أبعاده التى نعرفها فى الشجرة المحرمة وهى البعد الغذائى (بعناصره الثلاثة : غذاء الجسد وغذاء العقل وغذاء الروح) والبعد الجنسى والبعد الحيوى حيث حكم عليه بالموت .. ويقابل تعرى آدم من الأمن تعرى العبريين أيضا من الأمن حيث تقول التوراة: «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر عددا وأعظم منا (١). هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى

(١) لأن التوراة كتبت فيما بعد وتمشيا مع تضخم ذات «الشعب المختار» وتمييزه على بقية الشعوب فهى تبالغ فى تعداد العبريين فتجعلهم أكثر من المصريين . والدليل على ذلك اعتراف التوراة ذاتها فى سفر الخروج (١ : ١٥) بأن العبريات كان لهن قابلتان فقط أحداهما تدعى شفرة والأخرى فوعة .. مما يدل على ضآلة عدد العبريين وعلى أن قلق الملك يرجع إلي الأسباب التى قدمناها وليس إلى كثرة عددهم .

أعدائنا (١) ويحاربوننا ويصعدون من الأرض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم» (٢) .. فبصدور هذا الحكم على العبريين بالأسر والأشغال الشاقة (٣) فقدوا الأمن الغذائى الجسدى - أو المادى - الذى كانوا يتمتعون به فى كنف يوسف .. وفقدوا الأمن الغذائى العقلى الذى كانوا يستمدونه من شعب مصر المتحضر.. وفقدوا الأمن الغذائى الروحى الذى كانوا يعيشونه بالسماح لهم باتباع دينهم وتعليمات آلهتهم التى تخصهم (وليس أدل على ذلك من وصية يعقوب لإبنه يوسف بأن يدفنه بعد موته فى أرض كنعان موطن «إيل» إله جده وسماح الفرعون ليوسف بتنفيذ وصية أبيه .. كما وأن المصريين بكوا عليه سبعين يوما) (٤).

أما من حيث فقدان الأمن الجنسى - بمعنى التكاثر - فنجده فى «وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات اللتين اسم احداهما شِفرة واسم الأخرى فوعة . وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسى . إن كان إبنا فاقتلاه وإن كان بنتا فتحيا» (٥) .

أما من حيث فقدان الأمن الحيوى فنجده فيما حدث بعد تحايل القابلتين للتهرب من تنفيذ أمر الفرعون (٦) حيث أمر جميع المصريين بتولى المهمة وإغراق المواليد الذكور فى النهر (٧) .

وكما توصلنا فى بداية بحثنا فإن الملك أو الفرعون = (الرب الإله) ويمقابلة حكم الملك على العبريين بالعمل الشاق مع حكم (الرب الإله) على آدم «بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التى أُخذت منها» (٨) .. نجد أن هذا الحكم ينطبق على العبريين بعد أن فقدوا الأمن الغذائى الجسدى أو المادى الذى كانوا يتمتعون به فى كنف يوسف .. كما نجد فى «حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها» إشارة إلى عودة العبريين - بعد خروجهم من مصر - إلى أرض كنعان موطن آبائهم (٩) ..

ونتوقف هنا لنقول الآتى :

١ - طبقا للتوراة فالجنة الموعودة هى كنعان .

٢ - وطبقا لما استكشفناه من التوراة فالجنة الموعودة كانت مصر فى فترة الرخاء فى عهد يوسف .. ثم بعد ذلك أصبحت كنعان .

٣ - وطبقا لما سبق فإن خروج آدم (من) الجنة يقابله خروج العبريين (إلى) الجنة .

---

(١) وفى هذا إشارة إلى تجربة سابقة وهى تعاطف العبريين مع الهكسوس .
(٢) «خروج» (١ : ٨ - ١٠)
(٣) واضح من حكم الملك عليهم أنهم كانوا يعيشون مرفهين .
(٤) «تكوين» (الاصحاح ٤٩ ، ٥٠) والخلاصة أن العبريين كانوا يعيشون وسط المصريين فى جو من التسامح الدينى الذى فقدوه فى فترة الأسر حيث نجد الرب يطلب من موسى أن يدخل على الفرعون ويقول له : «هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبى ليعبدونى» (خروج ٩ : ١٣)
(٥) «خروج» (١ : ١٥ ، ١٦)
(٦) «فقالت القابلتان لفرعون إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات . فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة» (خروج ١ : ١٩)
(٧) «ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلا كل ابن يولد تطرحونه فى النهر لكن كل بنت تستحيونها» (خروج ١ : ٢٢)
(٨) «تكوين» (٣ : ١٩)
(٩) كانت وصية يعقوب ليوسف : «ها أنا أموت ولكن الله معكم ويردكم إلى أرض آبائكم» (تكوين ٤٨ : ٢١)

ولكنهم لم ينسوا أن الجنة الأولى هى مصر منذ أن رأتها القبيلة الابراهيمية لأول مرة والتى صار يضرب بها المثل «كجنة الرب كأرض مصر» (١) .

والجنة فى التوراة اسمها عدن (٢) .. والفعل (عدن) يعنى استوطن أو أقام .. وهو ما كان يهدف إليه العبريون فى مصر ثم فى كنعان بعد فشلهم بمصر .

والخلاصة أن جنة عدن كانت لدى العبريين (مصر) ثم صارت (كنعان) .. وأن الخروج من الجنة (مصر) صار الخروج إلي الجنة (كنعان) .. وبالتالى فإن خروج آدم التوراتى من الجنة يعنى الخروج إلى الجنة .. وإذا كان قول الشاعر الاسرائيلى دافيد أفيدان «طردت إلى جنة عدن» (٣) يخص التاريخ الحديث فهو أيضا ومن حيث لا يدرى الشاعر يخص التاريخ القديم .

وقد قلنا إن الشعب المختار قد اعتبر كنعان الجنة الأصلية لكى يدارى فشله فى مصر .. والآن نقدم السبب العميق وراء ذلك وهو «صدمة الاجهاض» .

## « صدمة الإجهاض »

نعود إلى العلاقة بين الجنة والرحم من حيث الأمن والأمان لنضيف إليهما الوطن الذى نصفه بأنه الأم حيث أنه يعنى نفس الصفات الموجودة فى رحم الأم .

وقد قلنا سابقا إن الرحم لا يقبل صفة (مولود) وإنما يقبل فقط صفة (جنين) .. والفرق بين المولود والجنين أن الأول يتميز بالعقل الاختيارى شرط تحقيق الذات .. وعلى هذا فإن آدم عندما كان فى الجنة كان بصفة (جنين) وعندما اختار التعامل مع الشجرة المحرمة أصبح بصفة (مولود) ومن ثم خرج من الجنة طبقا لمبدأ أن الرحم لا يقبل صفة (مولود) .. وعندما نقابل ذلك بقبيلة العبريين فى مصر نجد أنهم كانوا بصفة (جنين) وعندما رفض شعب مصر انتماء هم إليه ظلوا بصفة (جنين) ومعنى هذا أنهم خرجوا من مصر وهم بصفة (جنين) وهو ما يعنى الولادة المبتسرة أو بالأصح الإجهاض حيث أن الولادة المبتسرة ليست بالضرورة قهرية بعكس الإجهاض الذى يتفق وموضوعنا .

وبوصولنا إلى الإجهاض نضيف بعدا جديدا إلى قولنا بأن فترة الأسرة فى مصر هى المحرك الشعورى واللاشعورى معا وراء تاريخ الشعب المختار .. وهو بعد أقوى فى تأثيره من فترة الأسر .. ولكى نعرف مدى قوته نشير إلى نظرية «صدمة العرى» التى بنيناها على أساس أن تأثيرها - كأول تجربة غير عادية يمر بها الجنين - يفوق تأثير «صدمة الولادة» .. إلا أن الولادة هنا مبتسرة قهرا عن طريق الإجهاض الذى ينتج عنه ليس فقط فقدان الأمن والأمان وإنما ينتج عنه الموت ..

---

(١) «تكوين» (١٣ : ١٠)
(٢) عدن - (عدنت) بالبلد توطنته وبابه ضرب . وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه . ومنه «جنات عدن» أى جنات إقامة . و(عدن) بلد (مختار الصحاح) .
(٣) من قصيدة «دقيقة للشعر» ضمن مجموعة بعنوان «إذاعة من قمر اصطناعى» .

وبعبارة أخرى فإن الإجهاض يبرز بُعد الموت لشجرة المعرفة على ما عداه من أبعاد أو يبرز «صدمة العرى» الخاصة بالموت على ما عداها من صدمات .. وبهذا المعنى سنخص الإجهاض بتسمية نابعة من «صدمة العرى» وهى «صدمة الإجهاض» التى أصبحت – فى حالة الشعب المختار – هى التجربة الأولى بدلا من «صدمة العرى» .

وعلى أساس تفوق «صدمة الإجهاض» على «صدمة العرى» أصبح خروج العبريين من مصر بمثابة حياة أو موت وأصبحت حياتهم تتوقف على تحولهم من (جنين) إلى (مولود) وهى حالة غير طبيعية حيث أن الجنين هنا خارج الرحم نتيجة الإجهاض الذى يجعله فى حكم الميت .. فكيف كان الحل ؟

كما قلنا سابقا فإن بُعد الموت يمثل آخر أبعاد شجرة المعرفة التى تليها شجرة الحياة وإن همزة الوصل بينهما هى البعد الروحى لشجرة المعرفة ومن هنا فإن هذا البعد – الروحى – يطغى على جميع أبعادها .. وعلى هذا فإن العبريين لكى يتغلبوا على «صدمة الإجهاض» ويتحولوا من (جنين) إلى (مولود) – أى شعب له وطن – لجأوا إلى البعد الروحى عن طريق المعاهدة الإلهية بمنحهم أرض كنعان باعتبارهم «الشعب المختار» وما تلى ذلك من الربوبية وتضخم الذات قبل أن يكونوا شعبا بالفعل أى قبل أن تكون لهم ذات .. وهكذا بقدر قوة «صدمة الإجهاض» كانت قوة رد الفعل التى أيقظت لديهم طاقة الكينونة وهم مازالوا فى الأسر يعدون أنفسهم للخروج من مصر إلى كنعان الجنة الموعودة .

وهكذا انعكس وضع الخروج (من) الجنة إلى الخروج (إلى) الجنة .. كما انعكس مبدأ الوجود فى الجنة بصفة (جنين) إلى الوجود فى الجنة بصفة (مولود) أى بصفة شعب حيث أن دخول أرض كنعان والاستيطان فيها بصفة شعب أمر مفروغ منه طبقا للوعد الإلهى .. وباعتبار أن أرض كنعان = الجنة الأرضية البديلة لجنة مصر = الوطن = الرحم .. فمعنى هذا أن العبريين ولدوا بالدخول إلى الرحم وليس بالخروج منه .. وهكذا تغلبوا على «صدمة الاجهاض» بإعادة الجنين المجهض إلى الرحم وبتحويله إلى مولود فى نفس الوقت .

وبوجود المولود داخل الرحم نعود إلى قولنا بأن الرحم لا يقبل صفة (مولود) وإنما صفة (جنين) فقط حيث لابد أن يسأل القارئ كيف خرج الرحم على هذا المبدأ .. بل إنه باعتبار أن الرحم هنا يعنى الوطن وأن المولود يعنى الشعب فإن السؤال لا يخص الشعب المختار فقط وإنما يخص أى شعب حيث نتساء ل كيف يقبل الوطن شعبه بينما المفروض أن يرفضه طبقا لمبدأ رفض الرحم الذى يقابل الوطن لصفة (مولود) التى تقابل الشعب ؟

ومفتاح الإجابة عن ذلك السؤال أن ما يميز المولود عن الجنين هو تعلقه بالعقل الاختيارى الذى يفصله عن العقل الجبرى وبالتالى عن الجنين وبالتالى أيضا عن الرحم .. أى أن العقل الاختيارى هو سبب الرفض ولأن العقل الاختيارى يتعلق بالذات فالذات هى سبب الرفض ..

ومعنى هذا أن على الشعب أن ينفى ذاته لكى يقبله وطنه وهو ما يعنى نفى الوطن حيث أنه لا وطن بدون شعب ولا شعب بدون وطن .. ومعنى هذا أن هناك علاقة شرطية تبادلية بين الوطن والشعب أى بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى .. وطبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى فمن هنا نشأت فكرة الوطنية (الجبرية) حيث تفنى ذات الشعب فى الوطن وكأنها تفنى فى ذات إلهية ومن هنا كان تقديس الوطن ومن ثم تقديس العلم رمز الوطن وتقديس الشهيد فى سبيل الوطن وتقديس أو تأليه الحاكم حامى الوطن (وهى سلسلة تفتح الباب لظهور دكتاتور يحول تضحية الشعب من أجل الوطن إلى تضحية من أجل شخصه حيث يصبح هتاف «بالروح بالدم نفديك يا وطن إلى بالروح بالدم نفديك يا ......)

وطبقا لتلك العلاقة الشرطية التبادلية بين الشعب (الذات) والوطن .. وطبقا لتعلق الذات بالعقل الاختيارى كان على الشعب المختار فى خروجه من مصر إلى الوطن (كنعان) أن يحمل (الدين الاختيارى) ديانة «آتون» وأن يكون تحت زعامة موسى المصرى التابع لتلك الديانة .

وطبقا لتقديس الشهيد فى سبيل الوطن كان على الشعب المختار أن يعترف بموسى نبيا ثم يقتله لكى يصبح شهيدا .

وطبقا لتأليه حامى الوطن كان على الشعب المختار أن يختار عن طريق موسى المدينى الإله «يهوه» .. ولأن الحماية كانت عن طريق الحرب حيث أغرق «يهوه» جيش الفرعون فمن هنا كان «يهوه» إله حرب .

ولكن «يهوه» يخص (الدين الجبرى) بحكم تعلقه بالعقل الجبرى .. ومعنى هذا أن الشعب المختار – بعد الذى عرضناه – قد عاد إلى صفة (جنين) وفقد صفة (مولود) التى تؤهله لأن يكون شعبا ذا وطن .. فما معنى هذا ؟

الواقع أن الشعب المختار لم يفقد صفة (مولود) لأن فاقد الشئ لا يفقده .. وذلك أن صفة (مولود) التى اكتسبها إنما كانت كما نعرف محض إيحاء قام به اللاشعور عن طريق البعد الروحى لإقناع العبريين بفكرة «الشعب المختار» الموعود بأرض كنعان .. ولأنه إيحاء يتعلق بالدين فقد كان له قوة الواقع التى جعلتهم يمرون بالرحلة السابقة من جنين إلى جنين مجهض إلى مولود إلى جنين .. وهو الآن جنين طبيعى مؤهل لأن يتحول إلى مولود فى عالم الواقع لا فى عالم الإيحاء.. أى فى عالم الشعور الذى يخص أمور الدنيا لا فى عالم اللاشعور الذى يخص أمور الدين .. ولأن الشعب المختار يوظف أمور الدين لحساب أمور الدنيا فهذا ما فعله لكى يتغلب على «صدمة الإجهاض» ويتحول من جنين فى حكم الميت إلى جنين حى .. ثم لكى يتحول إلى مولود فى عالم الواقع (الشعور) كان عليه أن يعيد ما مر به الجنين المجهض لا شعوريا عندما خرج من مصر حاملا (الدين الاختيارى) وهو ما فعله شعوريا عندما أضفى ديانة «اتون» على ديانة «يهوه» حين جمع بين موسى المصرى وموسى المدينى .

ونخرج مما سبق بأن الشعب المختار عندما كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) قد فعل ذلك عن طريق اللاشعور المتعلق بالدين إذ أن كسر قانون العقل الجبرى مستحيل فى الواقع .

وإذا كان القارئ قد خرج بانطباع أن الشعب المختار قد انفرد وحده بكسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) فالواقع أن المصريين سبقوهم إلى ذلك وإن كان هناك فرق بين الاثنين يتمثل فى نوعية الفكر الذى نتج عما فعله الشعب المختار والذى يؤثر فى علاقته بالعالم حتى اليوم .

ولسنا فى حاجة إلى إثبات أمر مفروغ منه وهو تأثر الثقافة العبرية وبالذات من حيث اللاهوت بالثقافة المصرية القديمة .. وإنما نذكر مثالا نبع من بحثنا وهو تحول الجنين إلى جنين مجهض إلى مولود إلى جنين طبيعى مرة أخرى .. فإذا كان هذا يذكرنا بتناسخ الأرواح الذى تناولناه فى التلمود حيث التنقل بين العنصر الجماد (الذى يقابله الجنين المجهض الذى فى حكم الميت) والعنصر الحى (الذى يقابله الجنين الطبيعى) .. إلا أن هذا يرجع أصلا إلى فصول التحولات فى «كتاب الموتى» لدى المصريين القدماء وإن كان هناك فرق بين الإثنين وهو أن منطق التحولات لدى المصريين ينبع من اعتقادهم بأن «الروح واحدة وغير قابلة للتجزؤ» (١) بمعنى أنه لا فرق بين روح الإله «رع» وروح الفرعون وغيره من الكائنات الحية (٢) .. وهو ما يعنى وحدة روح الكون التى سبق أن وصفناها بـ (الروح الشمولية) وذلك عكس ما نجده فى التلمود حيث (الروح الشمولية) قاصرة على أرواح اليهود فقط .

وننتقل إلى مثال آخر لتأثر الثقافة العبرية بالثقافة المصرية القديمة من حيث أسبقية المصريين للشعب المختار فى كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) وحيث نجد الدليل على هذا فى «ماعت» رمز العدل والحق والصدق عند المصريين القدماء .

---

(١) «كتاب الموتى» (الحاشية الختامية ص ٢٤٣)

(٢) «فبوسع الروح المتألقة لـ «رع» أن تتدفق إلى داخل صقر فى نفس الوقت الذى تتدفق فيه خلال فرعون أو ثور أو جعران» (كتاب الموتى . الحاشية الختامية ص ٢٤٣)

## الفصل الحادى عشر :

# الرمز المزدوج «ماعت» وشخصية «الشعب المختار»

■ **هل (مولود مصرى) = (مولود يهودى) ؟**

- ○ المصريون سبقوا الشعب المختار فى كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود)
- ○ ازدواجية «ماعت» تقابلها ازدواجية موسى

■ **قربان الفصح .. والفرق بين (مولود مصرى) و(مولود يهودى) :**

- ○ مغزى تجسيد «ماعت» فى هيئة الإنسان
- ○ إدراك المصرى القديم لقيمة الجسد كموصل روحى جيد وانعكاس ذلك على العبريين
- ○ لماذا عومل قربان الفصح معاملة الميت ؟
- ○ قربان الفصح يرمز إلى «صدمة الاجهاض»
- ○ طقوس قربان الفصح والختان تعكس انعزالية الشعب المختار
- ○ التدين الانفرادى يفتت ذات الشعب المصرى وقربان الفصح يوحد ذات الشعب المختار
- ○ الذات الجماعية للشعب المختار تعادى ذوات شعوب العالم
- ○ مغزى قول المسيح : «أحبوا أعداء كم»

■ **الأخلاق .. والفرق بين (مولود مصرى) و(مولود يهودى)**

- ○ المصرى القديم جعل تطهر الأخلاق هدفا فى حد ذاته وليس جواز مرور إلى الجنة

## هل (مولود مصرى) = (مولود يهودى) ؟

قلنا بشأن تأثر الثقافة العبرية بالثقافة المصرية إن المصريين سبقوا الشعب المختار فى كسر مبدأ ( الرحم لا يقبل صفة مولود) حيث نجد الدليل على هذا فى «ماعت» رمز العدل والحق .. وذلك من خلال التحليل الذى قدمته فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «نظرة جديدة إلى ماعت» .. وعلى هذا فسوف أوجز بعض ما جاء فيه مع إضافة ما يخص هذه الرسالة .

وبداية نشير إلى إزدواجية «ماعت» .. ولقد توصلنا فى تحليلنا لها إلى أنها تمثل العقل الاختيارى وقد أسميناه (ماعت الاختيار) والعقل الجبرى وقد أسميناه (ماعت الجبر) .. ومن الواضح أن الأزدواجية التى عقدها المصرى القديم بين العقل الاختيارى والعقل الجبرى تقابلها الازدواجية التى انتهى إليها الشعب المختار بين (موسى المصرى) و (موسى المدينى) أو بين (موسى الاختيار) الذى يقابل (ماعت الاختيار) و(موسى الجبر) الذى يقابل (ماعت الجبر)

وبما أن (العقل الاختيارى) + (العقل الجبرى) = (مولود)

إذن (ماعت الاختيار) + (ماعت الجبر) = (مولود مصرى)

وإذن (موسى الاختيار) + (موسى الجبر) = (مولود يهودى)

ومعنى ذلك أنه لا فرق بين (مولود مصرى) و(مولود يهودى) .. فهل هذا صحيح ؟

## قربان الفصح .. والفرق بين (مولود مصرى) و(مولود يهودى)

سنجيب عن السؤال السابق من خلال تعرفنا على أبعاد «ماعت» .. وسنبدأ ونقول إنه إذا كانت «ماعت» ترمز إلى العدل والحق والصدق فمعنى ذلك أنها تعبر عن قيم معنوية مجردة ومن ثم كان يجب أن تعبر عنها بعيدا عن التجسيد والحسيات .. ولكننا نجد أنه قد تم التعبير عنها بالتجسيد المحسوس فى هيئة الإنسان .. وأقرب تفسير لذلك أن المصرى القديم ظل فى حاجة إلى تجسيد المعنويات والمجردات رغم التطور الفكرى والعقيدى الذى وصل فى عهد أمنحتب الثالث إلي وصف الإله بأنه «مصوِّر دون أن يصوَّر» (١) ورغم ذلك نجد أن خلفه إخناتون – الذى توصل إلى أقصى مفهوم تجريدى للإله – قد أطلق عليه اسما قديما يطلق على الشمس المجسمة مما يرجح الظن بأنه يدل على قرص الشمس فقط .. إلا أنه يكشف الحاجة إلى تجسيد الإله رغم ارتقائه إلى الدرجة التى وصفه فيها إخناتون بأنه النور .

ولكن رغم منطقية ذلك التفسير إلا أننا نجده لا يتفق والقيمة الروحية للرمز «ماعت» التى كشفناها بتحليلنا له .. وفى رأينا أن هذه القيمة تتمثل فى أن المصرى القديم عندما أبدع هذا الرمز كان على وعى تام بغلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى وذلك عن طريق إدراكه الفطرى

---

(١) «فجر الضمير» (ص ٢٩٥)

من خلال احتكاكه بالطبيعة (١) أن قانون العقل الجبرى من وضع الخالق الأحد - أياما كانت رؤيته له فى ذلك الحين (٢) - وأن قوانين العقل الاختيارى من وضع المخلوق .. ولأن الجسد يتعلق بالعقل الجبرى فمن البديهى أن وعى المصرى بغلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى جعله يدرك قيمة الجسد كموصل روحى جيد ومن هنا جسد «ماعت» على هيئة الإنسان .

وإدراك قيمة الجسد كموصل روحى جيد أدى إلى الاهتمام به فى عالم الآخرة والدليل على ذلك هو شرطية وجود (كا) (٣) رمز الجسد بجانب (با) رمز الروح أو العقل من أجل انتقال الميت إلى الحياة الآخرة .. ومن هنا نشأت أهمية الحفاظ على جسد الميت عن طريق التحنيط ثم عن طريق الحيل والتعاويذ التى ينخر بها «كتاب الموتى» .. ولأن قيام الجسد يعتمد على الهيكل العظمى فقد اهتم المصرى القديم بسلامة العظم حيث نجد فى «كتاب الموتى» أن الميت أثناء محاكمته فى قاعة «ماعت المزدوجة» يواجه اثنين وأربعين إلها يمثلون شياطين مخيفة ويحاول أن ينجو من شرها .. وأحد هذه الشياطين يدعى «كاسر العظام» (٤) .

وقد قدمنا ما سبق تمهيدا لبيان أن المصرى القديم قد سبق الشعب المختار فى كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) وعلى هذا نقول :

بما أن (كا) + (با) = (مولود) .. وبما أن المقصود بالحياة الآخرة هو الجنة ... وبما أن الجنة = (الرحم) .. فمعنى هذا أن المصرى القديم قد دخل (الرحم) بصفة (مولود) وبهذا يكون قد سبق الشعب المختار فى كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) والفضل فى ذلك يرجع - كما بينا - إلى إدراكه قيمة الجسد كموصل روحى جيد .

ولكن إذا كان الشعب المختار قد شارك الشعب المصرى فى كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) فهل معنى هذا أنه يشاركه فى نظرته إلى الجسد ؟

فى الواقع أن حرص المصريين على سلامة الجسد والعظم قد انعكس على العبريين .. فمن حيث الجسد نجد «وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه» (٥) .. ومن حيث العظم

---

(١) فالعدل الذى ترمز له «ماعت» موجود في الطبيعة . وقد أدرك المصرى ذلك بفطرته وإن كان قد نسبه إلى آلهة من صنعه ، فنجد مثلا فى مقدمة ترانيم «كتاب الموتى» : «التحية يا كل آلهة معبد الروح الذين يزنون الأرض والسماء فى الميزان» . كما نجد في قوله تعالى (سورة الحجر ١٩) : «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون» .. فموزون من الميزان من التوازن (قانون العقل الجبرى الذى وضعه الخالق الأحد) والتوازن يعنى العدل الذى ترمز إليه «ماعت»

(٢) «إنك أنت الذى تشرف على جميع الآلهة ولا يشرف عليك إله ما» (فجر الضمير ص ٤٥ ، ٤٦) بهذا كان يخاطب المصرى الإله «رع» فى عهد الاتحاد الأول . وهو قول يحمل بذرة الإيمان الفطرى بالتوحيد وإن كان الهدف منه سياسيا وهو ضم آلهة الإمارات التى تم توحيدها تحت لواء إله يرأس الاتحاد وبالتالى تحت لواء ملك يحكمه . وجدير بالذكر أن «ماعت» إبنة «رع» .

(٣) أوضحنا فى كتاب«صدمة العرى» تأثر الفكر المسيحى بالفكر العقائدى المصرى القديم كما أوضحنا العلاقة بين (كا) وصفة السيد المسيح الناسوتية من حيث تمثيله لـ (كا) جميع المسيحيين ومن حيث القربان المقدس الذى يتم تناوله باعتباره رمزا لجسد السيد المسيح (انظر هامش ٢ ص ١٤٧ من هذا الكتاب) .

(٤) وأحد هؤلاء الشياطين يدعى «صاحب الرجلين من النار» ولعل إليه يرجع (أبو رجل مسلوخة) الذى يخيف به بعض الأباء أبناء هم .

(٥) «تكوين» (٥٠ : ١)

نجد «فتصعدون عظامى من هنا» (١) والمتحدث هو يوسف فى وصيته بنقله بعد وفاته إلى كنعان .. ولأهمية الوصية يحرص موسى على تنفيذها عند خروجه من مصر «وأخذ موسى عظام يوسف معه» (٢). وإلى هنا فإن نظرة العبريين إلى قيمة الجسد الروحية لا تختلف عن نظرة المصريين حيث أن الاثنين يشتركان في الإجراء ات الخاصة بذلك .. ولكننا نلاحظ أن نفس الإجراء ات تنفذ فى قربان الفصح حيث نجد نصوصا مثل :«وشاة صحيحة» (٣) و «وعظما لا تكسروا منه» (٤) و«كل ما فيه عيب لا تقربوه .. الأعمى والمكسور والمجروح والبثير والأجرب والأكلف .. ومرضوض الخصية ومنزوعها ومقطوعها لا تقربوا للرب» (٥) .

والسؤال هو : لماذا عومل قربان الفصح معاملة الميت ؟

الإجابة : أن الفصح هو عيد خروج العبريين من مصر وتحولهم من قبيلة إلى شعب أى تحولهم من جنين مجهض إلى مولود .. وكما قلنا فالجنين المجهض هو فى حكم الميت وعلى هذا فإن معاملة قربان الفصح معاملة الميت تجعله رمزا للجنين المجهض .. ومما يؤكد صحة هذا التفسير أن مظاهر تحول الجنين المجهض إلى مولود نجدها في بقية التعليمات الخاصة بقربان الفصح .. فكما قلنا فإن العبريين تغلبوا على «صدمة الجنين المجهض» عن طريق الإيحاء الذى قام به اللاشعور مستخدما البعد الروحى لإقناعهم بأنهم شعب الله المختار .. وكما نعلم فإن فكرة «الشعب المختار» نتجت عنها صفة الأنعزالية وانغلاق الشعب على نفسه وهو ما نجده فى بقية التعليمات الخاصة بقربان الفصح مثل «كل ابن غريب لا يأكل منه» (٦) و«لا تخرج من اللحم من البيت إلى خارج» (٧) حيث أن اللحم هو لحم الشعب المختار ومن ثم وجب عزله عن لحم الشعوب الأخرى .. ولأن على رأس هذه الشعوب الشعب المصرى الذى أسرهم واضطهدهم فإننا نجد نصا يقول : «كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه» (٨) وهو ما يعنى أنتفاء العبودية بالختان رغم أن الختان يخص المصريين الذى استعبدوا العبريين .. وفى هذا تناقض يحتاج إلى تفسير .. وهنا نذكر مضمون قول فرويد فى كتابه «موسى والتوحيد» (ص ٧٧ ، ٧٨) وهو أن شريعة الختان لدى المصريين كانت مدعاة للتفاخر والتسامي على غيرهم من الشعوب ومن هنا ألزم موسى العبريين بشريعة الختان ليكونوا بديلا للمصريين ثم ليكونوا أسمى منهم بجعلهم أمة مقدسة حيث يصبح للختان هدف آخر هو عزلهم عن الشعوب غير المختونة التى سيلتقون بها أثناء ترحالهم ..

---

(١) «تكوين» (٥٠ : ٢٥)
(٢) «خروج» (١٣ : ١٩)
(٣) «خروج» (١٢ : ٥)
(٤) «خروج» (١٢ : ٤٦)
(٥) «لا ويين» (٢٢ : ٢٠ – ٢٤)
(٦) «خروج» (١٢ : ٤٣)
(٧) «خروج» (١٢ : ٤٦)
(٨) «خروج» (١٢ : ٤٤)

وهكذا ينتفى التناقض الذى ذكرناه بشأن الختان كما تصبح شريعة الختان متمشية مع تقديس العبريين لأنفسهم بفكرة «الشعب المختار» ومتمشية أيضا مع الانعزالية التى نتجت عن ذلك ومتمشية بالتالى مع التعليمات الخاصة بقربان الفصح من حيث تحوله - كرمز للشعب المختار - من (جنين مجهض) إلى (مولود) .. وليس أدل على صحة تفسيرنا هذا من ذكر كلمة (مولود) فى النص الذى يقول : «وإذا نزل عندك نزيل وصنع فصحا للرب فيختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه فيكون **كمولود** الأرض . وأما كل أغلف فلا يأكل منه . تكون شريعة واحدة **لمولود** الأرض وللنزيل النازل بينكم» (١) .

ونتوقف عند صفة (مولود) هذه وقد آن الأوان لنجيب عن السؤال الذى طرحناه عما إذا كان هناك فارق بين (مولود مصرى) و(مولود يهودى) .

فقد حاولنا الإجابة عن ذلك السؤال من خلال إدراك قيمة الجسد كموصل روحى جيد حيث تبين لنا اختلاف العبريين عن المصريين بتطبيق إجراء ات حفظ الجسد على قربان الفصح باعتباره رمزا للشعب المختار .. ومعنى هذا أن رمز الجسد (كا) أصبح رمزا شموليا يخص جميع أجساد الشعب المختار (٢) فى حين أن هذا الرمز يخص كل مصرى على حدة .. ولنر الآن إلى ماذا تصل بنا المقارنة بين هذين الوضعين اللذين يمثلان الفرق بين (مولود مصرى) و(مولود يهودى) .

فالبنسبة لوضع المصرى نجد أنه يقودنا إلى التدين الانفرادى الذاتى الذي ظهر كامتداد لتطور ديانة «آتون» بعد سقوط اخناتون وعودة ديانة «آمون» .. ورغم أن هذا التطور يسجل خطوة رائدة على طريق التدين حيث صار لأول مرة «الضمير هو صوت الإله» (٣) وحيث صار رضا الإله أهم من رضا المجتمع (٤) (مما يعنى توظيف أمور الدنيا لحساب أمور الدين بعكس الشعب المختار) إلا أن التدين الانفرادى الذاتى يحمل عيبا يكمن فى صفتى الانفرادية والذاتية اللتين تجعلان من أفراد المجتمع جزرا معزولة عن بعضها البعض رغم وحدة الدين الذى يجمعهم .. وهو أمر طبيعى إذ أن كل فرد يختلف عن غيره فى أسلوب تفكيره وفى نظرته إلى الأمور ومن ثم فإن الضمير الذى يمثل صوت الإله يختلف من شخص إلى آخر رغم وحدة الإله مما يجعل ذات الإله تتعدد بتعدد ذوات أفراد المجتمع وطبقا لاحتياج كل فرد فيهم فيصبح هناك إله شاف بالنسبة للمريض وإله قوى بالنسبة للضعيف وإله غنى بالنسبة للفقير وهكذا (٥) .

---

(١) «خروج» (١٢ : ٤٨ ، ٤٩)

(٢) ولعل هذا أحد أسباب رفض اليهود للسيد المسيح الذى يقوم بدور (كا) نيابة عن المسيحيين الذين يتناولون القربان المقدس بهذا المعنى . وهو ما يعنى منافسته لقربان الفصح (راجع هامش ٢ ص ١٤٥)

(٣) «فجر الضمير» (ص٣٤٥)

(٤) «فجر الضمير» (ص٣٤٦)

(٥) «لسيد كريم نظرية خاصة فى التعددية ... إن هذا العدد فى الأصل ليس آلهة وإنما أسماء وصفات وأفعال للإله الواحد (عالم الأسرار ص ١٦)

وعندما نقارن ذلك بوضع اليهود نجد الآتى :

١ - أن جماعية رمز قربان الفصح للشعب المختار تجعله وحدة متماسكة .

٢ - أن وحدة الشعب المختار نابعة من وحدة الهدف وهو تحقيق الذات ومن ثم انعكس ذلك على ذات الإله رغم اختلاف اسمه وهويته (من «إيل» أو (الله) القمرى إلى (الله) الشمسى إلى «يهوه» القمرى) ومن ثم ظلت الهوية القمرية الأصلية هى الغالبة .

٣ - أن انعزالية نوات الشعب المصرى الفردية تقابلها انعزالية ذات الشعب المختار الجماعية .

٤ - أن الشعب المصرى رغم أسبقيته إلى التوحيد إلا أن تفتت ذاته الجماعية إلى نوات فردية أدى إلى تفتيت ذات الإله وبالتالى تفتيت فكرة التوحيد .. وذلك عكس ما حدث بالنسبة للشعب المختار .

وواضح من المقارنة السابقة أن النتيجة فى صالح الشعب المختار .. ورغم ذلك فالنتيجة ستكون عكسية حين نستمر فى المقارنة بينه وبين الشعب المصرى .

فطبقا للعلاقة الطردية بين التميز ومسئولية حمل الرسالة فإن «اليهود - كشعب الله المختار - عليهم التزامات أكبر وأعظم من سائر الشعوب» (١) .. وكما يقول أشعيا النبى : «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم» (٢) .. ولكن «رغم أن الديانة اليهودية تدعو إلى السلام (شالوم) وتؤكده» (٣) إلا أن «التلمود انحرف بالتوراة انحرافا شديدا وجاء لتلويث دعوة التحرير وصنع دينا جديدا» (٤) على يد الأحبار والحاخامات الذين «سنوا تشريعات خاصة تبيح العدوان للدفاع عن كلمة الله متحججين بأن الرب أمر موسى ويوشع أن يقتل أعداء ه من الفلسطينيين والكنعانيين حتى تعلو كلمة الرب» (٥) .. وهكذا بنوا على أساس حجة تخص الماضى قاعدة تخص الحاضر والمستقبل حيث يقول التلمود : «من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله» (٦) .. وهكذا انقلبت الذات الجماعية التى ميزت الشعب المختار إلي ذات معادية لنوات كل الشعوب «إن من يقتل مسيحيا أو أجنبيا أو وثنيا يكافأ بالخلود فى الفردوس» (٧) .. والسبب فى هذا الانقلاب كما قلنا هو توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا حيث أصبح رضا المجتمع أهم من رضا الإله وحيث أصبح الضمير هو صوت المجتمع وليس صوت الإله وذلك عكس ما كان عند المصريين كما بينا منذ قليل.. كما وأنه إذا كنا قد عبنا على المصريين تفتت الذات الجماعية على عكس وحدتها لدى

(١) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (٧١)
(٢) «أشعيا» (٤٢ : ٦)
(٣) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص٧٢)
(٤) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٢)
(٥) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلي الإسلام» (ص ٧٢)
(٦) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص ٢٩)
(٧) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص٣٠)

الشعب المختار إلا أن تضخم الذات الأخيرة جعل الأمر يتعدى عداء اليهود لشعوب العالم أجمع إلي نفى نوات تلك الشعوب مقابل ذات الشعب المختار «أما من قتل يهوديا فكأنه قد قتل العالم أجمع» (١) .. فلا غرابة والأمر كذلك أن يصل النفى إلى حرمان تلك الشعوب من دخول الجنة بل وأيضا تكفيرهم «ولا يدخل الجنة إلا اليهود . أما الجحيم فهو مأوى الكفار من غير اليهود» (٢) .

وهكذا نجد أن الطريق إلى الجنة مفروش بالعداء للإنسانية وبالعداء لكل الديانات حيث الجميع كفار ما عدا اليهود .. وإذا كان ذلك كله يرجع أصلا إلى عدائهم لشعب مصر القديم فمن غير المعقول أن يكون رد الفعل معاداة جميع الشعوب ومعاداة دياناتهم .. وقد بلغ من لا معقولية رد الفعل هذا أن المسيح واجهه بمطلب لا معقول أيضا حين قال : «أحبوا أعداء كم» (٣) .. ولكن لإصرار اليهود على العداء وأيضا لعدم معقولية هذا المطلب فقد دفع المسيح حياته ثمنا له .

## الأخلاق .. والفرق بين (مولود مصرى) و(مولود يهودى)

نعود إلى توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا لدى الشعب المختار على عكس ما فعل المصريون .. ولكى نبين كيف فعل المصريون ذلك نقول : إذا كانت الأخلاق تتعلق بأمور الدين كما تتعلق أيضا بأمور الدنيا .. فإن الأخلاق الدينية تعتبر منزهة عن «الذاتية» و«النفعية» قياسا بالأخلاق الدنيوية .. وعلى هذا سنبين ماذا فعل المصريون بالأخلاق .

ومادمنا نقارن بين الشعب المصرى والشعب المختار فمن الإنصاف أن نوجد نقطة انطلاق بالنسبة للإثنين .. وقد اخترنا نقطة تمثل أهم ما يشغل الإنسان وهى الرغبة فى التغلب على «صدمة العرى» الخاصة بالموت .. ولا يؤثر على وحدة المنطلق هذه اختلاف مضمون الرغبة فى التغلب على الموت لدى المصريين عنه لدى الشعب المختار حيث يعنى بالنسبة له تحوله من قبيلة إلى شعب بينما المصريون كانوا شعبا بالفعل .. ذلك أن الهدف النهائى لكلا الطرفين هو الجنة باعتبار أن التحول إلى شعب بالنسبة للشعب المختار يتعلق بجنة كنعان الأرضية وباعتبار أن المصريين كشعب جاهز جعلوا جنتهم على الأرض كما سنرى .. وعلى هذا سنبين ماذا فعل المصريون بالأخلاق لكى يحققوا الجنة الأرضية .

فقد سبق وبينا كيف أن المصرى القديم فى محاولته التغلب على الموت كسر مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) وقلنا إنه بهذا قد انتقل إلى عالم الآخرة بصفة (مولود) التى تخصه فى عالم الدنيا .. «ومن هنا كان تصوره للحياة فى العالم الآخر التى تماثل حياته على الأرض بما فيها من لهو وصيد وزرع وحصاد إلخ .. وأيضا بما فيها من قيم أخلاقية حيث أن صفة (مولود) تتعلق بالعقل الاختياري المتعلق بالأخلاق .. ولأن الأخلاق هنا تخص العالم الآخر فلابد أن تكون منزهة عن تأثير «الذاتية» و«النفعية» (٤) .

---

(١) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (٣٠)
(٢) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (٢٣)
(٣) «متى» (٥ : ٤٢)
(٤) «صدمة العرى» (ص ٢٧٥)

«وإذا كان العقل الاختيارى وراء خروج آدم وحواء من الجنة .. وإذا كانت البشرية منذ ذلك الحين تسعى إلى استعادة تلك الجنة عن طريق تحدى العقل الاختيارى الذى حرمها منها فإن التاريخ يسجل للمصريين القدماء أنهم أول من أعلن هذا التحدى وأول – وآخر حسب علمنا – من انتصر فى هذا التحدى واستعاد الجنة الأرضية (١) .. وإذا قيل إنهم فعلوا ذلك على المستوى النظرى إذ جعلوا مكانها فى عالم الآخرة فيكفى أن إنجازهم النظرى هذا قد وضعهم على الطريق العملى لتحقيق الجنة على الأرض .. إذ لابد أن المنطق الفكرى الذى عرضناه قد جعل المصرى القديم يقول لنفسه : إذا كانت الحياة هناك صورة من حياتى هناك .. وإذا كان الفرق بينهما أن الأخلاق هناك مطهرة بعكس الأخلاق هنا .. وإذا كان الشئ الذى أحسه أضمن من الشئ الذى أتصوره .. فلماذا لا أطهر أخلاقى هنا وأجعل حياتى التى أحسها جنة ؟ وإذا كانت الابتهالات التى سأرددها بعد موتى تضمن تطهر أخلاقى فلأرددها فى حياتى لنفس الغرض» (٢) .. والواقع أننا نجد فى «كتاب الموتى» ما يؤكد رأينا هذا «فالابتهالات إلى «رع» و«أوزيريس» و«حورس» و«حتحور» إلخ هى بذاتها الابتهالات التى كان يتغنى بها المصرى فى حياته» (٣) .

وهكذا أصبح تطهر الأخلاق هدفا فى حد ذاته باعتباره وسيلة لتحقيق الجنة الأرضية قبل أن يكون جواز مرور إلى جنة الآخرة .. ومعنى هذا أن أى فرد وأى شعب ينفذ شرط تطهر الأخلاق من حقه أن يدخل الجنة .. فأين هذا من قول التلمود– الذى ذكرناه – بأنه لا يدخل الجنة إلا اليهود ؟!

وقد قلنا إن الأخلاق تتعلق بأمور الدين كما تتعلق أيضا بأمور الدنيا .. وكما رأينا فقد وظف المصريون الأخلاق لحساب الدين والدنيا معا .. فأين هذا من الشعب المختار الذى وظف الدين والأخلاق لحساب أمور الدنيا وبالذات السياسة ؟ ذلك أن انحراف اليهود الأخلاقى يرجع أساسا إلى التلمود الذى طوعه الحاخامات لتحقيق مآربهم الدنيوية وبالذات السياسية .. وإذا كانت الموضوعية تجعلنا نقول إن هذا يحدث مع أى دين ومع أى شعب على يد الكهان إلا أن هذا القول لا ينطبق على الشعب المختار الذى يختلف عن سائر الشعوب بالربوبية وتضخم الذات .

وهكذا نكون قد أجبنا عن السؤال الذى طرحناه فى بداية هذا الفصل وهو : هل (مولود مصرى) = (مولود يهودى) ؟ وملخص هذه الإجابة أنه إذا كان الشعب المختار قد تفوق بوهم الربوبية وتضخم الذات .. فإن الشعب المصرى القديم تفوق برفع مستوى الأخلاق فى عالم الدنيا إلى مستوى الأخلاق فى عالم الآخرة .

وإذا كنا من خلال تناولنا للرمز «ماعت» قد تعرفنا أكثر على أبعاد شخصية الشعب المختار .. فالواقع أننا لم نتوغل فى أعماق شخصيته إلى البعد الحقيقى الذى يحكمها وهو ما سوف نبينه فى الفصل التالى من خلال نظرية «الذات الشمولية» .

---

(١) أوضحنا فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «نظرة جديدة إلى ماعت» كيف أن المصرى القديم حقق إعجازا لا مثيل له حين طهر عقله الاختيارى عن طريق علقه الاختيارى .

(٢) «صدمة العرى» (ص٢٧٦)

(٣) «كتاب الموتى» الحاشية الختامية (ص ٢٤٣)

# الفصل الثانى عشر :

# الشعب المختار ونظرية (الذات الشمولية)

## ■ الفرق بين «ماعت» و«آدم»

- ○ تفسير الفرق بين «ماعت» الأنثى ، و«آدم» الذكر وخطأ القول بأن «ماعت» = «آدم»
- ○ العلاقة بين (الله) والحية وحواء فى التوراة

## ■ أسطورة آدم فى التلمود

- ○ تفسير إدانة التلمود لآدم بالعصيان دون حواء بعكس التوراة

## ■ اضطهاد التلمود للمرأة رغم إدانته آدم دون حواء

- ○ اضطهاد التلمود للمرأة رغم إدانته آدم بالعصيان دون حواء

## ■ نظرية «الذات الشمولية»

- ○ تفنيد رأى د. سيد القمنى بشأن قولنا بالاسبقية المطلقة لمجتمع الأم على مجتمع الأب
- ○ لماذا كانت قصة (آدم وحواء) وليس قصة (حواء وآدم)
- ○ الفرق بين «اللاشعور الجمعى» و(اللاشعور الشمولى)

## ■ حواء (الجزء) تحكم آدم (الكل)

- ○ شرط استقلال الشعب جعل آدم يتحول من (كل) حاكم إلى (جزء) محكوم وجعل حواء تتحول من (جزء) محكوم إلى (كل) حاكم
- ○ أقدم تماثيل الآلهة كانت تمثل الأنثى ومتى سيطر الرجل نهائيا ؟
- ○ الوعى بالذات قيمة ثابتة تتغير من حيث الكيف
- ○ الوعى بالذات لدى الحيوان والإنسان البدائى والإنسان المتقدم
- ○ ارتباط الذات فى رحلة تطورها بالأمومة . الأم هزمت كإمرأة وليس كأم

## ■ الرجل يضحى بسلطته الإلهية من أجل سلطانه على المرأة

- ○ الرجل ينفى ذاته بسبب نفيه (الذات الشمولية) ومغزى وجود السرة فى صورة حواء
- ○ كيف استرد الرجل ذاته المنفية ؟
- ○ المجتمع الأبوى ضحى بأمور الدين لحساب أمور الدنيا كما فعل الشعب المختار
- ○ سبب مغالاة الشعب المختار فى توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا

■ الفرق بين آدم وحواء فى التوراة .. وآدم وحواء فى القرآن

- القرآن يشهد على طبيعة شخصية الشعب المختار
- التوراة تدين حواء بالعصيان والقرآن يدين آدم وحواء
- تفسير الآية «فدلّـهما بغرور فلماذاقا الشجرة بدت لهما سوء اتهما»
- الغرور أول خطايا البشر . غرور آدم التوراتى يفوق غرور «نرسيس»
- الفرق بين توبة آدم وحواء فى القرآن وتوبتهما فى التوراة
- الرب الإله يثيب آدم على عصيانه له وعلاقة ذلك بموقف الشعب المختار من الفرعون
- الفرعون مكان (الرب الإله) فى قول التوراة : «هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد»
- تفسير قول التوراة : «فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب يحرس شجرة الحياة»
- عداء التلمود للمرأة بسبب رفض (الذات الشمولية)
- الوصايا العشر تقدم الأب على الأم والقرآن يساوى بينهما
- الإنسان فى القرآن كامل وفى التوراة ناقص

■ خروج الشعب المختار على قانون العقل الجبرى (أ- على المستوى الكونى )

- تعويض نقص آدم التوراتى فى أسطورة آدم التلمودى وتحليل الأسطورة

■ خروج الشعب المختار علي قانون العقل الجبرى (ب - على المستوى التاريخى)

- سريان قانون العقل الجبرى الإلهى على القوانين الوضعية وتحليل أسطورة آدم التلمودى

■ عودة إلى صفات «ماعت»

- العدل : الشعب المصرى تحدى الشر بتحديه للعقل الاختيارى . والشعب المختار تحدى الخير بتحديه للعقل الجبرى
- الحق : «رع» بين السلطة الحاكمة والطبقة المحكومة . وحكاية «خيتى»
- الصدق : فصل خاص عن الكذب فى «كتاب الموتى» والفرق بينه وبين الوصايا العشر

## الفرق بين «ماعت» و«آدم»

قد ختمنا الفصل السابق بقولنا إننا سنتعرف على البعد الحقيقى الذى يحكم شخصية الشعب المختار وذلك عن طريق نظرية (الذات الشمولية) .. ولقد وصلنا إلى هذه المرحلة من خلال تناولنا للرمز «ماعت» .. والواقع أنه بدون «ماعت» ما كنا لنستطيع ذلك .

فمما سبق توصلنا إلى أن «ماعت» تمثل الإنسان المصرى .. وقد سبق وتوصلنا إلى أن آدم التوراتى يمثل الإنسان اليهودى .. وباعتبار وحدة الإنسان بعيدا عن الهوية يمكننا القول بأن «ماعت» = آدم .. ولكن يستوقفنا اختلاف بين الاثنين وهو أن «ماعت» أنثى وآدم ذكر .. وتفسير هذا الاختلاف هو الذى سيوصلنا إلى هدفنا وهو اكتشاف أقصى عمق فى شخصية الشعب المختار .. وسنبدأ ونقول :

بما أن (العقل الاختيارى) + (العقل الجبرى) = (مولود)

إذن (ماعت الاختيار) + (ماعت الجبر) = (مولود مصرى)

وبما أن (ماعت) = (آدم)

وبما أن (آدم ) = (مولود يهودى)

إذن (مولود مصرى) = (مولود يهودى)

ولكن هذه النتيجة تتعارض مع ما توصلنا إليه فى الفصل السابق .. والسبب فى ذلك أننا أخطأنا بقولنا إن (ماعت) = (آدم) وبالتالى أخطأنا بقولنا إن (آدم) = (مولود يهودى) وذلك لأن صفة (مولود) تتضمن تحقيق الذات .. وتحقيق الذات يتم بإضافة العقل الاختيارى إلى العقل الجبرى .. وعندما نطبق هذا على تعامل آدم مع شجرة المعرفة من أجل تحقيق الذات نجد أن التعامل قد تم عن طريق حواء (١) .. ومعنى هذا أن آدم يمثل العقل الجبرى وأن حواء تمثل العقل الاختيارى وأن الاثنين معا يمثلان صفة (مولود) أى (مولود يهودى)

وهكذا يتضح أن خطأ قولنا بأن (ماعت) = (آدم) راجع إلى ازدواجية «ماعت» التى تجمع بين (ماعت الجبر) و(ماعت الاختيار) وعلى هذا فإن آدم لا يتساوى معها إلا بازدواجيته مع حواء وعلى هذا نقول :

بما أن (ماعت الجبر) + (ماعت الاختيار) = (مولود مصرى)

وبما أن (آدم) + (حواء) = (مولود يهودى)

وبما أن (ماعت المزدوجة) = (آدم وحواء)

إذن (مولود مصرى) = (مولود يهودى)

---

(١) «فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا فأكل» (تكوين ٣ : ٦)

ومرة أخرى فإن هذه النتيجة تتعارض مع ما توصلنا إليه وإن كان السبب هذه المرة يتمثل في أن (مولود مصرى) تمثله «ماعت» الأنثى و(مولود يهودى) يمثله «آدم» الذكر .. وهو سبب يعيدنا إلى الخطأ السابق حين قلنا إن (ماعت) = (آدم)

وما دام هذا الخطأ يلاحقنا فعلينا أن نكشف السر فى ذلك وهو ما سنفعله عن طريق الآتى :

بما أن (العقل الجبرى) = (آدم) = (ذكر)

وبما أن (العقل الاختيارى) = (حواء) = (أنثى)

إذن (ماعت الجبر) + (ماعت الاختيار) = (آدم وحواء)

وإذن (ماعت المزدوجة) = (ازدواجية آدم وحواء)

ولكن رغم هذه النتيجة التى ساوت بين (ماعت المزدوجة) و(ازدواجية آدم وحواء) إلا أن هناك تعارضا بين الطرفين وهو أن (ماعت المزدوجة) تجمع بين الذكر والأنثى وتتمثل فى أنثى بينما (ازدواجية آدم وحواء) تجمع أيضا بين الذكر والأنثى ولكنها تتمثل فى ذكر وهو آدم .

وترجمة ذلك أن الثقافة المصرية تعلى الأنثى على الذكر بينما الثقافة العبرية تعلى الذكر على الأنثى .. وذلك أن الثقافة المصرية تنتمى إلي الديانة الشمسية المؤنثة حيث أنها تتعلق بالعقل الاختيارى (الأنثى) .. وأن الثقافة العبرية تنتمى إلي الديانة القمرية المذكرة حيث أنها تتعلق بالعقل الجبري (الذكر)

ولكن هذا التفسير لا يقدم جديدا بالنسبة لهدفنا وهو التوصل إلى أقصى بعد فى شخصية الشعب المختار .. وعلى هذا فسوف نتوغل أكثر فى بحث العلاقة بين آدم وحواء .

ونعود إلى نقطة انطلاقنا الدائمة فى رسالتنا هذه وهى معاقبة العبريين بالأسر والاضطهاد حيث أن ما حدث لهم كان شرا مصدره الفرعون .. وطبقا لتمثيل آدم لهم تكون العقوبة التى وقعت عليه شرا مصدره (الرب الإله) الذى أثبتنا أنه يمثل الفرعون .. وبهذا نفسر قول التلمود: «إن الله مصدر الشر» (١) .. ولكنه يقول أيضا: «إنه مصدر الخير» (٢) .. وحسب مفهومنا نترجم ذلك بأن المصدر المقصود هو الفرعون صاحب الدين الاختيارى الذى يتعلق بالخير والشر .

وعلى أساس أن (الله) التوراتى = (الرب الإله) = الفرعون مصدر الخير والشر فقد جعلت التوراة الحية - مثل (الله) - مصدرا للخير والشر :

---

(١) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص١٥) ونلاحظ هنا الخلط بين (الله) و(الرب الإله) وقد سبق أن أرجعنا ذلك إلي رحلة انتقال العبريين من التعددية إلى التوحيد مرورا بالثالوث الذى أثبتنا ثنائيته .

(٢) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ١٥)

الخير فى إغرائها آدم بالتعامل مع الشجرة المحرمة الذى نتج عنه تحقيق ذاته .. ويقابل هذا ما حدث للعبريين حين أغرتهم الحياة فى مصر – فى عهد يوسف – لأن ينتمو إليها ثم رفض المصريين لهم الذى دفعهم إلى الخروج وتحقيق الذات بالتحول من قبيلة إلى شعب .

والشر فى العقوبة التى وقعت على آدم بسبب تعامله مع الشجرة المحرمة حيث اضطر إلى الخروج من الجنة .. ويقابل هذا معاقبة العبريين بالأسر والاضطهاد حيث اضطروا إلى الخروج من مصر .

ومما يؤكد العلاقة التى استنتجناها بين (الله) التوراتى والحية أن ذكر (الله) يتردد فى الإصحاح الثالث على لسان الحية فى حوارها مع حواء بشأن تحريم الشجرة «بل الله عالم أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» (١) وذلك رغم أن التحريم وأيضا العقوبة بشأنه قد صدرا عن (الرب الإله) «وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنه يوم تأكل منها موتا تموت» (٢) .. وكذلك يتردد ذكر (الله) على لسان حواء فى حوارها مع الحية بشأن تحريم الشجرة «فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا» (٣) وهو ما يوحى بأن الحية وحواء شئ واحد .. كما وأن حواء بعد أن أغرتها الحية بالتعامل مع الشجرة قامت بدور الحية وأغرت آدم .. وهنا نتساءل من المسئول عن عصيان أمر التحريم : حواء باعتبارها المحرض .. أم آدم باعتبار أنه استجاب للتحريض وباعتبار أيضا أن أمر التحريم قد صدر إليه قبل خلق حواء مما يضاعف مسئوليته ؟

وقبل أن نتسرع فى الإجابة عن ذلك التساؤل نشير أولا إلى أن حواء جزء من آدم «فأوقع الرب الإله سباتا على آدم . فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلي آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت . لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا» (٤) .. وهذا ينقلنا إلى أسطورة آدم فى التلمود .

## أسطورة آدم فى التلمود

نتوقف عند قول آدم السابق : «لذلك يترك الرجل آباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا» حيث نجد التلمود يؤكد ذلك فى أسطورة آدم «إن الله خلق آدم ذا وجهين رجلا من ناحية

(١) «تكوين» (٣ : ٥)
(٢) «تكوين» (٢ : ١٦ ، ١٧) تابع بقية العقوبة الصادرة من (الرب الإله) فى الإصحاح (٣ : ١٤ – ١٩)
(٣) «تكوين» (٣ : ٢ ، ٣)
(٤) «تكوين» (٢ : ٢١ – ٢٤)

وامرأة من الناحية الأخرى ثم قطعه من النصف» .. ثم نستمر مع الأسطورة حيث تقول عن آدم : «وإن طوله كان يصل إلى السماء . وإنه إذا نام كانت رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب . وإن الله صنع لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها لآخرها . ولكن بعد خطيئة آدم وعصيانه الله وضع الله يده على رأسه وكبسه حتى صغر حجمه وصار كبقية البشر . وعندئذ طرده من الجنة فى الساعة الثانية عشرة» (١) .

وما يعنينا الآن فيما ذكره التلمود أنه رغم تأكيده لوحدة الجسد التى تجمع آدم وحواء إلا أنه يدين آدم دون حواء بالعصيان .. ومعنى هذا أن وحدة الجسد تحوى ازدواجية لطرفين كل منهما مسئول عما يفعله .. وأنه بإدانة التلمود لآدم يكون قد أجاب عن السؤال الذى طرحناه وهو أيهما المدان بالعصيان : آدم أم حواء ؟

والسؤال الآن : هل أجابة التلمود صحيحة أم لا ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال عن طريق البحث والتحليل نحكم مسبقا بأنها إجابة صحيحة وذلك على أساس أن الأسطورة التى صورها التلمود بشأن آدم وحواء هى إفراز لاشعورى جمعى يرجع إلى تراكمات قديمة لخبرات وثقافات البشر ومن ثم فإن اللاشعور لا يخطئ مهما بدت إفرازاته (لا معقولة) حسب تعبير الأستاذ محمد صبرى صاحب الكتاب الذى نستمد منه نصوص التلمود وأسطورة آدم التى نحن بصددها .. والقضية هى كيف نستقرئ هذه الإفرازات حتى نكشف (معقوليتها) ؟ وعلى هذا الأساس سنستمر فى موضوعنا .

ونعود إلى قصة آدم فى التوراة لنجد أن المحرض على عصيان أمر التحريم هو حواء وعلى هذا تكون هى المدانة وليس آدم حسب قول التلمود الذى حكمنا مقدما بصحته .. كما وأن التعارض بين إدانة التوراة لحواء وبين إدانة التلمود لآدم يتعارض مع المبدأ الذي قدمناه وهو أن اللاشعور الذى يفرز الأسطورة لا يخطئ فى أحكامه وهو ما يعنى استحالة وجود حكمين متناقضين بشأن القضية الواحدة .. ولكن حين نعود إلى أن أمر التحريم قد صدر إلي آدم قبل خروج حواء منه يكون آدم هو حامل المسئولية الأصلى ومن ثم يكون هو المدان لأنه استجاب لتحريض حواء .. وهو ما يتفق وحكم اسطورة آدم فى التلمود .

ولكن رغم إدانة التلمود لآدم (الرجل) نجده يضطهد حواء (المرأة) .. فما تفسير ذلك ؟

## اضطهاد التلمود للمرأة رغم إدانته آدم دون حواء

سبق وتوصلنا فى تحليلنا لأسطورة الحوت إلى أن كلامن زوجة الحوت وحواء تمثل الذات.. وهذا يتفق وأسبقية ظهور آدم لظهور حواء باعتبار أنه يمثل العقل الجبرى الذى يكمن فيه العقل الاختيارى شرط تحقيق الذات .. وبعبارة أخرى فإن وحدة الجسد التى تجمع بين آدم

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٢٠)

وحواء تمثل العقل الجبرى (وهو عقل لا يدان لأنه يتعلق بالخير فقط) وأن انقسام هذه الوحدة بظهور الذات حولها من عقل جبرى إلي (عقل) + (اختيار) أو إلى (آدم) + (حواء) (١) ولأن أساس الوحدة هو العقل أى آدم فهو المدان .

وهكذا يتأكد حكمنا المسبق بأن التلمود على صواب بشأن إدانته آدم دون حواء .. ولكن رغم ذلك نجد أن «كل ما جاء فى التلمود يؤكد استهانة اليهود بالمرأة فى شريعتهم التلمودية» (٢) سواء على المستوى الاجتماعي أو الدينى .. فمثلا على المستوى الاجتماعى نجد أنه «إذا أساء ت المرأة إدارة البيت أو وجد الرجل امرأة أجمل منها فله الحق فى أن يطلقها» (٣) .. وعلى المستوى الدينى نجد أنه «عندما تنذر المرأة المتزوجة نذرا فإن لزوجها الحق بأن يوافق على النذر أو يبطله» (٤) .. ونفس الوضع يسرى على الإبنة حيث يحق للأب إبطال نذرها .. والواقع أن ما جاء فى التلمود أساسه ما جاء فى شريعة موسى (انظر سفر «العدد» الإصحاح ٣٠)

وهنا نذكر سابق قولنا بأن النساء لم يذكرن ضمن الـ (٦٠٠٠٠٠) الرجل العبرى الذين خرجوا من مصر والذين قلنا إنهم يمثلون المادة الأصلية لشعب اليهود .. وهو ما يعنى اخراج المرأة من هذه المادة الأصلية .. فكيف إذن نفسر هذا التعارض بين تبرئة التلمود لحواء مما يستدعى تبجيلها وبين ازدرائه للمرأة وإلغاء كيانها على المستوى الاجتماعى والدينى ؟

الواقع أنه مطلوب منا تفسيران : أحدهما يخص المستوى الاجتماعى أى أمور الدنيا والآخر يخص المستوى الدينى أى أمور الدين .. ولأن الشعب المختار يوظف أمور الدين لحساب أمور الدنيا فإن التفسير المتعلق بالمستوى الاجتماعي يتعلق بالدين .. ولأن أمور الدنيا تتعلق بالشعور الجمعى وأمورالدين تتعلق باللاشعور الجمعى فإن التفسير الخاص بالمستوى الاجتماعى يتعلق بالشعور الجمعى واللاشعور الجمعى معا .. وعلى هذا نقول إن التفسير هو أن حواء تمثل الذات .. ولأن الذات تتعلق بالعقل الاختيارى ومن ثم بـ (الدين الاختيارى) الذى يخص المصريين الذين أسروا العبريين .. ولأن العبريين لهذا السبب يتقبلون العقل الاختيارى على مضض لمجرد أنه شرط لتحقيق الذات فقد انعكس ذلك شعوريا ولا شعوريا على موقفهم من حواء رمز الذات وبالتالي على المرأة .. ومن هنا كانت نصوص التلمود التى تعبر عن ازدراء المرأة على المستوى الاجتماعى .

وأما بخصوص المستوى الدينى .. فكما أن الشعور الجمعى يتكون من طبقات تراكمية لخبرات وثقافات البشر الحديثة (وهى هنا تخص تأثر خبرة وثقافة العبريين بخبرة وثقافة

---

(١) لأن حواء كرمز للذات هى العنصر الفعال فى انقسام الوحدة ، ولأن العقل الاختيارى شرط لتحقيق الذات .. فإن حواء ترمز للذات وللعقل الاختيارى معا .

(٢) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص ٣١)

(٣) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص ٣١)

(٤) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٣١)

المصريين) . فكذلك اللاشهور الجمعى وإن كانت طبقاته التراكمية تعود إلى خبرات وثقافات البشر القديمة .. وعلى هذا فإن العلاقة بين اللاشعور الجمعي وطبقاته هي علاقة طردية بمعنى أنه كلما توغلنا فى تلك الطبقات كلما اقتربنا من الحقيقة أى من السبب النهائى المحرك للاشعور الجمعى للبشر .. وبناء على ذلك فسوف نتخطى جميع الطبقات إلى أقصى طبقة يمكن أن نصل إليها فى تاريخ رحلة المجتمعات البشرية وهى الطبقة التى كان يسود فيها حكم المرأة على الرجل .. وواضح من قولنا هذا أننا افترضنا على مستوى الإطلاق أسبقية المجتمع الأموى على المجتمع الأبوى وبالتالى أسبقية الإلهة الأنثى على الإله الذكر .. وهو ما سيوصلنا إلى نظرية (الذات الشمولية) التى نسعى إلى إرسائها للوصول إلى أقصى بعد فى شخصية الشعب المختار .

## نظرية (الذات الشمولية)

قبل أن نستمر فى موضوعنا بشأن (الذات الشمولية) نتوقف قليلا لنشير إلي بحث للدكتور سيد القمنى فى كتابه «الأسطورة والتراث» يتعارض مع قولنا بالأسبقية المطلقة لمجتمع الأم على مجتمع الأب حيث يقول (ص ٨٩) : «فى رأيى أنه لم يكن هناك قبل أو بعد ولا سابق أو لاحق بل أزعم – وأرجو ألا أكون مخطئا – أن اختلاف النظامين هو اختلاف بين مجتمعين . هو اختلاف مكانى وليس اختلافا زمانيا . فإذا كانت المرأة هى مكتشفة الزراعة فى مجتمع أمومى فلابد أن يكون النظام الأمومى قد ارتبط بالوسط الزراعى . وسيكون النظام الأبوى قد نشأ فى وسط رعوى بدوى» .

ونخرج من قول د. القمنى بأن الثقافة المصرية الزراعية (الشمسية) تنتمى إلى المجتمع الأمومى وأن الثقافة العبرية الرعوية (القمرية) تنتمى إلى المجتمع الأبوى .. وهذا يتفق وتفسيرنا السابق بخصوص موقف التلمود من المرأة الذى أرجعناه إلى رفض القمر (الذكر) للشمس (الأنثى) أو رفض العقل الجبرى للعقل الاختيارى وقبول الشعب المختار له على مضض لمجرد أنه شرط لتحقيق الذات .. وانعكاس ذلك على موقفه من حواء باعتبارها رمزا للذات .

ولكن إذا كان ما ذهب إليه د. القمنى يخدم التفسير الذى قدمناه فهو أيضا يؤكد ما ذهبنا إليه بشأن العلاقة الطردية بين اللاشعور الجمعى وطبقاته حيث قلنا إن الحقيقة تكمن فى آخر تلك الطبقات .. وذلك أن وجهة نظر د. القمنى قد تتوقف بنا عند المجتمع الأبوى الذى يمكن أن يتحول إلى المجتمع الأموى بحكم التطور بمعنى الانتقال من المجتمع الرعوى إلى المجتمع الزراعى وهو ما ينطبق على العبريين بحكم احتكاكهم بالمجتمع المصرى .

وما أعنيه هو أننى لا أعارض أو أخطئ وجهة نظر د. القمنى – رغم تعليقه عليها بقوله : «وأرجو ألا أكون مخطئا» – إذ أن وجهة نظرى تتصف بالشمولية التى تستوعب أى نظرية ثم تتخطاها حيث أنها تخص البشرية جميعها – بما فيها من مجتمعات أموية وأبوية – منذ أن

وجدت أى منذ آدم وحواء كرمز لبداية البشرية حيث كان الهدف الأساسى هو تحقيق الذات .. وعلى هذا فإننا نعتبر أن تراكم طبقات اللاشعور الجمعى قد بدأ منذ بزوغ ذلك الهدف حيث تكونت الطبقة الأولى (الشمولية) وأخذت تؤثر على ما يليها من طبقات تخص جميع المجتمعات البشرية التى تكونت بغض النظر عن تباينها .. وباعتبار أن حواء (الأم) هى رمز الذات (طبقة الانطلاق) فلابد أن تكون لها وبالتالى لمجتمع الأم الأسبقية المطلقة بغض النظر عن أسبقية آدم (الأب) عليها .. إذ أن وجود آدم باعتباره (العقل) قبل حواء باعتبارها (الذات) لا قيمة له إلا من حيث أن العقل هو الأساس الذى تعمل عليه الذات .. ومن هنا كانت قصة (آدم وحواء) لا قصة (حواء وآدم) رغم أن حواء هى التى تحكم آدم كما سنرى .

ملحوظة : صفة (الشمولية) تخص الطبقة الأولى فقط ومن ثم تخص (اللاشعور الشمولى) وهو تعبير نستحدثه لنفرق بينه وبين تعبير «اللاشعور الجمعى» الذى يخص الطبقات التالية والذى يتأثر بـ (اللاشعور الشمولى) بدرجات تتفاوت حسب الظروف المتعلقة به .

## حواء (الجزء) تحكم آدم (الكل)

بعد أن أوضحنا نظرية (الذات الشمولية) التى تجعل الأسبقية المطلقة لمجتمع الأم .. علينا أن نرد على الاعتراض بأن الذات (حواء) تمثل جزءا من كل هو العقل (آدم) .. وبأنه على أساس أن الكل يحكم الجزء فإن هذا يتعارض مع طبيعة الذات الاستقلالية ومن ثم مع أسبقيتها المطلقة .

وردنا على ذلك أننا أعتبرنا قصة آدم وحواء رمزا لبداية البشرية حيث كانت الجماعات الأولى تعانى من «صدمة العرى» الغذائى والحيوى أثناء بحثها عن الطعام سواء بجمع الثمار أو بالصيد وتعرضها لمخاطر الوحوش أثناء ذلك .. وحيث أخذت تلك الجماعات الأولى تدرك أن تغلبها على «صدمة العرى» الغذائى والحيوى يتمثل فى التئامها فى جماعات أكبر ثم أكبر ومن ثم فى الاستقرار على شواطئ الأنهار مع اكتشاف الزراعة ومن ثم فى تكوين شعوب لها أوطان .. ولأن تكوين شعب يعنى تحقيق الذات ولأن الصفة الشرطية لأى شعب هى الاستقلال فمن هنا منح العقل البشرى المتمثل فى آدم صفة الاستقلالية للذات المتمثلة فى حواء .. وهكذا تحول آدم من (كل) حاكم إلى (جزء) محكوم وتحولت حواء من (جزء) محكوم إلى (كل) حاكم .. ولأن الشعوب تحتاج إلى حكام ولأن الحكام قديما كانوا آلهة فمن هنا كانت الآلهة الأولى مؤنثة .

وعلى هذا نعود إلى سابق قولنا بأن تراكم طبقات اللاشعور الجمعى قد بدأ منذ بزوغ هدف تحقيق الذات حيث تكونت الطبقة الأولى (الشمولية) وأخذت تؤثر على ما يليها من طبقات تخص جميع المجتمعات البشرية التى تكونت بغض النظر عن تباينها من حيث النظام الأموى أو الأبوى – نعود إلى هذا القول لنرى مدى صحته من خلال تطبيقه تاريخيا حيث نجد

«أن أقدم تماثيل شكَّلها الإنسان للعبادة يعود تاريخها إلى حوالى خمسة عشرة ألف سنة (العصر الحجرى القديم) وهى تماثيل لإناث ضخمت فيها الأعضاء المثيرة جنسيا أسمتها «جيكيتا هوكس» تماثيل (أفروديت الولادة ) وهذا يعنى أن العصر الأموى كان الأسبق . وتبع ذلك عصر اتضحت فيه رسوم تتسم بالذكورة . تلاها العودة للآلهات مع اكتشاف الزراعة في العصر الحجرى الحديث . وتؤكد هوكس أمرا منطقيا تماما هو أن النساء هن مكتشفات الزراعة (١) .. ثم تلا ذلك فى نهاية العصر الحجرى الحديث أى منذحوالى خمسة آلاف سنة تقريبا سيادة الذكور نهائيا . ولاحظت هوكس أن ذلك قد اقترن بنشأة المدن المستقرة الكبيرة» (٢) .

وما يعنينا مما سبق هو أن المجتمع الأموي كان الأسبق حتى قبل أن تكتشف المرأة الزراعة فى العصر الحجرى الحديث .. بل إنه كان – وقد آن الأوان لنضيف ذلك – أسبق حتى من وجوده فى العصر الحجرى القديم .. ولكي نوضح إضافتنا هذه نقول إننا إذا كنا قد بنينا حكمنا بالأسبقية المطلقة لمكانة الأم – ونلاحظ أننا نقول مكانة الأم وليس مجتمع الأم حيث أننا رحلنا المسألة إلى ما قبل نشأة المجتمعات – نقول إنه إذا كنا قد بنينا حكمنا بالأسبقية المطلقة لمكانة الأم على أساس بزوغ هدف تحقيق الذات .. فإن هذا الهدف له جذور ترجع إلى زمن ما قبل العصر الحجرى القديم حيث كان الإنسان أقرب إلى الحيوان وحيث كان إدراكه الحسى المتعلق بالجسد أقوى من إدراكه المعنوى المتعلق بالعقل .. وقد بينا فى كتاب «صدمة العرى» أن «هذا الإحساس بالجسد ينتج عنه الوعى بالذات» (٣) وأن «الوعى بالذات يمثل قيمة ثابتة تتغير من حيث الكيف .. فهى عند الحيوان تتعلق بالغريزة .. وعند الإنسان البدائى تتعلق بالفطرة حيث يغلب الحس أى الجسد على العقل .. وعند الإنسان المتقدم تبدأ في التركيب والتعقيد نتيجة تغلب العقل على الحس» (٤) . وما نعنيه من ذلك هو أن بذرة الذات موجودة فى الحد الأدنى للإنسان وهو الحيوان .. وكما نعرف فإن الأم فى عالم الحيوان هى التى تحكم الأسرة على الأقل فى فترة الحمل ثم الحضانة .. وعلى أساس أن فى هذا تحقيق لذات الأم فهنا نجد أقصى ما يمكن أن نصل إليه من امتداد للجذور السحيقة للأسبقية المطلقة لحكم الأم فى عالم الحيوان وبالتالى – حسب مبدأ التطور – لمجتمع الأم في عالم الإنسان .. وبعبارة أخرى وباعتبار أن الحيوان يحكمه العقل الجبرى .. فإن الذات الغريزية الجبرية لدى الحيوان تطورت إلى الذات الفطرية شبه الجبرية لدى الإنسان البدائى ثم إلى الذات الاختيارية لدى الإنسان المتقدم .. وطوال رحلة التطور هذه

---

(١) «وقد حدث ذلك أثناء جمعهن للثمار فى منطقة مستقرة مع أطفالهن وملاحظتهن بالصدفة لنمو الثمار المتساقطة على الأرض مرة تلو أخرى فى وقت كان الرجال فيه يخرجون للقنص وعند عودتهم يكون كل الرجال لكل النساء فينسب الأطفال إلى الأم دون الأب . ويعد اكتشافها للزراعة وإجادتها لهذا العمل رغم بدائيته أساسا اقتصاديا ساعد على تثبيت سيادتها» (الأسطورة والتراث ص ٨٨)

(٢) «الأسطورة والتراث» (ص ٨٨)

(٣) «صدمة العرى» (ص ٨٥)

(٤) «صدمة العرى» (ص ٨٧)

ظلت الذات – مثلما بدأت – مرتبطة فى تحقيقها بالأمومة وذلك عن طريق الحضانة وقبل ذلك عن طريق احتواء الأم للبذرة التى غرسها الأب ومضى تاركا تحقيق ذاته فى رحمها .. وفى هذا فصل الخطاب بشأن ارتباط الذات بالأم حتى لو كان الأب هو الذى يحكم إذ أن الأم كما بينا (ذات شمولية) – أو رحم شمولى – تحوى ذات الرجل وبالتالى فإن مجتمع الأم يحوى مجتمع الأب ومن ثم فهو بهذا المعنى سابق عليه (بعض علماء الفسيولوچيا يرى أن الأصل فى الكائنات الحية هو الأنوثة) .

وهنا نشير إلى ملحوظة هامة وهى أننا نخطئ إذا أعدنا صياغة ما سبق بوضع كلمة (المرأة) مكان كلمة (الأم) وذلك أن هزيمة الأم فى المجتمع الأموى قد لحقت بها كامرأة فقط .. ولكنها لم تهزم كأم .. وقد أثبتنا صحة قولنا هذا فى كتاب «صدمة العرى» وذلك تحت عنوان «الثالوث بلغة الأرقام» وأيضا تحت عنوان «صدمة العرى والزمان» .

## الرجل يضحى بسلطته الإلهية من أجل سلطانه على المرأة

قد خضنا مسألة أسبقية مجتمع الأم على مجتمع الأب سعيا وراء أقصى طبقات اللاشعور الجمعى لكى نعرف ما وراء موقف التلمود من المرأة .. وهو الموقف الذى فسرناه مبدئيا بأن حواء تخص الذات التى تخص العقل الاختيارى ومن ثم (الدين الاختيارى) الذى يخص المصريين الذين أسروا العبريين .. وقبل أن نقدم التفسير الذى سعينا وراء ه نمهد له بما حدث نتيجة احتلال الرجل مكان المرأة حيث انتقلت البشرية بصفة عامة من مجتمع الأم إلى مجتمع الأب .. أى من مجتمع الذات (حواء) إلى مجتمع العقل (١) (آدم) .. ولأن ذلك حدث نتيجة تطور العقل على طريق تميزه .. ولأن الذات عنصر أساسى فى هذا التميز فقد نسب العقل إلى نفسه صفة الاستقلالية التى تخصها .. ولأن الاستقلالية صفة جوهرية للذات فمعنى هذا أن الرجل باحتلاله مكان المرأة قد نفي ذاتها بنسبتها إليه .. ولأن الذات المنفية هى (الذات الشمولية) التى تخص المرأة (الأم) والتى تحوى ذات الرجل (الأب) فمعنى هذا أنه نفى بنفيها ذاته ومن ثم كان عليه أن يستردها .. فكيف تم ذلك ؟

فى تلك المرحلة الشمولية من تاريخ البشرية كانت الآلهة من البشر .. وطبقا لمبدأ (الذات الشمولية) التى تمثلها المرأة فقد كانت هى أول من جلس على عرش الألوهية ثم تلاها الرجل عندما احتل مكانها (٢) (انظر الهامش) .. والعبادة حتى لو كانت لآلهة من البشر

---

(١) سبق واعتبرنا آدم رمزا للعقل الجبرى ولكن المقصود هنا هو عقل الإنسان المتميز الذى تطور من العقل الغريزى إلى العقل الفطرى .. وما نعنيه هو أن آدم كعقل جبرى بحكم ارتباطه بحواء كعقل اختيارى قد انتقلت رمزيته من العقل الجبرى الذى يخص الجماد والحيوان إلى العقل الجبرى الذى يتعلق بالإنسان حيث يعمل عليه عقله المتميز .

(٢) ولأن ألوهية المرأة كانت ترتكز على كونها خالقة الحياة أى الأم التى لم تولد من أم سابقة . فقد نسب إليها الرجل صفة (مولود) لكى يلغى حجة ألوهيتها . والمولود يتميز بوجود السرة حيث كان يتصل بأمه بالحبل السرى . ومن هنا – فى رأينا – فإن السرة موجودة فى صورة حواء وفى كل التماثيل والصور التى تمثل المرأة الإلهة أو الأم الإلهية . ومن هنا أيضا نعتقد أن هذه التماثيل والصور من صنع الرجل .

تستدعى فناء ذات المتعبد فى ذات الإله الذى يعبده .. ولأن الرجل قد نفى ذاته بنفى (الذات الشمولية) فقد وجد نفسه أمام أمرين كليهما ليسا فى صالحه : الأمر الأول أنه كإله بدون ذات أصبح بدون معبود يفنى فى ذاته الإلهية .. والأمر الثانى أنه بنفيه (الذات الشمولية) قد جعل المرأة خارج سلطانه كإله وبالتالى – وهو الأهم – كبشر .. وهكذا لم يكن أمامه إلا أن يعيد إلى المرأة وبالتالى (الذات الشمولية) استقلاليتها .. ولأن استقلالية الذات عامة وبالأحرى (الذات الشمولية) تتعارض مع فنائها فى ذاته الإلهية فمعنى هذا أن الرجل ضحى بسلطانه على المرأة كإله من أجل سلطانه عليها كبشر .. وذلك لتفضيله سلطته البشرية على سلطته الإلهية من أجل «المنفعة» التى تتمثل فى المكاسب التى حصل عليها كرب أسرة مثل حق الملكية وتوريث الأبناء بالإضافة إلى حقه فى سن القوانين التى يتحكم بها فى المرأة ويعلى شأنه عليها .. وباعتبار أن هذه المكاسب تتعلق بأمور الدنيا يكون المجتمع الأبوى قد ضحى بأمور الدين من أجل أمور الدنيا مثله فى ذلك مثل الشعب المختار .

ولكن الشعب المختار – كما رأينا فى التلمود – يغالى فى توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا إلى درجة الاستغلال .. فلماذا ؟

قلنا إن الرجل تنازل عن سلطته الإلهيةِ من أجل سلطته البشرية .. والرجل هنا يمثل أى شعب إلا الشعب المختار الذى شذ عن هذه القاعدة لأنها تتعارض مع شخصيته .. وذلك أن الرجل بتنازله عن الألوهية تنازل عن نفى (الذات الشمولية) التى تحوى ذاته .. ولأنها – أى ذاته – ذات عادية فما سرى عليها لا يسرى على الذات المتضخمة لدى الشعب المختار .. كما وأن تنازل الرجل عن ألوهيته يتعارض مع ربوبية وألوهية (١) الشعب المختار .

ولأن (الذات الشمولية) سبب الرفض تخص حواء فهى – أى حواء – مذنبة (٢) .. ومن هنا اختلف وضعها فى التوراة عنه فى القرآن حيث فى التوراة هى التى أغرت آدم بالعصيان والأكل من الشجرة المحرمة (٣) بينما فى القرآن اشترك الإثنان فى العصيان (٤) .. ونستمر مع هذا الموضوع فيما يلى .

## الفرق بين آدم وحواء فى التوراة .. وآدم وحواء فى القرآن

رأينا كيف أن مضمون قصة آدم وحواء فى التوراة يشهد على طبيعة وشخصية الشعب المختار الذى يغالى فى استغلال أمور الدين لحساب أمور الدنيا وهو ما انعكس على المرأة فى التلمود باعتبار أنها امتداد لحواء .. وذلك عكس موقف القرآن من المرأة حيث رد إليها اعتبارها

---

(١) سنتناول ألوهية الشعب المختار فيما بعد .

(٢) «المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت» (تكوين ٣ : ١٢)

(٣) «فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا فأكل» (تكوين ٣ : ٦)

(٤) «فدلَّهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما» (من الآية ٢٢ سورة الأعراف)

نسبيا بالمقارنة بما كانت عليه فى الجاهلية .. ولذا فإن الله يشركها مع آدم فى المسئولية «وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة» (١) وذلك عكس التوراة حيث المساء لة تخص آدم أولا ثم بعد ذلك حواء بناء على إحالة آدم سبب عصيانه إليها (٢) .

وما دمنا قد توصلنا اجتهاديا إلى أن القرآن يشهد على طبيعة وشخصية الشعب المختار وذلك من خلال الفرق بين إدانة حواء فى التوراة وإدانة آدم وحواء معا فى القرآن .. فسوف نجتهد – وأدعو الله أن يوفقنى – فى فهم الآية التى تعبر عن ذلك فى قوله تعالى : «فدلَّهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما» (٣) حيث يقول الشيخ الشعراوى إن «لفظ دل مأخوذ من دلى حبل الدلو فى البئر ليبحث عن الماء» (٤) .. فمن قول الشيخ الشعراوى هذا يتكشف لنا الإعجاز البلاغى فى القرآن فى استخدام لفظ «دلى» وليس «دل» حيث أن اللفظ الأول يعبر عن فعل (السقوط) فى الخطيئة .. وبالتالى تتكشف لنا هذه البلاغة فى الفرق بين استخدام القرآن فعل الهبوط (السقوط) واستخدام التوراة فعل (الخروج) من الجنة نتيجة العصيان .. إذ نجد فى القرآن : «قال اهبطا منها» (٥) ونجد فى التوراة «فأخرجه الرب الإله من جنة عدن» (٦) .

ونستكمل قول الشيخ الشعراوى : «والغرور هو الإغراء الذى يوقع الإنسان فى المخالفة »(٧). فباعتبار أن مخالفة آدم هى الأولى فى تاريخ البشر وبإرجاع هذه المخالفة إلى الغرور يصبح الغرور هو الخطيئة الأولى فى خطايا البشر التى تؤدى إلى عصيان الإنسان لخالقه.

والغرور يحيلنا إلى أسطورة «نرسيس» الذى انشغل بصورته (ذاته) فى الماء (٨) .. وقد سبق أن بينا العلاقة بين «أوزيريس» كرمز للماء وبين شجرة المعرفة كرمز لآدم حسب المفهوم الذى خرجنا به من التوراة .. وعندما نقابل «نرسيس» كرمز للإنسان عامة بآدم التوراتى رمز الشعب المختار سنجد أن غروره يفوق غرور «نرسيس» إذ بينما «نرسيس» أراد أن يحقق ذاته من خلال صورته فى الماء بأن يكون (هو) نجد أن آدم التوراتى أراد أن يحقق ذاته من خلال صورته فى شجرة المعرفة بأن يكون (كالله) .. وفى هذا نجد فرقا آخر بين آدم فى القرآن وآدم فى التوراة وهو الفرق بين غرور «نرسيس» كرمز للإنسان عامة وغرور الشعب المختار الذى نسب إلى نفسه الربوبية ( ثم الألوهية كما سنرى ).

---

(١) «الاعراف» (من الآية ٢٣)

(٢) «تكوين» (٣ : ٨ – ١٣)

(٣) «الأعراف» (من الآية ٢٢)

(٤) «الشيطان والإنسان» (ص ٥٤)

(٥) «الأعراف» (من الآية ٢٤)

(٦) «تكوين» (٣ : ٢٣) ونلاحظ أن العقوبة تخص آدم بالذات تمشيا مع تحميله المسئولية وحده إهمالا لشأن المرأة كما ذكرنا

(٧) «الشيطان والإنسان » (ص ٥٤ )

(٨) تناولنا موقف نرسيس بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «نظرة جديدة إلى أسطورة «نرسيس»

وفرق آخر نجده فى توبة آدم وحواء فى القرآن وفى التوراة .. ففى القرآن نجد «قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» (١) فهنا توبة وطلب للمغفرة يعبران عن الاعتراف بالذنب .. فى حين نجد فى التوراة أن آدم يحيل ذنبه إلى حواء وأنها بالتالى تحيل ذنبها إلى الحية ومن ثم إلى (الله) التوراتى حيث سبق وأثبتنا العلاقة بين (الله) والحية (ص ١٥٥) وما يعنينا بالذات هو موقف الشعب المختار الذى لا يعترف بخطئه لأنه جعل نفسه بربوبيته ندا للرب الإله .. وإذا كان تعليل ذلك أن (الرب الإله) يرمز للفرعون وأن حواء - ومن ثم الحية - ترمز للعقل الاختيارى وبالتالى للثقافة الشمسية التى تخص مصر .. ففى هذا دليل آخر على الفرق بين آدم (القرآنى) الذى يمثل جميع البشر وآدم (التوراتى) الذى يمثل الشعب المختار .

وهذا يقودنا إلى فرق آخر بين آدم التوراتى الند لـ (الرب الإله) وبين آدم فى القرآن الذى يخضع بتوبته لله فيثيبه على ذلك بقوله : «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» (٢) .. فى حين نجد فى التوراة أن (الرب الإله) يثيب آدم على معصيته بأن يؤكد نديته له «وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد» (٣) .

ولكن إذا كنا قد اعتبرنا أن هذا النص يمثل مكافأة من (الرب الإله) لآدم على عصيانه له بأن جعله ندا له .. فالواقع أن هذا المعنى قد جاء فى التوراة على هوى الشعب المختار لتغطية معنى عكسى ليس على هواه .. ولكى نوضح ما نعنيه سنترجم العبارات التى جاء ت فى النص إلى معانيها الأصلية .. فكما قلنا فإن (الرب الإله) يمثل الفرعون .. و(الإنسان) أى آدم يمثل الشعب المختار .. و(الخير والشر) يمثلان الدين الاختيارى الذى يخص المصريين .. و(شجرة الحياة) تمثل الخلود الذى تدور حوله عقيدة وفكر المصريين .. وعلى هذا سنعيد قراء ة النص كالآتى باعتبار أنه على لسان الفرعون وسنضع البديل بين قوسين : «وقال الرب الإله (الفرعون) هوذا الإنسان (الشعب المختار) قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر (الدين الاختيارى) . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة (الخلود) أيضا- أى مثلنا- ويأكل ويحيا إلى الأبد» .. وواضح من ترجمتنا هذه للنص أن الفرعون قد جعل الشعب المختار ندا له .. وهو المعنى الذى قلنا إنه جاء فى التوراة على هوى أصحابها لتغطية معنى ليس على هواهم وهو رفض المصريين وأضطهاد الفرعون لهم .. وهو ما نجده فى النص الآتى الذى يتفق والترجمة التى قدمناها للنص السابق «ثم قام ملك جديد على مصر لا يعرف يوسف . فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا

(١) «الأعراف» (٢٣)
(٢) «البقرة» (٣٧)
(٣) «تكوين» (٣ : ٢٢)

ويحاربوننا ويصعدون من الأرض» (١) .. فبمقارنة هذا النص بالنص السابق يتبين لنا تطابقهما وإن كان النص الأول ينصب على الناحية الدينية والنص الثانى ينصب على الناحية السياسية .. وسنبين هذا عن طريق مقابلة عبارات النص الأول بعبارات النص الثانى حيث نجد أن :

(الرب الإله) = (ملك جديد على مصر)

(هوذا الإنسان) = (هوذا بنو إسرائيل)

(قد صار كواحد منا) = (أكثر وأعظم منا) ونلاحظ هنا أن الندية بين الطرفين قد تحولت إلى تفوق الطرف الثانى على الأول مما يتفق وتضخم ذات الشعب المختار .

(لعله يمد يده) = (لئلا ينموا)

(ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويحيا إلى الأبد) = (ويصعدون من الأرض) أى يخرجون من أرض مصر (الجنة التى رفضتهم) إلى أرض كنعان (الجنة البديلة) .. والجنة تتعلق بالحياة الأبدية .. أما كونها جنة أرضية فكما سبق وبينا فالمصريون جعلوا الجنة السماوية على الأرض (راجع ص ١٥٠) كما وأن الخروج من مصر إلى كنعان يعنى التحول إلى شعب وهو ما يعنى الحياة الأبدية عن طريق ذكر التاريخ للشعوب وتجاهله للجماعات الرحل فما البال وتحول العبريين إلي شعب كان بمثابة الحياة أو الموت .

وواضح مما سبق تضخيم التوراة لشأن العبريين تمشيا مع فكرة الشعب المختار التى واجهوا بها ضعفهم – عن طريق اللاشعور الجمعى كما سبق أن بينا – وليس أدل على ضعفهم هذا من ذكر التوراة لما فعله المصريون بهم تنفيذا لأمر الملك «فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم» (٢) ثم ما انتهى إليه الأمر بالخروج الذى كان بمثابة (الطرد) حيث كان (الخروج) رغم أنفهم من (جنة) مصر التى رفض أصحابها انتماء هم إليها .. ويقابل هذا ما حدث لآدم حيث نلاحظ ورود لفظى (الخروج) و(الطرد) من (الجنة) «فأخرجه الرب الإله من جنة عدن .. فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن» (٣) .

ونستمر مع نهاية النص السابق حيث يقول : «فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب يحرس طريق شجرة الحياة» (٤) أى طريق العودة إلى مصر حيث (الدين الاختيارى) المتعلق بالخلود (٥) (انظر الهامش ) وهو طريق يحرسه «لهيب سيف متقلب»

---

(١) «خروج» (١ : ٨ – ١٠)

(٢) «خروج» (١ : ١١)

(٣) «تكوين» (٣ : ٢٣ ، ٢٤)

(٤) «تكوين» (٣ : ٢٤)

(٥) سبق وبينا كيف حول المصرى القديم جنة الآخرة إلى جنة الدنيا . وعلي هذا يكون قد نقل شجرة الحياة السماوية من عالم الآخرة السماوى إلى عالم الدنيا الأرضى . وفى هذا تفسير يضاف إلى تفسيرنا السابق بشأن وجود شجرة المعرفة وشجرة الحياة فى مكان واحد بالجنة الأرضية .

كناية عن القوات المصرية إذ أن السيف هنا هو السلاح المصنوع من المعدن الذى اقترن اكتشافه فى العصر الحجرى الحديث بمعرفة الإنسان – وهو هنا المصرى – للزراعة حيث صنع منه مختلف الأدوات والأسلحة .. ونورمان بيريل له تفسير يعود بلهيب السيف المتقلب إلى العصر الحجرى الحديث (١) – تاريخ وجود آدم (٢) حيث يرى بالنسبة لذلك العهد أن الكوارث عندما تقع فى منطقة ما كانت تفسر بغضب الآلهة بسبب ذنوب البشر فى تلك المنطقة ومن ثم فإن القبائل التى كان يطردها من الأرض الخصبة من يملك سلاحا – السيوف المعدنية – أقوى مما تملكه كانت تحمل معها قصصا عن النكبات والعقاب «وهذه هى القصة الرمزية عن إخراج آدم من جنة عدن. والملاك (٣) الذى كان يقف على باب الجنة بسيفه الملتهب لمنع ذريته من العودة» (٤) هو رمز من يحمل سلاحا أقوى .. أو هو رمز لقوات الفرعون التى تحرس حدود مصر جهة سيناء .

ونعود إلى موقف التلمود المعادى للمرأة وقد أرجعناه إلى موقف الشعب المختار المعادى لـ (الذات الشمولية) وانعكاس ذلك على موقفه من حواء .. وقد قلنا إن تضخم الذات لدى الشعب المختار هو السبب فى معاداته لـ (الذات الشمولية) كما قلنا أيضا إن تضخم الذات قد نشأ – على سبيل الدفاع التعويضى – لمواجهة رفض المصريين للعبريين .. ومعنى هذا أنه قبل تضخم الذات لم يكن هناك ما يدعو إلى الموقف العدائى لـ (الذات الشمولية) ومن ثم لحواء ومن ثم للأم .. ولعل هذا يفسر أن الشعب المختار كان يعتبر أن اليهودى هو من كانت أمه يهودية .. وإن كانت بعض المجتمعات الغربية قد تخلصت من ذلك الشرط واعتبرت أن اليهودى هو من كان أحد أبويه يهوديا وليس الأم فقط بشرط أن يربى أطفاله على الدين والتعاليم اليهودية» (٥) .. ومعنى ذلك – وطبقا لنظريتنا الخاصة بـ (اللاشعور الشمولى) التى بينا من خلالها الأسبقية المطلقة لمجتمع الأم – معنى ذلك أن الشعب المختار قد بدأ مثله مثل أى شعب منتميا إلى مجتمع الأم .. ثم عن طريق اللاشعور الجمعى والشعور الجمعى معا تحول إلى مجتمع الأم والأب معا ولكن مع شرط تحفظى يرجح مجتمع الأب وهو تربية الأطفال على الدين والتعاليم اليهودية التى تنتمى إلى ديانة «يهوه» القمرية الذكرية أى الأب .

وبناء على ذلك نجد أن الوصايا العشر تقدم الأب على الأم «أكرم أباك وأمك» (٦) بينما نجد فى القرآن «وبالوالدين إحسانا» وهذا كما بينا يتوافق مع تحيز التوراة لآدم (الأب) ومساواة القرآن بين آدم وحواء (الأب والأم)

---

(١) «إن آدم لم يكن أبعد من أوائل العصر الحجرى الحديث منذ قريب من ستة آلاف سنة قبل الميلاد» (رحلة بنى اسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ص ١٩)


(٢) المقصود حسب رؤيتنا هو آدم التوراتى ممثل العبريين .

(٣) أو «الكروبيم» حسب نص التوراة : والمعروف أن العبريين فى تفضيلهم لإلههم القومى «يهوه» حولوا الآلهة التى سبقته إلى ملائكة (راجع هذا بالتفصيل فى «الأسطورة والتراث» ص ٦٥ ، ٦٦) ولأن الملاك هنا يمنع العبريين من العودة إلى الجنة فلابد وأنه أصلا إله مصرى وهو «رع» الذى أصبح (الله) عند العبريين (المؤلف)

(٤) «بزوغ العقل البشرى» (ص ٢٣٠)

(٥) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» (ص ٦٩)

(٦) «خروج» (٢٠ : ١٢)



(طرد آدم وحاء من الجنة ) من أعمال BRANCACCI في كنيسة سانت ماريا دل كارمن - فلورنسا - إيطاليا (ونري الملاك ،الكروبيم ، حاملا السيف

وباعتبار أن آدم يمثل العقل الجبرى وأن حواء تمثل العقل الاختيارى وأن الاثنين معا يمثلان الإنسان بصفة (مولود) فمعنى هذا أن الإنسان فى القرآن كامل وفى التوراة ناقص أو بالأصح بصفة (جنين) .. وكما رأينا فإن هذا النقص يرجع إلى الفرق بين رمزية آدم وحواء فى التوراة لبداية الشعب المختار فى مصر حيث آدم يمثل العبريين بثقافتهم القمرية وحواء تمثل مصر بثقافتها الشمسية (١) .. ولاستكمال النقص الذى أشرنا إليه كان لابد من اجتماع القمر والشمس .. وهذا لا يتم إلا طبقا لما يحدث فى الطبيعة حيث ينعكس نور الشمس على القمر أو بعبارة أخرى طبقا لقانون العقل الجبرى الذى يحفظ توازن الكون .. إذ أن اجتماع القمر والشمس بالفعل لا يمكن أن يحدث إلا إذا خرج القمر عن مداره ودخل مجال الشمس وهو ما يعنى الخروج على قانون العقل الجبرى وهو ما حاول أن يفعله الشعب المختار وعوقب عليه .. وهذا ما سوف نبينه من خلال أسطورة آدم فى التلمود - التى سبق أن تناولناها - بشأن وحدة الجسد بين آدم وحواء وتفتيت الشعب المختار لهذه الوحدة نتيجة رفضه (الذات الشمولية) بسبب تضخم ذاته وربوبيته وما ينتج عن ذلك من نقص بالنسبة للرمز الذى يمثله وهو آدم .

## خروج الشعب المختار على قانون العقل الجبرى

### (أ - على المستوى الكونى)

سوف نعيد سرد أسطورة آدم فى التلمود تمهيدا لترجمتها بشأن نقص آدم رمز الإنسان فى التوراة وتعويض هذا النقص عن طريق الخروج على قانون العقل الجبرى والعقوبة التى ترتبت على ذلك .. (علما بأن الله المنسوبة إليه هذه الأسطورة هو (الله) التوراتى بالمفهوم الذى سبق أن قدمناه) حيث (الله) = «رع» أو « إيل» .

يقول التلمود : «إن الله خلق آدم ذا وجهين رجلا من ناحية وإمرأة من ناحية أخرى . ثم قطعه من النصف .. وإن طوله كان يصل إلى السماء . وإنه إذا نام كان رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب . وإن الله صنع لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها لآخرها . ولكن بعد خطيئة آدم وعصيانه الله وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صغر حجمه وصار كبقية البشر . وعندئذ طرده من الجنة فى الساعة الثانية عشرة» (٢) .

وبعد أن عرضنا أسطورة آدم فى التلمود سوف نتناولها بالتحليل فقرة فقرة لنرى المدلولات التى نخرج بها :

(١) ولا يجب أن يفهم من هذا القول أن الثقافة المصرية خرجت من الثقافة العبرية طبقا لخروج حواء من آدم . إذ أن المقصود بحواء هنا هو العقل الاختيارى الذى أضيف إلى العقل الجبرى . وحيث أن العقل الجبرى يتعلق بالخير فقط والعقل الاختيارى يتعلق بالخير والشر فليس من المعقول أن يخرج الشر من الخير المطلق .

(٢) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص ٢٠)

**١ - إن الله خلق آدم ذا وجهين رجلا من ناحية وإمرأة من ناحية أخرى:** نحن أمام وحدة جسدية تجمع بين العقل الجبرى (آدم) والعقل الاختيارى (حواء) اللذين ينتج عنهما الإنسان بصفة (مولود) .. ولكن هذه الوحدة الجسدية تختلف عن الوحدة الناتجة عن خروج حواء من آدم السابق عليها فى الوجود - كما فى التوراة - وهو ما يعنى إضافة العقل الاختيارى إلى العقل الجبرى - السابق عليه فى الوجود - للوصول إلى صفة (مولود) وذلك طبقا للتسلسل الطبيعى لتكوين الإنسان الذى يبدأ بصفة (جنين) يتعلق بالعقل الجبرى ثم يصبح بصفة (مولود) يتعلق بالعقل الاختيارى بجانب العقل الجبرى .. ومعنى ذلك أن وجود آدم (العقل الجبرى) وحواء (العقل الاختيارى)معا فى آن واحد يعتبر خروجا على قانون العقل الجبرى وهو ما نجده فى أسطورة آدم التلمودى حيث يبدأ الإنسان بصفة (مولود) مباشرة متخطيا صفة (جنين) كبداية .. فهو بهذا مولود شاذ خارج على قانون العقل الجبرى .

**٢ - ثم قطعه من النصف :** قد أوضحنا الفرق بين فصل حواء من آدم وخروج حواء من آدم حيث الفصل يعنى الحذف ومن ثم فنتيجته سلبية حيث يتحول المولود إلى جنين .. بينما الخروج يعنى الإضافة ومن ثم فنتيجته إيجابية حيث يتحول الجنين إلى مولود .. وكما قلنا فإن البدء بصفة (مولود) مباشرة يمثل خروجا على قانون العقل الجبرى .. وعلى هذا فإن تحول المولود إلى جنين يمثل العقوبة على ذلك .. ولأن الجنين هنا نابع من مولود (شاذ) فهو جنين (مجهض) كما سبق أن رأينا (١) .

**٣ - وإن طوله كان يصل إلى السماء :** بتحول المولود إلى جنين يبدأ التسلسل الطبيعى حيث يتحول الجنين إلى مولود عن طريق إضافة العقل الاختيارى إلى العقل الجبرى أو بعبارة أخرى عن طريق انعكاس الشمس على القمر .. ولأن مجال هذا هو السماء فقد وجب تصعيد الجنين إليها .

**٤ - وإنه إذا نام كان رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب :** واضح من العبارة انعكاس الشمس على القمر .. فباعتبار أن الشمس رحم بالنسبة للقمر (٢) وأن رحم الشمس يمتد من المشرق إلى المغرب فالقمر كجنين راقد بداخله يمتد مثله من المشرق إلى المغرب .

**٥ - وإن الله صنع لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها لآخرها :** واضح مما سبق أن الشمس هى الطاقة أى النافذة التى تطل على الدنيا من أولها لآخرها .. ويبدو هنا التأثر بأناشيد إله الشمس فى مصر حيث نجد فى عهد تحتمس الثالث قوله : «إنه يرى جميع العالم فى كل ساعة» (٣) وفى عهد أمنحتب الثالث قوله : «وكل الناس تنظر بواسطتك» (٤)

---

(١) راجع الفصل العاشر تحت عنوان «صدمة الاجهاض»
(٢) باعتبار أن المجموعة الشمسية بما فيها الأرض والقمر أجنة فى رحم الشمس (راجع الجدول ص ٨٩)
(٣) «فجر الضمير» (ص ٢٩٤)
(٤) «فجر الضمير» (ص ٢٩٥)

٦ - **ولكن بعد خطيئة آدم وعصيانه لله** : لكى نفهم المقصود بالخطيئة هنا نعيد سابق قولنا بأنه عندما نقابل «نرسيس» كرمز للإنسان عامة بآدم (التوراتى) رمز الشعب المختار سنجد أن غروره يفوق غرور «نرسيس» إذ بينما «نرسيس» قد أراد أن يحقق ذاته بأن يكون (هو) نجد آدم (التوراتى) قد أراد أن يحقق ذاته بأن يكون (كالله) و (الله) هنا هو إله الشمس «رع» .. وعلى هذا فالمقصود بخطيئة آدم وعصيانه لله هو خروجه على قانون العقل الجبرى بأن نسب الشمس المنعكسة عليه إلى نفسه .. وباعتبار أنه يمثل القمر يكون قد دخل مع الشمس فى منافسة (١) غير مشروعة طبقا لقانون العقل الجبرى وهى المنافسة التى نجدها فى التلمود «حيث قال القمر لله : «أخطأت إذ جعلتنى أصغر من الشمس» (٢) .. ولكن رغم أن التلمود يجعل (الله) يعترف بخطئه فيقول : «اذبحوا لى ذبيحة أكفر بها عن ذنبى لأنى خلقت القمر أصغر من الشمس» (٣) ... إلا أنه يفعل العكس فى الأسطورة التى نحن بصددها وهو ما نجده فى الفقرة التالية :

٧ - **وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتي صغر حجمه وصار كبقية البشر** : ونتوقف عند عبارة (وصار كبقية البشر) التى تعنى وصار مولودا طبيعيا بعد أن كان مولودا شاذا .. حيث بينا فى الفقرة (٤) أن سبب الشذوذ هو اختلاف الوحدة الجسدية فى أسطورة آدم عن الوحدة الناتجة عن خروج حواء من آدم السابق لها وهو ما يعنى إضافة العقل الاختيارى إلى العقل الجبرى - الموجود قبله - للوصول إلى صفة (مولود) وذلك طبقا للتسلسل الطبيعى لتكوين الإنسان الذى يبدأ بصفة (جنين) ثم يصبح بصفة (مولود) .. وعندما نقابل هذا بما فعله آدم فى الفقرة السابقة عندما نسب الشمس المنعكسة عليه إلى نفسه نجد فى ذلك صورة مماثلة لوحدة الجسد فى أسطورة آدم التى تخرج على قانون العقل الجبرى بإلغاء أسبقيته على العقل الاختيارى .

٨ - **وعندئذ طرده من الجنة فى الساعة الثانية عشرة** : ونتوقف عند عبارة (الساعة الثانية عشرة) التى تحيلنا إلى تقسيم اليوم إلى قسمين أحدهما يخص النهار أى الشمس والآخر يخص الليل أى القمر .. وهو ما يعنى سريان قانون العقل الجبرى بالفصل بينهما وما يعنى بالتالى الرد على خطيئة آدم بالخروج عليه عندما جعل نفسه الاثنين معا أى جعل نفسه الشمس والقمر معا .

## خروج الشعب المختار على قانون العقل الجبرى

### (ب - على المستوى التاريخى)

بعد أن تناولنا أسطورة آدم فى التلمود على المستوى الكونى حيث حتمية سريان قانون العقل الجبرى الذى وضعه الخالق على جميع المخلوقات .. فسوف نعيد تناول هذه الأسطورة على

(١) راجع هامش (٥) (ص ١١٩)
(٢) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص ١٤)
(٣) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص١٤)

المستوى التاريخى حيث حتمية سريان قانون العقل الجبرى أيضا على القوانين الوضعية التى سنها البشر .. وذلك على أساس أن البشر ضمن المخلوقات التى يسرى عليها قانون العقل الجبرى .

وباعتبار أن القضية الأولى للإنسان كفرد وللبشر كجماعات وشعوب هى تحقيق الذات .. فإن هدفنا من التحليل التاريخى لأسطورة آدم هو تأكيد ما ذهبنا إليه بشأن (الذات الشمولية) حيث تؤثر (الطبقة الشمولية) فى الطبقات التالية من اللاشعور الجمعى للجماعات والشعوب وضمنا للأفراد .. ولأن التحليل الذى سنقدمه يخص تاريخ العلاقة بين الشعب المصرى والشعب المختار ولأن التوراة سجلت هذا التاريخ في زمن لاحق تحت تأثير الشعور واللاشعور الجمعيين .. فعلى هذا الأساس سوف نبنى تحليلنا باعتبار أنه واقع حقيقى وإن كان ممزوجا بالوهم .. إذ ما دمنا بصدد التوغل فى نفسية الشعب المختار فإن طبيعة هذا الواقع الممزوج بالوهم هى الأرض الصالحة لاستنبات الحقيقة .

وكما فعلنا فى المرة السابقة فسوف نتناول أسطورة آدم فى التلمود فقرة تلو فقرة ونترجمها طبقا للمذهب الذى ذكرناه :

### ١ - إن الله خلق آدم ذا وجهين رجلا من ناحية وامرأة من ناحية أخرى:

باعتبار أن آدم يرمز للشعب المختار فى بدايته عندما كان بصفة قبيلة (جنين) لم تتحول بعد إلى شعب (مولود) وأيضا باعتبار عقدة (الجنين المجهض) التى كشفنا عنها .. فمن هنا تخطى الشعب المختار صفة (جنين) وجعل نفسه بصفة (مولود) مباشرة .. فهو كما قلنا مولود شاذ .. وعندما نطبق ذلك على تاريخ العبريين فى مصر نجدهم قد واجهوا رفض المصريين لهم بأن أوحوا إلى أنفسهم - شعوريا ولا شعوريا - بأنهم شعب وهم مازالوا قبيلة .. ومن هنا تمخضت فكرة «الشعب المختار» عن مولود شاذ .. وما يبنى على شاذ فهو شاذ .. وذلك أنه بوجود الشعب المختار (الشاذ) فى مصر ومحاولته الانتماء إلى الشعب المصرى فمعنى هذا وجود وحدة شاذة بين الشعبين .. وهو ما نجده فى أسطورة آدم التلمودى فى الوحدة الجسدية بينه وبين حواء التى سبق أن بينا شذوذها بعكس الوحدة الناتجة عن خروج حواء من آدم السابق لها- كما فى التوراة - وهو ما يعنى إضافة العقل الاختيارى إلى العقل الجبرى - الموجود قبله - للوصول إلى صفة (مولود).. فلو طبقنا هذه الوحدة - غير الشاذة - على العبريين باعتبار أنهم يمثلون آدم (العقل الجبرى) وعلى المصريين باعتبار أنهم يمثلون حواء (العقل الاختيارى) المضاف إلى العقل الجبرى للوصول إلى صفة (مولود) فسنجد أن شرط الإضافة غير موجود بسبب رفض المصريين للعبريين .. ومن هنا افترض العبريون فى أسطورة آدم التلمودى الوحدة بينهم وبين المصريين وكأنها واقع حادث منذ بداية البشرية .. وهى كما قلنا وحدة شاذة لخروجها على قانون العقل الجبرى .. وهى بذلك تكشف عن شدة رغبة العبريين فى الانتماء إلى المصريين ولو بتطويع القانون الإلهى لحساب القوانين الوضعية (مما يذكرنا بأسلوبهم فى توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا) ولا عجب فى ذلك والشعب المختار بربوبيته - ثم ألوهيته كما سنرى - قد جعل نفسه ندا للإله .

٢ - **ثم قطعه من النصف** : لأن تضخم الذات لدى الشعب المختار يجعله يرفض تحقيق ذاته فى (الذات الشمولية) فقد فصل نفسه عنها بفصل آدم عن حواء ومن ثم عاد من صفة (مولود) الشاذة إلى صفة (جنين) التى تخطاها وهو ما نتج عنه (الجنين المجهض) .. وباعتبار أن المصريين بحكم تعلقهم بـ (الدين الاختيارى) ينتمون إلى (الذات الشمولية) فكأن العبريين بانفصالهم عنها هم الذين رفضوا الانتماء إلى الشعب المصرى وليس العكس .. وهى مغالطة مقصودة - شعوريا ولاشعوريا - فى أسطورة آدم التى جاء ت فى التلمود بعد مرور زمن طويل على حقيقة ماحدث .. والهدف من هذه المغالطة هو قلب الحقيقة حسب هوى الشعب المختار (مما يذكرنا بمبدأ قلب الأوضاع لدى الشعب المختار) ولأن الحقيقة تتعلق بـ (الذات الشمولية) التى بدونها لا يتحول الجنين إلى مولود ومن ثم لا يتحول العبريون من قبيلة إلى شعب .. فقد كان على أسطورة آدم التلمودى أن تناقض نفسها وتعدل الحقيقة التى قلبتها معترفة بمحاولة العبريين الانتماء إلى المصريين عن طريق ارتداء ثوب الثقافة الشمسية التى تخص الشعب المصرى وهو ما يعنى تقبل (الذات الشمولية) التى انفصلوا عنها .. والدليل على ذلك نجده فى الفقرة التالية :

٣ - **وإن طوله كان يصل إلى السماء** : فحيث أن الثقافة الشمسية تخص عالم السماء فهذه العبارة تمهد لمحاولة العبريين الانتماء إلى المصريين .. فكما نعلم فإن الثقافة الشمسية انتهت إلى التفاعل بين المذهب الأوزيرى الأرضى الذى يخص الشعب والمذهب الشمسى السماوى الذى يخص الفرعون وإن هذا التفاعل انتهى بصعود «أوزيريس» إلى السماء .. وهو ما نجده فى عبارة (طوله يصل إلى السماء) التى تصور آدم - رمز العبريين - واقفا على الأرض ومطاولا السماء .. وهو ما يعنى رغبة العبريين فى الانتماء إلى مصر شعبا وحكومة .. والدليل على ذلك نجده فى الفقرة التالية :

٤ - **وإنه إذا نام كان رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب** : ففى هذه العبارة نجد معنيين : المعنى الأول يخص الثقافة الشمسية من حيث تعلق الشمس بالمشرق والمغرب كما يخص أيضا نظام الحكم حيث قلنا سابقا إنه رغم تفاعل المذهب الشمسى (السماوى) مع المذهب الأوزيرى (الأرضى) فإن عالم السماء الذى يخص الفرعون ظلت له المكانة الأولى .. والمعنى الثانى يخص التفاعل بين المذهبين الشمسى والأوزيرى الذى انتهى إلى عالم الأحياء فى الضفة الشرقية (المشرق) وعالم الأموات فى الضفة الغربية (المغرب) .. فهل بعد هذا دليل على شدة رغبة العبريين فى الانتماء إلى المصريين بحيث جعلوا رمزهم آدم رمزا للشعب المصرى فى حياته وفى مماته وفى نظام حكمه ؟ ولكن لأن الأسطورة التلمودية تكابر بشأن رغبة العبريين فى الانتماء إلى مصر فلعل لهذا السبب جعلت آدم يعبر عن هذه الرغبة وهو نائم وذلك فى قولها : «إنه إذا نام ...» حيث أن النوم يتعلق بالأحلام أى باللاشعور .. وإلا فمن حقنا أن نتساء ل لماذا لم تقل الأسطورة : إنه إذا استلقى .. أو رقد .. أو تمدد ؟

**٥ – وإن الله صنع لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها لآخرها :** كما بينا سابقا فإن الشمس هى الطاقة أى النافذة التى تطل على الدنيا من أولها إلى آخرها .. وكما سبق أيضا وقلنا فهنا يبدو تأثر الأسطورة المباشر بأناشيد إله الشمس فى مصر مثل قول تحتمس الثالث : «إنه يرى جميع العالم فى كل ساعة» وقول امنحتب الثالث : «وكل الناس تنظر بواسطتك».. ونلاحظ فى القول الأول أن الإله هو الذى ينظر وفى القول الثانى أن الناس هى التى تنظر.. وهذا يقابل قولنا السابق بأن الأسطورة التلمودية جعلت آدم مقابلا للفرعون الإله ولشعب مصر.. فكأن الشعب المختار هو إله الشمس الذى يرى العالم من أوله إلى آخره وكأن شعب مصر يرى العالم من خلاله.. وقد يبدو من غير المنطقى أن يكون آدم مقابلا للفرعون الذى أسر العبريين واضطهدهم .. ولكن عندما ننظر إلى الأمر بمنطق الأحلام (اللاشعور) التى يراها آدم فى نومه والتى تعبر عن أحلام الشعب المختار .. وعندما نذكر أن تحتمس الثالث حين قال : «إنه يرى جميع العالم فى كل ساعة» كان يقصد «توسع مصر الامبراطورى شمالا وجنوبا إلى أن شمل سلطان الفرعون الأقطار الآسيوية والأفريقية المجاورة وكون منها امبراطورية ثابتة الأركان» (١) – عندما نذكر هذا سنجد أنه من المنطقى تماما أن يكون آدم مقابلا للفرعون ولو فى عالم الأحلام التى تعبر عن الرغبة فى حكم العالم .

**٦ – ولكن بعد خطيئة آدم وعصيانه لله :** كما نعرف فإن خطيئة آدم هى أنه أراد أن يكون (كالله) وكما نعرف أيضا فإن (الله) التوراتى = (الرب الإله) = الفرعون .. وقد رأينا لتونا أن آدم أراد أو حلم بأن يكون الفرعون .. وهو ما يمثل مبدأ قلب الأوضاع الذى يجعل الحاكم محكوما والمحكوم حاكما أى يجعل الفرعون – وبالتالى المصريين – مأسورا لدى العبريين بدلا من أن يكون آسرهم .

**٧ – وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صغر حجمه وصار كبقية البشر :** أوضحنا فى الفقرة (٢) أن الشعب المختار تقبل (الذات الشمولية) رغم رفضه لها لمجرد أنها شرط لتحقيق الذات والتحول من قبيلة إلى شعب .. ثم رأينا فى الفقرة (٥) أن أطماعه وأحلامه الامبراطورية جعلته يضع نفسه مكان الفرعون وبالتالى مكان (الذات الشمولية) التى تتمثل فى الديانة الشمسية للفرعون والتى كان يرفضها مثلما يرفض الفرعون .. وقد حدث ذلك بدافع الأحلام الامبراطورية للشعب المختار وهو لم يزل قبيلة بعد وهوما يعنى تضخم الذات .. ومن ثم كانت العقوبة فى حرمانه من (الذات الشمولية) برفض الفرعون لانتماء العبريين إلى المصريين وبالتالى حرمانهم من التحول إلى شعب عن طريق الانتماء إلى شعب مصر .. ونتوقف عند عبارة (وصار كبقية البشر) التى تعنى – حسب المفهوم الذى قدمناه – وصار كبقية شعوب البشر وبالتالى كشعب مصر حيث تبدو المغالطة الناتجة عن فكرة الشعب المختار التى نسبها

---

(١) «فجر الضمير» (ص ٢٩٢)

العبريون إلى أنفسهم وهم مازالوا قبيلة .. وهى المغالطة التى جعلت التوراة تقول على لسان ملك مصر : «هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا» (١) .. فالتوراة لم تكتف بوصف قبيلة العبريين بأنها شعب بل جعلتهم أيضا أكثر وأعظم من شعب مصر .

٨ - **وعندئذ طرده من الجنة فى الساعة الثانية عشرة** : لكى نترجم هذه الفقرة إلى معناها الأصلى نشير إلى الضربات التى أنزلها الرب على مصر ليرغم الفرعون على إطلاق سراح العبريين .. وسنذكر ما يخص آخر تلك الضربات فى سفر الخروج «فحدث فى منتصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر .. فقام فرعون ليلا .. فدعا موسى وهرون ليلا وقال قوموا اخرجوا من بين شعبى انتما وبنو إسرائيل جميعا .. وباركونى أيضا» (٢) وأول ما نلاحظه فى هذا النص أنه حدث فى منتصف الليل أى فى الساعة الثانية عشرة موعد طرد آدم - فى أسطورة التلمود - من الجنة .. ثم نلاحظ مبدأ قلب الأوضاع المعتاد فى أن طرد (الله) التوراتى لآدم من الجنة يقابله توسل الفرعون (الرب الإله) إلى العبريين بأن يخرجوا من مصر (الجنة) وبأن يباركوه أيضا .. ويتجلى مبدأ قلب الأوضاع أكثر عندما نذكر - حسب المفهوم التاريخى لواقع الأحداث - أن (الله) = (الرب الإله) = الفرعون .. فكأن الفرعون الذى تسبب فى طردهم قد سمح لهم بالخروج من مصر بشرط أن يباركوه .. الأمر الذى يذكرنا بالمعاهدات الآلهية المشروطة لدى الشعب المختار .

## عودة إلى صفات «ماعت»

بعد أن ترجمنا أسطورة آدم التلمودية من حيث حتمية سريان قانون العقل الجبرى على المستوى الكونى وعلى المستوى التاريخى .. وبعد أن بينا من خلال ذلك الفرق بين الشخصية المصرية والشخصية اليهودية .. فقد سبق وبينا أن هذا الفرق يرجع أساسا إلى الفرق بين الرمز المؤنث «ماعت» الذى يجمع بين آدم وحواء عن طريق الجمع بين (ماعت الجبر) و(ماعت الاختيار) وبين الرمز المذكر «آدم» الذى ينفى حواء - التى تقابل (ماعت الاختيار) بسبب تضخم الذات لدى الشعب المختار الذى يجعله يرفض (الذات الشمولية) كشرط لتحقيق ذاته .. وهو ما يعنى رفض الشخصية اليهودية للشخصية المصرية .

ويبقى بعد ذلك أن نستكمل الفرق بين الشخصيتين من خلال صفات «ماعت» وهى «العدل» و«الحق» و«الصدق» :

١ - **العدل** : سبق أن بينا العلاقة بين العدل والميزان وقانون العقل الجبرى الذى وضعه الخالق لحفظ توازن عناصر خلقه .. كما بينا أن المصرى القديم أدرك هذا القانون من خلال احتكاكه بالطبيعة ومن ثم أدرك بالفطرة وحدة الخالق رغم تعدد آلهته فى المراحل الأولى من

---

(١) «خروج» (١ : ٩)

(٢) «خروج» (١٢ : ٢٩ - ٣١)

تاريخه .. وقد نتج عن ذلك تسليم الإنسان المصرى بحتمية سريان قانون العقل الجبرى الذى يتعلق بالخير فقط على العقل الاختيارى الذى يتعلق بالخير والشر .. ومن هنا استطاع الشعب المصرى – متفردا فى ذلك – أن يرتقى بالأخلاق بتطهير عقله الاختيارى فى عقله الاختيارى وكأنه بذلك قد طهره فى العقل الجبرى صاحب الحكم الأعلى .

ومقابل تفرد الشعب المصرى بتحدى الشر عن طريق تحديه للعقل الاختيارى نجد أن الشعب المختار قد تفرد بتحدى الخير بتحديه للعقل الجبرى الذى يتعلق بالخير فقط وذلك بأن عكس مبدأ سريانه على العقل الاختيارى الذى يتعلق بالخير والشر .. وذلك عن طريق قلب الأوضاع الذى بنى عليه تاريخه بتدخله فى التوراة وما تلى ذلك من أخلاق تجنح إلى الشر فى التلمود الذى أعلاه على التوراة .. مما يؤكد مبدأ قلب الأوضاع حيث توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا بدلا من الوضع العكسى الصحيح .

٢ – **الحق** : كما قلنا فإن فكرة العدل بدأت مرتبطة بقانون العقل الجبرى الذى يحفظ توازن عناصر الطبيعة ومن ثم كان «رع» إلها للطبيعة أى إلها جبريا للعدالة الفطرية النابعة من قوانين الطبيعة .. ثم مع الظروف السياسية لقيام الاتحاد الأول التى ذكرناها آنفا انتقل إله الشمس إلى عالم البشر عن طريق السلطة الحاكمة بهدف مساندتها .. وإذا كان معنى هذا انتماء «رع» إلى طبقة الحكام إلا أن صفته الدينية التى شملت الحاكم والمحكوم جعلته منتميا أيضا إلى الطبقة المحكومة ومن ثم كان لابد أن يتأثر بمتطلبات هذه الطبقة وعلى رأسها تحقيق العدالة الاجتماعية فى علاقتها بالحاكم .. ولأن العدالة الاجتماعية تتعلق بالقيم الأخلاقية كان لابد من ظهور الأخلاق وبالتالى كان لابد من تحول «رع» من إله جبرى يتعلق بالخير فقط إلى إله خلقى يتعلق بالعقل الاختيارى حيث الخير والشر .. وبهذا أصبحت عدالة «رع» تعمل على أساس الحق المقابل للخير والباطل المقابل للشر .. كما أصبحت كلمة (الحق) مرادفة لكلمة (العدل) وهما الصفتان الأساسيتان للرمز «ماعت» .

ولأن الحق نابع من العدالة الإلهية ولأن المحاباة هى العدو الأول للحق فقد بلغ تقديس المصريين للحق ورفضهم للمحاباة أن الوزير «خيتى» الذى كان يتولى شئون القضاء عرضت عليه قضية أحد المتخاصمين فيها قريب له .. فما كان منه إلا أنه حكم ضده دون أن يفحص وقائع القضية تحسبا من محاباة قريبه .. ورغم ما فى هذا الحكم من احتمال ظلم قريبه هذا إلا أنه يبين مدى إدراك القضاء المصرى القديم لخطورة المحاباة .. ولو كان «خيتى» قد عرف المثل الذى يقول : «أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب» (١) لثار عليه ولردد قول الحكيم «بتاح حتب» : «ارع الحق وعامل الجميع بالعدالة» (٢) .

---

(١) بينا بتوسع فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «الرمز مفتاح الخلاص» رأينا بشأن خطورة هذا المثل الذى يعبر بحسن نية عن فضيلة التضامن بين الإخوة والأقرباء . والذى ينتهى إلى معاداة الشعوب بعضها للبعض الآخر باعتبار أن كلا منها (غريب) عن الآخر

(٢) «فجر الضمير» (ص ١٥١)

وبالمقابل لرفض المحاباة لدى المصرى القديم من أجل إحقاق الحق نجد لدى الشعب المختار قمة المحاباة التى تنفى حق جميع الشعوب فيما عداه .. وإذا كنا قد عرضنا بعض الأمثلة لذلك مما جاء فى التلمود فهناك ما يلخصها وهو أن «الفرق بين اليهود وباقى الشعوب هو الفرق بين الإنسان والحيوان» (١)

٣ - **الصدق** : إن أعلى درجة لأى قيمة أخلاقية هى أن تقصد لذاتها وليس لدافع «النفعية» وهو ما نجده فى قول «آى» أحد أعوان البلاط الفرعونى : «إنى لم أقص الصدق لأجل الرجل العسوف» (٢) أى خوفا من الرجل المتعسف .. بل لقد بلغ من إعلاء قيمة الصدق فى عهد «إخناتون» أنه لم يقصر فضيلة الصدق على السلوك الشخصى فحسب بل أدخله كذلك في مجال الفن» (٣) .

والصدق عكسه الكذب .. وفى «كتاب الموتى» فصل كامل بشأن الكذب وهو الفصل (١٥) الذى يحوى عشرة ابتهالات فى كل منها تضرع يتلوه جواب .. ورغم اختلاف مضمون كل تضرع عن الآخر يظل مضمون الجواب كما هو حيث تتكرر فيه عبارة «لم أنطق بالكذب عامدا» .

ولكن ندرك مدى قيمة هذه الملحوظة التى تبين مدى رفض المصرى القديم للكذب نورد ما جاء فى تمهيد كتاب «فجر الضمير» (ص ١٠) حيث يقول مؤلفه «برستد» : «أذكر أننى كلما كذبت أجد لنفسى سلوة فى أنه لا توجد وصية تقول : «يجب عليك ألا تكذب» وأن الوصايا العشر لا تحرم الكذب إلا فى شهادة الزور فقط . ولما اشتد ساعدى بدأت أشعر فى نفسى بشئ من القلق وأخذت أحس بأن قانون الأخلاق الذى لا يحرم الكذب هو قانون ناقص . بل قد ظهرت أمامى تجارب أشد إقلاقا لنفسى وذلك عندما اكتشفت وأنا مستشرق مبتدئ أن المصريين كان لهم مقياس خلقى أسمى بكثير من الوصايا العشر وأن هذا المقياس ظهر قبل أن تكتب تلك الوصايا بألف سنة» .

ونضيف إلى قول «برستد» أن الوصية التى لا تحرم الكذب إلا فى شهادة الزور هى لصالح القريب فقط «لاتشهد على قريبك شهادة زور» (٤) أى أن شهادة الزور مباحة ضد الغريب وهو ما يعيدنا إلى رفضنا للمثل الدى يقول : «أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب» (راجع هامش (١) ص ١٧٥)

---

(١) «التلمود شريعة بنى اسرائيل» (ص ٢٦) سوف نتناول هذا بموضوعية فى الفصل الأخير وبالذات فى تناولنا لبروتوكولات حكماء صهيون

(٢) «فجر الضمير» (ص ٣٢٤)

(٣) «فجر الضمير» (ص ٣٢٤) (بخصوص الفن بينا كيف يمكن للفن أن يكون وسيلة اتصال بالذات العليا والفناء فيها . وذلك فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «الجمال المجرد والحياة الأبدية» و«الرمز مفتاح الخلاص»

(٤) «خروج» (٢٠ : ١٦)

# الفصل الثالث عشر :

# « عقدة أوديب » والشعب المختار

## ■ لكى نكون موضوعيين :

- ○ الوجه السيئ للبشرية بسبب عقدة أوديب والوجه الأسوأ للشعب المختار بسبب إضافة عقدة الأسر والاضطهاد
- ○ تفرد الشعب المختار فى موقفه من عقدة أوديب

## ■ الشعب المختار يستثنى نفسه من «عقدة أوديب» :

- ○ الفرق بين (الوضع الأوديبى الأمى) و(الوضع الأوديبى الكونى)
- ○ الفرق بين (الوضع الأوديبى الاختيارى الأخلاقى) و(الوضع الأوديبى الجبرى اللاأخلاقى)
- ○ الوضع الأوديبى الشاذ لدى الشعب المختار
- ○ الشعب المختار تحول من جنين إلى مولود داخل رحمه هو
- ○ طريق الخلاص من حتمية الانتحار الأوديبى للبشرية يتعارض مع تضخم الذات لدى الشعب المختار

## ■ العلاقة بين أوديب وآدم التوراتى :

- ○ العلاقة المشتركة بين قصة أوديب وقصة آدم فى التوراة
- ○ حتمية الانتحار الأوديبى تسرى على أدم ومن ثم على البشرية جميعها بما فيها الشعب المختار

## ■ كيفية استثناء الشعب المختار من «عقدة أوديب» :

- ○ الأرباب لا ينتحرون ومن ثم الشعب المختار
- ○ تطابق قصة أوديب مع قصة العبريين فى مصر
- ○ الواقع التاريخى يؤكد فشل قصة آدم فى التوراة وأسطورة آدم فى التلمود بشأن استثناء الشعب المختار من عقدة أوديب
- ○ مواجهة الفشل بتحويل المثل «أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب» إلى «أنا واخويا على الغريب»
- ○ قول شمشون «على وعلى أعدائى» ينطبق على الشعب المختار

## لكى نكون مو ضوعيين

إذا كنا خلال رسالتنا حتى الآن قد عرضنا الوجه السئ للشعب المختار .. وإذا كنا قد بينا أسباب ذلك من خلال اللاشعور الجمعى ثم تخطيناه إلى السبب الأصلى وهو (اللاشعور الشمولى) الذى يخص نظرية (الذات الشمولية) .. فالواقع – ولكى نكون موضوعيين – أن هناك سببا نفسيا وراء الوجه السئ الذى عرضناه وهذا السبب النفسى هو «عقدة أوديب» التى يرجع إليها سوء وجه البشرية بصفة عامة .. وإذا كان معنى هذا تقديم العذر لما عليه البشر من سوء باعتبار أنهم يعانون من عقدة نفسية .. وإذا كان الشعب المختار أكثر سوءا فذلك يرجع إلى إضافة عقدة الأسر والاضطهاد التى أدت به إلى الربوبية وتضخم الذات (١) .

وإذا كان الشعب المختار متفردا فى شخصيته – كما رأينا وسنرى باستمرار – فهو أيضا متفرد في موقفه من «عقدة أوديب» .

## الشعب المختار يستثنى نفسه من «عقدة أوديب»

لاشك أن معظمنا ينفر من قول علم النفس أن بداخل كل منا رغبة جنسية (أوديبية) نحو أمه التى بينه وبينها صلة رحم مباشرة .. ولكن الأمر يختلف عندما ننتقل من الصلة الجنسية برحم الأم إلى الصلة الجنسية برحم الكون (٢) حيث الرحم محرم على الإنسان بصفة (مولود) وبالتالى محرم عليه الكون بصفة (رحم) .. ومع ذلك فإن هذا الاختلاف لا يمنع وحدة المصير الأوديبى بمعنى أنه إذا كان الانتحار محتما على أوديب كحالة خاصة فهو أيضا محتم على الإنسان كحالة عامة أى أن الانتحار محتم على البشرية بأجمعها (٣) .

وإذا كنا قد جمعنا بين الوضع الأوديبى بين الإبن والأم (الوضع الأوديبى الأمى) والوضع الأوديبى بين الإنسان والكون (الوضع الأوديبى الكونى) فالواقع أن هناك فرقا أساسيا بين الوضعين .

فمن حيث (الوضع الأوديبى الأمى) فهو يرجع إلى العقل الاختيارى (الأخلاقى) الذى يحرم العلاقة الجنسية بين الابن وأمه .. وحيث أن العقل الاختيارى (الأخلاقى) يخص الطرفين فهما متفقان على هذا التحريم اختياريا وأخلاقيا .. وعلى هذا نسميه (الوضع الأوديبى الاختيارى الأخلاقى)

---

(١) ولكن رغم القدَر النفسى الذى يشمل البشرية بما فيها الشعب المختار . فليس معنى هذا التسليم بالأمر الواقع وإلا كان تسليما بأن تميز الإنسان بعقله على سائر المخلوقات لاقيمة له ولا هدف . وقد بينا هذا فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «الهدف من تميز عقل الإنسان»

(٢) بينا فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «صدمة العرى الكونى وأسطورة أوديب» أن العلاقة بين الإنسان والكون هى علاقة تزاوج يتم فيها دخول العقل الاختيارى فى العقل الجبرى .

(٣) قدمنا فى كتاب «صدمة العرى» الأدلة التى تثبت صحة رؤيتنا هذه . وذلك تحت عنوان «صدمة العرى الكونى وأسطورة أوديب» و«الجمال المجرد والحياة الأبدية» و«الرمز مفتاح الخلاص» .

أما من حيث (الوضع الأوديبى الكونى) فإن العقل الاختيارى(الأخلاقى) الذى يفصل الإنسان عن الكون يخص الإنسان وحده بينما الكون يخصه العقل الجبرى صاحب الغلبة على العقل الاختيارى .. ومعنى هذا أن تحريم العلاقة الجنسية بين الإنسان والكون ليس نتيجة اختيار الإنسان ومن ثم فهو وضع جبرى .. ولأن الأخلاق تخص الإنسان دون الكون فسوف نسميه (الوضع الأوديبى الجبرى اللا أخلاقى)

وعلى أساس ما سبق ننتقل إلى الإنتحار الأوديبى بالنسبة إلى الوضعين السابقين :

١ - **(الوضع الأوديبى الاختيارى الأخلاقى)** : فى هذه الحالة يكون الوضع الأوديبى فى حكم الملغى (أخلاقيا) وبالتالى فإن الانتحار لا يكون إلا فى الحالات الشاذة (المرضية) التى ينقض فيها الطرفان - الإبن وأمه - الاتفاق الأخلاقى القائم بينهما .. فالانتحار هنا يتعلق بالأخلاق وعلى هذا نسميه (انتحار أخلاقى)

٢ - **(الوضع الأوديبى الجبرى اللا أخلاقى)** : فى هذه الحالة يكون الوضع الأوديبى متعلقا بالجبر الذى يسرى على جميع عناصر الكون بما فيها الإنسان وبالتالى فإن الانتحار يسرى على البشرية جميعها .. وعلى عكس الانتحار الأخلاقى الذى يعنى قبول الأخلاق فإن الانتحار هنا يعنى رفض الأخلاق وعلى هذا نسميه (انتحار لا أخلاقى) .

ونعود إلى (الوضع الأوديبى الكونى) حيث الكون بصفة (رحم) يرفض الإنسان بصفة (مولود) .. ثم نعود إلى الشعب المختار حيث قلنا إنه يمثل الإنسان بصفة (مولود شاذ) إذ أنه تحول من قبيلة (جنين) إلى شعب (مولود) قبل أن يصبح شعبا بالفعل .. أى أنه تحول من جنين إلى مولود وهو مازال داخل الرحم .. ومعنى هذا أنه خرج (نظريا) على قانون العقل الجبرى حيث مبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) .. وقد قلنا (نظريا) لأن الخروج على قانون العقل الجبرى مستحيل .. ورغم ذلك فإن هذا الخروج النظرى نتج عنه أن الشعب المختار خرج من دائرة (الوضع الأوديبى الاختيارى الأخلاقى) حيث الانتحار لا يكون إلا فى الحالات الشاذة (المرضية) وأصبح فقط داخل دائرة (الوضع الأوديبى الجبرى اللاأخلاقى) حيث الانتحار يسرى على البشرية جميعها .. ولكن إذا كان الشعب المختار يتساوى فى هذا مع سائر البشر إلا أن شذوذ صفته كمولود يجعله فى وضع أوديبى شاذ .

ولكى نتعرف على ذلك الوضع الأوديبى الشاذ نعيد قولنا بأن الشعب المختار تحول من جنين إلى مولود وهو مازال داخل الرحم خارجا بذلك على قانون العقل الجبرى الذى يستحيل الخروج عليه .. وباعتبار أن الرحم يتعلق بـ (الذات الشمولية) التى يرفضها الشعب المختار بسبب تضخم ذاته فمعنى هذا أنه تحول من جنين إلى مولود شاذ عن طريق ذاته هو .. فكأنه بذلك قد تحول إلى مولود داخل رحمه هو .. وطبقا لمبدأ (الرحم لا يقبل صفة مولود) الذى ينتج عنه (الوضع الأوديبى الجبرى اللا أخلاقى) وطبقا لتحول الشعب المختار (الذاتى) من جنين إلى مولود

داخل رحمه هو .. فمن هنا يأتى الوضع الأوديبى الشاذ للشعب المختار وهو ما نسميه (الوضع الأوديبى الذاتى) الذى يسرى عليه حكم (الوضع الأوديبى الجبرى اللاأخلاقى) وهو الانتحار الحتمى للبشرية .

وقد قدمنا فى كتاب «صدقه العرى» (١) كيفية الخلاص من هذا الوضع الانتحارى وذلك عن طريق نظرية للجمال مبنية على أساس الالتزام بقانون العقل الجبرى الذى يحفظ توازن عناصر الكون ومن ثم ربطنا بين القيم الجمالية وبين المحافظة على الأداء الوظيفى لعناصر الكون .. وهو ما يعنى الجمال المجرد «من الذاتية» وبالتالى من «النفعية» وبالتالى من الشر .. ولكن لأن تجرد الجمال من (الذاتية) يتعارض مع (تضخم الذات) لدى الشعب المختار فهو يرفض طريق الخلاص الذى بيناه ويختار طريقا آخر نابعا من فكرة تميزه على سائر شعوب العالم .. ولأن التميز يعنى الاستثناء فهو يستثنى نفسه من الوضع الأوديبى وبالتالى من حتمية الانتحار الأوديبى الذى يسرى على جميع البشر .

## العلاقة بين أوديب وآدم التوراتى :

باعتبار أن الانتحار الأوديبى يشمل البشر أجمعين وباعتبار أن آدم يرمز لبداية البشرية .. فالوضع الأوديبى يرجع أصلا إليه من حيث الوضع الأوديبى الذى يتعلق بالأخلاق ومن ثم بالعقل الاختيارى ومن ثم بأول فعل اختيارى فى تاريخ البشر وهو التعامل مع الشجرة المحرمة .. وعلى هذا فسوف نستعرض العلاقة المشتركة بين أسطورة أوديب وقصة آدم التوراتى (٢) وذلك من خلال تعامله مع الشجرة المحرمة ببعدها الجنسى .

١ - **التحريم** : نجده فى تحريم التعامل الجنسى بين الابن وأمه .. ويقابل ذلك تحريم التعامل مع الشجرة .

٢ - **عصيان أمر التحريم** : نجده فى علاقة أوديب بأمه المحرمة عليه .. ويقابل ذلك تعامل آدم مع الشجرة المحرمة .

٣ - **نفى موضوع التحريم** : نجده فى انتحار «يوكاسيا» أم أوديب .. ويقابل ذلك نفى الشجرة المحرمة بالمعنى الرمزى لحظة التعامل معها .

٤ - **نفى مصدر التحريم** : نجده فى قتل أوديب لأبيه «لايوس» باعتبار أنه يمثل مجتمع الأب الذى حرم زوجاته على أبنائهن .. ويقابل ذلك نفى آدم لـ (الرب الإله) عندما تعامل مع الشجرة ليكون (كالله) .

---

(١) وذلك تحت عنوان «العقل المجرد والذات المجردة» و«الجمال المجرد والحياة الأبدية» و«الرمز مفتاح الخلاص»

(٢) بغض النظر عن أن آدم فى التوراة يمثل الشعب المختار إذ أنه من زاوية أخرى يمثل بداية البشرية .

٥ - **العقاب** : نجده فى انتحار أوديب بفقء عينيه الذى يرمز إلى الموت (١) .. ويقابل ذلك انتحار آدم باعتبار علمه المسبق بأن الموت سيكون جزاء تعامله مع الشجرة المحرمة «لأنك يوم تأكل منها موتا تموت» (٢) .

ومما سبق نجد أن حتمية الانتحار الأوديبى تسرى على آدم ومن ثم على البشرية جميعها بما فيها الشعب المختار .. ولكنه بسبب فكرة تميزه - كما قلنا - استثنى نفسه من ذلك .

## كيفية استثناء الشعب المختار من ‹عقدة أوديب› :

لكى نعرف كيف استثنى الشعب المختار نفسه من «عقدة أوديب» نعيد أولا قولنا بأن فترة الأسر فى مصر تمثل العقدة النفسية وراء ربوبية ثم ألوهية الشعب المختار وأيضا وراء قصة آدم فى التوراة التى تعكس تاريخ العلاقة بين الشعب المختار والمصريين .. ونخرج من هذا القول بأن فكرة الاستثناء تعتمد على فكرة الربوبية أو الألوهية إذ أن الأرباب والآلهة لا ينتحرون .. كما نخرج أيضا بأن فكرة الاستثناء نابعة من تاريخ العبريين فى مصر أو بالأصح من تكييف التوراة لقصة آدم بحيث تعكس ذلك التاريخ على هوى الشعب المختار .

فباعتبار أن آدم يمثل العبريين وأن الشجرة المحرمة تمثل مصر وأن (الرب الإله) يمثل الفرعون .. وباعتبار أن الوضع الأوديبى يتمثل فى تحريم انتماء العبريين إلى مصر .. وباعتبار أن مصدر التحريم هو الفرعون .. فقد تم نفيه بأن صار آدم (كالله) الذى = (الرب الإله) وبهذا سقط الوضع الأوديبى من أساسه وبالتالى سقط حكم الموت الذى يمثل الانتحار الأوديبى .

ولكن ذلك الذى فعله آدم التوراتى يماثل ما فعله آدم التلمودى - بدافع الأحلام الأمبراطورية للشعب المختار - عندما وضع نفسه مكان الفرعون وبالتالى مكان (الذات الشمولية) المتمثلة فى الديانة الشمسية التى تخص مصر .. وكما رأينا فقد عوقب آدم بحرمانه من (الذات الشمولية) أى من الانتماء إلى مصر .. وهكذا نجد أن الواقع التاريخى يقف عقبة فى سبيل الاستثناء الذى يحلم به الشعب المختار .. ولأنه لا يملك إلا أن يواجه واقع التاريخ بواقع الأحلام فهو يلجأ إلى منطق يحدث به نفسه قائلا : إذا كانت العقبة تتمثل فى حرمانى من (الذات

---

(١) فى مفهوم أسطورة أوديب أنه فقأ عينيه كناية عن رغبته فى العودة إلى ظلمة الرحم وأنه اختفى فى العالم السفلى كناية عن رغبته فى العودة إلى باطن (رحم) الأرض الأم . وبالنسبة لموضوعنا فإن فقء العينين يرمز إلى ظلمة القبر وبالذات العالم السفلى الذى يخص «أوزوريس» حيث أننا فى كتاب «صدمة العرى» (ص ١٣٨ - ١٤٥) قد أرجعنا أسطورة أوديب إلى أسطورة «إيزيس وأوزيريس» التى أرجعناها إلى تحول مجتمع الأم إلى مجتمع الأب وإن ظلت المكانة العليا للثقافة الشمسية المؤنثة (الأم) . وجدير بالذكر أننا فى بداية بحثنا هذا قد بينا العلاقة بين الشجرة وبين «أوزيريس» وآدم التوراتى الذى ينتمى إلى الثقافة القمرية التى تخص مجتمع الأب

(ملحوظة : وصلت اجتهادات بعض علماء المصريات إلى القول بأن «أوزيريس» كان فى الأصل إلها قمريا («كتاب الموتى» الحاشية الختامية ص ٢٥١) أى أنه على هوية آدم القمرية

(٢) «تكوين» (٢ : ١٧)

الشمولية) التى تخص مصر ومن ثم الفرعون .. وإذا كانت (الذات الشمولية) تمثلها حواء .. فلا بأس من أن أقر فى التوراة (١) بوحدة آدم وحواء ومن أن أجعلها – حواء – تريد مثلي أن تكون (كالله) .. «وتكونا .. كالله» (٢) .. وبهذا أضع نفسى مكان الفرعون (٣) وأيضا مكان (الذات الشمولية) التى تمثلها حواء والتى تخص مصر .. ومن ثم أنتمى إلى مصر وينتفى التحريم الأوديبي بالنسبة إلى .

ولكن هذه الحيلة التى لجأ إليها الشعب المختار فى قصة آدم التوراتى فشلت مثل الحيلة التى لجأ إليها فى أسطورة آدم التلمودى إذ أن الواقع التاريخى يسجل رفض المصريين للعبريين .. ولأن هذا الفشل يرجع إلى أسلوب مواجهة واقع التاريخ بواقع الأحلام .. فالحل هو المواجهة بالواقع الفعلى .. ولكى نعرف ما هو المقصود بالواقع الفعلى نعود إلى المثل «أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب» الذى قلنا إنه يؤدى إلى معاداة الشعوب لبعضها البعض (هامش (١) ص ١٧٥) وحيث نضيف الآن قولنا بأن هذا المثل نابع من اللاشعور الجمعى الذى يدفع الشعوب إلى تدمير بعضها البعض طبقا لحتمية الانتحار الأوديبى للبشرية .. ولكن لأن الشعب المختار يميز نفسه عن سائر الشعوب فهو يحول المثل من «أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب» إلى «أنا واخويا على الغريب» وواضح من تضخم الذاتية فى هذا المثل أنه نابع من (الوضع الأوديبى الذاتى) الناتج – كما سبق أن بينا – عن تضخم ذات الشعب المختار .

وقد يقال إن الذاتية تجعل الأفراد والشعوب تعمل بالمثل الذى يقول «أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب» .. وردنا على ذلك أن الفرق بين تصرف الأفراد والشعوب وتصرف الشعب المختار وأفراده ليس فرقا فى الكيف وإنما فى الكم .. بمعنى أن الشعب المختار وكل فرد فيه يغالون فى تطبيق ذلك المثل لدرجة نفى الغريب (الغير) نفيا مطلقا لحساب (الأنا) .. وهى مغالاة تنتهى إلى عكس الهدف منها – وهو استثناء الشعب المختار من حتمية الانتحار الأوديبى للبشرية – إذ أن نفى الطرف الآخر يتعارض مع مبدأ ثنائية الكون (٤) الذى بدونه تتوقف الحياة وبالتالى حياة الشعب المختار وعندئذ ينطبق عليه قول شمشون : «على وعلى أعدائى» .. وإذا كان الأعداء هم كل شعوب العالم فالبذرة كما نعرف بدأت بالعداء لشعب مصر بسبب رفضه للعبريين .. وكما انعكس ذلك على قصة آدم فقد انعكس أيضا على قصة قايين وهابيل التى – من وجهة نظرنا – تهدف أساسا إلى إنقاذ الشعب المختار من مبدأ «على وعلى أعدائى» وهو ما سنبينه من خلال تناولنا لهذه القصة فى الفصل التالى .

---

(١) راجع الفقرة (١) ص ١٦٩ والفقرة (١) ص ١٧١

(٢) «تكوين» (٣ : ٥)

(٣) سبق وبينا أن الفرعون = (الرب الإله) = (الله) التوراتى

(٤) ونلاحظ هنا أن الشعب المختار فى سبيل تحقيق هدفه الشاذ يناقض نفسه من حيث مبدأ الثنائية الذى يبنى عليه فكره الدينى والدنيوى حيث يوظف الأول لحساب الآخر ومن ثم فإن نفى أحد الطرفين ينفى المبدأ ذاته .

# الفصل الرابع عشر :

# قراءة فى قصة قايين وهابيل

## ■ الفرق بين قصة قايين وهابيل وقصة آدم :

- ❍ تحريف التوراة لقصة قايين وهابيل الأصلية
- ❍ قصة قايين وهابيل تمثل امتداد عداء الشعب المختار لشعب مصر إلى عدائه لكل الشعوب وتبرير هذا العداء بتحويله إلى مضمون دفاعى فى القصة .
- ❍ مغزى تقدم اسرائيل التكنولوجى فى مجال الزراعة وتقديم خبراتها إلى مصر
- ❍ ارتداء آدم التوراتي للملابس الرعوية دون الزراعية دليل على عداء الشعب المختار للتطور
- ❍ قصة قايين وهابيل تكشف دخيلة الشعب المختار أكثر مما تفعله قصة آدم

## ■ القاتل الحقيقى فى قصة قايين وهابيل :

- ❍ مغزى أسبقية قايين الزارع على هابيل الراعى
- ❍ الزواج من طرف واحد بين آدم وحواء نتيجة رفض المصريين للعبريين
- ❍ مغزى تأمين حياة قايين القاتل
- ❍ قايين قاتل مزعوم يستتر وراء ه القاتل الحقيقى وهو الشعب المختار
- ❍ الشعب المختار يحمى نفسه بمنح علامة الختان لقايين

## ■ قصة قايين وهابيل تعكس تاريخ خروج العبريين من مصر

- ❍ مقابلة بين قصة قايين وهابيل وتاريخ خروج العبريين من مصر
- ❍ مسألة تاريخ ختان العبريين
- ❍ هابيل مات قبل الخروج
- ❍ إحياء هابيل عن طريق قربان الفصح
- ❍ الرد على مسألة تاريخ ختان العبريين
- ❍ العلاقة بين إحياء هابيل العبرى عن طريق قايين المصرى وتحريم ذكر اسم «يهوه» ونسيان النطق به
- ❍ مغزى تماثل عقوبة قايين مع عقوبة آدم

## ■ الخلاص من الأسر بإحياء هابيل عن طريق البديل :

- أدم = قايين = هابيل
- تحول (الأسر الغيرى) إلى (الأسر الأنوى) والخلاص منه بإحياء هابيل عن طريق بديل له وهو أنوش
- اثبات أن زوجة شيث قمرية الهوية

## ■ أنوش .. الممثل البديل للشعب المختار :

- الشعب المختار يجمع بين اللاهوت عن طريق شيث والناسوت عن طريق أنوش
- تغليب صفة أنوش الناسوتية على صفة شيث اللاهوتية وعلاقة ذلك بتغليب الشعب المختار لأمور الدنيا على أمور الدين

## ■ مغزى سلالة قايين :

- قصة قايين وهابيل تنتهى بالمقابل بقصة شيث وأنوش
- الفصل بين القمر والشمس فى سلالة لامك تمهيدا للتخلص من الهوية الشمسية
- تحليل نسل لامك من زوجته القمرية عادة وزوجته الشمسية صلَّة
- مغزى إهمال سلالة قايين وتسليط الضوء على سلالة شيث بدء ا من آدم مع إهمال ذكر حواء وتطبيق ذلك على نص التوراة : «هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله . ذكرا وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق» .

## الفرق بين قصة قابين وهابيل وقصة آدم

المفهوم الظاهرى لقصة قايين وهابيل أنها تعبر عن الانتقال من المجتمع الرعوى الذى يرمز إليه هابيل إلى المجتمع الزراعى الذى يرمز إليه قايين حيث أن الرب قبل قربان هابيل من الغنم ورفض قربان قايين من الثمار .. الأمر الذى جعله يحقد على هابيل ويقتله كناية عن احتلال الزراعة مكان الرعى .

ولكن د. سيد القمنى يلفت نظرنا إلى مافى هذه القصة من تحريف لمضمونها فى الأصل البابلى والكنعانى والمصرى بشأن تطور المجتمع من الرعى إلى الزراعة .. وهو التحريف الذى جاء فى التوراة حيث نجد «أن الرب قد ميز الراعى على الزارع أو العبرانى على المصرى والكنعانى والرافدى منذ بداية الخليقة دونما سبب واضح» (١) سوى جعل الزارع فى صورة السفاح وجعل الراعى فى صورة الضحية .

وإذا كنا متفقين مع وجهة نظر د. القمنى إلا أن رؤيتنا لقصة آدم تتيح لنا رؤية أوسع لقصة قايين وهابيل .. فقد رأينا كيف فشل الشعب المختار فى تطويع قصة آدم بهدف استثناء نفسه من حتمية الانتحار الأوديبى للبشرية .. ثم رأينا رد فعل فشله هذا فى عدائه لكل الشعوب نتيجة عدائه الأصلى للشعب المصرى .. وعلى هذا سنفهم قصة قايين وهابيل على أنها تمثل امتداد عداء الشعب المختار لشعب مصر إلى عدائه لكل الشعوب .. وأن هذا العداء النابع أصلا من تقدم المجتمع الزراعى المصرى على المجتمع الرعوى العبرى قد ظل مستمرا مع تطور المجتمع الزراعى لدى شعوب العالم إلى المجتمع الصناعى والتكنولوچى بكل ما يحمله من تقدم حتى يومنا هذا .. وهنا نشير إلى المغزى اللاشعورى - الذى يخص مبدأ قلب الأوضاع - وراء تقدم اسرائيل التكنولوچى فى مجال الزراعة وتقديم خبراتها فى ذلك إلى مصر .

ولأن التقدم شرط أساسى لحياة الشعوب .. ولأن هذا يتعارض مع فكرة استثناء الشعب المختار من حتمية الانتحار الأوديبى للبشرية .. ولأنه فى سبيل ذلك اعتنق مبدأ «أنا واخويا على الغريب» .. ولأن هذا المبدأ العدائى مرفوض فقد برره بتحويله إلى موقف دفاعى فى قصة قايين وهابيل وذلك بأن جعل الأول (الغريب) يقتل الثانى أو - حسب رؤيتنا للقصة - جعل شعوب العالم تقتل الشعب المختار .. وهو الأساس الذى بنى عليه فكرة الشعب المضطهد من جميع شعوب العالم وبالتالى بنى عليه شرعية عدائه لها دفاعا عن النفس .وهو يعزز هذه الشرعية بقول التوراة: «عين بعين وسن بسن» (٢) .

ونلخص ما سبق بأن مضمون قصة قايين وهابيل يتخطى العداء لشعب مصر إلى العداء لشعوب العالم إلى العداء للتطور .. وإذا كنا قد توصلنا إلى هذا الاستنتاج بمنطقنا الخاص الذى

---

(١) «الأسطورة والتراث» (ص ١٦٣)

(٢) «خروج» (٢١ : ٢٤)

قد يبدو من قبيل المبالغة والتهويل فهناك منطق «وشاهد شاهد من أهلها» حيث نجد التوراة تلبس آدم رداء رعويا «وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» (١) .. فى حين نجد فى القرآن أن آدم وحواء سترا عورتيهما بورق الشجر «وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» (٢) .. وما نقصده هو أن ورق الشجر يتعلق بالمجتمع الزراعى المتقدم على المجتمع الرعوى .. وأن ارتداء آدم التوراتى للملابس الرعوية رغم احتكاكه - كرمز للعبريين - بثقافة مصر الزراعية المتقدمة على الثقافة الرعوية ينم على العداء لمجتمع الزراعة وما يتبعه من تطور .

وقد يقال أن ارتداء آدم التوراتى الملابس الرعوية أمر طبيعى باعتباره رمزا للعبريين .. ولكن هذا يناقض رغبتهم فى الانتماء إلى مجتمع مصر الزراعى لدرجة الاقتداء به بعد الخروج باعتناق ديانته على يدموسى المصرى .. وقد يقال أيضا أن الذى ألبس آدم التوراتى الملابس الرعوية هو (الرب الإله) أى الفرعون وذلك كناية عن رفض المصريين للعبريين .. وردنا على ذلك أنه رغم مطابقته لواقع التاريخ إلا أنه يتمشى مع فكرة الشعب المضطهد على مر التاريخ وحتى يومنا هذا .. فضلا عن أننا تعودنا من الشعب المختار أنه لا يعترف فى التوراة بواقع التاريخ إلا بما يخدم أهدافه .

ورغم ذلك فإذا كان هذا الجدل لا يفصل نهائيا بين وجهات النظر المختلفة هذه فهناك ما يحسم المسألة بما يتفق ووجهة نظرنا وهو أن قصة آدم يحكمها (الرب الإله) رمز الفرعون بينما قصة قايين وهابيل يحكمها (الرب) رمز الشعب المختار .. وذلك أن ذكر (الرب الإله) يتوقف فجأة عند بداية قصة قايين وهابيل .. ومعنى هذا أن قصة قايين وهابيل تكشف دخيلة الشعب المختار أكثر مما تفعله قصة آدم وبالتالى تغلب مدلولاتها التى استنتجناها بهذا الشأن مدلولات قصة آدم.. وعلى هذا سنتناول بالتحليل قصة قايين وهابيل باعتبار أنها قصة ذاتية بحتة تخص الشعب المختار أو بعبارة أدق قصة نفسية تكشف بالتحليل دخيلة الشعب المختار .

## القاتل الحقيقى فى قصة قايين وهابيل

تبدأ قصة قايين وهابيل بالآتى : «وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين . وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب .. ثم عادت فولدت ابنه هابيل»(٣) (انظر الهامش) ونلاحظ فى ترتيب الولادة أسبقية قايين الزارع على هابيل الراعى وهذا عكس الوضع الطبيعى سواء بالنسبة لأسبقية مجتمع الرعى على مجتمع الزراعة أو بالنسبة لهوية العبريين الرعوية .. ويعزز ذلك الوضع (المقلوب) احتفاء حواء بمولد قايين الزارع دون هابيل الراعى وذلك بقولها : «اقتنيت رجلا من عند الرب» .. فإذا بررنا هذا الاحتفاء بأنه يخص الابن البكر فالبكر هنا هو الزارع وليس الراعى وهذا أيضا وضع (مقلوب) طبقا للأسباب التى ذكرناها .

---

(١) «تكوين» (٣ : ٢١)

(٢) «الأعراف» (من الآية ٢٢)

(٣) «تكوين» (٤ : ١ ، ٢) لاحظ تحديد بنوة هابيل لآدم بعكس قايين وسوف نتناول ذلك فورا

ولكن حين نطبق ذلك على تاريخ العبريين فى مصر نجد أن تفضيل قايين الزارع يتفق ورغبتهم فى الانتماء إلى مجتمع مصر الزراعى .. وهى رغبة يعبرون عنها بزواج آدم وحواء باعتبار أن آدم يمثلهم وأن حواء تمثل مصر .. ولأنه زواج من طرف واحد نظرا لرفض المصريين له فإن الزوج المرفوض يعوض هذا النقص – كما نعرف – بفكرة الشعب المختار صاحب لقب (الرب) ويجعل زوجته المزعومة تتشرف بوليدها الأول منه وذلك عن طريق قول حواء : «اقتنيت رجلا من عند الرب» .

ولكن لأن الزوج المرفوض يدرك فى دخيلة نفسه انفصالية زواجه الكاذب فهو يصنف ابنيه حسب هوية كل من أبويه فيعتبر قايين الزارع «ابن امه» وهابيل الراعى «ابن ابوه» .. وإذا كان بذلك قد تنازل عن سلطته الأبوية على قايين فهو يتمسك بسلطته الربوبية – وهى الأهم – فيجعله يقدم له القربان مثله مثل هابيل ثم يعود ويفرق بينهما بأن يقبل قربان هابيل «ابن ابوه» ويرفض قربان قايين «ابن امه» وتكون النتيجة أن يقتل قايين هابيل .

وقبل أن نستغرب هذه النتيجة حيث يجعل الأب بإرادته ابنه المقرب إليه ضحية لابنه المستبعد نذكر أنفسنا بأن الهدف هو إظهار الشعب المختار الذى يمثله الابن الضحية بمظهر الشعب المضطهد وذلك لكي يبرر – كما سبق أن بينا – مبدأ «أنا واخويا على الغريب» .. ولكن كما قلنا فإن هذا المبدأ ينتهى إلى مبدأ «على وعلى أعدائى» .. ولأن الهدف الأساسى من قصة قايين وهابيل هو انقاذ الشعب المختار من هذا المبدأ الذى يعنى فناء الطرفين بدلا من فناء الطرف الآخر دونه .. ولأن حل هذه المسألة لا يأتى إلا عن طريق حل وسط يحفظ للشعب المختار شرعية نفية للطرف الآخر وتأمين وجوده فى نفس الوقت .. فإننا نجد هذا الحل فى قصة قايين وهابيل حيث يتعرض قايين لعقوبة القتل جزاء قتله هابيل وحيث فى نفس الوقت يتم تأمين حياته من هذه العقوبة وهو ما نجده فى قول قايين لأبيه (الرب) : «فيكون كل من وجدنى يقتلنى» (١) ثم فى : «فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه» (٢) .

ولاشك أنه بدون ذلك التفسير الذى قدمناه نظل أمام وضع شاذ لا تفسير له وهو إدانة القاتل وحمايته فى نفس الوقت .

ولأن المقصود بحماية القاتل هو حماية الشعب المختار – عن طريق الحل الوسط الذى ذكرناه – فهو يعزز حماية القاتل بما يضمن عدم تعرضه للقتل بأى حال من الأحوال «وجعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده» (٣) .. ولأن قايين ينتمى إلى أمه مصر فلابد أن المقصود بالعلامة هو الختان الذى كان شريعة المصريين .. ومعنى هذا أن قايين (ابن امه) كان مختونا أصلا أى كان محميا أصلا وعلى هذا فإن منحه علامة الختان يحتاج إلى تفسير .

---

(١) «تكوين» (٤ : ١٤)

(٢) «تكوين» (٤ : ١٥)

(٣) «تكوين» (٤ : ١٥)

والتفسير هو أن قايين فى الحقيقة قاتل مزعوم يستتر وراء ه القاتل الحقيقى وهو الشعب المختار باعتباره مؤلف القصة على النحو الذى جعل الأب (الرب) يرفض قربان ابنه المستبعد حتى يقتل ابنه المقرب .. وعلى هذا فإن القاتل الحقيقى لكي يحمى نفسه كان عليه أن يندمج فى هوية القاتل المزعوم المحمى أصلا بعلامة الختان وهو ما يعنى أن الأب عندما منح علامة الختان لقايين قد منحها فى الواقع لنفسه .. وهذا فى رأينا هو التفسير النفسى «اللاشعورى الجمعى» لعودة العبريين إلى شريعة الختان (١) على يد (موسى المصرى) .. وعلى هذا يمكننا مقابلة (موسى المصرى) بقايين المصرى «ابن امه» و(موسى المدينى) بهابيل العبرى «ابن ابوه» .. أو بعبارة أخرى يمكننا مقابلة قصة قايين وهابيل بتاريخ خروج العبريين من مصر وما تبعه من أحداث .

## قصة قابين وهابيل تعكس تاريخ الخروج من مصر

تتلخص المقابلة بين قصة قايين وهابيل .. وتاريخ خروج العبريين من مصر وما تبعه من أحداث فى النقاط الآتية :

١ – انتساب جيل الخروج إلى الهوية المصرية عن طريق اعتناق ديانة (موسى المصرى) .. ويقابل ذلك انتساب قايين إلى امه «ابن امه»

٢ – التخلى عن (موسى المصرى) بعد الخروج .. ويقابل ذلك التخلى عن قايين «ابن امه» وذلك برفض قربانه .

٣ – إحلال (موسى المدينى) مكان (موسى المصرى) .. ويقابل ذلك قبول قربان هابيل «ابن ابوه» بدلا من قربان قايين «ابن امه» .

٤ – العودة إلى (موسي المصرى) بدمج ديانته مع ديانة (موسى المدينى) .. ويقابل ذلك – كما سبق أن بينا – دمج الأب مع قايين عن طريق مشاركته فى علامة الختان ..

ولكننا نلاحظ هنا أن الختان لم يتم كما هو معروف تاريخيا فى المرحلة الأولى لـ (موسى المصرى) المقابل لقايين وإنما تم فى مرحلة دمج ديانته مع ديانة (موسى المدينى) المقابل لهابيل .. ومعنى هذا أن علامة الختان كان يجب أن تمنح لهابيل وليس لقايين حيث أن هابيل ممثل العبريين كانت تنقصه هذه العلامة بعكس قايين ممثل المصريين الذى يملك أصلا هذه العلامة .. ومعنى ذلك أن دمج الأب مع قايين بمشاركته علامة الختان كان يجب أن يكون مع هابيل .. ولكن هذا لم

(١) كما نعرف فإن اتخاذ شريعة الختان بدأ فى عهد ابراهيم مما يتفق ورؤيتنا التى قدمناها بأن مصر كانت الأرض الموعودة قبل كنعان . ثم بعد دخول العبريين مصر وبعد زوال سلطان يوسف ومن ثم أسرهم واضطهادهم . فمن البديهى أنهم تخلوا عن عادة الختان (المصرية) ثم عادوا إليها عند خروجهم تمشيا مع إرادة موسى (المصرى) قائد الخروج . وعلى أساس هذا المفهوم نتفق مع فرويد فى أنه بعد ذلك «بذلت كافة الجهود الممكنة لفصل هذه العادة عن مصر . وقيل إن يهوه قد طلبها إلى ابراهيم من قبل» (موسى والتوحيد ص ١٠٣ ، ١٠٤) وفى هذا تفسير نضيفه إلى التفسير الذى قدمناه بشأن ذكر يهوه فى عهد ابراهيم رغم أنه لم يعرف إلا فى عهد موسى (راجع هامش ٤ ص ٦٦)

يحدث لأن هابيل قتل فى القصة على يد قايين كما قتل فى التاريخ علي يد العبريين أنفسهم حين اعتنقوا ديانة (موسى المصرى) التى هى ديانة قايين .. وباعتبار أن العبريين قد التفوا حول موسى وهو يخطط للخروج فلابد وأنهم اعتنقوا ديانته – أو على الأقل كانوا مستعدين لذلك – وهم مازالوا فى مصر .. وباعتبار أن الهدف المسبق فى قصة قايين وهابيل هو قتل هابيل – للأسباب التى بيناها – فمعنى هذا أن هابيل مات قبل الخروج .. وباعتبار أن هابيل يمثل العبريين. فالسؤال هو : كيف خرج العبريون من مصر وهم أموات نظريا أو رمزيا ؟

والإجابة عن السؤال السابق نجدها فى أن قايين ظل حيا برفض قربانه وأن هابيل مات بقبول قربانه .. وباعتبار أن القربان يمثل صاحبه فمعنى هذا أن هابيل بموته تحول إلي قربان .. ولأنه قربان ميت فقد أعيدت إليه الحياة بأن أضفيت عليه صفات قربان قايين الحى .. وقد تم ذلك فى قربان الفصح رمز الخروج حيث سبق وبينا (الفصل ١١ ) أن شروط وطقوس هذا القربان الذى يمثل العبريين تنتمى إلى الهوية المصرية وبالتالي هوية قايين – «ابن امه» مصر – وحيث أن التعليمات الخاصة به أى بالقربان قد جاء ت قبل الخروج مباشرة (١) كناية عن الإحياء الرمزى للعبريين استعدادا للخروج .. وبهذا نكون قد أجبنا عن السؤال : كيف خرج العبريون من مصر وهم أموات تبعا لموت رمزهم هابيل ؟

ونخرج من رؤيتنا لقصة قايين وهابيل بالآتى :

١ – أن دمج الأب مع قايين – بدلا من هابيل – عن طريق مشاركته علامة الختان قد أصبح منطقيا بعد أن رأينا حتمية إضفاء هوية قربان قايين الحى على قربان هابيل الميت عن طريق قربان الفصح الذى من أهم شروطه بالنسبة لمن يتناوله أن يكون مختونا كما سبق وبينا .

٢ – أن الملحوظة التى اعترضتنا بأن الختان لم يتم كما هو معروف فى المرحلة الأولى لـ (موسى المصرى) وإنما تم فى مرحلة دمج ديانته مع ديانة (موسى المدينى) – هذه الملحوظة أصبحت مردودة بعد أن ثبت فى النقطة السابقة الالتزام بالختان قبل الخروج أى فى المرحلة الأولى لـ (موسى المصرى) .

٣ – أن دمج قربان قايين المصرى مع قربان هابيل العبرى قبل الخروج يعكس دمج (موسى المصرى) مع (موسى المدينى)

٤ – أنه باعتبار أن هابيل يمثل العبريين بديانتهم القمرية التى انتهت بالإله «يهوه» الذى يخص (موسى المدينى) .. وباعتبار أن هابيل ولد محكوما عليه بالموت مسبقا أى أنه ولد ميتا .. فلعل فى هذا علاقة بالمسألة التى سبق أن تعرضنا لها وهى تحريم ذكر اسم «يهوه» ونسيان كيفية النطق به .. فقد يكون ذلك راجعا إلى الإحساس اللاشعورى بالعار إزاء إحياء هابيل العبرى

---

(١) «خروج» (الإصحاح ١٢)

بقايين المصرى عن طريق قربانه الذى سبق رفضه .. أو الإحساس اللاشعورى بالذنب إزاء التضحية بهابيل العبرى من أجل إظهار الشعب المختار بمظهر الشعب المضطهد .

٥ - أنه تكفيرا عن ذلك الذنب عاقب الشعب المختار نفسه فى شخص قايين الذى يمثله بحكم اندماجه معه وذلك بأن حكم عليه أى على نفسه بالتيه «فخرج قايين من لدن الرب وسكن فى أرض نود (أى تيه) شرقى عدن» (١) .. وكما نعلم فإن التيه يخص العبريين ولا علاقة له بالمصريين .. ومما يؤكد صحة استنتاجنا هذا أن عقوبة قايين تماثل تماما عقوبة آدم - رمز الشعب المختار - عند طرده من الجنة حيث أقام فى نفس المكان الذى سكن فيه قايين وهو شرقى جنة عدن «وطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن» (٢) .

## الخلاص من الأسر بإحياء هابيل عن طريق البديل

قد توصلنا بتحليلنا لقصة قايين وهابيل إلى أن آدم = قايين = هابيل .. أى أن أبطال القصة هؤلاء الذكور الثلاثة يمثلون (الأب) آدم صاحب ثقافة القمر المذكر .. أما بطلة القصة حواء فهى تمثل (الأم) صاحبة ثقافة الشمس المؤنثة .. وعلى أساس وحدة العقوبة التى كشفناها بين آدم وقايين فإن قصة آدم وحواء تقابلها قصة قايين وهابيل مع فارق هو أن القصة الأولى يحكمها (الرب الإله) أى الفرعون والقصة الثانية يحكمها (الرب) أى الشعب المختار .. وإذا كان تحكم الفرعون فى القصة الأولى يتمثل فى أسره للعبريين فالمفروض أن يكون تحكم الشعب المختار فى القصة الثانية متمثلا فى تحرره من الأسر .. ولكن هذا لم يحدث بسبب زواج القمر والشمس الذى تم من طرف واحد ومن ثم جعل الزوج المرفوض يتقمص هوية الشمس فحول بذلك الأسر المصرى الواقع من الغير (الأسر الغيرى) إلى أسر واقع من الأنا (الأسر الأنوى) .. ولأن (الأسر الأنوى) يتمثل فى موت هابيل فإن الخلاص من هذا الأسر يستوجب إحياء ه عن طريق إيجاد بديل له .. وهذا ما انتهت إليه قصة قايين وهابيل «وعرف آدم امرأته أيضا فولدت ابنا سمته شيثا (٣) قائلة لأن الله قد وضع لى نسلا آخر عوضا عن هابيل» (٤) .. فبتحليل هذا النص نجد الخلاص من (الأسر الأنوى) متمثلا فى تخلص القمر من هوية الشمس والعودة إلى هويته الأصلية .. وهو ما نبينه فى النقاط الآتية عن طريق تحليل النص المذكور :

١ - أن الفقرة الأولي من النص تنسب الوليد إلى حواء حيث أنها هى التى اختارت اسمه.. ثم تأتى الفقرة الثانية فتنسبه إلى (الله) أى إلى الإله القمرى «إيل» حيث قلنا أكثر من مرة إن العبريين هم وحدهم الذين جمعوا بين (الله) و«إيل» .

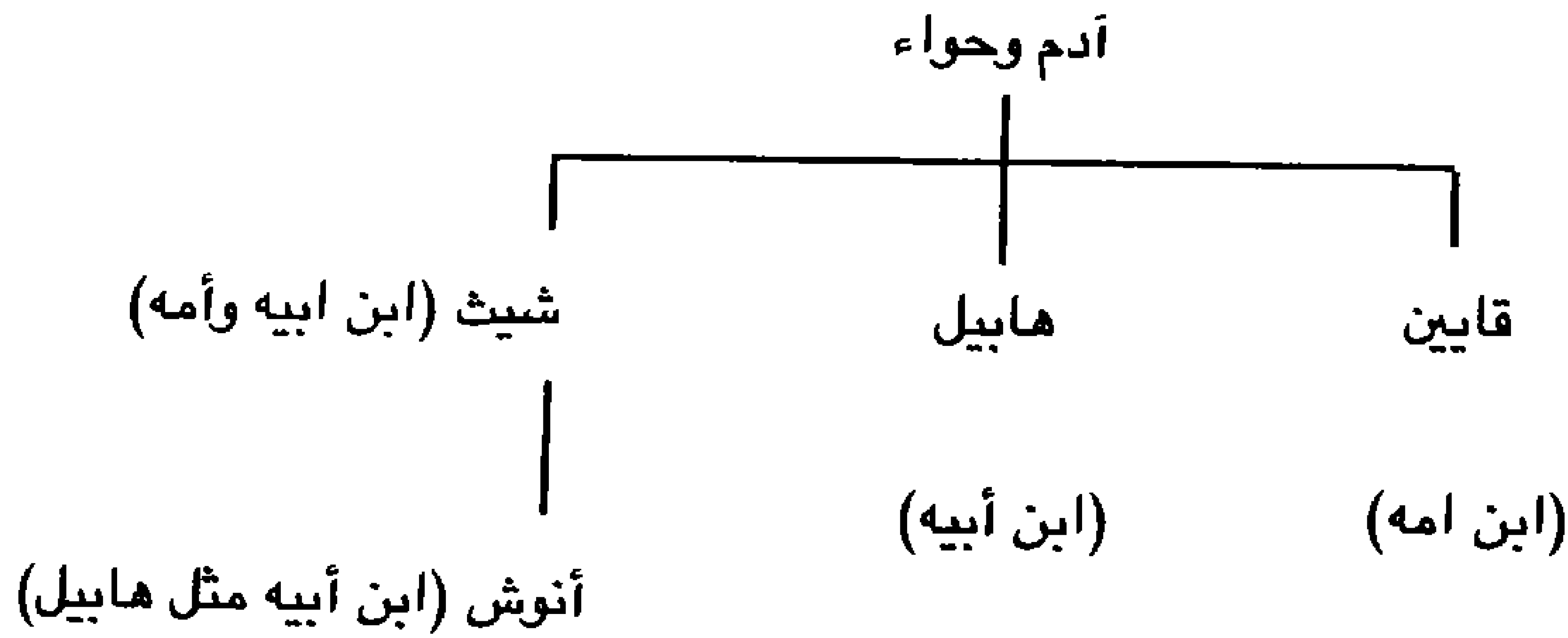
---

(١) «تكوين» (٤ : ١٦) وما بين قوسين كبيرين مصدره الهامش
(٢) «تكوين» (٣ : ٢٤)
(٣) أى وضعا (حسب هامش النص)
(٤) «تكوين» (٤ : ٢٥)

٢ – رغم أن حواء هى التى اختارت اسم الوليد إلا أن هناك ما يوحى بأن (الله) هو الذى اختاره حيث أن الوليد اسمه شيث ومعناه وضع أى ولادة .. وحيث أن الفعل «ولدت» استخدم فى النص مع حواء والفعل «وضع» استخدم مع (الله)

٣ – رغم أن قصة قايين وهابيل تقتصر على ذكر (الرب) فقط إلا أنها تخرج عن هذه القاعدة بذكر (الله) فى الفقرة التى نتحدث عنها .. ولكى نعرف الهدف من ذلك نذكر النص الذى تختتم به القصة وهو : «ولشيث أيضا ولد ابن فدعا اسمه أنوش . حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب» (١) .

ونخرج من هذه النقاط الثلاث بأن شيثا عندما نسب إلى (الله) أو الإله «إيل» أصبح ابنا إلهيا قمريا .. ولكن لأن نسبته السابقة إلى حواء تجعله مشوبا بالهوية الشمسية – مثل أخيه قايين «ابن امه» – فقد تم التخلص من هذه الشائبة عن طريق إنجابه أنوش الذى بولادته «ابتدئ أن يدعى باسم الرب» حيث أن (الرب) لقب الشعب المختار صاحب الهوية القمرية (أنظر شكل ٤)




(سلالة آدم وحواء)

**(شكل ٤)**

وإذا كانت القصة لم تذكر زوجة شيث التى أنجب منها أنوش فلابد أنها كانت قمرية الهوية طبقا للهدف الذى بيناه وهو التخلص من الهوية الشمسية .. ويعزز قولنا هذا أن ما حدث يقابله ما ذكرناه سابقا من أن هوية اليهودى كان شرطها أن تكون أمه يهودية .. وحتى عندما تخلت بعض المجتمعات الغربية عن هذا الشرط واعتبرت أن اليهودى هو من كان أحد أبويه يهوديا فقد كان يشترط أن يربى أطفاله على الدين والتعاليم اليهودية وهو ما يعنى إلغاء صفة الأم غير اليهودية .. وهو ما نرجعه إلى إلغاء الأم الشمسية كما بينا .

---

(١) «تكوين» (٤ . ٢٦)

## «أنوش» الممثل البديل للشعب المختار

توصلنا إلى أن الابن الإلهى شيثا الذى تشوبه الهوية الشمسية عن طريق الأم قد استبدل به ابنه الإلهى أنوش الذى ينتمى إلى أبوين قمريين .. وبعبارة أخرى فإن شيثا الذى تشوبه صفة (الرب الإله) لقب الفرعون قد استبدل به ابنه أنوش ممثل (الرب) لقب الشعب المختار ..

ومن هنا كان القول بعد ولادته : «حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب» أى باسم الشعب المختار .. وقد سبق وقلنا إن لقب (الرب الإله) ينتمى إلى عالم السماء أى اللاهوت وإن لقب (الرب) ينتمى إلى عالم الأرض أى الناسوت .. وعلى هذا فالشعب المختار يجمع بين اللاهوت عن طريق شيث والناسوت عن طريق أنوش الذى يعنى (أنس الله)(١) .. ولأن أنوش يمثل الشعب المختار فمن هنا كان تغليب صفته الناسوتية على صفة شيث اللاهوتية ومن هنا بالتالى غلبت لدى الشعب المختار أمور الدنيا على أمور الدين .. وبهذا نكون قد وصلنا إلى أعمق تفسير ممكن لهذه السمة التى تحدثنا عنها كثيرا .

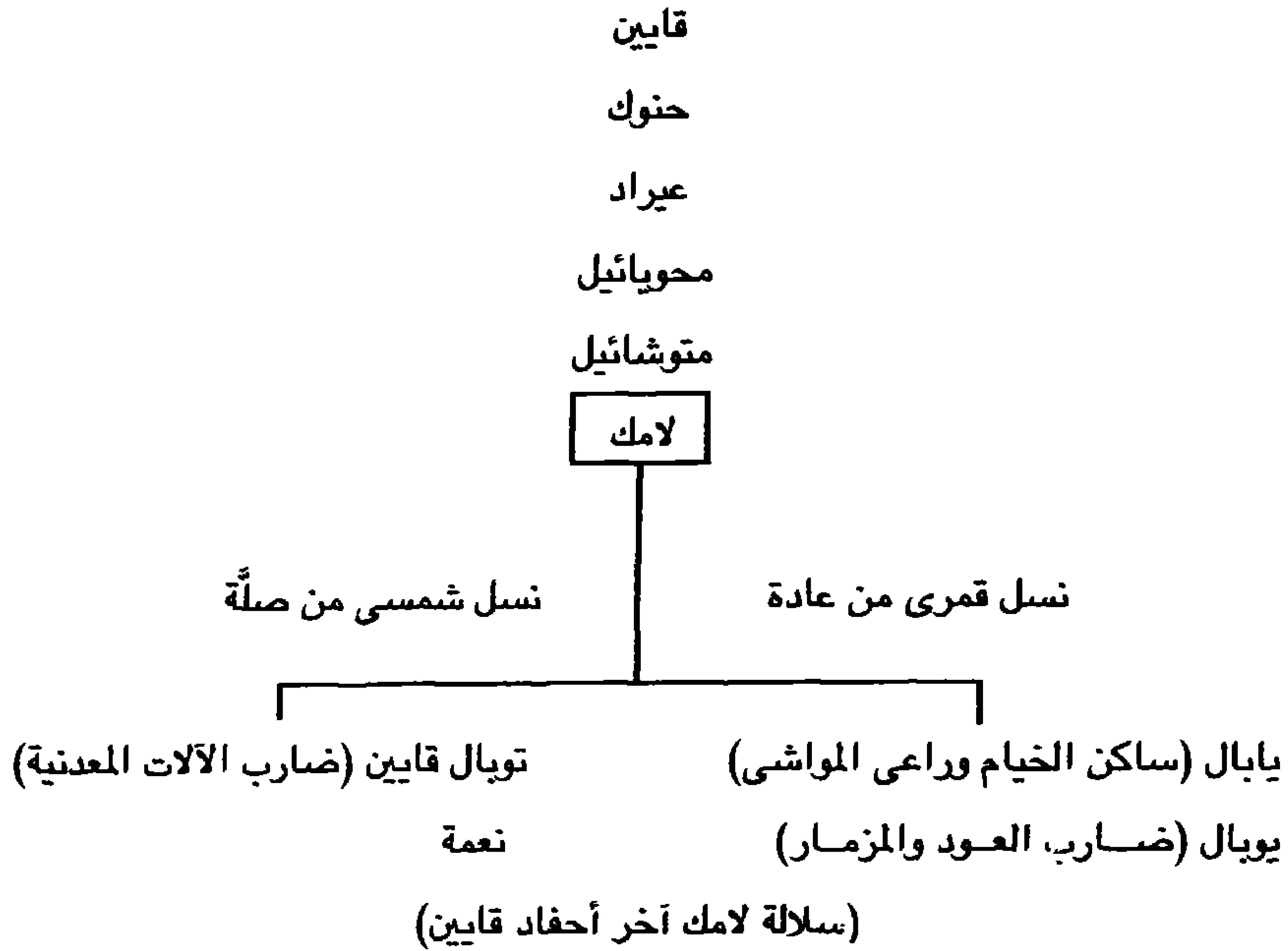
## مغزى سلالة قايين

نخرج مما سبق بأن قصة قايين وهابيل قد انتهت بالمقابل بقصة شيث وأنوش .. وذلك أن شيث تشوبه الهوية الشمسية مثل أخيه قايين «ابن امه» وأن أنوش ينتمى تماما إلي الهوية القمرية مثل عمه هابيل «ابن ابوه» .. ولأن التخلص من شائبة الهوية الشمسية قد بدأ عند شيث الذى يقابل قايين .. وطبقا لأن الاثنين يمثلان شخصا واحدا باعتبار اشتراكهما فى صفة «ابن أمه» - أو طبقا لمبدأ السحر التشاكلى - فقد وجبت حماية قايين من أجل حماية شيث إلي أن يتم التحول المطلوب عن طريقه .. ولأن التحول قد استغرق أجيالا فإننا نجد الحفيد الأخير لقايين والمدعو لامك يقول : «فإنى قتلت رجلا لجرحى . وفتى لشدخى . إنه ينتقم لقايين سبعة أضعاف . وأما لامك فسبعة وسبعين» (٢) ونلاحظ هنا استمرار مبدأ حماية القاتل الذى شمل قايين وإن كان قد تضاعف إلى سبعة وسبعين .

ولأن التحول يستلزم أولا الفصل بين القمر والشمس فإن لامك يتزوج امرأتين هما عادة وصلَّة وينجب من الأولى نسلا قمرى الهوية ومن الثانية نسلا شمسى الهوية (شكل ٥)

---

(١) ««خفايا التوراة وأسرار شعب اسرائيل» (ص ٤٣)
(٢) «تكوين» (٤ : ٢٣)




(سلالة لامك آخر أحفاد قايين)

**(شكل ٥)**

ونجد النسل القمرى فى : «فولدت عادة يا بال الذى كان أبا لساكنى الخيام ورعاة المواشى . واسم أخيه يوبال الذى كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار» (١) .

كما نجد النسل الشمسى فى : «وصلّة أيضا ولدت توبال قايين الضارب كل آلة من نحاس وحديد . وأخت توبال قايين نعمة» (٢)

وبالمقارنة بين النسلين القمرى والشمسى نخرج بالآتى :

١ - أن النسل القمرى يستخدم العود والمزمار اللذين يخصان مجتمع الرعى (القمرى) بينما النسل الشمسى يستخدم الآلات النحاسية والحديدية التى تخص المجتمع الزراعى (الشمسى) الذى اكتشف المعادن .

٢ - أن النسل القمرى من الذكور فقط وذلك طبقا لهوية هابيل «ابن ابوه» بينما النسل الشمسى يشمل الذكر والأنثى وذلك طبقا لهوية قايين «ابن امه»الذى تشويه الهوية الشمسية المؤنثة .. ولذلك نجد أن الابنين القمريين يابال ويوبال يذكر اسم كل منهما مجردا بينما الابن الشمسى توبال يذكر اسمه مقرونا باسم قايين «توبال قايين» .

٣ - أن يوبال القمرى ضارب العود والمزمار يقابله توبال قايين ضارب الآلات النحاسية والحديدية .. وبالتالى فإن يابال القمرى ساكن الخيام وراعى المواشى تقابله نعمة .. ونلاحظ هنا أن نعمة ليست لها وظيفة وذلك لأنها تمثل الشمس الأنثى المطلوب التخلص من هويتها وقد تم

(١) «تكوين» (٤ : ٢٠ ، ٢١)
(٢) «تكوين» (٤ : ٢٢)

وضعها مقابل يابال ساكن الخيام وراعى المواشى حيث أن صفته هذه تمثل الفيصل النهائى بين القمر والشمس وذلك بعكس صفة الفن المشتركة بين يوبال وتوبال .. إذ أن الفن يمكن أن يجمع بين الشعوب بغض النظر عن هوية كل منها .. وهذا الموقف من نعمة يعيدنا إلى موقف التلمود العدائى من المرأة .. وجدير بالذكر أن أم نعمة اسمها صلّة أى «حية لا تنفع منها الرُقْية» (١) أى لا علاج لسمها .. وحسب مفهومنا لقصة آدم وحواء فى التوراة فإن الحية = حواء = مصر .

وهكذا نكون قد بينا - من خلال سلالة لامك - كيفية استخدام قايين لحساب شيث من أجل الفصل بين القمر والشمس تمهيدا لاستقلال أنوش بالهوية القمرية باعتبار أنه الممثل البديل للشعب المختار .. ومما يثبت صحة تحليلنا هذا أنه بانتهاء دور قايين نجد الإصحاح الخامس التالى للإصحاح الرابع الخاص بقصة قايين وهابيل - نجده يهمل سلالة قايين ويسلط الضوء على سلالة شيث المقابل له وذلك بدءا من الأب الأصلى آدم ومهملا أثناء ذلك ذكر حواء حيث يبدأ الإصحاح الخامس بقوله : «هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله . ذكرا وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق» (شكل ٦) (ص ١٩٩) وبتحليل فقرات هذا النص نخرج بالآتى :

١ - **هذا كتاب مواليد آدم** : أن النسل منسوب إلى آدم بالتحديد .. وباعتبار أن آدم قمرى الهوية فسلالته بالتالى قمرية الهوية أى أن كل واحد منهم تنطبق عليه صفة «ابن ابوه»

٢ - **يوم خلق الله الإنسان** : أن ذكر (الله) الذى يساوى الإله القمرى «إيل» يؤكد الهوية القمرية لبداية الإنسان .

٣ - **على شبه الله عمله** : أن الهوية القمرية لبداية الإنسان تعنى الشعب المختار .. ولأن (الله) = «إيل» الإله القمرى فمن البديهى أن يكون الشعب المختار على صورته (٢) .

٤ - **ذكرا وأنثى خلقه وباركه** : أن البركة تخص الذكر دون الأنثى أى تخص القمر (الشعب المختار) دون الشمس (الشعب المصرى) وذلك تأكيدا لإهمال ذكر حواء ذات الهوية الشمسية والتى تمثل مصر والاقتصار على ذكرها كمجرد أنثى .. ولا مجال للقول بأن البركة تخص الذكر والأنثى معا باعتبار أن المقصود بـ (باركه) هو الإنسان بجنسيه .. وحجتنا فى ذلك أن المقصود بالانسان هو آدم (الذكر) كما تدلنا هذه الفقرة (ذكرا وانثى خلقه - أى الإنسان - ودعا اسمه آدم) وهذا يتمشى مع مضمون أسطورة آدم فى التلمود .

٥ - **ودعا اسمه آدم يوم خلق** : أن (الله) هو الذى اختار اسم آدم .. وباعتبار أن آدم = قايين = هابيل إلخ .. فإن (الله) القمرى أصبح هو الذى يختار اسماء نسل آدم بعد أن كانت حواء الشمسية هى التى تختار «وعرف آدم امرأته أيضا فولدت ابنا سمته شيثا» ولأن شيثا يشترك مع أخيه قايين فى صفة «ابن امه» حواء فهو يختار مثلها اسم ابنه «ولشيث أيضا ولد ابن فدعا اسمه أنوش» .

---

(١) «مختار الصحاح»

(٢) كما نعرف فإنه بجانب أن (الله) = إله القمر «إيل» فهو أيضا = إله الشمس «رع» . وعلى هذا فإن آدم ممثل الشعب المختار عندما أكل من الشجرة المحرمة لكى يكون (كالله) أراد أن يتحول من القمر إلى الشمس حتى يحتل - كما سبق وبينا - مكان الفرعون حيث قلنا إن (الله) = (الرب الإله) لقب الفرعون .

# الفصل الخامس عشر

# قراءة فى قصة نوح

## ■ استمرار مغزى سلالة قايين فى سلالة نوح:

- ○ تحليل كشف حام لعورة نوح
- ○ لماذا لعن نوح كنعان بدلا من حام؟
- ○ المقابلة بين أنوش وسام وبين شيث ويافث.
- ○ العلاقة بين زواج نوح بواحدة وزواج أبيه لامك باثنتين.

## ■ مغزى الطوفان فى قصة نوح:

- ○ الطوفان يغسل مخ العالم قبل إعادة تاريخ البشرية حسب هوى الشعب المختار.
- ○ انتشار قصة الطوفان فى الأمم الشرقية بما فيها مصر.
- ○ ترجيح أن الشعب المختار استلهم قصة نوح أثناء الأسر البابلى.

## ■ (نوح = آدم):

- ○ مسألة الفرق بين آدم الذى خلقه الله ونوح الذى من سلالة آدم.
- ○ تطبيق أسطورة خلق «أتوم» (آدم) على قصة نوح.

## ■ (قصة نوح = قصة الخلق):

- ○ سام يقابله أنوش. وحام يقابله قايين. ويافث يقابله شيث.
- ○ العلاقة بين قصة نوح وقصة الخلق فى «ثامون الأشمونين».
- ○ العلاقة بين قصة نوح وقصة الخلق فى التوراة.
- ○ مسألة الجمع بين (الله) و(الرب) فى قصة نوح.

## ■ منح الشرعية الإلهية لقصة الخلق الجديدة:

- ○ نصوص منسوبة إلى (الرب) تتكرر منسوبة إلى (الله).

## ■ (نوح = الممثل البديل الثانى للشعب المختار) وبداية ( تقويم نوحى )

- ○ العلاقة بين تعداد اليهود (٦٠٠,٠٠٠) وبين الأرقام والأعداد فى قصة نوح.

○ تقويم جديد يبدأ بنوح لكى يؤكد أسبقية الشعب المختار على شعوب العالم
○ العلاقة بين تعداد اليهود الثابت وكم مادة الكون الثابت .. وبين «ثامون الأشمونين» وعدد ركاب فلك نوح الثمانية والإصحاح الثامن

## ■ مسألة توافق الأرقام والأعداد:

○ تكرار وتجزئة بعض نصوص التوراة وتداخل بدايات ونهايات بعض الاصحاحات من أجل تحقيق توافق الأرقام والأعداد.
○ العلاقة بين «حساب الجمل» وبين توافق الأرقام والأعداد.
○ (قصة الخلق الجديدة = الولادة من جديد )
○ نوح يجمع بين (موسى المصرى) و(موسى المدينى)
○ خروج العبريين من مصر يقابله خروج نوح من الفلك.

## ■ (نوح = قربان الفصح) :

○ التخلص من «صدمة الجنين المجهض» عن طريق قربان الفصح والعلاقة بين عدد أيام التحنيط (٤٠ يوما) والعدد (٤٠) الذى يرد (٤) مرات فى قصة نوح.
○ العلاقة بين التحنيط كشرط لعودة الحياة والولادة من جديد فى قصة نوح وعدد أيام قصة الخلق فى التوراة.

## ■ الهدف المحرك وراء قصة نوح:

○ مصر كانت البلد الموعود قبل كنعان. وتغطية فشل العبريين فى مصر عن طريق محو تاريخ الشعب المصرى.
○ الشعب المختار يجعل نفسه سابقا على شعب مصر طبقا لمبدأ قلب الأوضاع المعهود لديه.
○ لماذا لم يلجأ الشعب المختار إلى إعادة قصة الخلق بدءا بآدم بدلا من نوح؟
○ تحليل قصة نوح من حيث أن الهدف منها منح الشعب المختار الأسبقية المطلقة على سائر الشعوب»
(١) الطوفان فى الواقع لم يهلك كل شعوب العالم كما فى قصة نوح وعلاقة ذلك بالمثل «أنا وأخويا على الغريب »
(٢) تصحيح خطأ (الله) حين جعل القمر أصغر من الشمس .
(٣) قصة نوح تجعل الشعب المختار أول من أكتشف الزراعة وأول من ابتدع الأخلاق .

(٤) سام ويافث هما الاخوان. وكنعان هو الغريب فى المثل «أنا وأخويا على الغريب».
(٥) مغزى بقاء حام على الهوية القمرية مثل أخوية سام ويافث.

## ■ (كشف عورة نوح = كشف عار الشعب المختار) :

○ العلاقة بين كشف العورة والأخلاق التى نشأت بمصر حيث شرعة الختان.
○ لماذا كان ختان نوح رمزا لعار الشعب المختار:
(١) ختان نوح يفسد الهدف من محو تاريخ مصر من أجل محو عار الأسر .
(٢) ختان نوح ينفى ادعاء الشعب المختار بالريادة الحضارية بدلا من مصر.
(٣) ختان نوح يكشف تخلص الشعب المختار من «صدمة الإجهاض» عن طريق الختان.
(٤) ختان نوح يكشف فشل الشعب المختار فى اختيار البلد المناسب لتحقيق الذات .
(٥) ختان نوح عار فى حد ذاته لمجرد اقتران الختان بمصر التى أسرت العبريين .

## ■ سام.. الممثل النهائى للشعب المختار:

○ صراع القمر مع الشمس يفرق بين الابن وأبيه وبين الأخ وأخيه.

## ■ (الذات الشمولية) وراء قصة نوح:

○ قصة نوح تمثل الانتقال من زواج المشاع الى الزواج الفردى.
○ قصة نوح مع التطور رغم أنف الشعب المختار وبقوة (الذات الشمولية).
○ فلك نوح بمن فيه من ذكور وإناث يمثل الخلية التناسلية الحاملة لكروموسومى الذكر والأنثى. وماء الفيضان يمثل السائل المنوى. والأرض التى رسى عليها الفلك تمثل البويضة.
○ ميثاق (الله) مع نوح المتمثل فى قوس قزح يمثل الهوية الشمسية.
○ (الرب) ممثل الشعب المختار ينسب الى نفسه مجد (رع) ممثل الشعب المصرى.
○ آدم رائد للتطور مثل نوح ومغزى أسطورة قابين وأخته التوأم وهابيل وأخته التوأم ومنع زواج الأخ بأخته.
○ موقف الشعب المختار من (الذات الشمولية) جعله يتأخر فى التحول الفعلى إلى شعب.

## استمرار مغزى سلالة قايين فى سلالة نوح:

رأينا فى تحليلنا لمغزى سلالة قايين أن الهدف منها هو تخليص الشعب المختار من الهوية الشمسية واقتصاره على هويته القمرية الأصلية.. وكما حدث عندما رفض الشعب المختار – متمثلا فى (الرب) – قربان قايين وقبل قربان هابيل.. فقد حدث مايقابل ذلك عندما أهمل سلالة قايين واهتم بسلالة شيث بديل هابيل.. وإلى هنا يعتبر ماحدث أمرا طبيعيا بالنسبة لشعب يريد أن يستقل بهويته من أجل تحقيق ذاته.. ولكن لأن تحقيق ذاته يجعله فى حاجة إلى مصر ولأن مصر رفضته فقد انعكس ذلك على قصة قايين وهابيل وهوما بيناه من خلال الزواج من طرف واحد (العبرى) المرفوض من الطرف الآخر (المصرى).

ولكن لأن مصر لم تكتف برفض العبريين وانما أسرتهم.. ولأن عقدة الأسر – كما قلنا مرارا – هى المحرك لتاريخ الشعب المختار فقد انعكس ذلك على سلالة قايين كما رأينا وظل منعكسا على سلالة نوح كما سنرى حيث لايقتصر الأمر على رفض الهوية الشمسية بل يتخطاه إلى الحط من شأنها.. وسوف نبين ذلك من خلال تناولنا لسلالة نوح (شكل ٦) (ص ١٩٩) .

ونبدأ فنقول إن هوية نوح كانت قمرية وظلت كذلك إلى أن رسى فلكه على الأرض حيث قدم بهذه المناسبة قربانا يخص المجتمع الرعوى (القمرى) (١) «وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة محرقات على المذبح».(٢). وعلى هذا تكون هوية أبناء نوح قمرية بالتبعية.. ولكن هوية نوح انتقلت بعد ذلك من قمرية إلى شمسية حيث بدأ يعمل بالزراعة «وابتداء نوح يكون فلاحا»(٣) .. كما وأن سلالة أبناء نوح بدأت بعد الطوفان «وهذه سلالة بنى نوح سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان» (٤) أى بعد أن انتقل نوح إلى الهوية الشمسية.. ومعنى هذا تبعية أبناء نوح وسلالاتهم للهوية الشمسية التى انتقل إليها نوح والتى تعنى التطور من المجتمع الرعوى إلى المجتمع الزراعى.. ولكن لأن الشعب المختار – كما سبق وبينا – يرفض هذا التطور بسبب موقفه من الهوية الشمسية فهو يحط من شأنها وبالتالى من شأن التطور.. وهو يفعل ذلك عن طريق نوح الذى انتقل إلى الهوية الشمسية فكأنه يدينه ويدين نفسه على تطوره.. ولكى نبين هذا نذكر ماجاء فى التوارة: «وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم مافعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا لهم. ليفتح الله على يافث فيسكن فى مساكن سام. وليكن كنعان عبدا لهم»(٥)

---

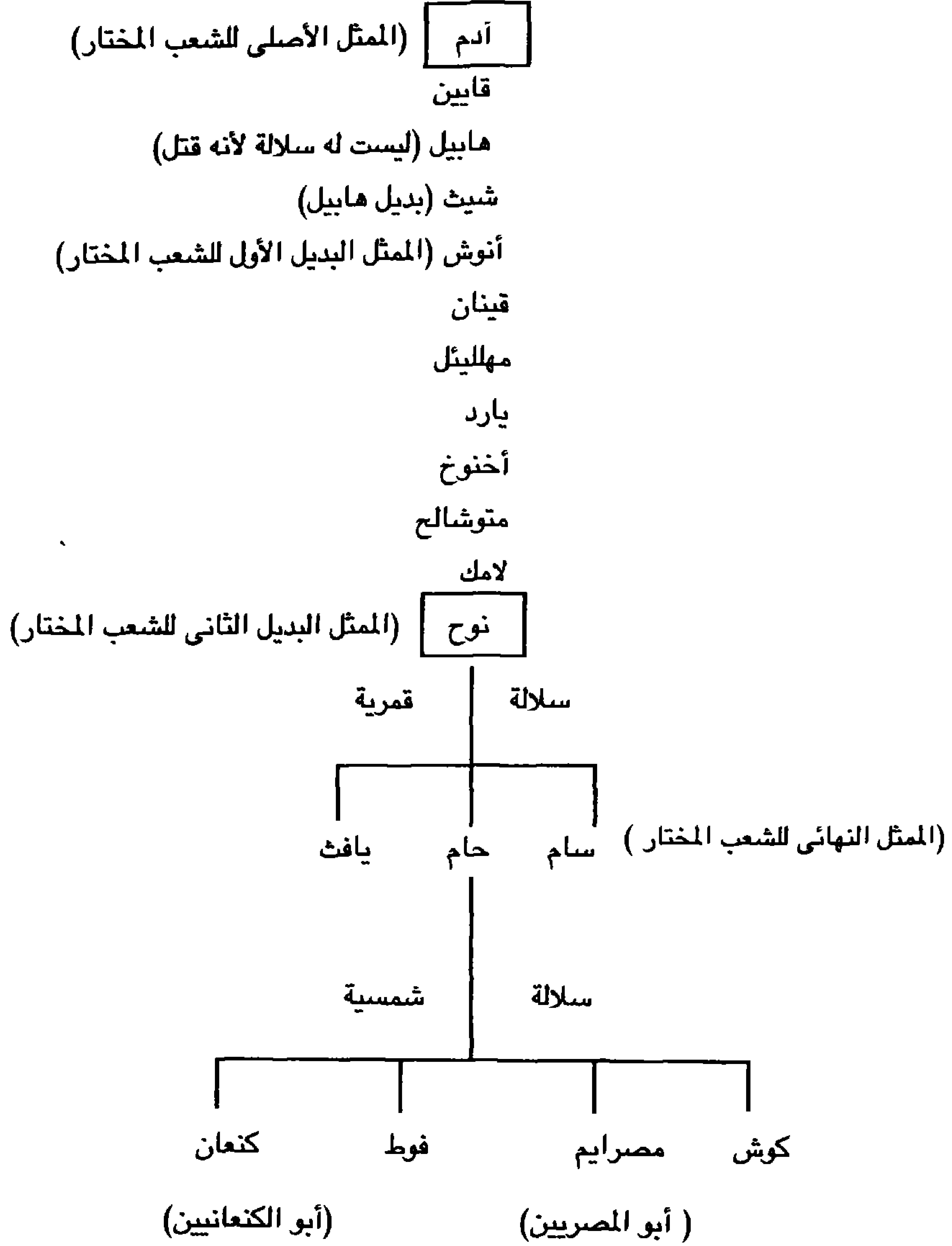
(١) مثله في ذلك مثل هابيل الذي قدم قربانا من الغنم

(٢) «تكوين» (٨: ٢)

(٣) «تكوين» (٩: ٢٠).

(٤) «تكوين» (١٠ : ١).

(٥) «تكوين» (٩: ٢٠ – ٢٧).




(سلالة آدم «التوراتى» وبعده سلالة نوح)

**(شكل ٦)**

ونخرج من هذا الذى روته التوراة بالآتى:

١ - أن القصة مبنية على أساس أخلاقى يحرم كشف الابن عورة أبيه.. ولكننا نلاحظ أن كشف عورة نوح قد حدث بسبب سكره وأن السكر كان مصدره الثقافة الشمسية (الزراعية) «وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرى» فالمدان هنا بشأن التحريم الأخلاقى لكشف الابن عورة أبيه هو الثقافة الشمسية التى تتعلق بالأخلاق. وهذا ماقصدناه بحط الهوية القمرية من شأن الهوية الشمسية بجعلها مصدرا للخمر الذى يأتى منه السكر ومن ثم العار.

٢ - أنه طبقا للنقطة السابقة يكون حام بريئا من كشف عورة أبيه ويكون نوح هو المسئول عما حدث بسبب شربه الخمر.. وحتى لو أخلينا مسئولية نوح باعتبار أنه حديث العهد بالمجتمع الزراعى وأنه اكتشف لأول مرة الخمر الناتج من الكرم.. فقد كان المفروض - بدلا من أن يلعن كنعان بن حام - أن يلعن الخمر ويحرم شربها مادامت تسبب الخروج على القيم الأخلاقية.

٣ - أنه فضلا عن براء ة حام وأن كل الذى حدث هو أن بصره وقع مصادفة على عورة أبيه المكشوفة.. فهو باعتباره الابن الأصغر(١) خرج ليلفت نظر أخويه الأكبر سنا لكى يتصرفا بشأن حال أبيهم.. ولكن رغم ذلك فالقصة تدين حام وإن كانت بدلا من أن تصب اللعنة عليه قد صبتها على ابنه كنعان(٢) «ملعون كنعان عبدالعبيد يكون لإخوته» وهو أمر يحتاج إلى تفسير.. والتفسير ببساطة أن حام ينتمى إلى الهوية الشمسية.. ولكن هذا التفسير يتعارض مع سابق قولنا بأن أبناء نوح انتقلوا بالتبعية إلى هوية أبيهم الشمسية.. وردنا على هذا التعارض هو أن اللعنة انصبت على كنعان قبل ولادته وقبل انتقال نوح - وابنائه بالتبعية - من هويتهم القمرية الأصلية إلى الهوية الشمسية.. ولا غرابة فى هذا والنية مبيتة لدى الشعب المختار لاستيطان أرض كنعان ومن ثم صا غ قصة نوح مقدما وحكم بعبودية كنعان له مقدما - أى قبل أن يولد - وذلك بعد فشله فى مصر.

وهنا نعود إلى الفصل العاشر (الخروج إلى الجنة وليس الخروج من الجنة) حيث قلنا تحت عنوان «جنة عدن كانت مصرثم أصبحت كنعان» إن مصر كانت هى الأرض الموعودة من

---

(١) التوراة تذكر ابناء نوح بهذا الترتيب: «سام وحام ويافث» ومعني ذلك أن سام هو الأكبر . ولكن عند ذكر نسلهم تأتي اسماؤهم بهذا الترتيب: «يافث وحام وسام» أي أن يافث هو الأكبر - وفي كلا الحالين يكون حام اصغر من سام او يافث. والأستاذ كمال الصليبى يفسر هذه المسألة فى كتابه «خفايا التوراة» (ص ٧٢) حيث يرى أن «القصة كانت تقول فى أصلها أن الولد الذى أبصر عورة أبيه نوح وهو فى حالة السكر كان «ابنه الصغير» والمفهوم من ذلك أنه كان ابنه الأصغر (ليس هناك فرق فى العبرية بين صيغة الصفة وصيغة التفضيل) والابن الأصغر هذا كان اسمه «كنعان» فجاء التقليد الكهنوتى فأحل «حام أباكنعان» مكان «كنعان» وفات عليه أن يحذف عبارة «ابنه الصغير» (أى ابنه الأصغر) من الرواية الأصلية للقصة. والواضح من الطريقة التى تسرد بها أسماء بنى نوح الثلاثة فى سفر التكوين فى جميع الحالات (سام وحام ويافث) أن حاما كان ثانى أبناء نوح وليس ثالثهم أى أصغرهم».

(٢) «كانت القصة تقول فى الأصل أن كنعانا أبصر عورة أبيه وهو سكران فلما أفاق أبوه من سكره وعلم بما حصل لعنه بالاسم قائلا «ملعون كنعان» أما فى القصة المحورة فالولد الصغير الذى أبصر عورة أبيه السكران هو «حام أبو كنعان» لكن الأب لا يلعن حام لذلك بل يلعن ابنه كنعان ولم يشأ التقليد الكهنوتى أن يجعل اللعنة تنزل على حام بذاته بدلا من ابنه كنعان لأن الشعب الذى استعبده بنو إسرائيل تارخيا لم يكن شعب حام بأسره بل القبائل الكنعانية فقط » (خفايا التوراة» ص ٧٢).

أجل تحقيق ذات الشعب المختار وأنه بعد فشل العبريين فى تحقيق هدفهم فى مصر (الجنة) اتجهوا إلى كنعان (الجنة) البديلة.. ومن هنا كان قولنا: «الخروج إلى الجنة وليس الخروج من الجنة».. وباعتبار أن الشعب المختار قد سجل هذه الأحداث بعد أن صار هدفه أرض كنعان فمن البديهى أن يكيف الأمر وفق هدفه هذا ومن ثم صاغ قصة نوح بحيث يحكم على كنعان بأن يكون عبدا لسام ويافث.. ولايفوتنا هنا أن الحكم على كنعان بالعبودية يقابله الحكم على العبريين بالعبودية أثناء أسرهم فى مصر.

٤ - نلاحظ فى قصة نوح أن سام يحظى بعبودية كنعان له وأن يافث يحظى بذلك من خلال تبعيته لسام «فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير.. فقال ملعون كنعان عبدالعبيد يكون لأخوته.. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام. وليكن كنعان عبدا لهم».

وتفسير ذلك نجده فى مضمون العنوان الذى نتحدث تحته فى هذا الفصل وهو «امتداد مغزى سلالة قايين وهابيل فى سلالة نوح» أى أن التفسير نجده فى سلالة قايين وبالذات فى شيث وأنوش حيث قلنا فى الفصل السابق تحت عنوان «أنوش الممثل البديل للشعب المختار»: إن شيثا الذى تشوبه الهوية الشمسية عن طريق الأم قد استبدل به أنوش الذى ينتمى إلى أبوين قمريين.. وبعبارة أخرى فإن شيثا الذى تشوبه صفة (الرب الإله) لقب الفرعون قد استبدل به أنوش ممثل (الرب) لقب الشعب المختار ومن هنا كان القول عند ولادته: «حينئذ ابتدىء أن يدعى باسم الرب» أى باسم الشعب المختار.. وما قيل عن أنوش يقابله ماقيل عن سام «مبارك الرب إله سام» ومعنى هذا أن سام يقابل أنوش الممثل البديل للشعب المختار.. ومن هنا كان سام هو (أبو العبريين).

وبناء على ماسبق فإن المقابلة بين أنوش وسام تقودنا إلى المقابلة بالتالى بين شيث ويافث.. وعلى هذا فإن يافث - مثل شيث - تشوبه الهوية الشمسية عن طريق الأم.. وكما حدث مع شيث عندما حل أنوش مكانه فكذلك حدث مع يافث عندما حل سام مكانه عن طريق التبعية «ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام» ونلاحظ تعبير «ليفتح الله» الذى يعنى الدعاء ليافث بأن يهديه (الله) أى الإله «إيل» القمرى إلى الانتماء إلى سام صاحب الهوية القمرية الخالصة.

٥ - قلنا فى النقطة السابقة إن يافث تشوبه الهوية الشمسية عن طريق الأم. وهذا يقودنا إلى القول بزواج نوح - مثل أبيه لامك (شكل ٦ ص ١٩٩) من امرأتين إحديهما قمرية الهوية - مثل عادة زوجة لأمك (شكل ٥ ص ١٩٣) - وهى التى أنجب منها سام.. والأخرى شمسية الهوية - مثل صلَّة زوجة لامك (شكل ٥) وهى التى أنجب منها يافث.. ولكننا نعلم من التوراة أن نوحا كانت له زوجة واحدة.. فما تفسير هذا؟

الإجابة نجدها فى قصة آدم التوراتى حيث خرجت حواء (الشمس) من آدم (القمر) وهو مايعنى احتواء آدم لبذرة الهوية الشمسية بمعنى أنه يحمل بذرة التطور من المجتمع الرعوى إلى المجتمع الزراعى وهو ماينطبق على نوح حين عمل فلاحا بعد رسو فلكه على الأرض فانتقل بذلك

من هويته القمرية إلى الهوية الشمسية التى تقابل هوية حواء.. وباعتبار أن حواء تمثل (الذات الشمولية) التى يستمد منها آدم وبالتالى نوح ذاته فمن هنا قنا إن يافث - مثل شيث - تشويه الهوية الشمسية عن طريق الأم.

ولكن هذا الاستنتاج يتعارض مع واقع أن أبناء نوح ولدوا قبل رسو فلكه وعمله بالفلاحة أى قبل انتقاله إلى الهوية الشمسية.. أو بعبارة أخرى: إن أبناء نوح ولدوا قبل أن تنبت بذرة التطور - التى يحملها مثل آدم - من المجتمع الرعوى إلى المجتمع الزراعى.. وهذا ينقلنا إلى نقطة جديدة وهى مغزى الطوفان فى قصة نوح.

## مغزى الطوفان فى قصة نوح:

نبدأ فنشير إلى الخطوة التطورية التى مرت بها البشرية بصفة عامة وهى الانتقال من مجتمع الرعى إلى مجتمع الزراعة.. وهذا ما نجده فى مضمون قصة آدم وحواء وقصة قابيين وهابيل.. وقد رأينا محاولات الشعب المختار لتغيير هذا المضمون طبقا لموقفه من المجتمع الزراعى بسبب عقدة الأسر فى مصر.. كما رأينا فشله فى تلك المحاولات بسبب تعارضها مع الواقع التاريخى لتطور البشرية الذى ذكرناه.. فماذا يفعل لمواجهة هذا الفشل؟!

الإجابة ببساطة هى: مادام واقع تاريخ البشرية يكذب ما يهدف إليه الشعب المختار فليكن الحل فى إلغاء ذلك التاريخ وصياغة تاريخ جديد يحقق الهدف الذى يرمى إليه. وليس أنسب لذلك من قصة الطوفان الذى هلكت فيه البشرية وبدأت من جديد بنوح مثلما بدأت قبله بآدم(١) .. وعلى هذا يكون نوح ممثلا للشعب المختار مثل آدم.. ويكون الطوفان بمثابة الفاصل بين تاريخ البشرية القديم وتاريخها الجديد.. أو يكون الطوفان حسب هوى الشعب المختار بمثابة غسيل لمخ العالم يمحو به التاريخ القديم قبل تسجيله للتاريخ الجديد كما يريد.

ولابد أن يكون العبريون قد عرفوا مايماثل قصة طوفان نوح أثناء وجودهم فى مصر حيث توجد أسطورة بنفس المضمون وإن كان بطلها «رع» كما وأن «قصة الطوفان لها مايماثلها فى عقائد الأمم الشرقية»(٢) وقد جاء وصفها فى الآثار البابلية مما يرجح أن فكرة استخدام الشعب المختار لقصة طوفان نوح من أجل الهدف الذى يرمى إليه قد جاء ته أثناء الأسر البابلى الذى ضاعف بلا شك من تأثير عقدة الأسر بمصر.

وعلى أساس ماسبق سوف نتناول بالتحليل قصة طوفان نوح تحت العناوين التالية:

### ١ - (نوح = آدم)

توصلنا إلى أن نوحا يمثل الشعب المختار مثل آدم التوراتى ومعنى هذا أن (نوح = آدم).. ولكن يعترضنا هنا فرق بين الأثنين وهو أن الله خلق آدم وأن نوحا من سلالة آدم.. ولكن هذا

---

(١) بغض النظر عن أن الله خلق آدم أبا البشر وأن نوحا من سلالته وهو ما سنتناوله فيما بعد.

(٢) «رحلة بنى اسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج» (ص ٤١).

الفرق يزول حين نذكر أسطورة خلق «أتوم» (آدم) عند قدماء المصريين التى تقول إن الإله «بتاح» رفع الأرض وأخرجها من «النون» ثم دحاها ليسكنها «أتوم» أول من برز على قمة الأرض التى انحسر عنها الماء الأزلى» (١) .. وسوف نطبق ذلك على قصة نوح حيث نخرج بالآتى:

أ - أن «نون» إسم أطلقه المصريون على الماء الأزلى الذى طفا منه التل الأزلى أى الأرض»(٢) . ويقابل هذا ماء الطوفان الذى طفت منه الأرض التى رسى عليها نوح.

ب - أن «أتوم» (آدم) أول من برز على قمة الأرض التى انحسر عنها الماء الأزلى.. ويقابل هذا أن نوحا أول من ظهر على سطح الأرض بعد أن انحسر عنها ماء الطوفان.

وهكذا نكون قد توصلنا إلى أن (نوح = آدم).

## ٢ - (سلالة نوح = سلالة آدم) :

توصلنا إلى أن (نوح = آدم) وبالتالى فإن (سلالة نوح = سلالة آدم)، كما سنرى:

سام: أبو العبريين أى ممثل الشعب المختار.. ويقابله أنوش الممثل البديل للشعب المختار.

حام: أبو المجتمعات الزراعية.. ويقابله قايين رمز المجتمع الزراعى.

يافث: تشويه الهوية الشمسية مثل شيث.. وكما حدث مع شيث عندما أُهمل واختير أنوش ممثلا بديلا عن آدم للشعب المختار فكذلك حدث مع يافث وسام الذى اختير ممثلا للشعب المختار.

## ٣ - (قصة نوح = قصة الخلق) :

رأينا تحت عنوان (نوح = آدم) تأثر قصة نوح بالأساطير المصرية القديمة وعلى هذا نعود إلى أ سطورة «ثامون الأشمونين» التى سردناها فى الفصل الثانى تحت عنوان «الجنس والبعد الروحى» والتى تصور نشأة الكون من ثمانية أصول كل اثنين منها يمثلان زوجين من ذكر وأنثى.. ويقابل هذا فى قصة نوح أن الفلك كان فيه ثمانية أشخاص كل اثنين منهم يمثلان زوجين من ذكر وأنثى وهم نوح وزوجته وابناؤه الثلاثة وزوجاتهم «فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه الفلك»(٣)

وبذلك نكون قد توصلنا إلى أن قصة نوح = قصة الخلق لدى المصريين القدماء.. وباعتبار أن (نوح = آدم) فلابد أن تكون هناك علاقة بين قصة نوح وقصة الخلق فى التوراة.. وهو ما نجده فيما يلى:

---

(١) « رحلة بني إسرائيل الي مصر الفرعونية والخروج» (ص ٣٣)

(٢) «الموسوعة العربية الميسرة».

(٣) «تكوين» (٧ : ٧) ونلاحظ في هذا النص اسبقية الذكور علي الأناث بما فيهن امرأة نوح - وسبق وقلنا في بداية هذا الفصل إن نوحا مثل آدم كان يحوي بذرة الهوية الشمسية (حواء) التي تمثل (الذات الشمولية) التي يرفضها الشعب المختار. وهذا يفسر اسبقية الذكور (الهوية القمرية) على الآناث (الهوية الشمسية) وهو مايذكرنا بموقف التلمود من المرأة

أ – أن قصة الخلق في التوراة اكتملت في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح (الله).. وباعتبار أن الهدف من قصة نوح هو إعادة قصة الخلق من جديد بالمضمون الذي يريح الشعب المختار فإننا نجد العدد سبعة يتردد في القصة كما نلاحظ أن هذا يحدث بدءا من الاصحاح السابع.. ومثال ذلك:

«من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى».[1]

«ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى».[2]

«وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض».[3]

«واستقر الفلك في الشهر السابع»[4]

«فلبث أيضا سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك. فأتت اليه الحمامة عند المساء واذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض. فلبث أيضا سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا».[5]

ب – سبق وقلنا إن الإصحاح الأول في التوراة الذي يخص قصة الخلق يقتصر على ذكر (الله) فقط دون (الرب الإله) و(الرب). . ويقابل هذا أن الاصحاحات (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) التي تحكي قصة نوح تقتصر على ذكر (الله) فيما عدا مواقع معدودة يأتي فيها ذكر (الرب) وهو أمر طبيعي باعتبار أن الشعب المختار الذي يمثله (الرب) هو الذي يعيد قصة الخلق من خلال قصة نوح وهو لكي يمنحها الشرعية الإلهية ينسبها إلى (الله) صاحب القصة الأصلية.

## ٤ – منح الشرعية الإلهية لقصة الخلق الجديدة:

انتهينا إلى أن الشعب المختار منح الشرعية الإلهية لقصة الخلق الجديدة بأن جمع في قصة نوح بين (الله) صاحب قصة الخلق الأصلية وبين (الرب) صاحب القصة الجديدة.. وسوف نوضح كيفية حدوث هذا بادئين بذكر ما ورد في بداية الإصحاح السادس من سفر التكوين تمهيدا لقصة نوح «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض.. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته».. فلأن (الإنسان) هنا لفظ مطلق يعني جميع البشر بما فيهم الشعب المختار فهو يستثني نفسه في شخص نوح الذي أصبح – كما بينا – يمثله بدلا من آدم «وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب»[6] أي في عيني الشعب المختار باعتبار أن (الرب) يمثل أيضا الشعب المختار.

وعلى ذلك اختار الشعب المختار أن يعيد قصة الخلق عن طريق نوح مانحا إياها – كما قلنا – الشرعية الإلهية بنسبتها إلى (الله) صاحب قصة الخلق الأصلية.. ومن هنا نجد أن

(١) «تكوين» (٧:٢)
(٢) «تكوين» (٧ : ٣).
(٣) «تكوين» (٧ : ١٠).
(٤) «تكوين» (٨ : ٤).
(٥) «تكوين» (٨ : ١٠ – ١٢)
(٦) «تكوين» (٦ : ٨).

النصوص التى وردت منسوبة إلى (الرب) تتكرر بنفس معانيها منسوبة إلى (الله).. وهو مانبين أمثلة منه فى الجدول الآتى:

| (الرب) | (الله) |
|---|---|
| ١ - ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض(١) | ١ - ورأى الله الأرض فإذا هى قد فسدت(٢) |
| ٢ - كان فى الأرض طغاة فى تلك الأيام(٣) | ٢ - وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلما(٤) |
| ٣ - فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته(٥) | ٣ - فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامى(٦) |
| ٤ - وأما نوح فوجد نعمة فى عيني الرب(٧) | ٤ - كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله وسار نوح مع الله(٨) |
| ٥ - وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك.. ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب (٩) | ٥ - فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك.. كما أمر الله نوحا(١٠) |

وهكذا يبين لنا هذا الجدول أن الشعب المختار هو صاحب قصة الخلق الجديدة التى صاغها من خلال قصة نوح.. وأنه لكى يمنحها الشرعية الإلهية نسبها إلى (الله) صاحب قصة الخلق الأصلية.. وجدير بالذكر أن التوارة تنهى قصة نوح بعد رسو فلكه على الأرض بقولها : «وبنى نوح مذبحا للرب» (١١) ولم تقل لـ (الله).. كما وأن الذى سعد بإنجاز القصة حسب المراد هو (الرب) وليس (الله) «فتنسم الرب رائحة الرضا».(١٢)

## ٥ - (نوح = الممثل البديل الثانى للشعب المختار) وبداية (تقويم نوحى)

بتحليلنا لقصة قايين وهابيل أصبح أنوش هو الممثل البديل عن آدم للشعب المختار.. وفى بداية تحليلنا لقصة نوح توصلنا إلى أن (نوح = آدم).. وعلى هذا يكون نوح هو الممثل البديل الثانى للشعب المختار.. وسوف نبين ذلك من خلال قصة نوح:

(١) «تكوين» (٦ : ٥).
(٢) «تكوين» (٦ : ١٢)
(٣) «تكوين» (٦ : ٤).
(٤) «تكوين» (٦ : ١١).
(٥) «تكوين» (٦ : ٧).
(٦) «تكوين» (٦ : ١٣).
(٧) «تكوين» (٦ : ٨).
(٨) «تكوين» (٦ : ٩).
(٩) «تكوين» (٧ : ١ ، ٥).
(١٠) «تكوين» (٧: ٧ : ٩).
(١١) «تكوين» (٨ : ٢٠ )
(١٢) «تكوين» (٨ : ٢١) .

ففى الفصل التاسع تحت عنوان «مفهوم الجنة والجحيم فى التلمود» أشرنا إلى قول التلمود «إن الله خلق ٦٠٠,٠٠٠ يهودى. وفى كل يوم سبت تتجدد عند اليهودى روح جديدة».. وسوف نطبق هذا القول على قصة نوح حيث نقول إن (الله) صاحب قصة الخلق الأصلية التى تخص آدم هو الذى خلق اليهود أى الشعب المختار الذى يمثله آدم.. وباعتبار أن نوحا يمثل الشعب المختار فى قصة الخلق الجديدة فلابد أن تكون هناك اشارة تربط بينه وبين تعداد الشعب المختار (٦٠٠,٠٠٠) وهذه الإشارة نجدها فى عمر نوح «ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض»[١] ومن الصعب الاعتراض على هذا الاستنتاج بأن هناك فرقا بين (٦٠٠) و(٦٠٠,٠٠٠) إذ لا يقبل أن يكون عمر نوح (٦٠٠,٠٠٠) سنة.. ومما يساند استنتاجنا هذا أن النص الذى يخصه رقمه (٦) كما وأنه بجانب علاقته بالعدد (٦٠٠,٠٠٠) فهو أيضا له علاقة باليوم (السادس) فى قصة الخلق الأصلية بالتوراة[٢] وهو اليوم الذى خلق فيه (الله) الإنسان الذى يحتل نوح مكانه فى قصة الخلق الجديدة.. ومن الصعب أيضا الاعتراض على هذا الاستنتاج بأنه مبنى على المصادفة حيث أن المصادفات كثيرة لدرجة يصعب تجاهلها ومنها ماذكرناه تحت عنوان (قصة نوح = قصة الخلق) بشأن الرقم (٧) كما وأن الرقم (٦) الذى نحن بصدده ورد فى الاصحاح رقم (٧) وهو عدد أيام قصة الخلق.. وإذا كان الانسان قد خلق فى اليوم السادس من هذه الأيام السبعة فقد كانت «ليلة الجمعة أول أيام الطوفان»[٣] وهى الليلة التى يليها يوم السبت (السابع) الذى استراح فيه (الله).. فإذا قابلنا هذا براحة الشعب المختار بعد إتمام قصة الخلق الجديدة فى قصة نوح .. وباعتبار أن نوحا يمثل الشعب المختار وبالتالى يمثل تعداده الـ (٦٠٠,٠٠٠) الذى يرمز اليه بالرقم (٦) الوارد فى الاصحاح (٧).. وباعتبار أن (١ + ٦ = ٧) = اكتمال قصة الخلق الجديدة بنهاية الطوفان.. فإننا نجد نفس المعادلة فى «وكان فى السنة الواحدة والستمائة فى الشهر الأول فى أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض».[٤] وطبقا لرموز المعادلة التى ذكرناها يمكننا ترجمة هذا النص بقولنا: «وكان فى السنة (١ + ٦) فى الشهر الأول فى أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض» وهو مايعنى اكتمال قصة الخلق الجديدة وراحة الشعب المختار بعد تحقيق الهدف منها.. كما نلاحظ المغزى فى قول النص بعد ذكر السنة الواحدة والستمائة: «فى الشهر الأول فى أول الشهر» الذى يعنى بداية سنة جديدة بعد الستمائة سنة التى ترمز الى الأيام الستة التى تمت فيها قصة الخلق الأصلية وبالذات خلق الإنسان (آدم) الذى تم فى اليوم السادس والذى يقابله نوح فى قصة الخلق الجديدة.. الأمر الذى يوحى بتقويم جديد يبدأ بظهور نوح أى بظهور الشعب المختار وذلك تأكيدا لاسبقيته على شعوب العالم ومن ثم تمهيدا لصياغته لتاريخ تلك الشعوب كما يشاء.

---

(١) «تكوين» (٧ : ٦).

(٢) أبدينا في هامش (٣ ص ١٢٣) تشككنا في صحة تعداد اليهود بـ (٦٠٠,٠٠٠) ورجحنا أن هذا العدد قد اختير تمشيا مع عدد أيام الخلق الستة. وهو مايعني تعزيز رأينا بشأن العلاقة التوليفية بين الأرقام والأعداد.

(٣) « رحلة بني اسرائيل الي مصر الفرعونية والخروج» (ص ٢٥).

(٤) «تكوين» (٨ : ١٣).

ونستمر فى استقراء النص الذى نحن بصـــدده حيث بينا العلاقـــة بينه وبيـن الرقم (٧) عدد أيام قـصـة الخلق وحيث نلاحظ رغم ذلك انه لم يرد فى الاصـحـاح (٧) وانمـا ورد فـى الاصحاح (٨).. ولتفسير ذلك نعيد ذكر نص التلمود الذى يقول: «إن الله خلق ٦٠٠,٠٠٠ يهودى وفى كل يوم سبت تتجدد عند اليهودى روح جديدة».. ومرة أخرى نعود إلى الفصل التاسع تحت عنوان «مفهوم الجنة والجحيم فى التلمود» حيث أرجعنا فكرة الكم الثابت لتعداد اليهود الى انتماء الشعب المختار إلى العقل الجبرى الذى يتمثل فى مادة الكون حيث قانون: المادة كم ثابت لايفنى ولايستحدث.. وحيث من هذا الكم الثابت تتعدد ظواهر الكون إلى ما لانهاية مثلما يتعدد اليهود إلى ما لا نهاية فى تعدادهم الثابت الـ (٦٠٠,٠٠٠) وما نعنيه هو العلاقة بين كم اليهود الثابت وبين عناصر الكون حيث نعود الى سابق قولنا بتأثر قصة نوح بأسطورة «ثامون الأشمونين» التى تصور نشأة الكون من (٨) أصول كل اثنين منها يمثلان زوجين ذكرا وأنثى[1] .. وهو ما ينطبق على ركاب فلك نوح (نوح وأبناؤه الثلاثة وزوجة كل واحد منهم).. وفى هذا تفسير لورود النص الذى نحن بصدده فى الاصحاح (٨) بدلا من (٧).

## ٦ - مسألة توافق الأرقام والأعداد:

فى هذا الفصل وتحت عنوانى (قصة نوح = قصة الخلق) و(نوح = الممثل البديل الثانى للشعب المختار) كشفنا عن مسألة توافق الأرقام والأعداد وبينا أنها ليست من قبيل المصادفة.. وإذا كان ماقدمناه يؤكد هذا أو على أقل تقدير يسترعى الانتباه.. فإننا نضيف إلى ما قدمناه الملحوظات الآتية:

١ - أن المتأمل فى نصوص التوراة يلاحظ أن بعضها يرد مجزءا وبأرقام متتالية رغم أنها تحمل مضمونا واحدا يجعل من المنطق ورودها فى نص واحد وبالتالى برقم واحد.. وفى رأينا أن الهدف من ذلك هو التوصل إلى ترقيم نصوص معينة بأرقام معينة لها علاقة بمضامين هذه النصوص.. وسنضرب مثالا لذلك بالنص الذى يقول : «ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض» [2] فقد سبق أن بينا فى هذا النص العلاقة بين عدد سنوات عمر نوح الـ (٦٠٠) وبين تعداد اليهود الـ (٦٠٠,٠٠٠) وبين اليوم (٦) الذى تم فيه خلق الإنسان فى قصة الخلق بالتوراة.. وواضح أن العلاقة بين الأعداد التى ذكرناها تدور حول مضاعفات العدد (٦) وهو رقم النص الذى نتحدث عنه.. وسوف نبين الآن ماتم فى النصوص السابقة على هذا النص حتى يكون ترقيمه (٦) حيث نجد نصين متتالين نذكرهما حسب ترقيم كل منهما: (٢) «من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى. ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى» (٣) « ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى».. وواضح أن هذين النصين

---

(١) راجع ذلك تحت عوان ( قصة نوح = قصة الخلق) في هذا الفصل.

(٢) «تكوين» (٧: ٦)

المتتاليين يخصان مضمونا واحدا ورغم ذلك وردا من خلال ترقيمين متتاليين بدلا من ترقيم واحد.. ولولا ذلك لورد النص رقم (٦) برقم (٥) ولتعارض مع المفهوم الذى قدمناه.

٣ – وما قلناه فى النقطة السابقة بشأن ترقيم النصوص ينطبق أيضا على ترقيم الاصحاحات.. فقد سبق أن بينا العلاقة بين العددين (٧) عدد أيام قصة الخلق وبين ورود مايخصه فى الاصحاح (٧) .. والدليل على ذلك أن النصوص الواردة فى نهاية الاصحاح (٦) يتكرر مايقابلها فى الاصحاح (٧) وان زاد عليها ذكر العدد (٧) وهو مانبينه فى الجدول الآتى:

| | |
|---|---|
| «ومن الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناحسها اثنين من كل تدخل إليك | «من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثي. ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى»[٢] |

هذا بالإضافة إلى أن من الاصحاحات ما يبدأ بعض نصوصها فى نهاية الاصحاحات السابقة لها.. وذلك توصلا إلى تحقيق نفس الغرض.

٣ – أن مسألة توافق الأرقام والأعداد لاتثير الاستغراب ومن ثم الشك بشأنها حيث نذكر «حساب الجمل» وهو «طريقة كانت للعرب قديما فى كتابة الأعداد بدلالة حروف المعجم على الترتيب الأبجدى. واليهود كانوا يستعملون هذا الإجراء تبعا لحروف لغتهم العبرية»[٣] وإن كان مايعنينا بالذات أن «حساب الجمل» كان طريقة يستخدمها المنجموم وتستبدل فيها الحروف بالأرقام[٤].. ومن المعروف علاقة اليهود بالتنجيم والسحر اللذين كانا منتشرين فى الشرق القديم.

## ٧ – (قصة الخلق الجديدة = الولادة من جديد)

فى هذا الفصل وتحت عنوان (استمرار مغزى سلالة قايين فى سلالة نوح) انتهينا إلى أن الشعب المختار صاغ قصة نوح بعد خروج العبريين من مصر.. وكما نعلم فقد حدث ذلك بقيادة (موسى المصرى) الذى اعتنق العبريون ديانته الشمسية ثم بعد ذلك انتقلوا إلى (موسى المدينى) الذى اعتنقوا ديانته القمرية ثم بعد ذلك جمعوا بين ديانتى الموسيين.. وباعتبار أن نوحا يمثل

---

(١) «تكوين» (٦ : ٢٠)
(٢) «تكوين» (٧ : ٢ ، ٣).
(٣) «رحلة بني إسرائيل إلي مصر والخروج» (ص ٢٢).
(٤) علماء الفلك العرب عملوا عكس ذلك فاستبدلوا الأرقام بالحروف في الزيجات والحسابات. فالحرف أ يمثله الرقم ١ والباء ٢ وهكذا طبقا لترتيب حروف (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت تخذ ضظغ، وفيها حرف الباء يقابل ١٠ ويليه الكاف ٢٠ وهكذا حتي القاف ١٠٠ ثم الراء ٢٠٠ حتي الغين تساوي ١٠٠٠ وأما الأرقام الأخرى فيعبر عنها بتركيب هذه الحروف مثل (شمط أى ٣٤٩) (الموسوعة العربية الميسرة)

الشعب المختار فهو يجمع مثله بين الموسيين.. وسوف نطبق هذا على قصة نوح ونرى بماذا نخرج:

أ - أن هوية العبريين كانت قمرية عند دخولهم مصر.. ويقابل هذا أن هوية نوح كانت قمرية عند دخوله الفلك.

ب - أن العبريين انتقلوا إلى الهوية الشمسية بعد خروجهم من مصر.. ويقابل هذا أن نوحا انتقل إلى الهوية الشمسية بعد خروجه من الفلك.

جـ - من النقطتين السابقتين نخرج بأن (الفلك = مصر) وبما أن (مصر = الرحم) فكذلك (الفلك = الرحم) ويكون خروج نوح من الفلك - مثل خروج العبريين من مصر - بمثابة الولادة من جديد والتحول من (جنين) إلى (مولود) يجمع بين العقل الاختيارى والعقل الجبرى أى بين الهوية الشمسية والهوية القمرية وهو مايعنى تحقيق الذات بالتحول إلى شعب.. وهذا مافعله العبريون بعد خروجهم من مصر عندما جمعوا بين (موسى المصرى) و(موسى المدينى).

د - ولكن كما نعلم فإن العبريين أثناء وجودهم فى مصر وكرد فعل لرفضها لهم تحولوا إلى شعب قبل أن يكونوا شعبا بالفعل.. وهو مايعنى تحولهم من (جنين) إلى (مولود شاذ) داخل (الرحم) مصر وهو مانتج عنه «صدمة الإجهاض».[1]

## ٨ - (نوح = قربان الفصح)

انتهينا إلى تحول العبريين فى مصر من (جنين) إلى (مولود شاذ) وهو مانتج عنه «صدمة الإجهاض» .. وسبق وبينا كيف أن العبريين تخلصوا من «صدمة الإجهاض» عن طريق قربان الفصح[2] حيث طبقوا عليه طقوسا تتعلق بالهوية الشمسية المصرية.. وقد فعلوا ذلك ليلة الخروج من مصر مباشرة أى أن قربان الفصح يتعلق بالخروج أو بالعبور حيث أن (فصح = عبور) ويقابل هذا أن نوحا تحول إلى الهوية الشمسية بعد خروجه من الفلك أى بعد عبوره محنة الفيضان.

وقد سبق وقلنا بشأن (صدمة الإجهاض) إن الجنين المجهض يعتبر فى حكم الميت وإن معاملة قربان الفصح معاملة الميت تجعله رمزا للجنين المجهض.. وإن الهدف من الطقوس الشمسية التى طبقت عليه هو تحويل الجنين المجهض إلى مولود.. وإن من ضمن هذه الطقوس مايتعلق بالتحنيط.. ومن المتفق عليه أن مدة التحنيط كانت أربعين يوما[3].. ويقابل هذا فى قصة نوح - وإلحاقا بمسألة توافق الأرقام والأعداد التى بينا مغزاها الرمزى - أن العدد (٤٠) يرد فى القصة أربع مرات (لاحظ العلاقة بين ٤ و ٤٠) .. وفيما يلى النصوص الأربعة التى تخص ذلك:

---

(١) راجع ذلك في الفصل العاشر تحت عنوان «صدمة الإجهاض».

(٢) راجع كل ماسنشير إليه فى هذا الشأن في الفصل الحادي عشر تحت عنوان «قربان الفصح والفرق بين (مولود مصري) و(مولود يهودى).

(٣) وصلت بعد ذلك إلى سبعين يوما

أ - «أُمطرُ على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة».[1]

ب - «وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة»[2]

جـ - «وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض»[3]

د - «وحدث بعد أربعين يوما أن نوحا فتح طاقة الفلك التى كان قد عملها وأرسل الغراب».[4].

ونلاحظ فى هذه النصوص الأربعة أنه كان يمكن الاستغناء عن النص الثانى والاكتفاء بالنص الأول الذى قرر فيه (الرب) أن يمطر على الأرض وذلك باعتبار أن قرار (الرب) نافذ ومن ثم لايحتاج إلى شهادة من النص الثانى على نفاذه.. الأمر الذى يؤكد قصدية ورود النصوص أربع مرات طبقا للأربعين يوما عدد أيام التحنيط. .وقد سبق وقلنا إن الشعب المختار بعد أن صاغ قصة الخلق الجديدة منحها الشرعية الإلهية بأن نسبها إلى (الله) صاحب قصة الخلق الأصلية.. وكذلك فعل بشأن التحنيط حيث يبدأ الطوفان على يد (الرب) رمز الشعب المختار ثم ينتهى على يد (الله).

وماقصدناه بشأن التحنيط هو أن الهدف منه المحافظة على الجسد (كا) حتى يضاف إلى (با) - بمعنى الروح وليس العقل[5] - ومن ثم يستعيد الميت حياته وهو مايقابله فى قصة نوح الولادة من جديد عن طريق قصة الخلق من جديد للشعب المختار.. وسبق أن بينا العلاقة بين الرقم (٧) فى قصة نوح والسبعة الأيام فى قصة الخلق الأصلية.. ومن هنا نجد فى النصوص الأربعة التى تتعلق بالتحنيط أن أولها يسبقه ذكر الأيام السبعة «لأنى بعد سبعة أيام أيضا أمطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة [6].. كما نجد آخرها يتبعه كذلك ذكر الأيام السبعة «وحدث بعد أربعين يوما أن نوحا فتح طاقة الفلك التى كان قد عملها وأرسل الغراب. فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض. ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض.. فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها. فرجعت إليه فى الفلك.. فلبث أيضا سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك. فأتت اليه الحمامة عند المساء وإذا بورقة زيتون خضراء فى فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض. فلبث أيضا سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة فلم تعدترجع إليه أيضا».[7]

(١) «تكوين» (٧ : ٤).
(٢) «تكوين» (٧ : ١٧)
(٣) «اكوين» (٧ : ١٧)
(٤) «تكوين» (٨ : ٦)
(٥) سبق وبينا أن الرمز (با) يجمع بين الروح والعقل وقد أخترنا الروح لأننا بصدد عودة الحياة من جديد. اما بصدد الولادة من جديد التي تعني التحول إلي شعب أي تحقيق الذات فيكون (با) بمعني ( العقل) الاختياري الذي يضاف الي (العقل) الجبري (كا) فينتج عن ذلك الذات.
(٦) «تكوين» (٧: ٤)
(٧) «تكوين» (٨ :٦-١٢)

ونخرج مما سبق بالآتي:

أ - أن السبعة الأيام الخاصة بعملية الخلق تحصر الطوفان من بدايته حتى نهايته مما يتفق وأن الطوفان يرمز إلى قصة الخلق.

ب - أن السبعة الأيام الخاصة بعملية الخلق وردت مرة واحدة قبل بداية الطوفان ووردت مرتين بعد نهايته مما يتفق وأن الطوفان يرمز إلى تكرار قصة الخلق للمرة الثانية من خلال قصة نوح .. ومما يتفق أيضا وعدم تغير بداية الخلق رغم تكراره وذلك طبقا لأسطورة الخلق المصرية - التي سبق وربطنا بينها وبين قصة نوح - حيث رفع الإله «بتاح» الأرض من «النون» أي الماء الأزلي الذي يقابله ماء الطوفان.

جـ - أن المقابلة التي بيناها بين الولادة من جديد عن طريق الطوفان وعودة الحياة عن طريق التحنيط .. تماثلها المقابلة بين جفاف الأرض من ماء الطوفان وجفاف الجسد من السوائل في عملية التحنيط.

وأخيرا.. فقد قادنا إلى موضوع التحنيط موضوع معاملة قربان الفصح معاملة الميت.. وعلى هذا نخرج مما سبق بأن (نو ح = قربان الفصح) وإن كان هناك فرق بين الاثنين يكشف لنا الهدف المحرك وراء قصة نوح.

## ٩ - الهدف المحرك وراء قصة نوح

في الفصل العاشر أثبتنا من خلال نصوص التوراة أن مصر - وليست كنعان - كانت هي الأرض الموعودة لإبراهيم وقبيلته من أجل تحقيق الذات .. وأنه نظرا لفشل العبريين في تحقيق هدفهم بمصر وهو مايعني فشل الإله «إيل» الذي وعدهم بذلك.. أو بالأصح نظرا لفشل الشعب المختار في اختيار البلد المناسب لتحقيق هدفه حيث بينا أنه هو صاحب الوعد الإلهي وحيث قلنا إن كتاب التوراة لجأوا فيما بعد إلى تغطية هذا الفشل بأن جعلوا أرض كنعان هي البلد الموعود به أصلا.. فقد آن الأوان لنضيف قولنا بأنه إمعانا في تغطية هذا الفشل قرر الشعب المختار أن يمحو تاريخه بمحو الشعب المصري من التاريخ.. ولاعجب في ذلك وقد قلنا مرارا إن فترة الأسر والاضطهاد في مصر هي المحرك اللاشعوري والشعوري وراء تاريخ وفكر الشعب المختار.. وعلى هذا الأساس سنستمر في تحليلنا لقصة نوح حيث توصلنا إلى أن (نوح = قربان الفصح) وحيث قلنا إن هناك فرقا بين الاثنين يكشف لنا الهدف المحرك وراء قصة نوح .. ولكي نتعرف على هذا الفرق نقول إن قربان الفصح باعتباره رمزا للعبريين كان الهدف منه تحويلهم من قبيلة إلى شعب وذلك بأن أضفوا عليه الهوية الشمسية التي تخص مصر وذلك عن طريق الطقوس التي فرضوها عليه باسم (الرب) ممثل الشعب المختار.. ولأن هذا معناه الاعتراف بشعب مصر الذي أسرهم واضطهدهم فقد قرروا فيما بعد أن يمحو هذا العار بمحو الشعب المصري من التاريخ وذلك من خلال قصة نوح.. وإذا كان تاريخ نوح يسبق تاريخ الخروج وقربان الفصح فذلك راجع إلى أمرين: أولهما أن التوراة كتبت في زمن لاحق لتلك الأحداث.. وثانيهما

وهو الأهم أن محو الشعب المصرى من التاريخ يستلزم إعادة صياغة التاريخ من جديد بحيث يصبح الشعب المختار سابقا للشعب المصرى.. ولأن شعب مصر له الأسبقية الأولى فى تاريخ البشرية فمن هنا لجأ الشعب المختار إلى مبدأ قلب الأوضاع المعهود فأعاد تاريخ البشرية بحيث تكون الأسبقية له هو.. ولأن إعادة تاريخ البشرية يعنى إعادة قصة الخلق من جديد فمن هنا كان مارأيناه فى قصة نوح.

وقد يقال: لماذا لم يلجأ الشعب المختار إلى إعادة قصة الخلق بدءا بآدم بدلا من نوح؟ وردنا على ذلك يتمثل فى سببين:

السبب الأول: أن محو تاريخ مصر يتعارض مع واقع وجود الآثار التى تشهد على وجود ذلك التاريخ وهو مايعنى أن الشعب المختار عندما أعاد قصة الخلق منكرا ذلك الواقع قد فعل هذا لاشعوريا أكثر منه شعوريا.. الأمر الذى يذكرنا بأسلوب الوهم الذى اتبعه منذ أن وعد نفسه الهيا بأرض مصر وماتلى ذلك من وهم التحول الى شعب ومن وهم تضخم الذات ومن وهم الربوبية الذى وصل إلى حد الألوهية كما سنرى فيما بعد.

والسبب الثانى: يعتبر رد فعل للسبب الأول حيث تغلب الشعور على اللاشعور من أجل استبدال الواقع بالوهم وحيث تمثل هذا الواقع فى قصة الطوفان التى تناقلتها الأجيال كحدث تاريخى وقع بالفعل ومن ثم استخدمها الشعب المختار لإضفاء صفة الحقيقية على قصة الخلق الجديدة.

والآن سنعيد النظر فى قصة نوح من حيث أن الهدف منها هو منح الشعب المختار الأسبقية المطلقة فى الوجود على سائر الشعوب وبالذات شعب مصر الذى رفضهم ثم شعب كنعان الذى قرروا العودة إليه بعد رفض مصر لهم:

أ - قلنا إن نوحا بدأ بالهوية القمرية وهى هوية الشعب المختار ثم بعد رسو فلكه على الأرض وعمله بالزراعة انتقل إلى الهوية الشمسية.. وهنا لن نقول إنها هوية الشعب المصرى لسببين: أحدهما - كما سبق أن بينا - يخص الوهم حيث غلبة اللاشعورى على الشعور.. والآخر يخص الواقع حيث غلبة الشعور على اللاشعور.. وفى كلتى الحالتين ينتفى الشعب المصرى سواء بعدم وجوده أصلا أو بانتهاء وجوده بعد أن كان موجودا .. وهذا يفسر وجود مضمون قصة الخلق الذى كشفنا عنه فى قصة طوفان نوح والذى يجعل الطوفان يمحو كل شعوب العالم «وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته»[1] بينما الحقيقة أن الطوفان لم يفعل ذلك.. وفى هذا يقول البيرونى على لسان بعض أهل الفرس: «كان من ذلك شىء بالشام والمغرب فى زمان «طهمورث»»[2] لم يعم العراق كلها ولم يغرق فيه إلا أمم قليلة.. وإنه لم يتجاوز عقبة حلوان[3] ولم يبلغ ممالك المشرق .. ويبدو أن هذا القول أقرب إلى الواقع فى مصر إذ ليس فى

(١) «تكوين» (٧: ٤).
(٢) ثالث ملوك الفرس الكبار من الأوائل بعد «أوشهنج». سمي كذلك علي أنه خير من علي الأرض.
(٣) عقبة حلوان: جبل يمتد تجاه مدينة حلوان على الحدود الشرقية للعراق قبالة بغداد الي الشمال الشرقي.

تاريخ الملوك الفراعنة ولا فى متون الآثار ما يشير صراحة إلى حدوث طوفان أهلك الحرث والنسل ولم يبق على شيء فى الأرض. أو ربما أنه كان قليل التأثير على مصر».(١)

وجدير بالذكر أن محو الشعب المختار لشعوب العالم يذكرنا بسابق قولنا بشأن المثل «أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وأبن عمى على الغريب» الذى حوله الشعب المختار إلى «أنا وأخويا على الغريب» حيث الغريب كان شعب مصر ثم صار كل شعوب العالم.. وإذا كان الشعب المختار قد فعل ذلك أصلا نتيجة فشله فى استثناء نفسه من «عقدة أوديب»(٢) فهو هنا فى قصة نوح ينفى فشله بنفى موضوع التحريم (الأم) (مصر) من التاريخ.. وتأكيدا لذلك فهو ينفى جميع الأمهات - أى جميع الشعوب - وهو ما يعنى نفى الأم بمعناها المطلق (الذات الشمولية)

ب - طبقا لما سبق يصبح الشعب المختار أول من ظهر على وجه الأرض.. وطبقا لهويته القمرية يصبح القمر سابقا للشمس وبهذا يكون الشعب المختار قد صحح الخطأ الذى ارتكبه (الله) حيث خلق القمر أصغر من الشمس. وكما يقول التلمود الذى سجل على (الله) هذا الخطأ فإن (الله) اعترف بخطئه وقال: «اذبحوا لى ذبيحة أكفر بها عن ذنبى»(٣) .. وهو مايعنى أن (الله) عجز عن تصحيح خطئه ومن ثم طلب الذبيحة لمجرد التكفير.. ولكن الشعب المختار - بإعادته لقصة الخلق - استطاع أن يصحح الخطأ الذى عجز (الله) عن تصحيحه كما جعل الذبيحة لنفسه وهى مصر حين محا تاريخها من الوجود.

جـ - وبانتقال نوح إلى الهوية الشمسية بعد رسو فلكه على الأرض وعمله بالفلاحة يصبح الشعب المختار - بدلا من الشعب المصرى - أول من اكتشف الزراعة وبالتالى أول من أدار عجلة التطور فى تاريخ البشرية.. كما يصبح - أيضا بدلا من شعب مصر - صاحب الفضل فى ظهور الأخلاق التى تخص العقل الاختيارى الذى يتعلق بالثقافة الشمسية.. فما الذى فعله بالأخلاق؟

الإجابة نجدها فى أن الأخلاق تخص الدين والدنيا.. ورغم أن الشعب المختار قد جعل نفسه طليعة شعوب العالم ورائد حركة التطور إلا أنه لم يتخل عن المبدأ الذى كان عليه وهو توظيف أمور الدين والشريعة لحساب أمور الدنيا والسياسة.. وهو ماحدث بشأن الجريمة الأخلاقية عندما رأى حام عورة أبيه نوح فعاقبه بأن صب لعنته على حفيده كنعان بن حام وجعله عبدا لسام ويافث وذلك توطئه لتحقيق هدف دنيوى وسياسى وهو استيطان أرض كنعان.

د - واستيطان سام - ويافث بالتبعية - لأرض كنعان (الفلاح)(٤) يعنى سيطرة الهوية القمرية على الهوية الشمسية.. ومن هنا ظل سام ويافث على هويتهما القمرية مخالفين بذلك منطق تبعيتهما للهوية الشمسية التى انتقل اليها أبوهما.. وضامنين بذلك أيضا توريث سلالتهما

---

(١) «رحلة بني إسرائيل إلي مصر الفرعونية والخروج» (ص ٢٥)

(٢) راجع فى ذلك الفصل الثالث عشر تحت عنوان «كيفية استثناء الشعب المختار من عقدة أوديب» .

(٣) «التلمود شريعة بني إسرائيل» (ص ١٤).

(٤) «الأسطورة والتراث» (ص ١٢٧).

حق السيطرة على أرض كنعان ابن العم حام.. ومن هنا كان المثل «أنا وأخويا على ابن عمى» حيث أن الأخوين يمثلان أبناء سام ويافث وحيث أن ابن العم هو كنعان بن حام.. ومن هنا أيضا ألغى باقى المثل « وأنا وابن عمى على الغريب» حيث ابن العم صاحب الهوية الشمسية هو الغريب.. ومن ثم انتهى المثل كما قلنا سابقا إلى «أنا واخويا على الغريب» .

هـ - وبما أن كنعان ينتمى إلى الهوية الشمسية مثل جده نوح فمعنى ذلك حتمية انتماء أبيه حام إلى الهوية الشمسية باعتباره حلقة الوصل بين الحفيد والجد.. ولكن هذا يخل بضرورة بقاء أخويه سام ويافث على الهوية القمرية من أجل السيطرة على كنعان .. كما أن بقاء حام على الهوية القمرية يفسد المقصود بالمثل «أنا وأخويا على الغريب» إذ أنه يشرك حام مع أخويه فى موقفهما ضد الغريب ومن ثم يمنع سيطرتهما على كنعان بن حام إذ لايعقل أن يكون الأب ضد ابنه.. وفضا لهذا التعارض ظل حام على الهوية القمرية مثل أخويه (شكل ٦ ص ١٩٩) وفى نفس الوقت تمت التفرقة بينه وبينهما عن طريق الحط من شأنه والإعلاء من شأن أخويه فى شخص سام حيث أن يافث تابع له..

فمن حيث إعلاء شأن سام نجد أن أسمه من السمو اى العلو..

ومن حيث الحط من شأن حام نجد أن اسمه من الحمأ أى الطين الأسود حيث تم الربط بين سواد الطين وسواد البشرة فى سلالة حام: «مصرايم أبو المصريين وأهل السودان كل نوى البشرة السوداء حتى الكوشيين والأحباش وكنعان أبو الكنعانيين سكان فلسطين».(١)

## ١٠ - (كشف عورة نوح = كشف عار الشعب المختار)

كانت الحادثة التى فجرت كل ما سبق هى كشف حام لعورة أبيه نوح أو بالأصح اكتشاف حام لشىء ما فى عورة نوح أدى إلى صب اللعنة عليه وعلى سلالته.. فما هو السر وراء ذلك ؟

سوف نحاول التوصل إلى هذا السر عن طريق العنوان الذى نتحدث تحته حيث نجد أن (عورة = عار) وأن (نوح = الشعب المختار) أى أن نوحا يمثل الشعب المختار.

ولكن سبق وتوصلنا إلى أن الشعب المختار رفض تمثيل نوح له بسبب هويته الشمسة.. وعلى هذا يمكننا القول بأن (الهوية الشمسية = عورة = عار).

وسبق وقلنا إن كشف العورة يتعلق بالأخلاق ومن ثم بالعقل الاختيارى ومن ثم بالثقافة الشمسية وبالتحديد مصر منشأ الأخلاق.. وعلى هذا يمكننا القول بأن (مصر = عورة = عار).

وعندما نتوقف عند المقصود بالعورة فى قصة نوح فنحن نتوقف عند موضع إجراء الختان الذى يخص مصر.. وعلى هذا يمكننا القول بأن (ختان = عورة = عار).

ونخرج مما سبق بأن نوحا كان مختونا وبأن حام عندما اكتشف ذلك استحق اللعنة هو وذريته.. وإذا كانت اللعنة قد صدرت من نوح فحقيقة الأمر أنها صدرت من الشعب المختار

---

(١) «الأسطورة والتراث» (ص ١٧٢).

صاحب القصة إذ أن نوحا بحكم هويته الشمسية التى تتعلق بالختان لايرى فى ختانه عارا يجعله يلعن من يكتشفه.

وبما أننا توصلنا إلى هذا الاستنتاج فنحن مسئولون عن إثبات صحته.. وستكون وسيلتنا إلى ذلك هى توضيح الأسباب التى جعلت الختان عارا بالنسبة للشعب المختار.. وقبل أن يقال إن هذا يتعارض مع اتباع الشعب المختار شرعة الختان نبادر فنقول إن فى هذا التعارض تفسير لما ذهبنا إليه.. وهو ما سنبينه فى النقاط الآتية:

أ - باعتبار أن الهدف من إعادة قصة الخلق من جديد عن طريق قصة نوح هو محو تاريخ مصر من أجل فشل العبريين فيها وما لحقهم من عار الأسر وباعتبار أن الختان يخص مصر.. فإن ختان نوح يفسد ذلك الهدف إذ انه يشهد على وجود مصر وبالتالى على فشل العبريين فيها وما لحقهم من عار الأسر.

ب - وأيضا باعتبار أن الهدف من محو تاريخ مصر رائدة شعوب العالم هو جعل الشعب المختار صاحب الريادة فى قصة الخلق الجديدة.. وباعتبار أن الختان يخص مصر الرائدة.. فإن ختان نوح بعد انتقاله من الهوية القمرية التى تخص الشعب المختار الى الهوية الشمسية التى تخص الشعب المصرى - فإن ختان نوح بجانب أنه يشهد على وجود مصر فهو أيضا يشهد على ريادة الشعب المصرى رغم أسبقية الشعب المختار عليه.. وهذا فى حد ذاته عـار بالنسبة له.

وتأكيدا لعلاقة الختان بالريادة نذكر تفسير فرويد لختان العبريين على يد موسى المصرى عند الخروج حيث يقول: «أولئك الذين اختاوروا الختان يفخرون به ويحسون بأنفسهم انهم أسمى من غيرهم».(١)

جـ - قلنا إن العبريين تخلصوا من «صدمة الإجهاض» عن طريق قربان الفصح حيث طبقوا عليه طقوسا تتعلق بالهوية الشمسية ومن ضمنها طقس الختان.. وباعتبار أن «صدمة الإجهاض» تمثل فشل العبريين فى مصر فإن العار يتمثل فى تخلصهم من هذا الفشل عن طريق الختان الذى يخص مصر.. وهو هنا عار مضاعف إذ أنهم استعانوا بمن ألحق بهم العار للتخلص من العار.

د - قلنا إن مصر - وليست كنعان - كانت هى الأرض الموعودة من أجل تحقيق الذات وإنه تمهيدا لذلك اتخذ إبراهيم ونسله شرعة الختان تقربا إلى شعب مصر.. كما قلنا إنه من أجل تغطية فشل العبريين فى مصر وهو مايعنى فشل الشعب المختار الذى يمثله (الرب) فى اختيار البلد المناسب لتحقيق الذات بالتحول من قبيلة إلى شعب - قلنا إنه من أجل ذلك سجلت التوراة فيما بعد أن الأرض الموعودة هى كنعان(٢).. وباقتران عار الفشل بالختان يصبح الختان عارا أيضا.

---

(١) «موسى والتوحيد» (ص ٧٧).

(٢) راجع الفصل العاشر.

هـ - إنه حتى بدون النقاط السابقة فإن مجرد اقتران الختان بمصر التى أسرت العبريين. فهذا وحده سبب كاف لاعتبار الختان علامة عار فى عورة نوح.

## ١١ - سام.. الممثل النهائي للشعب المختار

رأينا كيف عولجت قضية انتماء حام إلى الهوية الشمسية بحكم أنه حلقة الوصل بين ابنه كنعان وأبيه نوح صاحبى الهوية الشمسية.. كما رأينا كيف تم إبقاء حام على الهوية القمرية واعتباره فى نفس الوقت غريبا بالنسبة لأخويه سام ويافث مثله فى ذلك مثل صاحب الهوية الشمسية.

ولأن نوحا ينتمى إلى الهوية الشمسية فهو أيضا غريب بالنسبة إلى ابنيه سام ويافث ومن ثم لايصلح لأن يكون ممثلا للشعب المختار.. وقبل أن يقال إن هذا يناقض ماتوصلنا إليه سابقا من أن (نوح = الممثل البديل الثانى للشعب المختار) - قبل أن يقال هذا نرد فنقول إن قصة نوح كما رأينا - وكما سنرى - مركبة الأبعاد ومن ثم فكل بعد منها يوصلنا إلى استنتاج صحيح فى حدوده.. وبعبارة أخرى فإن تحليلنا لقصة نوح بأبعادها المتباينة يقودنا إلى استنتاجات متباينة آخرها أن نوحا لايصلح لأن يكون ممثلا للشعب المختار بسبب انتمائه إلى الهوية الشمسية.. وعلى هذا لايبقى صالحا لهذه الصفة إلا سام الذى ظل على الهوية القمرية.. ونقول: سام فقط إذ أن يافث تابع.

وهكذ انتهى صراع القمر مع الشمس إلى التفرقة بين الابن وأبيه وبين الأخ وأخيه ومن ثم انقسمت سلالة نوح إلى قسمين: الساميين والحاميين نسبة إلى سام وحام.. وكما قلنا فرغم أن الأخوة تجمعهما إلا أن اختلاف الهوية فرق بينهما.. وهى كما رأينا فرقة مبنية على المغالطة إذ أن الاثنين فى الواقع ينتميان إلى الهوية الشمسية بحكم بنوتهما لنوح الذى انتقل من الهوية القمرية إلى الهوية الشمسية بحكم التطور.. ولكن الشعب المختار بحكم عقدة الأسر والاضطهاد فى مصر نقم على التطور الذى تمثله مصر ومن ثم تبرأ من أبوة نوح له كما تبرأ من أخوة حام واعتبر كلا منهما غريبا عنه.

## ١٢ - (الذات الشمولية) وراء قصة نوح:

قلنا إن قصة نوح تحمل أبعادا متباينة ومن ثم نتجت عنها مضامين متناقضة آخرها أن قصة نوح مع وضد التطور.. ولكن الواقع أننا لو توغلنا أكثر فى استقراء قصة نوح فسوف نكتشف أنها مع التطور قلبا وقالبا وذلك رغم أنف أو بالأصح رغم شعور ولا شعور الشعب المختار.. بمعنى أنه اذا كان الشعب المختار قد عبر عن موقفه المضاد للهوية الشمسية من خلال الشعور واللاشعور معا - مما نتج عنه التناقضات التى أشرنا اليها - ألا أن (اللاشعور الشمولى) له الغلبة على «اللاشعور الجمعى» وبالتالى على «الشعور الجمعى» وذلك بحكم تعلقه

بطبقة (الذات الشمولية) النهائية التى تؤثر على مايليها من طبقات اللاشعور والشعور الجمعيين وبالتالى الفرديين[1].. وعلى هذا الأساس سنثبت أن قصة نوح مع التطور قلبا وقالبا.

كما نعرف فإن (الذات الشمولية) = (الأم المطلقة) = (حواء) = (مصر) = (الهوية الشمسية) التى انتقل إليها نوح بعد رسو فلكه على الأرض حيث عمل بالزراعة.. والزراعة تؤدى إلى الاستقرار الذى يؤدى إلى انتقال المجتمعات البشرية من زواج المشاع إلى الزواج الفردى.. ومن هذا المنطلق نعود إلى (الاصحاح ٦) الذى يمهد لقصة نوح حيث نذكر هذين النصين المتتاليين:

**النص الأول:** «وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ووُلد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا».

**النص الثانى:** «فقال الرب لايدين روحى فى الإنسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة».

وسوف نخرج من هذين النصين بالآتى:

١ - فى النص الأول نجد أن شبهة زواج المشاع كانت سائدة بين أبناء (الله).. وفى النص الثانى نجد فيما قاله (الرب) مايعزز هذه الشبهة حيث أنه عاقب أصحابها بتحديد أعمارهم بمائة وعشرين سنة.. ويعزز هذا أيضا أن (الاصحاح ٥) السابق مباشرة للإصحاح الذى نحن بصدده يحدد أعمار آدم وسلالته بما يقرب من ألف عام.

٢ - أنه بعد النصين السابقين نجد نصا يقول: «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض.. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير». وعند كلمة «شرير» نجد إشارة بحرف (ش) تحيلنا إلى النصوص الآتية التى نفهم منها المقصود بزيغان البشر الذى وصفهم به (الرب) فى النص الثانى.. وهذه النصوص هى:

ا - «القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس من يعرفه».[2]

ب - «قال الجاهل فى قلبه ليس إله. فسدوا ورجسوا بأفعالهم. الكل قد زاغوا معا فسدوا»[3].

جـ - «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنا فسق».[4]

وواضح من هذه النصوص أن المقصود بالزيغان هو النجاسة والرجس والزنا.. وهى صفات تفرق بين زواج المشاع والزواج الفردى ومن ثم يكون استنتاجنا فى النقطة السابقة صحيحا.

---

(١) راجع بشأن ذلك الفصل الثاني عشر وبالذات تحت عنوان «نظرية الذات الشمولية».
(٢) «أرميا» (١٧ : ٩).
(٣) «مزامير» (١٤ : ١، ٣)
(٤) «متي» (١٥: ١٩)

٣ – بناء على ماسبق تصبح قصة نوح رمزا للانتقال من زواج المشاع إلى الزواج الفردى وهو مايشهد به النص «وكان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله» [١] ويعزز هذا:

ا – أن (الرب) استثنى نوحا من أصحاب زواج المشاع «وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب».[٢]

ب – أن نوحا لم تطبق عليه عقوبة تحديد سن أصحاب زواج المشاع بمائة وعشرين سنة «فكانت كل أيام نوح تسع مائة وخمسين سنة».[٣]

ولكننا رغم ذلك نجد أن نوحا بدلا من أن يتبع (الرب) يتبع (الله) «وسار نوح مع الله»[٤].. وهذا تناقض نفسره فى النقطة التالية:

٤ – سبق وقلنا إن (الله) = «إيل» إله الشعب المختار.. كما قلنا أيضا إن (الله) = «رع»[٥] إله المصريين.. وعندما نعود إلى النص الأول نجد أن أصحاب زواج المشاع هم أبناء (الله) الذين عاقبهم (الرب) ممثل الشعب المختار.. ومعنى هذا أن (الله) هنا يمثل «رع» إله الثقافة الشمسية التى يدينها الشعب المختار باتباع زواج المشاع رغم ما فى هذا من تناقض إذ أن الثقافة الشمسية تتعلق بالمجتمع الزراعى الذى يؤدى إلى الزواج الفردى.. ولكنه تناقض منطقى باعتبار رغبة الشعب المختار فى الحط من شأن الهوية الشمسية كما سبق وبينا.

٥ – إلحاقا بالنقطة السابقة نعيد قولنا بأن قصة نوح مع التطور رغم أنف أو بالأصح رغم شعور ولا شعور الشعب المختار.. بمعنى أنه إذا كان الشعب المختار قد عبر عن موقفه المضاد للهوية الشمسية من خلال الشعور واللاشعور معا – مما نتج عنه التناقض الذى أشرنا إليه إلا أن (اللاشعور الشمولى) له الغلبة على «اللاشعور الجمعى» وبالتالى على «الشعور الجمعى» وذلك بحكم تعلقه بطبقة (الذات الشمولية) النهائية التى تؤثر على ماليها من طبقات اللاشعور والشعور الجمعيين وبالتالى الفرديين.. وكما نعرف فإن (الذات الشمولية) = (الأم المطلقة) = (حواء) = (مصر) = (الهوية الشمسية) التى انتقل اليها نوح بعد رسو فلكه على الأرض وعمله بالزراعة التى تؤدى إلى الاستقرار الذى يؤدى إلى انتقال المجتمع من زواج المشاع إلى الزواج الفردى.

٦ – وبناء على النقطة السابقة نفهم النص «وسار نوح مع الله» بمعنى أنه سار مع الثقافة الشمسية التى انتمى إليها بعد رسو فلكه وعمله بالزراعة التى تؤدى إلى الزواج الفردى.. وإذا كان نوح وبنوه قد التزموا بالزواج الفردى منذ دخولهم الفلك – أى قبل رسوه على الأرض – فهذا

---

(١) «تكوين» (٦ : ٩).

(٢) «تكوين» (٦ : ٨)

(٣) «تكوين» (٦ : ٢٩)

(٤) «تكوين» (٦ : ٩)

(٥) راجع الفصل الثالث تحت عنوان «الرب لقب آدم التوراتي والرب الإله لقب الملك الفرعون».

يؤكد القول: «وسار نوح مع الله» بمعنى التزامهم مقدما بنظام الزواج الفردى الذى يتعلق بالمجتمع الزراعى ومن ثم التزامهم مقدما بالانتماء إلى المجتمع الزراعى بعد رسو الفلك.. وما نعنيه بالالتزام مقدما هو حتمية التطور بحكم أن (الله) = «رع» = الثقافة الزراعية.

وعلى ذلك فإن الفلك بمن فيه من ذكور وإناث يمثل الخلية التناسلية الحاملة لكروموسومى[1] الذكر والأنثى والسابحة في السائل المنوى (ماء الفيضان) سعيا إلى البويضة (الأرض) حيث تنبت الهوية القمرية الرعوية (الذكر) أو تنبت الهوية الشمسية الزراعية (الأنثى) .. وهو ما حدث مع نوح حين عمل بالزراعة.

٧ - بعد نهاية قصة نوح نجد (الله) - وليس (الرب) - يعقد ميثاقا مع نوح وبنيه «وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا. وها أنا مقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم.. أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان . ولايكون أيضا طوفان ليخرب الأرض»[2]

فباعتبار أن قصة الطوفان تعنى قصة الخلق من جديد يمكننا ترجمة ميثاق (الله) لنوح وبنيه بأن قصة الخلق من جديد قد استقرت عليهم بعد خروجهم من الفلك وبأنها لن تعاد مرة أخرى مع أصحاب الهوية الشمسية التى يمثلونها.. أى مع مصر موضوع القضية ورائدة التطور.

٨ - ويؤكد النقطة السابقة أن (الله) صاحب الميثاق هو إله الشمس «رع» .والدليل على ذلك يتمثل فى الهوية الشمسية للميثاق الذى أعطاه لنوح وبنيه وهو قوس قزح أى نور الشمس الذى يظهر عندما تكثف الشمس المياه وتصعدها سحابا يتحول إلى مطر.. وهو مانجده فى نص الميثاق «وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل نوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر.. وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب. أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم».[3]

فالنص يشهد بأن علاقة الميثاق شمسية الهوية نسبة إلى «رع» إله الشمس لدى المصريين أى أنها بالتحديد مصرية الهوية ويؤكد ذلك أن كلمة «علامة» الواردة فى النص فوقها اشارة بحرف (ط) تحيلنا الى الميثاق المبرم بين (الله) وبين إبراهيم ونسله بشأن تطبيق شرعة الختان المصرية «يختن منكم كل ذكر.. فيكون علامة بينى وبينكم».[4]

---

(١) الكروموسومات هي حاملة الجينات التي تنقل الصفات الوراثية من الأم والأب الي الجنين مثل اللون والطول والطباع. ويحتوي الحيوان المنوي من الكروموسات علي ٢٣ زوجا عاديا علاوة علي زوج واحد محدد للجنس (ذكر أو أنثي) فالمجموع ٤٨ كروموسوم. والذكر يحتوي علي ٢٣ زوجا عاديا + كرو / س + كرو /ص (ص تعني مولودا ذكرا) والأنثي تحتوي علي ٢٣ زوجا عاديا + كرو /س + كرو س. فالأنثي تحمل كروموسوم الجنس س س والذكر يحمل كروموسوم الجنس س، ص وبعد عملية التلقيح وتكوين الزيجوت أي النطفة يصبح عدد الكروموسومات ٤٦ + س + ص في حالة الجنين الذكر او ٤٦ + س + س في حالة الجنين الأنثي.

(٢) «تكوين» (٩ : ٨ - ١١)

(٣) «تكوين» ( ٩ : ١٢ - ١٥ ) .

(٤) «تكوين» (١٧ : ١٠، ١١).

ولكن رغم ذلك فإننا نجد فوق كلمة (قوسى) الواردة فى نفس النص إشارة بحرف (ظ) تحيلنا إلى قول النبى حزقيال: «كمنظر القوس التى فى السحاب يوم مطر.. هذا منظر شبه مجد الرب».(١) فالشعب المختار المتمثل فى (الرب) ينسب إلى نفسه عن طريق التشبيه مجد الشعب المصرى المتمثل فى «رع».

٩ - سبق وبينا أن (نوح = آدم) وقد توصلنا إلى ذلك عن طريق قصة نوح من حيث هى ضد التطور.. ولكن بما أننا توصلنا إلى أن نوح رائد للتطور.. وبما أن (نوح = آدم). فمعنى ذلك أن آدم هو أيضا رائد للتطور وإن كانت التوراة قد صورته على عكس ذلك كما فعلت مع نوح.. وإذا كنا سندلل على ذلك بأسطورة لا علاقة لها بالتوراة فلا نظننا مخطئين حيث إن التوراة ذاتها صورت قصة خلق آدم متأثرة بأسطورة خلق «أتوم» كما سبق أن بينا.

والأسطورة التى نعنيها «قد فصلها جريجوريوس بن أهرون المعروف بابن العبرى(٢) فيما ملخصه أن آدم ولد له أربعة: قايين وأخته قليما (توأمان) ثم هابيل وأخته لبوذا (توأمان) - فأراد آدم ألا يتزوج الأخ بأخته التوأم بل يتزوج بتوأمة أخيه. فرفض قايين أمر أبيه. ثم قدم الأخوان قربانا للرب فلم يقبل قربان قايين فغضب وقتل أخاه حتى يتزوج بأخته» (٣)

فبعيدا عن رمزية آدم للشعب المختار وباعتبار رمزية قايين للهوية الشمسية ورمزية هابيل للهوية القمرية.. فإن موقف آدم فى هذه الأسطورة يمثل خطوة تطورية هامة بشأن الزواج وهى تحريم زواج الأخ بأخته.

١٠ - وخلاصة النقاط السابقة أن نوحا عندما كان داخل الفلك كان ينتمى إلى الهوية القمرية التى تحمل بذرة التطور إلى الهوية الشمسية.. وأنه بعد خروجه من الفلك انتمى إلى الهوية الشمسية فسار بذلك فى طريق التطور «وسار نوح مع الله» أى مع الإله «رع».. ولو أن نوحا سار مع (الرب) أى مع الشعب المختار لظل الشعب المختار منتميا إلى الهوية القمرية الرعوية ولظل قبيلة كما هو.. أو لظل شعبا بالوهم.

فالشعب المختار حين تصدى للتطور شعوريا ولا شعوريا للأسباب التى نعرفها والتى ترجع فى النهاية إلى موقفه المضاد لـ (الذات الشمولية) التى تمثلها مصر.. فهو بذلك قد تجاهل أن عجلة التطور تديرها قوة (الذات الشمولية) صاحبة الغلبة النهائية.. ومن ثم فإن (اللاشعور الشمولى) الذى يخص (الذات الشمولية) غلب الشعور واللاشعور الجمعيين لدى الشعب المختار وجعله يقول: «وسار نوح مع الله» ومن ثم أصبح شعبا بالفعل.. وإذا كان قد تأخر كل ذلك الزمن فلأنه بدلا من أن يسلم بمثياق (الله) المتمثل فى قوس قزح رمز الثقافة الشمسية أى رمز التطور - فإنه بدلا من ذلك عمل بقول النبى حزقيال حين شبه قوس قزح بمجد (الرب) ممثل الشعب المختار فنسب إلى نفسه توهما مجد «رع» ممثل الشعب المصرى.

---

(١) «حزقيال» (١: ٢٨)

(٢) توفي سنة ١٢٨٦م

(٣) «رحلة بني إسرائيل إلي مصر الفرعونية والخروج» ص (٣٦).

# الفصل السادس عشر

# قراءة فى قصة إبراهيم

■ **استمرار مغزى سلالة آدم وسلالة نوح فى قصة إبراهيم**

○ الشعب المختار بين تصديقه وعدم تصديقه لقصة إعادة الخلق من جديد.

■ **اسحق بدلا من إسماعيل .. لماذا؟**

○ المفهوم التقليدى بشأن الابن الذبيح.

○ المفهوم الجديد بشأن الابن الذبيح عن طريق المقابلة بين (قايين وهابيل) و(اسماعيل واسحق).

■ **تفسير مسألة قتل (موسى المصرى):**

○ قتل موسى المصرى وموقف الشعب المختار ضد التطور.

■ **إبراهيم يدعى أن سارة أخته وليست زوجته.. واستمرار تفسير مسألة قتل (موسى المصرى).**

○ الفرق بين تصرف إبراهيم وتصرف الفرعون.

○ قتل (موسى المصرى) يرجع إلى رفض الشعب المختار لـ (الذات الشمولية).

■ **اسماعيل ابن الجارية (مصر) .. واسحق ابن الشعب المختار**

○ مغزى تحويل الاسم أبرام إلى إبراهيم.

○ فكرة «الشعب المختار» ترجع إلى عهد إبراهيم.

○ الأساس الخالص لتحقيق الذات.

○ مغزى طرد اسماعيل.

■ **فشلساراى فى منح اسحق الهوية المصرية**

○ مغزى تحويل الاسم ساراى إلى سارة.

■ **الميراث هو المحرك وراء قصة اسماعيل واسحق**

○ الختان بهدف الميراث بجانب هدف التحول إلى شعب وتفضيل الهدف الأول على الأخير.

■ **توظيف الدين لحساب الدنيا فى قصة إبراهيم**

○ إحالة خدعة إبراهيم بشأن زوجته إلى الحكمة الإلهية

○ إبراهيم يعيد الخدعة بشأن زوجته مع أبيمالك مسندا الحكمة الإلهية إلى (الله) بدلا من (الرب) واثبات أن (الرب) وراء (الله) فى كل ماحدث.

## استمرار مغزى سلالة آدم وسلالة نوح فى سلالة إبراهيم:

رأينا كيف حاول الشعب المختار تقديم القمر على الشمس عن طريق مبدأ قلب الأوضاع فى قصة نوح وولديه سام وحام.. والآن نجده يفعل نفس الشىء فى قصة إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحق.. الأمر الذى يشهد على فشله فى تحقيق هدفه حين أعاد قصة الخلق من خلال قصة نوح حيث نفى تاريخ مصر من الوجود لكى يجعل نفسه سابقا للشعب المصرى.. ولأن الشعب المختار قد فعل ذلك توهما وهو يجمع بين اللاشعور والشعور فهو بالتالى يجمع بين تصديق وهمه وبين الاعتراف بعكس ذلك.

فمن حيث تصديق الشعب المختار لوهم إعادته قصة الخلق نجد التوراة تقول بعد قصة نوح: «وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة» (1) .. فطبقا لأولوية الشعب المختار المطلقة وطبقا لوحدة اللغة فمعنى ذلك أنه كان الشعب الوحيد الذى يسكن الأرض قبل تنوع شعوبها وتباين لغاتهم وهو ماترمز إليه قصة برج بابل.(2). وما يرمز إليه أيضا أن أحد أحفاد سام – الممثل النهائى للشعب المختار – اسمه فالج (يعنى قسمة) «لأن فى أيامه قسمت الأرض»(3).. أى حسب قول ابن العبرى: قسمت على ولد نوح».(4).

وأما من حيث عدم تصديق الشعب المختار لوهم إعادة قصة الخلق فإننا نجد أن إبراهيم – سليل سام الممثل النهائى للشعب المختار – عندما أمره (الرب) بالخروج من أرضه التى يعيش فيها قال له: «إذهب.. إلى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة»(5). أى فأجعلك شعبا .. فها هو الشعب المختار الذى محى شعب مصر من الوجود وجعل نفسه أول الشعوب – ها هو يعترف بأنه ليس شعبا بالفعل.

والخلاصة أن قصة الخلق من جديد التى نفذها الشعب المختار من خلال قصة نوح فشلت فى تحقيق الهدف منها ومن ثم كان على الشعب المختار أن يعيد الكرة فى قصة ابراهيم بالمقابل لقصة آدم متخطيا قصة نوح وهو مايعنى العودة إلى قصة الخلق الأصلية.. ومايعنى أيضا التأكيد على رفض الشعب المختار أن يكون نوح ممثلا له.. وعلى هذا الأساس سنتناول قصة إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحق كمقابل لقصة آدم وولديه قابين وهابيل.. وسنترك للقارىء أن يطبق ماسنقدمه بشأن ذلك على قصة نوح باعتبار أن حام يقابله قابين وأن سام يقابله شيث بديل هابيل.. وإن كنا سنشير فى الهوامش إلى بعض مايتعلق بهذا الشأن.

---

(1) تكوين (11 : 1)

(2) «تكوين» (الاصحاح 11).

(3) «تكوين» (10 : 25).

(4) «قصار لبني سام: وسط المعمورة. فلسطين والشام وأشور والسامرة وبابل وفارس والحجاز. ولبني حام: افريقيا والزنج ومصر والنوبة والحبشة والسند والهند. ولبني يافث: الجربيا وهي الأندلس والافرنجة وبلاد اليونانيين والصقالبة والبلغار والترك والأرمن» (رحلة بني إسرائيل إلي مصر الفرعونية والخروج ص 47).

(5) «تكوين» (12 : 1 ، 2).

## إسحق بدلا من إسماعيل.. لماذا؟

واضح من هذا العنوان أننا بصدد مسألة الخلاف بين أيهما الابن الذبيح: إسماعيل أم إسحق؟

وقبل أن نتناول هذه المسألة نشير أولا إلى أن القرآن الكريم لم يحدد اسم الذبيح.. وفي هذا يقول د. عبدالواحد وافي[1]: إن أهل العلم من المسلمين اختلفوا هل الذبيح هو اسحق أم اسماعيل.. فذهب بعضهم وعلى رأسهم ابن جرير الطبرى إلى أنه اسحق وذهب البعض الآخر وعلى رأسهم الحافظ بن كثير إلى أنه اسماعيل.

وإذا كنا نرى من وجهة نظرنا أن الذبيح هو أسماعيل فسوف نستند أولا إلى وجهة نظر د. عبدالواحد حيث يقول: «ولكننى وإن كنت لا أستطيع أن أقطع بأحد هذين الرأيين أجنح إلى ترجيح الرأى القائل بأن الذبيح هو اسماعيل لأدلة كثيرة من أهمها مايلى:

١ - أن الفقرة الثانية من الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين تذكر فى صدرها أن الذبيح كان حينئذ الابن الوحيد لابراهيم أى الذى لم يكن له سواه.. والغلام الذى كان وحيدا لإبراهيم فى مرحلة طويلة من طفولته هو اسماعيل . أما اسحق فإنه لم يكن وحيدا لابراهيم فى أية مرحلة من مراحل حياته فقد ولد اسحق بحسب ماورد فى سفر التكوين نفسه ولاسماعيل نحو أربع عشرة سنة (وازن بين فقرة ١٦ من اصحاح ١٦ وفقرة ٥ من أصحاح ٢١ من سفر التكوين) وبقى اسماعيل إلى أن مات ابراهيم وحضر إسماعيل وفاته ودفنه. فيظهر أن الذين حرروا سفر التكوين قد نقلوا صدر هذه الفقرة (خذ ابنك وحيدك) عن التوراة الحقيقية ثم أقحموا اسم اسحق ليثبتوا هذا الفضل لأبيهم هم بدون أن يفطنوا إلى تعارض ما أقحموه مع ما ورد فى صدر الفقرة من وصف الولد بأنه كان حينئذ وحيدا لابراهيم.

٢ - أن القرآن الكريم قد بدأ هذه القصة بقوله: «فبشرناه بغلام حليم»[2]. ثم ذكر ما أصاب هذا الغلام الحليم من محاولة ذبحه وفدائه بذبح عظيم ثم قال بعد فراغه من هذه القصة مباشرة: «وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين»[3]. فتسلسل القصة فى القرآن الكريم على هذا النسق يكاد يكون دليلا قاطعا على أن الغلام الحليم الذى كان موضعا لهذا الا بتلاء الإلهى هو غير اسحق.

٣ - أن القرآن الكريم يذكر أن الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى بالبشرى إلى إبراهيم قد بشروا زوجه سارة بأن الله تعالى سيرزقها بولد يسمى اسحق وأن هذا الولد سيولد له ابن يسمى يعقوب وذلك إذ يقول: «ولقد جاء ت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام.... وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب»[4]. ولايقبل أن يبشر الله تعالى إبراهيم باسحق وينبئه بأنه سيولد لاسحق ولد يسميه يعقوب ثم يأمر بأن يذبح اسحق وهو غلام

---

(١) فى مقال نشر بمجلة آخر ساعة (العدد ٣١٥٩ بتاريخ ١٠ مايو ١٩٩٥) تحت عنوان (أيهما الذبيح.. اسحاق أم اسماعيل؟).

(٢) «الصافات» (١٠١).

(٣) «الصافات» (١١٢)

(٤) «هود» (٦٩ - ٧١).

لم يتزوج بعد ولم يعقب. ويدل على ذلك قوله تعالى فى قصة الذبيح: «فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك» وبلوغ السعى معناه بلوغ السن التى يساعد فيها أباه فى أعماله. والعرب تستخدم هذه العبارة حينما يقوى الغلام على العمل ويكون ذلك زهاء الثالثة عشرة من عمره.

٤ – أن الله تعالى يقول فى كتابه الكريم «وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين» فكيف يأمره بذبحه وهو غلام وقد وعد بأنه سيكون نبيا. ولم يكن نبيا بعد. ولاتكون النبوة إلا فى نحو سن الأربعين.

ونضيف إلى ماقدمه د. عبدالواحد وافى أن قيمة التضحية تزداد عندما يكون الذبيح هو الابن البكر وهو اسماعيل.

وقبل أن نكتشف الجنور الأصلية وراء الخلاف حول الذبيحين سنتعرف أولا على المفهوم التقليدى بشأنه حيث يرجع مسألة (اسماعيل واسحق) إلى التنافس القديم بين العرب أبناء إسماعيل واليهود أبناء اسحق.. وإذا كنا لانختلف حول هذا المفهوم من حيث مضمون التنافس إلا أن التنافس هنا قائم بين طرفين رعويين أى – طبقا لموضوع بحثنا – بين طرفين قمريين.. وكما يقول د. سيد القمنى: «هنا يكمن السر فى تنافس العرب واليهود (وكلاهما راع) فى تأكيد القمر لنفسه بأنه كان المذبوح للرب – مشخصين فى اسماعيل واسحق».(١) .. ولكن لأن قضية الشعب المختار فى رأينا ترجع أصلا إلى تنافس القمر مع الشمس فمن هنا نرى أن هذا المفهوم يقتصر على بعد قريب لايطول البعد الحقيقى للشعب المختار.. وعلى هذا سنستمر مع مفهومنا مبينين إياه عن طريق المقابلة بين مسألة (قايين وهابيل) ومسألة (اسماعيل واسحق).

فمن حيث الأب نجد أن قايين وهابيل ينتميان إلى أب عبرى باعتبار أن آدم التوراتى يمثل الشعب المختار.. ويقابل ذلك أن اسماعيل واسحق ينتميان إلى أب عبرى باعتبار أن ابراهيم أبو القبيلة العبرية التى تمثل الشعب المختار.

ومن حيث الأم نجد أن قايين بصفته (ابن أمه) ينتمى إلى مصر ويقابل ذلك أن اسماعيل ابن هاجر المصرية .. كما نجد أن هابيل بصفته (ابن ابوه) ينتمى إلى العبريين ويقابل ذلك أن اسحق ابن سارة العبرية.

ونخرج مما سبق بالآتى:

١ – أن الانتماء إلى الأب يجمع ين الثنائى (قايين وهابيل) والثنائى (اسماعيل واسحق).

٢ – أن الانتماء إلى الأم يفرق بين طرفى كل من الثنائيين حيث نتج عنهما ثنائيان آخران هما (قايين واسماعيل) و(هابيل واسحق).

---

(١) «الأسطورة والتراث» (ص ٩٨).

وباعتبار أن الأم المصرية تمثل الثقافة الشمسية وأن الأب العبرى يمثل الثقافة القمرية.. فمعنى ذلك أن الشمس - بحكم تفرقتها لوحدة كل من الثنائيين المبنية على الانتماء إلى الأب - لها الغلبة على القمر.. ولأن هذا لايرضى الشعب المختار فقد كان عليه أن يعيد ما فعله فى قصة قايين وهابيل بأن ينفذ مبدأ قلب الأوضاع على اسماعيل واسحق وأيضا على أم كل منهما.. وفيما يلى بيان ذلك بالمقابل لما استنتجاه فى قصة قايين وهابيل وذلك على أساس أن اسماعيل يقابل قايين[1]. وان اسحق يقابل هابيل.

١ - اسماعيل هو الابن البكر ويليه اسحق.. ويقابل ذلك أن قايين هو الابن البكر ويليه هابيل

٢ - إحلال اسحق محل اسماعيل يعنى رفض الشعب المختار أن يكون اسماعيل هو القربان المقدم إلى (الرب).. ويقابل هذا رفض (الرب) لقربان قايين وقبوله قربان هابيل.. وهو مايعنى قبول شخص هابيل كقربان باعتبار أن القربان يمثل صاحبه.

٣ - إحلال اسحق محل اسماعيل ينتج عنه إنقاذ الأخير من الذبح عن طريق تقديم الخروف بدلا منه.. ويقابل هذا حماية قايين من القتل عن طريق علامة الختان الذى يعتبر بديلا للقربان البشرى.

٤ - فداء كل من اسماعيل واسحق بالخروف يعنى إنقاذ الاثنين من الموت عن طريق القربان البديل . ويقابل هذا انقاذ قايين وهابيل من الموت: الأول عن طريق الختان بديل القربان.. والآخر عن طريق إحيائه من الموت بإضفاء صفات قربان أخيه الحى عليه من خلال طقوس قربان الفصح - ومنها الختان - الذى يمثل العبريين وبالتالى هابيل.

٥ - إحلال اسحق (المقابل لهابيل الراعى) محل اسماعيل (المقابل لقايين الزارع) يعنى الوقوف فى وجه التطور من المجتمع الرعوى إلى المجتمع الزراعى.. ويقابل هذا قولنا السابق بأن مضمون قصة قايين وهابيل يتخطى العداء للشعب المصرى (الزراعى) إلى العداء لشعوب العالم إلى العداء للتطور.

٦ - مقابلة اسماعيل بقايين واسحق بهابيل تجعل اسماعيل مقابلا لـ(موسى المصرى) واسحق مقابلا لـ(موسى المدينى).. وعلى هذا فإن إحلال اسحق محل اسماعيل يقابل إحلال (موسى المدينى) إبن الثقافة القمرية محمل (موسى المصرى) إبن الثقافة الشمسية.. ويقابل ذلك رفض قايين (ابن امه) وقبول هابيل (ابن ابوه).

وهنا نتوقف عند ملحوظة وهى أن قتل قايين الذى يقابل (موسى المصرى) لهابيل الذى يقابل (موسى المدينى) يتناقض مع قتل العبريين - الذين يمثلهم هابيل - لموسى المصرى [2].. وسوف نفسر هذا التناقض تحت العنوان التالى.

(١) إذا كانت مقابلة اسماعيل بقايين تعني أنه قاتل مثله فقد سبق وتوصلنا إلي أن القاتل الحقيقي هو الشعب المختار.

(٢) طبقا لما ورد في كتاب فرويد «موسي والتوحيد» حيث يري أنه كان يوجد موسيان. وسوف نبين فيما بعد أنه لم يكن يوجد سوي موسي واحد.

## تفسير مسألة قتل (موسى المصرى) :

قلنا إن قتل قايين الذى يقابل (موسى المصرى) لهابيل الذى يقابل (موسى المدينى) يتناقض مع قتل العبريين – الذين يمثلهم هابيل – لـ (موسى المصرى).. وردا على ذلك نقول إن الأمر قد انتهى إلى إضفاء ديانة (موسى المصرى) الشمسية على ديانة (موسى المدينى) القمرية وهو مايعنى غلبة (موسى المصرى) على (موسى المدينى) وبالتالى غلبة الثقافة الزراعية على الثقافة الرعوية.. وهو ما يعنى غلبة التطور كما فى قصة نوح.

وما نعنيه هو أن التناقض المتمثل فى قتل (موسى المصرى) قد حدث استثناء بسبب موقف الشعب المختار المضاد للتطور المتمثل فى الثقافة الزراعية.. وقد قلنا (استثناء) لأن الطبيعى أن يقتل (بمعنى يغلب) الأكثر تطورا الأقل تطورا مثلما قتل قايين الزارع هابيل الراعى.. وقبل أن يقال إن هذا الذى حدث فى قصة قايين وهابيل يتمشى مع منطق التطور نعود ونذكر المفهوم التقليدى للقصة وهو أن الهدف من قتل هابيل هو الايهام بأن الشعب المختار ضحية وذلك تأكيدا لفكرة الشعب المضطهد.. ولكن لأن التطور كحقيقة ينفى فكرة الاضطهاد كوهم فإنه يمكن تفسير قتل (موسى المصرى) الاستثنائى بأن الهدف منه هو التظاهر بالانتقام من الثقافة المصرية الزراعية من أجل جعلها مصدرا للاضطهاد لامظهرا للتطور.

كما وأن هناك تفسيرا آخر لقتل (موسى المصرى) نقدمه تحت العنوان التالى:

## ابرام يدعى أن ساراى اخته وليست زوجته
## واستمرار تفسير مسألة قتل (موسى المصرى)

قلنا إن هناك تفسيرا آخر – غيرما قدمناه – لقتل (موسى المصرى) وهو تفسير يرجع إلى زمن سابق لزمن موسى حين وقع أول احتكاك للعبريين مع مصر عندما قدموا إليها كقبيلة يرأسها ابراهيم (ابرام) وحيث يروى لنا الاصحاح (١٢) من سفر التكوين أن ابرام طلب من زوجته الجميلة ساراى الادعاء بأنها اخته حتى لايطمع فيها المصريون فيقتلونه [١] ليستولوا عليها «قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك».. وكانت النتيجة أن الفرعون أعجب بجمال ساراى فتزوجها وأغدق على ابرام باعتباره أخاها «وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال» .. ثم لم يلبث الفرعون أن اكتشفت الحقيقة فعاتب ابرام ورد إليه زوجته وطلب منه الخروج من مصر بما أغدق عليه «فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له» أى أن الفرعون اكتفى بأن حكم عليه بالخروج من مصر [٢] معززا مكرما ولم يكن ليلام لو أنه قتله بسبب ماحدث..

---

(١)«كيف يخشي ابراهيم من القتل بعد أن وعده الله بأنه سيجعله أمة عظيمة وأن نسله سيرث الأرض الموعودة. ولم يكن قد أنجب بعد؟ (التناقض فى تاريخ وأحداث التوراة ص ٣٨).

(٢) وهنا نشير إلي أن تاريخ الشعب المختار فيه خروجان: الأول في عهد ابراهيم والآخر في عهد موسي.. وبالتالي فهناك دخولان: الأول فى عهد ابراهيم والآخر في عهد يوسف.

فهذه الواقعة بما تحمله من أبعاد لاشك أنها تنوقلت عبر سلالة ابرام على المستويين التاليين :

- مستوى شعورى يتجاهل تصرف الجد ابراهيم ويصور كرم الفرعون الذى بدلا من أن يقتله أخرجه من مصر بما أغدق عليه - يصور هذا على أنه حرمهم من الأرض الموعودة مصر.
- ومستوى لا شعورى يقر بعلو تصرف الفرعون على تصرف ابراهيم وبالتالى يقر بعلو الثقافة الشمسية (المصرية) على الثقافة القمرية (العبرية).

ولا عجب فى ذلك والأخلاق قد نشأت فى مصر ومن ثم (الدين الاختيارى) الذى يخص (موسى المصرى).. فمن البديهى إذن أن ينتقل العداء لمصر من الجد ابراهيم إلى الجيل الذى عاصر (موسى المصرى) وذلك على المستويين الشعورى واللاشعورى اللذين ذكرناهما.. وبهذا نكون قد بينا أن قتل (موسى المصرى) يرجع سببه إلى زمن سابق لزمانه[1] .. كما وأن خروج العبريين من مصر على يده جعلهم يشعرون بعلوه عليهم مثلما حدث مع جدهم إبراهيم عندما شعر بعلو الفرعون عليه.

أما السبب الأبعد من كل ماذكرناه والذى يكفى وحده لقتل (موسى المصرى) فهو انتماؤه إلى الثقافة الشمسية التى تمثل (الأم الشمولية) أى (الذات الشمولية) التى يرفضها الشعب المختار.. وهذا يقودنا الى موضوع الأم بالنسبة لاسماعيل واسحق.

## اسماعيل ابن الجارية (مصر) ..واسحق ابن الشعب المختار:

سنبحث الآن قصة ولادة اسماعيل ثم اسحق وذلك بالمقابل لما سبق أن استنتجناه من قصة قايين وهابيل.. وسنبدأ بولادة اسماعيل حيث نقرأ فى سفر التكوين «وأما ساراى امرأة ابرام فلم تلد له.. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر».[2]. فساراى - أى سارة - تنتمى إلى الهوية العبرية.. أما هاجر فتنتمى إلى الهوية المصرية هوية حواء فى قصة قايين وهابيل.. ولأن حواء = (الذات الشمولية) التى يرفضها الشعب المختار فمن هنا كانت هاجر جارية.

ويستمر سفر التكوين فى الحكاية «فقالت ساراى لابرام هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة.. ادخل على جاريتى. لعلى أرزق منها بنين[3]. فسمع ابرام لقول ساراى.. فدخل على هاجر فحبلت»[4].. فكما قلنا سابقا فإن الهوية العبرية رغم رفضها للهوية المصرية أو (الذات الشمولية) إلا أنها تقبلها على مضض لحاجتها إليها من أجل تحقيق الذات.. وعلى هذا الأساس سننظر فى وضع ساراى وابرام.

---

(١) ولا يؤثر علي هذا الاستنتاج أن إبراهيم بعد خروجه من مصر قد فعل المثل مع أبيمالك ملك جرار (تكوين. الاصحاح ٢٠) وذلك لأن قضية الشعب المختار تدور حول علاقته بمصر - الأرض الموعودة قبل أرض كنعان - وما عدا ذلك ليس له تأثير علي هذه القضية.

(٢) «تكوين» (١٦ : ١) .

(٣) أو أتبني منها كما جاء في الهامش الخاص بالنص.

(٤) «تكوين» (١٦: ٢).

فبالنسبة إلى ساراى فهى بعدم انجابها تمثل بالنسبة لابرام وضع حواء المنفية لدى آدم فى قصته بالتوراة وفى أسطورته بالتلمود.. وعلى هذا فإن ساراى تقبل على مضض أن تنجب من جاريتها المصرية من أجل إثبات ذاتها المنفية لدى زوجها ابرام باعتباره مقابلا لآدم.

وأما بالنسبة إلى ابرام فإن تحقيق الذات لديه يعنى تحول قبيلته إلى شعب.. ولأن شرط التحول إلى شعب هو العقل الاختيارى الذى يتعلق بـ(الذات الشمولية) التى تمثلها هاجر والتى يرفضها ابرام.. فقد قبل على مضض أن ينجب منها.. ولأن الابن الذى أنجبته يعتبر (ابن أمه) المصرية مثل قايين.. ولكى يجعله ابرام (ابن ابوه) العبرى مثل هابيل.. فمن هنا اختار له اسما يتعلق بالإله العبرى «إيل» وهو الاسم اسماعيل الذى يعنى يشمع «إيل» أى يسمع (الله).. ومعنى هذا أن ابرام جمع فى شخص اسماعيل ماحدث لشخصى قايين وهابيل عندما رفض «الرب»[١]. قربان قايين وقبل قربان هابيل.. ولأنه نتج عن ذلك موت هابيل فمعنى هذا أن اسماعيل بحكم جمعه لشخصى قايين وهابيل يجمع بين قايين الحى وهابيل الميت[٢].. وطبقا لمبدأ خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى كان محتما إرجاع اسماعيل إلى هويته المصرية.. وكما حدث مع هابيل عندما تم إحياؤه عن طريق الختان الذى يتعلق بالهوية المصرية فكذلك حدث مع اساعيل «فأخذ ابراهيم اسمعيل ابنه وجميع ولدان بيته.. وختن لهم غرلتهم».[٣].

وكما قلنا فإن الهدف من ذلك هو تحول قبيلة ابراهيم إلى شعب .. ومن هنا نجد الختان مرتبطا بوعد (الله) لابرام بأن يكون أبا لجمهور من الأمم حيث أن صفة شعب لاتناسبها محدودية عدد أفراد قبيلته .. ومن هنا حول (الله) اسم ابرام الذى يعنى الباب العالى إلى ابراهيم الذى يعنى أبا جمهور «فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم. لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم»[٤] .. ويؤكد قولنا بأن الهدف من تكثير قبيلة ابراهيم هو تحولها إلى شعب أن عهد (الله) مع ابراهيم يرتبط بوعده إياه بأرض كنعان (وطنا) حيث أنه لا شعب بدون وطن «وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان»[٥].

وقد بينا سابقا أن المعاهدة الإلهية بشأن أرض كنعان هى فى حقيقتها معاهدة بشرية بين الشعب المختار ونفسه أى معاهدة بينه وبين (الرب) الذى يمثله.. كما بينا أن الشعب المختار نسب هذه المعاهدة البشرية إلى (الله) لكى يمنحها قوة الشرع الإلهى حتى يقدر على تحقيقها.. وعلى هذا فإن (الرب) قبل أن يعد ابرام بأرض كنعان يحرص على أن يتكلم باسم (الله): «ظهر الرب لابرام وقال له أنا الله القدير»[٦] .. وترجمته وفقا لمنطقنا: ظهر الشعب المختار لابرام وقال له أنا (الله) القدير.. ونلاحظ اختياره صفة «القدير» التى تتفق وتحويله المعاهدة من بشرية إلى

---

(١) نلاحظ أن ابرام يقابل (الرب) وقبل ذلك لاحظنا أنه يقابل آدم. و(الرب) وآدم كلاهما يرمزان الي الشعب المختار.

(٢) لاحظ مبدأ الازدواجية المعهود في تاريخ الشعب المختار.

(٣) «تكوين» (١٧ : ٢٣).

(٤) «تكوين» (١٧ : ٥)

(٥) «تكوين» (١٧ : ٨).

(٦) «تكوين» (١٧ : ١)

إلهية حتى يقدر على تحقيقها.. كما نلاحظ أن «الشعب المختار» هنا يمثل إرهاصة رؤية ابرام بشأن تحول قبيلتــه إلى شعب وهى الإرهاصــة المتمثـلة فى تكثير عـدد أفراد قبيلته «وأكثرك كثيرا جدا» (١)... والمتمثلة كذلك فى تحويل اسمه من ابرام إلى ابراهيم الذى يعنى أبا جمهور.

ومانعنيه هو أن فكرة «الشعب المختار» التى لجأ اليها العبريون للخلاص من الأسر بمصر والخروج الثانى - هذه الفكرة لها أصل يرجع إلى عهد ابرام كرد فعل للخروج (الأول) من مصر بسبب ادعائه أن زوجته هى أخته.

ومن أجل إنماء البذرة التى نبتت بشأن فكرة «الشعب المختار».. ولأن أساس قيام شعب هو أن يكون (أولا) مستقل الهوية ثم تضاف اليه (ثانيا) هوية (الذات الشمولية) شرط التحول إلى شعب وهى هنا الهوية المصرية.. فمن أجل تحقيق ذلك كان لابد من وجود ممثل للشعب المختار ينتمى إلى الهوية العبرية الخالصة.. ولأن هذا الشرط لاينطبق على اسماعيل الذى يجمع بين الهوية المصرية من أمه هاجر والهوية العبرية من أبيه ابراهيم.. فقد كان لابد من وجود ابن ينتمى إلى أبويه العبريين ابراهيم وسارة.. وهذا الابن هو اسحق.. ولأنه الابن المفضل للأسباب التى بيناها فقد تم طرد اسماعيل من أسرة ابراهيم مثلما سبق طرد قايين من لدن (الرب).. ومثلما حدث فيما بعد عندما تخلى الشعب المختار عن (موسى المصرى) وفضل عليه (موسى المدينى).. ولأن تحقيق الذات يحتاج إلى الجمع بين الموسيين فقد تم إضفاء ديانة (موسى المصرى) على ديانة (موسى المدينى).. ويقابل هذا ماسنراه الآن من إضفاء هوية اسماعيل المصرية على هوية اسحق العبرية.

## فشل ساراى فى منح اسحق الهوية المصرية

انتهينا إلى أن اسحق بهويته العبرية الخالصة يحقق الأساس المطلوب لقيام شعب وهو استقلال هويته (أولا) ثم (ثانيا) إضافة (الذات الشمولية) - شرط تحقيق الذات - إليه.. وهى هنا الهوية المصرية.. وقد حدث ذلك عن طريق محاولتين: الأولى تخص ساراى وقد انتهت بالفشل والثانية تخص ابراهيم.. وسوف نتناول كل محاولة على حدة.

ولكى نوضح فشل محاولة ساراى نعيد قولنا بأن شرط التحول إلى شعب هو العقل الاختيارى المتعلق بالهوية المصرية التى تفتقر إليها ساراى.. وكما نعرف فإن العبريين اضطروا إلى قبول الهوية المصرية على مضض من أجل التحول إلى شعب.. ولكن ساراى - كامرأة - عز عليها أن تفعل ذلك بسبب غيرتها من ضرتها هاجر.. ومن ثم قررت أن تعوض افتقارها إلى الهوية المصرية بإعلاء هويتها العبرية على هوية هاجر المصرية وذلك بتحويل اسمها من ساراى

---

(١) «تكوين» (١٧ : ٢).

إلى سارة الذى يعنى رئيسة [1] .. فالرئاسة تعنى العلو فكأن سارة برئاستها قد أعلت هويتها على هوية هاجر .

## الميراث هو المحرك وراء قصة اسماعيل واسحق

بعد فشل محاولة سارة فى اكتساب الهوية المصرية بسبب غيرتها النسائية من ضرتها هاجر.. يجيء دور ابراهيم الذى اكتسب الهوية المصرية عن طريق الختان «فأخذ ابراهيم اسمعيل ابنه وجميع ولدان بيته.. وختن لهم غرلتهم.. وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم غرلته»[2].

ولكن يستوقفنا هنا أن ختان ابراهيم قد تم مع ختان اسماعيل قبل ولادة اسحق.. ثم يستوقفنا بعد ذلك أن اسحق قد ختن «وختن ابراهيم اسحق ابنه» [3]. وهو مايعنى حل قضية منحه الهوية المصرية.. الأمر الذى يجعلنا نتساءل: لماذا كانت محاولة سارة وإبراهيم لاكتساب الهوية المصرية قبل ولادة اسحق؟

لكى نجيب عن هذا السؤال نذكر قول سارة لابراهيم بشأن اسماعيل: «ابن هذه الجارية لايرث مع ابنى اسحق»[4] .. وهو قول يقودنا إلى مرحلة الانتقال من مجتمع الأم إلى مجتمع الأب.. وفى رأينا أن هذا هو المحور الأصلى الذى تدور حوله قصة اسماعيل واسحق.. وعلى هذا الأساس نقدم النقاط الآتية:

١ – أن المجتمع الأبوى يرتبط بالزراعة حيث الاستقرار الذى نتج عنه نظام الملكية الفردية ومن ثم نظام توريث الأبناء ثروة الآباء وهو ماينطبق على المجتمع المصرى الذى احتك به ابراهيم أثناء تواجده فى مصر.. وهنا نلاحظ أن القضية التى نبحثها قد أثيرت بعد خروجه من مصر محملا بما أغدقه علية الفرعون «فصعد ابرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب. وكان ابرام غنيا جدا فى المواشى والفضة والذهب»[5].. وابرام حتى الآن لم يكن له أولاد فمن الطبيعى أن يفكر فيمن سيرث ثروته.

٢ – ونتوقف عند مسألة توريث الثروة للأبناء لنعرض ما ذكره انجلز[6]. بشأن أحد أشكال الزواج الفردى التى انتهى إليها المجتمع الأبوى حيث كان الرجل يعتبر أبناء أخيه أبناء ه

---

(١) «وقال الله لابراهيم ساراي امرأتك لاتدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا» (تكوين ١٧ : ١٥، ١٦) ونلاحظ أن تحويل الاسم ساراي إلي مايعني الرئاسة قد ارتبط بوعد الله لابراهيم بأن يعطيه منها ابنا وهو اسحق.

(٢) «تكوين» (١٧ : ٢٣ ، ٢٤).

(٣) «تكوين» (٢١ : ٤).

(٤) «تكوين» (٢١: ١٠).

(٥) «تكوين» (١٣ : ١ ، ٢).

(٦) «أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية» (ص ١٨).

ومن ثم يرثونه مثل ابنائه.. وعلى هذا يكون الوريث المرشح لثروة ابراهيم هو لوط ابن اخيه(١). الذى خرج معه من مصر. ولاشك ان هذا قد سبب قلقا لابراهيم وأثار لديه الرغبة فى أن يكون له وريث من صلبه .. والدليل على ذلك أننا نجده فى هذه الفترة بالذات يخاطب ربه لأول مرة بشأن النسل «انك لم تعطنى نسلا وهوذا ابن بيتى وارث لى».(٢).

٣ – وطبيعى أن تقلق سارة لفقدان ثروة زوجها حين يرثها وريث من غير صلبه.. لاسيما وأن هذه الثروة قد تضاعفت بعدما أغدقه أبيمالك ملك جرار عندما كرر ابراهيم معه قصته مع الفرعون حيث ادعى أن سارة اخته وليست زوجته.. فهذه الثروة الضخمة اضطرت سارة إلى أن تطلب من ابراهيم الدخـول على جاريتها هاجر «ادخـل على جاريتـى لعلى أرزق منها بنين»(٣). أو طبقا لهامش النص «لعلى أتبنى منها» وذلك تأكيدا لنفى نسبة الوليد إلى أمه ونسبته إليها وهو مايعنى نفى هويته المصرية ونسبته إلى الهوية العبرية لتأكيد أحقيته فى ميراث أبيه العبرى.. ولكننا رغم ذلك نجد أن سارة قد حاولت الانتماء إلى الهوية المصرية وأن ابراهيم قد انتمى إلى الهوية المصرية.. وهذا يقودنا إلى النقطة التالية:

٤ – كنا قد طرحنا سؤالين هما: لماذا كانت محاولة ساراى لاكتساب الهوية المصرية عن طريق تحويل اسمها إلى سارة؟ .. ولماذا كان اكتساب ابراهيم للهوية المصرية عن طريق ختانه مع اسماعيل قبل أن يعلم بمجيء اسحق؟ وقد قادنا هذان السؤالان إلى موضوع الإرث حيث اكتشفنا تعارضه مع مضمون السؤالين.. والواقع أن هذا التعارض لا وجود له.. وسوف نبين هذا بتسليط الضوء على بعد جديد لمفهوم اكتساب الهوية المصرية.

فكما نعرف فإن الهدف من اكتساب الهوية المصرية هو تحقيق الذات بمعنى التحول إلى شعب.. ولكن موضوع الميراث الذى جد يجعل لمفهوم اكتساب الهوية المصرية بعدا آخر يرجع إلى أن قضية الميراث تتعلق بمصر أى بالمواطن المصرى ومن ثم كان على سارة وابراهيم أن يتحولا إلى مواطنين مصريين حتى يسرى عليهما مبدأ الميراث الذى يسرى فى مصر(٤).. وبهذا المفهوم الجديد سنعيد النظر فى مسألة اكتساب سارة وابراهيم للهوية المصرية.

---

(١) ورد فى الاصحاح (١٣) من سفر التكوين ان لوطا اخو ابراهيم كما ورد على لسان ابراهيم قوله للوط : «نحن اخوان» وكلها تعبيرات مجازية والفيصل بشأنها قول ورد صريحا وهو وأخذوا لوطا ابن اخى ابرام»

(٢) «تكوين» (١٥ : ٣)

(٣) «يكوين» (١٦ : ٢)

(٤) «في المرحلة التاريخية الأولي توجد بعض نصوص ووثائق تشير إلي أن أملاك الأب والأم كانت تؤول الي اولادهما الشرعيين ويفضلون علي غيرهم من الأقارب ومنذ الأسرة الخامسة خضعت مصر للنظام الاقطاعي ولم يعد الأبناء متساوين في الإرث فأصبحت الأملاك جميعا تؤول الي الابن الأكبر. ثم نأتي الي العصر البطلمي وهو الدورة التاريخية الثالثة فنجد ان التسويات المالية كانت تتضمن دائما مايمكن ان نسميه ميراثا إيصائيا في صالح الأولاد عامة أو في صالح الابن الأكبر» (المرأة المصرية القديمة ص ١٤٨).

٥ - فبالنسبة إلى سارة قلنا إنها حاولت تعويض افتقارها إلى الهوية المصرية عن طريق إعلاء هويتها العبرية على هوية هاجر المصرية وذلك بتحويل اسمها من ساراى إلى سارة.. كما قلنا إنها فعلت ذلك بدافع الغيرة النسائية من ضرتها.. ونضيف الآن دافعا أقوى وهو توريث اسحق ثروة أبيه.. وتأكيدا لصحة هذا الدافع نذكر مرة أخرى الملحوظة التى أوردناها فى (هامش (١) ص ٢٣٠) وهى أن تحويل الاسم ساراى إلى سارة الذى يعنى الرئاسة قد ارتبط بوعد (الله) لابراهيم بأن يعطيه منها ابنا. وهو اسحق.

٦ - أما بالنسبة إلى إبراهيم فقد استوقفنا أنه تم ختانة مع اسماعيل قبل أن يعلم بمجىء اسحق المطلوب توريثه.. وقد فسرنا ذلك فى حينه برغبته فى الانتماء إلى الهوية المصرية من أجل تحول نسله إلى شعب «وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان» [(١)]. حيث قلنا إن الوعد بالتحول إلى شعب قد ارتبط بأرض كنعان.. وهنا نشير إلى الملحوظات الآتية:

ا - أن النص الذى ذكرناه بشأن التحول إلى شعب ورد بعد ولادة اسماعيل وقبل تبشير ابراهيم بولادة اسحق.. ومعنى ذلك أن النسل الموعود بالتحول إلى شعب ينصب على اسماعيل وبالتالى ينصب عليه وعلى ابراهيم شرط الختان الذى أملاه (الله) «يختن منكم كل ذكر» [(٢)]

ب - أنه بناء على النقطة السابقة كان المفروض أن ينفذ ابراهيم شرط الختان فور ورود ذلك النص الذى يسرى عليه وعلى اسماعيل والذى يخص وعد التحول إلى شعب.. ويؤكد هذا أن ابراهيم تمنى أن يعيش اسماعيل حتى يتحقق ذلك الوعد «وقال ابراهيم لله ليت اسمعيل يعيش امامك»[(٣)]... ولكننا نجد أن ابراهيم لم ينفذ شرط الختان الا بعد تبشيره بولادة اسحق «فقال الله بل سارة امراتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق » [(٤)].. فبعد ذلك وليس قبله نفذ ابراهيم شرط الختان على اسماعيل وعلى نفسه. (راجع الترتيب الذى ذكرناه فى الاصحاح ١٧ تكوين) .

جـ - أنه حسب الترتيب الذى ذكرناه فإن وعد (الله) بشأن التحول إلى شعب كان يخص ابراهيم ونسله من اسماعيل «وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك»[(٥)].. ثم بعد تبشير ابراهيم بولادة اسحق تحول العهد من اسماعيل إلى اسحق «ولكن عهدى أقيمه مع اسحق » [(٦)]

د - أنه بعد تحول العهد من اسماعيل إلى اسحق ظل وعد (الله) قائما بشأن اسماعيل فيما يخص التحول إلى شعب «ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا.. واجعله أمه كبيرة» [(٧)].

---

(١) «تكوين» (١٧ : ٨).
(٢) «تكوين» (١٧ : ١٠)
(٣) «تكوين» (١٧ . ١٨).
(٤) «تكوين» (١٧ : ١٩).
(٥) «تكوين» (١٧ : ٧ ).
(٦) «تكوين» (١٧ :٢١)
(٧) «تكوين» (١٧ : ٢٠)

وهو مايعنى قيام شعب[1]. وهو مايعنى أيضا المساواة بين إسماعيل واسحق من حيث التحول إلى شعب[2].. وعلى هذا فحين نذكر «ولكن عهدى أقيمه مع اسحق» فلا بد أن يكون المقصود بالعهد هنا شيئا آخر غير التحول إلى شعب.. وهو شيء يخص اسحق (ابن ابوه) دون اسماعيل (ابن امه).. وطبقا لمسألة الإرث التى قدمناها فلابد أن يكون هذا الشيء المقصود هو توريث ثروة إبراهيم لاسحق.

٧ – أنه من خلاصة ماقدمناه فى النقاط السابقة نخرج بالآتى:

ا – أن ختان اسماعيل واسحق الهدف منه اكتساب شرط التحول إلى شعب بالنسبة للاثنين.

ب – أن تأخر إبراهيم فى تنفيذ شرط الختان على نفسه وعلى اسماعيل إلى مابعد تبشيره بولادة اسحق يجعل للختان هدفا آخر بجانب التحول إلى شعب وهو الانتماء إلى الهوية المصرية حيث توريث الابن ثروة أبيه.

جـ – أن المساواة بين اسماعيل واسحق من حيث التحول إلى شعب ثم تفضيل اسحق عليه يجعل مسألة الميراث أهم من مسألة التحول إلى شعب.. وهو ماجعلنا نقول إن هذا هو المحور الأساسى الذى تدور حوله مسألة إسماعيل واسحق.

وهذا يقودنا إلى السمة التى عرفناها فى الشعب المختار وهى توظيف أمور الدين والشريعة لحساب أمور الدنيا والسياسة.

## توظيف الدين لحساب الدنيا فى قصة إبراهيم

نعود إلى قصة ابرام فى مصر حيث ادعى أن ساراى اخته وليست زوجته خوفا من أن يطمع المصريون فى جمالها فيقتلونه ويستبقونها. وتعليقا على هذا التصرف أنه من المعقول أن يحمى الرجل اخته بادعائه أنها زوجته.. أما أن يدعى بأن زوجته أخته فهذا يعرضها للزواج عليه.. وهذا يجعلنا نفهم قول ابرام لساراى: «قولى إنك اختى ليكون لى خير بسببك».[3]. على أن المقصود بالخير ليس تنجية ابرام من القتل وإنما المقصود هو جنى الخيرات المادية وهو ماحدث بالفعل حين أغدق الفرعون على ابرام بسبب زواجه من ساراى «فصنع إلى ابرام خيرا بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال»[4].. فهذا الذى حدث يجعل ابرام مدانا أخلاقيا إذ كان عليه قبل زواج الفرعون من زوجته أن يعترف له بادعائه أنها اخته ولو قتل من

---

(١) «والله يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب» (تكوين ٢٨. ٣) وإذا كان المقصود بالنص هو يعقوب فما يعنينا ان التكثير يعني قيام شعب.

(٢) ويقابل هذا في قصة نوح المساواة بين حام وسام من حيث التحول الي شعب. وفي نفس الوقت التفرقة بينهما باضطهاد اسماعيل وحام ومحاباة اسحق وسام.

(٣) «تكوين» (١٢ : ١٣)

(٤) «تكوين» (١٢ : ١٦)

جراء ذلك.. ونفس الحكم يسرى على ساراى لحظة أن قرر الفرعون أن يتزوجها دون أن يعلم أنها زوجة رجل آخر.

وهنا تبرز سمة توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا – عن طريق مبدأ قلب الأوضاع – حيث تحال القضية إلى حكمة إلهية تبرىء الطرف المدان (ابرام وساراى). وتدين الطرف البرىء (الفرعون) «فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة ابرام»(١) .. ونلاحظ أن الذى أدان الفرعون ظلما هو (الرب) ممثل الشعب المختار الذى يحكمه الشعور واللاشعور.. فهو من حيث الشعور يؤكد إدانة الفرعون بأن يجعله يكفر عن ذنبه – المفترض زورا – بأن يغدق بسخاء على ابرام.. وهو من حيث اللاشعور – أى الضمير – يجعل الفرعون يوجه إلى ابرام عتابا يحمل معنى الإدانة «لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك. لماذا قلت لى هى أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى»(٢).

ولأن اللاشعور – كما بينا – قد كشف حقيقة ابرام وساراى ومن ثم أفسد حيلة تبرير ما اقترفاه بإحالته إلى الحكمة الإلهية لـ(الرب) الذى هو فى الواقع الشعب المختار.. فقد كان لابد من تصحيح هذا الخطأ أو هذا المطب الذى أوقعه فيه اللاشعور وذلك بتكرار نفس القصة مع تبريرها عن طريق الحكمة الإلهية المنسوبة إلى (الله) – أى الإله «أيل» – بدلا من (الرب). فبعد أن خرج ابرام وساراى من مصر محملين بما أغدقه عليهما الفرعون.. وبعد أن أمر (الله) بإعلاء اسم ابرام إلى ابراهيم واسم ساراى الى سارة.. انتهى بهما المطاف فى مملكة جرار حيث ادعى ابراهيم مرة أخرى أن سارة أخته وكانت النتيجة أن أخذها أبيمالك ملك جرار. ولأن (الله) هو المسئول عن هذه القصة فلا بد من تمييزه على (الرب).. ولكن لأنه تمييز مبنى على خداع فهو سرعان ما يسقط كما سنرى فى النقاط الآتية:

١ – أن (الله) يسارع إلى تحذير أبيمالك قبل أن يتزوج سارة بالفعل «فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب منها».(٣) وفى هذا تمييز لـ(الله) على (الرب) حيث أنه سارع بتحذير أبيمالك قبل أن يتزوج سارة بالفعل وذلك بعكس مافعله (الرب) مع الفرعون حيث أنه سكت على زواجه من ساراى.

٢ – أن أبيمالك عندما علم من (الله) أن ابراهيم زوج سارة دافع عن نفسه قائلا: «ألم يقل هو لى إنها اختى وهى أيضا نفسها قالت هو أخى. بسلامة قلبى ونقاوة يدىّ فعلت هذا. فقال له الله فى الحلم أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا».(٤) وفى هذا يسقط تمييز (الله) إذ أنه كان على علم بالخطأ ولم يمنع حدوثه من الأصل لاسيما وأن هذا الخطأ يسىء إليه شخصيا «وأنا

---

(١) «تكوين» (١٢ : ١٧).
(٢) «تكوين» (١٢ : ١٨ ، ١٩)
(٣) «تكوين» (٢٠ : ٣ ، ٤)
(٤) «تكوين» (٢٠ : ٥ ، ٦)

أيضا أمسكتك عن أن تخطىء إلى» (١).. وعلى هذا يسقط تمييزه فى قوله: «لذلك لم أدعك تمسُّها» (٢).

٣ - انه بسقوط تميز (الله) على (الرب) تتكشف الخدعة وتظهر الحقيقة وهى أن (الرب) ممثل الشعب المختار وراء مايحدث.. وأن الهدف مما يحدث هو إرهاب أبيمالك عن طريق مبدأ قلب الأوضاع حيث يصبح هو المذنب ومن ثم يكفر عن ذنبه بالاغداق على ابراهيم مثلما فعل الفرعون.. وهو مانجده فى قول (الله) لأبيمالك: «فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبى فيصلى لأجلك فتحيا. فإن كنت لست تردها فاعلم انك موتا تموت أنت وكل من لك... فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاها لابراهيم.. ورد اليه سارة امرأته»(٣).

ومن ناحية أخرى.. وبجانب التفسير الذى قدمناه لاحلال (الله) محل (الرب) فهناك تفسير آخر يعتمد على نقطتين: أولاهما أن ابرام تعلم من تجربته الأولى مع الفرعون أنه يمكنه مع أبيمالك الخروج من اللعبة بمكاسبها المادية دون أن يمس أحد زوجته.. وثانيتهما أن (الله) بعد خروج ابرام من مصر أعلى شأنه بتحويل اسمه إلى ابراهيم وكذلك أعلى شأن ساراى بتحويل اسمها إلى سارة.. ومن ثم وجب الحفاظ على مكانتهما من أجل الحفاظ على مكانة (الله) «إيل».. وهو ما نبينه فى النقاط الآتية:

١ - من حيث الخروج بالمكاسب المادية نجد ذلك فى : «فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاها لابراهيم».

٢ - من حيث عدم المساس بسارة نجد ذلك فى : «ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب منها».

٣ - من حيث الحفاظ على مكانة ابراهيم وسارة نجد ذلك فى: «فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبى» وبالتالى فسارة زوجة نبى.

٤ - من أجل الحفاظ على مكانة (الله) نجد ذلك فى: «فصلى ابراهيم إلى الله فشفى أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن».(٤).

ولكن فى كلا الحالين.. ورغم اختلاف التفسيرين اللذين قدمناهما بشأنهما إلا أنهما يجتمعان فى شىء واحد وهو أن (الرب) ممثل الشعب المختار يستتر وراء (الله) استغلالا لأمور الدين لحساب أمور الدنيا وهو مانبينه فيمايلى:

(١) «تكوين» (٢٠ . ٦).
(٢) «تكوين» (٢٠ : ٦).
(٣) «تكوين» (٢٠ : ٧، ١٤).
(٤) «تكوين» (٢٠ : ١٧).

١ – بالرغم من أن أبيمالك قد رد سارة إلى ابراهيم فور تهديد (الله) له بموته هو وأهل بيته.. فإننا نجد أن (الرب) قد عاقب أبيمالك فى أهل بيته «لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيما لك بسبب سارة امرأة إبراهيم»[١].

٢ – أن (الرب) فى تستره وراء (الله) جعل إبراهيم يصلى إلى (الله) «فصلى إبراهيم إلى الله فشفى أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن» .. فكأن (الله) هو الذى عاقب بيت أبيمالك ومن ثم هو الذى شفاه.

وجدير بالذكر أن الاصحاح (٢٠) من سفر التكوين الذى يحكى قصة إبراهيم مع أبيمالك ظل يذكر (الله) طوال القصة ولم يذكر (الرب) إلا فى ختامها وفى النص الأخير الذى يسجل أن (الرب) هو الذى عاقب أبيمالك.. فكأن الشعب المختار الذى يمثله (الرب) قد أبت عليه ربوبيته إلا أن ينفى إعلاء ه الكاذب لـ (الله) ولو على حساب كشف تستره وراء ه وبالتالى كشف الخدعة التى أراد بها أن يحيل قصة إبراهيم مع أبيمالك إلى الحكمة الإلهية لإلهه «إيل» أى (الله).

(١) «تكوين» (٢٠ : ١٨).

# الفصل السابع عشر

# قراءة فى قصة اسحق

## ■ أصل (ازدواج الشخصية) فى قصة اسحق:

- ○ قصة اسحق تحمل هدف الميراث وهدف التحول إلى شعب.
- ○ الفرق بين الأخوين إسماعيل واسحق والأخوين عيسو ويعقوب.
- ○ ازدواج شخصية الشعب المختار هو الأصل.

## ■ رفقة = (ازدواج الشخصية)

- ○ قصة اسماعيل واسحق تمثل (ما قبل ازدواج الشخصية) وقصة عيسو ويعقوب تمثل (ماقبل ازدواج الشخصية) + (ازدواج الشخصية)
- ○ الفرق بين (العلاقة الانفصالية) و(العلاقة الانفصالية الاتصالية).
- ○ الفرق بين أسرة إبراهيم وأسرة اسحق.
- ○ سريان ازدواج الشخصية على الأم دون الأب.

## ■ الفرق بين (ازدواجية الشخصية) و (ثنائية الشخصية):

- ○ عدم حتمية العلاقة بين ازدواج الشخصية و(الذات الشمولية).
- ○ آدم وحواء فى القرآن يمثلان ثنائية الشخصية وفى التوراة يمثلان ازدواج الشخصية.

## ■ التوأمان عيسو ويعقوب = (ازدواج الشخصية) :

- ○ مغزى أن عيسو ويعقوب توأمان.
- ○ التوأمة تعنى التخلص من العقم بشأن تحقيق الذات.

## ■ فرق (ازدواج الشخصية) بين رفقة والتوأمين:

- ○ تعريف التوأمة بالنسبة لقضية الشعب المختار
- ○ ازدواج شخصية التوأمين يمثل القاعدة التى يعمل عليها ازدواج شخصية رفقة.
- ○ التوأمان عيسو ويعقوب يرمزان إلى الشعب المختار الذى يجمع بين الحقيقة والوهم.

## ■ موقف اسحق بالنسبة لـ (ازدواج الشخصية) :

- ○ اسحق يجهل ازدواج شخصية رفقة وبالتالى ازدواج شخصية التوأمين.

## ■ عقدة البكورية

- البكورية ترمز إلى الهوية المصرية وأسبقية وجود الشعب المصرى.
- سارة تمثل مشروع ( ازدواج الشخصية ) .

## ■ اختلاف مغزى البكورية لدى رفقة واسحق:

- البكورية لدى رفقة تتعلق بمسألة تحقيق الذات ولدى اسحق تتعلق بمسألة الميراث.
- اسحق يذهب إلى أبيمالك ويدعى أن رفقة أخته وليست زوجته.

## ■ تحليل قصة عيسو ويعقوب:

- قاعدة الصراع بين طرفى ازدواج الشخصية.
- نتيجة احتواء (الذات الشمولية) الأنثى للذكر.
- عقدة البكورية لدى التوأمين عيسو ويعقوب بدأت وهما مازالا فى رحم أمهما.
- مغزى حب اسحق لعيسو وحب رفقة ليعقوب
- رفقة الشمسية تجعل يعقوب يتنكر فى شخصية عيسو لينال بركة أبيه بدلا منه.
- الفرق بين حاسة السمع وحاسة اللمس.
- مغزى قول اسحق «رائحة ابنى كرائحة حقل» والفرق بين ثروة ابراهيم وثروة اسحق.
- اكتشاف خدعة يعقوب وتهديد عيسو بقتله وعلاقة ذلك بقتل قايين لهابيل.
- يعقوب يهرب من عيسو
- حلم يعقوب وهو ينتظر لقاء عيسو.
- تفسير تحريم أكل عرق النَّسا.

## ■ ازدواج شخصية (الله):

- انتقال الشخصية الثانوية من التنكر إلى التقمص.

## ■ غلبة (الذات الشمولية)

- دور الحلم كوسيلة لإملاء الشخصية الثانوية إرادتها على الشخصية الأصلية.
- تصحيح مبدأ قلب الأوضاع عن طريق ازدواج الشخصية.

## أصل (ازدواج الشخصية) فى قصة اسحق:

رأينا أن قصة إبراهيم تمثل أول احتكاك بالمصريين.. وأنه نتج عن هذا الاحتكاك أمران: أولهما تعرف ابراهيم على نظام توريث ثروة الآباء للأبناء.. وثانيهما تعرف القبيلة العبرية الهائمة بحثا عن الأراضى الخصبة على شعب مصر الزراعى المستقر ومن ثم رغبتها فى أن تكون شعبا بالمثل.

ثم رأينا أن الثروة التى منحها الفرعون لإبراهيم جعلته يفضل مسألة الميراث على مسألة التحول إلى شعب.. ومن هنا كان تفضيل ابنه العبرى اسحق على ابنه المصرى اسماعيل حتى يكون الميراث لصاحب الهوية القمرية هوية العبريين.

وبعد تحقيق هدف الميراث نشأت الحاجة إلى تحقيق الهدف الثانى من أجل تأمين الهدف الأول.. وهذا فى رأينا ماترمز إليه قصة الوريث اسحق ووليديه عيسو ويعقوب. ومعنى هذا أننا بصدد قصة تحمل هدفين: هدف الميراث وهدف التحول إلى شعب.. وهنا يستوقفنا فرق بين قصة الأخوين اسماعيل واسحق وقصة الأخوين عيسو ويعقوب وهو مانبينه فيمايلى:

١ - أن اسماعيل واسحق من أمين مختلفتى الهوية: هاجر الشمسية وسارة القمرية.. ولأن قصة اسماعيل واسحق تحمل هدفا واحدا هو توريث الثروة للهوية القمرية أى لاسحق.. فهذا يستدعى رفض الهوية الشمسية ومن هنا كان طرد هاجر وابنها اسماعيل.

٢ - أن عيسو ويعقوب من أم واحدة هى رفقة.. ولأن قصة عيسو ويعقوب تحمل هدفين: توريث الثروة للهوية القمرية + التحول إلى شعب حيث الجمع بين الهوية الشمسية والهوية القمرية.. فهذا يستدعى وجود الهوية الشمسية التى تم رفضها فى قصة اسماعيل واسحق.. وكما أن الهوية الشمسية دخلت فى قصة اسماعيل واسحق عن طريق الجمع بين أمين (هاجر الشمسية + سارة القمرية) فالمقابل لذلك هو دخول الهوية الشمسية فى قصة عيسو ويعقوب أيضا عن طريق الجمع بين أمين.. ولكن الأم هنا واحدة وهى رفقة القمرية بحكم أنها تقابل الأم الأصلية سارة القمرية.. وعلى هذا سنفترض أن رفقة تجمع بين مايقابل هاجر الشمسية وسارة القمرية أى تجمع بين (رفقة الشمسية ورفقة القمرية) وهو مايعنى (ازدواج الشخصية).. وعلينا الآن أن نثبت صحة هذا الافتراض.

وبداية نقول إن ازدواج الشخصية الذى افترضناه فى رفقة لم يأت من فراغ إذ أنه يرجع إلى ازدواج شخصية الشعب المختار.. واذا كانت فكرة «الشعب المختار» قد نشأت - كما سبق وبينا - لمواجهة أسر العبريين بمصر أى فى فترة لاحقة لقصة اسحق.. فقد سبق وقلنا إن التوراة كتبت [1] فى زمن لاحق لزمن الأسر وتحت تأثير عقدة الأسر لدى الشعب المختار.

---

(١) «التوراة بمجملها وكما نعرفها اليوم مؤلفة تأليفا. وقد استمر هذا التأليف إذا أخذنا بالاعتبار المراحل المختلفة من تاريخ اليهود ١٣٠٠ سنة من حوالى ١٤٥٠ الى ١٣٠ ق. م. أى من تاريخ الخروج التقديرى الى تاريخ وضع سفر دانيال. لكن الحقيقة أن هذا التأليف لم يستمر سوى ٣٠٠ سنة أى منذ تاريخ العودة من بابل عام ٤٤٠ ق.م إلى عهد دانيال، بينما جرى وضع أسفار الشريعة الخمسة الأولى دفعة واحدة بالاستناد الى أصول الشريعة التى وضعت المحاولة الأولى لها فى القرن الثامن قبل الميلاد» (التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٢ ، ١٣).

وقد رأينا فى قصص آدم وسلالته ونوح وسلالته وابراهيم وسلالته أن قضية الشعب المختار بدأت بصراع القمر ضد الشمس وهو ماعبر عنه التلمود بأن جعل القمر يقول لـ (الله): «أخطأت حيث جعلتنى أصغر من الشمس».. وسوف نترجم هذا القول نفسيا ونشبّه الأمر بطفل يغار لأن أباه يفضل أخاه الأكبر عليه ومن ثم يصبح صغر سن الطفل مصدرا للشعور بالنقص.. ثم يحدث أحد أمرين: إما أن يتخلص الطفل أثناء كبره من شعوره بالنقص.. واما أن يتوهم كبره وهو ما زال طفلا بهدف تعويض النقص.. وفى هذه الحالة نكون بصدد إنسان يجمع بين شخصين: طفل يشعر بالنقص وكبير لايشعر بالنقص .. وبعبارة أخرى نكون بصدد حالة ازدواج للشخصية حيث يمثل الطفل الشخصية الأصلية ويمثل الكبير الشخصية الثانوية.. وعندما نطبق ذلك على علاقة العبريين بالمصريين نجد الآتى:

١ – الطفل يقابله العبريون.. والكبير يقابله المصريون.

٢ – شعور الطفل بالنقص أمام أخيه الكبير يقابله شعور العبريين كقبيلة أمام المصريين كشعب.

٣ – كبر الطفل الوهمى بهدف تعويض النقص يقابله تحول العبريين الوهمى الى شعب. (وهو مانتجت عنه فكرة «الشعب المختار»)

وواضح من النقاط السابقة أن فكرة ازدواج الشخصية أوصلتنا إلى فكرة «الشعب المختار».. أى أن الشعب المختار يمثل ازدواج الشخصية.. وبهذا نكون قد أثبتنا صحة قولنا بأن ازدواج الشخصية الذى افترضناه فى رفقة لم يأت من فراغ إذ انه يرجع إلى ازدواج الشخصية لدى الشعب المختار.. ويبقى الآن أن نثبت صحة افتراضنا أن رفقة تمثل ازدواج الشخصية.

## رفقة = (ازدواج الشخصية) :

نعود إلى الفرق بين قصة اسماعيل واسحق وقصة عيسو ويعقوب من حيث أن القصة الأولى تخص مسألة الميراث وأن القصة الثانية تخص مسألة الميراث + مسألة التحول إلى شعب.. وقد قلنا إن مسألة التحول إلى شعب تمخضت عنها فكرة «الشعب المختار» حيث ازدواج الشخصية.. وعلى هذا نقول إن مسألة الميراث تخص ما قبل ازدواج الشخصية وان مسألة التحول إلى شعب تخص ازدواج الشخصية..

ووفقا لذلك سنعيد صياغة الفرق بين القصتين فنقول إن قصة اسماعيل واسحق تمثل (ماقبل ازدواج الشخصية) وأن قصة عيسو ويعقوب تمثل (ماقبل ازدواج الشخصية) + (ازدواج الشخصية).

وقد رأينا فى قصة اسماعيل واسحق أن مسألة الميراث التى تخص الهوية الشمسة قد انتقلت إلى الهوية القمرية دون تدخل من الهوية الشمسية إذ أن زيارة ابراهيم لمصر كانت مجرد مرور عابر.. أى أن العلاقة بين الهويتين تخص طرفا واحدا هو الهوية القمرية.. وعلى هذا

نسميها (علاقة انفصالية) وهو ماينطبق على ولادة اسماعيل واسحق من أمين منفصلتين: هاجر الشمسية وسارة القمرية.

وكذلك رأينا في قصة عيسو ويعقوب أن مسألة التحول إلى شعب تعني الجمع بين الهوية الشمسية والهوية القمرية أي أن العلاقة بين الهويتين تخص الطرفين وعلى هذا نسميها (علاقة اتصالية) ولكن لأنها علاقة مبنية على الوهم - وهم التحول إلى شعب - فهي أصلا (علاقة انفصالية) وعلى هذا نسميها (علاقة انفصالية اتصالية) وهو ماينطبق على ولادة عيسو الشمسي ويعقوب القمري [1] من أم واحدة هي رفقة التي تجمع بالضرورة بين الهوية الشمسية والهوية القمرية وهو ما افترضنا أنه يمثل ازدواج الشخصية.

ونلخص ماسبق بالآتي:

١ - أن قصة اسماعيل واسحق تخص (ماقبل ازدواج الشخصية) حيث (العلاقة الانفصالية).

٢ - أن قصة عيسو ويعقوب تخص (ماقبل ازدواج الشخصية) + (ازدواج الشخصية) حيث (العلاقة الانفصالية) + (العلاقة الاتصالية) أي (العلاقة الانفصالية الاتصالية).

وعلى أساس مفهوم (العلاقة الانفصالية) و(العلاقة الانفصالية الاتصالية) سنقدم الجدول الآتي لنثبت من خلاله أن رفقة تمثل ازدواج الشخصية.

| (العلاقة الانفصالية) | (العلاقة الانفصالية الاتصالية) |
| --- | --- |
| ١ - اسماعيل من أم شمسية (هاجر) واسحق من أم قمرية (سارة).<br>٢ - اسماعيل واسحق من أب واحد قمري (إبراهيم) | ١ - عيسو ويعقوب من أم واحدة قمرية (رفقة)<br>٢ - عيسو ويعقوب من أب واحد قمري (اسحق). |

ففي هذا الجدول نجد أن الهوية الشمسية دخلت أسرة إبراهيم عن طريق هاجر .. وباعتبار أن عيسو يقابل إسماعيل وأنه بالتالي مثله شمسي الهوية .. فالسؤال هو : كيف دخلت هوية عيسو الشمسية أسرة اسحق بينما الأم والأب قمريان ؟

لكي نجيب عن هذا السؤال نبدأ أولا بتحييد دور الأب حيث أن مسألة دخول الهوية الشمسية في أسرة اسحق ترجع إلى دخولها في أسرة إبراهيم عن طريق الأم .. وعلى هذا نقول:

---

(١) باعتبار أن عيسو يقابل إسماعيل الشمسي وأن يعقوب يقابل اسحق القمري.

١ – إن (العلاقة الانفصالية) تخص (ماقبل ازدواج الشخصية) وهو ما ينطبق على الأمين المنفصلتين هاجر وسارة .

٢ – إن (العلاقة الاتصالية) تخص ( ازدواج الشخصية) وهو ما ينطبق على الأم الواحدة رفقة.

وعلى هذا سنعيد الجدول السابق تحت عنوانى (ماقبل ازدواج الشخصية) و(ازدواج الشخصية).

| (ماقبل ازدواج الشخصية) | (ازدواج الشخصية) |
| --- | --- |
| ١ – اسماعيل من أم شمسية (هاجر) واسحق من أم قمرية (سارة) | ١ – عيسو ويعقوب من أم واحدة قمرية (رفقة) |

وواضح من عنوان الخانة التى تخص رفقة أنها تمثل (ازدواج الشخصية) أى أن الهوية الشمسية دخلت أسرة اسحق عن طريقها.

وجدير بالذكر أن سريان ازدواج الشخصية على الأم دون الأب يرجع إلى أن الأم بمعناها المطلق تمثل (الذات الشمولية) الشمسية الهوية التى لها الغلبة على الهوية القمرية.. ولكن ليس معنى ذلك أن (الذات الشمولية) تعنى بالضرورة ازدواج الشخصية.. وسنبين هذا فيما يلى:

## الفرق بين (ازدواجية الشخصية) و(ثنائية الشخصية)

رأينا علاقة ازدواج الشخصية بـ(الذات الشمولية) ولكن ليس معنى ذلك حتمية هذه العلاقة.. ولكى نوضح هذا نذكر سابق قولنا بأن (الذات الشمولية) كرمز مطلق للأنثى تحوى بذرة الذكر[1] ومن هنا فإن علاقتها بازدواج الشخصية تأتى فى حالة الصراع بين الأنثى والذكر أى بين الشمس والقمر بالنسبة لموضوعنا.. أما فى الحالة العادية حيث لا صراع بين الطرفين فإن (الذات الشمولية) تمثل (ثنائية الشخصية) أى الشخصية المتكاملة نتيجة التفاعل السوى بين طرفيها (الأنثى والذكر).. وتوضيحا لذلك نقول إن الجنس البشرى مكون من (المرأة والرجل) وإنه فى حالة ثنائية الشخصية يوائم بين الاثنين وفى حالة ازدواج الشخصية يفعل العكس.. وباختصار فإن ثنائية الشخصية حالة سوية وازدواج الشخصية حالة مرضية أو بلغة علم النفس حالة عصابية.

وعلى ذلك نقول إن آدم وحواء فى القرآن يمثلان ثنائية الشخصية من حيث المساواة بينهما فى المعصية والثواب.. وإن آدم وحواء فى التوراة يمثلان ازدواج الشخصية من حيث

---

(١) راجع الفصل الثانى عشر تحت عنوان «حواء الجزء تحكم آدم الكل».

تفضيل آدم على حواء[1] نتيجة تفضيل الهوية القمرية (العبرية) على الهوية الشمسية (المصرية) وهو ماعبرت عنه قصة قايين وهابيل وقصة حام وسام وقصة اسماعيل واسحق.. وما تعبر عنه الآن قصة عيسو ويقعوب فى الشكل الجديد (ازدواج الشخصية) الذى كان لابد أن ينتهى اليه الشعب المختار بسبب موقفه من (الذات الشمولية).

## التوأمان عيسو ويعقوب = (ازدواج الشخصية)

من الممكن ببساطة إثبات أن التوأمين عيسو ويعقوب يمثلان ازدواج الشخصية وذلك بأن نقول:

بما أن رفقة أنجبت عيسو ويعقوب.

وبما أن رفقة = ازدواج الشخصية.

إذن عيسو ويعقوب = ازدواج الشخصية.

ولكن هذا التبسيط لا يفسر لنا مغزى أن عيسو ويعقوب توأمان.. وعلى هذا نعود إل قولنا بأن مسألة الميراث كانت لها الأولوية فى قصة ابراهيم على مسألة التحول إلى شعب.. ثم جاء ت قصة إسحق فركزت على مسألة التحول إلى شعب من أجل تأمين الميراث.. ومعنى ذلك أن مسألة التحول إلى شعب - رغم طغيان مسألة الميراث عليها فى قصة ابراهيم - كانت قائمة فى القضيتين باعتبار أنها تمثل القضية الأساسية للشعب المختار وهى تحقيق الذات.. ومن هنا كان الدافع الأصلى لإضفاء الهوية الشمسية - شرط تحقيق الذات - على هوية اسحق القمرية وذلك عن طريق الختان.. ولكن لأن هذا الاجراء تم فى اطار (العلاقة الانفصالية) التى تخص قصة ابراهيم فهو يعتبر اجراء عقيما بشأن تحقيق الذات.. وللتخلص من هذا العقم كان لابد من الانتقال إلى (العلاقة الاتصالية) فى قصة اسحق وهو مايعنى الانتقال من العلاقة بين الشمس والقمر من طرف واحد وهو القمر إلى العلاقة بين الاثنين من كلا الطرفين.. وهو ماحدث فى سلالة اسحق حيث تم الجمع بين الشمس والقمر أى بين عيسو ويعقوب عن طريق التوأمة.

وهكذا نكون قد فسرنا مغزى أن عيسو ويعقوب توأمان وهو أن التوأمة تعنى التخلص من العقم بشأن تحقيق الذات.

## فرق (ازدواج الشخصية) بين رفقة والتوأمين:

انتهينا إلى أن التوأمة تعنى التخلص من العقم بشأن تحقيق الذات.ولكن ليس معنى هذا أن التوأمة تعنى تحقيق الذات بالفعل إذ أن تحقيق الذات لدى الشعب المختار مبنى على التحول الوهمى إلى شعب وهو ما نشأ عنه ازدواج الشخصية.. وعلى هذا نعرف التوأمة بالنسبة لقضية

(١) راجع الفصل الثانى عشر تحت عنوان «أسطورة آدم فى التلمود».

الشعب المختار بأنها نقلة تمهيدية من أجل التحقيق الفعلى للذات عن طريق (ازدواج الشخصية) الذى يمهد لتخليص الشعب المختار من عقم تحوله الوهمى إلى شعب.. ولكننا بصدد ازدواجين للشخصية: الأول يخص رفقة والآخر يخص التوأمين.. وهذا يجعلنا نسأل أى الازدواجين سيمهد لتخليص الشعب المختار من عقم تحوله الوهمى إلى شعب؟ وإذا كان المنطق يقول إن ازدواج الشخصية الذى يخص رفقة هو الذى يتولى المهمة باعتبار أن الأم هى الأصل.. فهذا يقودنا إلى سؤال آخر وهو : ما دور ازدواج الشخصية الذى يخص التوأمين؟

وللإجابة عن السؤالين السابقين نعود إلى قولنا السابق بأن الأم بمعناها المطلق تمثل (الذات الشمولية) الأنثى التى تحوى الذكر سواء كانت هويته شمسية أو قمرية.. ويقابل هذا احتواء رحم رفقة للتوأمين الذكرين عيسو الشمسى ويعقوب القمرى.. واحتواء الأنثى للذكر يعنى التخلص من العقم الذى يخص (ماقبل ازدواج الشخصية) وعلى هذا يكون (ازدواج الشخصية) الذى يخص رفقة هو الذى سيمهد لتخليص الشعب المختار من عقم تحوله الوهمى إلى شعب.. ويكون (ازدواج الشخصية) الذى يخص التوأمين ممثلا للشعب المختار ومن ثم يكون القاعدة التى يعمل عليها (ازدواج الشخصية) الذى يخص رفقة.

وعندما نطبق ماسبق على قصة عيسو ويعقوب نجد أن رفقة كانت عاقرا «وصلىَ اسحق إلى الرب من أجل امراته لأنها كانت عاقرا»[1] ثم استجاب (الرب) لصلاة اسحق وحملت رفقة وإذا «فى بطنها توأمان»[2] وهكذا تحولت رفقة إلى (ازدواج الشخصية) الذى يخصها وفى نفس الوقت أوجدت (ازدواج الشخصية) الذى يمثل الشعب المختار والذى يمثل القاعدة التى تعمل عليها من أجل التمهيد لتخليصه من عقم تحوله الوهمى إلى شعب.

وكما نعرف فإن تحول الشعب المختار الوهمى إلى شعب يعنى تحقيق الذات على أساس يجمع بين الوهم والواقع.. وعندما نطبق ذلك على التوأمين رمز الشعب المختار نجد الوهم فى وصف يعقوب القمرى بالكمال «ويعقوب إنسانا كاملا».[3] فباعتبار أن الكمال يعنى تحقيق الذات تكون الهوية القمرية (يعقوب) قد حققت ذاتها دون حاجة إلى الهوية الشمسية (عيسو) شرط تحقيق الذات.. ثم نجد الواقع فى حاجة يعقوب إلى عيسو إذ أنه خرج «ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب» [4] اى يعقب.. أى أن يعقوب – حسب رؤيتنا – يتعقب طريق عيسو من أجل تحقيق الذات أى الكمال. وفى هذا اعتراف بفشل الإدعاء بكماله بدون عيسو أى فشل تحقيق الذات بالهوية القمرية بدون الهوية الشمسية.

(١) «تكوين» (٢٥ : ٢١).
(٢) «تكوين» (٢٥ : ٢٤)
(٣) «تكوين» (٢٥ : ٢٧)
(٤) «تكوين» (٢٥ : ٢٦)

## موقف اسحق بالنسبة لـ (ازدواج الشخصية)

قلنا إن قصة ابراهيم تخص مسألة الميراث وإن قصة اسحق تخص مسألة الميراث + مسألة تحقيق الذات .. وكذلك قلنا إن مسألة الميراث تخص (العلاقة الانفصالية) بين الشمس والقمر حيث المطلوب فقط هو توريث الثروة للهوية القمرية.. وذلك عكس مسألة تحقيق الذات التى تخص (العلاقة الاتصالية) بين الشمس والقمر حيث مطلوب الجمع بين الاثنين من أجل تحقيق الذات.. والخلاصة أن مسألة الميراث تخص الهوية القمرية ومسألة تحقيق الذات تخص الهوية القمرية + الهوية الشمسية.. وباعتبار أن (العلاقة الانفصالية) تخص (ما قبل ازدواج الشخصية) وأن (العلاقة الاتصالية) تخص (ازدواج الشخصية) نقول الآتى:

١ - إن اقتصار مسألة الميراث على الهوية القمرية يجعلها قاصرة على الأبين ابراهيم واسحق القمريى الهوية.. أى يجعلها قاصرة على (ماقبل ازدواج الشخصية).

٢ - إن (ازدواج الشخصية) يخص قصة اسحق.. وبما أن اسحق يخص (ماقبل ازدواج الشخصية) فمعنى هذا أنه يجهل (ازدواج الشخصية) الذى يخص رفقة وبالتالى الذى يخص التوأمين.

٣ - إنه بناء على النقطة السابقة فإن اسحق لايعلم علاقة عيسو بالهوية الشمسية ومن ثم فهو يتقبله على أنه قمرى الهوية «فأحب اسحق عيسو لأن فى فمه صيدا».[1] فالصيد يخص الهوية القمرية.

٤ - إنه يعزز ما قلناه فى النقطة السابقة أن القصة تذكر عيسو مرة بأنه قمرى الهوية «وكان عيسو إنسانا يعرف الصيد»[2] حيث اننا قلنا إن الصيد يخص الهوية القمرية .. ومرة أخرى تذكره بأنه شمسى الهوية «فأتى عيسو من الحقل»[3] حيث أن الحقل يخص الهوية الزراعية الشمسية.. وما نعنيه هو أن الوصف الأول يخص (ماقبل ازدواج الشخصية) لدى اسحق.. وأن الوصف الثانى يخص (ازدواج الشخصية) لدى رفقة والتوأمين.. وبعبارة أخرى فإن الجمع بين (ماقبل ازدواج الشخصية) و(ازدواج الشخصية) استدعى الجمع بين وصف عيسو بالهوية القمرية ووصفه بهويته الشمسية.

ونعود إلى القول «فأحب اسحق عيسو لأن فى فمه صيدا» حيث نسأل: لماذا فضل اسحق عيسو على يعقوب رغم أن الاثنين بالنسبة إليه قمريا الهوية؟ والإجابة ببساطة أن عيسو هو الابن البكر.. وهذا يقودنا إلى مسألة البكورية.

---

(١) «تكوين» (٢٥ : ٢٨)

(٢) «تكوين» (٢٥ : ٢٧).

(٣) «تكوين» (٢٥ : ٢٩)

## عقدة البكورية

سبق وبينا أن (ازدواج الشخصية) نشأ نتيجة إحساس الطفل بالنقص أمام أخيه الأكبر (البكر) ومن ثم توهمه الكبر لتعويض هذا (النقص) وهو ما يعنى ادعاء (الكمال) وهو ماينطبق على يعقوب فى وصفه بأنه «كان إنسانا كاملا».. ولأنه كمال مبنى على الوهم فالقصة تحيله إلى واقع بأن تجعل عيسو يتنازل ليعقوب عن بكوريته[1].. ويقابل هذا نفى بكورية اسماعيل بطرده هو وأمه هاجر.. وإذا كان ذلك قد حدث من أجل توريث اسحق ثروة أبيه إبراهيم فالمسألة كما بينا لها بعد آخر – وإن طغت عليه أولوية مسألة الميراث – وهو احتياج الهوية العبرية إلى الهوية المصرية من أجل تحقيق الذات[2] الذى يقابله وصف يعقوب بالكمال.. وإذا كان تحقيق هذا الهدف بالنسبة لاسحق قد تم عن طريق الختان فقد تم لدى يعقوب عن طريق تنازل عيسو له عن بكوريته.. وما نعنيه هو أن البكورية فى حد ذاتها وحتى بدون الختان ترمز إلى الهوية المصرية أو بالتحديد ترمز إلى أسبقية وجود الشعب المصرى.. والدليل على ذلك بكورية عيسو واسماعيل وقايين وكلهم يمثلون الهوية المصرية وذلك باستثناء حام فى قصة نوح حيث كان الهدف منها إعادة قصة الخلق من جديد بحيث تكون الاسبقية أى البكورية للهوية القمرية أى لسام بدلا من حام (وقد أثبتنا فشل ذلك).

وبتوصلنا إلى أن البكورية ترمز إلى الهوية المصرية نكون قد فسرنا ظاهرة نفى البكورية لحساب الهوية القمرية فى قصص التوراة ونكون بالتالى قد أوضحنا السبب الذى جعل الباحث محمد قاسم محمد يقول : «يبدو أن كتبة التوراة مصابون بعقدة البكورية».[3]

## اختلاف مغزى البكورية بين رفقة واسحق

قلنا إن مسألة الميراث تخص (ماقبل ازدواج الشخصية) أى تخص اسحق.. وإن مسألة تحقيق الذات تخص (ازدواج الشخصية) أى تخص رفقة والتوأمين.. وقلنا إن جهل اسحق بـ(ازدواج الشخصية) جعل عيسو فى نظره قمرى الهوية مثله مثل يعقوب.. وعلى هذا فقضية الهوية الشمسية (المصرية) أى البكورية يختلف مغزاها لدى اسحق عنه لدى رفقة.. فهى بالنسبة لرفقة تتعلق بمسألة تحقيق الذات التى تستدعى الجمع بين الهوية الشمسية والهوية القمرية فى شخصى عيسو ويعقوب ومن هنا كان وصف عيسو البكر بهويته الشمسية [4].. أما بالنسبة لاسحق فقضية البكورية تتعلق بتوريث الثروة للهوية القمرية ومن هنا كان وصف عيسو البكر بالهوية القمرية(٥).

---

(١) «تكوين» (٢٥ : ٣٠ – ٣٤).
(٢) ومما يبين أن مسألة تحقيق الذات كانت متوارية خلف مسألة الميراث قول سارة عن اسماعيل: «ابن هذه الجارية لايرث مع ابنى اسحق» (تكوين ٢١ . ١٠) وما نعنيه هو أن هذا القول صدر من ساراى بعد أن أصبح اسمها سارة وقد فسرنا هذا الاسم بأنه يعنى اضافة هوية هاجر الشمسية الى هوية ساراى القمرية. فكأن سارة تمثل مشروع (ازدواج الشخصية) الذى ظهر فى رفقة والذى يخص مسألة تحقيق الذات. ولأنه مجرد مشروع فقد طفت مسألة الميراث على مسألة تحقيق الذات.
(٣) «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة» (ص ٦٩ هامش).
(٤) «فأتى عيسو من الحقل» .
(٥) « وكان عيسو إنسانا يعرف الصيد»

ومما يعزز قولنا بأن مسألة الميراث تخص اسحق أنه بصفته وارث ثروة أبيه ابراهيم نجده يحنو حنوه فيما فعله مع الفرعون ومع أبيمالك ملك الفلسطينيين.. ففى الاصحاح (٢٦) من سفر التكوين نجد اسحق يذهب إلى أبيمالك ويدعى أن رفقة أخته وليست زوجته ثم ينتهى الأمر كالمعتاد باكتشاف الحقيقة واغداق أبيمالك على اسحق بعد لومه على كذبته.. وهنا يستوقفنا مايؤكد أن اللعبة مقصودة بهدف الكسب المادى ومضاعفة الثروة التى ورثها اسحق عن أبيه ابراهيم.. وذلك أن القصة تبرر كذب اسحق بشأن زوجته بخوفه من قتله والاستيلاء عليها لجمالها.. فمن يخاف إلى هذا الحد الذى يجعله يسلم زوجته لغيره لابد أن يحرص كل الحرص على إخفاء سره.. ولكننا نجد أن اسحق يلاعب زوجته أمام نافذة قصر الملك فكانت النتيجة - كالمطلوب - أنه رآه وكشف سره وانتهى الأمر بتأمين حياة اسحق بأمر الملك وجنى الخيرات فى مملكته.. فهل تجنينا حين قلنا إن ما فعله اسحق وأبوه ابراهيم من قبله كان لعبة مقصودة بهدف الكسب المادى؟

## تحليل قصة عيسو ويعقوب

بعد الذى قدمناه فى هذا الفصل نكون مستعدين لتحليل قصة عيسو ويعقوب.. ونبدأ فنذكر قولنا بأن الشخصية المزدوجة للأم رفقة تحكم الشخصية المزدوجة للتوأمين باعتبارها القاعدة التى تعمل عليها.. وباعتبار أن طرفى الشخصية المزدوجة فى موضوعنا هما الهوية القمرية (العبرية) والهوية الشمسية (المصرية) فإن رفقة تمثل شخصيتين:

١ - رفقة القمرية (العبرية).

٢ - رفقة الشمسية (المصرية).

وقبل أن نستعرض دور رفقة سنبين المبدأ الذى يحكم الصراع بين طرفى ازدواج الشخصية لدى الشعب المختار حيث الهوية القمرية هى الأصل.. وعلى هذا نقول إن ازدواج الشخصية يتكون من:

١ - الشخصية (الأصلية) القمرية وهى تخص الشعور.

٢ - الشخصية (الثانوية) الشمسية وهى تخص اللاشعور.

وكما أن الشعور لايدرك مايخص اللاشعور بينما اللاشعور يدرك ما يخص الشعور.. فكذلك لاتدرك الشخصية الاصلية ما يخص الشخصية الثانوية بينما تدرك الشخصية الثانوية مايخص الشخصية الاصلية.. وعلى هذا فإن رفقة الشمسية تحكم رفقة القمرية.. وكذلك عيسو الشمسى يحكم يعقوب القمرى وإن كان يفعل ذلك بقوة رفقة الشمسية التى تمثل (الذات الشمولية) الأنثى التى تحوى الذكر.. واحتواء الأنثى للذكر يعنى احتواء رفقة لعقدة البكورية التى يدور حولها الصراع لدى الشعب المختار المتمثل فى التوأمين عيسو ويعقوب.. وعلى هذا فسيان

القول بأن التوأمين يرمزان إلى الشعب المختار أو إلى عقدة البكورية.. وبالتالى يتساوى القول بأن (الذات الشمولية) المتمثلة فى رفقة الشمسية تحوى الشعب المختار أو تحوى عقدة البكورية.. وعلى أساس هذا المفهوم سنبدأ قصة التوأمين لنبين أن عقدة البكورية بدأت وهما مازالا فى رحم أمهما حيث قال (الرب) لها: «فى بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يستعبد لصغير»[1].. فهذا النص يذكرنا بالمثال الذى قدمناه بشأن الطفل الصغير وأخيه الكبير.. حيث قلنا إن الصغير يمثل العبريين وإن الكبير يمثل المصريين.. وطبقا للنص نجد أن (الرب) حكم باستعباد العبريين للمصريين.. وواضح أن (الرب) ممثل الشعب المختار قد حكم بعكس ماحدث تاريخيا بشهادة التوراة وهو أن المصريين هم الذين استعبدوا العبريين أى أن عيسو هو الذى يستبعد يعقوب.. وهنا نذكر من جديد أن أحداث التوراة سجلت بعد وقوعها وأن ذلك – حسب رأينا – قد تم تحت تأثير عقدة الأسر التى نتجت عنها عقدة البكورية ومن ثم مبدأ قلب الأوضاع كما رأينا فى قصص آدم وسلالته ونوح وسلالته وابراهيم وسلالته.. وإن كنا نرى الآن فى قصة اسحق وسلالته أن (ازدواج الشخصية) يقوم بنفى مبدأ قلب الأوضاع لحساب عيسو وذلك عن طريق تحكم رفقة الشمسية فى رفقة القمرية وبالتالى فى يعقوب القمرى.

ولننظر الآن ماذا فعلت رفقة الشمسية مبتدئين بالنص الذى يقول: «فأحب اسحق عيسو لأن فى فمه صيدا. وأما رفقة فكانت تحب يعقوب»[2].. وأول ما نلاحظه أن اسحق القمرى الهوية يقابل الشخصية الأصلية[3] التى تخص الشعور ومن ثم فهو لايدرك هوية عيسو الشمسية التى تخص اللاشعور.. ولذا فهو يحبه لأن فى فمه صيدا وقد قلنا إن الصيد يخص الهوية القمرية.. أما عن حب رفقة ليعقوب فبما أن هويته قمرية فالتى تحبه هى رفقة القمرية.. ولأنه حب متأصل فالنص يعبر عنه بقوله: وأما رفقة (فكانت) تحب يعقوب وذلك عكس حب اسحق لعيسو الذى استجد بظهور (ازدواج الشخصية) ومن ثم فالنص لايعبر عنه بقوله: (وكان) اسحق يحب عيسو.. ولكن بقوله: فأحب اسحق عيسو.

وكما يحدث عندما يشيخ الأب ويشعر بقرب منيته – وهو هنا اسحق الثرى – فهو يبارك ابنه البكر الذى سيحل مكانه.. وهذا ما فعله مع عيسو إذ طلب منه أن يأخذ عدة الصيد ليصيد له طعاما يحبه حتى يباركه قبل موته.. وواضح أن البركة ستكون لعيسو (الصياد) أى لعيسو بهويته القمرية التى يعلمها اسحق عن طريق الشعور.. أما الذى لايعلمه لأنه يخص اللاشعور فهو أن البركة ستكون لعيسو الشمسى الهوية.. ولأن رفقة الشمسية التى تخص اللاشعور تعلم ذلك ولأنها تمثل الشخصية الثانوية التى تحكم الشخصية الأصلية التى تخص الشعور وهى رفقة

---

(١) «تكوين» (٢٥ : ٢٣)

(٢) «تكوين» (٢٥:٢٨) .

(٣) (نستخدم اصطلاح (الشخصية) الذى يخص (ازدواج الشخصية) الذى لايخص اسحق باعتبار أن الهوية القمرية فى موضوعنا هى الأصل.. وعلى هذا قلنا إن اسحق (يقابل) ولم نقل (يمثل) الشخصية الأصلية.

القمرية.. فهي تستغل حبها - أي حب رفقة القمرية - ليعقوب القمرى وتجعلها تطلب منه أن يتنكر في ثياب عيسو ويذهب إلى اسحق بالطعام الذى طلبه من عيسو لينال البركة بدلا منه.. ومعنى هذا سريان مبدأ قلب الأوضاع الذى يجعل البكورية للابن الأصغر.. وهنا يستوقفنا أن رفقة الشمسية تعمل ضد نفسها بمنح البكورية التى تخص هويتها للهوية القمرية.. ولكن لننتظر حتى نرى النتيجة النهائية.

ونستمر مع القصة حيث يذهب يعقوب إلى اسحق متنكرا في ثياب عيسو.. ويتعجب اسحق لسرعة مجيئه ولأن الشيخوخة أضعفت نظره فهو يطلب من يعقوب أن يقترب منه لكى يتحسسه ويتأكد أنه عيسو (انظر الهامش ١) ويتلمس اسحق يدى يعقوب ويقول: «الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو».(٢) ورغم هذا الشك فإن اسحق يتيقن من أن الذى أمامه هو عيسو ومن ثم يباركه دون أن يدرى أنه بارك يعقوب.. ونتوقف عند مسألة الشك عن طريق الصوت واليقين عن طريق اللمس لنقول إن حاستى السمع واللمس تخصان الشعور إلا أن حاسة اللمس أقوى من حاسة السمع(٣) ومن هنا كان يقين اسحق عن طريق اللمس.. ولأن اللمس يخص الشعور الذى يخص اسحق فهو يجهل مايخص اللاشعور الذى يخص رفقة الشمسية ومن ثم لايدرك الحيلة التى قامت بها حين جعلت يعقوب يتنكر في ثياب عيسو.

وبعد أن بارك اسحق يعقوب على أنه عيسو طلب أن يقبله فشم رائحة ثياب عيسو التى يرتديها يعقوب فقال: «رائحة ابنى كرائحة حقل»(٤).. وهنا يستوقفنا ان اسحق الذى يعرف عيسو على أنه قمرى الهوية يصفه برائحة الحقل الذى يخص الهوية الشمسية .. ونفسر ذلك بأن بركة اسحق لعيسو تخص مسألة الميراث.. وعندما نعود إلى ثروة ابراهيم التى جناها من خدعة أن زوجته أخته نجدها ثروة مكونة من المال والإماء والأغنام.. أما الثروة التى جناها اسحق من نفس الخدعة فمصدرها أرض مملكة أبيمالك الذى أعطاه الأمان بعد كل ما حدث «وزرع اسحق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مائة ضعف».(٥) ومن هنا كان وصف اسحق لعيسو برائحة الحقل كناية عن توريثه الأرض.

وميراث اسحق يتكون من ثروتين:

---

(١) تنكر القصة أن عيسو ولد مكسوا كله بالشعر ومن هنا سمى «عيسو» أى أشعر. أما يعقوب فتذكر القصة أنه أملس . وعلى هذا فعندما طلبت رفقة من يعقوب أن يتنكر في شخصية عيسو جعلته يلبس ثيابه ويكسو يديه ورقبته بجلود جدى المعزى . وحين تنظر من الناحية الرمزية إلى الأشعر والأملس نجد أن الأول وهو عيسو يرمز إلى الأرض الزراعية المكسوة بالنبات وأن الثانى وهو يعقوب يرمز إلى الأرض الصحراوية الجرداء . وهذا يفسر أن اسحق عندما شم رائحة ثياب عيسو التى يلبسها يعقوب وصفه بقوله «رائحة ابنى كرائحة الحقل» (تكوين ٢٧ : ٢٧ ) .

(٢) «تكوين » (٢٧ : ٢٢) .

(٣) فاللمس يخص الحس المباشر بين اللامس والملموس بعكس السمع حيث ينتقل الصوت عن طريق وسيط بين السامع والمسموع .

(٤) «تكوين» (٢٧: ٢٧) .

(٥) «تكوين» (٢٦ . ١٢)

١ - الثروة التى ورثها عن أبيه ابراهيم[1] والمكونة من مال وإماء وأغنام.

٢ - الثروة المتمثلة فى الأرض التى منحها له أبيمالك.

والفرق بين الثروتين أن الأولى متنقلة والثانية ثابتة والأرض الثابتة تتعلق بالاستقرار ومن ثم بفكرة التحول إلى شعب أى تحقيق الذات.. ومن هنا كان الجمع فى قصة اسحق بين مسألة الميراث ومسألة تحقيق الذات.. ومن هنا أيضا نجد أن اسحق يدعو لعيسو قائلا: «ليستعبد لك شعوب. كن سيدا لإخوتك. وليسجد لك بنو أمك» [2] وواضح أن هذا الدعاء يخص مسألة تحقيق الذات التى تمثلت فى عقدة البكورية منذ احتواء رفقة التوأمين.. ولكى نبين ذلك سنذكر ما قاله (الرب) لرفقة وهى حامل مقابل ما قاله اسحق لعيسو:

| قول (الرب) | قول إسحق |
|---|---|
| «فى بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يستعبد لصغير». | «ليستعبد لك شعوب. كن سيدا لإخوتك. وليسجد لك بنو أمك» |

وواضح أن النصين يجمعهما مضمون واحد هو مبدأ قلب الأوضاع الذى نتج عن عقدة البكورية والذى يجعل الكبير مستعبدا للصغير أى يجعل عيسو مستعبدا ليعقوب.. ولكننا نلاحظ فرقا بين النصين وهو أن النص الذى يخص (الرب) يتحدث عن استعباد طرف لطرف والنص الذى يخص اسحق يتحدث عن استعباد طرف لأطراف.. وتعليل ذلك يعيدنا إلى سابق قولنا بأن رد فعل استعباد الشعب المصرى للعبريين انتهى بأن شمل كل شعوب العالم.. ولأن هذا ليس له علاقة بموضوعنا الحالى فسوف نعيد صياغة النص الذى يخص اسحق بحيث تكون العبودية من طرف لطرف: «ليتسعبد لك شعب.. كن سيدا لأخيك. وليسجد لك ابن أمك»... ونتوقف عند هذا الدعاء لنجد له وجهين: أحدهما يخص اسحق والآخر يخص رفقة الشمسية.. أما الوجه الذى يخص اسحق فهو أنه من حيث الشعور - الذى جعله يعتقد أن يعقوب هو عيسو - يكون قد بارك عيسو بهويته القمرية التى يعرفها عنه.. وأما الوجه الذى يخص رفقة الشمسية فهو أن اسحق قد بارك يعقوب القمرى الهوية.. وفى كلتى الحالتين يكون مضمون الدعاء عبودية الهوية الشمسية للهوية القمرية وتكون رفقة الشمسية مازالت تعمل ضد نفسها.. ولكن كما قلنا لننتظر حتى نرى النتيجة النهائية.

(١) «وأعطى إبراهيم اسحق كل ما كان له» (تكوين ٢٥ : ٥).

(٢) «تكوين» (٢٧ : ٢٩).

ويعود عيسو إلى اسحق بالصيد الذى طلبه منه وتنكشف الخدعة التى قام بها يعقوب.. وتستمر القصة حيث يقول النص:

«فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التى باركه بها أبوه. وقال عيسو فى قلبه قربت أيام مناحة أبى فأقتل يعقوب أخى. فأُخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هوذا أخوك عيسو متسل من جهتك بقتلك. فالآن يابنى اسمع لقولى وقم إلى أخى فى لابان إلى حاران. وأقم عنده أياما قليلة حتى يرتد سخط أخيك. ثم أرسل فآخذك من هناك. لماذا أعدم اثنيكما فى يوم واحد».(١)

ونتوقف عند بعض فقرات ذلك النص لنقول الآتى:

١ - إن عيسو حدث قلبه بنيته لقتل أخيه ومع ذلك علمت رفقة بنيته.. فكيف حدث هذا ؟ (٢) (أنظر الهامش) والإجابة أن رفقة الشمسية هى التى علمت بنية عيسو حيث أنه شمسى مثلها (لاحظ الفعل المبنى للمجهول فى عبارة: فأُخبرت رفقة (٣) (أنظر الهامش) .

٢ - إن نية عيسو قتل أخيه يعقوب تحيلنا إلى قتل قايين (المقابل لعيسو) لأخيه هابيل (المقابل ليعقوب) والمغزى واضح وهو أن قصة عيسو ويعقوب هى تكرار لقصة قايين وهابيل (الأصلية) وإن اختلفت عنها من حيث تحولها إلى ازدواج الشخصية الذى يحتم تواجد طرفى الازدواج بمعنى عدم قتل عيسو ليعقوب مقابل قتل قايين لهابيل.. وبعبارة أخرى فإن ازدواج شخصية رفقة يحتاج لتحقيق هدفه إلى ازدواج شخصية التوأمين ومن ثم يهمها بقاء الاثنين «لماذا أعدم اثنيكما» ولأن ازدواج شخصية رفقة يرجع إلى (الذات الشمولية) الشمسية فإن رفقة الشمسية هى صاحبة هذا القول :

٣ - إن عدم قتل عيسو ليعقوب بالمقابل لقتل قايين لهابيل لا يتعارض مع قولنا بأن قصة عيسو ويعقوب هى تكرار لقصة قايين وهابيل إذ انه نظرا لحتمية تواجد طرفى ازدواج الشخصية فإن القتل يتحول من مادى الى معنوى وهو ماستنتهى اليه قصة عيسو ويعقوب عندما تفرض الشخصية الثانوية (الشمسية) إرادتها على الشخصية الأصلية (القمرية).

وتستمر القصة حيث يهرب يعقوب إلى خاله لابان ويحدث ما يجعل خاله يغضب عليه فيرحل من عنده وفى طريقه يضطر إلى المرور فى أرض عيسو .. ومن شدة خوفه منه يبعث إليه رسلا يتوسلون إليه عن لسانه «هكذا تقولون لسيدى عيسو. هكذا قال عبدك يعقوب»(٤).. ونتوقف

---

(١) «تكوين» (٢٧ : ٤١ - ٤٥).

(٢) وفى هذا يقول معد كتاب «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة » (هامش ١ ص ٧٣) : « إذا كان عيسو قد قال فى قلبه ولم يقل لأحد فمن أخبر أمه بكلامه ؟» وهو قول يسجل تناقضا فى النص . ولكننا سنقدم فورا تفسير معرفة رفقة بما قاله عيسو فى قلبه . وهذا مثال لما أشرنا إليه فى المقدمة من وجود مثل هذه التناقضات والأسئلة المعلقة فى الكتاب المذكور وكيف أننا أجبنا عليها بفضل نظرية «صدمة العرى» .

(٣) تذكر ما قلناه فى المقدمة بشأن مغزى اختيار الفعل المبنى للمجهول بدلا من المبنى للمعلوم.

(٤) «تكوين» (٣٢ : ٤).

عند هذا القول ونقارنه بقول اسحق ليعقوب حين باركه: «ليستعبد لك شعوب. كن سيدا لاخوتك» لنجد أن العبودية صارت ليعقوب (الصغير) وأن السيادة صارت لعيسو (الكبير) وذلك عكس ما أراد (الرب) حين قال لرفقة قبل ولادة التوأمين: «وفي بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يستعيد لصغير» ، ولأن الأمر انتهى إلى صغير يستعبد لكبير فمعنى ذلك أن إرادة (الرب) لم تتحقق.. وباعتبار أن (الرب) يمثل الشعب المختار فمعنى هذا أن إرادة الشعب المختار لم تتحقق.. وكعادته حين يعجز عن تحقيق هدفه فإنه يصعد إرادته من مستواها البشرى إلى المستوى الالهى بأن يجعل نفسه ندا للإله.. وقد تم ذلك عن طريق القصة التى سبق أن ذكرناها والتى سنذكر نصها حتى نحلل ما وراء ها:

«فبقى يعقوب وحده. وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه. فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه. وقال اطلقنى لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركنى. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب. فقال لايدعى اسمك فى مابعد يعقوب بل إسرائيل. لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونُجِّيت نفسى. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه. لذلك لاياكل بنو إسرائيل عرق النّسا الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم. لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النّسا».(١)

وكما قلنا فقد ذكرنا هذا النص لكى نحلله وهو ما سنفعله من خلال فقراته:

١ - **فبقى يعقوب وحده:** المعنى الظاهر أن يعقوب بقى وحده بعد أن أرسل عبيده بالهدايا إلى عيسو لكى يستعطفه كما أرسل عائلته عبر مخاضة يبوق.. أما المعنى الباطن حسب رؤيتنا التحليلية لقصة التوأمين فهو أن يعقوب بقى وحده بمعنى بقى مفتقدا الإرادة الإلهية بعد أن ثبت عجز الإرادة البشرية.

٢ - **وصارعه إنسان حتي طلوع الفجر:** «يقصد كتبة التوراة أن الله - سبحانه وتعالى عن ذلك - قد ظهر ليعقوب متجسدا فى صورة إنسان ويجاريهم فى ذلك مفسرو الكتاب المقدس. فيقول ماكنتوش فى كتابه (تفسير سفر التكوين ص ٣ ، ٤) الرب يتنازل ويظهر فى صورة تتفق وأسلوب الحياة البدائية البسيطة. فلا يستخدم الأنبياء ليكلم الناس بواسطتهم. بل يجد مسرته معهم شخصيا فى حلم أو بكلام أو بأحد الظهورات الكريمة» (٢) ولاشك أن نظرة كتبة التوراة ومفسريه إلى الله عز وجل لايقبلها العقل وعلى هذا نترجم الفقرة المذكورة بما يقبله العقل.. وسوف نستخدم قول ماكنتوش بأن الرب يظهر للبشر فى صورة حلم ونقول إن الأسطورة التى وقعت ليعقوب كانت حلما(٣) أو ربما كانت حلم يقظة إذ أغلب الظن أنه لم ينم بسبب رعبه من

---

(١) «تكوين» (٣٢ : ٢٤ - ٣٢)

(٢) «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة» (ص ٧٨).

(٣) سبق وقلنا انه لا فرق بين منطق الأساطير ومنطق الأحلام.

لقاء عيسو في الصباح.. ولكى نعرف مقدار رعبه نذكر أن رسله إلى عيسو عادوا وأخبروه بأنه سيلقاه ومعه أربعمائة رجل فخاف وأعد قومه لمحاربته.. فمن المعقول إذن والأمر كذلك أن يقضى يعقوب ليلته وهو يحلم - سواء - في المنام أو اليقظة - بمحاربة عيسو وهو ما تعبر عنه الفقرة (وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر) أى أن الانسان الذى صارعه هو عيسو.. ونلاحظ وصفه بأنه إنسان.

٣ - **ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه:** من أساليب الحلم أنه يصور ما يتوقعه الخائف ويضيف إليه مايتمناه. فما يتوقعه يعقوب الخائف هو أن يحاربه عيسو وينال منه وهذا ما حدث عندما ضربه الإنسان الذى صارعه على حق فخذه.. وما يتمناه هو أن لايقدر عيسو عليه وهذا ماحدث عندما لم يقدر عليه الانسان الذى صارعه.

٤ - **وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر:** فى تناولنا السابق لهذه الأسطورة بينا أن من صارع يعقوب هو «إيل» إله القمر الذى يخشى نور الشمس ولهذا طلب من يعقوب أن يطلقه لأنه قد طلع الفجر.. ومعنى هذا أن الانسان الذى صارع يعقوب بعد أن كان يمثل عيسو (البشر) أصبح يمثل «إيل» (الإله) وبهذا يكون الحلم بعد أن أدى وظيفته بشأن تبديد خوف يعقوب من عيسو قد بدأ يمهد لوظيفة أخرى هى رفع بركة اسحق البشرية التى منحها ليعقوب إلى مستوى البركة الإلهية.

٥ - **فقال لا أطلقك إن لم تباركني:** قلنا إن الشعب المختار - وبالتالى يعقوب - فى تصعيده لإرادته البشرية إلى مستوى الإرادة الإلهية - قلنا إنه يفعل ذلك بأن يجعل نفسه ندا للإله ومن ثم يساومه مساومة الند للند.. وها هو يعقوب يساوم الإله «إيل» بأن يباركه مقابل اطلاق سراحه.

٦ - **فقال ما اسمك. فقال يعقوب . فقال لايدعي اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت:** انتهينا إلى أن الإنسان الذى صارع يعقوب بعد أن كان يمثل عيسو أصبح يمثل «إيل» وهو الآن يدعو يعقوب بالإسم اسرائيل الذى يعنى «يجاهد الله» أى «يصارع الله» .

٧ - **وسأل يعقوب. وقال اخبرني باسمك.. فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك** : الآن تم تصعيد بركة اسحق البشرية ليعقوب إلى بركة إلهية وهى بركة (الله) حسب الفقرة السابقة. ولكننا نلاحظ أن (الله) هنا يرفض الافصاح عن أسمه أو بالأصح عن هويته وهو ما سنناقشه فى الفقرة التالية:

٨ - **فدعا يعقوب إسم المكان فنيئيل قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونُجّيت نفسي:** بداية نقول إن فنيئيل كلمة من مقطعين تعنى «وجه الله».. وكما نعرف فإن

العبريين انفردوا وحدهم بالجمع بين «إيل» و(الله).. وهنا نسأل لماذا أطلق يعقوب على مكان البركة عبارة «وجه الله» بدلا من «وجه إيل» رغم أن المقطع الثانى من «فنيئيل» يخص «إيل»؟... وما نعنيه بهذا السؤال هو التحقق بشأن المقصود باستخدام (الله) بدلا من «إيل» ، حيث إن (الله) يعنى أيضا إله الشمس «رع» .. وما نعنيه بالتحديد هو أن المكان الذى تمت فيه البركة يخص الهوية الشمسية وبالتالى فالذى منح يعقوب البركة ينتمى إلى الهوية الشمسية – وهذا بديهى حيث أن البركة تتعلق بالبكورية التى تتعلق بالهوية الشمسية – وبالتالى فالذى نجىَّ يعقوب ينتمى إلى الهوية الشمسية.. ولأن الهوية الشمسية تتعلق باللاشعور الذى لايدركه الشعور فإن يعقوب لايدرك أن الذى نجاه هو (الله) الشمسى أى «رع».. ولكنه فى نفس الوقت لايقر بأن الذى نجاه هو (الله) القمرى أى «إيل» ومن هنا نجد فى عبارة (ونُجِّيت نفسى) أن الفعل مبنى للمجهول(1).. وتعليل ذلك أن الشخصية الأصلية الشعورية عندما يزداد عليها ضغط الشخصية الثانوية اللاشعورية فإنها تمر بلحظات غيبوبة أو فقدان ذاكرة مؤقت ثم تفيق وهى فى حالة خلط بين الشعور واللاشعور فتجد نفسها أمام معلومة أو فعل تحتار إن كان فاعله يخص الشعور أو اللاشعور ومن ثم تنسبه إلى مجهول.. ومثال ذلك أن يعقوب فى الفقرة (٦) عرف أن من صارعه هو (الله) ثم بسبب فقدان الذاكرة المؤقت سأله عن اسمه فى الفقرة (٧).. ونلاحظ أن هذا يحدث فى الحالات التى تجمع بين الشعور واللاشعور مثل حالة (الله) الذى يجمع بين «إيل» القمرى الذى يخص الشخصية (الأصلية) الشعورية وبين «رع» الشمسى الذى يخص الشخصية (الثانوية) اللاشعورية.

**٩ – وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع علي فخذه:** واضح هنا الربط بين الشمس وإصابة فخذ يعقوب أى أن الذى ضربه على فخذه هو إله الشمس «رع» وليس إله القمر «إيل» .. وعلى هذا ننتقل إلى الفقرة التالية:

**١٠ – لذلك لايأكل بنو إسرائيل عرق النَّسا الذي علي حق الفخذ إلى هذا اليوم. لأنه ضرب حق فخذ يعقوب علي عرق النَّسا:** الجزء الأول من الفقرة يعبر عن رفض ما يتعلق بضرب فخذ يعقوب أى رفض من ضربه.. والجزء الثانى يؤكد ذلك فى العبارة السببية (لأنه ضرب) حيث يعود ضمير الغائب على الضارب المرفوض وهو بالطبع إله الشمس الذى ترفضه الهوية القمرية.. ونترجم هذا الاستنتاج بمنطق أن ازدواج شخصية رفقة هو المتحكم فى ازدواج شخصية التوأمين فنقول إن الذى ضرب فخذ يعقوب هو رفقة الشمسية(2) التى تستمد فعاليتها الحتمية من (الذات الشمولية) الشمسية الهوية التى ترفضها الهوية القمرية.. والخلاصة أن (الذات الشمولية) هى التى ضربت فخذ يعقوب ولأنها تمثل هوية الشمس (الأنثى)

---

(1) مرة أخرى .. تذكر ما قلناه فى المقدمة بشأن مغزى اختيار الفعل المبنى للمجهول بدلا من المبنى للمعلوم

(2) ومن ثم جعلته يمشى وهو يخمع أى يظلع أى يعرج على ساق واحدة رمزا الى اعتماده على هوية واحدة هى هويته القمرية التى تجعله ناقصا بدون الهوية الشمسية.

التى ترفضها هوية القمر (الذكر) فمن هنا كان تحريم أكل عرق النَّسا عند بنى إسرائيل.. ومعنى هذا أن هناك علاقة بين (الأنثى) وعرق النَّسا .. وفى مختار الصحاح يقول ابن السكّيت هو عرق النَّسْى.. و(النَّسْى) بفتح النون أو كسرها ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها. وبناء على قول ابن السكّيت نقول إن خرق اعتلال المرأة هى خرق الحيض رمز خصوبة (الأنثى) التى تمثلها (الذات الشمولية) التى يرفضها الشعب المختار.. وعلى هذا فإن رفض أكل عرق النّسا = رفض (الذات الشمولية).

## ازدواج شخصية (الله):

ونعود إلى مسألة انفراد العبريين بالجمع بين «إيل» و(الله) - الشمسى أصلا - لنجد أن مافعلوه يعنى ازدواج شخصية (الله) وهو مايتفق وازدواج شخصية الشعب المختار الذى سنتناوله بالتفصيل فيما بعد والذى يؤكده أنه الشعب الوحيد الذى جمع بين «إيل» و(الله).. ومايعنينا الآن هو أن ازدواج شخصية (الله) فى ظهوره ليعقوب كان أمرا طبيعيا حيث أن قصة عيسو ويعقوب تمثل ازدواج الشخصية.. وبما أن ازدواج شخصية رفقة يحكم ازدواج شخصية التوأمين فقد كان لابد أن تتعامل مع يعقوب من خلال ازدواج شخصية (الله) .. وعلى هذا نقول:

بما أن ازدواج شخصية (الله) = (الله) القمرى + (الله) الشمسى.

وبما أن ازدواج شخصية رفقة = رفقة القمرية + رفقة الشمسية.

وبما أن الشخصية (الثانوية) (الشمسية الهوية) تحكم الشخصية (الأصلية) (القمرية الهوية).

إذن رفقة الشمسية تحكم (الله) القمرى.

إذن الذى ظهر ليعقوب هو رفقة الشمسية المتحكمة فى رفقة القمرية متنكرة فى (الله) الشمسى المتحكم فى (الله) القمرى.. ولأن (الله) الشمسى يخص اللاشعور الذى لايدركه الشعور لدى يعقوب فمن هنا كان الخلط لديه بين «إيل» القمرى و(الله) الشمسى فظنه (الله) القمرى.

وقد عرفنا فى رفقة حيلة التنكر التى لجأت إليها مع يعقوب حين جعلته يتنكر فى شخصية عيسو.. فالتنكر من سمات ازدواج الشخصية حيث تستخدمه الشخصية الثانوية لتنفيذ غرضها.. وهى تفعل ذلك على مرحلتين: ففى البداية تقنع الشخصية الأصلية بأن تتنكر فى الشخصية الثانوية مثلما فعلت رفقة الشمسية مع يعقوب القمرى.. وهى تفعل ذلك عن طريق الشخصية الأصلية التى تخصها أى عن طريق رفقة القمرية مستغلة حبها ليعقوب القمرى مثلها.. ثم عندما تضعف الشخصية الأصلية وتوشك على الانهيار مثلما حدث ليعقوب وهو ينتظر لقاء عيسو فإن الشخصية (الثانوية) (رفقة الشمسية) تتقمص - ولا نقول تتنكر فى [1] - الشخصية

---

(١) وهنا نشير إلى أننا بصدد ازدواج شخصية لايزال الصراع بين طرفيه قائما أى انه لم يتحول الى الشخصية الثنائية حيث التواؤم بين طرفيها وحيث تظهر شخصية جديدة ثالثة تجمع بين الطرفين دون صراع بينهما ومن ثم تنتهى حيلة التنكر والتقمص. وبعبارة أخرى فإن ازدواج الشخصية يظل قائما طالما أن الشعب المختار لم يتحول إلى شعب بالفعل أى أن ظهور الشخصية الثالثة يرتبط بالتحول الفعلى إلى شعب.

(الأصلية) التى تخصها (رفقة القمرية) + الشخصية (الأصلية) التى تخص الغير (يعقوب) وذلك باعتبار أن ضعف مقاومة الأخيرة (شخصية يعقوب) يضعف من تأثير مساندة الأولى (شخصية رفقة القمرية) لها.. ونتيجة لذلك فإن الشخصية (الأصلية) المقهورة أصلا (يعقوب) تفتقد مساندة الشخصية (الأصلية) (رفقة القمرية) التى ضعفت مقاومتها.. وهو ماينتج عنه الاحساس بالوحدة ومن هنا بدأت قصة يعقوب بالعبارة: فبقى يعقوب وحده.

## غلبة (الذات الشمولية)

رأينا كيف بات يعقوب ليلته وهو يحلم بلقاء عيسو فى الصباح.. وقبل أن نتناول اللقاء الذى تم بينهما نمهد لذلك بالآتى:

بداية نلخص قصة يعقوب إلى ثلاث مراحل:

١ - يقظة ماقبل الحلم.

٢ - الحلم.

٣ - يقظة ما بعد الحلم.

ومن سمات ازدواج الشخصية لجوء الشخصية (الثانوية) إلى الحلم لإملاء إرادتها على الشخصية (الأصلية) فى مرحلة يقظة ما بعد الحلم وذلك بأسلوب يختلف عما كان عليه فى مرحلة يقظة ما قبل الحلم.. ولكى نتعرف على هذا الأسلوب نلخص أولا الأسلوبين اللذين اتبعتهما الشخصية (الثانوية) فى مرحلة ماقبل الحلم ومرحلة الحلم.

ففى مرحلة ما قبل الحلم كانت الشخصية (الثانوية) (اللاشعورية) تتحكم فى الشخصية (الأصلية) (الشعورية) نتيجة عدم إدراك الشعور لما يخص اللاشعور.. وبعبارة تفصيلية كانت رفقة الشمسية تتحكم فى يعقوب القمرى عن طريق تحكمها فى رفقة القمرية مستغلة الحب الذى يجمع بين الأثنين القمريين.. فالتحكم فى يعقوب هنا غير مباشر.

أما فى مرحلة الحلم فقد قلنا إن يعقوب قضى ليلته منهارا من شدة خوفه من لقاء عيسو فى الصباح.. وإن إنهياره أدى إلى ضعف مساندة رفقة القمرية له.. وإنه نتيجة لذلك تقمصت رفقة الشمسية الاثنين وهو مايعنى تقمص اللاشعور للشعور وهو ما يعنى أن التحكم فى يعقوب أصبح مباشرا بعد أن كان غير مباشر.

وهكذا تكون الشخصية (الثانوية) قد مهدت عن طريق الحلم لإملاء إرادتها نهائيا على الشخصية (الأصلية) فى مرحلة مابعد الحلم.. وسوف نبين كيفية حدوث ذلك من خلال النقاط الآتية:

١ - أن رفقة الشمسية عن طريق الحلم قد ألغت دور رفقة القمرية كهمزة وصل بينها وبين يعقوب .. وأن هذا الإلغاء ظل مستمرا بعد يقظة يعقوب من الحلم نظرا لاستمرار انهياره بسبب خوفه من لقاء عيسو ومن ثم ضعف مساندة رفقة القمرية له.

٢ – أن يقظة يعقوب من الحلم تعنى عودة الشعور لديه.. وطبقا للنقطة السابقة فهو شعور مقهور ويضاعف من قهره أن يعقوب وحيد بسبب حرمانه من مساندة رفقة القمرية ومن ثم فهو جاهز لأن تفرض عليه رفقة الشمسية إرادتها نهائيا.. ولأن الشعور يخص الحواس أى الجسد فقد كانت وسيلتها لغرض إرادتها هى ضرب يعقوب على حق فخذه.. وسبق وبينا أن ضرب يعقوب على حق فخذه هو الحدث الوحيد فى الحلم الذى كشفت فيه الهوية الشمسية عن نفسها وما عدا ذلك جعلت يعقوب يظن أنه يخص الهوية القمرية.. والهدف واضح وهو اثبات أن الهوية الشمسية (الضاربة) لها الغلبة على الهوية القمرية (المضروبة).

٣ – كما قلنا فإن هدف الهوية الشمسية فى ازدواج الشخصية هو تصحيح مبدأ قلب الأوضاع الذى يجعل الغلبة للهوية القمرية ومن ثم يجعل عيسو مستعبدا ليعقوب.. وهو ما حكم به (الرب) قبل ولادة التوأمين حين قال لرفقة: «فى بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يستعبد لصغير» [1] أى أن عيسو الكبير يستعبد ليعقوب الصغير.. وسنرى الآن كيف تم تصحيح مبدأ قلب الأوضاع.. فبمجرد أن طلع الصباح واستيقظ يعقوب من الحلم تقدم نحو عيسو «وسجد إلى الأرض سبع مرات» [2] . وبهذا يكون قد نقض حكم (الرب) بعبودية عيسو له كما نقض دعوة أبيه اسحق حين باركه وهو متنكر فى شخصية عيسو وقال له: «كن سيدا لإخوتك وليسجد لك بنو أمك» [3] .. وبسجود يعقوب لعيسو يكون قد رد إليه البركة التى أخذها بدلا منه عندما انتحل شخصيته.. وهو يقر بهذا فى قوله لعيسو: «خذ بركتى التى أُتى بها اليك»[4].. ونلاحظ أن الفعل «أُتى» مبنى للمجهول وفى هذا نعود إلى سابق قولنا بشأن عبارة «ونُجيّت نفسى».

---

(١) «تكوين» (٢٥ : ٢٣)
(٢) «تكوين» (٣٣ : ٣)
(٣) «تكوين» (٢٧ : ٢٩)
(٤) «تكوين» (٣٣ : ١١).

## الفصل الثامن عشر :

# قراءة فى قصة يوسف

■ **يوسف بديل لـ (الذات الشمونية) :**

○ إضفاء صفة الأنوثة على يوسف عن طريق القميص الملون .

■ **يوسف بديل للتوأمين عيسو ويعقوب:**

○ مغزى قصة يوسف مع زوجة فو طيفار .

■ **يوسف بديل لرفقة أم التوأمين:**

○ مغزى تفسير يوسف للأحلام .

■ **إقتحام قصة يهوذا لقصة يوسف:**

○ مغزى قصة الأخوين عير – بكسر العين – وأونان.

○ مغزى قصة التوأمين فارص وزارح.

○ رفقة أم التوأمين عيسو ويعقوب تقابلها ثامار أم التوأمين فارص وزارح.

○ تفسير أن ثامار تجمع بين كَنَّة يهوذا وزوجته.

○ الفرق بين الزواج الإجتماعى والزواج البيولوجى.

○ الهدف من قصة يهوذا .

○ مغزى اقتحام قصة يهوذا لقصة يوسف وهو اقتحام بنى إسرائيل لمصر .

■ **يوسف فى مصر:**

○ إعلاء يوسف القمرى على يوسف الشمسى ثم العكس.

○ تأثر قصة يوسف بعقدة الأسر والعبودية فى مصر .

## يوسف بديل لـ (الذات الشمولية)

فى الفصل السابق بينا فى قصة التوأمين عيسو ويعقوب كيف تغلبت الهوية الشمسية على الهوية القمرية وجعلت يعقوب القمرى يسجد لعيسو الشمسى .. وقد قلنا إن هذا حدث بفعل (الذات الشمولية) كما قلنا أيضا إن تحريم أكل عرق النَّسا لدى الشعب المختار يرجع إلى رفض صفة الأنثى التى تخص (الذات الشمولية) .. ونتيجة لذلك فإن الشعب المختار قرر إيجاد بديل (ذكر) لـ (الذات الشمولية) (الأنثى) حتى يضمن التحيز لهوية القمر الذكر ضد هوية الشمس الأنثى .. وسوف نبين هذا عن طريق شخصية يوسف باعتبار أنه البديل المقصود.

فقد سبق وقلنا إن تحكم هوية الشمس (الأنثى) فى هوية القمر (الذكر) يأتى من احتواء الأنثى للذكر فى (الذات الشمولية) .. ويقابل هذا فى البديل الذكر احتواء الذكر للأنثى .. وعندما نطبق ذلك على يوسف نجد أن أباه يعقوب ميزه على إخوته «فصنع له قميصا ملونا» (١) .. ونتوقف عند هذا النص لنجد عند لفظة «ملونا» إشارة تحيلنا إلى النص (١٨) من الاصحاح (١٣) فى سفر صموئيل الثانى حيث نعلم أن الثوب الملون يخص الإناث .. كما نجد فى ذلك النص الجديد عند لفظة «ملون» إشارة تحيلنا إلى النص (٣٠) من الاصحاح (٥) فى سفر القضاة حيث نعلم أن المقصود بالثياب الملونة هو ثياب أنثوية مصبوغة .. ونخرج من ذلك بأن يعقوب صنع ليوسف قميصا أنثويا .. وهكذا أضفيت صفة الأنوثة على يوسف حتى يكون البديل العكسى لـ (الذات الشمولية) الأنثى التى تحوى الذكر .. فباعتبار أن يوسف ذكر (أصلا) فهو يحوى الأنثى (المضافة).

وقبل أن نستغرب ماذهبنا إليه بشأن يوسف نشير إلى أنه ليس غريبا على الشعب المختار إذ نجد أن «بعض المتصوفين من اليهود الذين يدعون بالكبليين يتحدثون عن عنصر أنثوى فى يهوه يدعى شيكناة (٢) .

## يوسف بديل للتوأمين عيسو ويعقوب :

فى تناونا لقصة قايين وهابيل ثم القصص التى تلتها رأينا أن الهدف من كل قصة هو تدارك فشل القصة السابقة بشأن إعلاء الهوية القمرية على الهوية الشمسية .. واستمرارا لهذه القاعدة نقول إن الهدف من قصة يوسف هو تدارك فشل القصة التى سبقتها وهى قصة التوأمين عيسو ويعقوب.

وكذلك رأينا أن قايين وهابيل فى القصة الأولى يقابلهما حام وسام فى قصة نوح ثم إسماعيل واسحق فى قصة إبراهيم ثم عيسو ويعقوب فى قصة اسحق .. واستمرارا لهذه القاعدة

---

(١) «تكوين» (٣٧ : ٣).

(٢) «المرأة والألوهية» (ص . ٥).

نقول إن يوسف يقابل التوأمين عيسو ويعقوب.. ومعنى هذا أن ازدواج الشخصية الذى تمثل فى شخصى عيسو ويعقوب أصبح متمثلا فى شخص واحد هو يوسف .

ويمكننا أن نطبق ذلك الاستنتاج على قصة يوسف فيما وقع بينه وبين امرأة سيده فوطيفار[1] حين راودته عن نفسه فأبى أن يخون ولى نعمته «فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معى. فترك ثوبه فى يدها وهرب .... فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنى»[2] .. وسوف نبين من هذه الواقعة أن يوسف يمثل التوأمين عيسو ويعقوب:

فبالنسبة إلى عيسو فإن هويته الشمسية تتعلق بالعقل الاختيارى ومن ثم بالأخلاق .. ويوسف عندما رفض الاستجابة لزوجة ولى نعمته قد فعل ذلك بدافع أخلاقى فهو فى هذا يمثل عيسو.

وبالنسبة إلى يعقوب فإن هويته القمرية تخص العبريين .. وقد وصفت زوجة فوطيفار يوسف بالعبد العبرى فهو بهذا يمثل يعقوب .

ومن ناحية أخرى فإن زوجة فوطفيار وصفت يوسف بأنه عبرى بعد أن هرب تاركا ثوبه فى يدها .. وقد رأينا فى قصة التوأمين أن يعقوب تنكر فى ثياب عيسو .. وعلى هذا يكون الذى هرب من زوجة فوطفيار هو يوسف العبرى المقابل ليعقوب .. وكما نعرف فإن هوية يعقوب القمرية لا تتعلق بالأخلاق مثل هوية عيسو الشمسية وعلى هذا نسأل لماذا هرب؟ والإجابة أن الهوية القمرية تمثل الذكر والهوية الشمسية تمثل الأنثى وهى هنا تتمثل فى زوجة فوطفيار .. وقد بينا أن قصة يوسف مبنية على أساس رفض (الذات الشمولية) (الأنثى) ومن هنا أُلبس يوسف ثوبا أنثويا ليكون بديلا لـ (الذات الشمولية).

## يوسف بديل لرفقة أم التوأمين :

انتهينا إلى أن يوسف يمثل ازدواج شخصية التوأمين عيسو ويعقوب ونضيف الآن أنه يمثل أيضا ازدواج شخصية رفقة أم التوأمين .. فقد تحدثنا فى الفصل السابق عن الحلم كوسيلة تستخدمها الشخصية (الثانوية) (رفقة الشمسية) لإملاء إرادتها على الشخصية (الأصلية) (رفقة القمرية وبالتالى يعقوب القمرى) .. والحلم هو العنصر المحرك لدى يوسف بحيث أطلق عليه لقب «صاحب الأحلام» [3] .. ونخرج من ذلك بأن يوسف يمثل رفقة الشمسية ورفقة القمرية .

وسبق وقلنا فى ازدواج الشخصية إن الشخصية (الثانوية) تعمل بفعالية (الذات الشمولية).. وباعتبار أن يوسف بديل لـ (الذات الشمولية) .. وباعتبار أن (الذات الشمولية)

---

(١) رئيس شرطة الفرعون وقد اشتري يوسف ووكله علي بيته.
(٢) «تكوين» (٣٩ : ١٢ – ١٧).
(٣) «تكوين» (٣٧ : ١٩).

مطلقة وأنها أنثى تحوى الذكر فهى تمثل الأم المطلقة التى تحوى الأب المطلق .. وباعتبار أن المطلق يعلو النسبى فإن (الذات الشمولية) تعلو الأم والأب النسبيين .. وعلى هذا نستطيع أن نفهم حلم يوسف عندما رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدين له .. أى عندما رأى أمه وأباه وأخواته ساجدين له [1].

ولأن يوسف كبديل لـ (الذات الشمولية) يتفوق على الشخصية (الثانوية) التى يمثلها فهو يجمع بين استخدامه للحلم مثلما تفعل الشخصية (الثانوية) ومقدرته على تفسير الحلم بعكس الشخصية (الثانوية) .. ولتوضيح ذلك نذكر سابق قولنا بأن (الذات الشمولية) تمثل (اللاشعور الشمولى) الذى يصدر منه «اللاشعور الجمعى» [2] .. وباعتبار أن الحلم يخص اللاشعور يكون (اللاشعور الشمولى) هو مصدر الحلم ويكون «اللاشعور الجمعى» - وبالتالى الفردى - هو مجرد حامل للحلم يقوم بدور الرسول بين (اللاشعور الشمولى) والشعور .. ونشبه ذلك بالكروموسومات حاملة الجينات التى تحمل الصفات الوراثية للجنين .. فإذا شبهنا الحلم بالجنين فإن صفات الجنين تقابل تفسير الحلم .

## اقتحام قصة يهوذا لقصة يوسف :

فى سفر التكوين تبدأ قصة يوسف من الاصحاح (٣٧) وتنتهى مع نهاية الاصحاح (٥٠) ولكننا نجد أن الاصحاح (٣٨) يقطع سياق قصة يوسف ليحكى قصة يهوذا أحد إخوته وهى قصة تبدو لا علاقة لها بقصة يوسف بحيث نستغرب وجودها .. ولكنها فى الواقع عكس ذلك .. فكما قلنا فإن تذكير (الذات الشمولية) فى شخص يوسف سببه رفض هوية القمر (الذكر) لهوية الشمس (الأنثى) .. ونجد ما يرمز إلى ذلك فى قصة يهوذا .. فالقصة تحكى أن يهوذا أخذ لأبنه البكر عير - بكسر العين - زوجة تدعى ثامار وأن عير مات قبل أن ينجب منها فزوجها يهوذا من ابنه الثانى أونان لينجب منها نسلا لأخيه «فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض[3].. لكى لايعطى نسلا لأخيه»[4] .. وسوف نبين أن عير شمسى الهوية وأن أونان قمرى الهوية .. فقد سبق وقلنا إن البكورية تخص الهوية الشمسية وعلى هذا فالإبن عير يمثل هوية الشمس (الأنثى) والإبن أونان يمثل هوية القمر (الذكر)[5] .. وقد تمثل رفض الذكر للأنثى فى رفض أونان لأخيه عير بأن أفسد على الأرض لكيلا يعطيه نسلا .. كما أن رفض هوية القمر (الذكر) لهوية الشمس (الأنثى) يعنى رفض احتواء الأنثى لبذرة الذكر .. وعلى هذا فإن إفساد أونان على الأرض يعني أيضا رفضه لأن تحوى ثامار بذرته .

---

(١) «تكوين» (٣٧ : ٩، ١٠).

(٢) راجع الفصل الثاني عشر تحت عنوان «نظرية الذات الشمولية» .

(٣) أي استمنى . ومن أونان جاء ت في الإنجليزية ONANISM بمعني الاستمناء

(٤) «تكوين» (٣٨ : ٩).

(٥) أسوة بالأخوين (قايين وهابيل) و(إسماعيل واسحق) و(عيسو ويعقوب).

وتستمر القصة إلى أن تنتهى بأن تحمل ثامار من يهوذا بتوأمين «وكان فى ولادتهما أن أحدهما أخرج يدا فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزا قائلة هذا خرج أولا . ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج . فقالت لماذا اقتحمت . عليك اقتحام . فدعى اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه الذى على يده القرمز فدعى اسمه زارح»(١) .. والاسم فارص يعنى «اقتحام» والاسم زارح يعنى «شروق» فهو يخص الشمس .. وبهذا يذكرنا النص بولادة التوأمين عيسو الشمسى ويعقوب القمرى وإن كان الوضع قد انقلب حيث أن فارص المقابل ليعقوب اقتحم طريق زارح المقابل لعيسو ونزل قبله .. وبناء على ذلك يمكننا القول بأن رفقة أم التوأمين عيسو ويعقوب تقابلها ثامار أم التوأمين فارص وزارح .. ولكن يوجد بين الاثنتين فرق وهو أن رفقة انجبت توأميها من زوجها اسحق بينما ثامار أنجبت توأميها من حميها يهوذا .. وهو وضع شاذ يحتاج إلى تفسير .

وبداية نقول إن ثامار ليست كَنَّة يهوذا بل هى زوجته وذلك استنادا إلى الحيثيات التى قدمها الأستاذ محمد قاسم فى كتابه «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة» (ص ٩٠) .. والسؤال الآن : ماهو تفسير ذلك الوضع الشاذ حيث تجمع ثامار فى قصة يهوذا بين الكَنَّة والزوجة بالنسبة له أو بين الزوجة ثم الأم بالنسبة لأولاده؟ ونبادر فنقول إن هذا الوضع يعتبر شاذا بالنسبة لمجتمع الأب أما بالنسبة لمجتمع الأم فهو أمر طبيعى يخص طبيعة (الذات الشمولية) الأنثى حاوية الذكر .. فهى بصفتها الاحتوائية لبذرة الرجل تمثل الزوجة .. وباعتبار أن بذرة الرجل تمثل الإبن فهى – أى (الذات الشمولية) تمثل الأم بجانب أنها تمثل الزوجة وذلك، عكس الرجل الذى يمثل الزوج فقط إذ أن دوره كأب ملغى فى مجتمع الأم .. فصفة الأمومة لدى (الذات الشمولية) هى التى تجعل المرأة زوجة أولاد الرجل وأمهم أيضا .

ونوضح ذلك من زاوية أخرى من خلال الفرق بين الزواج بمعناه الاجتماعى والزواج بمعناه البيولوجى .. فالزواج الاجتماعى هو زواج (MARRIAGE) بين المرأة والرجل .. أما الزواج البيولوچى فهو تزاوج (MYGOSIS) بين بويضــة المرأة (الأم) وبذرة الرجل (الأب) التى تمثل (الإبن) أى أنه تزاوج بين الأم والإبن .. فالزواج البيولوچى يحول المرأة إلى أم ويجعلها تجمع بين وضعين : فهى كإمرأة تعتبر زوجة الرجل وهى كأم تعتبر زوجة إبنه أى كَنَّته .. وهذا ينطبق على وضع ثامار بالنسبة ليهوذا .

والآن يمكننـا أن نبين أن الهدف من قصة يهوذا هو معالجة العجز الخاص بشخصية يوسف الناتج عن جعله بديلا لـ (الذات الشمولية) فباعتبار أن فعالية (الذات الشمولية) تأتى من كونها أنثى تحوى الذكر فمعنى هذا انعدام فعالية يوسف باعتباره ذكرا إذ أن الذكر لا يحوى الأنثى(٢) .. وكما قلنا فإن تذكير (الذات الشمولية) فى شخص

(١) «تكوين» (٣٨ : ٢٨ – ٣٠) .

(٢) ومن حيث قضية الشمس والقمر فالشمس تمثل الرحم بالنسبة للقمر والقمر يمثل الجنين بالنسبة للشمس ومن ثم فالشمس (الأنثى) تحوى القمر (الذكر) وليس العكس (راجع الجدول ص ٨٩ باعتبار أن القمر ملحق بالأرض).

يوسف راجع إلى رفض هوية القمر (الذكر) لهوية الشمس (الأنثى) وهو ما صورته قصة يهوذا في رفض أونان لإنجاب نسل لأخيه عير وبالتالي رفضه لأن تحوى ثامار - الأنثى - بذرته .. وكما نعرف فإن الهدف من قصة يوسف هو تلافي فشل قصة التوأمين عيسو ويعقوب بشأن إعلاء القمر على الشمس .. ولأن المتسبب في الفشل هو رفقة الشمسية التي تستمد فعاليتها من (الذات الشمولية) فقد تم إحلال يوسف محل (الذات الشمولية) وبالتالي محل رفقة الشمسية وذلك من خلال ثامار التي استخدمت التنكر(١) في خداع يهوذا مثلما فعلت رفقة الشمسية مع إسحق .. ولكنها على عكس ما فعلت رفقة أنجبت - كما رأينا - توأمين يعلو فيهما القمر على الشمس .

ونتوقف عند الفرق بين توأمي رفقة (عيسو ويعقوب) وتوأمي ثامار (فارص وزارح) لنخرج بالآتي : فقد سبق وذكرنا أن اسم يعقوب جاء من تعقبه لعيسو أثناء ولادته وأن اسم فارص الذي يعني «اقتحام» جاء من اقتحامه طريق زارح ونزوله قبله .. فنحن إذن بصدد تحول من تعقب إلى اقتحام وفي هذا مغزى نراه في أن الاصحاح (٣٨) الخاص بقصه يهوذا (الاقتحامية) يفصل بين ما قبل دخول يوسف مصر ودخوله إليها (راجع نهاية الاصحاح ٣٧ وبداية الاصحاح ٣٩) وما نعنيه هو أن قصة يهوذا تشي بأن دخول يوسف مصر كان خطة مرسومة لدخول بني إسرائيل مصر .. كما وأن إعلاء القمر (بني إسرائيل) على الشمس (المصريين) عن طريق (الاقتحام) يكشف طبيعة دخولهم مصر .. ومما يؤكد التخطيط لدخول يوسف مصر أن يهوذا اقترح على إخوته بيع يوسف لقافلة الاسماعيليين الذاهبة إلى مصر . (تذكر رؤيتنا بأن مصر كنت هي الأرض الموعودة قبل كنعان).

## يوسف في مصر :

رأينا كيف أن قصة يهوذا خلصت يوسف قبل دخوله مصر من العجز الناتج عن تذكير (الذات الشمولية) في شخصه ومن ثم انتهت القصة بإعلاء القمر على الشمس طبقا للدور المطلوب من يوسف في مصر .. وإعلاء القمر على الشمس يعني أن (الذات الشمولية) قد عملت ضد نفسها .. ولكن لنتذكر أن رفقة الشمسية فعلت المثل قبل أن تنهي الأمر لصالحها وتعلى عيسو الشمسي على يعقوب القمري .. وهو نفس ما ستفعله (الذات الشمولية) حيث ستنهي قصة يوسف في مصر بإعلاء يوسف الشمسي على يوسف القمري .. وعلى هذا سنعرض أولا مايخص إعلاء يوسف القمري على يوسف الشمسي أي إعلاء بني إسرائيل على المصريين .. وليس أدل على ذلك مما حدث ليوسف بعد أن فسر للفرعون حلمه الشهير ونصحه كيف يواجه المجاعة .. فقد ولاه الفرعون على أمر مصر « قد جعلتك على كل أرض مصر »(٢) بل إنه جعل المصريين

---

(١) انظر «تكوين» (٣٨ : ١٤ ، ١٥) .
(٢) «تكوين» (٤١ : ٤١) .

يركعون له « وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا أمامه اركعوا»[1] .. كما وأن الفرعون أطلق عليه لقب «صفنات فعنيح» [2] . أى مخلّص العالم (وفى السامرية «كنز العلم» ) ثم انتهى الأمر بأن اشترى يوسف شعب مصر وأرضه لحساب الفرعون «فقال يوسف للشعب إنى قد اشتريتكم اليوم وأرضكم للفرعون ... فقالوا أحييتنا . ليتنا نجد نعمة فى عينى سيدى فنكون عبيدا للفرعون» [3].

وهنا نذكر من جديد أن التوراة كتبت بعد تجربة الأسر والعبودية فى مصر .. وما نعنيه هو أن الشعب المختار فى مناصرته ليوسف (القمرى) قد لجأ إلى مبدأ قلب الأوضاع فجعل المصريين عبيدا للفرعون ردا على استعباد الفرعون له وذلك بأن جعل يوسف يشترى شعب مصر وأرضه للفرعون .. وجدير بالذكر أن هذا «لم يثبت تاريخيا» [4] مما يعزز قولنا بأن الشعب المختار قصده ليجعل المصريين عبيدا بدلا منه.

وقد قلنا بشأن إعلاء القمر على الشمس أن (الذات الشمولية) تعمل ضد نفسها .. ونلاحظ أنها فعلت ذلك مستخدمة الحلم [5] – حلم فرعون – مثلما فعلت رفقة الشمسية مع يعقوب وهو يحلم – فى اليقظة أو فى المنام – بلقاء عيسو .. وكما أنهت رفقة قصة عيسو ويعقوب بإعلاء الشمس على القمر فكذلك فعلت (الذات الشمولية) بإعلاء يوسف الشمسى (الأنثى) على يوسف القمرى (الذكر) وذلك بأن جعلت يعقوب يبارك يوسف ببركة أنثوية «بركات الثديين والرحم» [6] .. ولأنها بركات تخص (الذات الشمولية) الأم المطلقة التى تحوى الأبوين النسبيين فهى بركات تفوق على بركات أبوى يعقوب ومن هنا قوله عنها : «تفوق على بركات أبوى» [7]

---

(١) «تكوين» (٤١ : ٤٣) .
(٢) «تكوين» (٤١ : ٤٥) .
(٣) «تكوين» (٤٧ : ٢٣ ، ٢٥) .
(٤) «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة» (ص ١٠٤ هامش ٢).
(٥) وبالذات تفسير الحلم . وقد سبق وبينا أن (الذات الشمولية) تتفوق على الشخصية الثانوية بمقدرتها على تفسير الأحلام (راجع ذلك تحت عنوان «يوسف بديل لرفقة أم التوأمين»).
(٦) «تكوين» (٤٩ : – ٢٥) .
(٧) «تكوين» (٤٩ : – ٢٦) .

# الفصل التاسع عشر :

# قراءة فى قصة موسى

■ **عودة إلى تناقضات رؤية فرويد بوجود موسيين:**

○ رؤية فرويد لا تكشف حقيقة الشعب المختار لأنها تتعارض مع ازدواج الشخصية .

■ **الشعب المختار بين الحقيقة والوهم:**

○ الفرق بينالصواب والخطأ مقابل الفرق بين الحقيقة والوهم ..

○ معنى وجود موسيين فى شخص واحد .

■ **موسى بين التاريخ والأسطورة:**

○ [ مغزى أسطورة الطفل موسى

○ تذبذب موسى فى سفر الخروج بين الهويتين : المصرية والعبرية.

○ مغزى خلع حذاء موسى من رجليه هو تجريده من هويتيه .

■ **عودة إلى قصة نوح:**

○ الهدف من تجريد موسى من هويتيه .

■ **حتى لا تتكرر خيانة يوسف للعبريين:**

○ الخوف من تكرار خيانة يوسف العبرى مع موسى العبرى .

○ تصعيد موضوع فشل يوسف من المستوى البشرى إلى المستوى الإلهى عن طريق استبدال «يهوه» بيوسف كبديل لـ (الذات الشمولية).

○ تصعيد ازدواج شخصية موسى إلى المستوى الإلهى عن طريق ازدواج شخصية «يهوه».

○ تغليب موسى العبرى على موسى المصرى من حيث اللاشعور واقتصار موسى على الهوية العبرية من حيث الشعور .

■ **حتمية ازدوج شخصية موسى:**

○ مغزى وصف موسى بأنه (ابن) الله .

■ معالم ازدواج شخصية موسى:

- قواعد الصراع بين طرفى ازدواج الشخصية .
- تحليل تهرب موسى من الذهاب إلى مصر لإخراج العبريين.
- مغزى تحول العصا إلى حية وابتلاعها لحيات سحرة الفرعون.
- مغزى إخراج موسى يده من عبه برصاء مثل الثلج.
- مغزى ثقل فم ولسان موسى .

■ إزدواجية موسى وهرون:

- إزدواج شخصية هرون مثل موسى.
- هل معنى أخوة موسى وهرون أنهما متماثلان؟
- نسبة ملكية العصا السحرية إلى هرون دون موسى.
- الفرق بين (الازدواجية الأحادية) و (الازدواجية الثنائية).
- الفرق بين التحول النظرى إلى شعب فى مصر والتحول العملى إلى شعب فى كنعان.
- الفرق بين التكاثر الذاتى والتكاثر الجنسى.
- موسى يفقد هويته المصرية واقتصاره على الهوية العبرية فقط مثله مثل هرون.

■ موسى يولد من جديد عن طريق طقس الختان:

- إعادة الهوية المصرية إلى موسى عن طريق ختان ابنه جرشوم.
- الفرق بين الزواج ( قبل الحقيقى ) والزواج (الحقيقى ) .
- الختان شرط للتحول العملى إلى شعب.

■ موسى يتحول إلى قربان بفعل الختان:

- رحلة تطور القربان البشرى والحيوانى .
- تحول موسى إلى قربان بشرى له صفة المخلّص مثل المسيح.
- موسى خلَّص الشعب المختار ويوسف خلَّص الشعب المصرى .

■ موسى الإله المخلّص:

- موسى يجمع بين اللاهوت والناسوت مثل المسيح .
- مغزى تعيين موسى إلها للفرعون.
- طقس الختان له فعالية إلهية .

## ■ اكتشاف شخصية صفورة:

- العلاقة بين صفورة والإلهة الكنعانية «عناة» .
- تحليل ضم «عناة» إلى «يهوه» فى «عناة يهوه» .
- المقابلة بين إحلال الإبن «يهوه» محل أبيه «إيل» .. وإحلال الإبن جرشوم محل أبيه موسى.
- مغزى لقب «عناة الرحم».
- أسرة موسى تقابل أسرة الثالوث اليهودى.
- العلاقة بين دم الختان وعرس الدم لدى صفورة وبين حمام الدم لدى «عناة».
- العلاقة بين أسطورة أقهات وولادة اسحق .

## عودة إلى تناقضات رؤية ‹فرويد› بوجود موسيين :

فى نهاية الفصل السادس تعرضنا سريعا لرؤية فرويد بوجود موسيين : موسى المصرى وموسى المدينى .. وانتهينا إلى تناقضات جعلت الموسيين يبدوان وكأنهما موسى واحد .. وقد أنهينا الفصل مؤجلين عرض رؤيتنا بشأن تلك المسألة إلى حين .. والآن وقد كشفنا عن ازدواج الشخصية ودوره فى تحقيق الذات لدى الشعب المختار فإننا نستطيع القول بأنه إذا كان العبريون قد دخلوا مصر على يد يوسف بهدف تحقيق الذات ثم خرجوا على يد موسى لتحقيق نفس الهدف فى كنعان بدلا من مصر .. فمن البديهى أن يكون موسى مثل يوسف من حيث ازدواج الشخصية.

وقد رأينا أن ازدواج الشخصية كامن لدى الشعب المختار بمعنى أننا لم ننسبه إليه طبقاً لرؤية تخصنا وإنما كل الذى فعلنا أننا كشفنا عنه .. وعلى هذا نستطيع أن نقول بثقة واطمئنان إن رؤية فرويد بوجود موسيين لا تكشف حقيقة الشعب المختار لأنها تتعارض جذرياً مع ازدواج الشخصية .. وسوف نبين صحة ذلك من خلال الفرق بين (ازدواج الشخصية) و(ثنائية الشخصية) حيث قلنا فى الفصل (١٧) إن ازدواج الشخصية يعنى الصراع بين طرفين وإن ثنائية الشخصية تعنى التوائم بين طرفين .. وعندما نطبق هذا على قضية الشمس والقمر نجد أن ازدواج الشخصية سببه رفض أسبقية الشمس على القمر وهو ما ينطبق على الشعب المختار .. كما نجد أن ثنائية الشخصية تعنى الإقرار بأسبقية الشمس على القمر وهو ما لا ينطبق على الشعب المختار..

وعندما نطبق ذلك على رؤية فرويد المبنية على أساس أسبقية موسى المصرى على موسى المدينى أى أسبقية الشمس على القمر .. فمعنى ذلك أن رؤية فرويد تمثل ثنائية الشخصية التى لا تنطبق على الشعب المختار ومن ثم لا توصلنا إلى حقيقة الشعب المختار .

وإذا كان فرويد فى كتابه « موسى والتوحيد » قد ذهب إلى وجود موسيين : موسى المصرى وموسى المدينى .. وإذا كان قد بنى رؤيته على أساس تاريخى ثم طبق عليه نظرياته فى علم النفس .. فسوف يكون منهجنا عكس ذلك حيث أننا سنبنى رؤيتنا على أساس نفسى ثم نطبق عليه التاريخ .. وسنرى أن منهجنا هذا سيوصلنا إلى نتيجة تتفق ورؤية فرويد بوجود موسيين ولكنها تختلف عنها فى أن الموسيين مجتمعان فى شخص واحد .. وبعبارة أخرى فإنه إذا كان فرويد قد بنى رؤيته على أساس الواقع التاريخى فسوف نبنى رؤيتنا على أساس الوهم التاريخى . . وذلك تمشيا مع فكرة «الشعب المختار» المبنية على وهم الربوبية وتضخم الذات اللذين جعلاه يتدخل فى التوراة بما يتفق وذلك الوهم ..

## الشعب المختار ، بين الحقيقة والوهم :

عندما نقول : الحقيقة والوهم .. فكأننا نقول : الصواب والخطأ .. ولكن هذا التفكير المنطقى لا يصلح لتناول موضوع الشعب المختار ذى الطبيعة الخاصة التى لا يمكن فهمها إلا بالمنطق الذى يخصها .. وعلى هذا سنبدأ أولا بشرح المقصود بالصواب والخطأ ثم بعد ذلك سنبين كيفية اجتماعهما لدى الشعب المختار.

ونعود إلى الشعب المختار وقد أراد أن يعلى القمر على الشمس .. وكما نعرف فالشمس تخص العقل الاختيارى والقمر يخص العقل الجبرى .. وحسب مبدأ غلبة العقل الجبرى فإن العقل الاختيارى محكوم به .. وعلى هذا يكون الشعب المختار على صواب حين جعل القمر يحكم الشمس .

ولكن حين ننظر إلى العقل الاختيارى على أنه شرط تحقيق الذات أى تحول القبيلة العبرية إلى شعب .. فإن غلبة العقل الجبرى تنتقل إلى العقل الاحتيارى بحكم شرطيته ومن ثم يصبح هو الحاكم .. وعلى هذا يكون الشعب المختار على خطأ حين جعل القمر يحكم الشمس .. وهو ماكان صوابا فى الحالة الأولى .

ونلاحظ أن الصواب فى الحالة الأولى مبنى على أساس مبدأ غلبة العقل الجبرى وهو القانون الذى وضعه الخالق لحفظ توازن خلقه .. وعلى هذا سنسميه (الصواب المطلق) بدلا من (الصواب) ويقابله بالنسبة للحالة الثانية (الصواب النسبى) بدلا من (الخطأ).

ونلاحظ أن (الصواب المطلق) أساسه المفهوم الدينى للقمر والشمس (الدين الجبرى والدين الاختيارى) .. وأن (الصواب النسبى) أساسه المفهوم الدنيوى (القبيلة والشعب) .. ولأن القضية الأساسية للشعب المختار وهى التحول من قبيلة إلى شعب هى قضية دنيوية تخص (الصواب النسبى) فهو يجعلها تحكم القضية الدينية التى تخص (الصواب المطلق) ومن هنا - كما قلنا - فهو يوظف أمور الدين لحساب أمور الدنيا أى يوظف المطلق لحساب النسبى .

وأمور الدين تتعلق بموسى المصرى وموسى المدينى .. وباعتبار أن موسى المصرى يتعلق بالدين الشمسى الذى يخص (العقل الاختيارى) وأن موسى المدينى يتعلق بالدين القمرى الذى يخص (العقل الجبرى) .. فإن (الصواب المطلق) يجعل موسى المدينى يحكم موسى المصرى أى يجعل العبريين يحكمون المصريين بينما (الصواب النسبى) يجعل موسى المصرى يحكم موسى المدينى أى يجعل المصريين يحكمون العبريين .. ولأن (الصواب النسبى) أساسه أن الحاكم شعب والمحكوم قبيلة فإن تحويله إلى (الصواب المطلق) يستوجب شرطين بالنسبة إلى حلم القبيلة العبرية فى مصر .. وهذان الشرطان هما تحويل شعب مصر إلى قبيلة وتحويل القبيلة العبرية إلى شعب .. وقد حقق العبريون الشرط الذى يخصهم بأن نسبوا إلى أنفسهم صفة شعب وهم مازالوا قبيلة .. وبقى شرط تحويل شعب مصر إلى قبيلة ولأن هذا الشرط يستحيل تحقيقه فقد تغلبوا على

هذه الاستحالة بأن ميزوا صفتهم كشعب بصفة «الشعب المختار» .. وبعبارة أخرى فإنه نظرا لاستحالة تحويل (الصواب النسبى) إلى (الصواب المطلق) فقد لجأ العبريون إلى التغلب على (الصواب النسبى) المفروض عليهم عن طريق (صواب نسبى متميز) يخصهم .

وبذلك نكون أمام (صواب نسبى) يخص الواقع التاريخى المتمثل فى شعب مصر وفى مواجهته (صواب نسبى متميز) يخص الشعب المختار .. ولأن (الصواب النسبى المتميز) مبنى على الوهم فالنتيجة النهائية أننا أمام واقع مقابل وهم .. واقع يتمثل فى التاريخ ووهم يتمثل فى فكرة «الشعب المختار» .. ولتغليب الوهم على الواقع لجأ الشعب المختار إلى تصعيد (الصواب النسبى المتميز) إلى ( صواب نسبى إلهى ) وذلك بتصعيد «الشعب المختار» إلى «الشعب المختار من الرب» . ولأن « الرب » = « الشعب المختار » يكون الشعب المختار هو الذى نسب صفة «المختار» إلى نفسه بنفسه .. ولأن الشعب المختار هو فى الحقيقة قبيلة فإن الغلبة على الواقع التاريخى تكون للقبيلة وليست للشعب .. وهكذا يكون الشعب المختار فى مواجهته للواقع التاريخى قد جمع بين الحقيقة والوهم .. أى بين كونه قبيلة وشعبا فى آن واحد .. ونخرج من ذلك بالجدول الآتى:

| القبيلة (الحقيقة) | الشعب (الوهم) |
|---|---|
| بما أن القبيلة تتعلق بالعقل الجبرى | بما أن الشعب يتعلق بالعقل الاختيارى |
| إذن الحقيقة = العقل الجبرى | إذن الوهم = العقل الاختيارى |
| وبما أن موسى المدينى يتعلق بالعقل الجبرى | وبما أن موسى المصرى يتعلق بالعقل الاختيارى |
| إذن الحقيقة = موسى المدينى | إذن الوهم = موسى المصرى |

ونخرج من هذا الجدول بنتيجة نهائية وهى أن «الشعب المختار» بجمعه بين الحقيقة والوهم قد جمع بين موسى المدينى وموسى المصرى .. وبهذا نكون قد أوضحنا معنى قولنا بأن هناك موسيين فى شخص واحد.

## موسى بين التاريخ والأسطورة :

بعد أن بينا كيفية وجود موسيين فى موسى واحد علينا أن نبين توافق ذلك مع التاريخ والأسطورة أى – حسب المفهوم الذى قدمناه – مع الواقع الحقيقى والواقع الوهمى للتاريخ وذلك باعتبار أن الشعب المختار خلط بين الاثنين وبالتالى خلط بين الشعور الجمعى واللاشعور الجمعى من أجل تحقيق الهدف الذى سيطر عليه دائماً وهو قلب الأوضاع بالنسبة لتاريخ العبريين فى مصر كرد فعل لرفضها لهم وما تبع ذلك من أسرهم واضطهادهم .

ولأن اللاشعور الذى يقابل الأسطورة يعبر عن الحقيقة أكثر مما يعبر الشعور الذى يقابل التاريخ .. ولأن اللاشعور يتحكم فى الشعور .. فسوف نجد دائماً أن توصلنا إلى الحقائق بشأن كل مايتعلق بالشعب المختار يعتمد على غلبة اللاشعور للشعور أثناء تفاعل الإثنين معا .

ومع ذلك يجب أن نتنبه إلى تميع الحدود بين الأسطورة والتاريخ بسبب الخلط بين الإثنين فى تاريخ الشعب المختار ومن ثم فى التوراة .. الأمر الذى يجعلنا أحياناً نستخدم كلمة التاريخ مجازا .. وعلى هذا فلن نقدم رؤيتنا التطبيقية لفكرة موسيين فى شخص واحد على أساس ما استقر عليه الباحثون من أن موسى الخروج كان مصريا وإنما سنفترض أنه كان موسى المصرى أو موسى المدينى .. وسنحاول أن نحدد هويته من خلال سفر الخروج حيث سنجد أنفسنا أمام الجمع بين الهويتين أى الموسيين فى شخص واحد .. كما ستتكشف لنا صورة لموسى – أيا كانت هويته – لا تليق بقائد الخروج مما نعزوه إلى الإضافات التى أدخلت على التوراة لحساب الشعب المختار على حساب ماعداه .. ولا غرابة فى ذلك وتضخم الذات يشغل صاحبه عن ذات غيره حتى لو كان قائد ا.خروج .. فضلا عن أن تلك الإضافات جاء ت فى زمن لاحق بهتت فيه صورة بطل الماضى أمام أبطال الشعب المختار الذين أتوا بعده حيث «قام الأنبياء أو من سموا أنفسهم أنبياء وأولهم حزقيال وأعادوا كتابة الشريعة» (١) .. «وقد حدثت هذه الإضافات بعد عهد النبى حزقيال الذى لم يذكر الخروج أو موسى إلا بشكل موجز جدا» (٢) .

يبدأ سفر الخروج بفترة أسر واضطهاد العبريين فى مصر وحكم الملك بقتل مواليدهم الذكور حيث تبدأ أسطورة الطفل موسى سليل بيت لاوى العبرى الذى وضعته أمه فى سلة على حافة النهر حيث التقطته إبنة الفرعون وتبنته ودعت اسمه موسى .. وطبقا لافتراضنا بأن موسى الخروج كان مصريا أو عبرياً فسوف لا نناقش مسألة هوية موسى – كما فعل فرويد – من خلال مصرية اسمه إذ سنعتبر ذلك أمرا بديهيا باعتبار أن ابنة الفرعون التى تبنته مصرية .. وكذلك سوف نتجاهل استدلال فرويد على هوية موسى عن طريق تحليله للأسطورة التى نسبت إليه حيث يقول : «إن موسى مصرى .... وتجعله الأسطورة يهوديا» (٣) .. وإنما سوف نتوقف عند مغزى الأسطورة حسب قول فرويد : «عندما تلصق مخيلة شعب من الشعوب هذه الأسطورة بشخصية مشهورة فإنما لتشير إلى أن الشعب قد اعترف به بطلا» (٤).. وما نعنيه هو أننا سنظل على منهجنا فى التعرف على هوية موسى من خلال سفر التكوين فقط عملا بمبدأ «وشهد شاهد من أهلها» بالإضافة إلى التعرف على كيفية معاملة الشعب المختار للبطل أو الزعيم (٥) الذى اختاره بحكم الأسطورة أيا كانت هويته .. وعلى هذا سوف

(١) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » (ص ٧٧ ).
(٢) « التوراة بين الوثنية والتوحيد » (ص ٧٦ ).
(٣) « موسى والتوحيد » ( ص ٤٤ ) .
(٤) « موسى والتوحيد » ( ص٣٨ ، ٣٩ ) .
(٥) نستخدم لقب البطل أو الزعيم باعتبار أن التحريفات التى أدخلت على التوراة انحرفت بشخصية موسى عن موسى النبى كما نعرفه فى القرآن . ومن أمثلة ذلك أن إله موسى التوراتى هو « يهوه » وليس الله الحق . كما أن التوراة جعلت من موسى إلها « وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها » ( خروج ٤:١٦) وهو ما سنتناوله فيما بعد.

نستعرض بعض فقرات سفر الخروج (الاصحاح الثانى ) حيث نبدأ بالنص الذى يقول : «وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر فى أثقالهم » فالبطل هنا يتفقد أخوته الرازحين تحت نير الأسر وباعتبار أنهم اخوته فهو عبرى مثلهم .. ولكن خروجه إليهم يثير الشك فى هويته .. فهو إما أنه أسير مثلهم ويعيش بينهم وأنطلق يتفقد أحوالهم بحكم الزعامة وهى عندئذ زعامة موسى العبرى .. وإما أنه غير أسير وبالتالى لا يعيش بينهم وجاء هم لتفقد أحوالهم أيضا بحكم الزعامة وهى عندئذ زعامة موسى المصرى .. ومع ذلك فإن هذا الشك يتبدد حين نتابع النص : «فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من أخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أنه ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل » .. فهنا زعيم عبرى يدافع عن أخيه العبرى بقتل عدوه المصرى .. ولكن سرعان ما نجد فى اليوم التالى مباشرة مايثير الشك فى زعامته بل وينفيها وذلك عندما رأى عبريين يتخاصمان وتدخل بينهما فقال أحدهما له مستنكرا: «من جعلك رئيسا وقاضيا علينا» .. وهو قول ينفى اختيار الأسطورة لموسى العبرى زعيما ويجعلنا نرجح أنه كان يسعى إلى الزعامة من تلقاء نفسه وأن قتله للمصرى الذى ضرب العبرى كان ضمن مخططه لتحقيق هدفه .. وعلى هذا نفهم قول العبرى لموسى بعد أن أنكر زعامته : «أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى» – نفهم هذا القول على أنه تعبير عن السخرية من محاولة موسى العبرى فرض زعامته .

وخلاصة ما سبق أن سفر الخروج بجانب أنه يجعلنا نشك فى هوية موسى قد جعل الأسطورة تختار موسى العبرى زعيما وبطلا ثم سرعان ما أنكر ذلك وجعله فى صورة من يسعى إلى الزعامة بدون رضا قومه .. ثم يقدم لنا حيثية عدم الرضا بأن يجعل موسى فى صورة من ليس أهلا للزعامة حين يهرب من الفرعون الذى طلب قتله جزاء قتله المصرى .. وقد يقال إن الزعماء – أو حتى الأنبياء – فى مثل هذه الظروف لا يهربون جبنا وإنما حرصا على حياتهم من أجل إتمام رسالتهم .. ولكن يبقى رغم هذا أننا بصدد زعيم يتردد سفر الخروج بين تقبله ورفضه له مما يعزز فكرة أنه يجمع بين هويتين فى شخصه الواحد وبالتالى فإن التردد بين تقبله ورفضه راجع إلى تقبل إحدى هويتيه ورفض الأخرى .

ويهرب موسى إلى مديان حيث تستمر الذبذبة بين الهويتين وفى نفس الوقت تعود إليه الزعامة التى منحتها له أسطورة الطفل المميز ثم أنكرت عليه[1] .. وهى تعود إليه الآن على يد (الله) التوراتى الذى كلمه عند جبل حوريب وأرسله إلى مصر زعيما لاخراج العبريين[2] .. وكما نعرف فإن ( الله ) التوراتى = « إيل » الإله القمرى وبالتالى فإن مخاطبته لموسى واختياره زعيما للعبريين يعنى أن موسى عبرى الهوية .. ولكننا نجد ما يوحى بازدواج هوية موسى فى قول (الله) له : « اخلع حذاءك من رجليك »[3] حيث نقول إن الرجلين ترمزان إلى قيام موسى على

(١) « هذا موسى الذى أنكروه قائلين من أقامك رئيسا وقاضيا هذا أرسله الله رئيسا وفاديا » ( أعمال ٧ : ٣٥ ).
(٢) « فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر » (خروج ٣ : ١٠ ) .
(٣) « خروج » ( ٣ : ٥ ) .

هويتين[1] (انظر الهامش ) وإن خلع الحذاء من رجليه يرمز إلى تجريده من هويتيه .. وعلى هذا نسأل ما هو الهدف من جعل موسى بدون هوية؟ ولكى نجيب عن السؤال سنبين أولا أن الذى فعل ذلك هو الشعب المختار وليس (الله) . فكما نعرف فإن (الله) التوراتى = «إيل» الإله القمرى .. كما أن لقب «الرب» يرمز للشعب المختار وبالتالى = ربوبية الشعب المختار .. وكما بينا سابقا فإن هذه الربوبية نشأت عن الجمع بين (الله) و«الرب»[2] .. وإذا كنا وقتها قد قدمنا بعض الأمثلة لهذا الجمع فلدينا الآن مثال قريب وهو أن الذى كلم موسى عند جبل حوريب كان «الرب» و (الله) معا «فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى .. اخلع حذاء ك من رجليك»[3] فكأن الشعب المختار هو الذى طلب من موسى أن يخلع حذاء ه من رجليه وبهذا جرده من هويتيه .. فلماذا فعل الشعب المختار ذلك؟

## عودة إلى قصة نوح :

رأينا كيف جرد الشعب المختار موسى من هويتيه وسألنا لماذا فعل ذلك .. وللإجابة عن السؤال نذكر أن الشعب المختار حين فشل فى إعلاء القمر على الشمس من أجل إعلاء نفسه على الشعب المصرى .. وحين وجد أن التاريخ يشهد بأسبقية الشعب المصرى ومن ثم علوه عليه .. فإنه لجأ إلى إعادة قصة الخلق من جديد بهدف إلغاء تاريخ شعب مصر ومن ثم صاغ التاريخ على أن العالم بدأ بالشعب المختار ثم تلاه الشعب المصرى .. وعندما نطبق هذا على موسى نجد أن التاريخ يشهد بأسبقية موسى المصرى على موسى العبرى .. وكما تم إلغاء تاريخ الشعب المصرى فكذلك حدث مع موسى عن طريق إلغاء هويتيه تمهيدا لإعادتهما بحيث يسبق موسى العبرى موسى المصرى .

وجدير بالذكر أن فكرة إعادة قصة الخلق من جديد تمثلت فى رؤيتنا لقصة نوح .. وإذا كنا قد طبقنا نفس الفكرة على موسى فذلك لأن هناك علاقة تجمع بين نوح وموسى وهى علاقة مبنية على أساس رؤيتنا بأن خروج العبريين من مصر على يد موسى يقابله خروج نوح من الفلك حيث قلنا إن نوح يجمع بين موسى المصرى وموسى المدينى أى العبرى (راجع الفصل ١٥) أما لماذا ارتبطت فكرة إعادة قصة الخلق من جديد بقصة الخروج فقد سبق وبينا أن مصر كانت البلد الموعود قبل كنعان وأنه بعد فشل الوعد الإلهى بشأن مصر محا الشعب المختار فشله بأن محا تاريخ مصر وأعاد صياغته بحيث يصبح سابقا لشعب مصر.

## حتى لا تتكرر خيانة يوسف للعبريين :

انتهينا إلى أن فشل الشعب المختار فى مصر جعله يمحو تاريخ مصر ويعتبر نفسه سابقا على الشعب المصرى .. وبقدر مافى هذا التصرف – النفسى – من (وهم) بقدر ما يعكس مدى

---

(١) سبق وفسرنا عرج يعقوب على رجل واحدة بأنه يرمز إلى قيامه على هوية واحدة (أنظر هامش ٢ ص ٢٥٤ ).
(٢) راجع الفصل الرابع «ربوبية الشعب المختار ».
(٣) « خروج » ( ٣ : ٤ ، ٥ ) .

قسوة (واقع) العبريين تحت نير الأسر .. فإذا كنا قد بنينا بحثنا هذا على أساس عقدة الأسر فى مصر فهناك عقدة ترتبط بها وتعتبر على المستوى النفسى السبب فى عقدة الأسر.. وما نعنيه هو فشل العبريين فى تحقيق هدفهم فى مصر عن طريق يوسف .. ولكى نعرف مدى وقع هذا الفشل سنحلله من حيث الشعور واللاشعور .. فإذا كان فشل يوسف يرجع إلى ازدواج الشخصية حيث تغلب يوسف المصرى على يوسف العبرى .. وإذا كان ازدواج الشخصية حالة نفسية تخص اللاشعور فإن ما يخص الشعور - حيث لاوعى بحالة ازدواج الشخصية - هو أن يوسف العبرى خان يوسف العبرى ومن ثم كان السبب فى أسر العبريين .. وجدير بالذكر أن هناك أدلة على أن اضطهاد المصريين للعبريين حدث فى عهد يوسف وليس بعده[1] .. وإذا كانت التوراة تقول العكس فذلك يرجع إلى غلبة اللاشعور الذى يدين المصريين[2] على الشعور الذى يدين العبريين .. كما وأن ادانة المصريين تتفق ورغبة الشعب المختار فى تسجيل أنه الشعب المضطهد.

ونعود إلى سابق قولنا بأنه إذا كان العبريون قد دخلوا مصر على يد يوسف بهدف تحقيق الذات ثم خرجوا على يد موسى لتحقيق نفس الهدف فى كنعان بعد فشلهم فى مصر .. وإذا كان فشلهم هذا يرجع إلى خيانة يوسف العبرى ليوسف العبرى فمن البديهى أن يتحاشوا تكرار نفس الخيانة مع موسى العبرى .. وقد قلنا إن خيانة يوسف العبرى ليوسف العبرى تخص الشعور وإن تغلب يوسف المصرى على يوسف العبرى يخص اللاشعور حيث ازدواج الشخصية .. ولأن اللاشعور له الغلبة على الشعور فإن تحاشى تكرار خيانة يوسف العبرى مع موسى العبرى لابد أن يكون من خلال ازدواج الشخصية .

وكما بينا سابقا فمن أساليب الشعب المختار حين يفشل فى أمر ما أنه يصعد موضوع الفشل من المستوى البشرى إلى المستوى الإلهى .. فإذا كان يوسف البشر قد فشل كبديل لـ (الذات الشمولية) فليكن البديل إلها .. وهو «يهوه».. ويتفق ورأينا هذا أن «بعض المتصوفين اليهود الذين يدعون بالكبليين يتحدثون عن عنصر أنثوى فى «يهوه» يدعى «شيكناه» ومساو لعنصر ذكر يسمى «الواحد المقدس»[3] .. فعندما نطبق هذا على يوسف العبرى فإن وجود العنصر الأنثوى فى «يهوه» يقابله إلباس يوسف القميص الملون الأنثوى .. أما مساواة العنصر الأنثوى فى «يهوه» بالعنصر الذكر فيقابله تذكير (الذات الشمولية) الأنثى فى شخص يوسف باعتباره بديلا لها .. وهكذا أصبح «يهوه» الإله بديلا لـ (الذات الشمولية) بدلا من يوسف البشر .. وأصبح ازدواج الشخصية يخص «يهوه» الإله بعد أن كان يخص يوسف البشر .. ولأن الهدف من ذلك هو عدم تكرار خيانة يوسف العبرى مع موسى العبرى .. ولأن هذا - كما قلنا - لابد أن

---

(١) « التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة » ( ص ١٠٧ ).

(٢) باعتبار أن غلبة الهوية المصرية للهوية العبرية يعتبر خيانة للشعب المختار .

(٣) «المرأة والألوهية » ( ص ٥٠ ) .

يكون من خلال ازدواج الشخصية .. فقد تم تصعيد ازدواج شخصية موسى إلى المستوى الإلهى عن طريق ازدواج شخصية الإله «يهوه» .. ويتفق ورأينا هذا أنه «ورد فى كتاب الكبليين المعروف بالزوهار أن موسى ابن الله كان له علاقة فعلية بعنصر «شيكناه» فى «يهوه»[1] .. وباعتبار – طبقا لما سبق – أن المقصود بالعنصر الأنثوى هو (الذات الشمولية) فإننا نخرج بالآتى :

١ – أن وجود عنصر أنثوى فى «يهوه» يدعى «شيكناه» معناه أن «يهوه» الذكر يحوى (الذات الشمولية) الأنثى بدلا من أن تحويه هى (لاحظ مبدأ قلب الأوضاع المعهود) .

٢ – أن مساواة العنصر الأنثوى «شيكناه» بالعنصر الذكر «الواحد المقدس» معناه مساواة (الذات الشمولية) الأنثى بالذكر .. ولكن لأن الذكر أصبح هو الذى يحويها فإن هذه المساواة تنتفى وتصبح الغلبة للذكر على الأنثى .

٣ – أنه بناء على تغليب الذكر على الأنثى فإن وصف موسى بأنه ابن الله وبأنه كان له علاقة بعنصر «شيكناه» الأنثوى .. معناه أنه تمت نسبته إلى الأب الإلهى (الذكر) بعد أن كان ينسب إلى الأم الإلهية (الأنثى) – بحكم أسبقيتها على الذكر – ومن ثم صار ينتمى على المستوى الإلهى إلى هوية الذكر أى هوية القمر الذى تم تغليبه على الشمس .

وهكذا تم تصعيد ازدواج شخصية موسى إلى المستوى الإلهى كما تم تنفيذ مبدأ قلب الأوضاع وتغليب الهوية القمرية على الهوية الشمسية أى تغليب موسى العبرى على موسى المصرى .. هذا من حيث اللاشعور .. أما من حيث الشعور حيث لا وعى بحالة ازدواج الشخصية فما حدث يعنى اقتصار موسى على الهوية العبرية التى تم تصعيدها إلى المستوى الإلهى لضمان عدم خيانته للعبريين كما فعل يوسف العبرى.

## حتمية ازدواج شخصية موسى :

رأينا كيف تم نفى ازدواج شخصية موسى بسبب الخوف من تكرار فشل ازدواج شخصية يوسف .. وقد نتج عن ذلك اقتصار موسى على الهوية القمرية من خلال تعامله مع الإله «يهوه»[2].. ولكن لأن الاقتصار على الهوية القمرية يعنى الافتقار إلى الهوية الشمسية شرط التحول إلى شعب.. ولأن التحول إلى شعب هو قضية القضايا فقد كان لابد من عودة ازدواج شخصية موسى بعودة هويته الشمسية ومن ثم عودة صلاحيته للقيام بدوره فى تحقيق ذات الشعب المختار .. ولكى نبين ما نعنيه نعود إلى ازدواج شخصية التوأمين عيسو ويعقوب حيث قلنا إنه يمثل القاعدة التى يعمل عليها ازدواج شخصية الأم رفقة .. ونفس الوضع ينطبق على ازدواج شخصية يوسف

---

(١) « المرأة والألوهية » ( ص ٥٠ ).

(٢) ولأن هذا كما سنرى يعوق هدف تحقيق الذات لدى الشعب المختار . ولأنه يرجع إلى التعامل مع «يهوه» . ففى ذلك إضافة إلى التفسيرات التى سبق أن قدمناها بشأن تحريم ذكر اسم « يهوه » أو نسيان كيفية النطق به.

بالنسبة لازدواج شخصية الأم النابع من (الذات الشمولية) التى استبدل بها يوسف .. وكذلك ينطبق على ازدواج شخصية موسى بالنسبة لازدواج شخصية «يهوه» الذى استبدل بـ (الذات الشمولية) .. ونلاحظ دائماً أن ازدواج شخصية (الابن) هو الذى يقوم بدور القاعدة التى يعمل عليها ازدواج شخصية (الأم) أو بديلها .. ومن هنا كان وصف موسى بأنه (ابن) الله فى تعامله مع «يهوه» .

## معالم ازدواج شخصية موسى :

قبل أن نستعرض معالم ازدواج شخصية موسى نتعرف أولا على قواعد العلاقة بين الشخصية (الأصلية) موسى العبرى والشخصية (الثانوية) موسى المصرى .. وذلك على أساس أن الأولى تخص الشعور والثانية تخص اللاشعور :

١ - كما يحدث فى ازدواج الشخصية فإن الشخصية ( الأصلية ) تجهل وجود الشخصية ( الثانوية ) بينما الشخصية ( الثانوية ) تعلم بوجود الشخصية ( الأصلية ) .. وترجمة ذلك بالنسبة لموضوعنا أن صفة ( قبيلة ) منفصلة عن صفة ( شعب ) لأنها تقتصر على الهوية العبرية دون الهوية المصرية التى تخص صفة ( شعب ) فى حين أن صفة (شعب) متصلة بصفة ( قبيلة ) بحكم إضافة الهوية المصرية إلى الهوية العبرية .

٢ - أيضا كما يحدث فى ازدواج الشخصية فإن الفعالية تكون للشخصية ( الثانوية ) بحكم أن دورها هو استكمال النقص الموجود فى الشخصية ( الأصلية ) .. وترجمة ذلك بالنسبة لموضوعنا أن الفعالية تكون للهوية المصرية التى تخص صفة ( شعب ) بحكم أن دورها هو استكمال النقص الموجود فى الهوية العبرية التى تخص صفة ( قبيلة ) .

٣ - أيضا كما يحدث فى ازدواج الشخصية فإن الشخصية ( الأصلية ) تتمسك بنقصها وبالتالى تقاوم ما تفعله الشخصية ( الثانوية ) لاستكمال هذا النقص .. وهى - أى الشخصية (الأصلية) - تفعل ذلك لاشعوريا دفاعا عن ذاتها رغم أنها ذات ناقصة أو بعبارة أدق قاعدة لمشروع ذات لا يستكمل إلا بإضافة الشخصية ( الثانوية ) .. وعلى هذا فإن الشخصية (الثانوية) فى سبيل أداء مهمتها تسمح للشخصية ( الأصلية ) باستقلالية ذاتها الناقصة باعتبارها القاعدة التى تعمل عليها من أجل استكمال مشروع تحقيق الذات .. وهى تفعل ذلك مؤقتا وعن ثقة إلى حين تحقيق هدفها ( تذكر ما حدث مع يعقوب ومع يوسف عندما بدا لنا أن الشخصية (الثانوية ) تعمل ضد نفسها ) .

وترجمة ذلك بالنسبة لموضوعنا أن العقل الجبرى المتعلق بالهوية العبرية منفصل عن العقل الاختيارى المتعلق بالهوية المصرية .. ولأن استكمال مشروع الذات - أى تحول القبيلة إلى شعب - يتطلب الجمع بين الهويتين .. ولأن الانفصال بينهما يرجع إلى العداء بين العبريين والمصريين .. فإن الهوية العبرية تتقبل الهوية المصرية على مضض بينما تتقبل الهوية المصرية هذا المضض إلى حين تحقيق هدفها .

٤ - أيضا كما يحدث فى ازدواج الشخصية فإن تصرفات الشخصية ( الثانوية ) تتسم بالمغامرة والخروج على القوانين والأعراف المتفق عليها مما يجعل تصرفاتها فى عداد الشر .. ولكنه بالمعنى النسبى شر يدخل فى عداد الخير باعتبار أن الهدف منه استكمال النقص لدى الشخصية ( الأصلية ) .. وترجمة ذلك بالنسبة لموضوعنا نجده فى إنزال الضربات على مصر .. فهو شر يقصد به خير وهو إرغام الفرعون على إطلاق العبريين ومن ثم استكمال النقص بتحولهم من قبيلة إلى شعب .. كما وأن الخروج على القواعد والقوانين المتعارف عليها يتمثل فى إنزال الضربات عن طريق السحر .

٥ - أيضا كما يحدث فى ازدواج الشخصية فإن الشخصية ( الأصلية ) تتسم بانعدام الثقة بالنفس والسلبية بينما الشخصية ( الثانوية ) تتسم بالثقة بالنفس والإيجابية .

ولنبدأ الآن استعراض معالم ازدواج شخصية موسى فى سفر الخروج حيث يكلف «الرب» موسى بمهمة الذهاب إلى مصر لتخليص العبريين من الأسر وحيث نلمس على الفور تردد موسى بل وتهربه من المهمة بسبب الصراع الناتج عن ازدواج الشخصية .. وهو يعبر عن ذلك بقوله : « من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر »[1] .. وواضح أن المتكلم هو الشخصية ( الأصلية ) أى شخصية موسى العبرى وهى كما قلنا تتسم بانعدام الثقة بالنفس والسلبية .. ولكن قد يقال إن عدم الثقة بالنفس وما يتبعه من السلبية يرجع إلى نقطتين : الأولى أن الفرعون قد أمر بقتل موسى جزاء قتله المصرى .. والثانية أن قومه فى مصر قد رفضوا زعامته وبالتالى فلن يصدقوا أن « الرب » ظهر له وكلفه بهذه الزعامة « ولكن هاهم لا يصدقوننى ولا يسمعون قولى . بل يقولون لم يظهر لك الرب » [2] .. وسوف نرد على هاتين النقطتين بالآتى :

بالنسبة للنقطة الأولى فهى مردودة بأن الفرعون الذى أمر بقتل موسى قد مات وتولى مكانه ملك آخر قبل تكليف موسى بالذهاب إلى مصر « وقد حدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر قد مات »[3] .. « وقال الرب لموسى فى مديان اذهب ارجع إلى مصر . لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك » [4].. هذابالإضافة إلى مرور أربعين عاما قضاها موسى خارج مصر قبل تكلفته بالذهاب إليها « ولما كملت أربعون سنة ظهر له ملاك الرب فى برية جبل سيناء .. فهلم الآن أرسلك إلى مصر »[5] .

وبردنا على هذه النقطة نكون على صواب فى قولنا بأن موسى هنا هو موسى العبرى أي الشخصية ( الأصلية ) التى تفتقر إلى الثقة بالنفس .

---

(١) « خروج » ( ٣ : ١١ ) .
(٢) « خروج » ( ٤ : ١ ) .
(٣) « خروج » ( ٢ : ١ ) .
(٤) « خروج » ( ٤ : ١٩ ) .
(٥) « أعمال » ( ٧ : ٣٠ ، ٣٤ ) .

وأما بالنسبة للنقطة الثانية وهى رفض العبريين لزعامة موسى عندما كان فى مصر .. فلو عدنا إلى قوله « من أنا حتى أذهب إلى فرعون وأخرج بنى إسرائيل من مصر » ولو فرضنا أن المتكلم هو الشخصية ( الثانوية ) أى موسى المصرى .. لكانت صيغة النص قد اختلفت بحيث يعبر عن تعارض مصريته مع زعامته للعبريين بمصر وأيضا مع مواجهته للفرعون المصرى - وهو ما يخص النقطة السابقة - وعلى هذا فالنص صادر من موسى العبرى أي الشخصية (الأصلية) التى تفتقر إلى الثقة بالنفس .

وكما قلنا فإن نقص الشخصية ( الأصلية ) ( موسى العبرى ) تستكمله الشخصية (الثانوية) ( موسى المصرى ) .. ويتمثل هذا فى بث الثقة فى نفس ( موسى العبرى ) بتحويل العصا التى بيده إلى حية « فقال له الرب ماهذه فى يدك . فقال عصا . فقال اطرحها إلى الأرض . فطرحها إلى الأرض فصارت حية »[1] .. فمن الناحية الرمزية فإن الحية = حواء = مصر = الهوية المصرية = الشخصية ( الثانوية ) وهى كما قلنا تتسم بالخروج على القوانين والأعراف المتفق عليها وهو ما يتمثل فى المعجزة السحرية بتحول العصا إلى حية .

والواقع أن اجتماع العصا والحية هنا يعتبر رمزا لازدواج الشخصية إذ أن العصا تخص مجتمع الرعى أى الهوية القمرية ( العبرية ) والحية تخص مجتمع الزراعة أي الهوية الشمسية (المصرية) .. أما ابتلاع الحية التى تحولت إليها عصا موسى للحيات التى تحولت إليها عصى سحرة الفرعون[2] فهو يرمز إلى انتصار موسى ( المصرى) على الفرعون ( المصرى) وهو المعنى الذى تريد أن توصله الشخصية (الثانوية) إلى الشخصية (الأصلية) لبث الثقة فى نفسها كما قلنا .

ولكن لأن الشخصية ( الأصلية ) ( موسى العبرى ) تدافع عن مشروع ذاتها الناقص .. فإن الشخصية ( الثانوية ) ( موسى المصرى ) تسمح لها بذلك إلى حين استكمال المشروع الناقص بتحول القبيلة العبرية إلى شعب .. وهذا ما حدث لـ ( موسى العبرى ) حين « قال له الرب أدخل يدك فى عبك . فأدخل يده فى عبه . ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج »[3] حيث نجد رمز الهوية العبرية ( القمرية ) فى اليد المضيئة مثل القمر .. ولا مجال للقول بأن ضوء اليد يرمز للشمس أى للهوية المصرية إذ أنه ضوء بارد « مثل الثلج » كما يصفه النص .

ويستمر الصراع بين طرفى ازدواج الشخصية حيث نجد موسى بشخصيته ( الأصلية ) يقاوم محاولة شخصيته ( الثانوية ) لاستكمال نقصه الذى يتمسك به .. وهو لشدة تمسكه بنقصه

---

(١) « خروج » ( ٤ : ٢ ، ٣ ) .

(٢) هناك فرق بين عصا موسى وعصا ساحر الفرعون . فبالنسبة إلى عصا موسى فإن تحولها إلى حية = ( الهوية العبرية + الهوية المصرية ) = (ازدواج الشخصية ) .. أما بالنسبة إلى عصا ساحر الفرعون فإن تحولها إلى حية = (العقل الجبرى + العقل الاختيارى = ( ثنائية الشخصية ) .. وبعبارة أخرى فإن عصا موسى ترمز إلى التحول الوهمى إلى شعب .. وطبقا لمبدأ قلب الأوضاع فقد تغلبت حية عصا موسى على حيات عصى سحرة الفرعون كناية عن تغلب الشعب المختار على الشعب المصرى (لاحظ مبدأ قلب الأوضاع فى تغلب الحية على الحيات مما يتفق وتضخم ذات الشعب المختار ) .

(٣) « خروج » ( ٤ : ٦ ) .

ولأن هـذا النقص يمثل صـفة سلبية فهو يحوله إلى صفة إيجابية بأن يستخدم أحد مظاهره فى مقاومة الشخصية ( الثانوية ) .. والمظهر الذى نعنيه هو ثقل الفم واللسان « بل أنا ثقيل الفم واللسان »[1] .

وحسب رؤيتنافإن التعلل بثقل الفم واللسان صادر عن شخصية موسى العبرى .. وإذا كان هذا يتعارض مع ترجمة البعض لثقل لسان موسى بأنه كان يجهل لغة قومه ومن ثم فهو مصرى .. فالواقع أنه تعارض ظاهرى راجع إلى رؤيتنا التى تجمع بين الهوية العبرية والهوية المصرية فى شخص موسى .. وما نعنيه هو أننا لا نختلف مع أصحاب الرأي فى مصرية موسى إذ أن مصريته هذه تؤكد قولنا بمبدأ قلب الأوضاع الذى يلجأ إليه الشعب المختار ليعكس الحقيقة وفقا لأهدافه .. فالحقيقة أن موسى مصرى ولكن لأن الشعب المختار يرفض الاعتراف بأن من أخرجه من مصر مصرى فقد حاول أن يجعله عبريا بل وحاول أن يعلى الهوية العبرية على الهوية المصرية .. ولأن الحقيقة تفرض نفسها رغم محاولة تزييفها بالوهم فقد انتهى الأمر بالشعب المختار بين شقى الرحى - الحقيقة وعكسها - وهو ما نتج عنه ازدواج شخصيته الذى سنتناوله فيما بعد والذى نبين الآن انعكاسه على موسى حيث حاول أن يطبق عليه مبدأ قلب الأوضاع بأن جعل الشخصية ( الأصلية ) عبرية والشخصية ( الثانوية ) مصرية بينما الحقيقة هى العكس بمعنى أن موسى المصرى شخصية حقيقية وموسى العبرى شخصية وهمية .. وسوف نبين ذلك من خلال تعلل موسى العبرى بأنه ثقيل الفم واللسان حيث سنثبت أنه موسى المصرى .

ونبدأ فنشير إلى أن موسى يشكو من ثقل مزدوج - ثقل الفم وثقل اللسان - ومادمنا نتعامل مع شخصية موسى المزدوجة فسوف نتغاضى عن قولنا بأن موسى مصرى وسنفترض مؤقتا أن كلا من الثقلين يخص إحدى هويتيه .. وهذا يستدعى أن نتعرف أولا على مغزى كل من ثقل الفم وثقل اللسان .

وسنبدأ بثقل اللسان فنقول إن كلمة «لسان» تستخدم كناية عن «اللغة» ومثال ذلك : لسان العرب العربية ولسان الفرنسيين الفرنسية .. ونخرج من هذا بأن ثقل لسان موسى يعنى عدم تمكنه من لغة ما .. ولأن مهمة موسى فى مصر مزدوجة بمعنى أن أحد شقيها يخص التعامل مع العبريين بلغتهم وأن الشق الآخر يخص التعامل مع الفرعون بلغته .. فنحن فى حاجة إلى إشارة تدلنا على اللغة المقصودة وهذه الإشارة نجدها فى قول « الرب » بشأن هرون الذى اختاره ليتكلم بالنيابة عن موسى : « وهو يكلم الشعب عنك »[2] حيث المقصود بالشعب هو العبريين .. ومعنى هذا أن اللغة المقصودة هى المصرية وأن المقصود بثقل اللسان هو موسى بهويته المصرية .. ومعنى هذا أيضا أن هرون يتكلم لغتى المصريين والعبريين باعتبار أنه يترجم كلام موسى المصرى إلى لغة العبريين .

---

(١) «خروج» (٤ : ١٠) .
(٢) « خروج » ( ٤ : ١٠ ) .

ونعود إلى سابق قولنا بأن موسى يشكو من ثقل مزدوج - ثقل الفم وثقل اللسان - وبأننا بحكم ازدواج هوية موسى سنتغاضى عن قولنا بأن موسى مصرى وسنفترض مؤقتا أن كلا من الثقلين يخص إحدى الهويتين .. وبما أننا توصلنا إلى أن ثقل اللسان يخص موسى بهويته المصرية فإن ثقل الفم يخص موسى بهويته العبرية .. ولكننا سنثبت غير ذلك .. فكما ترجمنا مغزى ثقل اللسان سنترجم مغزى ثقل الفم وذلك من خلال قول الرب لموسى : « إذهب وأنا أكون مع فمك . وأعلمك ما تتكلم به »[1] حيث نفهم من هذا القول أن ثقل الفم لا يعنى ثقل النطق وإنما يعنى أحد أمرين: عدم معرفة موسى بالكلام المطلوب منه قوله أو عدم معرفته بعلم الكلام والبلاغة .. ودليلنا إلى الاختيار بين الأمرين نجده فى قول موسى للرب « لست أنا صاحب كلام »[2] وهو قول لا تصح ترجمته إلى : لست أنا بعارف للكلام المطلوب منى قوله .. وإنما تصح ترجمته إلى : لست أنا بعارف لعلم الكلام والبلاغة .. وإلى هنا يظل الجهل بعلم الكلام والبلاغة معلقا بين شخصيتى موسى .. ولكننا نجد مايدلنا على أن المقصود بهذا هو شخصية موسى المصرى وذلك فى قول الرب بشأن هرون : «أنا أعلم أنه هو يتكلم»[3] أى أن هرون يملك علم الكلام والبلاغة بعكس موسى المصرى .

## ازدواجية موسى وهرون :

انتهينا إلى أن كلا من ثقل الفم وثقل اللسان يخص شخصية موسى المصرى .. وكذلك انتهينا إلى أن هرون يتكلم لغة المصريين ولغة العبريين أى أنه يجمع - مثل موسى - بين الهوية المصرية والهوية العبرية .. وبهذا نكون بصدد ازدواجية من شخصين كل منهما مزدوج الشخصية أو أمام أخوين - « أليس هرون اللاوى أخاك »[4] - كل منهما مزدوج الشخصية .

ولكن هل تعنى أخوة موسى وهرون أنهما متماثلان؟

سوف نجيب عن هذا السؤال من منطلق أن الازدواجية تعنى وجود طرفين متناقضين .. وبالنسبة لموضوعنا فإن الطرفين المتناقضين هما الهوية المصرية والهوية العبرية .. وعلى هذا يصبح السؤال : أى الهويتين تخص موسى وأيهما تخص هرون ؟ وبالتالى هل سيظل موسى - كما أثبتنا - مصريا نسبت إليه الهوية العبرية؟

إن التوراة تجيب عن السؤال بكل وضوح حين تنسب ملكية العصا إلى هرون حيث نجد هذه النصوص»[5] :

---

(١) « خروج » ( ٤ : ١٢ ) .
(٢) « خروج » ( ٤ : ١٠ ) .
(٣) « خروج » ( ٤ : ١٤ ) .
(٤) « خروج » ( ٤ : ١٤ ) .
(٥) « خروج » ( ٧ : ٩ ، ١٠ ، ١٢ ) .

« تقول لهرون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا ».

« طرح هرون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا » .

« ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم » .

أما بشأن موسى فنلاحظ أن النصوص[1] لا تنسب ملكية العصا إليه :

« فقال له الرب ما هذه فى يدك . فقال عصا » (ولم يقل عصاى) .

« وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها المعجزات » (ولم يقل عصاك ) .

وباعتبار أن العصا تخص الرعاة ( الهوية العبرية ) يكون موسى – فى ازدواجيته مع هرون – هو صاحب الهوية المصرية ويكون هرون هو صاحب الهوية العبرية .. ونلاحظ الآن أن ازدواجية موسى وهرون معا أصبحت بديلا لازدواجية كل منهما على حدة .. وبالتالى فبعد أن كنا نتعامل مع شخصين من خلال شخص واحد هو موسى أصبحنا نتعامل مع شخصين من خلال شخصين هما موسى وهرون .. والسؤال الآن : هل موسى وهرون يمثلان شخصين أم شخصا واحدا ؟

إن أقرب إجابة هى أن ازدواجية موسى وهرون – وسنسميها ( ازدواجية ثنائية ) – قد ولدت من ازدواجية موسى – وسنسميها ( ازدواجية أحادية ) – وباعتبار أن صفات المولود تتبع صفات المولود منه فمعنى هذا أن ازدواجية موسى وهرون هى ( ازدواجية أحادية ) أى أن الاثنين يمثلان شخصا واحدا .. ولكننا بهذه الإجابة – رغم أنها منطقية – نكون قد أغفلنا واقعا تصبح إجابتنا خاطئة بدونه .. ولكى نتعرف على هذا الواقع نشير إلى ملحوظة هامة وهى أن تحول (الازدواجية الأحادية ) إلى ( الازدواجية الثنائية ) قد حدث مباشرة قبل بدء رحلة موسى إلى مصر .. وكما نعلم فإن المقصود من هذه الرحلة هو خروج العبريين من مصر إلى كنعان حيث يتحقق الهدف المنشود وهو تحول القبيلة إلى شعب .. وكما نعلم أيضا فإن العبريين تحولوا إلى شعب قبل خروجهم من مصر ولكن شتان بين التحول قبل الخروج والتحول بعد الخروج .. فالتحول الأول حدث استنادا إلى إطلاق « الرب » على القبيلة صفة الشعب دون أن تتحول بالفعل إلى شعب .. بينما التحول الثانى قد حدث بالفعل حيث تم استيطان أرض كنعان .. وبعبارة أخرى فإن التحول الأول كان نظريا والتحول الثانى كان عمليا .. وكما قلنا فإن التحول من (الازدواجية الأحادية ) إلى ( الازدواجية الثنائية ) بدأ مباشرة قبل بدء رحلة موسى إلى مصر .. وبالتالى فإن ( الازدواجية الثنائية ) تمثل الحد الفاصل بين التحول النظرى والتحول العملى .. وبالتالى أيضا فإن ( الازدواجية الأحادية ) تخص التحول النظرى و ( الازدواجية الثنائية ) تخص التحول العملى .

---

(١) « خروج » ( ٤ : ٢ ، ١٧ ) .

ونخـرج من ذلك بأن ( الازدواجية الأحـادية ) لا تصلح للتحـول العملى وهو ما نبينه فيما يلى :

كما قلنا فإن الهدف المنشود هو التحول من قبيلة إلى شعب .. وكما نعرف فإن التحول إلى شعب = تحقيق الذات = ( العقل الجبرى + العقل الاختيارى ) = ( الثقافة القمرية + الثقافة الشمسية ) = ( الهوية العبرية + الهوية المصرية ) = ازدواج شخصية موسى = (الازدواجية الأحادية) .. وكما رأينا فإن موسى فى ( الازدواجية الأحادية ) كان يعانى من نقص يتمثل فى ثقل الفم واللسان وهو ما ترجمناه بالجهل بلغة العبريين وبعدم امتلاك علم الكلام والبلاغة .. ومعنى هذا أن ( الازدواجية الأحادية ) لا تصلح لانتقال التحول إلى شعب من نظرى إلى عملى .. ومن هنا جاء هرون فى ( الازدواجية الثنائية ) ليستكمل هذا النقص بقدرته على ترجمة لغة المصريين إلى لغة العبريين وبامتلاكه لعلم الكلام والبلاغة .

وهكذا نكون قد بينا الهدف من تحول ( الازدواجية الأحادية ) إلى ( الازدواجية الثنائية ) وهو صلاحية الأخيرة دون الأولى للتحول العملى إلى شعب .. ويبقى أن نبين أن موسى وهارون فى ( الازدواجية الثنائية ) يمثلان شخصين وليس شخصا واحدا .. وسبيلنا إلى ذلك يأتى من أن ( الازدواجية الثنائية ) جاء ت لتواكب تطور التحول إلى شعب من نظرى إلى عملى .. وعلى هذا سنتناول الازدواجية من خلال مسألة التطور .. فقد بدأنا بحثنا بعلاقة الشعب المختار بالشجرة وبتطور النبات .. وما نعنيه هو التطور الذى أدى إلى ظهور الجنس حيث أثبتنا عمليا علاقة التماثل بين الإنسان والنبات من حيث الجنس .. وحيث قلنا إننا لو عدنا بعيدا فى الزمن لوجدنا أننا والنبات كان لنا جد واحد وأن ذلك الجد لم يكن يتكاثر عن طريق الجنس وإنما عن طريق التكاثر ( التوالد الذاتى ) حيث يخلق نسخا من ذاته .. ولأن الجنس لم يكن قد ظهر بعد فإن هذه النسخ كانت من نوع المنسوخة منه بينما نجد فى رمزية خلق آدم أن النسخة التى خرجت منه كانت من نوع آخر هـو الأنثى .. وعلى هـذا قلنا إن خـروج حواء من آدم يرمز إلى الانتقال من التكاثر عن طريق التوالد الذاتى إلى التكاثر عن طريق الجنس .. وقد سبق وتوصلنا فى بداية بحثنا إلى أن قصة آدم وحواء ( التوراتية ) تمثل قصة العبريين فى مصر قبل الخروج .. وعلى هذا نقول الآتى :

١ - إن رمزية آدم قبل خروج حواء منه تقابلها ( الازدواجية الأحادية ) التى تخص التحول النظرى إلى شعب قبل الخروج .

٢ - إن رمزية آدم بعد خروج حواء منه تقابلها ( الازدواجية الثنائية ) التى تخص التحول العملى إلى شعب بعد الخروج .

وباعتبار أن حواء = الهوية المصرية المتعلقة بتحقيق الذات أى التحول إلى شعب .. نجد أنه:

١ ـ فى الحالة الأولى كانت الهوية المصرية كامنة فى موسى مثل كمون حواء فى آدم .. ومن ثم كان موسى يمثل شخصين فى شخص واحد هو موسى (الازدواجية الأحادية) .

٢ – فى الحالة الثانية خرجت الهوية المصرية الكامنة فى موسى مثل خروج حواء من آدم .. ومن ثم أصبح موسى يمثل شخصين فى شخصين هما موسى وهرون (الازدواجية الثنائية) .

وهكذا نكون قد بينا أن موسى وهرون فى (الازدواجية الثنائية) يمثلان شخصين وليس شخصا واحدا .. ولكننا نجد أن تحول الشخص إلى شخصين قد نتج عنه قلب الأوضاع بالنسبة إلى موسى .. فبعد أن كان يمثل الهوية المصرية وهرون يمثل الهوية العبرية أصبح موسى بخروج الهوية المصرية منه – مثل خروج حواء من آدم – ذاهوية عبرية فقط مثله مثل هرون .. وبهذا نكون بصدد ازدواجية من طرفين متماثلين فهى (ازدواجية عقيمة) لا تصلح للتحول العملى إلى شعب .. ووراء ذلك – كما سنبين – الخوف من تكرار خيانة يوسف للعبريين .

## موسى يولد من جديد عن طريق طقس الختان :

انتهينا إلى انتفاء ازدواج شخصية موسى بسبب اقتصاره على الهوية العبرية .. وهى نفس النتيجة التى انتهينا إليها عندما صعَّد الشعب المختار مسألة يوسف البشر إلى المستوى الإلهى لكى يتحاشى خيانة موسى للعبريين مثلما فعل يوسف .. وقد قدمنا ذلك تحت عنوان « حتى لا تتكرر خيانة يوسف للعبريين » الذى تبعه عنوان « حتمية ازدواج شخصية موسى » إذ أن اقتصاره على الهوية العبرية ( القمرية ) يعنى ( الازدواجية العقيمة ) بسبب الافتقار إلى الهوية المصرية (الشمسية) شرط التحول العملى إلى شعب .. وسنرى الآن كيفية تخليص موسى من (الازدواجية العقيمة) وذلك طبقا للتطور الذى ذكرناه وهو الانتقال من (الازدواجية الأحادية) حيث التكاثر الذاتى إلى (الاحادية الثنائية) حيث التكاثر الجنسى أى الزواج بين الذكر والأنثى .. وعلى هذا فإن إعادة الهوية المصرية إلى موسى سوف تتم عن طريق الزواج بين الذكر (الهوية العبرية) والأنثى (الهوية المصرية) .. ولأن موسى بوضعه الحالى (الازدواجية العقيمة) لا يصلح لمهمته فى مصر فقد تم هذا الزواج قبل ذهابه مباشرة «وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله . فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه . فقالت إنك عريس دم لى . فانفك عنه . حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان »[1] (انظر الهامش) .

فبتحليل ذلك النص حسب المفهوم الذى قدمناه نجد أن موسى انطلق إلى مصر وهو يمثل الهوية العبرية فقط التى لا تصلح للتحول إلى شعب .. ومن هنا طلب «الرب» قتله وهو مطلب دفع صفورة إلى إجراء طقس الختان الذى يخص الهوية المصرية مع موسى وكانت النتيجة أن انفك « الرب » عنه .. يعنى أن الرب كان يقوم بتمثيلية لدفع صفورة إلى ما فعلته بشأن الختان .. ومما

---

(١) « خروج » ( ٤ : ٢٤ ، ٢٦ ) وفى كتاب «موسى والتوحيد» (ص ١٠٣) وصف فرويد هذا النص بأنه محير ولا يمكن تفسيره . ولكن وكما قلت فى المقدمة فإن شمولية نظرية «صدمة العرى» تتيح تفسير مسائل كثيرة تبدو مستعصية ، وهذا مجرد مثال بالنسبة لكتاب فرويد وعسى أن أتفرغ يوما لتغطية الكتاب من هذه الناحية .

يعزز وجهة نظرنا بأن « الرب » هدد بقتل موسى من أجل مسألة الختان رمز الهوية المصرية - مما يعزز هذا أن جملة « وطلب أن يقتله » مزودة بإشارة تحيلنا إلى سفر التكوين ( ١٧ : ١٤) حيث نجد نصا يقول : « وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها » .. وقد قصدنا توضيح ذلك للتأكيد على أن طقس الختان أجرى مع موسى وليس مع «الرب » كما يقول الأستاذ محمد وحيد خياطة فى كتابه « المرأة والألوهية » ( ص ٥١ ) هذا بالإضافة إلى أن مس الرجلين الذى قامت به صفورة فى طقس الختان لابد أن يكون المقصود به مس رجلى موسى حيث سبق أن قال له الرب : « أخلع حذاء ك من رجليك » وهو ما فسرناه فى حينه بتجريد موسى من هويتيه .

ولكى نتعرف على كيفية إرجاع الهوية المصرية إلى موسى عن طريق طقس الختان يجب أن نتعرف أولا على الشخص الذى أجرى عليه الختان وهو ابن موسى من صفورة .. ولكى نتعرف على هذا الإبن نعود إلى مرحلة هروب موسى من مصر ولجوئه إلى بيت كاهن ميديان الذى زوجه إحدى بناته « فأعطى موسى صفورة ابنته . فولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم . لأنه قال كنت نزيلا فى أرض غريبة »[١] .. فالأسم جرشوم معناه « نزيلا هناك »[٢] .. وقد اختار موسى هذا الاسم كناية عن غربته وعلى هذا يكون ابنه مقابلا له .. وعلى هذا أيضا فإن إحلال الإبن مكان الأب عن طريق طقس الختان يعيد إلى موسى (الازدواجية الأحادية) التى كان عليها ويخلصه فى نفس الوقت من (الازدواجية العقيمة) التى مر بها أثناء انتقاله من (الازدواجية الأحادية) إلى (الازدواجية الثنائية) التى تخص التكاثر الجنسى أى الزواج .. ومن هنا قالت صفورة لموسى بعد إجراء طقس الختان : « إنك عريس دم لى » .. ومعنى هذا أن زواج موسى وصفورة قد تم من جديد كزواج حقيقى وبالتالى يكون جرشوم قد ولد من جديد كولادة حقيقية .. وطبقا لمبدأ مقابلة الابن للأب يكون موسى أيضا قد ولد من جديد كولادة حقيقية .. وسوف نبين معنى الولادة الحقيقية من خلال توضيح الفرق بين الزواجين : الزواج قبل الحقيقى أى الوهمى والزواج الحقيقى[٣] :

١ - الزواج قبل الحقيقى يخص (الازدواجية الأحادية) التى تخص التكاثر الذاتى حيث تمخض التكاثر عن تضخم الذات تعويضا عن التحول العملى إلى شعب .. ويتمثل تضخم الذات فى أن صفورة - بحكم بنوتها لكاهن ميديان - عبرية الهوية .. وفى أن موسى فى (الازدواجية الأحادية) يجمع بين الهوية المصرية والهوية العبرية .. وعلى هذا فإن ازدواج الاثنين = (موسى) + (صفوره) = (الهوية المصرية + الهوية العبرية) + (الهوية العبرية) = (الهوية المصرية) + (الهوية العبرية × ٢) = تضخم الهوية العبرية = تضخم ذات الشعب المختار قبل أن يتحول عمليا إلى

(١) « خروج » ( ٢ : ٢١ ، ٢٢ ) .

(٢) هامش (٤) الاصحاح الثانى (خروج) .

(٣) تنكر قضية الشعب المختار بين الحقيقة والوهم (نفس الفصل) .

شعب حيث اقتصر على (الهوية العبرية × ٢) وهو ما حدث لموسى فى (الازدواجية العقيمة) التى مر بها أثناء تعامله مع هرون حيث اقتصر مثله على الهوية العبرية (هوية موسى العبرية + هوية هرون العبرية ) = (الهوية العبرية × ٢) .

٢ - الزواج الحقيقى يخص (الازدواجية الثنائية) التى تخص التكاثر الجنسى حيث تم استكمال النقص فى الزواج قبل الحقيقى الذى عبرنا عنه بصيغة (الهوية العبرية × ٢) + (الهوية المصرية) وذلك بمضاعفة الهوية المصرية عن طريق الختان .. وبهذا تحولت الصيغة إلى (الهوية العبرية × ٢) + (الهوية المصرية × ٢) ومن ثم استمر تضخم الذات لدى الشعب المختار مع انتقال التحول إلى شعب من نظرى إلى عملى .

ونلخص الزواجين السابقين بما يلى :

١ - الزواج قبل الحقيقى = (الهوية العبرية × ٢) + (الهوية المصرية) = تضخم الذات + التحول النظرى إلى شعب .

٢ - الزواج الحقيقى = (الهوية العبرية × ٢) + (الهوية المصرية × ٢) = تضخم الذات + التحول العملى إلى شعب .

وهكذا أصبح موسى مؤهلا للذهاب إلى مصر لإخراج القبيلة العبرية المحولة نظريا إلى شعب والتوجه بها إلى كنعان حيث تتحول عمليا إلى شعب .. وبهذا يصبح للخروج معنى محددا وهو خروج فكرة «الشعب المختار» من الوهم الدينى إلى الواقع الدنيوى .. ووراء ذلك الختان .. وعلى هذا فعندما نتحدث عن الختان كرمز للهوية المصرية فكأننا نتحدث عن الشخصية (الثانوية) - فى ازدواج الشخصية - التى قلنا إنها هى صاحبة الدور الإيجابى والفعال بعكس الشخصية (الأصلية) العبرية الهوية .

## موسى يتحول إلى قربان بفعل الختان :

رأينا شرطية الختان بشأن التحول العملى إلى شعب .. ولأن هذا التحول يتوقف على الخروج من مصر إلى كنعان .. فقد لجأ الشعب المختار إلى الختان لمنح موسى الصلاحية باعتباره قائد الخروج .. ثم قبل الخروج مباشرة لجأ إلى الختان لمنح قربان الفصح الصلاحية باعتباره رمزا للخروج (راجع الفصل الحادى عشر) ونتوقف عند كلمة «قربان» لنقول إن ماحدث مع موسى قبل ذهابه إلى مصر يقابله ماحدث فى قربان الفصح .. وسوف نبين دور الختان فى ذلك من خلال رحلة تطور القربان صعودا وهبوطا مابين الضحية البشرية والحيوانية [1] .. وسوف نكتفى من رحلة التطور هذه بعرض النقاط التى تخص موضوعنا :

(١) يرى بعض الباحثين أن القربان بدأ نباتيا ثم حيوانيا ثم بشريا . والبعض الآخر يرى العكس . وفى كتابه «الأسطورة والتراث » (ص ٧٨) يرى د . سيد القمنى أن مسيرة القربان كانت تصاعدية ولكن بدون انتظام وذلك لارتباطها بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ومن ثم كانت أحيانا تصعد نحوالقربان الحيوانى أو النباتى وأحيانا تهبط نحو القربان البشرى.

١ - شرط القربان - بشرا أو حيوانا - أن يكون ذكرا وبكرا .. ومثال ذلك بالنسبة للقربان البشرى أن الله طلب من إبراهيم أن يضحى بإبنه الوحيد أى البكر «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه واذهب إلى أرض المريًّا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال (١) الذى أقول لك»(٢) .. أما بالنسبة للقربان الحيوانى فمثال ذلك «وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه»(٣) .

٢ - تطور القربان فى الاتجاه البشرى حيث أصبح الإخصاء بديلا له ثم أصبح الختان بديلا للإخصاء.

٣ - تطور القربان فى الاتجاه الحيوانى حيث أصبح الحيوان المفضل هو الخروف ويليه التيس(٤) .

٤ - أقصى تطور للقربان فى الاتجاه البشرى أنه جمع بين الناسوت واللاهوت فصار قربانا إلهيا .. وأهم مثال لذلك المسيح .

٥ - أقصى تطور للقربان فى الاتجاه الحيوانى أنه جعل الخروف رمزا للقربان الإلهى .. وأهم مثال لذلك يخص المسيح « نظر يوحنا يسوع مقبلا فقال هو ذا حمل الله »(٥) .

٦ - سواء فى القربان البشرى أو الحيوانى يعتبر الدم هو الهدف الأساسى من أجل التطهر والمغفرة «وكل شىء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة»(٦) .

ونكتفى بهذه النقاط ونعود إلى قولنا بأن ما حدث مع موسى بشأن الختان يقابله ما حدث لقربان الفصح .. وهو ما يعنى أن موسى عومل معاملة القربان .. ولكى نبين كيفية حدوث ذلك سنذكر من جديد النص الذى تناولناه لنستكمل تحليله طبقا للنقاط التى قدمناها بشأن تطور القربان .. فقد قلنا إنه حدث أثناء مغادرة موسى منزله إلى مصر « أن الرب التقاه وطلب أن يقتله. فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومسَّت رجليه . فقالت إنك عريس دم لى . فانفك عنه . حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان » .

---

(١) « النبى اليهودى أرميا يقرر : إن اليهود قد بنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار . والمرتفعات هى المذابح . والمحرقات تعنى قربانا ينبح ثم يحرق أو يقدم مباشرة طعمة لنيران الإله» (الأسطورة والتراث ص ٧٨) .

(٢) « تكوين » ( ٢٢ : ٢ ) .

(٣) « تكوين » ( ٤ : ٤ ) .

(٤) شعوب حوض المتوسط الشرقى كانت تعبد الإله « أتيس » ورمزه التيس ذو القرون والحوافر والذيل وتعتبره إلها شهيدا . وكذلك كان الحال مع الإله « أدونيس » والإله «ميثرا » . ولما جاء ت المسيحية وجد آباؤها أن طقوس هذه الآلهة تتشابه مع طقوسها وبدلا من أن يعترفوا بأن المسيحية تأثرت بهذه المعتقدات اعتبروا أنها صنيعة الشيطان وأن الآلهة التى فى صورة تيس هى تمثلات للشيطان . ومن هنا جاء ت صورة الشيطان ذى القرون والحوافر والذيل .. ومن هنا يتضح إصرار الأناجيل على تأكيد خروفية المسيح وليس تيسيته أو ألوهيته وليس شيطنته» (الأسطورة والتراث ص ٤٦ ، ٤٧ ) .

(٥) « يوحنا » ( ١ : ٢٩ ) .

(٦) « عبرانيين » ( ٩ : ٢٢ ) .

وقد قلنا إن القربان البشرى يكون ذكرا وبكرا .. وجرشوم هو ابن موسى البكر[1] .. وقلنا أيضا إن الختان أصبح بديلا للقربان البشرى .. وعلى هذا يكون الابن البكر المختون (جرشوم) بمثابة القربان البشرى .. وفى تحليلنا السابق للنص توصلنا إلى أن الابن (جرشوم) مقابل لأبيه[2] موسى .. وبإجراء طقس ختان الابن على الأب يصبح موسى قربانا بشريا.

وكذلك قلنا إن القربان هو الهدف الأساسى من أجل التطهر والمغفرة .. ونضيف « أن الدم رمز للخصب والتجديد والمرأة تنجب بالدم وعندما يتوقف الحيض عندها تصبح عقيما »[3] .. وفى تحليلنا السابق للنص توصلنا إلى أن موسى قد تطهر من عقم الزواج (قبل الحقيقى) أى الوهمى بواسطة الزواج (الحقيقى) وذلك عن طريق الختان وبالذات دم الختان عندما مست صفورة رجليه بغرلة ابنها وقالت : « إنك عريس دم لى » - وواضح من ذكر الدم هنا أن صفورة مست رجلى موسى بدم الغرلة - ولأن موسى تطهر من عقمه بالدم فإن الرب تراجع عن قتله « فانفك عنه » وحينئذ قالت صفورة : « عريس دم من أجل الختان » أى من أجل القربان باعتبار أن الختان بديل للقربان .. وفى هذا تأكيد لتحول موسى إلى قربان بشرى .. ونذكر قول المسيح كناية عن القربان الذى يمثلهُ : « من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية »[4] .. ثم نذكر الصفة الأساسية للمسيح وهى (المخلّص).. ثم نذكر مهمة موسى وهى تخليص الشعب المختار من الأسر لنجد أن له نفس صفة ( المخلّص)»[5] مثل المسيح .

وهنا يتكشف لنا وجه آخر لخيانة يوسف للشعب المختار .. فقد ذكرنا أن الفرعون أطلق على يوسف لقب « صفنات فعنيح » أى مخلّص العالم .. وباعتبار أن المقصود بالعالم هو الشعب المصرى الذى خلَّصه يوسف من المجاعة يكون يوسف خائنا للشعب المختار بعكس موسى الذى خلَّص الشعب المختار من المصريين .

## موسى الإله المخلّص :

**انتهينا إلى أن موسى له صفة القربان المخلّص مثل المسيح .. ولكن يبقى بينهما فارق وهو**

---

(١) وبليه أليعازر ( راجع الاصحاح ١٨ سفر الخروج ) .

(٢) حيث أن صفورة مست رجلى موسى بغرلة الإبن . وحيث أن غرلة المختون تمثله وتنوب عنه . ويقابل ذلك عند المرأة قربان شعرها الذى ينوب عنها فى الزنا المقدس بالمعابد حيث كان على المرأة التى لا تقدم جسدها أن تقص شعرها كتضحية بديلة . وفى اعتقادى أن هذا هو الأصل فى حلقان بعض النساء بشعرهن كناية عن حلقانهن بشرفهن.

(٣) « المرأة والألوهية » ( ص ٦٤ ) .

(٤) « يوحنا » ( ٦ : ٥٤ ) .

(٥) فى كتاب « خفايا التوراة » ( ص ٢١٥ - ٢١٦ ) يثبت مؤلفه كمال الصليبى أن اسم موسى معناه المخلِّص وليس المخلَّص نسبة إلى ابنة الفرعون التى انقذته .

أن المسيح يجمع بين اللاهوت والناسوت وموسى يقتصر على الناسوت فقط .. ولكن التوراة تزيل هــذا الفارق بأن تمنح موسى صـفة الألوهية وذلك فى قول الرب لموسى بشأن هرون : «وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها »[1] .. وقبل أن يدهش أحد لتأليه موسى نقول إننا كنا سندهش لو أن هذا لم يحدث .. وحجتنا فى ذلك نجدها فى قول الرب لموسى : « أنا جعلتك إلها لفرعون »[2] .. فلأن الفرعون إله فلابد لمن يواجهه أن يكون إلها مثله .. ولأن المطلوب هو التحكم فى الفرعون فمن هنا كان القول « جعلتك إلها لفرعون » وليس « جعلتك إلها مثل فرعون » .

وإله الفرعون إله شمسى .. ولكى يكون موسى إلها للفرعون يجب أن يكون إلها شمسيا ومن ثم يجب أولا معادلة هويته الشمسية أى المصرية بهويته العبرية المضروبة فى اثنين .. وقد تم ذلك كما رأينا بالانتقال من الزواج ( قبل الحقيقى ) حيث ( الهوية العبرية × ٢) + (الهوية المصرية) إلى الزواج (الحقيقى) حيث (الهوية العبرية × ٢) + (الهوية المصرية × ٢) .. وقد نتج عن ذلك أن أصبح قربانا بشريا .. ثم لكى يقوم بدور المخلّص كان يجب أن يتحول من قربان بشرى إلى قربان إلهى وذلك بالجمع بين اللاهوت والناسوت .

ولأن الهدف النهائى هو تحول موسى إلى إله شمسى فقد تمت جميع الخطوات السابقة عن طريق الختان المتعلق بالثقافة الشمسية .. وهو ما حدث رمزيا فى طقس الختان عن طريق مس رجلى موسى بغرلة الختان بمعنى أن إحدى رجليه تمثل الهوية العبرية الناسوتية والرجل الأخرى تمثل الهوية المصرية اللاهوتية .. وخلاصة ذلك أن طقس الختان ذو فعالية إلهية .

## اكتشاف شخصية صفورة :

بعد أن توصلنا إلى أن طقس الختان ذو فعالية إلهية .. نعود إلى فعل الختان بشأن ولادة جرشوم للمرة الثانية والتى وصفناها بالولادة الحقيقية .. وقد آن الأوان لنسميها الولادة الإلهية .

فكما نعرف فإن صفورة هى التى أجرت على موسى طقس الختان الذى منحه صفة الإله المخلّص .. ومعنى هذا أن الرب عندما قال لموسى : «أنا جعلتك إلها لفرعون» قد أسند تنفيذ المهمة إلى صفورة .. وإذا كنا حتى الآن لا نعرف عن صفورة إلا أنها زوجة موسى العبرية الهوية بحكم بنوتها لكاهن ميديان القمرى .. إلا أن المهمة التى أسندها إليها « الرب » تدل على أن لها جذورا تتعلق بهذه المهمة .. وسوف نحاول اكتشاف الجذور التى تنتمى إليها صفورة انطلاقا من أن فعاليتها تتمثل فى الانتقال من الزواج ( قبل الحقيقى) العقيم إلى الزواج (الحقيقى) الخصب .. ومعنى هذا أن جذور صفورة لها علاقة بالخصوبة .. وهذا يقودنا إلى « عناة »[3] إحدى أهم آلهات الخصب الكنعانية التى وصلت عبادتها إلى مصر عن طريق

(١) « خروج » ( ٤ : ١٦ ) .
(٢) « خروج » ( ٧ : ١ ) .
(٣) المعلومات الخاصة بالإلهة عناة مأخوذة عن كتاب «المرأة والألوهية» أما التعليقات والاستنتاجات المبنية عليها فهى تخصنا .

الهكسوس[1] .. وقد استمرت عبادة «عناة» فى مصر حتى العصر الهلنستى وأصبح اسمها مرادفا لاسم إلهة الخصب المصرية «هاتور» بل واستخدم أحيانا لقبا لها .. وقد بلغ حب فراعنة مصر لـ «عناة » أن رمسيس الثانى أطلق على ابنته اسم «بنت عناة » كما أن رمسيس الثالث اعتبرها درعه الحامى .

وبجانب ذلك كانت « عناة » ذات مكانة خاصة لدى كتاب التوراة وأنبيائها بحيث استثنوها فى هجومهم العنيف ضد الآلهة الكنعانية .. بل وبلغ الأمر أن تسربت « عناة » إلى صلب عبادة « يهوه » وأصبحت شريكته مثلما كانت شريكة الرب الكنعانى « بعل » .. وقد ترتب على ذلك أن أخذ يهوه » صفات « بعل » كما ورد اسمه مركبا من « عناة يهوه » .

وقد اشتهرت « عناة » بحمام الدم الذى أجرته انتقاما لقتل شريكها « بعل » حيث غسلت جسدها بدماء ضحاياها .

ونكتفى بهذا الموجز بشأن « عناة » كقاعدة انطلاق لإثبات العلاقة بينها - بعد أن تجنست بالهوية المصرية الشمسية - وبين صفورة القمرية .

ونبدأ بمسألة ضم « عناة » إلى « يهوه » فى الإسم المركب « عناة يهوه » حيث نذكر الثالوث اليهودى . « إيل » (الأب) و «إناث ياهو» (الأم) و «يهوه» (الإبن) .. وهدفنا إثبات العلاقة بين «عناة يهوه» و « إناث ياهو» (علما بأن «ياهو» كما ذكرنا سابقا هو أحد تنغيمات اسم «يهوه») ففى النصوص الملحمية فى الأدب الكنعانى نجد أن «عناة» هى واحدة ضمن الآلهات اللاتى يشاركن «إيل» فراشه .. أى أنها لم تكن مميزة باسمها ضمن إناث «إيل» .. وكذلك نجد فى الثالوث اليهودى أن إناث «إيل» منسوبة إلى «يهوه» فى «إناث ياهو» وبالتالى تصبح «عناة» غير مميزة باسمها وسط إناث «يهوه» . ولكننا قلنا إن «عناة» كانت لها مكانة خاصة لدى كتاب التوراة وأنبيائها بحيث أصبحت «عناة يهوه» .. والسؤال هو : متى ولماذا حدث هذا التميز الذى جعل اسم «عناة» ينسب إلى «يهوه» دون سائر الإناث المنسوبة إليه فى «إناث يَاهو»؟

هناك خيط يقودنا إلى الإجابة عن ذلك السؤال وهو أن «يهوه» قد اضطلع مع موسى بالدور الرئيس وقام بدلا عن أبيه «إيل» ضلعا أكبر فى الثالوث»[2] .. وهو ما يعنى إحلال الابن «يهوه» مكان أبيه «إيل» .. فحين نقابل هذا بإحلال الابن جرشوم مكان أبيه موسى نجد أن موسى يقابل «إيل» .. والمعروف عن «إيل» أنه إله كهل [3] يعانى من الضعف الجنسى والعقم[4] .. وعلى هذا فعندما نطبق ما سبق على انتقال موسى من الزواج ( قبل الحقيقى ) إلى الزواج ( الحقيقى ) الخصب فسنجد الآتى :

موسى فى الزواج العقيم = « إيل » الكهل .

---

(١) عن علاقة الهكسوس بموضوعنا نذكر قول فرويد بشأن موسى بعد سقوط ديانة إخناتون إنه « ربما كان فى ذلك الوقت حاكما لإقليم جوسينا - جاسان فى التوراة - الذى ربما فى عهد الهكسوس استقرت به بعض القبائل السامية . وهؤلاء اختارهم ، ليكونو شعبه الجديد » ( موسى والتوحيد ص ٧٥ ) .

(٢) «الأسطورة والتراث» (ص ١٣٩)

(٣) « إذا عدنا إلى ديانة اليمن فى الجنوب العربى فسنجد القمر الإله يحمل لقب «كهلان » أى الإله الكهل » (الأسطورة والتراث ص ١٣٩ ) .

(٤) فى أسطورة كنعانية نجد أن إلهة الخصب « عشيرة » تصف زوجها العجوز « إيل » بالضعف الجنسى والعنة.









مشاهد لعملية الإخصاب المقدس في الشرق القديم

( شكل ٧ )

موسى فى الزواج الخصب = « يهوه » = جرشوم .

وبما أن « عناة » = إلهة الخصب .

إذن « عناة » = عامل الانتقال من الزواج العقيم إلى الزواج الخصب

وبما أن صفورة = عامل الانتقال من الزواج العقيم إلى الزواج الخصب

إذن صفورة = «عناة».

وبما أن «يهوه» = جرشوم = موسى (بحكم قيام الابن بدور الأب كما فعل «يهوه» مع أبيه «إيل» ) .

إذن «عناة يهوه» = عناة جرشوم = عناة موسى .

وهكذا نكون قد أجبنا عن السؤال : متى ولماذا حدث التميز الذى جعل اسم «عناة» ينسب إلى «يهوه» دون سائر الإناث المنسوبة إليه فى «إناث ياهو» .. وكذلك أيضا نكون قد توصلنا إلى جذور شخصية صفورة التى ترجع إلى إلهة الخصب «عناة» .

وفعالية صفورة تتمثل فى طقس الختان .. وبما أن صفورة = «عناة » فلابد وأن طقس الختان يمثل عاملا مشتركا بين الاثنتين.. وطريقنا إلى بيان ذلك هو قول صفورة لموسى أثناء إجرائها لطقس الختان : «عريس دم لى .. عريس دم من أجل الختان» .. فقد رأينا أن الخصب وبالتالى الزواج ( الحقيقى ) الخصب هو العنصر المشترك بين صفورة و« عناة » .. والدم رمز للخصب حيث أن المرأة تنجب بالدم وعندما ينقطع دم الحيض تصبح عقيما .. وهذا ما تعبر عنه صفورة بعرس الدم وما يعبر عنه وصف «عناة» فى النصوص الأوغاريتية بأنها «عناة الرحم» .

والدم عنصر مشترك بين الختان والعرس «عريس دم من أجل الختان» أى أن ( طقس الختان = عرس الدم = الخصب) وعلى هذا فإن خلاص موسى من الموت بواسطة الختان يعنى خلاصه من العقم بواسطة عرس الدم .. وكلا المعنيين ترمز إليهما أسطورة تخص «عناة» وهى تحكى أن إله الموت «موت» قتل زوجها «بعل» فانتقمت بقتله هو وعدد كبير من الرجال حيث أمرت بذبحهم ثم غسلت جسدها بدمائهم .. وسوف نفسر هذه الأسطورة من حيث الخلاص من الموت .. ومن حيث الخلاص من العقم .

فمن حيث الخلاص من الموت فإن الرجال الذين أمرت «عناة» بذبحهم مع إله الموت يرمزون إلى رسل الموت .. ولهذا تذكر الأسطورة أن «عناة» جمعهتم من كل أنحاء العالم حيث أن الموت فى كل مكان .. ولأن الدم هو عصب الحياة أى هو الروح «نفس كل جسد دمه»[1] فإن حمام الدم - دم إله الموت ورسله - الذى اغتسلت فيه «عناة» إلهة الخصب يرمز إلى تجديد الحياة .. فكأن حمام الدم = حمام الحياة = طقس الختان الذى أنقذ موسى من الموت .

أما من حيث الخلاص من العقم فإن الأسطورة ترمز إلى إحياء طقس دينى قديم يتعلق

---

(١) « لاويين » ( ١٧ . ١٤ ) وسبق الإشارة إلى عدم التفرقة بين الروح والنفس

بتقديم القرابين البشرية على مذابح الآلهة لتجديد قوى الخصب .. فكأن عرس الدم = عرس الخصب = طقس الختان أو عرس الختان .. وقد قلنا إن الختان بديل للقربان وإن طقس الختان أو عرس الختان قد حول موسى إلى قربان أو إلى عريس للقربان .. وعلى هذا نفهم قول صفورة : «عريس دم من أجل الختان» بمعنى : موسى من أجل القربان.

وقد رأينا فى تناولنا لأسطورة «عناة» أن الدم يرمز إلى إعادة الحياة والخصب وأيضا إلى الانتقام .. وقد انعكس انتقام الدم على قصة موسى مع الفرعون «خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى سواقيهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دما»(١) .

وما أشبه ذلك بما حدث فى أسطورة أخرى تخص إلهة شبيهة بالإلهة الكنعانية «عناة» وهى الإلهة السومرية «إنانا» حين انتقمت من البستانى «شوكا ليتودا» الذى اعتدى على شرفها:

«ماذا فعلت إنانا من أجل فرجها .

لقد ملأت جميع آبار البلاد بالدم .

ففاضت جميع الغابات والبساتين بالدم»(٢) .

وتأثر التوراة بالإلهة «عناة» لا يقتصر على عهد موسى بل يسبقه إلى عهد إبراهيم وسلالته.. ففى أسطورة أقهات الأوغاريتية تدور الأحداث حول ملك عجوز عاقر ( يذكرنا بالإله «إيل» العجوز العاجز جنسيا) وهذا الملك يدعى «دانيال» وله إبن يدعى «أقهات» أنجبه بمساعدة الإله «بعل» (يذكرنا هذا بمولد اسحق بن ابراهيم بعد أن بلغ الأب من العمر أرذله وتدخل الإله فى عملية إخصاب سارة فحملت وولدت اسحق)(٣).. «وافتقد الرب سارة.. وولدت لإبراهيم ابنا فى شيخوخته .ودعا إبراهيم اسم ابنه .. اسحق... وقالت سارة قد صنع الله إلى ضحكا. كل من يسمع يضحك لى »(٤) . فالاسم اسحق يعنى فى العبرانى يصحق أى يضحك(٥).. والمناسبة توحى بضحك أقرب إلى القهقهة .. فلعل هناك علاقة بين الاسم «أقهات» فى الاسطورة والاسم اسحق .

وتستمر أسطورة «أقهات» حيث يكبر ويمنحه إله الفن والبناء «قطر» قوس صيد تعجب به «عناة» وتطلبه من «أقهات» ولكنه يرفض .. فتعاقبه بأن تقتله وتترك جثته دون دفن فيسود الأرض الجفاف لمدة سبع سنين (ويذكرنا هذا بقصة يوسف والسبع السنين العجاف فى مصر)(٦) .

وأخيرا فقد تعرفنا على شخصية صفورة من خلال اكتشافنا للعلاقة بينها وبين الإلهة «عناة» .. وإذا كانت «عناة» قد تأثرت بالثقافة المصرية بحكم وفودها إليها فلابد وأن صفورة بحكم علاقتها بالإلهة «عناة» قد تأثرت مثلها بالثقافة المصرية .. وإذا كنا قد رأينا تأثر صفورة بالثقافة المصرية فى ممارستها لطقس الختان .. فالواقع أن الأسرة الموسوية كلها قد تأثرت بالثقافة المصرية.. وهذا ما سنبينه فى الفصل التالى .

---

(١) « خروج » ( ٧ : ١٩ ) .
(٢) « المرأة والألوهية » ( ص ٦٥ ) .
(٣) « المرأة والألوهية » ( ص ٧٠ ، ٧١ ) .
(٤) « تكوين » (٢١ : ١ - ٦ ) .
(٥) « تكوين » (١٧ : ١٨ ) هامش (٦) .
(٦) « المرأة والألوهية » ( ص ٧١ ) .

# الفصل العشرون:

# ثالـــوث موســـى

## ■ ثالوث موسى يماثل ثالوث أوزيريس:

- ثالوث موسى يجمع بين الهوية المصرية والهوية العبرية طبقا لإزدواج شخصية موسى.
- مهمة موسى تماثل مهمة «أوزيريس» وبالتالى فإن ثالوث موسى يماثل ثالوث «أوزيريس».
- عرض أسطورة «أوزيريس» وكشف التماثل بين ثالوث موسى وثالوث «أوزيريس».
- مغزى الوضع الأوديبى بالنسبة لوظيفة الأم كإلهة للخصب.
- المنبع الأصلى لأسطورة «أوزيريس» ونشأة معجزة الحمل الإلهى هربا من عقوبة الخيانة الزوجية.

## ■ سر اختفاء ثالوث موسى:

- قتل «ست» لـ «أوزيريس» يقابله قتل الشعب المختار لموسى.
- «حوريس» بن «أوزيريس» يقابله جرشوم بن موسى.
- جرشوم ينقلب على العبريين وبدلا من أن يخلصهم من المصريين يخلص المصريين منهم.
- يشوع يخلف موسى فى دور الإبن المخلّص بدلا من جرشوم ومعنى الإسم «يشوع».
- رفع يشوع إلى مرتبة الألوهية.

## ■ الشعب المختار يؤكد عدم شرعية الإبن الإلهى:

- علاقة أسطورة «أوزيريس» بمرحلة الانتقال من نظام الزواج الجماعى إلى نظام الزواج الفردى حيث توريث الثروة للأبناء.
- مسألة الميراث وراء حقد «ست» على «حوريس» وزعمه أنه ابن غير شرعى أنجبته «إيزيس» سفاحا.
- رفض الشعب المختار لـ (الذات الشمولية) يجعله يتحمس لإتهام «إيزيس» بالخيانة الزوجية.
- معالم التفاعل بين الثقافة المصرية والثقافة الكنعانية وظهور «ست» الكنعانى بجانب «ست» المصرى.

## ■ ما وراء معجزة الحمل المقدس فى الأساطير:

- استرداد المرأة لكيانها - الذى سلبه الرجل - عن طريق الحمل المقدس.
- أول من جلس على عرش الألوهية كانت المرأة.
- المرأة إلهة للخصب وللحرب.
- المرأة تفقد سلطانها وتبدأ فى استخدام مفاتن جسدها للغواية.
- المرأة الإلهية تغتصب من البشر.
- المرأة تنتقم من الرجل بأن تحمل بدونه.
- جرشوم يقابل «حوريس» و«يهوه» يقابل الشعب المختار.
- «يهوه» يحوى العنصر الأنثوى «شيكناه» ردا على احتواء الأنثى للذكر فى الحمل الإلهى.
- مضمون كلمة «حواء» وتميز الأنثى على الذكر بصفة الاحتواء وعدم وجود أسطورة للحمل الإلهى تخص الرجل وتجعله ينجب بدون المرأة .
- عقم ثنائية «يهوه» و«شيكناه» لعدم قدرة «يهوه» على الاحتواء. وعلاقة هذا بتحريم النطق باسم «يهوه».

## ثالوث موسى يماثل ثالوث أوزيريس:

توصلنا فى الفصل السابق إلى أن أسرة موسى تقابل أسرة الثالوث اليهودى.. وعلى هذا فنحن بصدد ثالوث إلهى موسوى.. والواقع أن الثالوث الموسوى يفرض نفسه بدون الحيثيات التى أوصلتنا إليه إذ أن ألوهية موسى فى حد ذاتها تنتج عنها بالتبعية ألوهية أسرته .. كما وأننا بصدد حقبة من التاريخ تسود فيها عقيدة الثالوث سواء فى مصر التى عاش فيها العبريون أو فى المناطق التى وفدوا منها.. بل إن الثالوث ـ الذى نتج عنه ثالوث موسى ـ هو أصل العقيدة اليهودية.. وعلى هذا فليس من المستغرب وجود ثالوث موسى وإنما المستغرب هو العكس.

وطبقا لازدواج شخصية موسى التى تجمع بين الهوية المصرية والهوية العبرية فلابد أن يسرى هذا على الثالوث الموسوى.. وقد بينا هوية ثالوث موسى العبرية من خلال علاقته بالثالوث اليهودى ويبقى أن نبين هويته المصرية من خلال ثالوث مصرى.. وقد سبق أن تحدثنا عن الثورة الشعبية التى قادها «أوزيريس» زعيم الطبقة المحكومة ضد المذهب الشمسى الذى يخص الطبقة الحاكمة.. ولأن مهمة «أوزيريس» تماثلها مهمة موسى فى زعامته للعبريين وتصديه للفرعون فمن الطبيعى أن يماثل ثالوث موسى ثالوث «أوزيريس».. وهو ما سنبينه من خلال أسطورة «أوزيريس» كما رواها «بلوتارك» وإن كنا سنضيف أحيانا مما جاء فى متون الأهرام وذلك ـ كما يقول د. لويس عوض فى كتابه «المسرح المصرى» (ص ١٠): إن الروايات فى قصة «أوزيريس» كثيرة ومصادرها متعددة. فمنها ماهو قديم قدم الأهرام أى يرجع إلى خمسة آلاف سنة. وهذا ماجاء فى «كتاب الموتى» وهو مايعرف أحيانا بنصوص الهرم. ومنها ماهو حديث جدا يرجع تاريخه إلى ألفى سنة وهذا ماجاء فى كتاب المؤرخ اليونانى بلوتارك.. أما ماجاء فى «كتاب الموتى» فهو غامض ولاسبيل إلى ربطه فى قصة واضحة. فلا مناص إذن من الاعتماد على رواية بلوتارك إذ أن شواهد الحال تدل على أنه قد روى جوهر الأسطورة مهما كانت تفاصيلها قد تحورت من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان.

فحسب رواية بلوتارك [١] فإن الإله الشرير «ست» تآمر على قتل «أوزيريس» بأن وضعه داخل صندوق وألقاه فى النيل فطفا حتى البحر الأبيض المتوسط ثم إلى شاطىء فينيقيا «لبنان» ورسى بمدينة ببلوس [٢] حيث نمت شجرة [٣] عظيمة بداخلها الصندوق.. ثم إن الإلهة عشتروت

---

(١) مصدرنا فى ذلك كتاب «المسرح المصرى» (ص ١١ ـ ١٥).

(٢) «متون الأهرام تشير إلى أن «أوزير» وجد أخيرا فوق شاطىء «نديت» وهو المكان الذى ذبح فيه «ست» «أوزير» ويجوز أن «نديت» كان فى الأصل اسما قديما لإقليم «ببلوس» وإن كان موقع «نديت» قد حدد فيما بعد فى «العرابة المدفونة» بمصر (فجر الضمير ص ١١٥).

(٣) «وقيل هى شجرة أرز وقيل هى شجرة سنط وقيل هى شجرة جميز. وكل من روى الأسطورة زعم أنها شجرة من شجر بلاده» (المسرح المصرى ص ١٢).

«إيزيس لبنان» أعجبت بالشجرة فأمرت بقطعها وجعلها عمودا وسط قصرها.. ثم إن «إيزيس» استدلت على مكان زوجها «أوزيريس» واتخذت هيئة نسر وحومت حول العمود الذى يحوى جثته فحدثت المعجزة وحملت بالروح القدس دون أن يمسها زوج.. ثم عادت بجثة «أوزيريس» فى زورق تحمله أمواج البحر الأبيض وأثناء ذلك نفخت من أنفاسها فى زوجها الميت فعادت إليه الحياة.. وعندما وصلت مصر وضعت ابنها «حوريس» وهكذا تكون الثالوث الإلهى الذى تربص به «ست» وتمكن من قتل «أوزيريس». وتمزيق جسده إربا إربا.. وقيل قطعه أربعة عشر قطعة ورمى كل قطعة فى إقليم من أقاليم مصر.. وكان أهل كل إقليم يرجعون خصوبة أرضهم إلى قطعة لحم الإله التى تبعث فى التربة الحياة.. كما قيل أن «ست» قطع جهاز «أوزيريس» ـ وقيل رأس «أوزيريس» ـ ودفنه فى مكان مجهول وكان كل إقليم يزعم أن جهاز «أوزيريس» مدفون فيه وأنه السبب فى خصوبة هذا الإقليم.. وفى كل مكان أقام الناس ضريحا وقالوا هنا يرتاح ذكر الإله المعذب.. وأما «إيزيس» فقد اتهمها «ست» بخيانة زوجها «أوزيريس» وبأنها حملت «حوريس» سفاحا ودعا الآلهة إلى محاكمتها ولكن الآلهة برأت ساحتها حين علمت بمعجزة الخلق الجديد حيث حملت الأم العذراء بالروح القدس دون أن يمسها زوج.. وأما «حوريس» فقد تربص به «ست» ليقتله فأخفته «إيزيس» بين ورق البردى فى مستنقعات الدلتا واتخذت زى البقرة «هاتور» وراحت ترضعه فى أمان. وعندما كبر «حوريس» مضى يجمع أشلاء أبيه «أوزيريس» من أنحاء مصر ثم سواه كما كان وأقام له قبرا يحج إليه الناس.. ثم خرج ليحارب «ست» واستطاع أن يقهره ويخلص الدنيا من شروره.. ومن ثم عرفه المصريون بالإله المخلِّص.

والآن بعد أن عرضنا أسطورة ثالوث أوزيريس سوف نبين العلاقة بينه وبين ثالوث موسى وذلك من خلال أحداث الأسطورة:

**١ ـ «ست» يتآمر علي قتل «أوزيريس» بأن يضعه داخل صندوق ويلقيه في النيل:** حين نقابل هذا بقصة موسى نجد أن الإله الشرير «ست» يقابله الإله الفرعون الذى أمر بقتل ذكور مواليد العبريين.. أما وضع «أوزيريس» داخل صندوق وإلقائه فى النيل بهدف قتله فيقابله حسب مبدأ قلب الأوضاع وضع الطفل موسى داخل سفط على حافة النيل بهدف إنقاذه من القتل تنفيذا لحكم الفرعون.. وفى كلتا الحالتين تم إنقاذ «أوزيريس» بواسطة «إيزيس» وتم إنقاذ موسى بواسطة إبنه الفرعون.. أى أن دور «إيزيس» فى الأسطورة يقابله دور ابنه الفرعون فى قصة موسى.. وكلتا الشخصيتين تتعلقان بالهوية المصرية وبالتالى بطقس الختان الذى أنقذ موسى من الموت قبل رحلته إلى مصر.

**٢ ـ الصندوق يطفو حتى البحر المتوسط ثم شاطىء فينيقيا ويرسو بمدينة «بيلوس» حيث تنمو شجرة عظيمة بداخلها الصندوق:** كما يقول برستد فى «فجر الضمير» (ص ١١٦) فالشجرة هى شجرة جميز وهى مثل شجرة «الأيكا» التى ورد ذكرها فى

قصة بلوتارك.. والجميزة شجرة مقدسة ترمز إلى خلود «أوزيريس» وكانت تخاطب كأنها إلهة.. ولكننا نضيف إلى قول برستد نقطة تتعلق بموضوعنا وهى أن الفرعون فى المذهب الشمسى كان عندما يتوفى يصعد إلى مملكة السماء فى الإقليم الشرقى منها «حيث لم تكن الشمس وحدها هى التى تولد فى تلك الجهة بل كانت كذلك الآلهة الأخرى تولد هناك. وفى تلك الجهة المقدسة توجد أبواب السماء العظيمة التى تقوم أمامها الجميزة العالية التى يجلس فوقها الآلهة» [1] .. والإضافة التى نقصدها هى أن خلود «أوزيريس» الإله الأرضى يتعلق بصعوده إلى السماء عالم الإله الشمسى حيث تتجدد حياة الآلهة مثل تجدد الشمس مع كل شروق.. وقد سبق وقلنا إن التفاعل بين المذهب الشمسى والمذهب الأوزيرى قد انتهى بصعود «أوزيريس» إلى السماء مثل الفرعون ولكن ظلت المكانة العليا للمذهب الشمسى أى للفرعون.. ويقابل هذا فى قصة موسى طبقا لمبدأ قلب الأوضاع:

أ ـ أن «الرب» جعل موسى إلها على الفرعون وهو ما يعنى أعلاء ه عليه.

ب ـ أن «الرب» طلب أن يقتل موسى بعد أن جعله إلها ثم أنفك عنه بعد طقس الختان الذى أجرته معه صفورة.. ويقابل هذا إنقاذ موسى من الموت - طبقا لأمر الفرعون بإعدام مواليد العبريين الذكور - ثم صعوده إلى قصر الفرعون حيث تبنته ابنته فمنحته بذلك الهوية المصرية بجانب هويته العبرية مثلما فعل طقس الختان الذى أجرته معه صفورة.. أى أن دور إبنة الفرعون يقابله دور صفورة.

**٣ ـ الإلهة «عشتروت» (إيزيس لبنان) تعجب بالشجرة وتأمر بقطعها وجعلها عمودا وسط قصرها:** واضح هنا أن أسطورة «أوزيريس» التى تنتمى إلى الثقافة المصرية قد اختلطت عن طريق الإلهة «عشتروت» بثقافة ما بين النهرين.. ويقابل هذا فى قصة موسى اختلاط الإلهة «عناة» الكنعانية بالإلهة «هاتور» المصرية.

وعندما نذكر «عناة» فكأننا نذكر «عشتروت» حيث أن الاسم «عشتار» هو الأصل المشترك لكل التسميات التى ظهرت فى أماكن عبادتها مثل: (عطّار وعشتارت وعشتارته وعشيرة وعشيرات وعشتارات وأثيرة) [2] وحيث «يختلط اسم «عشتارة» و«عشتارته» مع «عناة» ويتبادلان مواقعهما وأدوارهما. فهى «عشتارة وعشتارته» التى تذكر فى نصوص العهد القديم بصيغة الجمع «عشتروت» [3] .. وأيضا عندما نذكر «عناة» . فكأننا نذكر «عشيرة» حيث أنهما مسميان لإلهة واحدة.. «كما أن» «عشيرة» تذكر فى جنوب الجزيرة العربية باسم «أثيرة» كإلهة للنخيل وقد تسربت عبادتها على شكل تقديس الشجرة أو العمود فى النصوص التوراتية» [4] ومثال ذلك «بل

---

(١) «فجر الضمير» (ص ٩٢).
(٢) «المرأة والألوهية» (ص ٣٠، ٣١).
(٣) «المرأة والألوهية» (ص ٧٦).
(٤) «المرأة والألوهية» ( ص ٧٣، ٧٤).

تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم»[1] أى أعمدتهم حيث «يعبر بالسوارى عن أعمدة مصنوعة من خشب أصناما لعشترة التى هى الزهرة»[2]

وهكذا يتضح لنا مغزى قطع «عشتروت» للشجرة التى بداخلها «أوزيريس» وجعلها عمودا وسط قصرها.. كما يتضح لنا الخلط بين «إيزيس» المصرية و«إيزيس اللبنانية» حيث أن «عشتروت» تعتبر «إيزيس لبنان».. وهو ما يقابل الخلط الذى أشرنا إليه فى قصة موسى بين «هاتور» المصرية و«عناة» الكنعانية.

**٤ ـ «إيزيس» تتخذ هيئة نسر وتحوم حول العمود الذي يحوي جثة «أوزيريس» فتحمل بالروح القدس دون أن يمسها زوج:** بداية نذكر «أن الأقدمين كانوا يؤمنون بأن النسر هو الحى الوحيد المكتفى بذاته فهو يلد بغير حاجة إلى لقاح»[3] .. وهذا يقابل التكاثر الذاتى الذى يخص الزواج (قبل الحقيقى) لدى موسى.. وهنا نذكر من جديد (أن بعض المتصوفين اليهود الذى يدعون بالكبليين يتحدثون عن عنصر أنثوى فى «يهوه» يدعى «شيكناه» يساوى عنصرا ذكرا يسمى «الواحد المقدس».. وأنه يرد فى كتاب الكبليين المعروف بالزوهار أن موسى بن الله كان له علاقة فعلية بعنصر «شيكناه» فى «يهوه»)[4] .. ونخرج من ذلك بالآتى:

أ ـ أن «يهوه» بجمعه بين الذكورة والأنوثة يمثل النسر المكتفى بذاته أى يمثل التكاثر الذاتى فى الزواج (قبل الحقيقى) العقيم لدى موسى.

ب ـ أن «إيزيس» عندما اتخذت هيئة النسر صارت مثل «يهوه» تمثل التكاثر الذاتى فى الزواج (قبل الحقيقى) العقيم.. ولكن لأنها إلهة خصب مهمتها تحويل الزواج (قبل الحقيقى) العقيم إلى الزواج (الحقيقى) الخصب أى تحويل التكاثر الذاتى إلى التكاثر الجنسى.. فقد كان عليها أن تفصل بين عنصرى الذكر والأنثى فى «يهوه».. وباعتبار أنها أنثى فقد احتلت مكان العنصر الأنثوى «شيكناه» ويبقى فى «يهوه» العنصر الذكر «الواحد المقدس».. ولأن هذا العنصر يخص التكاثر الذاتى فقد وجب تحويله إلى مايخص التكاثر الجنسى.. فكيف تم ذلك؟ الإجابة فى النقطة التالية:

ج ـ سبق أن بينا دور «عناة» ـ وأيضا صفورة ـ فى الانتقال من الزواج (قبل الحقيقى) العقيم إلى الزواج (الحقيقى) الخصب أى الانتقال من التكاثر الذاتى إلى التكاثر الجنسى.. ومن هنا أضيفت «عناة» إلى «يهوه» فصار «عناة يهوه».. ولأن دور «إيزيس» يماثل دور «عناة» فمعنى

(١) «خروج» (٣٤ : ١٣).

(٢) الهامش الخاص بالنص.

(٣) «المسرح المصرى » (ص ١٣).

(٤) «المرأة والألوهية» (ص ٥٠) وبعد هذه الفقرة يذكر المؤلف النص الخاص بإنقاذ موسى من القتل بعد إجراء طقس الختان ثم يعلق عليه بقوله: «وهذا صوت بعيد ولكنه ليس خافتا يذكرنا بالزواج المقدس بين تموز وعشتار».

هذا أن احتلال «إيزيس» مكان «شيكناه» فى «يهوه» يجعلها مكان «عناة» فى «عناة يهوه» فيصبح «إيزيس يهوه».

ونعود إلى عنصر الذكر فى «يهوه» وهو «الواحد المقدس» الذى يخص التكاثر الذاتى (العقيم) لنجد أن التحول إلى «إيزيس يهوه» الذى يخص التكاثر الجنسى (الخصب) يتبعه بالضرورة تحول عنصر «الواحد المقدس» الذى يتعلق بالعقم إلى عنصر آخر يتعلق بالخصب.. ولأن الخصب يعنى تجدد الحياة بعودة الروح وباعتبار أن «إيزيس» كإلهة للخصب تمثل الروح فقد تحول «الواحد المقدس» إلى «الروح القدس» أى تحول العنصر المذكر إلى عنصر مؤنث.. ولكن رغم أن «الروح القدس» تتعلق بالتكاثر الجنسى أى بالزواج إلا أن «إيزيس» حملت بالروح القدس دون أن يمسها زوج.. فكيف حدث هذا؟ الإجابة فى النقطة التالية..

د - بداية نقول إن حمل «إيزيس» بالروح القدس لم يحدث من فراغ إذ أن الحمل وقع بعد أن حومت حول العمود الذى يحوى جثة زوجها الميت.. ولاعجب والروح القدس وظيفتها - كما قلنا - تجديد الحياة وهو ما فعلته «إيزيس» مع «أوزيريس» قبل الحمل؟ وإذا كان يمكننا الإجابة ببساطة بأن معجزة الحمل الإلهى تجعلها فى غير حاجة إليه.. إلا أن هناك إجابة نوضح من خلالها مفهومنا لمعجزة حمل «إيزيس» بدون أن يمسها «أوزيريس».. فقد قلنا سابقا إن صفورة حولت الزواج (قبل الحقيقى) العقيم إلى الزواج (الحقيقى) الخصب عن طريق طقس الختان الذى أجرته مع موسى عن طريق الإبن جرشوم.. وقلنا إن جرشوم يمثل أباه موسى.. وبالعودة إلى قول «الزوهار» بأن موسى كان له علاقة بعنصر «شيكناه» فى «يهوه» يكون جرشوم مثله على علاقة بعنصر «شيكناه».. وباعتبار أن «شيكناه» = «عناة» = صفورة الأم.. يكون جرشوم على علاقة بأمه.. وباعتبار أن العلاقة تخص التكاثر الجنسى يكون جرشوم على علاقة جنسية بأمه صفورة أى يكون فى وضع أوديبى معها.. وقبل أن نصدم بهذا الاستنتاج أو قبل أن يقال إن الشريعة الموسوية تحرم اتصال الإبن بأمه أو حتى بإمرأة أبيه «عورة أمك لا تكشف... عورة إمرأة أبيك لاتكشف»(١) - قبل أن يقال هذا نقول إن الوضع الأوديبى هنا له مغزى يخص وظيفة الأم كإلهة للخصب مهمتها تحويل الزواج (قبل الحقيقى) العقيم إلى الزواج (الحقيقى) الخصب.. وسنبين هذا فيما يلى:

فقد سبق وقلنا إن موسى فى الزواج (قبل الحقيقى) = الأب «إيل» الكهل أى العقيم... وإن مشكلة «إيل» عولجت فى الثالوث بإحلال إبنه «يهوه» مكانه.. وكذلك مشكلة موسى عولجت بإحلال ابنه جرشوم مكانه.. وسنبين الآن أن إحلال الإبن مكان الأب لايعنى نفيه.. فالإبن يجمع بين وظيفتين: الأولى أنه يمثل بذرة الأب والأخرى أنه يحمل بذرة الأب ليودعها فى إبن آخر فيصبح بذلك أبا.. أى أن الإبن له صفتان: إحداهما تعبر عن شخصه والأخرى تعبر عن امتداد شخص

---

(١) «لاويين» (١٨ : ٧، ٨).

أبيه فى شخصه.. وعلى هذا يكون مفهوم الوضع الأوديبى فى معجزة الحمل أنه علاقة بين أم وأب متمثل فى الابن.. وأن سبب استخدام الإبن كوسيلة لاتصال الأم بالأب هو صفته الامتدادية التى تعوض عقم الأب.. وصفة الإبن الامتدادية لها صفة الاستمرارية حيث أنه يصبح أبا ثم ينجب هذا الأب إبنا يصبح أبا ينجب إبنا وهكذا.. وبالتالى فإن الوضع الأوديبى الذى ينتج فى مرحلة الإبن له أيضا صفة الاستمرارية حيث أنه ينتفى بتحول الإبن إلى أب ويعود بإنجاب الأب للإبن ثم ينتفى بتحول الإبن إلى أب وهكذا.. ولأن صفة الإبن الامتدادية ـ التى تعوض عقم الأب ـ لها الغلبة على صفة الأب المؤقتة فكذلك الوضع الأوديبى المتعلق بالإبن له الغلبة على نفيه المتعلق بالأب.. وبعبارة أخرى فإن صفة الإبن كممثل للأب لها الغلبة على الأب.. وهذا هو مفهوم حمل «إيزيس» بالإبن «حوريس» دون أن يمسها الأب «أوزيريس» [١].

وهكذا نكون قد أجبنا عن السؤال الذى سبق أن طرحناه بشأن موت «أوزيريس» أثناء حمل «إيزيس» ثم إحيائها له بعد ذلك.. ونلخص الإجابة بأن موت «أوزيريس» يرمز إلى عقم الأب.. وأن إعادة الحياة إليه ترمز إلى تخلصه من العقم بامتداده فى الإبن «حوريس» الذى يمثله.

**٥ ـ «إيزيس» تعود بجثة «أوزيريس» إلى مصر فى زورق تحمله أمواج البحر المتوسط وأثناء ذلك تنفخ من أنفاسها فى زوجها الميت فتعود إليه الحياة:** قلنا إن موت «أوزيريس» يرمز إلى عقم الأب وإن إعادة الحياة إليه ترمز إلى تخلصه من العقم بامتداده فى الإبن «حوريس» الذى يمثله.. وعلى هذا نعود إلى قصة موسى لنجد الآتى:

أ ـ أن «أوزيريس» بدأ رحلة العودة إلى مصر وهو ميت أى عقيم.. ويقابل هذا أن موسى بدأ رحلة العودة إلى مصر وهو محكوم عليه بالموت ـ من الرب ـ بسبب عقمه فى الزواج (قبل الحقيقى).

ب ـ أن عودة «أوزيريس» إلى الحياة على يد «إيزيس» بتخليصه من عقمه عن طريق امتداده فى الإبن «حوريس» الذى تحمله.. يقابله إنقاذ موسى من الموت على يد صفورة بتخليصه من العقم عن طريق طقس الختان الذى أجرته عليه من خلال الإبن جرشوم.

ج ـ أن «إيزيس» أعادت الحياة إلى «أوزيريس» وهو داخل زورق.. وباعتبار أن الزورق يرمز إلى الرحم .. وباعتبار أن النصوص الأوغاريتية تصف «عناة» بأنها «عناة الرحم» (٢).. وباعتبار أن «عناة» = «إيزيس» = صفورة.. يكون الزورق كرمز للرحم عنصرا مشتركا بين الثالوث

---

(١) فى كتاب «صدمة العرى» وتحت عنوانى «باكا والأسرة» و«أصل أسطورة أوديب» تناولنا أسطورة «أوزيريس» وعلاقتها بأسطورة أوديب من خلال رؤية أخرى تخص انتقام المرأة من الرجل بعد أن احتل الأب فى المجتمع عرش الأم.

(٢) «المرأة والألوهية» (ص ٦٠).

الأوزيرى والثالوث الموسوى وذلك باعتبار أن الزورق يقابل السلة التى وضع فيها موسى وهو طفل عند ماء النيل.

**٦ - «إيزيس» تضع الإبن «حوريس» وبهذا يتكون الثالوث الإلهى:**
يقابل هذا فى قصة موسى أن الثالوث الإلهى تكون بعد الولادة الرمزية الجديدة (الولادة الحقيقية) للإبن جرشوم.. ونلاحظ أن ولادة «حوريس» نتجت عن معجزة الحمل وأن ولادة جرشوم نتجت عن طقس الختان.. أى أن (طقس الختان = معجزة الحمل).

**٧ - «ست» يقتل «أوزيريس» ويقطع جسمه ويرمي كل قطعة فى أحد أقاليم مصر حيث يعم الخصب في التربة.. أو يقطع جهاز «أوزيريس» ويدفنه في مكان مجهول فيزعم كل إقليم أن جهاز «أوزيريس» مدفون فيه وأنه السبب فى خصوبة هذا الإقليم:** كما رأينا فإن عودة «أوزيريس» إلها للخصب كما كان قد جعلت «ست» يقتله من جديد.. أى أن «أوزيريس» مات على يد «ست» للمرة الثانية.. ومادمنا بصدد إيضاح أن ما يحدث فى أسطورة «أوزيريس» يحدث ما يقابله فى قصة موسى فمعنى هذا أن موسى مات مرتين.. وأن مضمون موته الأول يماثل مضمون موت «أوزيريس» الأول وكذلك بالنسبة للموت الثانى.

فبخصوص (الموت الأول) سبق وبينا أن موت الأب يرمز إلى عقمه سواء بالنسبة إلى «أوزيريس» أو موسى.. ونلاحظ فى الفقرة التى نتحدث عنها أن العقم له بعدان: عقم يخص الأرض ويتم تعويضه عن طريق أجزاء جسم «أوزيريس».. وعقم يخص النسل ويتم تعويضه عن طريق جهازه التناسلى.

أما بخصوص (الموت الثانى) فقد سبق وقلنا إن إعادة الحياة إلى الأب بعد موته ترمز إلى تعويض عقمه عن طريق امتداده فى الإبن الذى يمثله.. كما قلنا إن صفة الإبن الامتدادية لها الغلبة على صفة الأب حيث أن الإبن يصبح أبا بينما الأب يظل أبا وهو ما يعنى انتهاء دوره ومن ثم موته للمرة الثانية والأخيرة.. أى الموت بلا عودة وهو ما انتهى إليه «أوزيريس» فى الأسطورة حيث صار مقره مملكة الأموات السفلية.. وهذا الذى حدث لـ «أوزيريس» فى (الموت الثانى) يقابله ماحدث لموسى فى (الموت الثانى) أيضا.. وسوف نبين ذلك من خلال تعويض العقم ببعديه اللذين أشرنا إليهما وهما العقم بشأن الأرض والعقم بشأن النسل.

فتعويض العقم بشأن الأرض فى قصة موسى يعنى تعويض فقدان أرض مصر الخصبة بأرض كنعان.. ولأن خصب أرض مصر يتعلق بالثقافة الزراعية الشمسية أى بالهوية المصرية فقد تم إحياء موسى من (الموت الأول) بمنحه الهوية المصرية عن طريق طقس الختان ومن ثم أصبح صالحا لمهمته وهى الخروج بالعبريين من مصر إلى كنعان.. ولأن العبريين يتقبلون الهوية المصرية

على مضض ريثما يتحقق هدفهم منها فإنهم بعد خروجهم من مصر قتلوا موسى المصرى[1].. وكان ذلك هو (الموت الثانى) الذى بلا عودة مثلما حدث لـ «أوزيريس».

أما تعويض العقم بشأن النسل فى قصة موسى فهو يعنى امتداده فى الإبن الذى يمثله.. وهو ماحدث بإحلال جرشوم مكان موسى عن طريق طقس الختان.. وكما قلنا فإن صفة الإبن الامتدادية لها الغلبة على صفة الأب حيث أن الإبن يصبح أبا بينما الأب يظل أبا وهو مايعنى إنتهاء دوره ومن ثم موته للمرة الثانية والأخيرة أى الموت بلا عودة.. وهذا ماحدث لموسى فى (الموت الثانى) مثلما حدث لـ «أوزيريس».

**٨ ـ «ست» يتهم «إيزيس» بخيانة زوجها «أوزيريس» وبأنها حملت «حوريس» سفاحا.. ولكن الآلهة تبرئها حين تعلم بمعجزة الخلق الجديد حيث حملت العذراء بالروح القدس دون أن يمسها زوج:** سنوضح العلاقة بين ماورد فى هذه الفقرة وبين الثالوث الموسوى وذلك من خلال ثلاث نقاط:

أ - وصف «إيزيس» بأنها عذراء..

ب - وصف حمل «إيزيس» بالروح القدس بأنه خلق جديد.

جـ - اتهام «إيزيس» بالخيانة ثم تبرئتها:

والآن سنتناول هذه النقاط بالتفصيل :

أ ـ بالنسبة إلى وصف «إيزيس» بأنها عذراء نشير أولا إلى أن هذا الوصف يطلق على جميع آلهات الخصب «ولايعنى وصفهن بالعذراوات أنهن غير قادرات على الإخصاب بل يعنى أنهن رمز للجنس والحب. والعذرية جوهرهن لايؤثر فيهن لقاء برجل أو حمل أو ولادة. فالسيدة مريم أم السيد المسيح توصف بالعذراء رغم إنجابها الطفل المعجزة» [2].. وفى حديثنا عن «عناة» بينا علاقة دم الحيض بالخصب «والمعروف أن دم الحيض عند العذراوات أكثر غزارة منه لدى المتزوجات وخصوصا بعد الوليد الأول» [3].. ومن هنا وصفت آلهات الخصب بأنهن عذراوات رغم كونهن أمهات.. ومن هنا أيضا كان وصف «إيزيس» بأنها عذراء رغم أنها أم.. وقد سبق أن ربطنا بين الدم كرمز للخصب لدى «عناة» وبين الدم فى طقس الختان الذى أجرته صفورة وقلنا إن (طقس الختان = الخصب) وعلى هذا فإن صفورة الأم العذراء فى الثالوث الموسوى تقابل «إيزيس» الأم العذراء فى الثالوث الأوزيرى.

---

(١) إذا كان قتل موسى يتفق والتاريخ حسب رؤية فرويد فهو لايتعارض مع رؤيتنا وهى ازدواج شخصية موسى بمعنى أن الذى قتل هو موسى المصرى. وكل ما فى الأمر أن ازدواج الشخصية يخص اللاشعور وأما الشعور ـ الذى تم عن طريقه قتل موسى ـ فلايدرك ازدواج الشخصية ومن ثم فالمقصود بالقتل هو موسى المصرى.

(٢) « المرأة والألوهية» ( ص ٣١ ، ٣٢ ) .

(٣) « المرأة والألوهية » ( ص ٣١ ) .

ب ـ بالنسبة إلى وصف حمل «إيزيس» بالروح القدس بأنه خلق جديد.. فواضح أن هذا الوصف ينطبق على ولادة جرشوم ـ وبالتالى موسى ـ مرة أخرى (الولادة الحقيقية) .

وأما عن العلاقة بين الثالوث الموسوى والثالوث الأوزيرى بشأن الخلق الجديد فهى كما نعلم تتمثل فيما نتج عن طقس الختان الذى أجرته صفورة حيث ولد جرشوم ـ وبالتالى موسى ـ من جديد (الولادة الحقيقية).

ج ـ وأما بالنسبة لاتهام «إيزيس» بالخيانة ثم تبرئتها فسوف نحاول أن نكشف المنبع الأصلى الذى نشأت منه أسطورة «أوزيريس» بما فيها معجزة الحمل الإلهى.

فطبقا لمضمون الخلق الجديد ولتحليلنا السابق للحمل بالروح القدس فإن احتواء «إيزيس» (الأنثى) للإبن (الذكر) ذى الصفة الامتدادية ينتج عنه نواة قابلة للإنقسام بعكس احتواء «إيزيس» للأب العقيم الذى ينتج عنه نواة عقيمة.. ولاشك فى أن البشرية لم تدرك هذا فى المجتمعات القديمة عندما كان الزواج مشاعا وكانت المرأة تحمل باستمرار لكثرة الرجال الذين يعاشرونها ومن ثم لاتفرق بين المخصب والعقيم منهم.. وفى رأينا أنه عندما بدأ المجتمع ينتقل من سلطة الأم إلى سلطة الأب وبدأ عدد الآباء الذين يعاشرون المرأة يقل حتى وصل إلى أب واحد بدأت المرأة تدرك العقم الذى يصيب الرجل.. ولكى تدرأ عن نفسها تهمة إرجاع العقم إليها أو لكى تنجب ذكرا يرث الأب أو حتى لكى ترضى أنوثتها فإنها كانت تلجأ سرا إلى نظام الزواج الجماعى المضمحل.. ومن هنا نشأت أسطورة الحمل بلا زوج هربا من عقوبة الخيانة [1].. ولتعزيز قوة الأسطورة كشاهد على البراءة تمت نسبة الحمل إلى قوة إلهية جعلت الآلهة تبرىء «إيزيس» من تهمة الحمل السفاح حيث تقول الأسطورة إنها حملت بالروح القدس .. وإذا كنا قد أرجعنا أسطورة حمل « إيزيس» بالروح القدس إلى الخيانة الزوجية فالواقع أن الأسطورة ذاتها تكشف عن ذلك من خلال اتهام « إيزيس» بخيانة زوجها .

وقبل أن نبين فى ثالوث موسى مايقابل خيانة «إيزيس» وتبرئتها.. نشير أولا إلى أن الدافع وراء هذه الخيانة هو تعويض العقم.. وقد قلنا إن تعويض العقم له بعدان أحدهما يخص النسل والآخر يخص الأرض.

فبخصوص الخيانة بدافع تعويض العقم بشأن النسل نجد فى ثالوث موسى أن وجود الإبن فى الزواج (قبل الحقيقى) العقيم معناه أن صفورة حملت به بقوة إلهية خارجة عن زوجها العقيم.. وقد تمثلت هذه القوة فى طقس الختان الذى قلنا إنه = معجزة الحمل (راجع الفقرة ٦).

أما بخصوص الخيانة بدافع تعويض العقم بشأن الأرض فنجده فيما ذكرناه سابقا بشأن منح موسى الهوية المصرية عن طريق طقس الختان الذى أجرته صفورة وهو ما يعنى

---

(١) منذ أن احتل الرجل مكان المرأة أخذ يسن القوانين والتشريعات لصالحه فأعطى لنفسه حق خيانة زوجته بينما حكم عليها بالموت إذا خانته.

خيانتها للهوية العبرية.. وهى خيانة كان لابد منها من أجل صلاحية موسى لإخراج العبريين المأسورين من مصر والذهاب بهم إلى أرض كنعان.. أى أن كلتى الخيانتين كانتا شرا لابد منه أو شرا الهدف منه خير.

**٩ ـ «ست» يتربص لقتل «حوريس» فتخفيه «إيزيس» بين أوراق البردى فى مستنقعات الدلتا حيث تتخذ هيئة البقرة «هاتور» وترضعه فى أمان:** نجد ما يقابل هذا بالنسبة للثالوث الموسوى فى «عناة» التى تقابل صفورة والتى قلنا إن اسمها أصبح مرادفا لاسم إلهة الخصب المصرية «هاتور» بل واستخدم أحيانا لقبالها.. كما نلاحظ أن الأسطورة لم تربط بين «إيزيس» و«هاتور» إلا فى مناسبة إرضاع إبنها.. وهناك لوحة «شكل ٨) تمثل «عناة» وهى ترضع أبناء الملوك.. وأبناء الملوك هم أبناء آلهة مثل الابن «حوريس».



**الإلهة الكنعانية عناة ترضع أبناء الملوك. لاحظ قرني الثور علي رأس عناة حيث أن البقرة والثور يرمزان إلي القدرة علي الإنجاب (لوح من العاج طوله ٢٤ سم من أوغاريت «تل شمرا» النصف الثاني من الألف الثاني ق. م. المتحف الوطني بدمشق)**

**(شكل ٨)**

**١٠ - «حوريس» يكبر ويجمع أشلاء أبيه «أوزيريس» من أنحاء مصر ويسويه كما كان ويقيم له قبرا يحج إليه الناس:** بخصوص جمع «حوريس» لأشلاء أبيه وتسويته كما كان فإننا نجد صدى ذلك فى العودة إلى ديانة موسى المصرى بعد موته حيث كان الشعب المختار قد هجرها.. وأما بخصوص القبر الذى أقامه «حوريس» لأبيه «أوزيريس» لكى يحج إليه الناس فإننا لانجد ما يقابل ذلك بالنسبة إلى موسى.. وهذا يقودنا إلى الموضوع التالى..

## سر اختفاء ثالوث موسى:

توصلنا إلى وجود ثالوث موسى ثم أكدنا ذلك من خلال كشف العلاقة التقابلية بينه وبين ثالوث «أوزيريس».. بل إن التقابل بينهما يبلغ «أن أوزيريس كان يمتلك طبيعتين بعكس جميع الآلهة المصرية الأخرى»[١] وكذلك موسى الذى جمع مثله بين طبيعتين: اللاهوت والناسوت.

والآن يبرز سؤال هو: لماذا احتاج الأمر إلى البحث والتنقيب للكشف عن ثالوث موسى؟ أو بعبارة أخرى: لماذا لم يوجد ثالوث موسى صراحة مثل بقية الثواليث؟

إن أقرب إجابة هى أن مماثلة ثالوث موسى لثالوث «أوزيريس» تجعل ثالوث موسى يخص موسى المصرى.. ولأن الشعب المختار يقبل الهوية المصرية على مضض فمن هنا يأتى عدم التصريح بثالوث موسى.

ولكن الواقع أن هناك إجابة أبعد من ذلك نجدها فى ختام أسطورة «أوزيريس» حيث حارب «حوريس» «ست» وقهره وخلص الدنيا من شروره ومن ثم عرفه المصريون بالإله المخلِّص.. فعندما نحلل ختام الأسطورة هذا نجد أن التماثل بين ثالوث موسى وثالوث «أوزيريس» يجعل الشعب المختار الذى قتل موسى مكان «ست» الشرير الذى قتل «أوزيريس».. ثم نجد أيضا أن التماثل بين ثالوث موسى وثالوث «أوزيريس» يجعل جرشوم بن موسى مكان «حوريس» بن «أوزيريس» وبالتالى يجعل جرشوم يخلص الدنيا من شرور الشعب المختار مثلما خلص «حوريس» الدنيا من شرور «ست».. وهكذا يكون «الإبن» جرشوم الذى يحل محل (الأب) موسى فى دور المخلِّص - كما يحدث فى الثواليث - قد انقلب على العبريين وبدلا من أن يخلصهم من المصريين يخلص المصريين منهم.. ومن هنا فإن موقف الشعب المختار من ثالوث موسى ينصب على أقنوم (الإبن).. فباعتبار أن الإبن «حوريس» قد خلف أباه «أوزيريس» فى مهمة الإله المخلِّص فقد كان المفروض بالمقابل أن يخلف جرشوم أباه موسى فى دور الإله المخلِّص.. ولكننا نجد أن الذى خلف موسى هو يشوع الذى قاد الشعب المختار إلى أرض كنعان الهدف المنشود.

وتأكيدا لقيام يشوع بدور الإله الإبن المخلِّص أننا «لو عدنا إلى ديانة عرب الجنوب فسنجد بين الآلهة الثمودية ذاك الذى حمل اسم «يشع» بمعنى الناصر أو الحامى.. وهو الاسم الذى دخل

---

(١) « آلهة المصريين » (ص ١٧٤)

فى مركب مقدس ورد فى القرآن الكريم باسم «اليسع [1] . وهو من الصيغة العبرية (إليشع) وهو اسم يتركب من مقطعين: الأول منهما هو (إلـ) الذى عرفناه إلها للقمر و(يشع) أو يثع أى المخلِّص أو الناصر أو الحامى. وهو فى الوقت نفسه صفة للقمر الذى (يشع). ومنه يمكن القول عن اسم المسيح «يشوع» أنه «ياه المشع» أو الإله المشع. وهو تركيب بالغ الدلالة على الدور الذى أخذه إله القمر الإبن عن الأب. الذى سبق ونصر وخلص وحمى»[٢] وهو موسى بالنسبة لموضوعنا.

وجدير بالذكر أن يشوع الذى خلف موسى فى دور الإبن المخلِّص بدلا من جرشوم ـ أنه قد تم رفعه إلى مرتبة الألوهية بوضعه مكان الرب: «الرب إلهك هو عابر قدامك.. يشوع عابر قدامك»[٣] .

وإذا كان «حوريس» قد ولد بعد موت «أوزيريس» بينما يشوع قد ولد قبل موت موسى فالواقع أن الاثنين ولدا قبل (الموت الثانى) النهائى لكلا الأبوين .. كما أن وجود «حوريس» قبل أن يولد هو أمر مفروغ منه حيث أن ولادته تتعلق بمعجزة أسطورية.. وفى النهاية فإن يشوع يماثل «حوريس» فى توليه مهمة الأب بعد موته حيث نجد قول الرب له: «موسى عبدى قد مات.. فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم»[٤] .

## الشعب المختار يؤكد عدم شرعية الإبن الإلهى:

بينا سبب قيام يشوع بدور الإله المخلِّص بدلا من جرشوم.. وسنبين الآن أن المسألة لها جذور أبعد من ذلك. فقد رأينا فى بداية الأسطورة الأوزيرية أن «ست» قتل «أوزيريس» بصفته إلها للخصب وبالتالى فالمنطق يقول إنه أراد قتل «حوريس» لنفس السبب باعتبار أنه يمثل أباه.. ولكن هذا المنطق ينتفى عندما نلاحظ أن تربص «ست» لقتل «حوريس» قد جاء مباشرة بعد اتهامه «إيزيس» بالخيانة الزوجية وهو ما يعنى أنه أراد قتل «حوريس» لأنه ابن سفاح.. ويعزز رأينا هذا أن تهمة الخيانة الزوجية تعنى ظهور قيمة أخلاقية تتعلق بالأسرة.. وأن هذه القيمة لم تكن لتظهر فى نظام الزواج الجماعى وإنما ظهورها قد ارتبط بنظام الزواج الفردى.

وقد يقال ردا على وجهة نظرنا هذه أن شخصية «ست» (الشريرة) تتعارض مع غيرته الأخلاقية بشأن الخيانة الزوجية.. وهو قول صحيح إذ الواقع أن «ست» لم يتربص لقتل «حوريس» بدافع الغيرة الأخلاقية.. وسوف نوضح ذلك من خلال رؤيتنا التى عرضناها فى كتاب «صدمة العرى» [٥] حيث أرجعنا منشأ أسطورة «أوزيريس» إلى مرحلة الانتقال من نظام الزواج

(١) «وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين» (سورة الأنعام ٨٦) «واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكلٌ من الأخيار» (سورة ص ٤٨).
(٢) «الأسطورة والتراث» (ص ١٤٠)
(٣) «تثنية» (٣١ : ٣)
(٤) «يشوع» (١ : ٢).
(٥) راجع الكتاب تحت عنوان «باكا والأسرة» .

الجماعى إلى نظام الزواج الفردى.. وسنورد فيما يلى الجزء الذى يخص موضوعنا حيث نعود إلى مسألة توريث الثروة للإبناء ونذكر ما قاله أنجلز[1] بخصوص أحد أشكال الزواج الفردى التى كانت سائدة فى عصرى الوحشية والبربرية حيث كان الرجل يعتبر أبناء أخيه أبناء ه بعكس أبناء أخته.. وحيث كانت المرأة تعتبر أبناء أختها أبناء ها بعكس أبناء أخيها.. وبتطبيق هذا النظام على «أوزيريس» المتزوج من أخته «إيزيس» وعلى «ست» المتزوج من أخته «نفتيس» نجد أن:

١ ـ أبناء «أوزيريس» يعتبرون أبناء «ست» والعكس كذلك.

٢ ـ أبناء «إيزيس» يعتبرون أبناء «نفتيس» والعكس كذلك.

والذى يعنينا بخصوص توريث الأبناء هو البند الأول الذى يعنى توريث ثروة «أوزيريس» لأبنائه ولأبناء «ست».. وهذا يستدعى أن يكون «ست» صاحب ذرية.. ولكننا نجد فى قطع «ست» لجهاز «أوزيريس» ما يوحى بأنه فعل ذلك بدافع الحقد لأنه عاجز جنسيا.. بل إن متون الأهرام تصف «ست» صراحة بأنه خصى[2] وبأن زوجته «نفتيس» بلا رحم.. ومعنى هذا أنه عاجز عن إنجاب أبناء يرثون ثروة أخيه ومن هنا كان حقده على «حوريس» ومحاولته أن يحرمه من الميراث بزعم أنه إبن غير شرعى ثم محاولته أن يقتله بعد أن برأت الآلهة أمه من تهمة الخيانة الزوجية.

وبعد أن بينا السبب الحقيقى وراء عداء «ست» لـ «حوريس» نعود إلى مسألة إحلال يشوع محل جرشوم لنفسرها بأن كراهية الشعب المختار للمصريين تجعله يتحمس لتشويه الثالوث المصرى وبالذات الأم «إيزيس» (الذات الشمولية) ووصمها بالخيانة الزوجية.. ولأن الدليل الملموس على هذه الخيانة هو «حوريس» فمن البديهى أن يؤكد الشعب المختار عدم شرعية هذا الإبن بأن يرفض أن يكون ابن موسى «جرشوم» مقابلا له.

وإذا كنا قد أرجعنا شخصية صفورة إلى «عناة» التى وفدت من الثقافة الكنعانية إلى الثقافة المصرية.. فمعنى هذا أن التفاعل بين الثقافتين له جذور تمتد إلى ماقبل تكوين ثالوث موسى وبالتالى فمن البديهى أن ينعكس عليه هذا التفاعل.. ومن معالم التفاعل بين الثقافة المصرية والثقافة الكنعانية أن «حوريس» أغلق رحم «عناة» لكى لا تنجب وأن «ست» فتحه.. وهو ليس «ست» الخصى ولكنه «ست» الذى جعلته الثقافة الكنعانية معادلا للرب الكنعانى «بعل» الذى اشتهر بالفحولة.. وبهذا نكون بصدد «ست» مصرى خصى أى عقيم و«ست» كنعانى فحل أى خصب.. وهذا يماثل وضع الشعب المختار بين عقم وجوده فى مصر وخصب وجوده المرتقب فى كنعان.. فمن الطبيعى إذن أن يرفض «ست» الخصى حيث نجد فى التوراة «لايدخل خصى... فى جماعة الرب» [3].. ومن الطبيعى أيضا أن يرفض الإبن غير الشرعى «حوريس» الذى أغلق رحم

---

(١) «أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية» (ص ١٨).

(٢) «أوزيريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة» (ص ١٣٥).

(٣) «تثنية» (٢٣ : ١)

«عناة» الكنعانية حيث نجد فى التوراة «لايدخل ابن زنى فى جماعة الرب» [١].. ونلاحظ أن النص الخاص برفض الخصى يتبعه مباشرة النص الخاص برفض ابن الزنى مما يدل على ارتباط كل منهما بالآخر. (كما وأن موقف الشعب المختار الرافض للإبن الإلهى فى الثالوث الأوزيرى يفسر موقفه الرافض للإبن الإلهى فى الثالوث المسيحى).

وكما رأينا فإن «ست» بعد أن كان فى بداية أسطورة «أوزيريس» يرمز بالنسبة لقصة موسى إلى الفرعون عدو الشعب المختار.. قد أصبح بعد ذلك ممثلا للشعب المختار.. ونلاحظ أن هذا التحول قد حدث بعد ولادة «حوريس» الذى أغلق رحم «عناة» الكنعانية الأصل.. الأمر الذى يعزز ماذهبنا إليه بشأن رفض الشعب المختار أن يكون الإبن جرشوم مقابلا للإبن «حوريس».

وإذا كنا قد توصلنا إلى ماسبق عن طريق الخلط بين الأسطورة والتاريخ.. ورغم المنطق المقنع الذى قدمناه بشأن ذلك.. فقد يقال إننا لو قابلنا الأسطورة بالأسطورة أى الثالوث المصرى بالثالوث اليهودى (إيل. إناث ياهو. يهوه) فسوف نجد أن الشعب المختار يعترف بالإبن «يهوه» رغم عدم اعترافه بالإبن جرشوم.. وردنا على ذلك أن هناك فرقا جوهريا بين جرشوم و«يهوه».. وهذا الفرق يتمثل فى أن جرشوم يقابل «حوريس» بينما «يهوه» يقابل الشعب المختار.. وقبل أن نوضح المقصود بذلك علينا أولا أن نوضح الدافع الأصلى وراء معجزة حمل «إيزيس» بالروح القدس.

## ماوراء معجزة الحمل المقدس فى الأساطير:

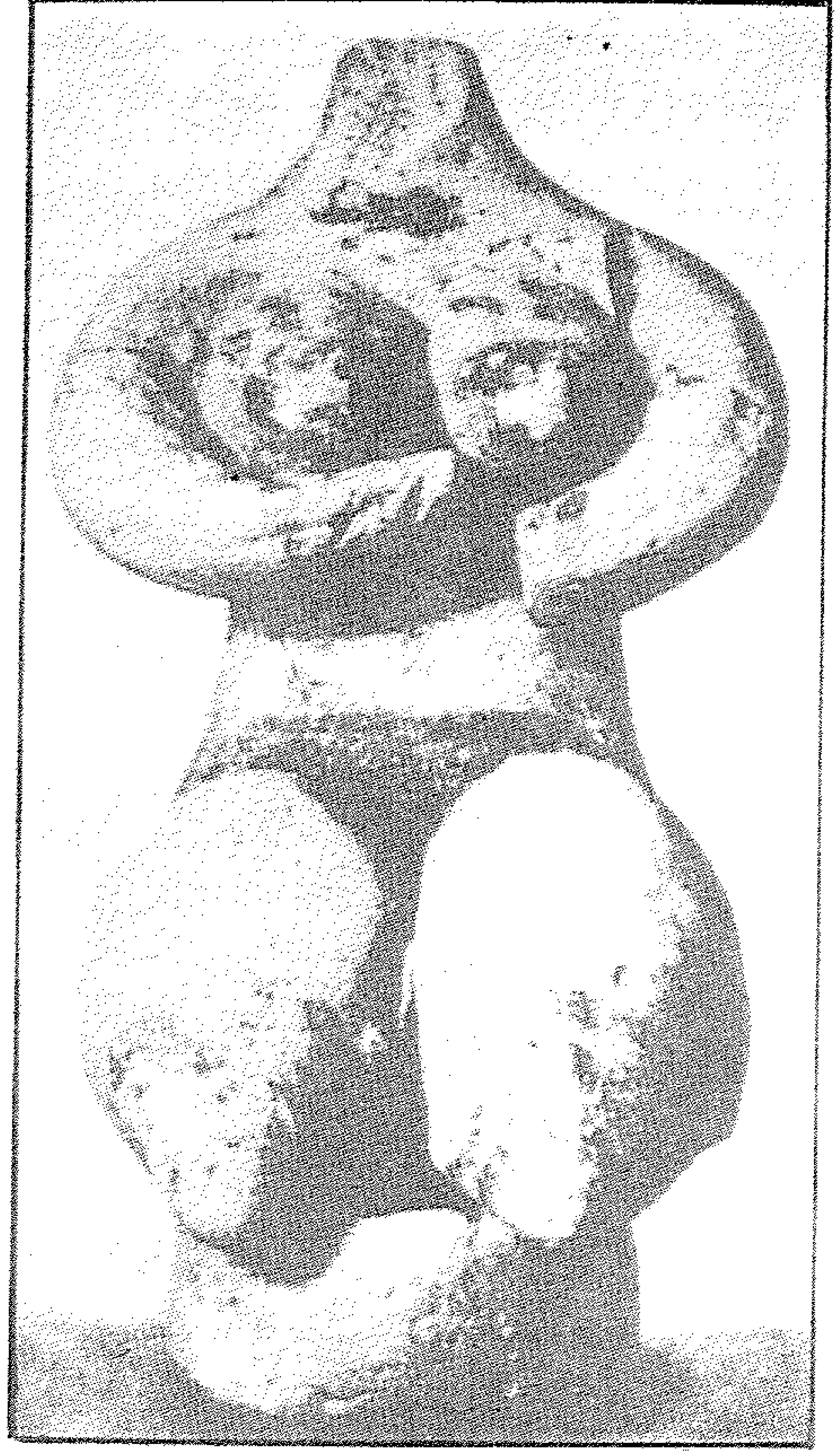
قلنا إن أسطورة الحمل بدون رجل قد نشأت بهدف تغطية خيانة الزوجة لزوجها العقيم.. ولكن الواقع أن وراء هذه الأسطورة هدف أبعد من ذلك وهو استرداد المرأة لكيانها الذى سلبه الرجل نتيجة انتقال المجتمع من حكم الأم إلى حكم الأب ..

.. ولكى ندرك مقدار الصدمة التى أصابت المرأة من جراء فقدان عرشها سنعرض مقدار المكانة التى كانت عليها عبر عصور ما قبل التاريخ [٢] حيث نبدأ فنقول إن أول من جلس على عرش الألوهية كانت المرأة وبالتالى فإن أول عمل فنى صنعه الإنسان البدائى فى أواخر العصور الحجرية القديمة كان يمثل المرأة كرمز للأمومة والخصب.. وإذا كان هذا يسرى على المرأة فى مختلف الحضارات القديمة إلا أننا سنخص بالحديث حضارات الشرق القديم باعتبار أنها تتصل بموضوعنا (شكل ٩).

---

(١) «تثنية» (٢٣ : ٢)

(٢) مصدرنا للمعلومات التالية كتاب «المرأة والألوهية» أما الاستنتاجات المبنية عليها فتخصنا



دمية من الطين المشوي من شاغر بازار. الطول ٨ سم. منتصف الألف الخامس ق. م. المتحف البريطاني بلندن.



دمية من الطين المشوي لامرأة ترضع طفلا. الطول ١٤ سم. الألف الرابع ق. م. المتحف العراقي. بغداد.



مشهد إمرأة في حالة الوضع الولادي تضغط علي ثدييها رمز الخصب والعطاء. تحيط بها الحيوانات والنباتات رمز السيطرة علي الطبيعة. رأس دبوس من البرونز من لوريستان (إيران) بين القرنين الثامن والسابع ق. م.

(شكل رقم ٩)

فالظاهرة الرئيسية والبارزة فى تلك الحضارات - حضارات الشرق القديم - هى تعظيم المرأة وتأليهها باعتبارها مصدرا للحياة والموت فى آن واحد.. فكما أنها تمثل الحياة عند الولادة فهى أيضا تمثل الموت ثم البعث عند تكرار الولادة.. ويعبر عن هذا المعنى تمثال عثر عليه فى «جتل هيك» بجنوب الأناضول ويرجع عهده إلى الألف السادس ق. م (شكل ١٠) ويصور هذا التمثال المرأة فى حالة الوضع والوليد يبرز من بين فخذيها بينما تستقر قدماها فوق جماجم بشرية.. وهكذا كانت المرأة مصدر الإدراك الفطرى للإنسان القديم بمضمون الآية الكريمة «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى» .[١]



(المرأة في حالة الوضع الولادي) دمية امرأة من الصلصال ارتفاعها ١٦,٥ سم عثر عليها في معبد الطبقة الثانية في «جتل هيك» (الأناضول).

**(شكل ١٠)**

---

(١) سورة الروم (آية ١٩) .

ومن البديهي والمرأة بهذه الأبعاد أن تصبح أما لجميع البشر بل وإلهة خالقه للبشر.. ومن هنا فإن أحد أسمائها السومرية الذى هو محاكاة صوتية للفظة (الأم) انتشر فى كل أنحاء العالم وظل يستخدم حتى الآن فى جميع اللغات (ماما. مامى. ما)[١] .

وحتى عندما بدأ الرجل ينافس المرأة فى ألوهيتها ظلت النصوص تسجل تفوقها فى الخلق .. وهناك أسطورة تحكي أنها زرعت ثمانية[٢] أنواع من النباتات لتخلق منها أجيال الآلهة ولكن الإله الذكر «إنكى» التهمها فسلطت عليه ثمانية أوبئة كادت تودى بحياته.. ويذكرنا هذا بالأوبئة التى أطلقها «الرب» على مصر التى تمثل ثقافة الخصب المؤنثة.. وهو وضع عكسى نتج عن احتلال الرجل «الأب» مكان المرأة (الأم).. ومما يؤكد هذا المعنى أن موسى فعل ذلك مستعينا بالعصا التى ترمز إلى مجتمع الرعى الأبوى.. وأن التى منحت الراعى عصاه هى الإلهة الأنثى عشتار حيث نجد فى أحد النصوص «عندما أعطت الراعى عصا الرعاة» وكانت النتيجة أن انقلب الراعى ـ بصفته الرجل ـ عليها وسلب عرشها بصفتها امرأة.

وكما كانت المرأة مانحة للحياة كانت أيضا مانحة للحماية العسكرية.. ولدينا لوحة تمثل «عشتار» كإلهة للحرب مدججة بالسلاح (شكل ١١).



الإلهة عشتار. إلهة حب وجنس تكشف عن مفاتنها، وإلهة حرب بعتادها العسكري (لوحة من البازلت ١٠٠ × ٦٣ سم عين دارا.. الألف الأول ق. م. متحف حلب الوطني).

**(شكل ١١)**

(١) فى كتاب «صدمة العرى» (ص ٢٦، ٢٧) قدمنا تحليلا يخصنا لأصل تسمية الأم.

(٢) يذكرنا العدد ثمانية بأسطورة ثامون الأشمونين المصرية.

ثم بدأ الوضع ينقلب فبعد أن كانت المرأة تستمد سلطتها بالجمع بين سلاح الأنوثة وسلاح الحرب.. سلبها الرجل سلاح الحرب ولم يبق لها إلا سلاح الأنوثة الذى انحط من كونه وسيلة للخصب فأصبح وسيلة للإغراء والغواية.. فها هو ذا الإله «إنكى» الذى سبق أن قهرته ـ بالأوبئة الثمانية التى سلطتها عليه ـ يسلبها النواميس المقدسة من أجل إعلاء شأن مدينته «أريدو» التى يحكمها.. وبدلا من أن تسترد الإلهة «إنانا ـ عشتار» حقها السليب بقوة السلاح وتعيده إلى مدينتها «أوروك» نجدها تستخدم مفاتن جسدها لغواية «إنكى» بعد أن تزوره وتشاركه الفراش.

ويستمر تدهور المرأة الإلهة إلى درجة الاغتصاب من البشر حيث تذكر إحدى الأساطير السومرية أن الإلهة «إنانا ـ عشتار» غفت فى حديقة بستان فوقعت عينا البستانى «شوكا ليتودا» على مفاتن جسدها فاغتصبها وهى نائمة.. وهكذا تحولت المرأة من إلهة للخصب إلى وسيلة للمتعة الجنسية يمتلكها الرجل أو يغتصبها ومن ثم لم يعد يقبل أن ترأس إلهة أنثى مثل «عشتار» مجلسا حربيا فعمد إلى تصويرها فى شكل امرأة بلحية.

وبعد ذلك الهوان الذى لحق بالمرأة الإلهة على يد الرجل كان من الطبيعى أن تنتقم منه.. وكان من الطبيعى أيضا أن تكون وسيلتها للإنتقام صفتها التى يستحيل على الرجل أن يسلبها إياها وهى صفة الأمومة.. وإذا كان شرط الأمومة اجتماع المرأة بالرجل فقد استردت كيانها بأن أصبحت أما بدونه.. وهذا ـ فى رأينا ـ هو الدافع الأصلى لأسطورة الحمل الإلهى التى سبق أن أرجعناها إلى تغطية خيانة الزوجة لزوجها العقيم.

ونعود إلى السبب الذى جعلنا نوضح ذلك الدافع الأصلى لأسطورة الحمل الإلهى وهو اعتراف الشعب المختار بالإبن «يهوه» رغم عدم اعترافه بالإبن جرشوم.. وقد أرجعنا ذلك إلى أن هناك فرقا جوهريا بين جرشوم و«يهوه» وهو أن جرشوم يقابل «حوريس» بينما «يهوه» يقابل الشعب المختار.. وقد آن الآوان لنوضح هذا الفرق من خلال المفهوم الذى قدمناه لأسطورة الحمل الإلهى.. ونبدأ فنقول إن حمل «إيزيس» بالإبن «حوريس» دون الأب «أوزيريس» يعنى نفى الأنثى للذكر.. وبالتالى يعنى نفى الثقافة الشمسية المؤنثة للثقافة القمرية المذكرة.. وبالتالى يعنى نفى الهوية المصرية للهوية العبرية.. وهذا سبب كاف لكى يرفض الشعب المختار الثالوث الأوزيرى وبالذات الإبن «حوريس» ـ وبالتالى الإبن جرشوم ـ الذى تم عن طريقه نفى الأب «أوزيريس» . وإذا كان قولنا هذا يعنى أن «أوزيريس» ينتمى إلى الهوية العبرية فالواقع أن «اجتهادات بعض علماء المصريات وصلت إلى القول بأن «أوزيريس» كان فى الأصل إلها قمريا» [1] كما أن الكبش شعاره وهو من الحيوانات الرعوية.. ومن ناحية أخرى فمن المعروف «أنه فى فترة مبكرة من الأسرة الثامنة عشرة تم اعتبار «أوزيريس» كإله شمسى» [2] .

---

(١) «كتاب الموتى» (الحاشية الختامية ص ٢٥١)

(٢) «آلهة المصريين» (ص ١٧٢).

ونفى المرأة للرجل عن طريق أسطورة الحمل الإلهى كان له رد فعل طبيعى وهو نفى الرجل للمرأة.. ولكى نعرف كيف فعل ذلك نقول إن مضمون الحمل الإلهى هو احتواء الأنثى للذكر وإن عكس هذا المضمون هو احتواء الذكر للأنثى.. وهذا ماحدث بالنسبة للشعب المختار حين جعل «يهوه» يحوى العنصر الأنثوى «شيكناه» (الذى سبق أن تحدثنا عنه وقلنا إنه يساوى عنصرا مذكرا يسمى «الواحد المقدس» وقد بينا أنه تحول بفعالية (الذات الشمولية) إلى «الروح القدس» وذلك عن طريق «إيزيس » أو «عناة» أو «صفورة» ).

ونلخص ما سبق بأن الصراع بين المرأة والرجل الذى نتج عن الانتقال من المجتمع الأمومى إلى المجتمع الأبوى قد أدى إلى الصراع بين الثقافة الشمسية الزراعية والثقافة القمرية الرعوية.. وأن هذا الصراع قد انتهى فى الثقافة الشمسية إلى احتواء الأنثى للذكر بينما انتهى فى الثقافة القمرية إلى احتواء الذكر للأنثى.

ولكن هل معنى ذلك أن ما فعله الذكر مقابل مافعلته الأنثى يجعله يتساوى معها؟ الإجابة تجدها فى مضمون كلمة «حواء»[(١)] الذى يفرق بين احتواء الأنثى للذكر واحتواء الذكر للأنثى.. وما نعنيه هو تميز الأنثى على الذكر بصفة الاحتواء التى تخص الرحم.. وسبق أن ذكرنا وصف إلهة الخصب «عناة» بأنها عناة الرحم كما سبق أن أشرنا فى عرضنا لنظرية (الذات الشمولية) إلى صفة الاحتواء التى تميز (الذات الشمولية).. ونخرج من ذلك بأن احتواء الأنثى للذكر يمثل ثنائية خصبة بينما احتواء الذكر للأنثى يمثل ثنائية عقيمة ينتج عنها ازدواج الشخصية[(٢)] .. ومن هنا لاتوجد أسطورة للحمل الإلهى تخص الرجل وتجعله ينجب بدون المرأة.

وبتطبيق ذلك على ثنائية احتواء «يهوه» الذكر لعنصر «شيكناه» الأنثى نجد أنها ثنائية عقيمة بسبب أن «يهوه» غير قادر على الاحتواء.. وقد كشفنا فى عدة مواقع أثناء بحثنا الأسباب التى أدت إلى تحريم النطق باسم «يهوه».. وأظن أنه بعد أن كشفنا مكنون «يهوه» قد توصلنا إلى السبب الأصلى وراء هذا التحريم وهو أن تعرية حقيقة الإله «يهوه» هى بمثابة تعرية حقيقة الشعب المختار.. وإذا كنا حتى الآن قد كشفنا الكثير من أبعاد شخصية الشعب المختار.. فقد آن الآوان لنكشف عن شخصيته إلى درجة التعرية.

---

(١) «لأنها (أم كل حى) (تكوين ٣ . ٢٠) أى (أم جميع المخلوقات) مثل هذا الإسم وهو التفسير الذى تعطيه القصة لمعنى اسم «حواء» (حوه) لايكون إلا لإلهة للأمومة المطلقة التى تشمل جميع المخلوقات الحية بما فيها البشر، لأن المرأة العادية لاتكون الأم إلا لمخلوقات بشرية مثلها» (خفايا التوراة ص ٣٠).

(٢) انظر «الفرق بين ازدواجية الشخصية وثنائية الشخصية » ( ص ٢٤٢ )

# الفصل الحادى والعشرون:

# ثالـــوث الشعب المختـــار

## ■ سقوط الثالوث اليهودى :

- ○ الإيمان بالأقنوم الذكر فى الثالوث يعنى الإيمان بإله واحد.
- ○ انتفاء دور الثالوث اليهودى كوسيلة مرحلية للإنتقال من التعددية إلى الوحدانية.
- ○ سقوط الثالوث اليهودى الإلهى أدى إلى ظهور الثالوث المختار البشرى.

## ■ العلاقة بين الثالوث المختار وثالوث موسى:

- ○ أقنوم الأنثى فى الثالوث المختار يتخفى فى شخص الذكر.
- ○ أقانيم الثالوث المختار.

## ■ معالم الثالوث المختار فى التوراة:

- ○ «الرب» ممثل أقنوم (الأب) يستمد لقب «السيد» من الإله «بعل».
- ○ العلاقة بين تخفِّى أقنوم (الأم) فى الذكر وتخفِّى الحية فى العصا السحرية.
- ○ العلاقة بين هرون ممثل أقنوم (الإبن) ومعجزة خروج يد موسى من عبه برصاء مثل الثلج.. وأيضا مسألة ثقل الفم واللسان.

## ■ ثالوث «سي السيد» :

- ○ (سى السيد) = (السيد السيد) = (السيد × ٢) = تضخم الذات = (السيد الملك) = (الشعب المختار).
- ○ العلاقة بين الإله «بعل» وموسى المصرى ممثل أقنوم (الأم) فى الثالوث المختار.
- ○ اسم «بعل» يصبح مرادفا للشر ومقاومة أنبياء اليهود لعبادته.
- ○ مغزى تعيين موسى إلها للفرعون وتعيين هرون نبيا لموسى.

## ■ مغزى أخوة موسى وهرون:

- ○ علاقة أخوة موسى وهرون بالمثل: «أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى ع الغريب» ثم علاقة المثل بظهور الزواج الفردى ونظام الميراث.

## ■ صراع الأقانيم فى الثالوث المختار:

- الشعب المختار يوفق بين رفضه احتلال (الإبن) مكان (الأب) وبين قبول ذلك من أجل منفعته.
- «الرب» يسلح موسى لمواجهة الفرعون ثم يبطل مفعول سلاحه ليظهر تفوقه عليه.

## ■ تعدد الشخصية الثلاثى فى الثالوث المختار:

- كمون الشخصية (الثالثة) فى ازدواج الشخصية.

## ■ معجزة الحمل والوضع الأوديبي فى تعدد الشخصية الثلاثى:

- كمون (الأب) فى الثالوث يقابل وضع الرجل فى المجتمع الأمومى.
- تضامن (الأب) مع (الإبن) ضد (الأم) وترحيلها إلى آخر الثالوث.
- لماذا لانجد ثالوثا ترأسه (الأم) وتقوم فيه بدور المخلِّص؟
- الوضع الأوديبى أكثر تواجدا وأكبر ثقلا من الوضع الإلكترى.. لماذا؟

## ■ تقديم (الإبن) على (الأم) فى الثالوث المختار عن طريق الضربات التى أنزلها «الرب» على مصر:

- إسناد الضربات الثلاث الأولى إلى هارون ممثل أقنوم (الإبن) فى الثالوث.

## ■ إعطاء (الأم) حقها علي مضض فى الثالوث المختار عن طريق الضربات التى أنزلها الرب على مصر

- «الرب» يختص موسى بفعالية ضربة واحدة مقابل الضربات الثلاث التى اختص بها هرون.

## ■ إعلاء «الأب» فى الثالوث المختار عن طريق الضربات التى أنزلها «الرب» على مصر:

- مغزى غياب هرون فى الضربات الخاصة بإعلاء (الأب).
- «الرب» يميز شعبه عن شعب مصر فى الضربات التى يتولاها وذلك بهدف الإقلال من شأن موسى.
- «الرب» ينسب إلى نفسه إعجاز موسى الحربى فى الخروج.
- «الرب» يجعل هرون بديلا للإله «يهوه» من أجل أن يثبت عن طريقه ألوهيته.
- «الرب» يعيد إلى موسى دوره الذى سلبه منه وبالتالى يعيد إلى «يهوه» و«إيل» دوريهما.

## سقوط الثالوث اليهودى :

بعد أن اكتشفنا فى الفصل السابق ثالوث موسى.. وبعد أن كشف لنا ذلك الكثير من أبعاد شخصية الشعب المختار إضافة إلى ما كشفناه من بداية بحثنا هذا.. يكون قد آن الآوان فى تعرفنا على حقيقة هذه الشخصية لأن ننتقل من الكشف إلى التعرية.. حيث نجد أنفسنا أمام ثالوث الشعب المختار.

فكما نعرف فإن الثالوث يمثل مرحلة انتقالية من التعددية إلى الوحدانية.. فالمسيحية على سبيل المثال تقول بأن الله واحد ولكنه مكون من ثلاثة أقانيم [1] (الأب والإبن والروح القدس) وأول ما يتبادر إلى الذهن أن (الله) يتمثل أساسا فى (الأب) باعتبار أنه يرأس الثالوث.. وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الإيمان بأقنوم (الأب) دون الأقنوميين الآخرين يعنى الإيمان بإله واحد.. ومن ناحية أخرى وطبقا لتبادل الأدوار بين (الأب) و(الإبن) يمكننا القول بأن الإيمان بأقنوم (الإبن) دون الأقنومين الآخرين يعنى الإيمان بإله واحد.

والخلاصة أن الإيمان بالأقنوم الذكر سواء كان (الأب) أو (الإبن) أو حتى بكليهما معا ـ باعتبار المساواة بينهما كما فى قانون الإيمان فى المسيحية الذى يصف الإبن بأنه مساو للأب فى الجوهر [2] ـ الخلاصة أن الإيمان بالأقنوم (الذكر) وحده يعنى الإيمان بإله واحد كما يعنى ضمنا عدم الاعتراف بألوهية (الأنثى).. وقد حدث ذلك نتيجة احتلال الرجل مكان المرأة وبالتالى احتلال مكانها فى قمة الثالوث وترحيلها إلى أسفله[3] .. وعندما نطبق ذلك على الشعب المختار نجده يسرى عليه حيث أنه يرفض (الذات الشمولية) التى تشمل جميع مسميات (الأم) فى مختلف الثواليث.. ومعنى ذلك أنه يؤمن بإله واحد يتمثل فى (الأب) أو (الإبن).. ولكن عندما نتأمل هذا الاستنتاج نخرج بالآتى:

من حيث (الأب) رأينا أنه يمثل الإله «إيل» الكهل والعقيم ومن ثم قام إبنه «يهوه» بدلا عنه ضلعا أكبر فى الثالوث.

ومن حيث (الإبن) رأينا أيضا أنه عقيم مثل أبيه وأن علاج عقمه استوجب تحويل «الواحد المقدس» (الذكر) الذى يخص «يهوه» إلى «الروح القدس» (الأنثى) التى تخص (الذات الشمولية) المرفوضة.

وهكذا تسقط الأقانيم الثلاثة للثالوث اليهودى وبالتالى ينتفى دوره كوسيلة مرحلية للإنتقال من التعددية إلى الوحدانية.. ورغم ذلك يقول كهنة اليهود إن اليهودية قائمة على فكرة الإله الواحد.. وهو قول صحيح رغم تناقضه مع نفى الثالوث الذى يؤدى إليه..

---

(١) «الله واحد أم ثالوث» (ص ٩).

(٢) «أغسطينوس مع مقدمات فى العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية» (ص ٣٦).

(٣) تناولنا مسألة تغير مواقع أعضاء الثالوث نتيجة الانتقال من مجتمع الأم إلى مجتمع الأب وذلك فى كتاب «صدمة العرى» وتحت عنوانى «الثالوث بلغة الأرقام» و«صدمة العرى والزمان».

ومانعنيه هو أن الشعب المختار عندما خاب أمله ـ كما رأينا ـ فى الثالوث اليهودى الإلهى استبدل به ثالوثا بشريا يمثله هو.. وكما أن الثالوث الإلهى يعتبر وسيلة انتقال من تعدد الآلهة إلى الإله الواحد فكذلك كان الثالوث البشرى وسيلة انتقال من تعدد كيانات البشر إلى كيان بشرى متوحد يتمثل فى الشعب المختار.. ونظرا لانتفاء الإله بنفى الثالوث الإلهى فهو شعب اختار نفسه بنفسه بدلا من اختيار الإله له.. ومن ثم صار الشعب والإله معا ومن ثم بالتالى منح نفسه الربوبية.. وإذا كان هذا الاستنتاج ليس بجديد إذ سبق أن توصلنا إليه وقدمنا الدلائل عليه.. إلا أننا توصلنا إليه الآن من خلال منطق جديد هو منطق الثالوث الذى كشف لنا التركيبة الثلاثية للشعب المختار وهى (ثالوث الشعب المختار) أو (الثالوث المختار) باعتبار أن الشعب اختاره أو (ثالوث الرب) باعتبار أن «الرب» ممثل الشعب المختار برأسه.

## العلاقة بين الثالوث المختار وثالوث موسى:

كما رأينا فإن نشأة ( الثالوث المختار) ترجع أساسا إلى رفض الأنثى فى الثالوث الإلهى نظرا لأنها تمثل الهوية الشمسية وبالتالى الهوية المصرية المرفوضة.. ولكن نظرا لاحتياج الشعب المختار إلى هذه الهوية المؤنثة.. ولكى يجمع بين رفضه لها واحتياجه إليها فقد تقبلها بعد أن أضفى عليها صفة الذكورة (متشبها فى ذلك بما فعله الرجل مع الإلهة «عشتار» عندما رفض وجودها فى المجلس الحربى بصفتها الأنثوية فصورها فى هيئة إمرأة بلحية فجمع بذلك بين رفضه لها واحتياجه إليها).. وجدير بالذكر أننا بصدد ا لشعب المختار وهو يستعد للخروج الذى يعتبر تحديا حربيا للفرعون.. ومن هنا تأتى العلاقة بين الثالوث المختار وثالوث موسى قائد الخروج.. وعلى هذا فإن الثالوث المختار يتكون من ثلاثة أقانيم ذكور أحدها يمثل أقنوم الأنثى المتخفية فى الذكر.. ويتمثل فى موسى على أساس ازدواج شخصيته الذى يجمع بين الهوية المؤنثة والهوية المذكرة.. وسوف نحدد أقانيم الثالوث المختار من خلال علاقته بثالوث موسى وذلك على أساس صفة السرية التى تجمع بينهما إذ أن كلا منهما غير معلن بعكس الثالوث اليهودى.. وعلى هذا نقول إن أقانيم الثالوث المختار هم:

(الأب) ويمثله «الرب» ممثل الشعب المختار العبرى الهوية.

(الأم) ويمثله موسى المزدوج الشخصية بهويته المصرية.

(الإبن) ويمثله موسى المزدوج الشخصية بهويته العبرية.

ونلاحظ أن تمثيل موسى بهويته العبرية للإبن يتفق ورفض ابنه جرشوم ذى الهوية المصرية ـ بحكم الختان ـ كما يتفق أيضا وامتداد الأب العبرى الهوية فى الإبن ذى الهوية المماثلة أصلا أى قبل الختان.. ونخرج من ذلك بأن الثالوث المختار يتميز على ثالوث موسى بوحدة الهوية العبرية لدى (الأب) و(الإبن) .. وذلك عكس ازدواج الهوية ـ المصرية والعبرية ـ لدى (الأب)

و(الإبن) فى ثالوث موسى.. ومن هنا نقدم تفسيرا مضافا إلى ماسبق أن قدمناه بشأن انقسام (الازدواجية الأحادية) المتمثلة فى موسى إلى (الإزدواجية الثنائية) المتمثلة فى موسى وهارون حيث تم الفصل بين هويتى موسى المصرية والعبرية فأصبح موسى مصرى الهوية وأصبح هارون عبرى الهوية.. وبالتالى أصبح يستحق بدلا من موسى أن يقوم مقام (الإبن) فى الثالوث.. وبهذا ينتهى الثالوث المختار إلى:

(الأب) ويمثله «الرب» العبرى الهوية.

(الأم) ويمثله موسى المصرى الهوية.

(الإبن) ويمثله هرون العبرى الهوية.

ونلاحظ استمرار تخفِّى أقنوم الأنثى (الأم) فى هيئة موسى الذكر.. ونتوقف موضحين فنقول إن موسى من حيث الجنس ذكر.. ومن حيث الهوية أنثى ونكر. وذلك باعتبار ازدواج الشخصية الذى يجمع بين الهوية المصرية المؤنثة والهوية العبرية المذكرة.

وكما نعرف فإن شخصية موسى المزدوجة تنقسم إلى: الشخصية (الأصلية) العبرية الهوية والشخصية (الثانوية) المصرية الهوية.. وكما يحدث فى ازدواج الشخصية فإن الشخصية (الأصلية) الشعورية تجهل وجود الشخصية (الثانوية) اللاشعورية.. بينما الشخصية (الثانوية) اللاشعورية تعلم بوجود الشخصية (الأصلية) الشعورية.. وعندما نطبق ذلك على وضع (الأم) فى الثالوث المختار باعتبار أن (الأب) أى (الرب) كرمز للشعب المختار يشمل جميع أقانيم الثالوث.. فسنجد أنه بهويته العبرية يمثل الشخصية (الأصلية) التى تجهل وجود الشخصية (الثانوية) المصرية الهوية التى تمثلها (الأم) وذلك نتيجة إخفائه اللاشعورى لها كأنثى فى شخص موسى الذكر.. وفى الوقت نفسه ومن خلال ازدواج شخصية موسى فإن الشخصية (الثانوية) الأنثى تدرك وجود الشخصية (الأصلية) الذكر.. وبعبارة أخرى فإن (الأم) تدرك كيانها الأنثوى المتخفى فى الكيان المذكر.

وقد قلنا أيضا بشأن ازدواج الشخصية إن الفعالية تكون للشخصية (الثانوية) بحكم أن دورها هو استكمال النقص الموجود فى الشخصية (الأصلية).. وبعبارة أخرى فإن الفعالية تكون للهوية المصرية التى تخص صفة (شعب) بحكم أن دورها هو استكمال النقص الموجود فى الهوية العبرية التى تخص صفة (قبيلة).. وكما يحدث فى ازدواج الشخصية فإن الشخصية (الأصلية) تتمسك بنقصها وبالتالى تقاوم ماتفعله الشخصية (الثانوية) لاستكمال هذا النقص.. وهى – أى الشخصية (الأصلية) – تفعل ذلك دفاعا عن ذاتها رغم أنها ذات ناقصة أو بعبارة أدق قاعدة لمشروع ذات لا يستكمل إلا بإضافة الشخصية (الثانوية).. وتطبيق ذلك على الثالوث المختار نجده فى رفض الشعب المختار للهوية المصرية وقبوله لها على مضض من أجل تحويله من قبيلة إلى شعب.. كما نجد انعكاس هذا الوضع المتناقض فى تصرفه تجاه (الأم) ذات الهوية المصرية حيث

يتقبلها فى الثالوث وفى الوقت نفسه يضفى عليها هويته العبرية.. أو بعبارة أخرى يتقلبها كأنثى وفى الوقت نفسه يضفى عليها صفته المذكرة.

وهكذا فإن الشعب المختار بسبب رفضه وقبوله أقنوم (الأم) يجمع بين (ازدواج الشخصية) ـ الذى سنتناوله فى الفصل التالى ـ وبين ثلاثية الشخصية.

## معالم الثالوث المختار فى التوراة:

كما استكشفنا ثالوث موسى فى التوراة فكذلك سنفعل مع الثالوث المختار من خلال أمثلة سريعة تنم عنه.

**(الأب) ويمثله «الرب» العبرى الهوية:** عندما نذكر كلمة «الأب» يتبادر إلى الذهن كلمة «الأسرة» وبالتالى فإن تمثيل «الرب» ممثل الشعب المختار لأقنوم (الأب) هو دليل على وجود أسرة تخص الشعب المختار أى دليل على صحة استنتاجنا بوجود الثالوث المختار.. ولكن نلاحظ أننا أقمنا هذا الدليل على أساس مساواة «الرب» بأقنوم (الأب) وعلى هذا فإن الاعتراف به يستوجب إثبات صحة هذه المساواة.. وسبيلنا إلى ذلك هو إطلاق صفة السيد على «الرب» حيث تقول التوراة: «فقال موسى للرب استمع أيها السيد»[1] .. فلقب السيد يخص الإله «بعل» «الذى انتشرت عبادته فى إسرائيل» [2].. كما أن من كلمة «بعل» اشتق معنى الزوج أو السيد أو رب الأسرة» [3] أو «الرب» بالنسبة للأسرة الإلهية وهو مايعنى أقنوم (الأب).. وبهذا نكون قد أثبتنا صحة مساواة «الرب» ممثل الشعب المختار بأقنوم (الأب) وبالتالى صحة وجود أسرة إلهية تخص الشعب المختار وهى أسرة الثالوث المختار.

**(الأم) ويمثله موسى المصرى الهوية:** كما قلنا فإن أقنوم (الأم) يمثل تخفى (الأنثى) فى هيئة موسى (الذكر).. ونجد مايقابل ذلك فى التوراة فى تخفى الحية فى العصا السحرية حيث سبق وبينا أن الحية تخص الهوية الشمسية (المصرية) (المؤنثة) وأن العصا تخص الهوية القمرية (العبرية) (المذكرة).

**(الإبن) ويمثله هرون العبرى الهوية:** فى تناولنا لازدواج شخصية موسى تعرضنا لما جاء فى التوراة عندما أدخل يده فى عبه ثم أخرجها برصاء مثل الثلج وقد فسرنا ذلك بأنه يرمز إلى الهوية القمرية.. وفى تناولنا لتطور (الازدواجية الأحادية) حيث موسى المصرى وموسى العبرى بينا انتقالها إلى (الإزدواجية الثنائية) حيث موسى المصرى وهارون العبرى.. وعلى هذا نحيل رمزية بياض اليد إلى هرون.

---

(١) «خروج» (٤ : ١)

(٢) «موسى والتوحيد» (ص ١٤٦ هامش ١)

(٣) «موسى والتوحيد» (ص ١٤٦ هامش ١).

وكنا قد ذكرنا بالنسبة للثالوث اليهودى أن الإبن «يهوه» اضطلع مع موسى بالدور الرئيسى .. ويقابل هذا فى الثالوث المختار قيام (الإبن) هرون بدور رئيسى مع موسى فى مسألة ثقل الفم واللسان حيث انتهينا إلى أن هرون يملك دون موسى علم الكلام والبلاغة الذى بدونه تفشل مهمة موسى لمواجهة الفرعون وإخراج العبريين من مصر.

## ثالوث «سى السيد»:

فى حديثنا عن أقنوم (الأب) تحت العنوان السابق أشرنا إلى مسألة إطلاق لقب «السيد» على «الرب» وقلنا إن لقب «السيد» يخص الإله «بعل» الذى انتشرت عبادته فى الشعب المختار.. وإن من كلمة «بعل» اشتق معنى الزوج أو السيد أو رب الأسرة أو «الرب» بالنسبة للأسرة الإلهية وهو ما يعنى أقنوم (الأب) الذى يرأس وبالتالى يسود الثالوث المختار.

ونتوسع فيما سبق فنقول إن إطلاق لقب «السيد» على «الرب» ممثل الشعب المختار يتماشى مع نزعته السيادية والاستعلائية على سائر الشعوب بحيث ينطبق عليه لقب «سى السيد» الذى يلائم تضخم الذات لديه.. ونوضح ذلك بأن عبارة «سى السيد» التى تجمع بين العامية والفصحى هى بالفصحى المطلقة «السيد السيد» أى (السيد × ٢) أى تضخم الذات.. كما أن تلك النزعة السيادية والاستعلائية التى تعنى فى نظر الشعب المختار تنصيب نفسه ملكا على شعوب العالم تتفق وعبادة الشعب المختار للإله «بعل مولك» [(١)] أى السيد الملك[(٢)] .. فعن طريق إطلاق لقب السيد على «الرب» ممثل الشعب المختار يصبح الشعب هو السيد وأيضا الملك.

وهناك مايوحى بأن العلاقة بين الإله «بعل» وأقنوم (الأب) فى الثالوث المختار ترجع إلى رفض الأنثى فى أقنوم (الأم).. فكما أن الشعب المختار جعلها تتوارى فى ظل الذكر فكذلك حدث مع «الأنثى «عناة» أو «إناث» التى توارت فى الظل بعد السيطرة البدوية الكنعانية لتصبح تابعة لسيد مطلق هو الإله «بعل» الذى أخذ دورها ممثلا دور الخصب بدلا عنها» [(٣)] .. وبهذا أصبح منتميا إلى الثقافة الزراعية الشمسية مثله مثل موسى فى الثالوث المختار حيث حجب الأنثى فى أقنوم (الأم) :هو – أى موسى – بهويته المصرية الشمسية.

وأيضا هناك مايوحى بأن العلاقة بين الإله «بعل» وأقنوم (الأب) فى الثالوث المختار ترجع إلى موقف الشعب المختار الذى يجمع بين قبول ورفض أقنوم (الأم) والذى يقابله من وجهة نظرنا الجمع بين قبول ورفض الإله «بعل» بالنسبة للشعب المختار.. وما نعنيه هو أن «بعل» كان إلها للخصب وعلامة على القمر[(٤)] أى أنه كان يجمع بين الثقافة الشمسية المؤنثة والثقافة القمرية

---

(١) «بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التى علمهم إياها آباؤهم» (أرميا ٩ : ١٤).

(٢) «الأسطورة والتراث» (ص ٨١).

(٣) «الأسطورة والتراث» (ص ٩١، ٩٢).

(٤) «الأسطورة والتراث» (ص ٢٢٧).

المذكرة مثله مثل أقنوم (الأم) المؤنث الذى يمثله موسى الذكر.. وقد قلنا سابقا إن الإيمان بالأقنوم الذكر فقط يعنى الإيمان بإله واحد كما يعنى ضمنا عدم الاعتراف بألوهية الأنثى.. فلعل إلى هذا يرجع أن الإله «بعل» بعد أن عبده الشعب المختار أصبح اسمه «مرادفا للشر[١] بعد ازدياد الصراع بين العقيدة اليهودية الموحدة وتعدد الآلهة عند الكنعانيين» [٢] .. ولعل إلى هذا أيضا ترجع مقاومة الأنبياء لعبادته «وخاصة أشعيا وأرميا»[٣] .

وأيضا هناك مايوحى بأن العلاقة بين الإله «بعل» وأقنوم (الأب) فى الثالوث المختار ترجع إلى فحولة «بعل»... فلأن (الأب) فى الثالوث المختار يقابله (الأب) «إيل» الكهل العقيم فى الثالوث اليهودى.. ولأن هذه المقابلة تلقى عليه شبهة العقم فمن هنا ـ فى رأينا ـ نشأت العلاقة بينه وبين «بعل» المشهور بفحولته لكى تبعد عنه شبهة العقم.

وأيضا هناك مايوحى بأن العلاقة بين الإله «بعل» و«أقنوم» (الأب) فى الثالوث المختار قد انتقلت إلى أقنوم (الإبن) وذلك على أساس استمرار المقابلة لما حدث مع (الأب) فى الثالوث المختار بما حدث مع (الأب) «إيل» فى الثالوث اليهودى حيث «أخذ الإبن «يهوه» كل صفات الرب الكنعانى «بعل» [٤] .. وهو مايعنى طبقا لاستمرار مبدأ المقابلة أن يأخذ (الإبن) فى الثالوث المختار صفات «بعل».. بل إن هذا الاستنتاج أمر طبيعى وذلك طبقا لمبدأ استمرارية الأب فى الإبن أو طبقا لمبدأ تبادل الأدوار بينهما.. ولكن رغم تماثل دور (الإبن) هرون فى الثالث المختار مع دور (الإبن) «يهوه» فى الثالوث اليهودى إلا أن هذا التماثل لايسرى على (الأب) فى الثالوث المختار.. بمعنى أنه إذا كان الإبن (يهوه) قد قام بدلا عن أبيه «إيل» ضلعا أكبر فى الثالوث اليهودى فإن الشعب المختار بطبيعته التى عرفناها يأبى أن يتنازل (الأب) الذى يمثله فى الثالوث المختار عن مكانه لهرون (الإبن).. ولكن نظرا لاحتياجه إلى دور (الإبن) المتمثل فى هرون ودور (الأم) المتمثل فى موسى من أجل تحقيق خلاصه.. ولكى يؤهلهما للقيام بدوريهما فهو ـ عن طريق «الرب» الذى يمثله ـ يجعل من موسى إلها ومن هرون نبيا «فقال الرب لموسى انظر.. أنا جعلتك إلها لفرعون.. وهرون أخوك يكون نبيا»[٥] .. ونلاحظ فى هذا النص ما يؤكد النزعة السيادية لدى الشعب المختار حيث يحرص على أن يظل «الرب» الذى يمثله فوق أى سلطة إلهية أو نبوية.. فهو يجعل موسى إلها لفرعون وليس له هو.. وكذلك يجعل هرون نبيا لموسى وليس له هو.. فهو الإله الأعلى الذى يعين الآلهة وأنبياء هم ويصدر إليهم أوامره «أنت ـ أى موسى الإله ـ تتكلم بما آمرك به.. وهرون أخوك يكلم فرعون»[٦] .

---

(١) من أسماء الشيطان «بعلزبول».
(٢) «الموسوعة العربية الميسرة» (تحت اسم «بعل»).
(٣) «موسى والتوحيد» (ص ١٤٦ هامش ١).
(٤) «المرأة والألوهية» (ص ٥٩).
(٥) «خروج» (٧ : ١)
(٦) «خروج» (٧ : ٢).

## مغزى أخوة موسى وهرون:

ونتوقف عند أخوة موسى وهرون لنبين من خلالها كيف أن حاجة الشعب المختار إلى الخلاص من الأسر هى التى اضطرته ـ عن طريق «الرب» الذى يمثله ـ إلى تأليه موسى رغم أنه يمثل أقنوم (الأم) المرفوض.. وأيضا اضطرته إلى جعل هرون نبيا رغم أنه يمثل أقنوم (الإبن) الذى يرفض (الأب) فى الثالوث المختار أن يتنازل له عن مكانه.. وسوف نبين ذلك من خلال العلاقة بين أخوة موسى وهرون والمثل الذى يقول: «أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى ع الغريب».. وهو المثل الذى قلنا إن الشعب المختار اقتدى به فى تعامله مع الشعب المصرى ومن ثم مع بقية شعوب العالم.

ومفتاح العلاقة بين أخوة موسى وهرون والمثل المذكور هو أقنوم «الأم» الأنثى الذى يمثله موسى الذكر بهويته المصرية.. فرغم أن هويته المصرية الشمسية هذه هى التى استقل بها بعد انتقال (الازدواجية الأحادية) حيث موسى المصرى وموسى العبرى إلى (الازدواجية الثنائية) حيث موسى المصرى وهرون العبرى.. إلا أن ذكورته التى تخص الهوية القمرية «العبرية» تعيده إلى (الازدواجية الأحادية) حيث يجمع بين الهوية المصرية والهوية العبرية.. وعلى هذا فإن رفض (الأب) لأقنوم (الأم) ينصب على موسى من حيث هويته المصرية فقط أما من حيث هويته العبرية فهو يتساوى مع هارون.. ومن هنا نفهم أخوة موسى وهرون بأنها أخوة هوية مشتركة بين موسى العبرى فى (الازدواجية الأحادية) وهارون العبرى فى (الازدواجية الثنائية).. وعلى هذا نعود إلى المثل «أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى ع الغريب» حيث نجد أن عبارة «أنا وأخويا» تنطبق على موسى وهرون العبريين.. وأن عبارة «ابن عمى» تنطبق على موسى المصرى باعتبار علاقة أبناء العمومة بين سلالة سام العبرية وسلالة حام المصرية.. أما «الغريب» فينطبق حسب موضوع رسالتنا على الفرعون.. وعلى هذا يمكننا إعادة صياغة المثل هكذا: «أنا موسى العبرى وأخويا هرون العبرى على ابن عمى موسى المصرى.. وأنا وابن عمى موسى المصرى ع الغريب فرعون».. وجدير بالذكر أن فرعون ـ رغم مصريته ـ غريب على موسى المصرى إذ أنه ينتمى إلى ديانة «آمون» المعادية لديانة «آتون» التى ينتمى إليها موسى المصرى والتى بعد أن انتهت عادت إلى مكانها ديانة «آمون».

وبعد هذا التحليل الذى توصلنا إليه يمكننا افتراض أن هذا المثل ترجع جذوره إلى فترة أسر العبريين فى مصر ومحاولتهم الخلاص منه.

أما الجذور الأبعد من ذلك فلابد أنها لاتتخطى مرحلة ظهور الزواج الفردى أثناء الانتقال من مجتمع الأم إلى مجتمع الأب حيث المساواة فى الميراث بين الإبن وابن العم مما لابد وأنه قد أوجد شقاقا بين الأول والثانى رغم تضامن الاثنين ضد الغريب وهو على الأرجح ابن العمة المحروم من الميراث بحكم زوال سلطة الأم.. وسبق أن طبقنا ذلك على ثالوث «أوزيريس» وموقف

«ست» من الابن «حوريس» الذى انعكس على موقف الشعب المختار من الابن جرشوم فى ثالوث موسى [1] والذى ينطبق الآن على الابن هرون فى الثالوث المختار.

وأخيرا.. فخلاصة ماسبق أن النفعية اضطرت الشعب المختار إلى تكوين الثالوث المختار لكى يتخلص من الأسر ومن ثم يتحول من قبيلة إلى شعب بواسطة أقنومى (الأم) و(الإبن) أى بواسطة موسى وهرون.. وأنه لولا تلك الحاجة لفضل الشعب المختار أن يكون أبا فى ثالوث أبوى بحت بمعنى أن يكون هو وحده دون أقنومى (الأم) و(الإبن) أو هو وحده دون موسى وهرون الذى قام بدور المخلِّص.. أو بعبارة أخرى هو وحده «سى السيد» دون أن يكون هناك سيد غيره.

ومن هنا كان لابد أن ينشب الصراع فى الثالوث المختار بين أقنوم (الأب) وأقنومى (الأم) و(الإبن).. وهو موضوعنا التالى:

## صراع الأقانيم فى الثالوث المختار:

بعد أن أوضحنا سبب الصراع فى الثالوث المختار بين أقنوم (الأب) وأقنومى (الأم) و(الإبن) من أجل أن يستقل (الأب) وحده بالثالوث.. علينا أن نثبت ذلك من خلال التوراة حيث نذكر هذا النص:

«وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم. إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم.. إذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم الرب إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لى» [2].

ونلاحظ فى هذا النص أن الشق الأول منه يخص (الله) والثانى يخص «الرب».. وعلى هذا فسوف نحلل كلا من الشقين على حدة:

ففى الشق الأول نجد أن (الله) يقر بأن «يهوه» هو إله آباء بنى إسرائيل.. وكما نعرف فإن (الله) = «إيل» لدى العبريين .. وكما نعرف أيضا فإن الإبن «يهوه» احتل مكان (الأب) «إيل» فى الثالوث اليهودى.. وعلى ذلك نترجم هذا الشق من النص بأن (الأب) يقر بأن (الإبن) هو إله آباء بنى إسرائيل.. وهذا يعنى تسليم (الأب) بمبدأ احتلال (الإبن) مكانه.

وفى الشق الثانى من النص نجد أن «الرب» الذى يمثل أقنوم (الأب) فى الثالوث المختار قد وُضع مكان «يهوه» وهذا أيضا يعنى التسليم بمبدأ احتلال (الإبن) مكان (الأب) وهو المبدأ الذى يرفضه الشعب المختار.. ولكن لأنه مضطر إلى قبوله من أجل المنفعة فهو يحاول أن يوفق بين الوضعين عن طريق الجمع بين مايحقق منفعته ومايحقق استقلاليته.. وهو مايتضح لنا حين نعيد صياغة النص مع إحلال (الأب) مكان (الله) و(الإبن) مكان «يهوه» فى الشق الأول.. وإحلال

---

(١) راجع الفصل العشرين تحت عنوان «الشعب المختار يؤكد عدم شرعية الإبن الإلهى» .
(٢) «خروج» (٣ : ١٥، ١٦).

(الأب) مكان «الرب» فى الشق الثانى: «وقال (الله الأب) أيضا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل (يهوه الابن) إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم.. إذهب واجمع شيوخ بنى إسرائيل وقل لهم (الرب الأب) إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لى».. وبهذا يتضح لنا أن «الرب» ممثل الشعب المختار وضع نفسه موضع (الله) وبالتالى موضع «إيل» الذى يساوى (الله) وبالتالى موضع «يهوه» الذى احتل مكان «إيل».. مما يتفق وربوبية الشعب المختار وإعلائها على آلهته سواء المتمثلة فى (الأب) أو فى (الإبن) ومن ثم استحواذه على وظائف تلك الآلهة عن طريق مبادلة أفعالها مع أفعاله أو عن طريق مبدأ قلب الأوضاع.

وتأكيدا لما سبق نتوقف عند عبارة «أرسلنى إليكم» فى نهاية الشق الأول من النص وهو الذى يخص (الله).. وكذلك نتوقف عند عبارة «ظهر لى» فى نهاية الشق الثانى الذى يخص «الرب».. فمن حيث مبدأ قلب الأوضاع نجد أن عبارة «أرسلنى إليكم» منسوبة إلى (الله) بمعنى أن (الله) هو الذى أرسل موسى إلى بنى إسرائيل فى حين أننا نجد نصا يقول إن «الرب» هو الذى أرسله «فقال الرب إنى رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر.. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر»[(١)] .. وكذلك نجد أن عبارة «ظهر لى» منسوبة إلى «الرب» بمعنى أن «الرب» هو الذى ظهر لموسى فى حين أننا نجد نصا يقول إن (الله) هو الذى ظهر له «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمية كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب.. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة.. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى[(٢)] ».. وواضح من النص أن الذى ظهر لموسى هو (الله) بدليل نسبة جبل حوريب إليه وأيضا بدليل أنه هو الذى نادى موسى.

ومع ذلك فإنه يمكن القول بأن «الرب» هو الذى ظهر لموسى وأيضا هو الذى أرسله إلى بنى إسرائيل وذلك على أساس ماتوصلنا إليه من إعلاء ربوبية الشعب المختار على جميع آلهته.. وهو لكى يؤكد هذه الصفة يختلق المصاعب حتى يثبت قدرته وتفوقه من خلال تغلبه عليها (يعنى استعراض عضلات) ونجد مثالا لذلك فى «وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها قدام فرعون.. ولكنى أشدد قلبه حتى لايطلق الشعب» [(٣)].. فرغم أن «الرب» قد زود موسى بالسلاح الذى ينصره على الفرعون ويجبره على إطلاق العبريين إلا أنه يتعمد إبطال مفعول هذا السلاح بتشديد قلب الفرعون.. وذلك لكى يثبت أنه هو شخصيا ـ وليس موسى ـ القادر على قهر الفرعون.. ويشهد على ذلك قوله «ولكنى أعلم أن ملك مصر لايدعكم تمضون ولا بيد قوية.. فأمد يدى وأضرب مصر بكل عجائبى التى أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم» [(٤)].. وجدير بالذكر أن قول «الرب» هذا قد صدر مباشرة قبل تزويد موسى

---

(١) «خروج» (٣ : ٧ ، ١٠)

(٢) «خروج» (٣ : ١ ـ ٥)

(٣) «خروج» (٤ : ٢١)

(٤) «خروج» (٣: ١٩، ٢٠).

بالسلاح الذى سيواجه به الفرعون أى أن «الرب» قد بيت النية مسبقا على إفشال هذا السلاح من أجل إظهار تفوقه.

ومن ناحية أخرى فإن «الرب» حين فعل ذلك اصطاد عصفورين بحجر.. فهو بجانب إظهار تفوقه قد أرضى نزعته السيادية التى تجعله كممثل لأقنوم (الأب) فى الثالوث المختار يرفض أقنومى (الأم) و(الإبن) إذ أن السلاح الذى زود به موسى يتكون من عنصرين سبق أن نسبنا أحدهما إلى موسى ممثل أقنوم (الأم) وهو تحول العصا إلى الحية رمز الهوية المصرية (الشمسية).. والآخر نسبناه إلى هرون ممثل أقنوم (الابن) وهو تحول يد موسى إلى «برصاء مثل الثلج» رمزا للهوية العبرية (القمرية).

وبعد أن بينا كيفية الصراع بين أقنوم (الأب) وأقنومى (الأم) و(الإبن) فى الثالوث المختار.. ننتقل إلى بيان ما وراء هذا الصراع.

## تعدد الشخصية الثلاثى فى الثالوث المختار:

سبق أن تناولنا فى ازدواج شخصية موسى دور الشخصية (الثانوية) فى استكمال نقص الشخصية (الأصلية).. كما سبق أن بينا من خلال تحول ازدواج شخصية موسى (الازدواجية الأحادية) إلى ثنائية موسى وهرون (الازدواجية الثنائية) ـ سبق أن بينا أن الشخصية (الثانوية) يمثلها موسى فى أقنوم (الأم) وأن الشخصية (الأصلية) يمثلها هرون فى أقنوم (الإبن).. ثم انتهينا إلى الصراع فى الثالوث المختار بين أقنوم (الأب) وأقنومى (الأم) و(الابن) من أجل تسيد (الأب) ـ سى السيد ـ الذى نتناوله الآن كشخصية ثالثة تظهر نتيجة التفاعل بين طرفى ازدواج الشخصية وتستقر صفاتها على مايرضيها ـ أى يرضى أقنوم (الأب) - من صفات كل منهما أى من صفات كل من أقنومى (الأم) و(الإبن).

وبعبارة أخرى فإن الثالوث المختار يمثل نموذجا لتعدد الشخصية الثلاثى الذى يبدأ نشاطه بازدواج الشخصية حيث تستكمل الشخصية (الثانوية) المصرية الهوية المتمثلة فى أقنوم (الأم) النقص الموجود فى الشخصية (الأصلية) العبرية الهوية المتمثلة فى أقنوم (الابن).. وعندما يتم استكمال نقص الشخصية (الأصلية) تنتقل إليها فعالية وإيجابية الشخصية (الثانوية) لتقوم بدورها فى إظهار الشخصية (الثالثة) وهى أقنوم (الأب) المنتمى إلى الهوية العبرية وإن كانت تضاف إليه الصفات التى تفيده من الهوية المصرية والتى أضفتها الشخصية (الثانوية) على الشخصية (الأصلية) لاستكمال نقصها.. وقد يبدو مستغربا فى هذا التفاعل أسبقية (الأم) و(الابن) على (الأب) الذى يرأس الثالوث.. وردنا على ذلك أن (الأب) أو أن الشخصية (الثالثة) موجودة أصلا فى ازدواج الشخصية ولكن فى حالة كمون.. وأن الهدف من التفاعل بين طرفى ازدواج الشخصية هو خروج الشخصية (الثالثة) من حالة الكمون إلى حالة العلن.

## معجزة الحمل والوضع الأوديبي في تعدد الشخصية الثلاثي:

واستمرارا لما سبق.. فمن ناحية أخرى فإن أسبقية الأم على الأب وبالتالي أسبقية الإبن ـ بانتسابه إلى الأم ـ ترجع إلى أسبقية المجتمع الأمومي على المجتمع الأبوي حيث كان الأب يقوم بدوره في مثلث الأسرة ولكن في الظل الذي يقابل كمون (الأب) في الثالوث عامة.. وعلى هذا فإن تعدد الشخصية في الثالوث المختار يعتبر صورة مماثلة لمعجزة الحمل بدون الأب حيث الواقع أن الحمل قد تم عن طريق الأب ولكن بفعالية الروح القدس ذات الهوية المصرية التي تقابل ـ في ازدواج الشخصية ـ فعالية الشخصية (الثانوية) التي استكملت نقص الشخصية (الأصلية) لكي تخرج الشخصية (الثالثة) من كمونها وتقوم بدورها مثلما فعل الأب عن طريق الروح القدس في معجزة الحمل[1] .

ونخرج من ذلك بأن معجزة الحمل تتم بمشاركة الأب ولكن لأنه يقوم بدوره وهو في حالة كمون فمن هنا يظل تعدد الشخصية ـ الثلاثي ـ في حالة كمون تاركا العلن لازدواج الشخصية حيث تتمثل المعجزة في استكمال نقص الشخصية (الأصلية) أي الابن عن طريق فعالية الشخصية (الثانوية) أي الأم ومن ثم تخرج الشخصية (الثالثة) أي الأب من كمونها عن طريق امتدادها في الابن بعد ولادته حيث سبق وقلنا إن ولادة الابن تتضمن ولادة الأب من جديد[2] .

وسبق أن توصلنا إلى أن العلاقة بين الإبن والأم في معجزة الحمل تجعل الإبن في وضع أوديبي مع أمه.. وقد قلنا في هذا الشأن[3] إن إحلال الإبن مكان الأب لايعني احتلال شخص مكان شخص بمعنى نفيه حيث أن الإبن يجمع بين وظيفتين: الأولى أنه يمثل بذرة الأب والأخرى أنه يحمل بذرة الأب ليودعها في إبن آخر فيصبح بذلك أبا.. أي أن الابن له صفتان: إحداهما تخص شخصه والأخرى تخص شخص أبيه الممتد فيه.. وعلى هذا يكون مفهوم الوضع الأوديبي في معجزة الحمل أنه علاقة بين أم وأب (كامن) في الإبن.. وأن سبب استخدام الإبن كوسيلة لاتصال الأم بالأب هو صفته الامتدادية التي تعوض عقم الأب.

وبتطبيق الوضع الأوديبي على تعدد الشخصية ـ الثلاثي ـ باعتبار أن الإبن يمثل الشخصية (الأصلية) وأن الأم تمثل الشخصية (الثانوية) وأن الأب يمثل الشخصية (الثالثة) يمكننا أن نعيد صياغة ماقلناه هكذا: إن العلاقة بين الشخصية ( الأصلية) والشخصية (الثانوية) في ازدواج الشخصية تجعل الشخصية (الأصلية) في وضع أوديبي مع الشخصية (الثانوية)..

---

(١) باعتبار أن الشخصية (الثانوية) تقابل المرأة وأن الشخصية (الثالثة) تقابل الرجل فمعنى ذلك أن المرأة ساعدت الرجل في احتلال مكانها.. والواقع أن هذا حدث بالفعل إذ أن المرأة ساعدت الرجل على فرض سيطرته بتشجيعها للزواج الفردي الذي كان يهمها دون الرجل إذ لم يحلم الرجل أبدا بالتخلي عن الزواج الجماعي الذي كان سائدا في مجتمع الأم (تناولنا هذا بتوسع وطبقناه على أسطورة «أوزيريس» وذلك في كتاب «صدمة العري» تحت عنوان «باكا والأسرة».

(٢) الفصل العشرون تحت عنوان «ثالوث موسى يماثل ثالوث أوزيريس» (النقطة ٤).

(٣) الهامش السابق .

وإن إحلال الشخصية (الأصلية) مكان الشخصية (الثالثة) لايعنى احتلال شخص مكان شخص بمعنى نفيه حيث أن الشخصية (الأصلية) تجمع بين وظيفتين: الأولى أنها تمثل بذرة الشخصية (الثالثة) والأخرى أنها تحمل بذرة الشخصية (الثالثة) لتودعها فى شخصية أصلية أخرى فتصبح بذلك شخصية (ثالثة).. أى أن الشخصية ا لأصلية لها صفتان: إحداهما تخص شخصها والأخرى تخص شخص الشخصية (الثالثة) الممتدة فيها.. وعلى هذا يكون مفهوم تعدد الشخصية ـ الثلاثى ـ أنه علاقة بين الشخصية (الثانوية) والشخصية (الثالثة) الكامنة فى الشخصية (الأصلية).. وأن سبب استخدام الشخصية (الأصلية) كوسيلة لاتصال الشخصية (الثانوية) بالشخصية (الثالثة) هو صفتها الامتدادية التى تعوض كمون الشخصية (الثالثة).. وهو ما يقابل عقم الأب فى معجزة الحمل.

وعندما نطبق ذلك على الثالوث المختار ونحيل صفتى الكمون والعقم إلى أقنوم (الأب) نجده من حيث الكمون يمثل الشعب الكامن فى القبيلة.. ونجده من حيث العقم يمثل احتياجه إلى أقنومى (الأم) و(الإبن) من أجل تحويل القبيلة إلى شعب... وبالعودة إلى اقتران احتياج (الأب) إلى (الأم) و(الابن) برفضه لهما نجد أن رفضه لـ (الإبن) أقل شدة من رفضه لـ (الأم).. وإذا كنا قد بينا سبب ذلك فى تناولنا للمثل: أنا وأخويا على ابن عمى... إلخ... فسوف نضيف الآن الأسباب الآتية:

١ ـ أن عداء (الأب) لهوية (الأم) المصرية يرجع إلى عقدة الأسر بمصر وهى كما قلنا مرارا المتحكم الأصلى فى جميع تصرفات الشعب المختار.. وعلى هذا فإن سبب رفض (الأم) له الغلبة على سبب رفض (الإبن).

٢ ـ أن هوية (الإبن) العبرية هى نفس هوية (الأب).

٣ ـ أن (الإبن) كممثل للشخصية (الأصلية) هو امتداد لـ (الأب) كممثل للشخصية (الثالثة).

ونتيجة لهذه الأسباب فإن احتياج (الأب) الاضطرارى إلى (الإبن) يتحول إلى تضامن بينما يظل احتياجه الاضطرارى إلى (الأم) على مضض .. وبعبارة أخرى فإن (الأب) يتضامن مع (الإبن) ضد (الأم).. أو طبقا لتعدد الشخصية الثلاثى فإن الشخصية (الثالثة) تتضامن مع الشخصية (الأصلية) ضد الشخصية (الثانوية).

وهكذا بعد أن كان ترتيب الثالوث المختار:

(الأب).

(الأم).

(الإبن)

يتم تقديم (الإبن) على (الأم) فيصبح ترتيب الثالوث:

(الأب)

(الإبن)

(الأم)

وبهذا ينتهى مكان أقنوم (الأم) فى آخر الثالوث بسبب عداء الهوية العبرية للهوية المصرية نتيجة عقدة الأسر.. أو ـ حسب التفسير الأعمق الذى سبق أن قدمناه ـ بسبب رفض (الذات الشمولية) نتيجة تضخم ذات الشعب المختار.

والواقع أنه طبقا لمبدأ حتمية غلبة (الذات الشمولية) فإن الترتيب الأصلى للثالوث عامة هو:

(الأم)

(الأب)

(الإبن)

وجدير بالملاحظة أن الترتيب الذى انتهى إليه الثالوث المختار وهو (الأب. الإبن. الأم) قد جعله مماثلا للثالوث الأوزيرى ( أوزيريس. حوريس. إيزيس) وأيضا للثالوث المسيحى (الأب. الإبن. الروح القدس) وذلك رغم رفض الشعب المختار لـ (الإبن) «حوريس» فى الثالوث المصرى ولـ (الإبن) «يسوع» فى الثالوث المسيحى.. ومانعنيه هو أن فكرة الخلاص عن طريق الابن تسيطر على الثالوث عامة وذلك بسبب تميز (الإبن) بصفة الامتدادية التى تجعله يحتل المكان الثانى بعد (الأب) الممتد فى (الإبن).. ولاتشذ عن ذلك الثواليث التى تجعل (الإبن) فى المؤخرة [(١)] حيث ينتهى به الأمر إلى القيام بدور (الأب) مثلما فعل «يهوه» فى الثالوث اليهودى حين احتل مكان «إيل» الكهل.. وعلى هذا ففى رأينا أن الثالوث الذى يجعل (الإبن) فى المؤخرة هو ثالوث مبكر يتمتع فيه (الأب) بمرحلة الشباب التى لن تلبث أن تولى ويتحول إلى كهل ومن ثم يقوم (الإبن) بدوره حيث يحتل مكانه التقليدى فى الثواليث المعتادة.

وتأكيدا لصفة الامتدادية لدى (الابن) نقول إن الثالوث الإلهى هو صورة معلاة لثالوث الأسرة الانسانية حيث يشعر الأب بامتداد حياته فى إبنه مما يجعله يفضل إنجاب الذكر على الأنثى[(٢)] .. ولأن الأسرة الإنسانية تكونت نتيجة الزواج الفردى وسيطرة الأب فمن هنا لانجد ثالوثا ترأسه (الأم) وتقوم فيه بدور المخلّص.. ومن هنا أيضا نجد أن الوضع الأوديبى أكثر تواجدا وأكبر ثقلا من الوضع الإلكترى حيث يرجع ذلك إلى سيطرة الأب التى تجعل الإبن منافسا له فى تعلقه بأمه فى الوضع الأوديبى.. وذلك عكس الوضع الإلكترى حيث يؤكد تعلق الإبنة بالأب

(١) مثل ثالوث القمر الأب إل والشمس الأم إلات والزهرة الابن عثتر.

(٢) هذا بجانب تفضيل الابن الذكر من أجل الميراث.

سيطرته عليها ومن ثم على المرأة عموما بما فيها الأم.. ومع ذلك فقد تم ـ كما رأينا ـ تقديم (الإبن) على (الأم) وبالتالى تقديمه على الإبنة أم المستقبل .. وإذا كنا قد فسرنا ذلك من خلال طبيعة الشعب المختار فسوف نفسره من خلال التوراة.

## تقديم (الإبن) على (الأم) فى الثالوث المختار

## عن طريق الضربات التى أنزلها «الرب» على مصر:

قلنا إن الصراع بين أقانيم الثالوث المختار قد انتهى إلى تقديم (الإبن) على (الأم).. وسوف نبين هذا من خلال التوراة وذلك باعتبار أن أقنوم (الأب) يمثله «الرب» وأن أقنوم (الإبن) يمثله هرون وأن أقنوم (الأم) يمثله موسى.. وعلما أيضا بأن «الرب» أثناء تقديمه هرون على موسى كان حريصا على تقديم نفسه على الإثنين تأكيدا لمكانته العليا التى لايعلى عليها (سى السيد).

ويتمثل تقديم هرون على موسى فى أن «الرب» أسند إليه استخدام السلاح الذى زود به موسى لمواجهة الفرعون وهو العصا المعجزة.. وقد يقال إن هذا أمر طبيعى حيث أن هرون نبى لموسى وبالتالى فإن المعجزة تتم من خلاله.. ولكن ردنا على ذلك أن «الرب» كلف موسى مباشرة بالقيام بمعجزة العصا حين قال له: «وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات» (١) .. أما هارون فقد أسند «الرب» إليه مهمة مخاطبة الشعب والفرعون.. فبالنسبة لمخاطبة الشعب نجد قوله لموسى: «وهو يكلم الشعب عنك» (٢).. وبالنسبة لمخاطبة الفرعون نجد قوله لموسى: «أنا جعلتك إلها لفرعون. وهرون أخوك يكون نبيك. أنت تتكلم بكل ما آمرك به. وهرون أخوك يكلم فرعون»(٣) ونلاحظ فى هذا النص اقتران تعيين هرون نبيا بتعيينه متحدثا بالنيابة عن موسى مما يؤكد اختصاص موسى باستخدام العصا وعدم إنابة هرون عنه فى ذلك.. ولكن رغم هذا.. وبعد ورود ذلك النص نجد بعده فى نفس الإصحاح أن «الرب» يحول اختصاص استخدام العصا من موسى إلى هرون «وكلم الرب موسى وهرون قائلا. إذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهرون خذ عصاك وأطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا» (٤).. ونفس الشيء يتكرر بعد ذلك مباشرة فى نفس الإصحاح حيث نجد نصا ينسب فيه «الرب» اختصاص استخدام العصا إلى موسى ثم يليه نص يحيل فيه هذا الاختصاص إلى هرون.. فبالنسبة لاختصاص موسى بالعصا نجد قول «الرب» له: «اذهب إلى فرعون فى الصباح.. والعصا التى تحولت إلى حية تأخذها معك فى يدك. وتقول له الرب إله العبرانيين أرسلنى إليك قائلا أطلق شعبى ليعبدونى فى البرية. وهو ذا حتى الآن لم

---

(١) «خروج» (٤ : ١٧).

(٢) «خروج» (٤ :١٦)

(٣) «خروج» (٧: ١، ٢)

(٤) «خروج» (٧ :٨).

تسمع. ها أنا أضرب بالعصا التى فى يدى على الماء الذى فى النهر ويتحول دما» [1].. أما بالنسبة لتحويل اختصاص العصا إلى هارون فنجده فى: «ثم قال الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك ومد يدك إلى مياه المصريين ... لتصير دما»[2] .

وقد كان تحويل مياه النهر إلى دم أولى الضربات التى وجهها «الرب» إلى مصر ثم تبعتها ضربتا الضفادع والبعوض اللتان قام بهما هرون أيضا.. فبالنسبة لضربة الضفادع نجد «فقال الرب لموسى قل لهرون مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقى والآجام وأصعد الضفادع على أرض مصر»[3] .. وبالنسبة لضربة البعوض نجد «ثم قال الرب لموسى قل لهرون مد عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضا فى جميع أرض مصر»[4] .

والضربات عددها عشر.. وكما رأينا فإن «الرب» طبقا لتقديم (الإبن) على (الأم) قد خص هرون بالضربات الثلاث الأولى.. أما بقية الضربات فلها شأن آخر.

## إعطاء (الأم) حقها على مضض فى الثالوث المختار

## عن طريق الضربات التى أنزلها «الرب» على مصر

قلنا إن الهدف من الثالوث المختار هو ظهور الشخصية (الثالثة) الكامنة فى الشخصية (الأصلية) وذلك بفعالية الشخصية (الثانوية) أو بعبارة أخرى إن الهدف من تعدد الشخصية ـ الثلاثى ـ هو ظهور (الأب) الكامن فى (الإبن) وذلك بفعالية (الأم).. ومن هنا كان على (الأب) بعد أن أعطى (الإبن) دوره أن يعطى (الأم) أيضا دورها ـ رغم رفضه لها ـ حتى يتحقق ظهوره.. وبعبارة أخرى كان على «الرب» بعد أن أسند إلى هرون مهمة الضربات الثلاث التى ذكرناها أن يسند إلى موسى نصيبه حتى يتحقق ظهوره ـ ظهور «الرب» ـ عن طريق التفاعل بين الإثنين.. ومن هنا نجد فى ضربة الدمامل والبثور أن موسى وهرون يشتركان فى الإعداد لها ثم نجد أن موسى ـ الذى يمثل الشخصية (الثانوية) الفعالة ـ هو الذى يتولى تنفيذ الضربة «ثم قال الرب لموسى وهرون خذا ملء أيديكما من رماد الأتون. وليذر موسى نحو السماء أمام عينى فرعون. فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة ببثور فى كل أرض مصر» [5] .

ولأن موسى يمثل أقنوم (الأم) ذا الهوية المصرية التى يقبلها (الأب) على مضض من أجل مصلحته.. وذلك على عكس هرون ممثل أقنوم (الإبن) ذى الهوية العبرية الذى يتعاطف معه «الأب» لأنه كامن فيه.. فإن «الرب» أى (الأب) يختص موسى بفعالية ضربة واحدة فقط ـ وهى ضربة

(١) «خروج» (٧ : ١٥ ـ ١٧)

(٢) «خروج» (٧ : ١٩).

(٣) «خروج» ( ٨ : ٥).

(٤) «خروج» (٨ : ١٦)

(٥) «خروج» (٩: ٨،٩)

الدمامل والبثور – مقابل الضربات الثلاث التى اختص بها هرون.. وتأكيدا لموقف «الرب» هذا من موسى فهو يسند إليه ضربة الجراد «ثم قال الرب لموسى مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد.. فمد موسى عصاه على أرض مصر» [1].. ولكن بدلا من أن يترك له مهمة إتمام الضربة كما فعل مع هارون[2] نجده يتولاها هو بنفسه «فجلب الرب على الأرض ريحا شرقية.. ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد» [3].

وهذا الذى فعله «الرب» فى ضربة الجراد يمثل بداية نضج الشخصية (الثالثة) التى كانت تحاول الظهور نتيجة التفاعل بين طرفى ازدواج الشخصية أى بين الشخصية (الأصلية) هرون والشخصية (الثانوية) موسى.. ولكننا نلاحظ أن «الرب» يدير هذا التفاعل بنفسه[4] إذ أنه لايقع فعل إلا بأمره «وقال الرب........» مستبقا بذلك توقيت ظهوره كشخصية (ثالثة).. وتعليل ذلك يرجع إلى ثلاثة أسباب: السبب الأول أن التوراة كتبت فى زمن لاحق تمخض فيه التفاعل عن ظهور شخصية «الرب» واكتمالها بمعنى التحول إلى شعب.. والسبب الثانى أن الشعب المختار منح نفسه صفة شعب قبل أن يكون شعبا بالفعل وذلك لمواجهة الإحباط الناتج عن الأسر.. والسبب الثالث أن لقب «الرب» يمثل الشعب المختار قبل وبعد التحول إلى شعب أو بعبارة أخرى قبل وبعد مرحلة كمون (الأب) فى الثالوث المختار.

وسبق أن قلنا إن الشخصية (الأصلية) تجهل وجود الشخصية (الثانوية) بينما العكس صحيح.. وبظهور الشخصية (الثالثة) تصبح هى على علم بوجود طرفى ازدواج الشخصية وينتج عن ذلك استقلال الشخصية (الثالثة) ومن ثم تسيدها على الشخصيتين اللتين ظهرت نتيجة التفاعل بينهما.. وبعبارة أخرى فإنه ينتج عن ذلك استقلال «الرب» ومن ثم تسيده على موسى وهارون بعد أن أديا دوريهما فى تحقيق وجوده.. وسيادة «الرب» هذه هى البديل لرغبة (الأب) فى الثالوث المختار فى نفى أقنومى (الأم) و(الابن) ليصبح أبا فى ثالوث أبوى بحت.. ولكن لأن هذا النفى ينفى الثالوث ذاته فهو يلجأ إلى السيادة بديلا للنفى.. والسيادة تستدعى إعلاء السيد على المسود أى إعلاء «الرب» على موسى وهارون.. وهو ما نبينه من خلال بقية الضربات التى أنزلها «الرب» على مصر.

## إعلاء (الأب) فى الثالوث المختار عن طريق الضربات التى أنزلها «الرب» على مصر

قبل أن نستعرض الضربات التى تبين إعلاء (الأب) فى الثالوث المختار نبدى أولا هذه

---

(١) «خروج» (١٠: ١٢)

(٢) قارن صيغة ضربة الجراد بصيغ الضربات الخاصة بهرون.

(٣) «خروج» (١٠ : ١٣)

(٤) سبق وأشرنا إلى حرص «الرب» على تأكيد أن مكانته لايعلى عليها فى الثالوث.

الملحوظة وهى عدم ذكر هارون فى هذه الضربات حيث يصبح موسى وحده همزة الوصل بين «الرب» والفرعون.. وتعليل ذلك أن «الرب» عين هرون نبيا لموسى كما عين موسى إلها للفرعون.. ولأنه ـ أى «الرب» ـ أعلى من الإثنين فلا يليق بمقامه أن يكون هرون نبيا له وإنما الذى يليق أن يكون موسى الإله الذى عينه «الرب» للفرعون هو نبيه الذى يخاطب الفرعون عن طريقه.

وننتقل إلى الضربات الخمس الباقية والتى تخص المضمون الذى قدمناه لنرى ما الذى فعله «الرب» ليثبت علوه على موسى ـ وبالتالى على هرون الأقل منه مرتبة باعتباره نبى الإله موسى ـ وبداية نذكر أن هذه الضربات الخمس هى:

ضربة الذباب..

ضربة وباء المواشى..

ضربة البرَد..

ضربة الظلام..

ضربة موت الذكور البكر..

ونظرا لاشتراك هذه الضربات فى نفس المضمون الذى نقصده فسوف نكتفى بتناول واحدة منها وهى ضربة الذباب.. ويمكن تطبيق ما سنقدمه بشأنها على بقية الضربات.

فبخصوص ضربة الذباب نجد هذا النص «ثم قال الرب لموسى بكر فى الصباح وقف أمام الفرعون.. وقل له هكذا يقول الرب أطلق شعبى ليعبدونى.. فإنه إن كنت لاتطلق شعبى ها أنا أرسل عليك وعلى عبيدك وعلى شعبك وعلى بيوتك الدبان.. ولكن أميز فى ذلك اليوم أرض جاسان حيث شعبى مقيم.. وأجعل فرقا بين شعبى وشعبك.. غدا تكون هذه الآية.. ففعل الرب هكذا» (١).. فكما نرى فإن «الرب» يؤكد ألوهيته فى قوله «أطلق شعبى ليعبدونى».. ولأنه «رب» وإله فلقبه (الرب الإله) مثله مثل الفرعون وإن كان أعلى منه حيث أنه يأمره ويهدده بل وعين موسى إلها عليه.

ولأن «الرب» يتولى إنزال الضربة بنفسه دون وساطة من موسى «ففعل الرب هكذا» فإن ضربته تتميز بأنه يفرق فيها بين شعبه وشعب مصر «وأجعل فرقا بين شعبى وشعبك» وهو بذلك يصطاد عصفورين بحجر: أولا اكتساب حب الشعب.. وثانيا تصغير شأن موسى أمام الشعب لأنه لم يفعل مثله.. وما أشبه ذلك بمكر الحاكم حين يكلف أحد معاونيه بما يسىء إلى الشعب ثم يتدخل هو شخصيا ليرفع الإساءة عنه فيكسب حبه على حساب معاونه ومن ثم يؤمن نفسه ضد أن يلمع نجمه أمام نجمه.. ولاشك أن لمعان نجم موسى قد وصل إلى القمة بعد أن تحقق الخروج بقيادته.. ومن هنا كان على «الرب» أن يصغر من شأنه عندما صعد الجبل ليكلمه فجعله يبطىء فى النزول حتى يقلق الشعب ويقول لهرون: «قم اصنع آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل

---

(١) «خروج» (٨ : ٢٠ ـ ٢٤)

الذى أصعدنا (أى أخرجنا) من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه»[1].. فالنص يجعل موسى قائد الخروج فى مصاف الآلهة بدليل أن الشعب طلب استعواضه بآلهة أخرى تقوده بدلا منه.. وفى الوقت نفسه يسلبه صفة الألوهية ويجعله «موسى الرجل» الذى يمكن أن يصيبه مايمنع عودته وهو مالا يحدث للآلهة.

و«الرجل» صفة تخص الإنسان دون الإله.. وباعتبار أن بطولة الإنسان الملموسة تطغى على بطولة الإله الغيبية.. فلا بأس من أن ينسب «الرب» الإله إلى نفسه صفة (الرجل) الناسوتية بجانب صفة (الرب) اللاهوتية: «الرب رجل الحرب. الرب اسمه»[2].. ونلاحظ أنه يفعل ذلك بعد الخروج مباشرة وبالذات بعد معجزة إغراق جيش الفرعون فى البحر.. مؤكدا بذلك أنه هو ـ وليس موسى ـ صاحب الإعجاز الحربى الذى وقع «مركبات فرعون وجيشه ألقاها فى البحر»[3].. ولكن استحواذ «الرب» على دور موسى الناسوتى فى إغراق جيش الفرعون لايكفى إذ أن دور «الرب» الإلهى فى هذا الشأن ينفيه دور «يهوه» إله القمر صاحب ظاهرة المد والجزر الذى اضطلع مع موسى بالدور الرئيسى فى إغراق الجيش.. ومعنى هذا أن «الرب» لكى يثبت ألوهيته عليه أن ينفى ألوهية «يهوه» مثلما فعل مع موسى عندما حوله من إله إلى مجرد رجل.. أى عندما جرده من صفة اللاهوت وجعله قاصرا فقط على صفة الناسوت.. ولكن إذا كان «الرب» قد استطاع أن يفعل ذلك مع موسى على أساس أنه هو الذى عينه إلها فهو لايستطيع أن يفعله مع «يهوه» الذى عين نفسه بنفسه إلها (وفى هذا إضافة إلى التفسيرات التى قدمناها بشأن تحريم ذكر اسم «يهوه» أو نسيان كيفية النطق به) وعلى هذا كان على «الرب» أن يجد حلا لهذه المسألة.. وكان الحل هو إيجاد بديل لـ «يهوه» يقع تحت سيطرته ويمكنه عن طريقه أن يثبت ألوهيته.. ولكى نتعرف على هذا البديل سنجرى مقابلة بين الثالوث اليهودى والثالوث المختار:

| الثالوث اليهودى | الثالوث المختار |
|---|---|
| (الأب) «إيل» | (الأب) «الرب» |
| (الأم) «إناث ياهو» | (الأم) موسى |
| (الإبن) «يهوه» | (الإبن) هرون |

(١) «خروج» (٣٢ : ٢) .
(٢) «خروج» (١٥ : ٣) .
(٣) «خروج» (١٥ : ٤) .

وواضح من هذه المقابلة بين الثالوثين أن بديل «يهوه» هو هرون .. ونلاحظ أن «الرب» لم يستطع تحقيق ما يهدف إليه إلا من خلال الثالوث المختار أى الثالوث الذى صنعه باختياره ومن ثم أمكنه أن يملى عليه إرادته وذلك بعكس الثالوث اليهودى الخارج عن اختياره.

ولنر الآن كيف استخدم «الرب» هرون لإثبات ألوهيته.. فبعد أن طلب الشعب من هرون أن يصنع له آلهة تعوضه عن موسى الذى تأخر نزوله من الجبل.. طلب هرون منهم أن يجمعوا ذهبهم ويأتوه به ثم صنع منه عجلا مسبوكا « فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه. ونادى هرون وقال غدا عيد للرب.. فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة» [1].. ونخرج من هذا النص بأن العجل الإله لم يسلب فقط ألوهية موسى ـ بأن أصبح بديلا عنه ـ وإنما سلبه أيضا دوره فى الخروج « هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر».. كما سلب كذلك دور «يهوه» الذى اضطلع مع موسى بالدور الأساسى فى عملية الخروج.. وكذلك سلب دور «إيل» الذى قام «يهوه» بدلا منه ضلعا أكبر فى الثالوث.. وهذا يفسر الحديث عن العجل بصيغة الجمع «هذه آلهتك يا إسرائيل».. ثم بعد ذلك يكمل هرون مهمته المطلوبة منه وهى إثبات ألوهية «الرب» التى تجب ألوهية موسى و«يهوه» و«إيل».. حيث بنى ـ أى هرون ـ مذبحا وقال: «غدا عيد للرب».. وهكذا تم إعلاء «الرب» ليس فقط فى الثالوث المختار الذى يخصه بل وأيضا فى الثالوث اليهودى الذى يخص «يهوه» [2] . (انظر الهامش) .

وجدير بالذكر أن «الرب» قد أعد هرون لهذه المهمة مسبقا وهى مهمة إقامة مذبح لـ «الرب» تقدم له فيه الذبائح.. وذلك بأن قدس هرون وجعله كاهنا له.. كما أنه فعل ذلك من خلال موسى الذى كان هرون وسيلة تآمر «الرب» عليه.. «وقرب إليك هرون أخاك... ليكهن لى.. واصنع ثيابا مقدسة لهرون أخيك للمجد والبهاء»[3]. .

ولكن رغم ذلك الذى فعله «الرب» من أجل أن يسلب موسى ألوهيته ودوره فى الخروج.. وكذلك «يهوه» الذى اضطلع معه بالدور الأساسى فى الخروج.. وكذلك «إيل» الذى قام «يهوه» بدلا منه ضلعا أكبر فى الثالوث ـ رغم كل ذلك الذى فعله «الرب» نجده يتراجع ويعيد إلى موسى دوره ـ وبالتالى دور «يهوه» ودور «إيل» ـ وهو يفعل هذا مباشرة بعد أن أدى هرون مهمته أثناء غياب موسى فوق الجبل «فقال الرب لموسى انزل. لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدتهَ من أرض مصر»[4]..

فكأن هناك ربين: أحدهما ينكر دور موسى فى الخروج والآخر يقره.. وهذا يقودنا إلى ازدواج شخصية «الرب» وبالتالى إلى التعرف أكثر على شخصية الشعب المختار.

---

(١) «خروج» (٣٢ : ٤ – ٦ ).
(٢) ومرة أخرى نضيف ذلك إلى الأسباب التى ذكرناها بشأن تحريم ذكر اسم «يهوه» أو نسيان كيفية النطق به
(٣) «خروج» (٢٨ : ١، ٢).
(٤) «خروج» (٣٢ : ٧).

# الفصل الثانى والعشرون :

# إزدواج شخصية «الشعب المختار»

## ■ ازدواج ربوبية الشعب المختار :

- ○ من ازدواج الربوبية إلى ازدواج الشخصية لدى الشعب المختار نتيجة احتلال «الرب» مكان الإله «إيل»
- ○ تغلب «الرب» على «إيل» يقابل تغلب يعقوب على «إيل»
- ○ نجمة داود تعبر عن ازدواج شخصية الشعب المختار

## ■ قراءة في نجمة داود :

- ○ نجمة داود تجمع بين الثالوث الأصلى والثالوث المختار
- ○ عقم نجمة داود كرمز لقيام مملكة وشعب
- ○ الدور المرحلى لنجمة داود بشأن التحول إلى شعب

## ■ الشعب المختار يفضل تضخم الذات علي الربوبية :

- ○ الفرق بين الربوبية وتضخم الذات
- ○ الربوبية تجعل الشعب المختار فى حاجة إلى إله بينما تضخم الذات يجعله مكتفيا بذاته
- ○ الربوبوية تتعلق بالإبن الإلهى المخلّص الذى يتعارض مع طبيعة الشعب المختار

## ■ السبب الحقيقى وراء رفض الشعب المختار للإبن الإلهى :

- ○ الفرعون ابن إلهى يجمع بين الناسوت واللاهوت
- ○ كيفية تغلب الشعب المختار بتضخم ذاته أى بناسوته على الفرعون الذى يساند اللاهوت ناسوته وعلاقة ذلك بتغلب يعقوب على «إيل»

## ■ السبب الحقيقى وراء انهيار مملكة الشعب المختار

- ○ الملك يمثل الإبن الإلهى المرفوض من الشعب المختار

○ الفرعون إبن الإثم الذى أذل الشعب المختار يقابله الملك الذى يحكم الشعب المختار

○ داود ابن زنا

## ■ السبب الحقيقى وراء الوقوع فى الأسر من جديد

○ الشعب المختار ينكر نور «يهوه» فيعاقبه بدمار مملكته وبالشتات

○ الاعتراف ببناء مملكة الشعب المختار على أساس قَبَلى

○ الشعب المختار يتمسك بالخروج الوهمى على حساب الخروج الفعلى

○ تعويض نقص نجمة داود فى الكابالا

## ازدواج ربوبية الشعب المختار

بينا في الفصل السابق كيفية إعلاء «الرب» في الثالوث المختار وهو مايعني إعلاء الشعب المختار صاحب لقب «الرب» .. وكما بينا سابقا فإن ربوبية الشعب المختار تتعلق بالشعور الجمعي واللاشعور الجمعي .. وقد نتج عن ذلك ازدواج في مفهوم «الرب» فأصبح هناك ربان : رب يخص الشعور الجمعي ورب يخص اللاشعور الجمعي .

والشعور الجمعي يتعلق بالوعي ومن ثم يتعلق بالثالوث الأصلي الذي عرفه الشعب المختار قديما وهو الثالثو اليهودي الذي يرأسه الإله «إيل» .. وعلى هذا فإن «الرب» الذي يخص الشعور الجمعي يعتبر إلها للشعب المختار .

وأما اللاشعور الجمعي فهو يتعلق باللاوعي ومن ثم يتعلق بالثالوث المختار الذي لايعرفه الشعب المختار بدليل أننا توصلنا إليه نتيجة توصلنا إلى فكرة ربوبية الشعب المختار .. وعلى هذا فإن «الرب» الذي يخص اللاشعور الجمعي يعتبر الشعب المختار ذاته .

وهكذا نكون بصدد ازدواجية تجمع بين ربين : رب إله للشعب المختار ورب يمثل الشعب المختار .. وكما رأينا فإن «الرب» ممثل الشعب المختار عندما أعلى نفسه في الثالوث المختار قد أعلى نفسه أيضا في الثالوث الأصلي حيث احتل مكان الإله (إيل) .. وبهذا يتكشف لنا بعد جديد لربوبية الشعب المختار وهو ازدواج شخصية الشعب المختار حيث الشخصية (الأصلية) يمثلها الإله «إيل» الذي احتل «الرب» مكانه وحيث الشخصية (الثانوية) يمثلها الشعب المختار الذي يمثله «الرب» .. وكما يحدث في ازدواج الشخصية يدور صراع بين الشخصية (الأصلية) والشخصية (الثانوية) بهدف تغلب الثانية على الأولى واحتوائها .. وطبقا لموضوعنا فإن الصراع يدور بين الإله «إيل» صاحب الثالوث الأصلي وممثل الشخصية (الأصلية) وبين «الرب» أو الشعب المختار صاحب الثالوث المختار وممثل الشخصية (الثانوية) التي ـ كما رأينا ـ تغلبت على الشخصية (الأصلية) باحتواء «الرب» للإله «إيل» وهو ما ينطبق على قصة الصراع الذي دار بين يعقوب و «إيل» والذي انتهى بتغلب يعقوب عليه .

فقصة الصراع هذه تعتبر بداية ازدواج الشخصية لدى الشعب المختار المتمثل في شخص يعقوب حيث قال له «إيل» : «لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل» [(١)] ومن ثم كانت تسمية أبناء يعقوب «بني اسرائيل» (الشعب المختار) .. وكلمة إسرائيل أصلها العبري «صرع ـ إيل» .. وقد توصلنا من خلال ازدواجية «الرب» إلى وجود ربين: رب يمثل الشعب المختار ورب إله للشعب المختار وهو الإله «إيل» .. وعلى هذا نعود إلى عبارة «صرع ـ إيل» التي تعني «صارع إيل» لنجد أن الصارع هو «الرب» ممثل الشعب المختار وأن المصروع هو «الرب»

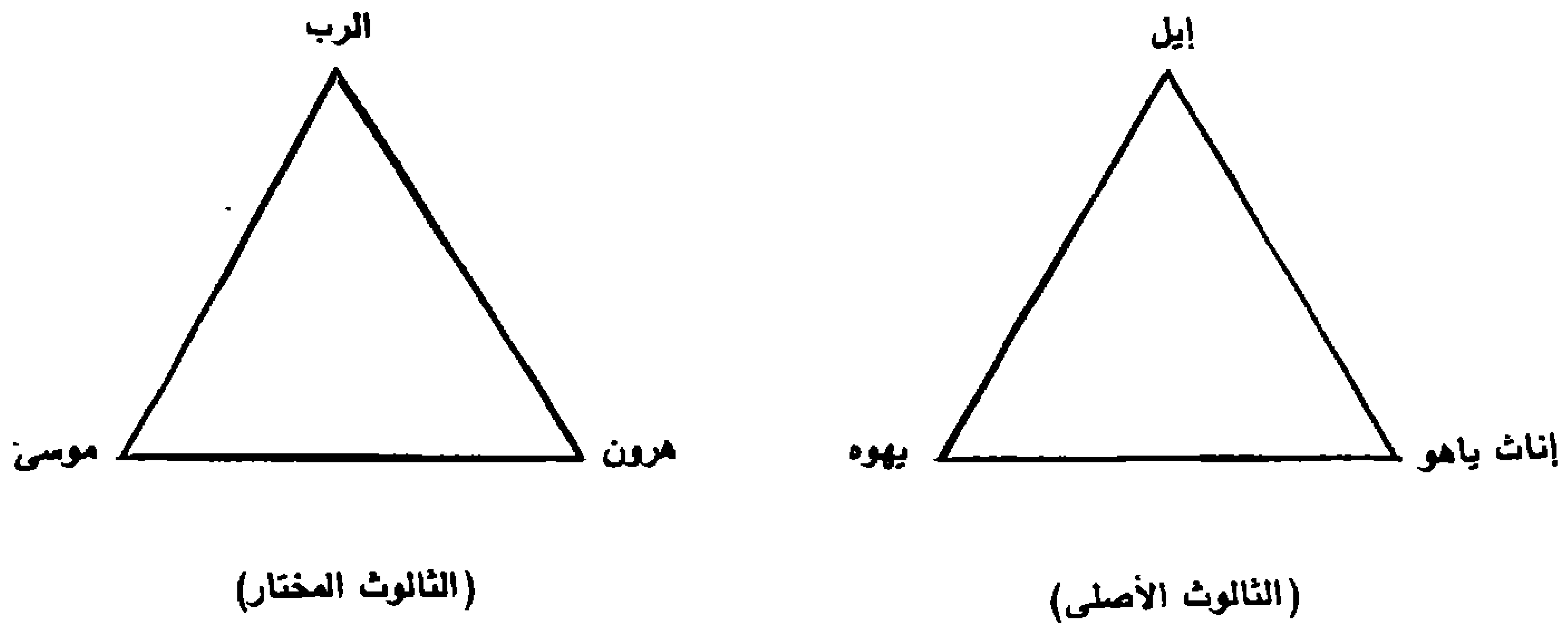
---

(١) «تكوين» (٣٢ ـ ٢٨)

ممثل الإله «إيل» .. وقد توصلنا إلى ازدواج شخصية «الرب» نتيجة توصلنا إلى إعلاء «الرب» فى الثالوث المختار وبالتالى احتلاله مكان «إيل» فى الثالوث الأصلى .. وعندما نعود إلى ما حدث فى ازدواج الشخصية من غلبة الشخصية (الثانوية) على الشخصية (الأصلية) ونقابله بإعلاء «الرب» على «إيل» واحتوائه له فسنجد أن (الغلبة) = (الإعلاء) .. وعلى هذا فكلا المعنيين يخصان ازدواج شخصيـــة «الرب» أو الشعب المختار الذى جمع بين ربين : أحدهما يمثل الشعب والآخر يمثل الإله .. وهو ماتعبر عنه نجمة داود رمز الشعب المختار .

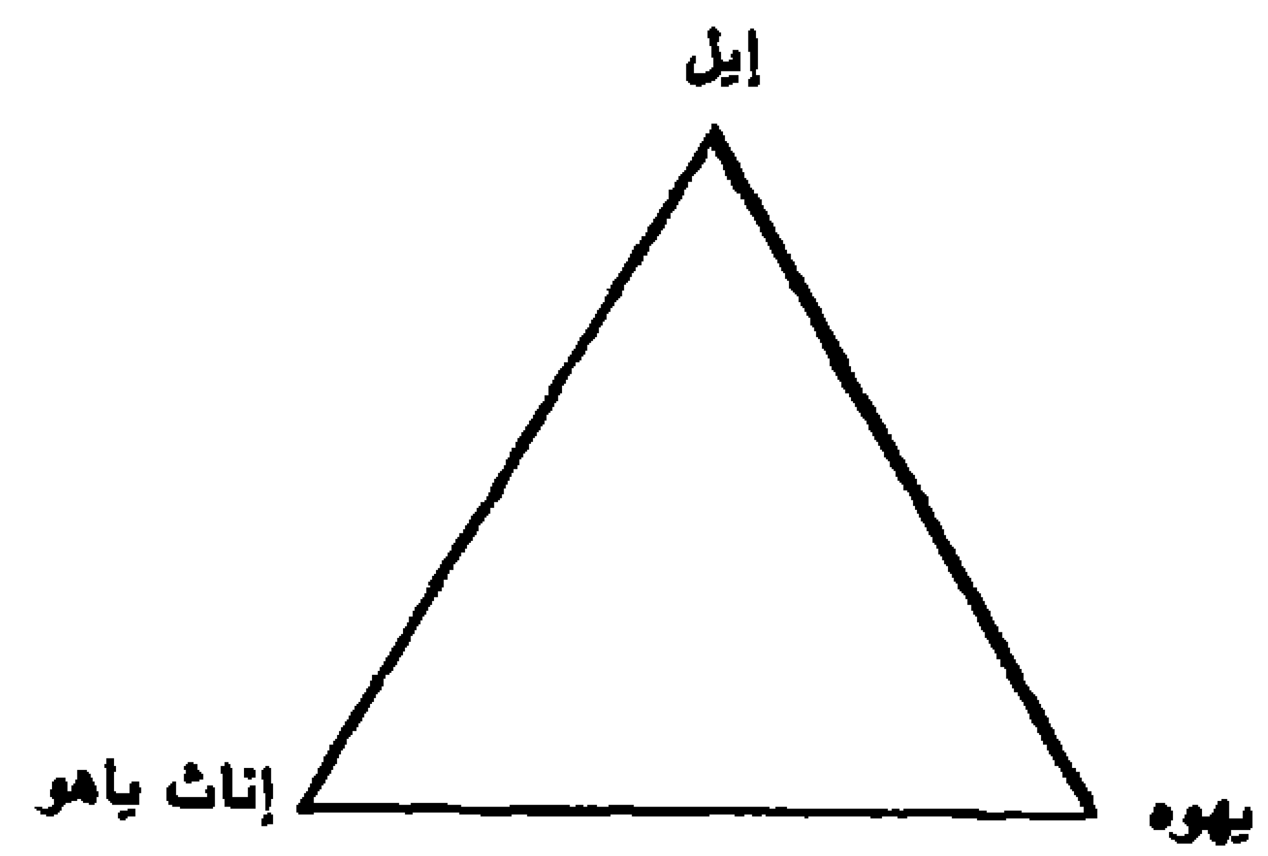
## قراءة فى نجمة داود

انتهينا إلى أن نجمة داود تعبر عن ازدواج شخصية «الرب» ممثل الشعب المختار .. وسوف نبين ذلك من خلال طرفى ازدواج الشخصية وهما الشخصية (الأصلية) المتمثلة فى الثالوث الأصلى والشخصية (الثانوية) المتمثلة فى الثالوث المختار .. حيث نعبر عن هذين الثالوثين كما فى (شكل ١٢) .

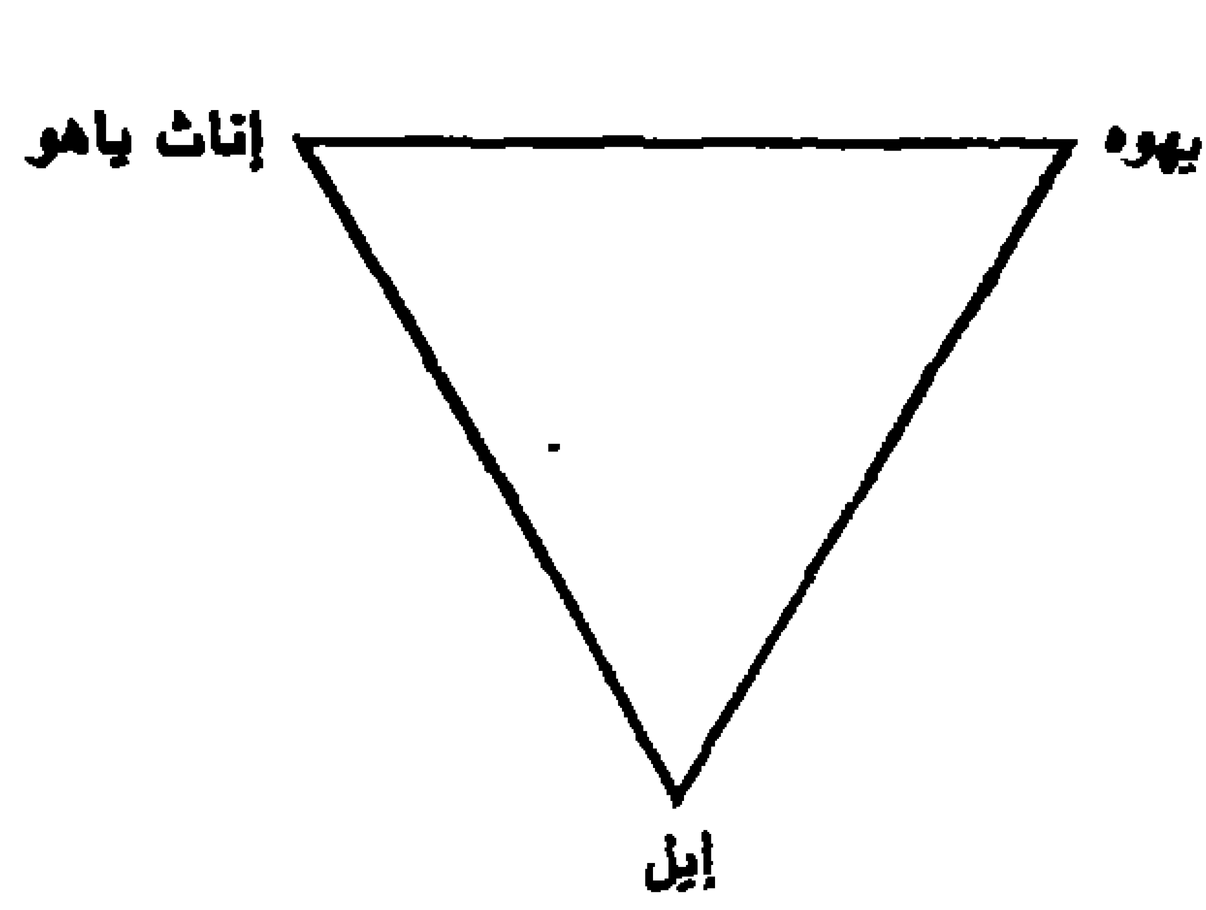



**(شكل ١٢)**

وباعتبار غلبة «الرب» على «إيل» فسوف نطبق على الثالوث الأصلى مبدأ تقديم (الإبن) على (الأم) فى الثالوث المختار (شكل ١٣ أ) ثم باعتبار إعلاء «الرب» على «إيل» سنقلب مثلث الثالثوث الأصلى (شكل ١٣ ب) .



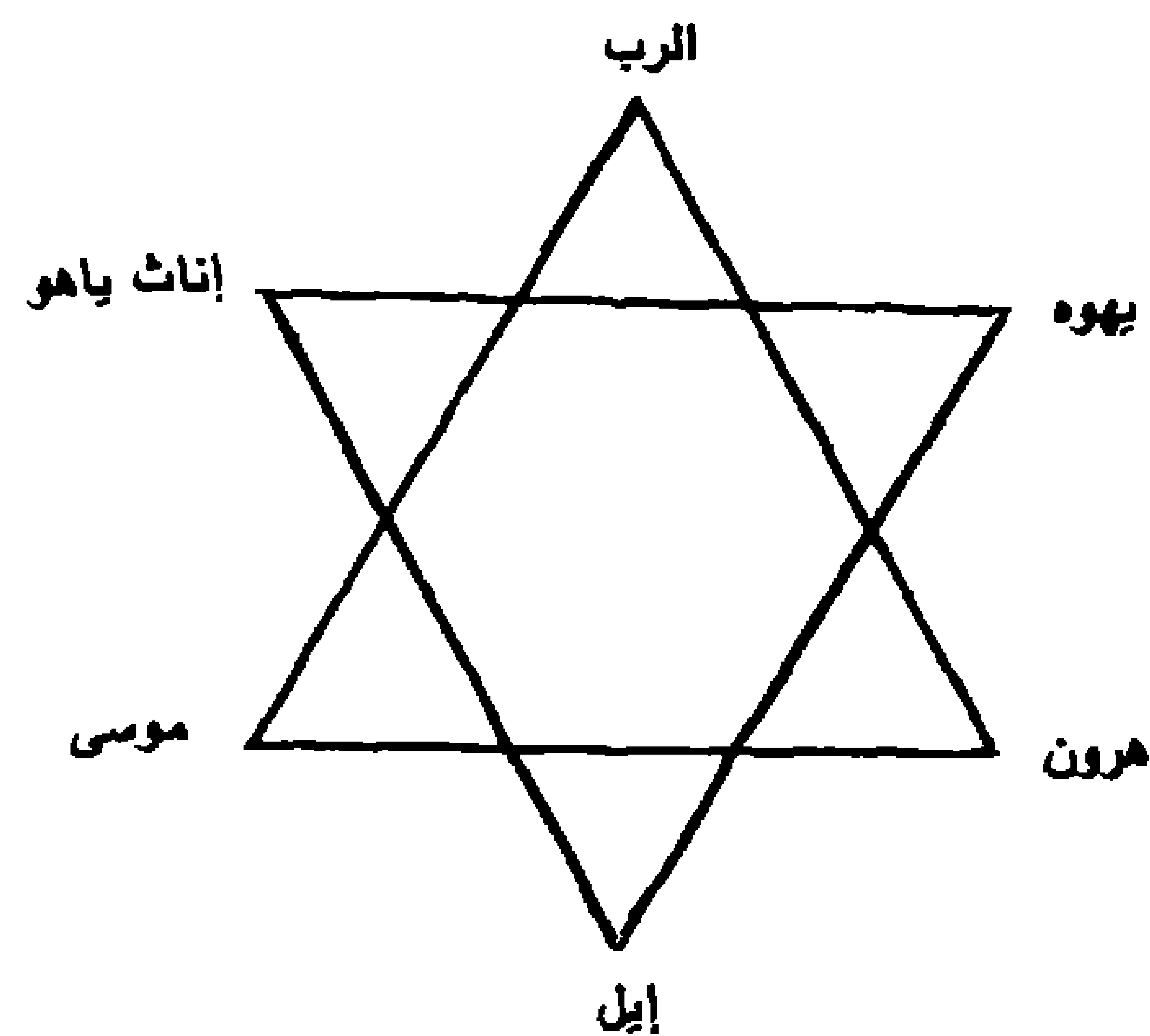
(أ)



(ب)

(شكل ١٣)

ثم باعتبار احتواء «الرب» للإله «إيل» ومن ثم احتواء الثالوث المختار للثالوث الأصلى سنضع المثلث المختار على المثلث الأصلى لنجد أمامنا الشكل المعروف لنجمة داود (شكل ١٤) .



(نجمة داود)

(شكل ١٤)

وهكذا تمثل نجمة داود ازدواج شخصية الشعب المختار حيث تجمع بين الشخصية (الأصلية) المتمثلة فى الثالوث الأصلى والشخصية (الثانوية) المتمثلة فى الثالوث المختار .. وحيث تغلبت الشخصية (الثانوية) على الشخصية (الأصلية) واحتوتها بأسلوب مبدأ قلب الأوضاع الذى عرضناه .

والملك داود الذى سميت النجمة باسمه يعتبر أول من جعل الشعب المختار شعبا بالفعل إذ أنه أول من وحد القبائل داخل إطار دولة.. والشعب شرط قيام الدولة .. وكما نعرف فإن قيام الشعب يعنى تحقيق الذات .. و(تحقيق الذات) = (العقل الجبرى + العقل الاختيار) = (الهوية القمرية + الهوية الشمسية) = (الهوية العبرية + الهوية المصرية) وحين نطبق ذلك على النجمة التى توصلنا إليها نجدها ناقصة بمعنى عقيمة ومن ثم لاتحق نسبتها الى داود إذ أنها تتكون من مثلثين أى ثالوثين برأس كلا منهما أقنوم قمرى الهوية .. وبالتالى فهى كرمز لازدواج الشخصية تجمع بين طرفين كل منهما قمرى الهوية .. وعلى هذا فإن احتواء طرف للطرف الآخر - مقابل احتواء الشخصية (الثانوية) للشخصية (الأصلية) - يتمخض عن شخصية قمرية تنقصها الهوية الشمسية شرط التحول إلى شعب .. وبعبارة أخرى وباعتبار أن الهوية القمرية (ذكر) والهوية الشمسية (أنثى) فإن النجمة بوضعها الحالى تمثل ازدواج شخصية يجمع بين طرفين كل منهما ذكر وعلى هذا فان احتواء الشخصية (الثانوية) للشخصية (الأصلية) يعنى احتواء ذكر لذكر ومن ثم فهو ازدواج شخصية عقيم ينقصه عنصر الأنثى ليتحول إلى تعدد الشخصية الثلاثى الذى ينتج عنه الشخصية (الثالثة) أى ينتج عنه التحول إلى شعب .

ومجمل القول فإن النجمة بهذا الوضع تقابل الوضع الذى سبق أن تناولناه بشأن آدم التوراتى وأيضا التلمودى الذى يرفض حواء بسبب رفض الشعب المختار لـ (الذات الشمولية) .

ومع ذلك فهذه النجمة بوضعها العقيم الذى شرحناه كان لها دور مرحلى فى التحول إلى شعب وبدونه ماكان التحول ليتم .. ومانعنيه هو تحول الشعب المختار إلى شعب قبل أن يكون شعبا بالفعل وذلك عن طريق منح نفسه صفة الربوبية التى واجه بها العبريون وضعهم فى مصر والتى كانت بمثابة الشحنة النفسية التى ساعدتهم على التخلص من الأسر .. فكما رأينا فإن الربوبية نتجت عن تغلب الشخصية (الثانوية) المتمثلة فى «الرب» ممثل الشعب المختار على الشخصية (الأصلية) المتمثلة فى الإله «إيل» ومن ثم احتواء «الرب» للإله ومن ثم تحول لقب الشعب المختار من «الرب» إلى «الرب الإله» لقب الفرعون .. وبهذا أصبح العبريون المأسورون فى مصر ندا للفرعون عن طريق الربوبية .

ومن ناحية أخرى سبق أن توصلنا بشأن ربوبية الشعب المختار إلى أن العبريين لكى يكونوا ندا للفرعون نسبوا إليه وأيضا إلى أنفسهم لقب «الرب» البشرى وذلك كحل وسط يقرب الإله من مستوى البشر ويقرب البشر من مستوى الإله .. وعلى هذا فإن احتواء «الرب» للإله

«إيل» الذى نتج عنه لقب الفرعون (الرب الإله) يجعل من «إيل» مقابلا للفرعون ومن ثم يصبح معنى إسرائيل (مصارع أو صارع الإله «إيل») (مصارع أو صارع الفرعون) وبالتالى يصبح معنى بنى إسرائيل (الشعب الذى صارع الفرعون) وصرعه .. وهذا ماقصدناه بقولنا إن الربوبية كانت بمثابة الشحنة النفسية التى ساعدت العبريين على التخلص من الأسر ومن ثم التحول إلى شعب.

وبهذا المنطق الذى قدمناه بشأن الدور المرحلى لنجمة داود فإن التحول إلى شعب بالفعل يستدعى تحول الربوبية من المستوى النفسى(الوهمى) إلى المستوى الفعلى (الحقيقى) .. ولكى يتحقق هذا يجب على الشعب المختار القمرى الهوية أن يتعامل مع الهوية الشمسية شرط تحقيق الذات .. وبعبارة أخرى يجب على ازدواج شخصية الشعب المختار أن يجمع بين الذكر والأنثى حتى يتخلص من العقم ويتحول من شعب بالوهم إلى شعب بالفعل .. ولكن المشكلة أن هذا يتعارض مع تضخم الذات لدى الشعب المختار .. ولكى نوضح ذلك سنبين الفرق بين الربوبية وتضخم الذات .

## الشعب المختار يفضل تضخم الذات على الربوبية

كما رأينا فى تحليلنا لنجمة داود فإن الربوبية نتجت عن احتواء «الرب» للإله «إيل» ومن ثم نتج عن ذلك لقب (الرب الإله) .. فى حين أن تضخم الذات نتج عن مضاعفة «الرب» بعد أن أضيف إليه «الرب» الموجود فى (الرب الإله) الذى أصبح بذلك (الإله) فقط بينما أصبح «الرب» (الـــربx٢) [(١)] .. ومعنى ذلك أن تضخم الذات ينتج عنه استقلال الإله «إيل» عن «الرب» وهذا يتعارض مع احتواء «الرب» للإله «إيل» فى حالة الربوبية .. واحتواء «الرب» للإله «إيل» هو الطريق إلى التعامل مع الهوية الشمسية وذلك عن طريق أقنوم (الأم) الذى تمثله «إناث ياهو » فى الثالوث الأصلى (إيل . إناث ياهو . يهوه) .. ولكن هذا الثالوث انعدمت فعاليته بسبب تقديم أقنوم (الإبن) على أقنوم (الأم) أسوة بنظام الثالوث المختار الذى احتواه والذى تم فيه تقديم أقنوم (الإبن) هرون على أقنوم (الأم)موسى الذى يقابل أقنوم «إناث ياهو» فى الثالوث الأصـــلى (راجع شـــكل ١٢) و (شكل ١٣ أ) وانعدام فعالية أقنوم (الأم) نتيجة تقديم أقنوم (الإبن) عليه يأتى من حتمية أسبقية وجود الأم على وجود الإبن .. ومعنى ذلك أنه لكى يسترد أقنوم (الأم) فى الثالوث الأصلى فعاليته يجب إعادته إلى مكانه الأصلى السابق على أقنوم (الإبن) .. وهذا ماتأباه طبيعة الشعب المختار ومن ثم يفضل تضخم الذات على الربوبية .

ولتفسير ذلك سنبين فرقا آخر بين الربوبية وتضخم الذات أى بين (الرب الإله) و (الرب x٢) فباعتبار أن «الرب» لقب ناسوتى و (الإله) لقب لاهوتى فإن الفرق بين الربوبية وتضخم الذات يتمثل فيما يلى :

---

(١) راجع الفصل الثامن تحت عنوان «تأليه ذات الشعب المختار على حساب يهوه»

الربوبية = (الرب الإله) = (الرب + الإله) = (ناسوت + لاهوت)

تضخم الذات = (الرب ×٢) = (ناسوت × ٢) .

ومن ذلك يتضح أن الربوبية تجعل الشعب المختار فى حاجة إلى الإله بينما تضخم الذات يجعله مكتفيا بذاته أى بناسوته .. كما وأن الربوبية تجمع بين الناسوت واللاهوت وهما صفتا الإبن الإلهى المخلِّص الذى يرفضه الشعب المختار كما سبق أن بينا بشأن رفض الإبن جرشوم بناء على رفض الإبن «حوريس» .

فالمخلِّص الإلهى لايتفق وطبيعة الشعب المختار ولهذا نجد فى سفر القضاة - وهم بشر - «إن القضاة جميعا كان يطلق عليهم المخلِّص» [١] .. «وهذا اللفظ نفسه هو الذى استخدمه بنو إسرائيل فى وصف المسيح عيسى بن مريم فى الأناجيل الأربعة . وهذا يعنى أنهم لم يعرفوا المسيح باعتباره إلها بل ذكرهم بالقضاة المخلّصين» [٢] وفى هذا تفسير لموقف اليهود من المسيح كمخلّص يجمع حسب الفكر المسيحى بين الناسوت واللاهوت حيث أنه ابن الله [٣] .. بل إن الشعب المختار كما رفض «حوريس» واعتبره ابن سفاح مما يعنى إلغاء صفته اللاهوتية وولادته بمعجزة إلهية .. فهو يفعل المثل مع المسيح حيث «يدعى التلمود أن المسيح عليه السلام هو ابن الجندى يوسف بنديرا وقد حملت منه مريم (العذراء) قبل زواجها» [٤] .

## السبب الحقيقى وراء رفض الشعب المختار للإبن الإلهى

وطبقا لمنهج بحثنا الذى يرجع طبيعة وتصرفات الشعب المختار إلى عقدة الأسر بمصر ومن ثم كراهيته الشديدة للفرعون .. فقد آن الأوان لنبين السبب الحقيقى الكامن وراء رفضه للإبن الإلهى .. وهو أن الفرعون يعتبر إبنا إلهيا .. ومثال ذلك قول «إخناتون» للإله «آتون» «ليس هناك واحد يعرفك إلا ابنك «إخناتون» [٥] ومما يزيد كراهية الشعب المختار للفرعون «إبن الإله» أن أباه يجعل كل البشر فى خدمته «فإنك تجعل كل كف تنشط لأجل الملك» [٦] .. وهذا يتضمن كفوف العبريين المأسورين لدى الفرعون .. بل إن الإله الأب خلق العالم خصيصا لأجل ابنه الفرعون «لأنك خلقت العالم وأوجدتهم لابنك» [٧] وهذا يتعارض مع طبيعة الشعب المختار الذى

---

(١) مثال ذلك «وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام الرب مخلِّصا لبنى إسرائيل عثنيئيل بن قناز أخا كالب الأصغر» (قضاة ٣:٩)

(٢) « التناقض فى تواريخ وأحداث التوراه» (هامش ص ٣٠٧) .

(٣) جاء فى جريدة الأخبار الصادرة فى ١٩٩٤/٨/١٧ خبر منقول عن صحيفة «انديندانت» البريطانية عن كتاب للوزير البريطانى السابق أنوك باديل جاء فيهأن المسيح لم يصلب على أيدى الرومان بل رجم بتهمة التجديف لمطالبته بأن يسمى «ابن الله» .. ونضيف إلى ذلك ماجاء فى التلمود من أن المسيح «رمى بالأحجار ثم صلب مساء عيد الفصح» «التلمود شريعة بنى إسرائيل (ص ٢٥)

(٤) «التلمود شريعة بنى إسرائيل (ص٢٥)

(٥) «فجر الضمير» (ص ٣٠٧)

(٦) «فجر الضمير» (ص ٣٠٧)

(٧) «فجر الضمير» (ص ٣٠٧)

يرى أنه هو العالم حيث نجد فى التلمود أن «من قتل يهوديا فكأنه قتل العالم أجمع .. ومن تسبب فى خلاص يهودى فكأنه خلص العالم (أجمع) [١] .

وهكذا يرجع رفض الشعب المختار للإبن الإلهى إلى كراهيته للفرعون الإبن الإلهى .

ومن ناحية أخرى فإن بنوة الفرعون للإله تجعله يستمد منه قوته أى تجعله فى حاجة إلى إله .. وهو نفس وضع الشعب المختار فى حالة الربوبية التى تجعله ـ كما قلنا ـ فى حاجة إلى إله بينما تضخم الذات يجعله مكتفيا بذاته .. أى بناسوته .. ومعنى هذا أن تضخم الذات يجعل الشعب المختار فى وضع متميز على وضع الفرعون وذلك بعكس الربوبية التى تجعل الشعب المختار ـ كما سبق أن بينا ـ ندا للفرعون .

وأخيرا يكفى أن نشير الى ماسبق أن توصلنا اليه وهو أن الربوبية = (الرب الإله) لقب الفرعون .. وهذا وحده يكفى لأن يفضل الشعب المختار تضخم الذات على الربوبية .

ومن ناحية أخرى فإن تفضيل الشعب المختار لتضخم الذات على الربوبية يرجع إلى انتهاء دور الربوبية فى تحويل الشعب المختار إلى شعب قبل أن يكون شعبا بالفعل وذلك بهدف مواجهة أسر الفرعون له .. وهو كما قلنا دور إيحائى نفسى جعل الشعب المختار ندا للفرعون بعكس دور تضخم الذات الذى يجعل الشعب المختار متميزا على الفرعون وبالتالى قادرا على التغلب عليه تمهيدا للانتقال من مرحلة التحول الإيحائى إلى شعب إلى مرحلة التحول الفعلى .

والسؤال الآن : كيف تغلب الشعب المختار بتضخم ذاته أى بناسوته على الفرعون الذى يساند اللاهوت ناسوته .. وهو مايعنى : كيف تغلب الإنسان على الإله ؟

الاجابة نجدها فى الصراع الذى دار بين يعقوب والإله «إيل» وتغلبه عليه والذى نتج عنه أن اسم يعقوب صار (إسرائيل) أى (مصارع الإله «إيل» ) .. وإسرائيل يعنى الشعب المختار صاحب الثالوث المختار الذى يرأسه «الرب» والذى عن طريقه تم احتواء الثالوث الأصلى الذى يرأسه «إيل» .. وكما قلنا فإن احتواء «الرب» للإله «إيل» ينتج عنه لقب (الرب الإله) ومن ثم يجعل من «إيل» مقابلا للفرعون وعلى هذا فإن معنى إسرائيل (مصارع الإله «إيل») يصبح (مصارع الفرعون) ومعنى بنى اسرائيل يصبح (الشعب الذى صارع الفرعون) وصرعه [٢] .. وهكذا يكون الشعب المختار قد ضحى بإلهه «إيل» من أجل أن يتغلب على (الرب الإله) ممثل الفرعون .. وكما

---

(١) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» (ص ٣٠) .

(٢) فى كتابه القيم «من إعجاز القرآن» يقدم الأستاذ رءوف مسعد فى الجزء الأول بحثا بشأن الاسم «اسرائيل» حيث يبين عدم صحة تفسيره التوراتى «مصارع الله» وينتهى الى أن تفسيره الصحيح هو «اصر الله» ـ والاصر يعنى العهد والميثاق ـ مستشهدا بالآية «كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل إلا ماحرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة» (آل عمران ٩٣) ولكننا بحكم موضوع بحثنا نلتـزم بتفسير التوراة الذى يجعل يعقوب يصارع (الله) التوراتى الذى هو الإله القمرى «إيل» والـــذى تصفه التوراة بأنه إنسان « وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر» (تكوين ٣٢ :٢٤) وعلى هذا فإن «الله» هنا غير الله

احتوى (الرب) ممثل الشعب المختار الإله «إيل» بتغلبه عليه فكذلك احتوى الشعب المختار (الرب الإله) (الفرعون) بتغلبه عليه .. وباعتبار أن (الرب الإله) يخص الربوبية يكون الشعب المختار قد استعاد ربوبيته باحتوائه لها بعد أن كان قد ضحى بها من أجل تضخم ذاته .. ولكنها الآن ربوبية تخص الفرعون الذى يرفضه الشعب المختار .. ولكن لأنه يحتويها فهو يتحكم فيها عن طريق مبدأ قلب الأوضاع فيعكس (الرب الإله) إلى (الإله الرب) بمعنى أنه يجعل نفسه إلها مكان إله الفرعون ويجعل نفسه ملكا بدلا من الفرعون .. وباعتبار أن الفرعون ابن الإله يصبح الملك ابن «الرب» وهو مانجده فى قول «الرب» عن الملك داود : «هو يدعونى أبى أنت . إلهى وصخرة خلاصى» [1] و «أنا أكون له أبا وهو يكون لى إبنا» [2] .. وكذلك يقول «الرب» عن الملك سليمان: «وهو يكون لى إبنا وأنا له أبا» [3] .

وهكذا أصبح «الرب» ممثل «الأب» فى الثالوث المختار هو المخلِّص بدلا من (الإبن) .. وكما رأينا فإن السبب الأصلى وراء ذلك هو كراهية الشعب المختار للفرعون وبالتالى رفض الإبن الإلهى الذى يمثله .. ولتبرير هذا الرفض وصم الإبن الإلهى «حوريس» ـ وبالتالى المسيح [4] ـ بأنه ابن إثم بينما المبرر الحقيقى هو أن الفرعون الإبن الإلهى قد أذل الشعب المختار بأسره .. ومن هنا نفهم من قول «الرب» عن داود : «لا يرغمه عدو وابن الا ثم لا يذ لله» [5] - نفهم أن المقصود بابن الإثم هو الفرعون .

## السبب الحقيقى وراء انهيار مملكة الشعب المختار

نخلص مما سبق بأن الشعب المختار بسبب رفضه الإبن الإلهى المخلِّص الذى يجمع بين الناسوت واللاهوت قد فرق بين هاتين الصفتين بأن جعل نفسه مخلِّصا بصفته (الأب) (الإله) وجعل داود ملكا بصفته (الإبن) (الإنسان) وبهذا عاد فى شخص الملك شخص الإبن الإلهى المرفوض الذى يجمع بين الناسوت واللاهوت .. وباعتبار أن صفة الإبن الإلهى مشتركة بين الفرعون والملك فمعنى ذلك أن الفرعون الذى يحكم باسم الإله يقابله الملك الذى يحكم باسم الشعب المختار .. ولكن يبقى فرق بين الوضعين وهو أن الفرعون يحكم الشعب المصرى باسم الإله بينما الملك يحكم الشعب المختار باسم الشعب المختار .. أى أن الشعب المختار عندما جعل نفسه مخلِّصا بصفته (الأب) بدلا من (الإبن) جعل نفسه حاكما ومحكوما .. والذى يحكمه هو الإبن الإلهى الفرعون .. وهكذا أصبح الفرعون إبن الإثم الذى أذل الشعب المختار يقابله الملك الذى يحكم الشعب المختار .. وهو ملك ينتسب إلى الإثم .. «حيث نقرأ فى نسب داود أن جده

---

(١) «مزامير» (٨٩ : ٢٦)
(٢) «صموئيل الثانى» (٧ : ١٤)
(٣) «الأيام الأول» (٢٢: ١٠)
(٤) راجع مايخص الهامش ٤ ص ٣٤٦
(٥) «مزامير» (٨٩: ٢٢)

العاشر هو فارص بن يهوذا الذى قالت عنه التوراة إنه إبن زنا» [1] وهى شهادة مستغربة من التوراة إذ أنها تصم نسب داود بنفس الوصمة التى نسبها الشعب المختار إلى الفرعون مما يجعلنا نقول إن هذه الشهادة جاء ت نتيجة رفض الشعب المختار للملك لأنه أصبح ابنا إلهيا مثله مثل الفرعون وبالتالى فإن «الرب» ممثل الشعب المختار يتبرأ منه حسبما ورد فى سفر التثنية (٢٣ : ٢) : «لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر» حيث يسرى هذا الحكم على الملك داود بحكم أن جده العاشر ابن زنا .. فلا عجبب إذن أن انهارت مملكة الشعب المختار حيث عاد إلى الأسر من جديد فيما يسمى بالشتات البابلى .

## السبب الحقيقى وراء الوقوع فى الأسر من جديد

أياما كانت الأسباب التى أدت الى الشتات البابلى وعودة الشعب المختار إلى الأسر من جديد .. ففى رأينا أنها ترجع أصلا إلى الأساس الذى بنى عليه الشعب المختار مملكته .. ذلك الأساس العقيم المتمثل فى نجمة داود التى كان المفروض باعتبارها رمزا للمملكة أن تمثل تحول الشعب المختار الفعلى إلى شعب وليس التحول الوهمى الذى واجهت به القبيلة العبرية فترة الأسر قبل الخروج من مصر .. ولكن هذا التحول الوهمى ظل يلازم الشعب المختار بعد الخروج وحتى قيام المملكة الذى يعنى قيام شعب .. وذلك بسبب رفض الهوية المصرية شرط التحول الفعلى إلى شعب وبالتالى رفض الإبن الإلهى الذى يمثله الفرعون وبالتالى رفض الإبن الإلهى المخلِّص ومن ثم جعل الشعب المختار نفسه الإله المخلِّص وأقام مملكته على هذا الأساس منكرا بذلك دور الإبن المخلص «يهوه» فحق عليه العقاب بدمار مملكته وبالشتات .. «لذلك كان الدمار والشتات فى رأى الأنبياء هو من فعل الإله يهوه ليعاقب شعبه المختار الذى خرج على عهده» [2] .. ثم نجد بعد ذلك «أن أنبياء بنى إسرائيل يعلنون بقوة سيادة «يهوه» على سيادة الملك عندهم » [3] .

وفى رأينا أن موقف الأنبياء هذا يمثل الإدراك اللاشعورى لدى الشعب المختار لما أدت إليه ربوبيته من استمرار تحوله الوهمى إلى شعب ومن ثم إقامة مملكته على أساس تغلب عليه القبلية بدليل أنها سرعان ما أنقسمت إلى مملكتين ـ يهوذا وإسرائيل ـ حيث شب الصراع بين رؤساء القبائل .. وما يعزز قولنا بأن شهادة الأنبياء الذين ظهروا فى تلك الفترة تمثل الإدراك اللاشعورى لدى الشعب المختار بأن انهيار مملكته يرجع إلى استمرار تحوله الوهمى إلى شعب منذ أن كان بمصر ـ مايعزز قولنا هذا أننا نجد «الرب» الذى أعتاد أن يخاطب القبيلة العبرية بمصر بوصفها شعبا – نجده الآن يعترف بحقيقة أنها قبيلة وذلك على لسان النبى عاموس : «اسمعوا هذا القول الذى تكلم به الرب عليكم يابنى اسرائيل على كل القبيلة التى أصعدتها من

(١) «التوراة» (ص٧٦)

(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية الى الإسلام» (ص٣٥)

(٣) «فجر الضمير(ص ٢٣١)

أرض مصر ... ولذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم [1] .. فباعتبار أن «الرب» يمثل الشعب المختار نترجم هذا القول بأن الشعب المختار قد أدرك خطأه حين استمر على وهمه فى التحول إلى شعب وهو لم يزل قبيلة بعد ومن ثم فهو يعترف بخطئه هذا ويعاقب نفسه على الذنوب التى أرتكبها نتجية تمسكه بهذا الوهم .

وهنا نتساء ل : لماذا تمسك الشعب المختار بوهم التحول إلى شعب رغم إعاقة هذا الوهم لتحوله الفعلى الى شعب ؟ ونجيب عن السؤال بالآتى : فكما قلنا سابقا فإن وهم التحول إلى شعب كان نتيجة إيحاء ذاتى لاشعورى من أجل حث القبيلة الأسيرة فى مصر على الخروج إلى حيث التحول الفعلى إلى شعب وهو مايعنى تحقيق الذات .. وطبقا لمنهجنا فى تفسير تصرفات الشعب المختار انطلاقا من عقدة الأسر فسوف نتوقف عند الفرق بين القبيلة العادية والقبيلة الأسيرة حيث تحقيق الذات عند الأولى يدخل فى عداد الممكن وعند الثانية يدخل فى عداد المستحيل .. ومن طبيعة البشر أنهم فى مواجهة الممكن يعتمدون – على أنفسهم فى تحقيق هدفهم وفى مواجهة المستيحل يلجأون إلى القوى الغيبية .. وهذا مافعلته القبيلة العبرية عن طريق الإيحاء النفسى بأن الإله قد منحها ذاتها .. ولأنه إيحاء ذاتى أى لادخل فيه للإله فمعنى ذلك أن القبيلة هى التى منحت نفسها ذاتها .. ولأن تحقيق ذات القبيلة الأسيرة يدخل فى عداد المستحيل ومن ثم يحتاج إلى إله لتحقيقه فمعنى ذلك أن القبيلة العبرية عندما منحت نفسها ذاتها قد قامت بدور الإله .. ومن هنا كانت الذات الإلهية للقبيلة العبرية التى نتجت عنها ربوبية – أو ألوهية – الشعب المختار .. ولأنها ربوبية مبنية على الإيحاء الذاتى الذى لادخل فيه للإله فهو شعب مختار ذاتيا أى شعب اختار نفسه بنفسه .. وهكذا عن طريق هذه التركيبة الإيحائية المعقدة استطاعت القبيلة الأسيرة أن تحول تحقيق الذات المستحيل إلى الممكن وهو مايعنى تغلبها على الأسر وتحولها إلى شعب حتى قبل خروجها من مصر أى وهى مازالت قبيلة وأسيرة .. وهو وهم يتعارض مع الواقع أى مع خروج القبيلة الأسيرة من مصر على يد موسى المصرى الهوية .. وبهذا يصبح الشعب المختار بصدد خروجين : الأول (وهمى) ويتعلق بهويته العبرية والآخر (فعلى) ويتعلق بهوية عدوه المصرية .. ومن هنا كان تمسكه بالخروج الوهمى على حساب الخروج الفعلى .. ولكن لأن الخروج الفعلى يفرض وجوده كواقع فقد أضفى عليه الشعب المختار هويته العبرية .. ومن هنا كان ازدواج هوية موسى الذى سبق أن تناولناه .. وذلك الذى فعله الشعب المختار لم يكن عن وعى إذ أن الخروج الوهمى يتعلق باللاشعور والخروج الفعلى يتعلق بالشعور .. ولأن اللاشعور يحكم الشعور فقد ظل الوهم يحكم الشعب المختار منذ خروجه من مصر حتى إقامة مملكته .. ولأن مابنى على وهم هو وهم فقد كان من الطبيعى أن تنهار المملكة وأن يعود الشعب المختار إلى الأسر من جديد .. أو بعبارة أدق أن يظل فى الأسر كما كان .. وما نعنيه هو أن رفض الشعب

---

(١) «عاموس» (٣: ١. ٢)

المختار للهوية المصرية الناتج عن عقدة الأسر بمصر ظل يلازمه حتى بعد الخروج حيث تخلص من الأسر المصرى وظل أسيرا لرفض الهوية المصرية .. ولأن تحقيق الذات هو سبيل الخلاص من أسر الهوية المرفوضة .. ولأن الهوية المرفوضة هى شرط تحقيق الذات .. فمعنى ذلك أن الهوية المصرية تجمع بالنسبة للشعب المختار بين الداء والدواء .. ومن ثم كان عليه من أجل تحقيق ذاته أن يتقبل الإثنين معا .. وهذا مافعله عن طريق فلسفة الكابالا التى عوض بها النقص الموجود فى نجمة داود الذى أدى إلى سقوط المملكة بسبب إقامتها على أساس شعب وهمى .. وعلى هذا ففى رأينا أنه إذا كان الشعب المختار قد استطاع أخيرا أن يكون شعبا بالفعل ومعترفا به دوليا .. فالفضل فى ذلك يرجع إلى فلسفة الكابالا التى تحمل الهوية العبرية فى ظاهرها والهوية المصرية فى باطنها .. وهو ماسنبينه فى الفصل التالى .

# الفصل الثالث والعشرون :

# قــــراءة فى الكـــابـــالا

## ■ الكابالا أصلها مصري

- أهمية الكتاب الثانى للكابالا بخصوص موضوع الشعب المختار
- أصل كلمة «كابالا»
- الجنور المصرية وراء طبقات شجرة الحياة فى الكابالا
- توافق شجرة الحياة فى الكابالا مع شجرة الحياة فى التوراة
- الرسم الخاص بشجرة الحياة المصرية
- شجرة الحياة وصفة الشمولية التى لاتفرق بين البشر

## ■ الكابالا وتحقيق ذات الشعب المختار

- شجرة الحياة ورحلة تطور العقل البشرى وفقا لتقسيم «برستد» لتاريخ البشرية إلى عصرين
- الذات الفطرية أو البدائية أوالحيوانية
- العلاقة بين الوعى بالذالت والموت والجسد
- فلسفة الكابالا تتحدث عن صعود الروح وشجرة الحياة تتحدث عن صعود الذات وتفسيرا لتناقض بين الإثنتين
- القبيلة مقابل الموت . وتحقيق الذات مقابل الخلد
- الفرق بين وصف الشجرة بالخلد وبين المُلك الذى لايبلى

## ■ الكابالا .. وربوبية وتضخم ذات الشعب المختار

- التجرد من الذات للاتصال بالذات العليا لدى الشعب عامة ولدى الشعب المختار
- الفرق بين ظروف تحقيق الذات لدى الشعب المصرى وظروف تحقيق الذات لدى الشعب المختار
- شرط التجرد من الذات (روحيا) هو تحقيق الذات (ماديا) . وحرمان الشعب المختار من هذا الشرط نتج عنه الربوبية وتضخم الذات اللذان نتج عنهما الفرق بين صعود الروح وصعود الذات

## ■ الفرق بين ربوبية الفرعون وربوبية الشعب المختار

- الأولى حقيقية والثانية وهمية
- الأولى حققت ذاتها من خلال عنصر واحد هو الشمس والثانية من خلال عنصرين هما القمر والشمس

○ الأولى تمثل الاكتفاء الذاتي والثانية تمثل الاكتفاء التبعي
○ الأولى ترفض عن مقدرة والثانية ترفض عن عجز
○ الأولى تجعل الإله في السماء والثانية تجعل الإله على الأرض والنتيجة تأليه الشعب المختار

## ■ من ربوبية الشعب المختار إلي الألوهية

○ الشعب المختار يجعل نفسه إلها للفرعون وملكا بدلا من الفرعون
○ كيف جعلت ربوبية الشعب المختار الإله على الأرض عن طريق انعكاس نور طبقة «التاج» في شجرة الكابالا على طبقة «التوازن»
○ تضخم الذات يؤدي - مثله مثل الربوبية - إلى ألوهية الشعب المختار

## ■ نجمة الكابالا مقابل نجمة داود

○ مقابلة بين نجمة داود ونجمة الكابالا

## ■ الفرق بين نجمة الكابالا ونجمة داود

○ النظرة الذاتية للشعب المختار إلى مفهوم قانون العقل الجبري - حيث (السالب) = (الموجب) - تؤدي إلى نفي الهوية العبرية

## ■ نجمة الكابالا تعوض نقص نجمة داود عن طريق نجمة «إيل»

○ انفصال مثلثي نجمة داود وعودة (الثالوث الأصلي) إلى وضعه الأصلي بعد انتفاء تأثير (الثالوث المختار) عليه
○ إعادة ترتيب (الثالوث المختار) طبقا لترتيب (الثالوث الأصلي)
○ تميز نجمة «إيل» على نجمة داود رغم نقص الاثنتين
○ كيفية استكمال نجمة الكابالا لنجمة «إيل» عن طريق الاستفادة بتميزها

## ■ النجمة المزدوجة (إيل كابالا) وتحقيق الذات

○ ازدواج نجمة (إيل كابالا) يمثل التزاوج الصحي بعكس التزاوج الذاتي لدى «يهوه»
○ نجمة (إيل كابالا) = ( ازدواج شخصية موسى + ازدواج شخصية هرون ) = (الازدواجية الثنائية)
○ نقص نجمة «إيل» يتمثل في افتقارها إلى العقل الاختياري واستكمال نجمة الكابالا لها يتمثل في منحها العقل الاختياري
○ العقل الاختياري يخص الآلهة التي تتعلق بالعقل الجبري كما يخص البشر

■ **ازدواج العقل الاختيارى في شجرة الكابالا**

- مفهوم العقل الاختيارى الإلهى
- الصراع بين العقل الاختيارى المصرى والعقل الاختيارى العبرى
- الفرق بين العقل الاختيارى الإلهى (المصرى) والعقل الاختيارى الإلهى الوهمى (العبرى)
- طبيعة موضع العقل الاختيارى العبرى فى شجرة الكابالا

■ **اكتشاف العقل الاختياري العبري في شجرة الكابالا**

- إرغام العقل الجبرى للعقل الاختيارى العبرى على الاتصال بالعقل الاختيارى المصرى

■ **حقيقة ماوراء المضض**

- تقبل الشعب المختار للهوية المصرية بين موضوعية العقل الجبرى وذاتية العقل الاختيارى
- تحقيق الذات كامن أصلا فى العقل الجبرى
- الذات العبرية تستبدل السحر بالعقل الجبرى

■ **الكابالا والسحر**

- أنواع السحر
- العلاقة بين السحر والعلم الحديث
- تسليم الشعب المختار بالسحر يعنى تسليمه للعقل الجبرى

■ **تصحيح القول بأن الأصل في الكابالا هو التصوف وليس السحر**

- انهيار مملكة الشعب المختار أدى إلى ظهور جماعة القرائين والعودة الى التوراة الأصلية
- اعتماد الخروج من مصر على السحر
- الشعب المختار ـ بعكس الشعب المصرى ـ يساوى بين مضمون التصوف ومضمون السحر وذلك بسبب ألوهيته

■ **الصعود بالجسد وليس الصعود بالروح**

- خروج الشعب المختار على قانون العقل الجبرى يعتبر تسليما للعقل الجبرى
- غلبة العقل الجبرى تجعل الشعب المختار يتجه إلى الذات العليا

■ الكابالا والتوحيد

- التوحيد كامن فى شجرة الكابالا بحكم أن العقل الجبرى يحكمها
- مفهوم مبدأ السحر الذى يقول : «كما هو الخلق الأعلى يكون الخلق الأسفل»
- تعرف العبريين على السحر المصرى بدأ منذ زيارة إبراهيم لمصر
- أهم أسس كتاب «دليل الحائرين» لموسى بن ميمون

■ أصل إسم «الكابالا»

- العلاقة بين اسم «الكابالا» والرمزين المصريين «با» ، «كا»
- من الإله القمرى «ود» إلى «إل» إلى «إيل» إلى «إيلات» التى جاء منها المقطع الأخير «لا» فى الأسم «كابالا» .

## الكابالا أصلها مصرى

بداية أشير إلى أننى تناولت فلسفة الكابالا فى كتاب «صدمة العرى» من حيث موضوع الكتاب نفسه .. وسوف أعيد تناولها الآن من حيث دور الهوية المصرية فى تحقيق ذات الشعب المختار .. وجدير بالذكر أن تناولى لفلسفة الكابالا سيكون من خلال نظرية «صدمة العرى» المبنية أساسا على الصراع بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى أو حسب موضوعنا بين الهوية القمرية (العبرية) والهوية الشمسية (المصرية) .. ولذا أرجو من القارىء أن يراجع الموجز الذى قدمته لهذه النظرية فى هذا الكتاب وإن كان الأفضل الاطلاع عليها فى الكتاب الأصلى «صدمة العرى» .

ولنبدأ الآن فى فى التعرف على الكابالا .

الكابالا ـ وإن كان لها عدة كتب ـ «تقوم أساسا على كتابين : أولهما اسمه سفريتزرا SEFER YETZIRAH أو «كتاب الخلق» الذى كتب فى فلسطين وفى أرض بابل أثناء الشتات البابلى فى الفترة مابين القرنين الثالث والسادس قبل الميلاد .. والثانى ـ وهو الأهم ـ كتاب يدعى الزهار ZOHAR أو كتاب «النورانية» وقد كتب بأسبانيا فى القرن الثالث عشر الميلادى بواسطة رجل يهودى يدعى موسى بن ليون .. وصار هذا الكتاب الأساس الذى انتشر بعد ذلك بين البلدان الأوربية فى القرون الوسطى وحتى الآن (١)

ورغم أهمية الكتاب الثانى عن الأول إلا أن الكتاب الأول له طبقا لموضوعنا أهمية خاصة ترجع إلى كتابته أثناء الشتات البابلى بعد انهيار المملكة التى بنيت على أساس رفض الهوية المصرية وتعويض ذلك النقص ـ حسب رأينا ـ عن طريق فلسفة الكابالا (٢)

وكلمة «كابالا» أصلها عبرى "QBL" ومعناها من الفم إلى الأذن وترجع هذه التسمية إلى أسطورة يهودية (٣) تقول إن الله همس فى أذن موسى بكلمة سرية تعتبر «القانون الشفهى» وإن موسى نقلها إلى أخيه هرون وإلى سبعين من الحكماء الذين لم يبوحوا بها إلا للتابعين المخلصين وإن أسرار الكابالا هى سر الحياة نفسها ووسيلة الاتصال بين الخالق والمخلوق وهى بالنسبة للمتصوف طريق الوصول إلى الذات العليا .

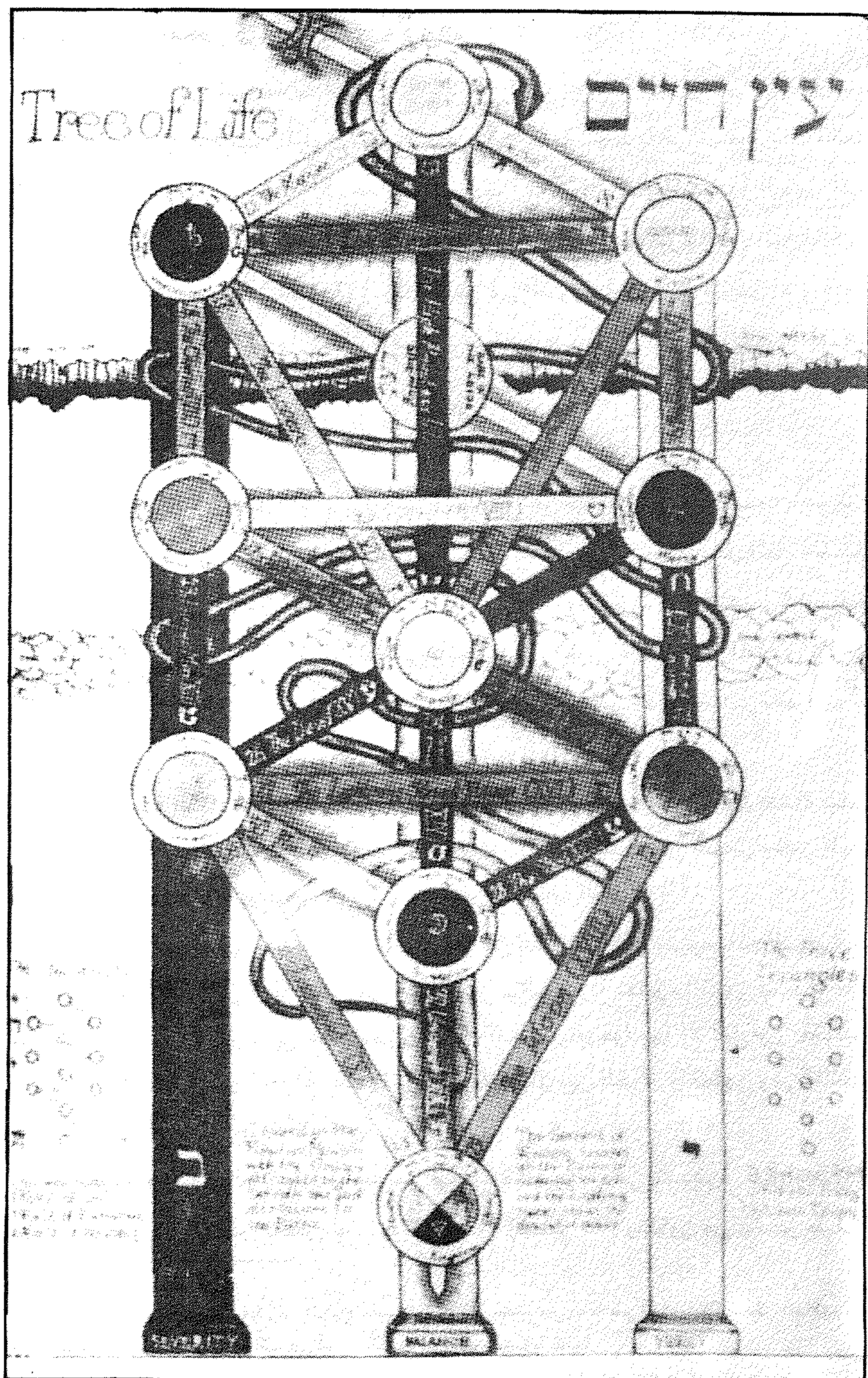
«وتقوم فلسفة الكابالا على مايسمى «شجرة الحياة» وهى شجرة لها أصل فى السماء وفروعها فى الأرض بعكس الشجرة العادية (شكل ١٥) وتتكون من عشر طبقات

---

(١) «العلم والسحر» ص (٤٢)

(٢) كما وأن ظهور فلسفة الكابالا فى زمن يتراوح مابين قبل الميلاد وبعده سيجعلنا نمر أثناء بحثنا ببعض المفاهيم التى تتعلق بالفلسفة المسيحية والتى ترجع كما فى فلسفة الكابالا الى جذور مصرية قديمة .

(٣) هناك أسطورة ترجع الكابالا الى الملكين هاروت وماروت اللذين علماها لأهل بابل وأصبحت أساس السحر حتى الآن.




**شجرة الحياة فى الكابالا**

**(شكل رقم ١٥)**

أو «سفروت» SEPHIRA تعبر عن انتقال النفحة الإلهية من الله إلى الإنسان مارة بعشر طبقات مثل «جلد البصلة» أول طبقة تعبر عن الذات الإلهية ثم تليها طبقة تحتوى على النجوم والسدائم ثم تليها سبع طبقات تعبر عن الكواكب السبعة «المعروفة حينئذ» ثم الطبقة الداخلية التى تحوى الأرض وأن روح الإنسان ـ والمخلوقات جميعا ـ تنزل إلى الإنسان مارة بالطبقات المذكورة وأن الروح تحن باستمرار إلى العودة إلى أصلها والصعود إلى خالقها مارة بالطبقات الأعلى ولكن كل طبقة يحرسها ملاك خاص بها إلا الطبقة السفلى من الأرض إلى القمر فهى مليئة بالشياطين والجان الذين يمنعون بكل وسيلة صعود الروح إلى أعلى والمرور إلى الأسمى . وأن الذين يمرون هم أولئك الذين يعرفون كلمة السر للمرور . وأن المعرفة والعلم هما الوسيلة الوحيدة لمعرفة كلمة السر . ولا معرفة إلا بالسمو الروحى . وأسهل الطرق ممارسة السحر والتعاويذ السحرية (١) .

وقد ختمنا الفصل السابق بقولنا إنه إذا كان الشعب المختار قد استطاع أخيرا أن يكون شعبا بالفعل ومعترفا به دوليا فالفضل فى ذلك ـ فى رأينا ـ يرجع إلى فلسفة الكابالا التى تحمل الهوية العبرية فى ظاهرها والهوية المصرية فى باطنها .

والآن بعد أن تعرفنا على شجرة الحياة فى الكابالا سوف نبحث فى العقائد المصرية القديمة عما يقابلها وسنبدأ بأن شجرة الحياة أصلها فى السماء وفروعها فى الأرض حيث نعود إلى حديثنا السابق بشأن ماورد فى التوراة من تناقض وجود شجرة الحياة وشجرة المعرفة فى مكان واحد وسط الجنة حيث قلنا إن الشجرة الأولى تنتمى إلى العالم السماوى المعنوى والأخرى إلى العالم الأرضى المادى .. وإن الأولى تتعلق بالحياة الأبدية والأخرى بالموت.. وبالعودة إلى العقيدة المصرية القديمة حيث يوجد عالم سماوى يقابله عالم أرضى «مثل نيل السماء ونيل الأرض» نجد فى مملكة الشمس السماوية مايقابل شجرة الحياة فى «الجميزة العالية شرقى السماء التى يجلس فوقها الآلهة» (٢) ... وإذا كنا هنا بصدد آلهة وليس إلها واحدا كما فى الكابالا فقد سبق الإشارة إلى تأثر الشعب المختار بعقيدة «إخناتون» وهى عقيدة توحيد .. وأما بخصوص تعلق شجرة الحياة (السماوية) بالحياة الأبدية وتعلق شجرة المعرفة (الأرضية) بالموت فإننا نجد فى المذهب الشمس أن «الحياة تكتسب فى السماء فقط» (٣) وأن «الموت يحدث على الأرض» (٤) .. وحيث نجد فى متون الأهرام «وخذ أنت الملك تيتى إلى السماء حتى لايموت على الأرض» (٥) .. وكذلك نتج عن التفاعل بين المذهبين الشمسى (السماوى) والأوزيرى (الأرضى) أن السماء اختصت بعالم الآخرة والأرض اختصت بعالم الموت السفلى .

---

(١) «العلم والسحر» (ص٤٣)
(٢) «فجر الضمير» (ص ٩٢)
(٣) «فجر الضمير» (ص ٩٠)
(٤) «فجر الضمير» (ص ٩٠)
(٥) «فجر الضمير» ( ص : ٩٠) .

ثم نتوقف عند الطبقة الثانية فى شجرة الحياة وهى الطبقة التى تحتوى على النجوم والسدائم حيث نجد فى متون الأهرام مايتعلق بعبادة النجوم إذ أن «المذهبين النجمى والشمسى يوجدان معا جنبا لجنب » (١)

ثم ننتقل إلى الطبقة السفلى بين الأرض والقمر حيث الشياطين والمردة والجان التى تمنع صعود أرواح الناس إلى أعلى .. ونجد ما يقابل ذلك فى متون الأهرام التى تتحدث عن «أرض العجب الزاخرة بالقوى الشريرة» (٢) التى تعترض طريق الوصول إلى السماء .. كما أن مذهب «أوزيزيس» كان يرى أن الحياة الآخرة مليئة بالشر .

وأما بخصوص كلمة السر ــ فى الكابالا ــ التى تجعل الشياطين والمردة والجان تسمح للروح بالصعود إلى خالقها فنجد مايقابل ذلك فى متون الأهرام حيث يتردد نداء يشبهه «برستد» بكلمة السر «افتح ياسمسم» التى كانت تنفتح لها مغارة على بابا . وهذا النداء يقول : «إن أبواب الأفق المزدوجة مفتوحة ومزاليجها مزاحة » (٣) وعلى إثره تنفتح أبواب ملكوت السماء .

وأما عن استخام السحر والتعاويذ السحرية كبديل لكلمة السر فنجد ما يقابل ذلك فى متون ا لأهرام مثل أن «يحضر الملك إناء سحريا لايقوى الملاح على مقاومته» (٤) وهو الملاح الذى يقود قارب عبور «بحيرة السوسن» التى توجد خلفها أرض العجب الزاخرة بالقوى الشريرة

وبعد أن بينا فى هذا العرض السريع العلاقة بين شجرة الحياة فى الكابالا وبين التراث العقائدى المصرى القديم .. فسوف نتوسع فى توضيح هذه العلاقة من خلال التناول التفصيلى لطبقات الشجرة العشر (شكل ١٦ أ)

١ ــ **الطبقة الأولي** : وتمثل «أول التجليات وأولى النفحات العليا وتسمى «كتر» KETHER أى (التاج) و«كتر» تعنى (الضياء) أو النور المطلق (٥) .. وهذه الطبقة تعبر كما قلنا عن الذات الإلهية .

ونبدأ بتسمية هذه الطبقة بالتاج حيث يتجه الذهن إلى أمرين : الأمر الأول أن هذه الطبقة تعبر عن الذات الإلهية ومن ثم يكون المقصود بهذه التسمية هو إعلاء هذه الطبقة على جميع الطبقات التى تليها .. أما الأمر الثانى فيقودنا إلى تاج الملك ومن ثم المذهب الشمسى حيث اختص الملك بعالم السماء ثم تأحد مع الإله «رع» .

---

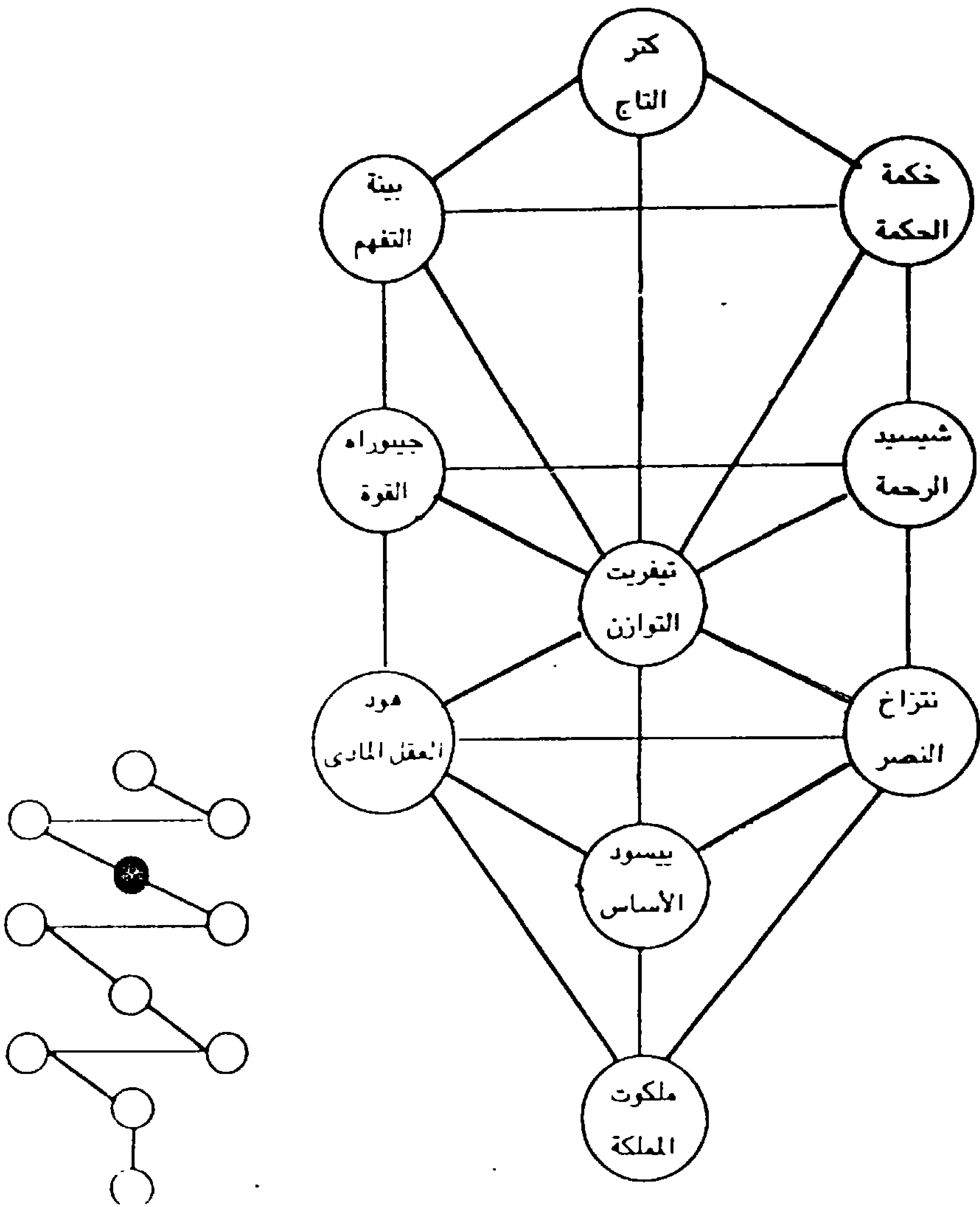
(١) «فجر الضمير»( ص ٩٠)

(٢) «فجر الضمير »( ص ٩٢)

(٣) «فجر الضمير» (ص ٩٦)

(٤) «فجر الضمير» (ص ٩٣)

(٥) «العلم والسحر»( ص ٤٦)


كتر
التاج
بينة
التفهم
خكمة
الحكمة
جيبوراه
القوة
شيسيد
الرحمة
تيفريت
التوازن
هود
العقل المادى
نتزاخ
النصر
ييسود
الأساس
ملكوت
المملكة

(أ)

(شكل رقم ١٦)

ثم ننتقل إلى وصف «التاج» بالضياء أو النور المطلق حيث نشير إلى تأثر الشعب المختار بعقيدة «إخناتون» أول من بشر بفكرة النور الأبدى (المطلق) الذى يعبر عن الإله والذى كان «إخناتون» يشعر به رغم الظلمة الناتجة عن غيابه حيث يقول : «ومع ذلك فإنك لاتزال فى قلبى» (١) وهو قول يتفق ووصف النور المطلق فى الكابالا بأنه «لاتدركه الأبصار وإنما ندركه بقلوبنا» (٢) .

٢ ـ **الطبقة الثانية** : تعتبر «أولى النفحات الإلهية وتسمى «خمكة» بالعبرية وتعنى «حكمة» بالعربية .. وتمثل أولى حركات النفحة الإلهية للحركة التى سببتها كلمة «كن» «فيكون» (٣).. ومعنى هذا أن «الكلمة» مصدرها (التاج) وعلى هذا فإن (التاج) = «الكلمة» (٤) .

٣ ـ **الطبقة الثالثة** : تعتبر «ثانية النفحات وتسمى «بينة» ومعناها كما هو فى العبرية مثل معناها فى العربية : البينة أو «التفهم» (٥) .

ونخرج من هذه الطبقات الأولى الثلاث بثلاث صفات وهى حسب ترتيب تلك الطبقات :

أ ـ «الكلمة» حيث أن (التاج) = «الكلمة»

ب ـ «الحكمة»

د ـ «التفهم»

ونعود إلى عبادة الشمس عند المصريين القدماء حيث نجد أن من بين الصفات التى يمكننا إدراكها بوضوح عن إله الشمس .. إثنتان تسميان «الأمر» و «الفهم» ويمثل كل منهما فى صورة إله كما مثل العبرانيون «الحكمة» فى شكل إله .. ولذلك كان رجال البلاط يحيون الفرعون بصفته خليفة إله الشمس بقولهم : «الأمر فى فمك والفهم فى قلبك» (٦) أى فى عقلك .

ونخرج من ذلك بأن هناك ثلاث صفات مشتركة بين إله الشمس و (التاج) وذلك باعتبار أن :

أ ـ الكلمة «كن» فيكون فى الكابالا يقابلها «الأمر» فى عقيدة الشمس .

ب ـ الحكمة فى الكابالا يقابلها «الأمر» و «الفهم» فى عقيدة الشمس . بمعنى أن «الفهم» يوصل إلى «الحكمة» التى يتضمنها «الأمر» الصادر من الإله «رع» أو الكلمة «كن» فيكون الصادرة من (التاج) .

---

(١) «فجر الضمير» (ص ٣١٧)
(٢) «العلم والسحر» (ص ٤٢)
(٣) «العلم والسحر» (ص ٤٦)
(٤) فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الله الكلمة (يوحنا ١:١) وإذا كان الكلمة يعنى (الابن) بلغة الثالوث فسوف نوضح فيما بعد اشتراك (التاج) فى صفتى (الأب) و (الابن) وذلك من خلال علاقته بالإله «بتاح»
(٥) «العلم والسحر» ( ص ٤٦)
(٦) «فجر الضمير» (ص ٥٨)

جـ - «التفهم» فى الكابالا يقابله «الفهم» فى عقيدة الشمس .

وإذا كانت تلك الصفات قد ربطت بين الكابالا وإله الشمس «رع» فهى بالتالى تربط بينها وبين الإله «بتاح» بحكم استيلائه على سلطة «رع» إثر انتصارات الملك «مينا» وانتقال الزعامة من هليوبوليس إلى منف حيث استخدم كهنتها الفلسفة اللاهوتية لكهنة «رع» لتمجيد الههم وحيث نجد فى ختام المسرحية المنفية أن (بتاح العظيم هو قلب الآلهة ولسانهم) وهذا التعبير الخارق للمألوف يصير أكثر وضوحا عندما نذكر أن القلب معناه «العقل» أو «الفهم» أما «اللسان» فهو رمز للنطق أى للإرادة التى تبرز أفكار العقل وتعبر عن أوامره أى أنها تخرج مافيه إلى حيز عالم الحقيقة «الملموس» (١) وهو مايقابل «العالم المرئى» فى الكابالا التى تقوم فلسفتها على أن الله أرسل فى الفراغ نفحة من نفحاته النوارنية تتابعت فى نفحات بلغ عددها (١٠) حتى وصلت إلى الإنسان والعالم المرئى (٢) .

وسوف نلخص الآن الصفات التى ذكرناها بالنسبة للكابالا وبالنسبة للإله «رع» ثم بالنسبة للإله «بتاح» باعتبار أن صفته «اللسان» رمز النطق تساوى الكلمة «كن» فيكون فى الكابالا وتساوى «الأمر» فى عقيدة «رع» وباعتبار أيضا أن صفته «القلب» (العقل) تساوى «التفهم» فى الكابالا و «الفهم» فى عقيدة «رع» .. و أن كلا من «العقل» و «التفهم» و «الفهم» يتعلق بالحكمة . (الحكمة) .. وعلى هذا نخرج بالجدول الآتى على أساس ترتيب الصفات الخاصة بالكابالا :

| الكابالا | عقيدة «رع» | عقيدة «بتاح» |
|---|---|---|
| أ - «الكلمة» | «الأمر» | «اللسان» |
| ب - «الحكمة» | «الحكمة» | «الحكمة» |
| جـ - «التفهم» | «الفهم» | «العقل» |

فإذا تأملنا مضمون هذا الجدول وجدناه يعنى أن الحكمة تنتقل عن طريق الكلمة أو الأمر أو اللسان من الفم إلى الأذن إلى العقل حيث يفهمها .. وهذا المضمون يتفق ومعنى كلمة كابالا الذى ذكرناه وهو : من الفم الى الأذن كناية عن كلمة الله إلى موسى حيث هناك أسطورة عن اليهود تقول إن الله همس إلى موسى بكلمة سرية هى مايسمى القانون الشفهى أو الكابالا.. فماهى الحكمة التى وصلت إلى موسى ؟

(١) «فجر الضمير» (ص ٥٣)
(٢) «العلم والسحر» ص ٤٠

الإجابة نجدها فى أن «أسرار الكابالا هو سر الحياة نفسها» (١) .. وسر الحياة هو الروح .. ومن صفات «بتاح» أنه (الروح) و (الأب) و (الأم) (٢) و (الكملة) أو (الإبن) بلغة الثالوث .. أى أن «بتاح» يجمع بين الأسرة المكونة من (الأب) و(الأم) و (الإبن) وبين عنصر الحياة اللازم لوجود هذه الأسرة وهو الروح .. وعلى هذا نخرج بالثالوث الآتى :

بتاح (الأب)

بتاح (الأم)

بتاح (الإبن)

فإذا أعدنا ترتيب هذا الثالوث حسب ترتيب مثلث الطبقات الأولى فى شجرة الحياة فى الكابالا («الكلمة» ثم «الحكمة» ثم «التفهم» ) فسنخرج بالثالوث الآتى باعتبار أن (الإبن) بلغة الثالوث يمثل «الكلمة» (التاج)

بتاح (الإبن) ويقابله فى الكابالا «الكملة»

بتاح (الأب) ويقابله فى الكابالا «الحكمة»

بتاح (الأم) ويقابله فى الكابالا «التفهم»

ونلاحظ أن (الإبن) قد انتقل إلى مكان (التاج) على رأس الثالوث أو المثلث الأعلى فى شجرة الكابالا (شكل ١٦ أ) وقد نتج ذلك عن أن عقيدة «بتاح» استمدت فلسفتها من المذهب الشمسى حيث اختص الملك بعالم السماء ثم تأحد مع الإله «رع» وظلت له المكانة العليا حتى بعد توحده مع الإله «أوزيريس» من خلال التفاعل الذى تم بين المذهبين الشمسى والأوزيرى .. هذا من حيث وجود الملك بصفته صاحب التاج على رأس مثلث (التاج) .. أما من حيث صفته (الإبن) فقد سبق الإشارة إلى تأثر الشعب المختار بعقيدة «إخناتون» الذى فى عهده أصبح الملك إبنا للإله» (٣).

ونخرج من ذلك بأن (التاج) يجمع بين (الأب) و (الابن) نتيجة تأثره بالإله «بتاح» الذى تأثر بعقيد الإله «رع» .

٤ ـ **الطبقة الرابعة** : «تسمى شيسيد CHESSED وهى كلمة عبرية تعنى الرحمة» (٤) .. والرحمة صفة أخلاقية والأخلاق تخص العقل الاختيارى الذى يتعلق بالثقافة الشمسية (المصرية) حيث كان إله الشمس «أول إله خلقى عرفه التاريخ» (٥) .

---

(١) «العلم والسحر» (ص ٣٩)

(٢) «بعد سقوط اختاتون وانتهاء ديانة آتون وعودة ديانة آمون أو «رع» الذى كان بتاح قد احتل مكانه نجد فى نشيد موجه الى آمون رع وصفه «أنت أب الناس وأمهم» (فجر الضمير ص ٣٦) وكذلك كان اخناتون يصف آتون : «وأنت الأب والأم لكل من خلقته » ( فجر الضمير ص ٣٠٩)

(٣) راجع الفصل الثانى والعشرين تحت عنوان «السبب الحقيقى وراء رفض الشعب المختار للابن الإلهى» .

(٤) «العلم والسحر» (ص ٤٦)

(٥) «فجر الضمير» (ص ٤٧)

٥ ـ **الطبقة الخامسة** : «تسمى جيبوراه GEBURAH ومعناه «القوة» كما ترمز للحــروب» (١) .. وهى صفات تتفق واحتلال «بتاح» مكان إله الشمس عن طريق القوة وسيادة مدينة «منف» عن طريق الحروب التى انتصر فيها الملك «مينا» .

٦ ـ **الطبقة السادسة** : ولنا وقفة خاصة عند هذه الطبقة حيث أنها تمثل ـ كما سنرى ـ قانون التوازن الذى يخص العقل الجبرى .. وهذه الطبقة «تدعى تيفريت TIPHERETH ومعناه التوافق «أوهارمونية HARMONY» وتجمع بين خير شيسيد وقوة جيبورا ورمزها «الشمس» وتختص بكل درجات المعرفة الحقة والبصيرة العليا فى الإنسان أو مايسمى الضمير الأعلى فى علم النفس (٢) .

ونظرا لأهمية هذه الطبقة فسوف نتناول صفاتها بالتفصيل :

أ ـ التوافق أو الهارمونية : وهو مايعنى التوازن الذى يمثل قانون العقل الجبرى .

ب ـ تجمع بين خير شيسيد وقوة جيبورا : أى تجمع بين رحمة شيسيد وقسوة جيبورا باعتبارها قوة تتعلق بالحروب .. وهو مايعنى الجمع بين الخير والشر .. وهنا يبرز اعتراض بأن الجمع بين الخير والشر يتعارض مع العقل الجبرى الذى تمثله هذه الطبقة والذى يتعلق بالخير فقط .. وردنا أن هذا الاعتراض صادر من العقل الاختيارى الذى يتعلق بالخير والشر والذى يغلب أحدهما على الآخر نتيجة «الذاتية» و «النفعية» وذلك عكس مايحدث بالنسبة للعقل الجبرى الذى يحكم جميع طبقات شجرة الكابالا كما سنرى فورا .

ج ـ رمزها الشمس : كما رأينا سابقا فقد كان إله الشمس فى البداية يمثل الطبيعة أى العقل الجبرى ثم انتقل بعد ذلك إلى عالم البشر حيث تحول إلى إله خلقى .. وقد حدث ذلك نتيجة تكوين الأخلاق مع تطور العقل الاختيارى وعجز الإنسان عن التمييز بين الخير والشر واحتياجه إلى قوة عليا تتولى عنه ذلك ومعنى هذا أن الإنسان هو الذى نسب إلى إله الشمس أو إلى العقل الجبرى طبيعة العقل الاختيارى .

د ـ تختص بكل درجات المعرفة الحقة والبصيرة العليا فى الإنسان أو ما يسمى الضمير الأعلى فى علم النفس : من حيث المعرفة الحقة نكرر الإشارة إلى عجز الإنسان عن معرفة الخير من الشر بسبب انفصاله عن الكون وإلى أن المعرفة الحقة تستدعى اتصاله بالكون أى بالعقل الجبرى حيث يتخلص من تأثير «الذاتية» و «النفعية» ومن ثم يتوصل إلى البصيرة العليا أو الضمير الأعلى .

وإذا كنا قد انتهينا عن طريق تحليل صفات هذه الطبقة الى أنها تمثل العقل الجبرى .. وإذا كان من المسلم به أن العقل الجبرى يحكم جميع مافى الكون .. فالواقع أن نظام شجرة

---

(١) العلم والسحر» (ص ٤٨)

(٢) العلم والسحر» (ص ٤٨)

الكابالا يدل على ذلك حيث أن هذه الطبقة تتوسط جميع الطبقات وتربطها إليها بخيوط تخرج منها مثلما تخرج الأشعة من الشمس (راجع شكل ١٦ أ) (ص ٣٦١) ولنتذكر أن رمز هذه الطبقة هو الشمس .. ولنتذكر أيضا أن المقصود بالشمس هنا هو «رع» عندما كان إلها للطبيعة يتعلق بالعقل الجبرى قبل أن يصبح إلها خلقيا يتعلق بالعقل الاختيارى.

٧ ـ **الطبقة السابعة** : تسمى نتزاخ NETZAKH وتعنى بالعبرية «النصر» أو الفتح وترمز إلى الفطرة والأحاسيس» (١) .

٨ ـ **الطبقة الثامنة** : «تسمى هود HOD وتعنى العقل المادى .وترمز للعقل المنطقى البارد الذى لايخضع للعواطف(٢) .

٩ - **الطبقة التاسعة** : تسمى ييسود YESSOD ويعنى بالعبرية «الأساس» ويرمز للعقل الباطن فى الإنسان الذى يعتبره المتصوف الأساس الحقيقى للحياة حيث تكمن القدرة الإلهية والفطرة التى طبعت عليها الشخصية . كما تعنى الاستقلال عن الكون(٣) .

١٠ ـ **الطبقة العاشرة** : والأخيرة «وتسمى الملكوت MALAKUT ويعنى العالم المرئى أو العالم المادى» (٤) .

والآن بعد أن تعرفنا على طبقات شجرة الحياة فى الكابالا وكشفنا جذورها الأصلية التى ترجع إلى الثقافة الشمسية .. وبعد أن أثبتنا من خلال ذلك أنها ـ كما قلنا ـ تحمل الهوية العبرية فى ظاهرها والهوية المصرية فى باطنها .. فمن حقنا القول بأن شجرة الحياة فى الكابالا هى فى الأصل مصرية .. وكذلك شجرة الحياة المذكورة فى التوراة بدليل توافق وضعها مع التفسير الذى قدمناه بشأن وجودها هى وشجرة المعرفة معا فى نفس المكان حيث عللنا ذلك بأن شجرة الحياة معنوية وشجرة المعرفة مادية ومن ثم فلا تعارض فى وجودهما معا فى نفس المكان .. كما وأن شجرة المعرفة بحكم أنها أرضية فجذورها فى الأرض وشجرة الحياة بحكم أنها سماوية فجذورها فى السماء .. وهو نفس وضع شجرة الحياة فى الكابالا .

بل إن التوراة التى جاء فيها ذكر شجرة الحياة هى فى الأصل مصرية .. وكما يقول الدكتور فؤاد حسنين فى كتابه «التوراة الهيروغليفية» فإن توراة موسى هيروغليفية الأصل وليست عبرية .. وقد اعتمد فى دراسته على عنصرين أحدهما لغوى والآخر لاهوتى وانتهى إلى قوله (ص ٥٩) بأن التوراة وثيقة الصلة بالعقيدة المصرية التى بشر بها «إخناتون» وإن مقابلة بين ما وصلنا من العقيدة الآتونية وماجاء نا مبعثرا فى العهد القديم تأخذ بيدنا إلى صحف موسى وتوراته .

---

(١) «العلم والسحر» (ص ٤٨)

(٢) «العلم والسحر» (ص ٤٩)

(٣) «العلم والسحر» (ص ٤٩)

(٤) «العلم والسحر» (ص ٤٩)

ونضيف إلى قول د. فؤاد حسنين قولنا بأن ماوصلنا من العقيدة الآتونية نجد فيه ذكر شجرة الحياة صراحة من خلال نسبتها إلى «امون» بدلا من «آتون» بعد انتهاء ثورة «إخناتون» .. ففى أنشودة «آمون» الكبرى كان الناس ينسبون إليه صفات «إخناتون» ومنها (العائش على الصدق) كما كانوا ينسبون إليه شجرة الحياة :

«رب الصدق ووالد الآلهة

خالق الناس وبارىء الحيوان

رب كل كائن

ومنشىء شجرة الحياة» (١) .

وإذا كنا لا نجد رسما لشجرة الحياة المصرية كما فى الكابالا ففى رأينا أن هذا الرسم موجود فى قرص الشمس والأشعة تخرج منه إلى العالم مثلما تخرج الأشعة من الطبقة السادسة فى شجرة الكابالا إلى جميع طبقاتها التى تتمثل عناصر العالم من جماد وأحياء .. وهى الطبقة التى قلنا عنها إن رمزها «الشمس» والتى توصلنا إلى أنها تمثل العقل الجبرى الذى يقابله إله الشمس «رع» عندما كان مجرد إله للطبيعية يتعلق بالعقل الجبرى قبل أن يصبح إلها خلقيا يتعلق بالعقل الاختيارى .. وعلى هذا فشجرة الحياة المصرية ترجع إلى بداية تاريخ مصر أى إلى بداية تكوين الشعب المصرى .. وهو أمر منطقى باعتبار أن دور شجرة الحياة هو تحقيق الذات بالتحول إلى شعب .. وباعتبار أن هذا هو نفس دور شجرة الحياة فى الكابالا .. وباعتبار وحدة الأصل التى تجمع بين الشجرتين فمعنى ذلك أنه لا اختلاف بين وسيلة تحقيق المصريين لذاتهم .. ووسيلة الشعب المختار .. بل الواقع أنه لايوجد اختلاف فى وسيلة تحقيق الذات لدى كل المجتمعات البشرية إذ أنه لا وسيلة إلى ذلك إلا شجرة الحياة التى تحقق حلم الإنسان فى الخلود .. ولا خلود من غير ذات .. ومن هنا يمكننا أن نفهم تخصيص شجرة الحياة للإنسان دون غيره من الكائنات الحية فى أنشودة «آمون» حيث تقول : «وشجرة الحياة لبنى الإنسان» (٢) وبما أن شجرة الحياة هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق الذات لدى كل المجتمعات البشرية فمن حقنا أن نضفى على هذه العبارة المصرية القديمة صفة الشمولية التى لاتفرق بين البشر .. وعلى أساس هذا المضمون الشمولى لشجرة الحياة سوف نتناول تحقيق ذات الشعب المختار عن طريق شجرة الحياة فى الكابالا حيث سبق وقلنا إنه اذا كان الشعب المختار قد استطاع أخيرا أن يكون شعبا بالفعل معترفا به دوليا .. فالفضل فى ذلك يرجع إلى فلسفة الكابالا التى تحمل فى ظاهرها الهوية العبرية وفى باطنها الهوية المصرية .

(١) «فجر الضمير » (ص ٣٣٤)

(٢) «فجر الضمير» (ص ٣٣٥) .

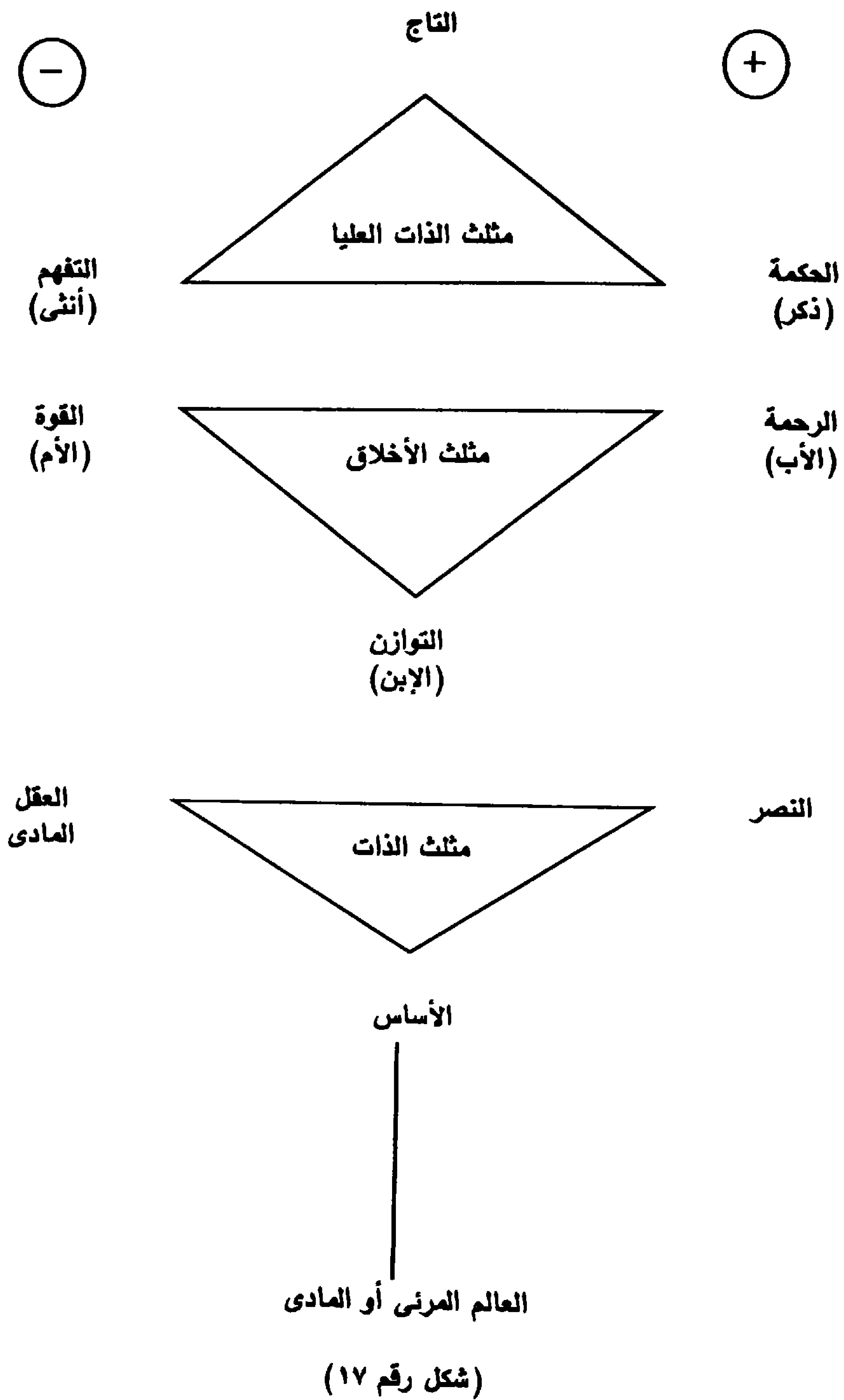
على أساس المضمون الشمولي لشجرة الحياة الذى انتهينا إليه سوف نتناول عن طريق شجرة الحياة فى الكابالا رحلة تحقيق الذات لدى الشعب المختار وكأننا نتناول رحلة أى جماعة بشرية .. وباعتبار أننا بصدد الشعب المختار وهو لم يزل قبيلة وأيضا باعتبار أن شجرة الكابالا تشمل جميع عناصر الكون بما فيها الإنسان .. فسوف تكون رحلتنا هى رحلة تطور العقل البشرى من المرحلة البدائية إلى مرحلة التميز .. أى من مرحلة الاتصال بالطبيعة (العقل الجبرى) حيث كان الإنسان على اتصال بالكون إلى مرحلة التميز (العقل الاختيارى) حيث انفصل الإنسان عن الكون .. وسوف نطبق رحلتنا على تقسيم «برستد» لتاريخ البشرية إلى عصرين أساسيين (١) الأول عصر كفاح الإنسان مع المادة والقوى الطبيعية والتغلب عليها نهائيا .. والثانى عصر كفاح الإنسان بينه وبين نفسه الباطنة حينما أخذ ضميره يبزغ وأخلاقه تتكون .. ويقدر «برستد» زمن كفاح الإنسان المادى بنحو مليون سنة .. أما عصر بزوغ الضمير وتكوين الأخلاق فيقدره بنحو ٥٠٠٠ سنة .. ومعنى هذا ـ كما سنرى ـ أن شجرة الحياة فى الكابالا – أو بالأحرى شجرة الحياة المصرية ـ تحكى تاريخ الإنسان منذ نحو مليون سنة .

وسوف تكون رحلتنا مع طبقات شجرة الكابالا من أسفل إلى أعلى حسب الخط المبين فى (شكل ١٦ ب) (ص ٣٦١) .. وعلى هذا تبدأ رحلتنا من الطبقة العاشرة التى تمثل العالم المرئى أو العالم المادى حين كان الإنسان مثل سائر الكائنات الحية لايعرف سوى عالم الحواس والغرائز وحيث كان هو والكون وحدة لاتتجزأ ومن ثم كان على اتصال بالكون .. أو حسب مفهوم نظرية «صدمة العرى» كان الإنسان فى تلك المرحلة بصفة (جنين) داخل رحم الكون (راجع الجدول ص ٨٩) وبالنسبة لموضوع الشعب المختار فإن صفة (جنين) = صفة (قبيلة) .. وعلى هذا فإن صفة (مولود) = تحول القبيلة إلى (شعب).

ومع كفاح الإنسان ضد عالم المادة بدأ يتحول إلى صفة (مولود) حين بدأ عقله الواعى يبزغ من عقله الباطن .. وهو هنا مجرد عقل مادى يلائم متطلبات الإنسان فى صراعه مع المادة ويمكنه من الإنتصار عليها .. وبالعودة إلى المرحلة الأولى من تاريخ البشرية التى حددها «برستد» وهى عصر كفاح الإنسان مع المادة والقوى الطبيعية والإنتصار عليها فإننا نجد هذه المرحلة متمثلة فى المثلث السفلى (شكل ١٧) المكون من الطبقات (٩ .٨ .٧) والذى تتوافر فيه العناصر الثلاثة التى تخص تلك المرحلة وهى «العقل الباطن» الذى ترمز له طبقة «الأساس» وهى الطبقة (٩) ثم «العقل المادى» الذى ترمز له الطبقة (٨) ثم «النصر» الذى ترمز له الطبقة (٧) .. ونلاحظ أن «العقل الباطن» الذى ترمز له طبقة «الأساس» يمثل رأس المثلث باعتباره أساس بزوغ «العقل المادى» الذى أدى إلى «النصر» على عالم المادة والقوة الطبيعية .. وبتحقيق هذا النصر بدأ الإنسان يشعر بذاته ومن هنا نسمى هذا المثلث (مثلث الذات) أو على وجه الدقة مثلث نشوء الذات.

---

(١) «فجر الضمير (مقدمة المترجم ص ٤، ٥)


التاج
مثلث الذات العليا
التفهم
(أنثى)
الحكمة
(ذكر)
القوة
(الأم)
مثلث الأخلاق
الرحمة
(الأب)
التوازن
(الإبن)
العقل
المادى
مثلث الذات
النصر
الأساس
العالم المرئى أو المادى

(شكل رقم ١٧)

والذات تتعلق بـ «الشخصية» وهى هنا ذات «فطرية» أو بدائية تحقق للإنسان القدر المحدود من الوعى الذى يحتاجه فى تلك المرحلة البدائية لكى يحقق النصر فى معركته مع عالم المادة .. ومن هنا نجد (الشخصية) و (الفطرة) فى صفات «الأساس» حيث يعتبره المتصوف الأساس الحقيقى للحياة حيث تكمن القدرة الإلهية و (الفطرة) التى طبعت عليها (الشخصية).. وهى قدرة إلهية للأسباب الآتية :

أ ـ أن «الفطرة» بطبيعتها تقود الإنسان إلى الاعتقاد بوجود إله أو آلهة تتمثل فى عناصر الطبيعة .

ب ـ أن الإنسان فى تلك المرحلة من مواجهته لعالم المادة لم يكن قد اكتسب من العلم مايجعله يدرك قيمة قدرته البشرية .

جـ ـ أن الوعى بالذات كان محدودا نظرا لمحدودية الوعى الخاص بتلك المرحلة التى تجعله قريبا من العقل الباطن الذى نبع منه والذى ترمز اليه طبقة «الأساس» التى نتحدث عنها .. ومانقصده هو أن حداثة نشأة الذات جعلت تأثيرها السلبى محدودا علي اتصال الإنسان بالكون أو عالم المادة .. والمادة ـ مثلما قلنا عن الجسد ـ موصل روحى جيد نظرا لتعلقها بالعقل الجبرى ومن ثم بالتسليم المطلق للخالق .. ومن هنا جاء ت النظرة الصوفية إلى العقل الباطن ـ الذى ترمز له طبقة «الأساس» ـ وذلك باعتباره مقابلا للعقل الجبرى .

ومع ذلك فإن نشوء الذات (١) لابد أن يصحبه نشوء العقل الاختيارى وبالتالى انفصال الإنسان عن الكون بالقدر المحدود الذى أشرنا اليه .. وهذا مانجده ضمن صفات طبقة «الأساس» وهو «الاستقلال عن الكون»

وننتقل إلى المرحلة الثانية فى تاريخ البشرية حسب تقسيم «برستد» وهى عصر كفاح الإنسان بينه وبين نفسه الباطنة وذلك حين أخذ ضميره يبزغ وأخلاقه تتكون وهو مايعنى نمو العقل الاختيارى الذى نشأ فى المرحلة السابقة وتتمثل هذه المرحلة فى المثلث الثاني الذى نسميه (مثلث الأخلاق) (شكل ١٧) (ص٣٦٩) والذى يتكون من الطبقات (٦ . ٥ . ٤) التى ترمز الى «التوزان» و«القوة» و«الرحمة» .. ف «الرحمة» قيمة أخلاقية تدعو إلى «التوازن» فى استخدام «القوة» وعدم القسوة والبطش نتيجة انتصار الإنسان على المادة وقوى الطبيعة وإحساسه بذاته وماينتج عن ذلك من فقدانه لفضيلة التعامل مع عناصر الكون وفق احتياجاته الضرورية حتى يحافظ عليها ولا يدمرها .. ومثال ذلك أن الإنسان البدائى يستغفر الحيوان والنبات قبل أن يعتدى عليه من أجل غذائه وسد احتياجاته وليس أكثر من ذلك .

---

(١) عندما نتحدث عن نشوء الذات فنحن نعنى الذات الفطرية التى أشرنا اليها . وبالتالى فعندما نتحدث عن نشوء العقل الاختيارى فنحن نعنى القيم الغريزية التى تتمشى مع غريزة البقاء حيث يكون الخير هو ما يفيد الإنسان حتى لو كان شرا لغيره وحيث يكون الشر هو مايضر الإنسان حتى لو كان خيرا لغيره . فالخير والشر هنا لا علاقة لهما بالعقل الاختيارى المتعلق بالأخلاق وإنما هما نابعان من عقل اختيارى فطرى .. أو غريزى لا يعرف الا يثار وإنما يعرف فقط الأثرة التي تخدم غريزة البقاء .. وهذا المنطق يسرى على الحيوان ومن ثم فالحيوان لديه ذات فطرية أو غريزية تتفاوت درجتها حسب درجات السلم الحيوانى .. وقدد تناولنا ذلك فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «صدمة العرى والموت» .

وبوجود (مثلث الذات) و (مثلث الأخلاق) وباكتمال نموهما الذى بيناه يكتمل الوعى بالذات الذى ينتج عنه الوعى بالموت .. ولأن اكتمال الوعى بالذات يخص الإنسان فهو الكائن الوحيد الذى يعرف أنه سيموت .. وهو بالتالى الكائن الوحيد الذى يشغله الاحتفاظ بذاته بعد الموت .. والوعى بالذات يقترن بالجسد .. ومن هنا كان الحرص على سلامة الجسد بعد الموت .. وكما يقول د. شارلى بروض : «إن الشكل «أى الجسد» لازم للتعبير عن الذات .. فلا يمكن أن يوجد وعى بدون أن يوجد شىء يعيه . ومن القوانين الأولى للوعى أنه يجب أن يرتدى شيئا ما (١) .. والروح تغطى نفسها برداء(٢) (أى الجسد) .

ولكن فلسفة الكابالا تقول : « عند الموت فإن الروح تنزع عنها أثوابها واحدا بعد الآخر حتى تصل إلي الذات العليا » (٣) ومعنى هذا تجرد الروح من الجسد شرط وجود الذات .. ومن هنا جاء التناقض فى فسلفة الكابالا إذ أنها تتحدث عن صعود الروح في حين أن مانراه فى شجرة الحياة هو صعود الذات الذى يتضمن صعود الجسد .. ويشهد على ذلك (شكل ١٧)(ص ٣٦٩) حيث نشأت الذات فى (مثلث الذات) ثم نمت واكتملت (٤) فى (مثلث الأخلاق) الذى يتعلق بالعقل الاختيارى شرط تحقيق الذات .. وواضح من هذا أن الذى يصعد هو الذات .. وأنه بينما تقول الكابالا إن الروح أثناء صعودها تنزع أثوابها واحدا بعد الاخر فحقيقة الأمر أن الذات أثناء صعودها ترتدى ثوبا بعد الآخر .. وهو أمر يتفق والصعود بمعنى النمو ..

وهذا التناقض بين ماتقوله فلسفة الكابالا وما استقرأناه من تحليلنا لشجرة الحياة يرجع إلي رفض الإنسان لواقع الموت .. ومن هنا اقترنت شجرة الحياة بصفة الأبدية كما وصفت بأنها شجرة الخلد .. ولكن عندما ننظر إلى الموت من حيث موضوع الشعب المختار ونجعله مقابلا للقبيلة فسوف تصبح الحياة الأبدية أو الخلد مقابلا لتحقيق الذات أى التحول إلى شعب (٥) (انظر الهامش) وبهذا المفهوم يمكن تفسير التناقض بين فلسفة الكابالا ومضمون شجرة الحياة بأن فلسفة الكابالا تخص الشعب عامة بما فى ذلك الشعب المصرى بينما مضمون شجرة الحياة في الكابالا يخص الشعب المختار .

---

(١) يرى أرسطور أن النفس لاتفارق الجسم من حيث هى صورة هذا الجسم وأنها لاتفعل ولاتنفعل بدونه .. وأن التفكير لايمكن أن يوجد بغير الجسم (الكندى فيلسوف العرب ص ٢٦٠) .

(٢) أصل الإنسان وسر الوجود (ص٤٣) .

(٣) «العلم والسحر» (ص ٤٣)

(٤) نقصد باكتمال الذات ماهى عليه الآن بالنسبة لنموها

(٥) باعتبار ماتوصلنا اليه من أن شجرة الحياة فى الكابالا هى شجرة الحياة فى التوراة . وباعتبار أن (الرب الإله) هو لقب الفرعون . فقد سبق أن فسرنا ماورد فى سفرا لتكوين (٣. ٢٢) «وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الي الابد »- قد سبق أ ن فسرناه بأن الفرعون يخشى أن تتحول القبيلة العبرية الى شعب صاحب مملكة أبدية مثل مملكته التى تكتسب أبديتها من ألوهيته المستمدة من إله مملكة السماء ، وهكذا نجد أن وصف شجرة الحياة بالأبدية يعنى بالنسبة لموضوعنا قيام مملكة أرضية لاتزول أبدا . وهذا المعنى نجده فى وصف الشجرة بالخلد «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (سورة طه ١٢٠) وتفسيرها : «هل أدلك يا آدم علي شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلا . ونال الملك الدائم الذى لايزول أبدا؟» (صفوة التفاسير) ونلاحظ أن الخطاب موجه إلي آدم وهو في الجنة (الأرضية) حيث يمكن إحالة ذلك الي اختصاص الرجل بالملكية (الأرضية) فى سيطرته علي مجتمع الأم . ونلاحظ أنه فى الخطاب إلى آدم وحواء لانجد إشارة الي الملكية «وقال مانها كما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» (سورة الأعراف ٢٠ )

وعن طريق هذا الفرق بين فلسفة الكابالا ومضمون شجرة الحياة نخرج بتفسير جديد لربوبية وتضخم ذات الشعب المختار .

## الكابالا .. وربوبية وتضخم ذات الشعب المختار

بينا الفرق بين فلسفة الكابالا ومضمون شجرة الحياة .. وعن طريق هذا الفرق سنخرج بتفسير جديد لربوبية وتضخم ذات الشعب المختار ..

فبالنسبة للإنسان عامة فإن الاتصال بالذات العليا يستدعى التجرد من الذات .. وهو ما تعبر عنه فلسفة الكابالا بقولها : «عند الموت فإن الروح تنزع عنها أثوابها واحدا بعد الآخر حتى تصل إلى الذات العليا» .. وكما يسرى هذا على الإنسان حين يموت فهو يسرى عليه أيضا أثناء حياته حيث كلما تجرد من ذاته كلما ازداد قربا من الذات العليا .. وهذا الذى ينطبق على الإنسان عامة ينطبق أيضا على الشعوب عامة باستثناء الشعب المختار .. فالمقصود بالشعوب عامة هو تلك الشعوب التى تكونت واستقرت فاطمأنت إلى تحقيق ذاتها ومن ثم أمكنها أن تتجرد من ذاتها بهدف التقرب إلى الذات العليا .. ولكن ليس معنى ذلك أن الشعوب تحقق ذاتها بعيدا عن الذات العليا .. فالمقصود بتحقيق الذات نوعان : تحقيق الذات (ماديا) أى دنيويا .. وتحقيق الذات (روحيا) أى دينيا .. وعلى هذا فالمقصود بتجرد الذات من أجل الوصول إلى الذات العليا هو التجرد من أمور الدنيا من أجل أمور الدين .. وعلي هذا فإن شرط التجرد من الذات (روحيا) هو تحقيق الذات (ماديا) .. ولكن عندما نطبق هذه القاعدة على الشعب المختار نجد أن وضعه يختلف عن وضع الشعوب عامة .. ولكى نوضح هذا الاختلاف سنقارن بين ظروف تحقيق الذات لدى الشعب المصرى وظروف تحقيق الذات لدى الشعب المختار ..

فالشعب المصرى بدأ فى عهد ماقبل التاريخ بتوحيد الإمارات فيما يعرف بالاتحاد الأول حيث أقام مملكة يحكمها ملك بمساندة إله للطبيعة هو إله الشمس الذى نصّب رئيسا لآلهة الإمارات التى تم توحيدها.. والذى أصبح الحاكم الأعلى المتصرف فى شئون الرعية ومن ثم تحول من إله للطبيعة يخص العقل الجبرى (الدين الجبرى) الى إله للبشر يخص العقل الاختيارى (الدين الاختيارى) فأصبح بذلك أول إله خلقى عرفه التاريخ .

ومنذ أن بدأت رحلة تحقيق الشعب المصرى هذه ظلت مستمرة رغم العراقيل التى مرت بها مثل ماحدث بعد الاتحاد الأول والاتحاد الثانى.. ولكن بالنسبة لموضوعنا يعتبر ذلك لاقيمة له إذ أنه حدث داخليا وتمت مواجهته داخليا أيضا.. ومانعنيه هو أن رحلة تحقيق الذات لدى الشعب المصرى لم تعترضها عراقيل خارجية (١) توقف مسيرتها مثلما حدث للشعب المختار الذى أراد أن

---

(١) المقصود عراقيل خارجية قوية لدرجة تهز الاتحاد الذى كان أساس تحقيق الذات .

يحقق ذاته فى أرض غريبة ووسط شعب يعيش على أرض يملكها وقد انتقل فى رحلته التطورية لتحقيق ذاته من (الدين الجبرى) إلى (الدين الاختيارى) الأكثر تطورا بل وإلى ديانة التوحيد الآتونية التى تمثل قمة تطور الدين البشرى .. ومن طبيعة الشعوب الأكثر تطورا أنها ترفض الشعوب الأقل تطورا فما البال بمجرد قبيلة تطمح إلى أن تكون شعبا بل وتنتمى إلى (الدين الجبرى) حيث عبادة آلهة مجسدة في عناصر الطبيعة بينما (الدين الاختيارى) لدى المصريين قد وصل إلى فكرة الإله الواحد المجرد الذى يصوّر ولا يصوَّر (١) .

وطبقا لما عرضناه بشأن الفرق بين وضع الشعب المصرى ووضع الشعب المختار .. نعود الى القاعدة التى قادتنا إلى ذلك وهى أن شرط التجرد من الذات (روحيا) هو تحقيق الذات (ماديا) لنجد أن الظروف التاريخية منحت الشعب المصرى هذا الشرط بعكس ماحدث مع الشعب المختار .. ولأن الوصول إلي الذات العليا هو رغبة فطرية تخص البشر عامة بما فى ذلك الشعب المختار .. ولأن الشعب المختار حرمته الظروف التاريخية من شرط تحقيق الذات (ماديا) لكى يحقق رغبته الفطرية فى الوصول إلى الذات العليا .. فمن هنا كان تحول القبيلة العبرية الوهمى إلى شعب .. وتفاديا لمبدأ «مابنى على وهم فهو وهم» لجأ الشعب المختار إلى نفى الوهم بوهم آخر وهو أن «الرب» هو الذى حوله إلى شعب بينما الحقيقة أنه هو الذى فعل ذلك باسم «الرب» وهو ما نتج عنه الربوبية وتضخم الذات .

وإلى الربوبية وتضخم الذات - كما قلنا - يرجع الفرق بين فلسفة الكابالا ومضمون شجرة الحياة حيث نجد أن الذى يصعد إلى الذات العليا هو الذات وليس الروح .. وأنه على عكس قول فلسفة الكابالا بأن الروح أثناء صعودها بعد الموت تنزع أثوابها واحدا بعد الآخر .. فإن الذات أثناء صعودها (بمعنى نموها) ترتدى ثوبا بعد الاخر .. ولأن هذا يتعارض مع الصعود (بمعنى التقرب) إلى الذات العليا حيث على الذات أن تتضاءل .. فإن صعود الذات (بمعنى النمو) يعنى التضخم بعكس التضاؤل .. كما يعنى مشاركة الذات العليا فى عليائها وهو مايعنى الربوبية .

وقد بينا خلال بحثنا أن الربوبية = (الرب الإله) لقب الفرعون .. كما بينا فى تناولنا لشجرة الحياة في الكابالا أن أصلها مصرى .. وفى كلا الأمرين دليل على أن الشعب المختار قدأخذ فكرة الربوبية عن العقيدة المصرية ولكن شتان بين الربوبيتين .. وهو مانبينه فيما يلى :

## الفرق بين ربوبية الفرعون وربوبية الشعب المختار

كما بينا فإن الفرق بين ربوبية الفرعون وربوبية الشعب المختار يرجع أساسا إلى الفرق بين ظروف نشأة الشعب المصرى وظروف نشأة الشعب المختار .. وعلى هذا الأساس سنبين

---

(١) من أنشودة شمسية فى عهد «أمنحتب» الثالث والد «إخناتون» حيث جاء فيها: إنك صانع مصوّر لاعضائك بنفسك .. ومصوّر دون أن تصوَّر (فجر الضمير ص ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

الفرق بين الربوبيتين فى النقاط الآتية مشيرين إلى ربوبية الفرعون بأنها (الأولى) وإلى ربوبية الشعب المختار بأنها (الثانية) وذلك حتى نتذكر دائما أن أسبقية قيام الشعب المصرى كان لها دور أساسى فى الفرق بين الربوبيتين :

١ ـ الأولى بدأت مادية (جبرية) وتحولت إلى روحية (اختيارية) بتحول إله الشمس من إله للطبيعية إلى إله خلقى عن طريق التحول الفعلى إلى شعب .. والثانية بدأت مادية (جبرية) وتحولت الي روحية (اختيارية) عن طريق التحول الوهمى إلى شعب .. فالأولى ربوبية حقيقية والثانية ربوبية وهمية .. وبالتالى فإن الأولى يحكمها الشعور أكثر مما يحكمها اللاشعور .. والثانية يحكمها اللاشعور أكثر مما يحكمها الشعور .

٢ ـ الأولى حققت ذاتها عن طريق الجمع بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى من خلال عنصر واحد هو الشمس .. ومن هنا فإن حقيقيتها ترجع إلى وحدة الهوية ومن ثم وحدة الذات .. والثانية حققت ذاتها عن طريق الجمع بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى من خلال عنصرين هما القمر والشمس .. ومن هنا فإن وهميتها ترجع إلى ازدواج الهوية .. وعلى هذا فالأولى تعيش فى وئام مع نفسها (ثنائية الشخصية) والثانية تعيش فى صراع داخل نفسها (ازدواجية الشخصية) .

٣ ـ الأولى تمثل الاكتفاء الذاتى حيث تعتمد على (الأنا) .. والثانية تمثل الاكتفاء التبعى حيث تعتمد على (الآخر) . وعلي هذا فالأولى تشعر بالثقة بالنفس ومن ثم فهى إنفتاحية وذات تصرفات موضوعية .. والثانية تشعر بالنقص ومن ثم فهى إنغلاقية وذات تصرفات ذاتية .

٤ ـ لأن الأولى تعتمد على (الأنا) فإن رفضها لـ (الآخر) هو رفض القادر المستغنى .. ولأن الثانية تعتمد على (الآخر) فإن رفضها لهذا (الآخر) هو رفض العاجز المحتاج .. والرافض عن مقدرة واستغناء مسالم .. والرافض مع عجز وحاجة عدوانى تحت وطأة الشعور بالاضطهاد .

٥ - الأولى نتجت عن أن الظروف سمحت لها بأن تحقق ذاتها على الأرض ومن ثم جعلت الإله فى السماء وجعلت لقب الفرعون (الرب الإله) .. والثانية نتجت عن أن الظروف لم تسمح لها بأن تحق ذاتها علي الأرض ومن ثم جعلت الإله على الأرض (١) .. وقد نتج عن ذلك تأليه الشعب المختار لنفسه كما سنرى :

## من ربوبية الشعب المختار إلى الألوهية

انتهينا إلى أن ربوبية الفرعون جعلت الإله فى السماء وأن ربوبية الشعب المختار جعلت الإله على الأرض .. ونضيف أنها جعلت لقبها عكس لقب الفرعون أى (الإله الرب) بدلا من (الرب الإله) وقد بينا ذلك فى الفصل السابق تحت عنوان «السبب الحقيقى وراء رفض الشعب المختار

(١) ومن هنا يأتى اهتمام الشعب المصرى بالآخرة ومن ثم توظيف أمور الدنيا لحساب أمور الدين .. واهتمام الشعب المختار بالدنيا ومن ثم توظيف أمور الدين لسحاب أمور الدنيا .

للإبن الإلهى» حيث قلنا بشأن احتواء الثالوث المختار الذ ى يرأسه «الرب» للثالوث الأصلى الذى يرأسه «إيل» : إن احتواء «الرب» للإله «إيل» ينتج عنه لقب الفروعون (الرب الإله) ومن ثم يجعل من «إيل» مقابلا للفرعون ومن ثم فإن معنى إسرائيل (مصارع الإله «إيل») يصبح (مصارع الفرعون) ومعنى بنى إسرائيل يصبح (الشعب الذى صارع الفرعون) وصرعه .. وهكذا يكون الشعب المختار قد ضحى بإلهه «إيل» لكى يتغلب علي (الرب الإله) ممثل الفرعون عن طريق احتوائه وقلبه من (الرب الإله) الى (الإله الرب) ـ وهو نفس ما فعله مع الإله «إيل» عندما احتوى الثالوث المختار الثالوث الأصلى فى نجمة داود ـ وهكذا جعل الشعب المختار نفسه إلها مكان إله الفرعون وملكا بدلا من الفرعون .

ونعود إلى قولنا بأن ربوبية الفرعون جعلت الإله فى السماء وبأن ربوبية الشعب المختار جعلت الإله علي الأرض .. وقد سبق وقلنا إن فلسفة الكابالا تسرى على الشعب المصرى .. وإن مضمون شجرة الحياة فى الكابالا يسرى على الشعب المختار .. وعلي هذا فإن ربوبية الفرعون التى تجعل الإله فى السماء تتفق وفلسفة الكابالا التى تقول : «إن الاتصال بين الله والعالم المخلوق ليس اتصالا مباشرا وإنما هو انعكاس لنوره كما تعكس المرآة النور» (١) .. ولكن حين نطبق فلسفة الكابالا هذه على شجرة الحياة نجد أنفسنا أمام ربوبية الشعب المختار التى تجعل الإله على الأرض .. فباعتبار أن الله الذى تتحدث عنه فلسفة الكابالا يتمثل فى الطبقة الأولى ـ من شجرة الحياة ـ التى تسمى (التاج) أى «النور المطلق» .. فسوف نطبق عليه فلسفة الكابالا التى تقول إن نوره ينعكس كما تعكس المرآة النور .. وعلي هذا نعود الى (شكل ١٧) (ص ٣٦٩) حيث نجد أن (مثلث الأخلاق) هو صورة منعكسة عن (مثلث التاج) ـ الذى أسميناه (مثلث الذات العليا) حسب فلسفة الكابالا وبالتالى يكون رأس (مثلث الأخلاق) وهو «التوزان» صورة منعكسة لرأس (مثلث التاج) وهو (التاج) .. وبما أن «التوزان» يمثل العقل الجبرى فكذلك (التاج) .. وإذا كنا بذلك قد جعلنا صفة الصورة أى المخلوق تنسحب علي الأصل أى الخالق بينما المفروض هو العكس فمنطقنا فى ذلك أمران : الأمر الأول أن «التوزان» - كما سبق أن بينا ـ يهيمن علي جميع الطبقات باعتباره العقل الجبرى .. والأمر الثانى أنه سبق وتوصلنا إلى أن (التاج) يمثل إلها من صنع البشر أى مخلوقا وليس خالقا ومن ثم يسرى عليه قانون العقل الجبرى الذى وضعه الخالق الحق .. ( وفى هذا دليل على أن الله الذى تتحدث عنه الكابالا لايختلف عن (الله) التوراتى الذى بينا أنه ليس الله الحق ) .

وهكذا نكون قد بينا كيف جعلت ربوبية الشعب المختار الإله علي الأرض .. وهو كما رأينا إله يتعلق بالعقل الجبرى أى أنه من عناصر الطبيعة وهو الإله القمرى «إيل» .. وبالعودة الى احتواء «الرب» ممثل الشعب المختار للإله «إيل» فى نجمة داود يصبح الإله الذى جعلته ربوبية الشعب المختار على الأرض هو الشعب المختار .

---

(١) «العلم والسحر» ( ص ٤٠)

وإذا كانت ألوهية الشعب المختار قد جاء ت عن طريق الربوبية فهى تجىء أيضا عن طريق تضخم الذات .. وسنبين ذلك بالآتى :

بما أن تضخم الذات = (الرب ×٢) نتيجة سلب الرب من (الرب الإله) لقب الفرعون وإضافته إلى «الرب» ممثل الشعب المختار .

وبما أن احتواء «الرب» ممثل الشعب المختار للإله «إيل» ينتج عنه ألوهية الشعب المختار (كما سبق أن بينا) .

وبما أن احتواء «الرب» للإله «إيل» يجعل «إيل» مقابلا للفرعون (كما سبق أن بينا) .

إذنن ماينتج عن طريق احتواء «الرب» للإله «إيل» = ماينتج عن سلب الرب من لقب الفرعون وإضافته إلى «الرب» ممثل الشعب المختار .

إذن تضخم الذات يؤدى ـ مثله مثل الربوبية ـ إلى ألوهية الشعب المختار .

## نجمة الكابالا مقابل نجمة داود

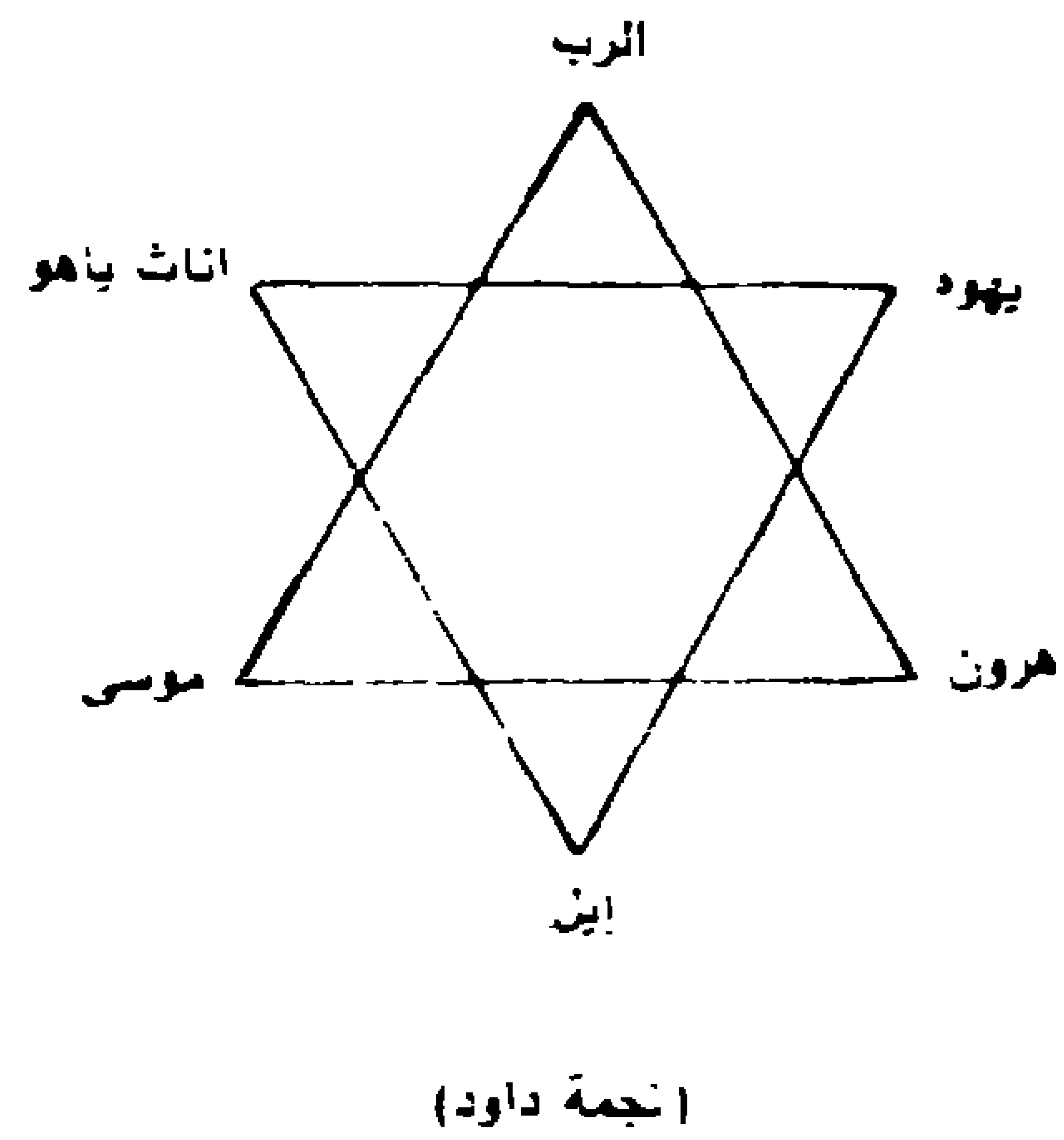
فى رأينا كما قلنا أن الهدف من الكابالا هو استكمال النقص الموجود فى نجمة داود - الذى نتج عنه انهيار المملكة ـ وهو قيامها علي أساس التحول الوهمى إلى شعب .. ومن هنا نجد مايقابل نجمة داود فى شجرة الحياة فى الكابالا .. وسوف نبين ذلك من خلال (شكل ١٧) (ص٣٦٩) فطبقا لما فعلته ربوبية الشعب المختار حين جعلت الإله علي الأرض بدلا من أن تجعله فى السماء .. فسوف ننزل (مثلث الذات العليا) من سمائه إلى العالم الأرضى حيث يوجد (مثلث الأخلاق).. وباعتبار أن ربوبية الشعب المختار عندما جعلت الإله علي الأرض جعلت الشعب المختار هو الإله فمعنى ذلك أن (مثلث الذات العليا) = مثلث الثالوث المختار .. وباعتبار أن (مثلث الأخلاق).. يمثل ـ كما بينا سابقا ـ تطور الشعب المختار نحو الربوبية وتضخم الذات عن طريق إعلاء الثالوث المختار على الثالوث الأصلى ومن ثم احتوائه إياه .. فمعنى ذلك أن (مثلث الأخلاق) يقابل مثلث الثالوث الأصلى .. ونلاحظ أن (مثلث الأخلاق) فى شجرة الكابالا مقلوب مثل مثلث الثالوث الأصلى الذى تم قلبه نتيجة إعلاء الثالوث المختار عليه (شكل ١٣ ب) (ص ٣٤٣) .

ونعود إلي إنزال ( مثلث الذات العليا) من سمائه إلى العالم الأرضي أى إلى ( مثلث الأخلاق ) حيث نضع المثلث الأول على المثلث الثانى لتنتج نجمة داود ولكن بمسميات أخرى تخص طبقات هذين المثلثين وسوف نسمى هذه النجمة بنجمة الكابالا .. والآن سنضيف إلي المعلومات التى سبق أن قدمناها عن طبقات مثلثى نجمة الكابالا معلومة جديدة وهى :

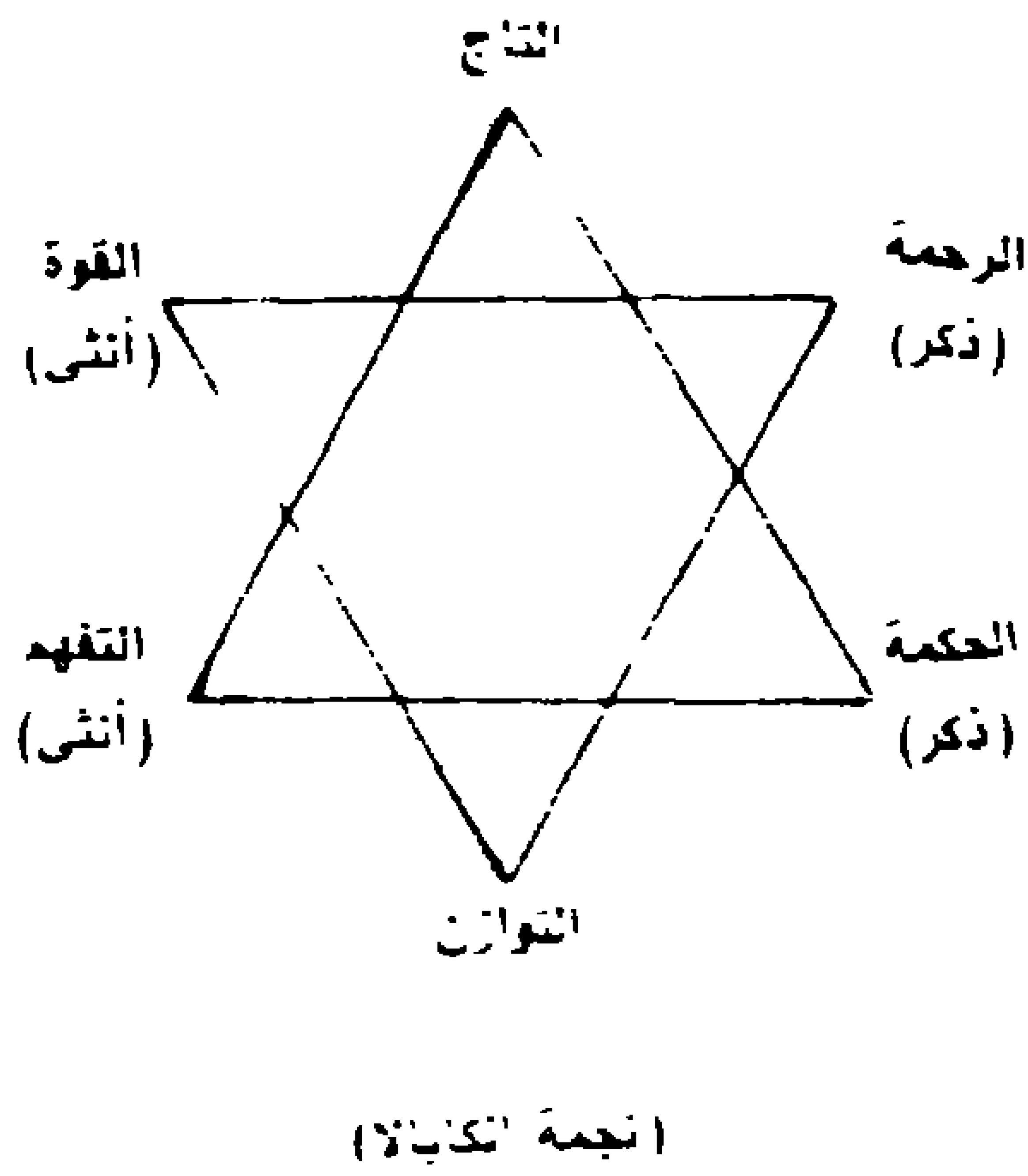
بالنسبة إلى (مثلث الذات العليا) فإن طبقة «الحكمة» (ذكر) وطبقة «التفهم» (أنثى) .

وبالنسبة إلى (مثلث الأخلاق) فإن طبقة «الرحمة» (ذكر) وطبقة «القوة» (أنثى) .

وعلي هذا سوف نقابل بين نجمة داود ونجمة الكابالا كما فى (شكل ١٨).



(نجمة داود)



(نجمة الكابالا)

**(شكل رقم ١٨)**

فبالمقابلة بين النجمتين نجد الآتى :

١ ـ أن الأقنومين المذكرين «يهـوه» و «هـرون» يقابلهما الأقنـومان المذكـران «الرحمة» و«الحكمـة» .

٢ ـ أن الأقنومين المؤنثين «إناث ياهو» و «موسى» (ممثل أقنوم الأم) يقابلهما الأقنومان المؤنثان «القوة» و «التفهم» .

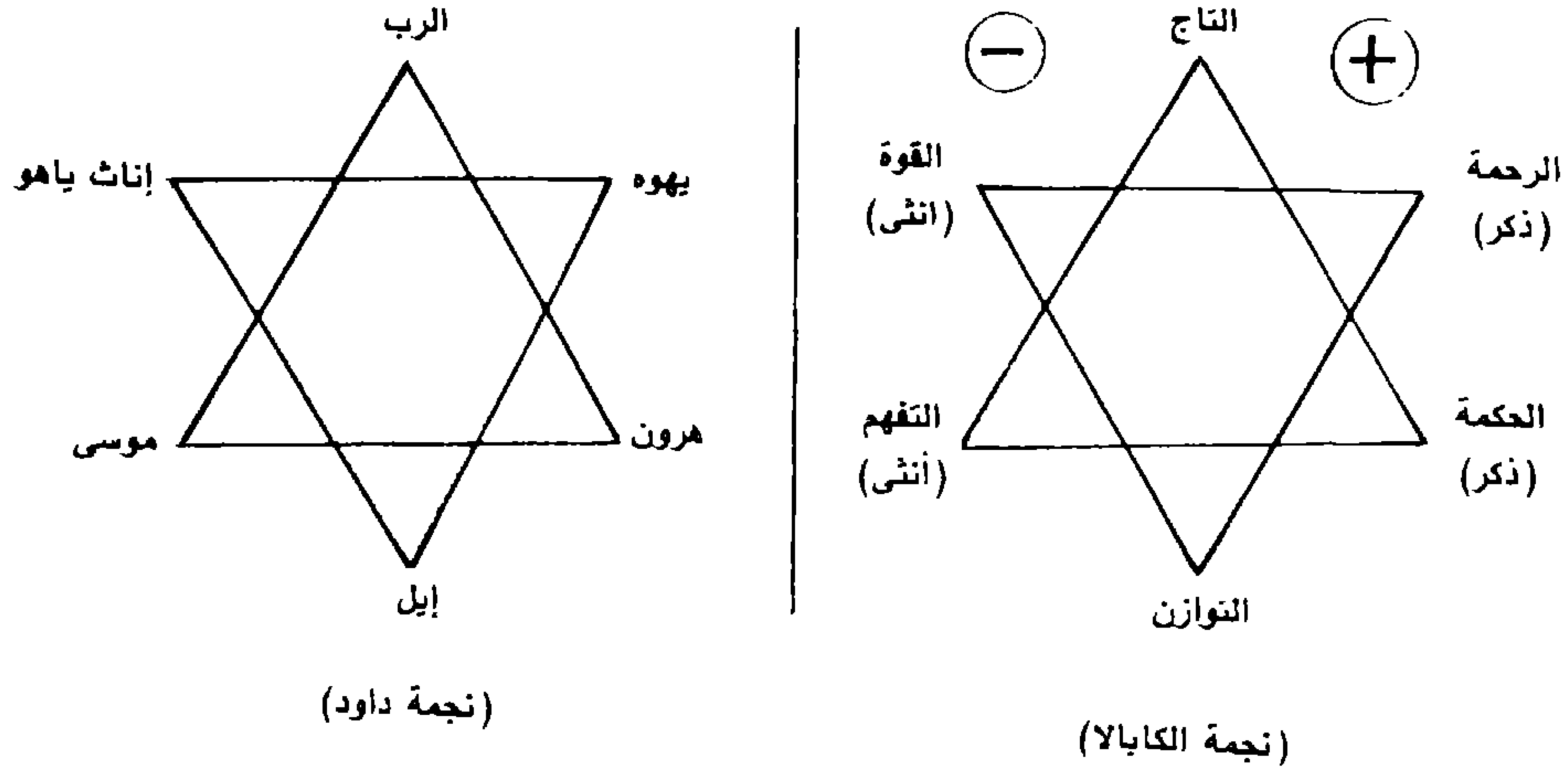
٣ ـ أن أقنوم «الرب» يمثل ربوبية الشعب المختار .. وطبقا لمبدأ المقابلة فإن أقنوم (التاج) يمثل أيضا ربوبية الشعب المختار (وهو مابيناه سابقا) .

٤ ـ أن أقنوم «إيل» يمثل إله القمـر (العقل الجبرى) .. وطبقا لمبدأ المقابلة فإن أقنوم «التوزان» يمثل أيضا العقل الجبرى (وهو مابيناه سابقا) .

والآن بعد أن تعرفنا على نجمة الكابالا التى تقابل نجمة داود .. ننتقل إلى التعرف على الفرق بينهما .

## الفرق بين نجمة الكابالا ونجمة داود

مرة أخرى نذكر رأينا بأن الهدف من الكابالا هو استكمال النقص الموجود فى نجمة داود والذى نتج عنه انهيار المملكة .. وكما بينا فإن هذا النقص يرجع إلى رفض الهوية العبرية القمرية (المذكرة) للهوية المصرية الشمسية (المؤنثة) وهو ما أرجعناه إلي جذوره البعيدة حيث حل مجتمع الأب (الذكر) محل مجتمع الأم (الأنثى)ومحاولة (١) نفى ذات الرجل لذات المرأة (٢) .. فباعتبار أن شجرة الكابالا تعكس هذه الجذور البعيدة بحكم تمثيلها لتاريخ البشرية بصفة عامة وأيضا لتاريخ الشعب المختار بصفة خاصة .. فهى تعكس محاولة نفى ذات الرجل (الذكر) لذات المرأة (الأنثى) حيث تضفى علي جانب الطبقات المذكرة صفة الموجب (+) وعلي جانب الطبقات المؤنثة صفة السالب (-) كما هو مبين فى (شكل ١٩)




(شكل رقم ١٩)

فعدنما نطابق من هذه الناحية نجمة الكابالا علي نجمة داود فإن صفة الموجب تخص الجانب المذكر حيث «يهوه» و «هرون» وصفة السالب تخص الجانب المؤنث حيث «إناث ياهو» و «موسى» .

فبالنسبة إلى «يهوه» نجد إيجابيته فى محاولته سلب الأنثى فى «إناث ياهو» عن طريق ماسبق أن تحدثنا عنه وهو احتواؤه للعنصر الأنثوى «شيكناه» المساوى للعنصر الذكر «الواحد

(١) نقول «محاولة» حيث سنبين تعارض ذلك مع قانون العقل الجبرى.
(٢) قمنا بتطبيق ذلك على شجرة الكابالا فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «نظرة جديدة الي الكابالا» .

المقدس» (١) .. ونلاحظ أننا وصفنا ذلك بأنه محاولة حيث سبق أن بينا عقم جمع «يهوه» لعنصرى الذكورة والأنوثة وتخلصه من عقمه بإعادة الأنثى التى نفاها فى «إناث ياهو» وذلك فى «عناة ياهو» حين تحول عنصره الذكر (الواحد المقدس) الذى يساوى عنصر الأنثى «شيكناه» إلى عنصر أنثى هو (الروح المقدس) .

أما بالنسبة إلى هرون فنجد إيجابيته فى محاولته التى سبق أن تحدثنا عنها لسلب دور موسى فى الخروج ونسبته إلى «الرب» .. ونلاحظ أيضا أننا وصفنا ذلك بأنه محاولة حيث ثبت فشلها ومن ثم اضطر «الرب» إلى الاعتراف بدور موسى كممثل لأقنوم (الأم) .

والسؤال هو . لماذا فشل الذكر الموجب فى نفى دور الأنثى السالب؟

والإجابة هى : أن الفشل يرجع إلى المفهوم الخطأ للموجب والسالب نتيجة النظرة الذاتية للرجل بعد احتلاله مكان المرأة .. ولكى نوضح مانعنيه نعود إلى قانون العقل الجبرى الذى يحفظ توازن الكون عن طريق حفظ التوازن بين العناصر المتضادة دون تغليب عنصر على آخر مضاد له .. وعلي هذا فإن أى عنصر موجب أو سالب يكون موجبا من حيث دوره التفاعلى بين الأضداد .. وبالتالى فإن جميع عناصر الكون فى خضوعها لقانون العقل الجبرى تعتبر عناصر موجبة ومن ثم فإن نفى الموجب للسالب يعتبر نفيا للموجب ذاته .. وهذا ماحدث لـ «يهوه» ولـ «الرب» عندما نفيا العنصر الأنثوى السالب (مجازا) وكانت النتيجة نفى إيجابية كل منهما حيث كان عقم «يهوه» وعجز «الرب» أي الشعب المختار عن التحول الفعلى إلى شعب .. وهو ما تعبر عنه نجمة «داود» كما سبق أن بينا .

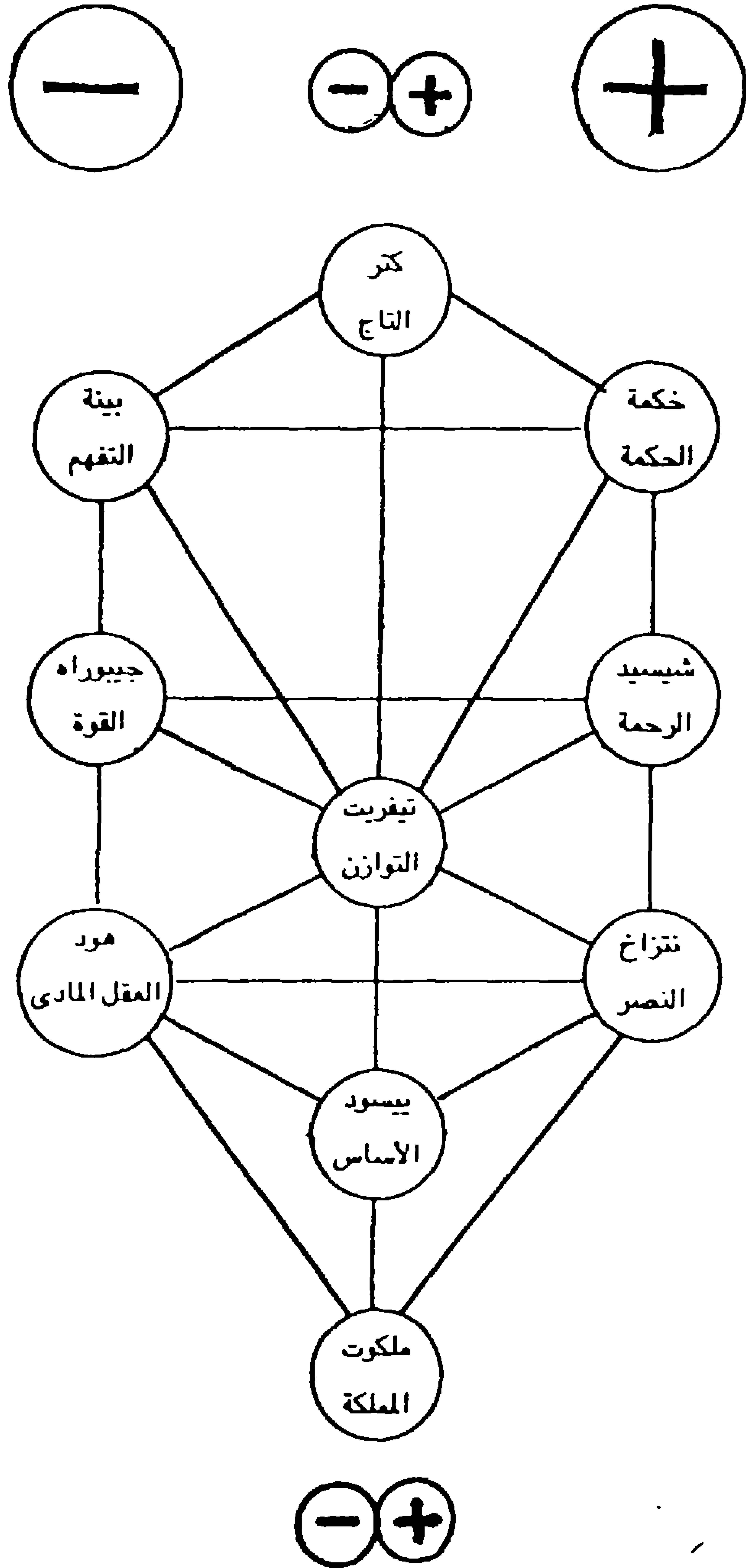
ونخرج مما سبق بأن الفرق بين نجمة داود ونجمة الكابالا يتلخص فى أن مفهوم قانون العقل الجبرى يتأثر فى نجمة داود بالنظرة الذاتية للشعب المختار الذى يخص الهوية العبرية (القمرية) المذكرة بصفة الموجب .. ويخص الهوية المصرية (الشمسية) المؤنثة بصفة السالب .. ولأنه يرفض الهوية المصرية فهو لايطبق عليها مبدأ قانون العقل الجبرى الذى يجعل السالب موجبا باعتبار دوره التفاعلى بين الأضداد .. وبعبارة أخرى فإن الشعب المختار بسبب رفضه الهوية المصرية السالبة يترجم صفة السلب بمعنى النفى نافيا بذلك قانون العقل الجبرى الذى يعمل من خلال ثنائية الموجب والسالب معا حيث يصبح السالب بمقام الموجب وحيث يصبح نفى الموجب للسالب نفيا للموجب ذاته .

والخلاصة أن نفى الهوية العبرية للهوية المصرية يعتبر نفيا للهوية العبرية ذاتها .

## نجمة الكابالا تعوض نقص نجمة داود عن طريق نجمة ‹إيل›

انتهينا إلى أن عقم نجمة داود بشأن تحقيق ذات الشعب المختار يرجع إلى نفي الموجب للسالب عن طريق نفي الذكر للأنثى نتيجة احتلال الرجل مكان المرأة .. وقلنا إن تعويض نقص نجمة داود يتم عن طريق شجرة الكابالا حيث لاينفى الموجب فيها السالب وحيث يتم التفاعل بينهما علي أن كلا منهما يكمل الآخر طبقا لمبدأ قانون العقل الجبرى .. وسوف نبين ما الذى ينتج عن ذلك من خلال (شكل ٢٠) .

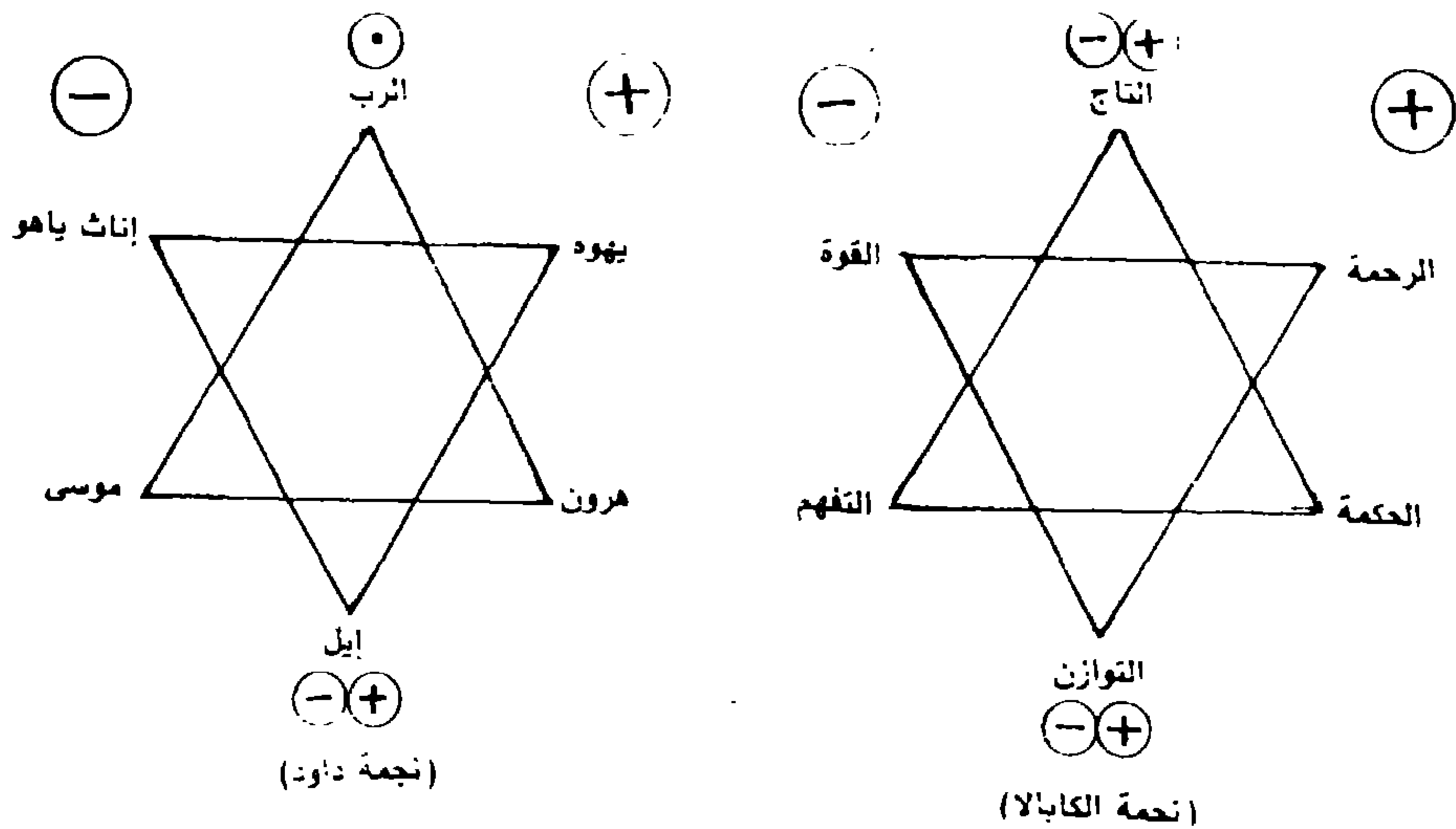
(١) كما ذكرنا سابقا فإن القائل بذلك هم بعض متصوفى الكابالا التى نحن بصددها الآن .


كتر
التاج
بينة
التفهم
خكمة
الحكمة
جيبوراه
القوة
شيسيد
الرحمة
تيفريت
التوازن
هود
العقل المادى
نتزاخ
النصر
ييسود
الأساس
ملكوت
المملكة

**شكل رقم ٢٠**

ففى هذا الشكل لشجرة الكابالا حيث تربط طبقة «التوازن» أى العقل الجبرى جميع طبقاتها .. نجد أن الطبقات الموجبة (+) والطبقات السالبة (–) تنتهى صعودا إلى طبقة (التاج) حيث يجتمع فيها (+) و (–) وكذلك تنتهى هبوطا إلى طبقة «الملكوت» حيث يجتمع فيها (+) و (–).. واجتماع (+) و (–) فى طبقة (التاج) التى تمثل الذات العليا يعنى سريان قانون العقل الجبرى على الإله باعتبار أنه ـ كما سبق وبينا ـ إله من أحد عناصر الطبيعة وهو إله الشمس «رع» .. وكذلك احتماع (+) و (–) فى طبقة الملكوت أى العالم المادى يعنى سريان قانون العقل الجبرى على عناصر مادة الكون .

ومايسرى فى شجرة الكابالا يسرى بالضرورة علي نجمة الكابالا بينما لايسرى على نجمة داود (شكل ٢١) .



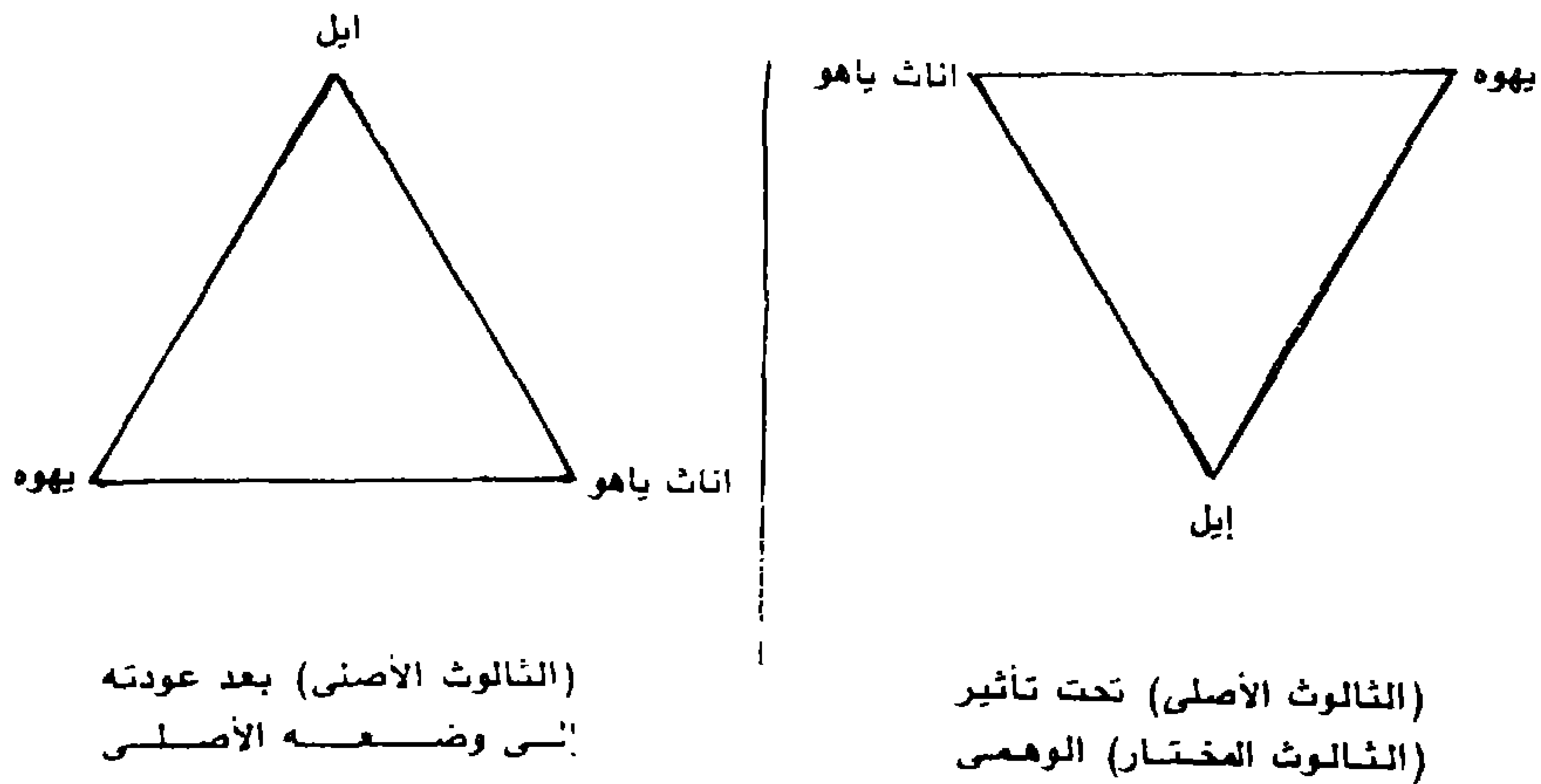

## شكل رقم ٢١

ففى هاتين النجمتين نجد أن كلا من «التوزان» و «التاج» و «إيل» يجمع بين (+) و (-) وذلك لأن «التوازن» يمثل العقل الجبرى الذى يجمع بين الموجب والسالب ولأن «التاج» و «إيل» يمثلان آلهة من عناصر الطبيعة (الشمس والقمر) فمن ثم يسرى عليها قانون العقل الجبرى الذى يجمع بين الموجب والسالب .

أما «الرب» في نجمة داود فنجد أنه يمثل (٠) وذلك بسبب رفضه كذكر موجب للهوية المصرية المؤنثة السالبة .. ومن ثم يسرى عليه مبدأ : نفى الموجب للسالب ينفى الموجب ذاته .

وكما نعرف فإن نجمة داود تمثل احتواء مثلث (الثالوث المختار) الذى يرأسه «الرب» لمثلث (الثالوث الأصلى) الذى يرأسه «إيل» .. وهو ما يعنى احتواء «الرب» للإله «إيل» .ولأن «الرب» يمثل (٠) فإن إعلاء ه علي «إيل» واحتواء ه له ينتفى ومن ثم يظل «إيل» كما هو يمثل (+) و (−) .. ومعنى هذا انفصال مثلثى نجمة داود كل عن الآخر أى انفصال (الثالوث المختار) الذى يرأسه «الرب» عن (الثالوث الأصلى) الذى يرأسه «إيل» .. أى انفصال « الرب» عن «الإله» «إيل» .. وباعتبار أن (الرب + الإله) = (الرب الإله) = ربوبية الشعب المختار فإن انفصال «الرب» عن «الإله» «إيل» يعنى نفى ربوبية الشعب المختار أو بعبارة أدق يعنى وهمية ربوبية الشعب المختار التى بنيت على أساسها نجمة داود .

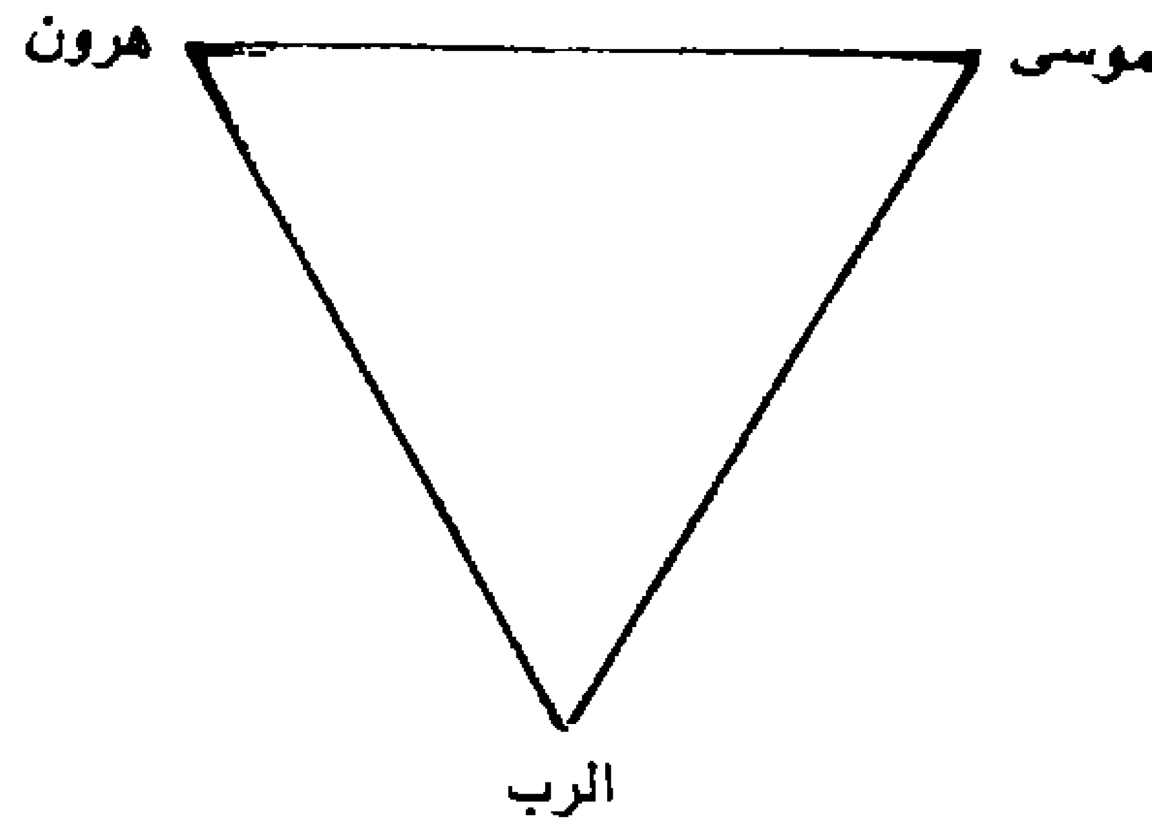
وبانفصال مثلثى نجمة داود نتيجة انتفاء تأثير (الثالوث المختار) على (الثالوث الأصلى) يعود الثالوث الأخير إلى ما كان عليه حيث يصبح معدولا بعد أن سبق قلبه وحيث يعود أقنوم «إناث ياهو» إلى مكانه الأصلى بعد أن سبق إحلال أقنوم «يهوه» مكانه .. وبهذا تعود أقانيم (الثالوث الأصلى) إلى ترتيبها الأصلى [1] (إيل . إناث ياهو . يهوه) (شكل ٢٢) .




**(شكل رقم ٢٢)**

(١) راجع الفصل الثانى والعشرين تحت عنوان «قراءة فى نجمة داود»

وعودة (الثالوث الأصلى) إلي ما كان عليه يعنى كشف الوهم الذى بُنى عليه (الثالوث المختار) وبالتالى يعنى إعادة ترتيب أقاينمه حسب ترتيب أقانيم (الثالوث الأصلى) حيث يتم تقديم أقنوم (الأم) الذى يمثله موسى على أقنوم «(الإبن) الذى يمثله هرون فيصبح ترتيبه (الرب . موسى . هرون) مقابل (إيل . إناث ياهو. يهوه) .. وأيضا كما قلب (الثالوث المختار) (الثالوث الأصلى) يقلب (الثالوث الأصلى) (الثالوث المختار) فيصبح كما فى (شكل ٢٣) .




**(شكل رقم ٢٣)**

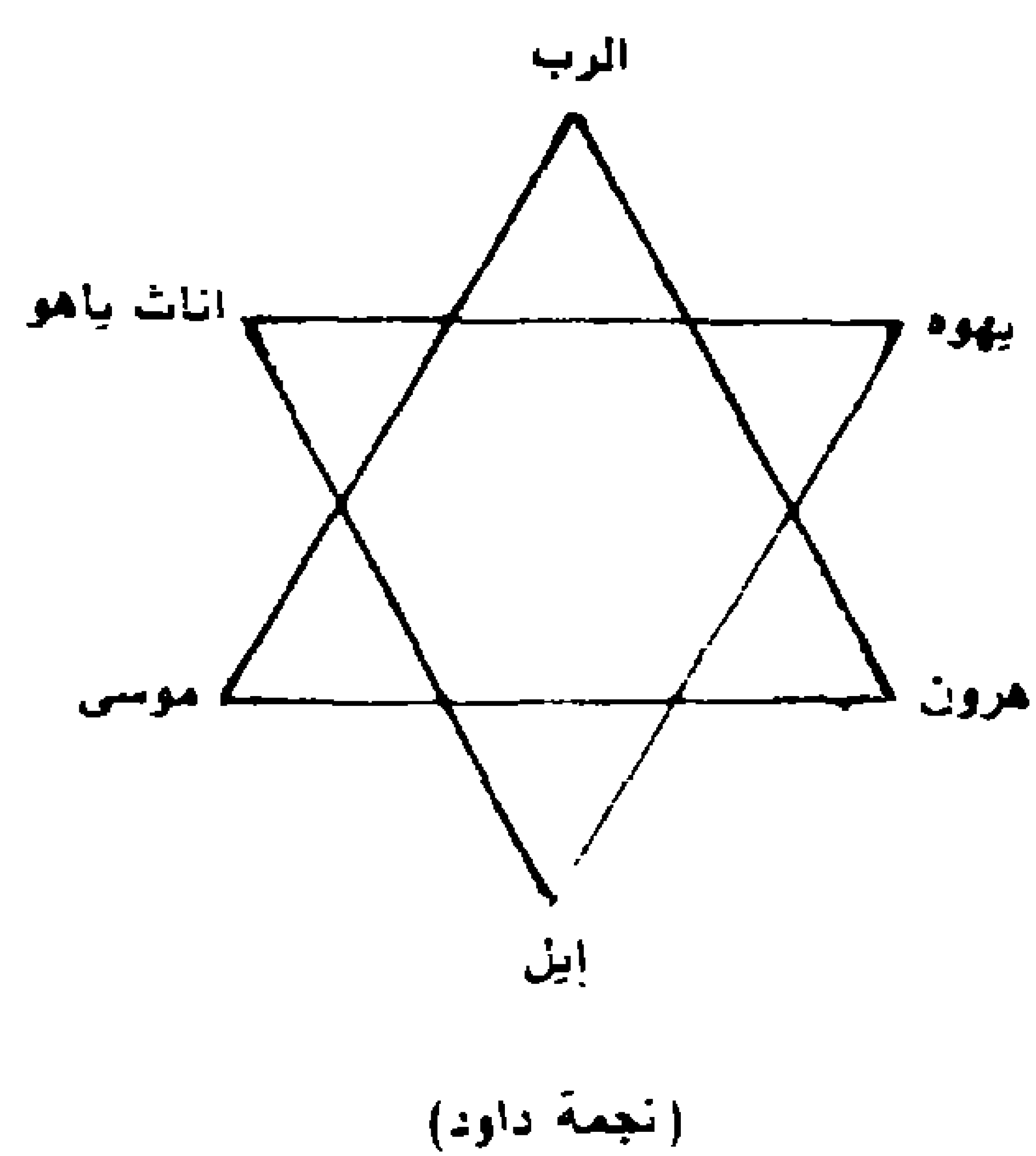
وكما سبق أن احتوى (الثالوث المختار) (الثالوث الأصلى) لينتج عن ذلك نجمة داود .. يحدث العكس فتنتج نجمة تخص (الثالوث الأصلى) وعلى هذا نسميها باسم رأس الثالوث أى نجمة «إيل» (١) (شكل ٢٤) .

وعندما نقارن بين نجمة «إيل» ونجمة داود فى الشكل السابق نجد أن أقنومى (الأم) فى النجمة الأولى قد احتلا مكانى أقنومى (الابن) فى النجمة الأخرى .. أي أنه تم تقديم الأنثى علي الذكـر (٢) فى نجمة «إيل».. ومعنى هذا أن نجمة «إيل» عالجت النقص الموجود فى نجمة داود كما فعلت نجمة الكابالا .

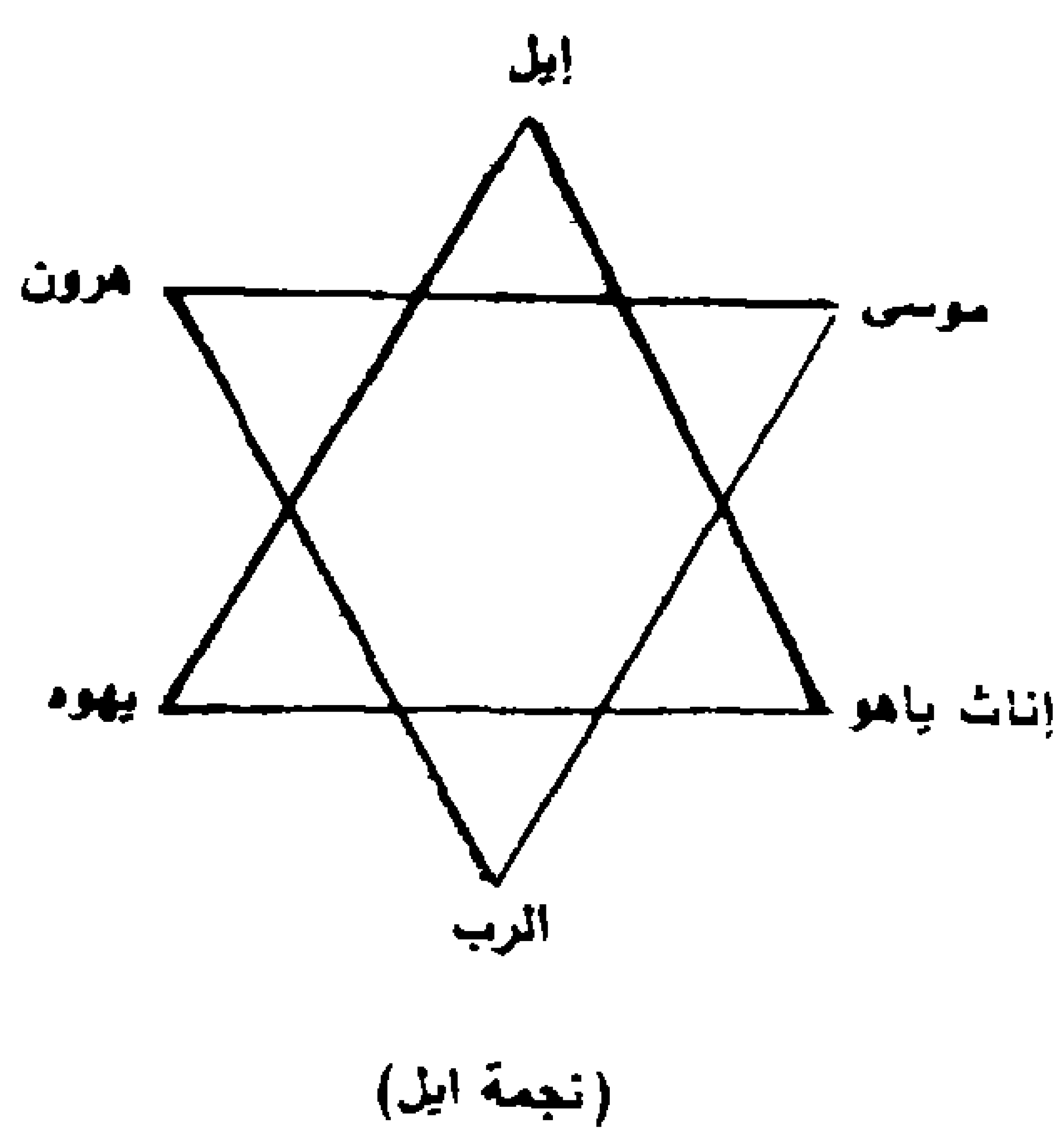
ولكن عندما نقارن نجمة «إيل» بنجمة الكابالا نجد أن النجمة الأخيرة تقدم الذكر على الآنثى أى تقدم (الإبن) على (الأم) (شكل ٢٥) ومعنى ذلك نقص نجمة الكابالا مثل نجمة داود ..

(١) وعلى هذا يمكن تسمية نجمة داود بنجمة «الرب» باعتبار أنها نتجت عن احتواء الثالوث المختار الذى برأسه «الرب» للثالوث الأصلى بوضعه المقلوب ..

(٢) لأن الثالوث أبوى فإن أسبقية الأنثى (الأم) على الذكر (الابن) يستثنى منها (الأب) الذكر بحكم رئاسته للثالوث .

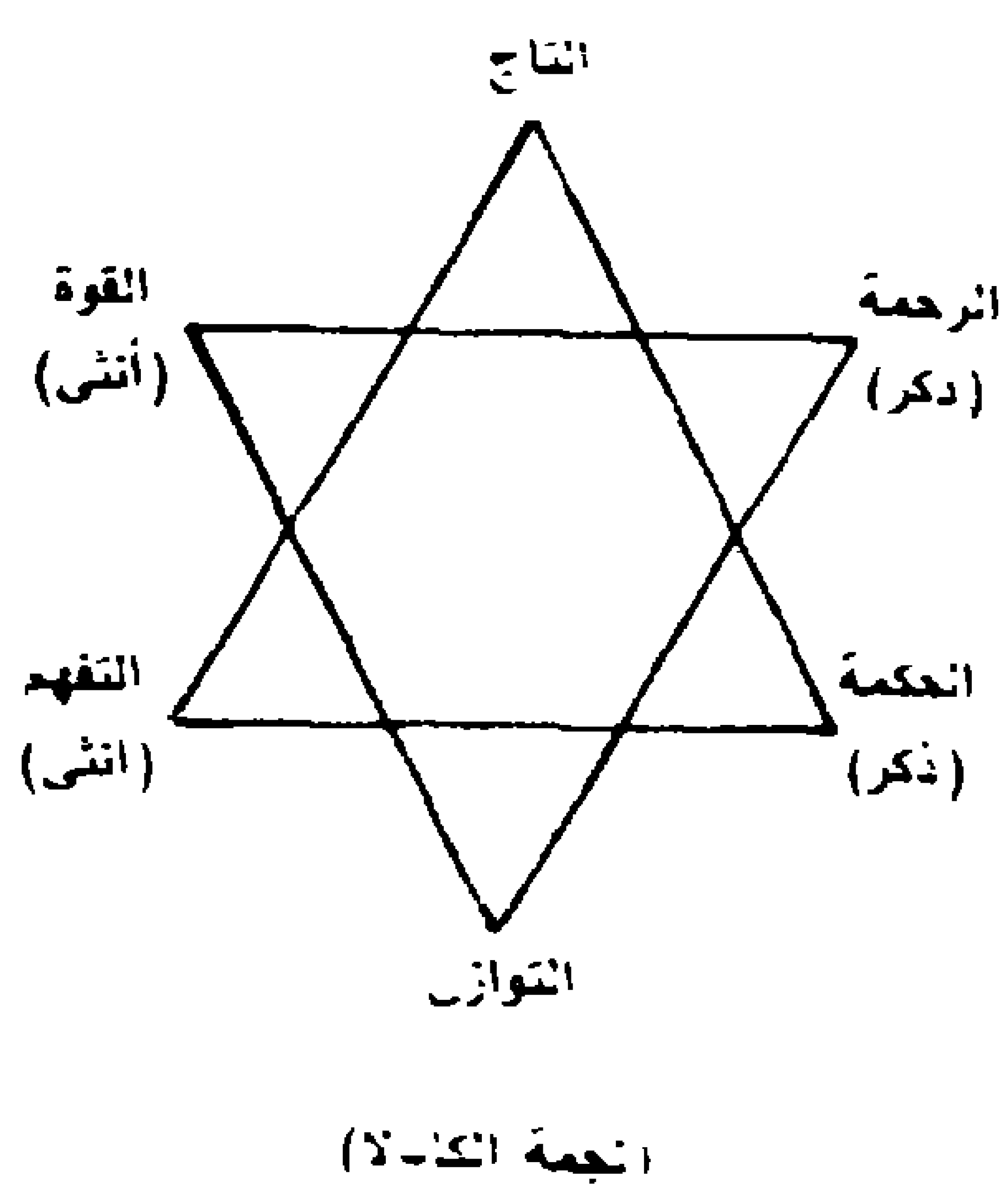



(نجمة داود)

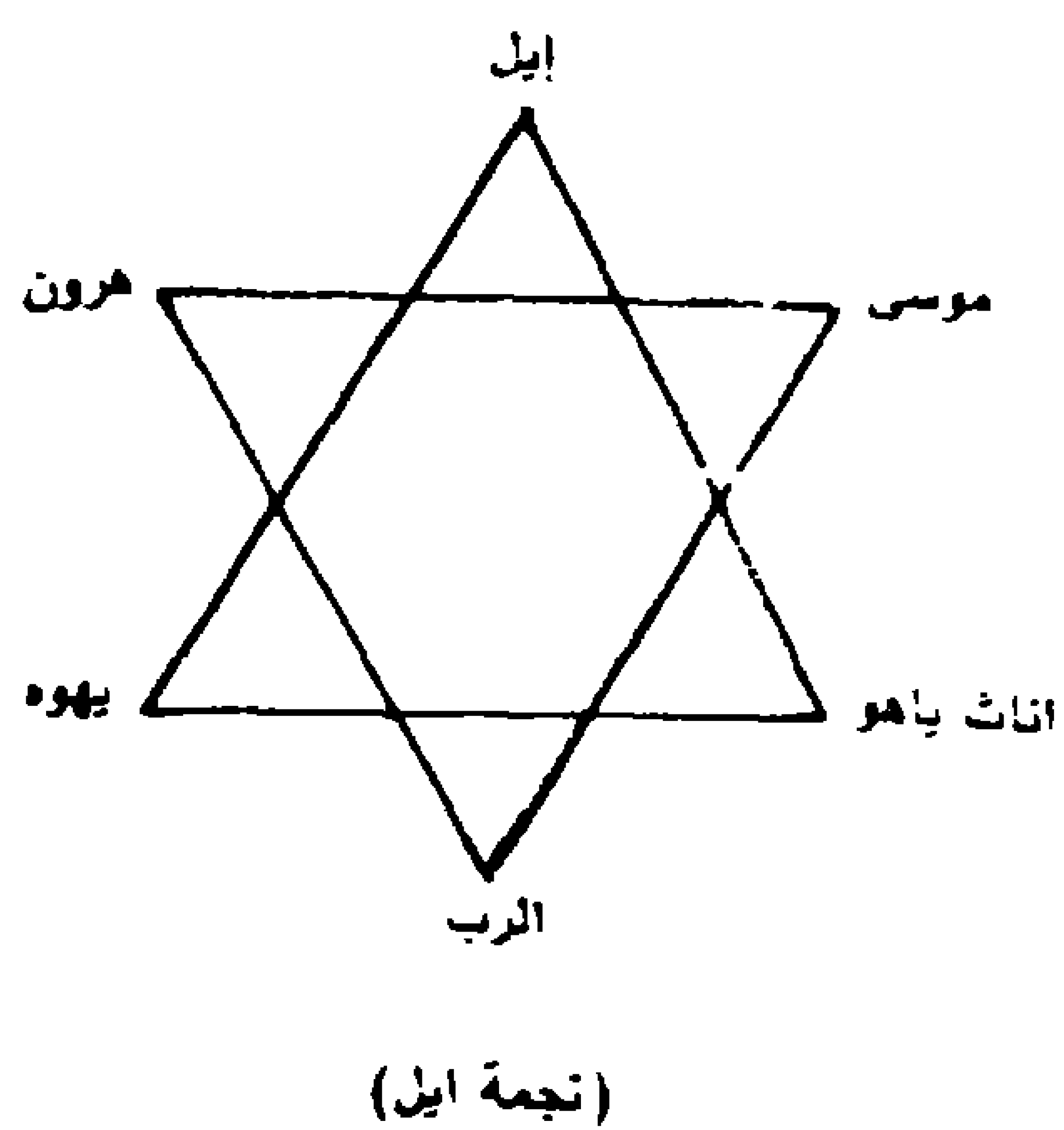



(نجمة ايل)

**(شكل رقم ٢٤)**




(نجمة الكابالا)




(نجمة ايل)

**(شكل رقم ٢٥)**

ولكن رغم هذا فمازلنا عند قولنا وكل مافي الأمر أننا وصلنا إلي النقطة التي نوضح فيها أن نجمة الكابالا لاتقوم بدورها في استكمال نجمة داود إلا بعد حلها وإحلال نجمة «إيل» مكانها .. وذلك لأن نجمة «إيل» وإن كانت ناقصة مثل نجمة داود إلا أنها تتميز عليها بقابليتها للتفاعل مع نجمة الكابالا لاستكمال نقصها .

أما عن النقص الموجود فى نجمة «إيل» فيتمثل فى أن «الرب» = (٠) .. وأما عن تميزها على نجمة داود فيتمثل فى تقديم أقنومى (الأم) الأنثى على أقنومى (الإبن) الذكر .. وعلي هذا فسوف نبين كيفية استكمال نجمة الكابالا للنقص الموجود فى نجمة «إيل» عن طريق الاستفادة من تميزها وذلك من خلال مطابقة النجمة الأولى علي الأخرى حيث ينتج الاتى :

١ ـ تطابق أقنوم «التوزان» فى نجمة الكابالا مع أقنوم «الرب» فى نجمة «إيل» .. وبما أن «الرب» = (٠) نتيجة خروجه على قانون العقل الجبري الذى يعمل من خلال الموجب والسالب (+) و (−) .. وبما أن (التوزان) يمثل العقل الجبرى فمعنى ذلك خضوع «الرب» لقانون العقل الجبرى ومن ثم تحوله من (٠) الى (+) و (−) .

٢ ـ تطابق أقنومى الذكر فى نجمة الكابالا مع أقنومى الأنثى فى نجمة «إيل» حيث ينتج عن ذلك (+) و (−) .

٣ ـ تطابق أقنومى «التاج» فى نجمة الكابالا و «إيل» فى نجمة «إيل» وهو أمر مفروغ منه حيث أن كلامنهما يمثل إلها من عناصر الطبيعة (الشمس والقمر) فهو إله يتعلق بالعقل الجبرى ومن ثم يمثل (+) و (−) .

وباعتبار أن اجتماع الذكر والأنثى (+) و (−) يعنى الخصب .. فبذلك تكون نجمة الكابالا قد استكملت ـ عن طريق نجمة «إيل» ـ نقص نجمة داود الذى نتج عنه العقم بسبب اقتصارها علي الذكر (+) ورفضها الأنثى (−) أو بعبارة أخرى بسبب نفى الموجب للسالب وبالتالى نفى الموجب ذاته .

## النجمة المزدوجة «إيل كابالا» وتحقيق الذات

انتهينا إلى استكمال نقص نجمة داود عن طريق تطابق نجمتى «إيل» والكابالا أى عن طريق نجمة مزدوجة نسميها نجمة «إيل كابالا» .. وهو ازدواج صحى لأنه يمثل التزاوج بين الذكر والأنثى .. وذلك عكس التزاوج المرضى أو التزاوج الذاتى حيث يجمع الذكر بين الذكورة والأنوثة مثلما فعل «يهوه» باحتوائه العنصر الأنثوى «شيكناه».. ومثلما فعل التلمود فى أسطورة آدم بالنسبة لحواء .

وباعتبار أن تركيب النجمة عامة يمثل ازدواج الشخصية فإن النجمة الناجمة عن نجمتين وهى نجمة «ايل كابالا» المزدوجة تمثل ازدواج الشخصية المركب الذى يقابل (ازدواج شخصية

موسى + ازدواج شخصية هرون) (١) أى يقابل (الازدواجية الثنائية) الخصبة بعكس (الازدواجية الأحادية) العقيمة التى تمثل ازدواج شخصية طرف واحد منعزل عن الطرف الآخر وهو مايعنى التزاوج الذاتى .

وفى تناولنا للازدواجية المركبة (موسى وهرون) انتهينا إلى اقتصار موسى ـ رغم ازدواج شخصيته ـ على الهوية المصرية .. واقتصار هرون ـ رغم ازدواج شخصيته على الهوية العبرية .. وهو مايعنى تحول الازدواجية المركبة إلى ازدواجية بسيطة .. ويقابل ذلك فى نجمة «إيل كابالا» أن نجمة «إيل» رغم أنها تمثل ازدواج الشخصية إلا أنها تقتصر على الهوية العبرية .. وكذلك نجمة الكابالا رغم أنها تمثل ازدواج الشخصية إلا أنها تقتصر على الهوية المصرية .. والخلاصة أن نجمة «إيل كابالا» المركبة تمثل ازدواج الشخصية البسيط الذى يجمع بين الهوية العبرية والهوية المصرية .. ولكن الجديد فى نجمة «إيل كابالا» هو ـ كما قلنا ـ التزاوج الصحى بين الذكر والأنثى أو التفاعل الصحى بين الموجب والسالب .. ويرجع ذلك إلى سيطرة العقل الجبرى على شجرة الكابالا وبالتالى على نجمة «إيل كابالا» .. ولكن قد يقال إن العقل الجبرى يسيطر على كل شىء .. فلماذا إذن لم يحل قضية الشعب المختار إلا من خلال سيطرته على شجرة الكابالا ؟ والاجابة ببساطة أن القضية تخص (الإنسان) الكائن الوحيد الذى يجمع بين الذاتية والموضوعية.. وشتان بين إنسان ينتمى إلى شعب حقق ذاته بالفعل (الشعب المصرى) وإنسان ينتمى إلى شعب حقق ذاته بالوهم (الشعب المختار) .. فالأول موضوعى وبالتالى مسلّم بحكم العقل الجبرى .. والآخر ذاتى وبالتالى مكابر أمام حكم العقل الجبرى .. ومن هنا كانت فعالية العقل الجبرى من خلال شجرة الكابالا (المصرية قبل أن تكون عبرية) وبالتالى من خلال نجمة «إيل كابالا» .

وباعتبار أن القضية تدور حول رفض هوية القمر (الذكر) لهوية الشمس (الأنثى) أو رفض الموجب للسالب .. وباعتبار أن العقل الجبرى لايفرق بين (+) و (−) حيث تتوقف فعالية كل منهما على الآخر وحيث نفى أحدهما يعنى نفى الآخر .. فمعنى ذلك أن العقل الجبرى يمثل ثنائية الشخصية التى سبق أن تحدثنا عنها (٢) والتى يتواء م فيها الطرفان دون تفضيل أحدهما على الآخر .

والخلاصة أن ازدواج الشخصية فى نجمة «إيل كابالا» يسعى إلى ثنائية الشخصية .. وعلى هذا سنطبق على النجمة منطق ازدواج الشخصية الذى يتركب من (الشخصية الأصلية) الناقصة و(الشخصية الثانوية) التى تهدف إلى استكمال نقص (الشخصية الأصلية) .. وبديهى أن (الشخصية الأصلية) تتمثل فى نجمة «إيل» باعتبار أنها تخص الثالوث الأصلى وبالتالى فإن (الشخصية الثانوية) تتمثل فى نجمة الكابالا .. وأما عن نقص (الشخصية الأصلية) فيتمثل فى

(١) باعتبار أن هرون العبرى الهوية أصلا يقابل إله القمر العبرى «إيل» وأن موسى المصرى الهوية أصلا يقابل الكابالا ذات الأصل المصرى .

(٢) راجع الفصل السابع عشر تحت عنوان «الفرق بين ازدواجية الشخصية وثنائية الشخصية» .

أن الإله «إيل» يخص الثقافة القمرية (المذكرة) ولكى يتم التزاوج فهو فى حاجة إلى الثقافة الشمسية (المؤنثة) . وهذا ما توفره له (الشخصية الثانوية) فى نجمة الكابالا عن طريق «التاج» الذى يرأسها وقد سبق أن أرجعناه الى إله الشمس الذى كان يمثل أحد عناصر الطبيعة ثم أصبح إلها خلقيا .. أو بعبارة أخرى : الذى كان إلها يتعلق بالعقل الجبرى ثم أصبح إلها يتعلق بالعقل الاختيارى المتعلق بالأخلاق .

ونخرج من ذلك بأن نقص نجمة «إيل» (الشخصية الأصلية) يتمثل فى افتقارها إلي العقل الاختياري .. وأن استكمال نجمة الكابالا (الشخصية الثانوية) لهذا النقص يتمثل فى منحها العقل الاختيارى وبهذا يتم تحقيق الذات حيث أن (العقل الجبرى + العقل الاختيارى) = (الذات) .. ونلاحظ أن تحقيق الذات هذا قد تم على مستوى الآلهة .. فإذا أحلنا ذلك إلى تحقيق ذات الشعب المختار بمعنى تحوله إلى شعب فسنجد أنفسنا أمام ربوبية الشعب المختار حيث التحول الوهمى إلى شعب .. ومعنى ذلك أن التحول الفعلى إلى شعب يستدعى خطوة سابقة يتم فيها تخلص الشعب المختار من ربوبيته .. وقد تمت هذه الخطوة كما رأينا عندما انفصل الثالوث الأصلى (الإلهى) عن الثالوث المختار (البشرى).. أى عندما انفصل اللاهوت عن الناسوت وأصبح الشعب المختار مثل سائر البشر .. وقد كان لابد من هذه الخطوة حتى يقوم العقل الاختيارى بدوره فى تحقيق ذات الشعب المختار حيث أن العقل الاختيارى يخص الإنسان فقط أى الناسوت.

ولكننا نتوقف عند تحقيق الذات على المستوى الإلهى قبل تحوله إلى المستوى البشرى .. إذ معنى ذلك أن العقل الاختيارى يخص الآلهة التى تتعلق بالعقل الجبرى كما يخص البشر .. وهذا يقودنا إلى الموضوع التالى

## ازدواج العقل الاختيارى فى شجرة الكابالا

من المفروغ منه أن العقل الاختيارى يخص الإنسان فقط .. ورغم ذلك فقد قادنا التحليل السابق إلى أن العقل الاختيارى يخص الآلهة ـ التى تتعلق بالعقل الجبرى ـ كما يخص البشر .. وسوف نفسر ذلك بمايلى :

فمفهوم العقل الاختيارى الإلهى قد نشأ نتيجة نسبتة إلى إله الشمس الذى كان مجرد إله يمثل أحد عناصر الطبيعة التى يحكمها قانون العقل الجبرى حيث لا مجال لقوانين العقل الاختيارى الذى بدأ يحكم المجتمع طبقا للقيم الأخلاقية .. ولأن العقل الاختيارى يقع تحت تأثير «الذاتية» و «النفعية» مما يجعل حكمه غير عادل فقد رفعه المصريون إلى مستوى الألوهية ليضمنوا عدالته.. ومن هنا جعلوا إله الشمس إلها خلقيا ومن ثم جاء مفهوم العقل الاختيارى الإلهى .(١) (انظر الهامش) .

---

(١) وفى رأينا أنه الى هذا يرجع تأليه الحاكم الذى يحوله الى دكتاتور .. وقد تناولنا ذلك بتوسع نسبى فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «نظرة جديدة الى ماعت»

فالعقل الاختيارى الإلهى هو فى الواقع عقل اختيارى بشرى وهو يتمثل فى شجرة الكابالا فى طبقة «التاج» التى أرجعناها إلى إله الشمس.. ولأن الشعب المختار استمد شجرة الكابالا من أصلها المصرى .. ولأنه يرفض الهوية المصرية وفى نفس الوقت يقبلها على مضض من أجل تحقيق ذاته .. فهو بالتالى يرفض العقل الاختيارى الذى يخص الشجرة المصرية وفى نفس الوقت يزرع فيها عقلا اختياريا يخصه هو .. وبهذا نكون بصدد عقلين اختياريين أحدهما مصرى والآخر عبرى وكلاهما موجودان فى شجرة الكابالا التى تجمع بين الهوية المصرية الأصلية والهوية العبرية المضافة إليها .. ومعنى ذلك أننا بصدد ازدواج للعقل الاختيارى يقابل ازدواج شخصية الشعب المختار .. إلا أنه ازدواج مركب بمعنى أنه يفرض علينا النظر إليه من خلال منظورين طبقا لازدواج الشجرة التى تجمع بين الهوية المصرية والهوية العبرية .

فمن حيث أن الشجرة المصرية هى ( الأصل) فإن العقل الاختيارى المصرى يمثل الشخصية (الأصلية) والعقل الاختيارى العبرى يمثل الشخصية (الثانوية) .

ومن حيث أن الشجرة العبرية هى (الأصل) ــ بالنسبة للشعب المختار ــ فإن العقل الاختيارى العبرى يمثل الشخصية (الأصلية) والعقل الاختيارى المصرى يمثل الشخصية (الثانوية) .

وهذا الازدواج المركب ينتج عنه صراع مركب يتمثل فى الآتى :

١ ــ صراع بين (الشخصية الأصلية) المصرية و(الشخصية الثانوية) العبرية .

٢ ــ صراع بين (الشخصية الأصلية) العبرية و(الشخصية الثانوية) المصرية .

٣ ــ صراع بين (الشخصيتين الأصليتين) المصرية والعبرية و(الشخصيتين الثانويتين) المصرية والعبرية .

وتبسيطا للمسألة سنقول إنه صراع بين العقل الاختيارى المصرى والعقل الاختيارى العبرى .. وهو صراع يرجع إلى سابق قولنا بأن المصريين نسبوا إلى إله الشمس عقلهم الاختيارى لكى ينزهوا حكمه عن «الذاتية» و «النفعية» التى تترتب عليها .. وهو ما يتعارض مع طبيعة الذاتية لدى الشعب المختار التى ينتج عنها تغليب الأثرة على الإيثار .. فما البال بتضخم الذات الذى يضاعف هذه النتيجة ؟.

ولكن تضخم الذات يتعلق بالربوبية .. وقد سبق وتوصلنا إلى تخلص الشعب المختار من وهم الربوبية عندما حقق ذاته عن طريق العقل الاختيارى .. وهنا نشير إلى ملحوظة هامة وهى أن تحقيق الذات لا يزال وهما حتى الآن .. فنحن ما زلنا بصدد شعب لم يتحول بعد إلى شعب بالفعل إذ أن دور شجرة الكابالا فى تحول الشعب المختار الفعلى إلى شعب قد ظل على المستوى النظرى حتى قيام شعب إسرائيل .. أما قبل ذلك فقد كان ــ رغم تحضره وانتشاره فى العالم المتحضر ــ فى مقام القبائل المتفرقة التى تفتقر إلى شرط قيام الشعب وهو الوطن .

وخلاصة ماسبق أننا بصدد عقلين بشريين.. أحدهما وهو المصرى فنسوب إلى إله الشمس وعلى هذا نسميه العقل الاختيارى الإلهى.. والآخر وهو العبرى منسوب إلى الشعب المختار الذى لم يتخلص بعد من ربوبيته وعلى هذا نسميه العقل الاختيارى الإلهى الوهمى .. والفرق بين العقل الاختيارى الإلهى والعقل الاختيارى الإلهى الوهمى أن الأول يستمد ألوهيته من نسبته إلى إله جبرى ومن ثم فهو يسلّم للعقل الجبرى.. والآخر يستمد ألوهيته من نسبته إلى إله بشرى ومن ثم فهو لايسلم للعقل الجبرى.. وعلي هذا نعود إلى الصراع المركب الذى عرضناه بشأن الازدواج المركب للعقل الاختيارى فى شجرة الكابالا والذى بسطناه بقولنا إنه صراع بين العقل الاختيارى المصرى والعقل الاختيارى العبرى ـ نعود فنقول إنه صراع بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى .. وطبقا لمبدأ غلبة العقل الجبرى علي العقل الاختيارى تكون الغلبة للعقل الاختيارى المصرى علي العقل الاختيارى العبرى .. وبهذا يكون العقل الجبرى قد أنهى الصراع المركب لصالح الشجرة المصرية أى لصالح العقل الاختيارى المصرى نتيجة تسليمه للعقل الجبرى.

وبما أن العقل الجبرى يتعلق بالخير فقط والعقل الاختيارى يتعلق بالخير والشر .. فإن الهدف من غلبة العقل الاختيارى المصرى علي العقل الاختيارى العبرى هو تغليب الخير على الشر لدى الشعب المختار .. ولننظر الآن كيف تم تحقيق هذا الهدف .

فكما نعرف فإن طبيعة العقل الاختيارى هى الانفصال عن العقل الجبرى .. وهذا يتفق ورفض العقل الاختيارى العبرى للعقل الاختيارى المصرى الذى يسلم للعقل الجبرى .. ومعنى ذلك أن العقل الاختيارى العبرى يجب أن يكون موجودا فى شجرة الكابالا فى موضع منفصل عن العقل الاختيارى المصرى .

ونعود الى (شكل ١٧ ص ٣٦٩) الذى يمثل شجرة الكابالا العبرية ذات الأصل المصرى .. فمن حيث مصريتها نجد أن (مثلث الذات العليا) يرأسه «التاج» الذى أرجعناه إلى إله الشمس الذى كان يتعلق بالعقل الجبرى ثم تحول إلى إله خلقى يتعلق بالعقل الاختيارى .. وعلى هذا فإن (مثلث الذات العليا) يمثل العقل الاختيارى المصرى .

ثم ننتقل من حيث عبرية الشجرة إلى (مثلث الذات) و (مثلث الأخلاق) حيث سبق وقلنا إن الذات نشأت فى (مثلث الذات) ثم نمت واكتملت فى (مثلث الأخلاق) حيث أن الأخلاق تتعلق بالعقل الاختيارى شرط تحقيق الذات .. وعلي هذا فإن (مثلث الأخلاق) يمثل العقل الاختيارى العبرى .. ولكن نظرا لأن اكتمال الذات مبنى على أساس وهمى لعدم تخلص الشعب المختار من ربوبيته .. فإن (مثلث الأخلاق) يمثل العقل الاختيارى العبرى في حالة وهم أو بالاحرى فى حالة (نقص) (١).. ولاستكمال هذا النقص يجب على (مثلث الأخلاق) أى العقل الاختيارى العبرى أن يتصل بـ (مثلث الذات العليا) أى العقل الاختيارى المصرى الذى يسلم للعقل الجبرى .. ولأن هذا

(١) قلنا سابقا إن الذات لاتوجد طفرة وإنما تنشأ وتنمو بالتدريج .. ومانعنيه هو أن ربوبية الشعب المختار لاتمنع نشوء ذاته وإنما تعوق اكتمال نموها .

لايحدث بسبب رفض الهوية العبرية للهوية المصرية فإن العقل الاختيارى العبرى يظل معلقا بين (مثلث الأخلاق) و (مثلث الذات العليا) .. وهذا ماقصدناه بقولنا إن العقل الاختيارى العبرى يجب أن يوجد فى شجرة الكابالا فى موضع منفصل عن العقل الاختيارى المصرى .. وعلينا الآن أن نكتشف موضعه بالتحديد .

## اكتشاف العقل الاختيارى العبرى فى شجرة الكابالا

عندما ننظر إلى شجرة الكابالا سنجد طبقة لم يأت ذكرها ضمن الطبقات العشر للشجرة .. وهذه الطبقة يمكن معاينتها فى (شكل ٢٦أ) حيث رسمناها بالنقط كما ميزناها بالأسود فى (نفس الشكل ب) كما يمكن أيضا معاينتها فى (شكل ١٥ ص ٣٥٨) .

وطبقا للتحليلات والاستنتاجات التى قدمناها ففى رأينا أن هذه الطبقة تمثل العقل الاختيارى العبرى .. ولتأكيد رأينا هذا نشير إلى نقطتين :

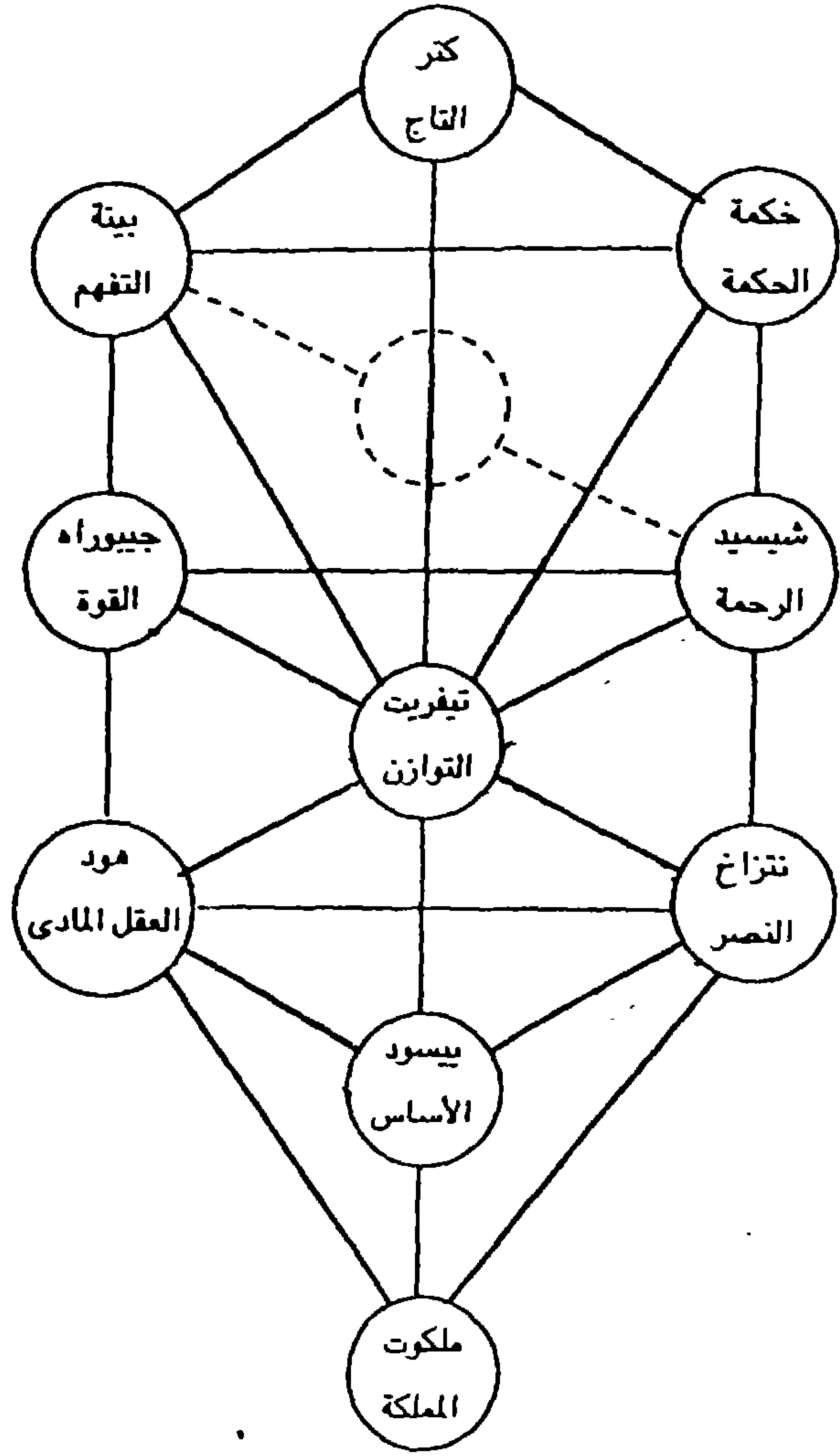
١ ـ أن هذه الطبقة بعكس بقية الطبقات لاتتصل بالخطوط المشعة من طبقة «التوازن» التى تمثل العقل الجبرى .. وهذا يتفق ومبدأ انفصال العقل الاختيارى عن العقل الجبرى .

٢ ـ أن هذه الطبقة لاتتصل أيضا بطبقة «التاج» التى ترأس (مثلث الذات العليا) الذى يمثل العقل الاختيارى المصرى .. وهذا يتفق ورفض العقل الاختيارى العبرى للعقل الاختيارى المصرى الذى يسلم للعقل الجبرى .

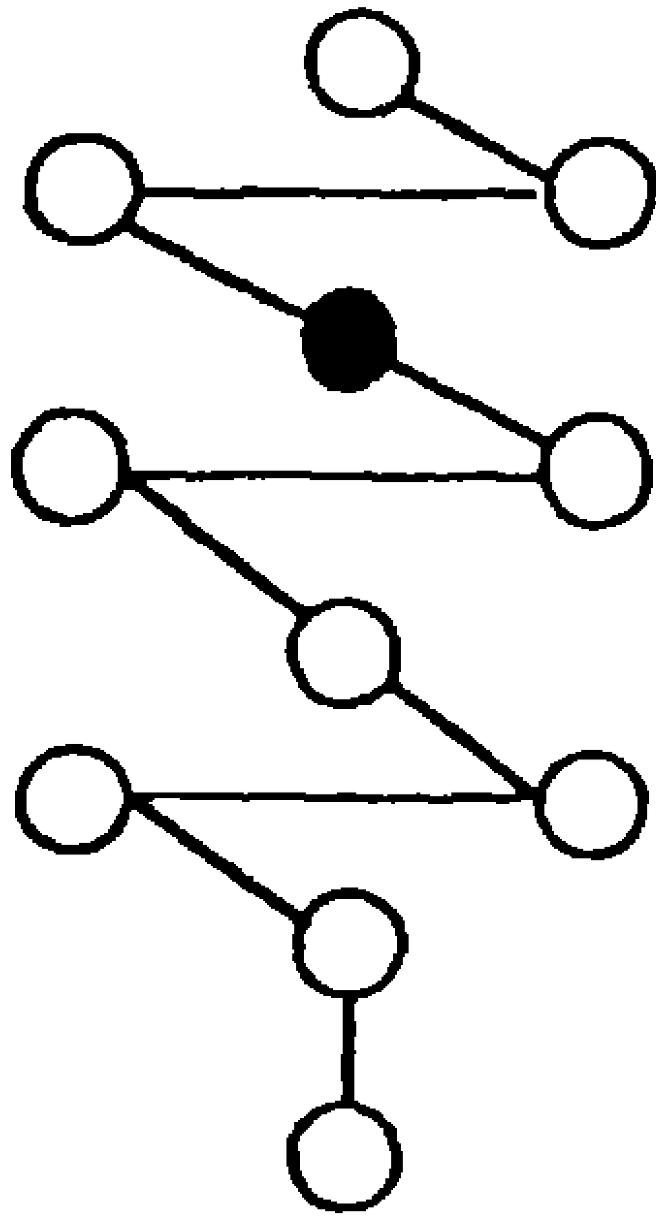
ونلاحظ الفرق بين النقطتين السابقتين وهو أن النقطة (١) تمثل انفصال العقل الاختيارى عن العقل الجبرى عامة .. وأن النقطة (٢) تمثل انفصال العقل الاختيارى بالنسبة للهوية العبرية عن العقل الجبرى بالنسبة للهوية المصرية .

ونعود إلى مبدأ غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى لنبين فشل محاولة الأخير الخروج عن سيطرة الأول .. ولأن القضية تخص موقف الهوية العبرية من الهوية المصرية فسوف نبين سيطرة العقل الجبرى من خلال طبقة «التاج» التى تمثل إله الشمس الذى يجمع بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى بعد تحوله إلى إله خلقى .

فعندما ننظر فى (شكل ٢٦ب) إلى مسار تطور الذات الصاعد إلى أعلى .. وعندما نطبقه على (نفس الشكل أ) سنجد أن طبقة العقل الاختيارى العبرى المرسومة بالنقط تنطلق من طبقة «الرحمة» إلى طبقة «التفهم» إلى طبقة «الحكمة» ثم تنتهى عند طبقة «التاج» التى تجمع بين العقل الجبرى والعقل الاختيارى .. وهو مايعنى إرغام العقل الجبرى للعقل الاختيارى العبرى على الاتصال بالعقل الاختيارى المصرى .. وهو مايعنى أيضا أنه بدون استمرار المسار الذى ذكرناه ووصوله إلى طبقة «التاج» فإن طبقة العقل الاختيارى العبرى تظل معلقة فى موضعها بين (مثلث الذات العليا) و (مثلث الأخلاق) أى تظل عديمة الفعالية من حيث اكتمال تحقيق الذات عن طريق الاتصال بالعقل الاختيارى المصرى .


كتر
التاج
بينة
التفهم
خكمة
الحكمة
جبيوراه
القوة
شيسيد
الرحمة
تيفريت
التوازن
هود
العقل المادى
نتزاخ
النصر
ييسود
الأساس
ملكوت
المملكة

(أ)



(ب)

(شكل رقم ٢٦)

## حقيقة ماوراء المضض

نخلص مما سبق بأن العقل الاختيارى المصرى ـ بتسليمه للعقل الجبرى ـ يستمد سلطته من غلبة العقل الجبرى ومن هنا يأتى تغلبه على العقل الاختيارى العبرى ومن هنا كان قولنا المتكرر بقبول الهوية العبرية للهوية المصرية على مضض .. ولكن آن الأوان الآن لنكشف حقيقة ماوراء هذا المضض. . فالشعب المختار بحكم هويته القمرية يمثل العقل الجبرى .. ومعنى هذا أن العقل الاختيارى المصرى حين يستمد سلطانه على العقل الاختيارى العبرى عن طريق العقل الجبرى ـ معناه أنه يفعل ذلك عن طريق الشعب المختار.. ومعنى هذا أن الشعب المختار يتقبل الهوية المصرية بدافع منه هو أى راضيا وليس مجبرا .. ولكن لأن العقل الجبرى موضوعى والعقل الاختيارى ذاتى .. ولأن الذات بطبيعتها انفصالية .. فإن الدافع الموضوعى حيث الرضا يتحول لدى الذات إلى إجبار .

ونخرج مما سبق بأن تحقيق الذات كامن أصلا فى العقل الجبرى .. وبأنه لكى يُخرج الذات من كمونها لابد من تعامل العقل الاختيارى مع العقل الجبرى أى لابد من تعامل الذاتية مع الموضوعية .. ولكن نظرا لطبيعة الذات الانفصالية فإن الذات العبرية الكامنة ترفض الذات المصرية .. ولكن لأن خروج الذات العبرية من الكمون يحتاج إلى الذات المصرية فهى تتقبلها على مضض .

والخلاصة أن العقل الجبرى يسعى إلى تحقيق الذات العبرية عن طريق الذات المصرية .. ولكن لأن عقدة الأسر والاضطهاد تتعارض مع ذلك فإن الذات العبرية تلجأ للخروج من كمونها إلى السحر كبديل للعقل الجبرى .. ولكن الواقع أن هناك علاقة وثيقة بين السحر والعقل الجبرى .. وبما أن شجرة الكابالا يحكمها العقل الجبرى فمعنى ذلك أن السحر كامن فيها .

## الكابالا والسحر

رأينا كيف استبدل الشعب المختار السحر بالعقل الجبرى .. ولأن هناك علاقة وثيقة بين السحر والعقل الجبرى فإن تسليمه بالسحر يعنى تسليمه للعقل الجبرى .. وقبل أن نبين ذلك نتعرف أولا على السحر .

ينقسم السحر إلى نوعين : السحر التشاكلى HOMOEOPATHIC . والسحر الاتصالى CONTAGIOUS .. وفى السحر التشاكلى يعتقد الساحر أنه يستطيع أن يحقق مايهدف إليه عن طريق فعل يماثله .. ومثال ذلك أن يصنع تمثالا لعدوه ويلحق به الضرر الذى يريده له فينتقل إليه .. وأما فى السحر الاتصالى فإنه يستبدل بالتمثال أى شئ يتعلق بجسم عدوه مثل شعره أو أظافره .. أو أى شىء لايتعلق بجسمه مثل ملابسه والأدوات التى يستخدمها .. وهذان المثالان يخصان السحر الأسود الذى يهدف إلى الشر وعكسه السحر الأبيض الذى يهدف إلى الخير مثل العلاج من المرض وجلب المطر الخ ..

والسحر التشاكلى تتم ممارسته بذاته بعكس السحر الاتصالى الذى يستعين بالسحر التشاكلى .. وعلى هذا يمكن الجمع بين الاثنين فيما يسمى السحر التعاطفى وذلك على أساس أن كلا النوعين «يفترضان إمكان تأثير الأشياء بعضها فى البعض الآخر من بعيد عن طريق نوع من التعاطف الخفى .. ولايختلف الأمر هنا عما يسلّم به العلم الحديث وهو تفسير كيفية تأثير الأشياء فيزيقيا بعضها فى البعض الآخر» (١) ومعنى ذلك أن «الساحر يعتقد أن المبادىء التى يستخدمها فى ممارسة فنونه هى نفسها المبادىء التى تنظم عمليات الطبيعة الجامدة أو غير الحية .. وهذا معناه أنه يسلم منذ البداية بأن قانونى التشابه والاتصال يصدقان على كل شىء وليس علي السلوك الإنسانى فقط» (٢).. وعلى هذا سنعيد القول السابق مع إضافة نضعها بين قوسين فنقول : إن الساحر يعتقد أن المبادىء التى يستخدمها فى ممارسة فنونه هى نفسها المبادىء (قوانين العقل الجبرى) التى تنظم عمليات الطبيعة الجامدة أو غير الحية .. وهذا معناه أنه يسلّم منذ البداية بأن قانونى التشابه والاتصال (قوانين العقل الجبرى) يصدقان على كل شىء وليس على السلوك الإنسانى فقط (سلوك العقل الاختيارى) .

ومعنى ذلك أن العقل الجبرى الذى يخص الطبيعة الجامدة أو غير الحية يحكم الكون بما فيه العقل الاختيارى الذى يخص الإنسان . وهذا يتفق وقولنا بأن تسليم الشعب المختار بالسحر يعنى تسليمه للعقل الجبرى.. كما وأن تحكم العقل الجبرى فى العقل الاختيارى ـ شرط تحقيق الذات ـ يتفق ورؤيتنا بأن غلبة العقل الجبرى تجعله صاحب الفعالية فى تحقيق الذات عن طريق تحكمه في العقل الاختيارى .. وبحكم العلاقة الوثيقة التى بيناها بين العقل الجبرى والسحر فلا فرق بين القول بأن العقل الجبرى أو بأن السحر هو صاحب الفعالية فى تحقيق الذات عن طريق تحكمه فى العقل الاختيارى.. ومن هنا نرى أن السحر متأصل فى الكابالا من حيث أن الهدف منها هو تحقيق الذات .. وإذا كان رأينا هذا يتعارض مع القول بأن «الكابالا لم تكن أصلا كتابا للسحر وأن أصحابها الأصليين كانت أهدافهم تصوفيه دينية بحتة وأن السحر تسلل اليها» (٣) .. ففى رأينا أن الأصل فى الكابالا هو السحر وأن مضمون التصوف الدينى فيها نابع من مضمون السحر وسوف نوضح رأينا هذا مع تكرار قولنا بأننا بنيناه على أساس أن الهدف من الكابالا هو تحقيق الذات عن طريق التحول الفعلى إلى شعب .

## تصحيح القول بأن الأصل فى الكابالا هو التصوف وليس السحر

كما قلنا فإن الكابالا ـ فى رأينا ـ جاء ت كرد فعل بعد انهيار مملكة الشعب المختار التى بنيت على أساس التحول الوهمى إلى شعب وهو مايعنى فشل تحقيق الذات .. وكالمعتاد عند

---

(١) «الغصن الذهبى» (ص ١٠٨)
(٢) «الغصن الذهبى» (ص ١٠٥)
(٣) «العلم والسحر» (ص ٤٣)

وقوع الكوارث الإنسانية فقد ظهرت موجة من التصوف كما ظهرت جماعة القرائين التى دعت الى قراء ة التوراة الأصلية والالتزام بما جاء فيها (١) بعيدا عن التعاليم والإضافات التى أدخلها عليها الحاخامات كما سبق أن بينا .. ومن هنا أصبحت الكابالا «تعنى التفسير الباطنى للتوراة» (٢) .

وعلى أساس معنى الكابالا هذا نتوقف عند أهم جزء فى التوراة يخص تحقيق الذات وهو سفر «الخروج» لنجد أن الوسيلة إلى ذلك هى السحر «تحول العصا الي حية .، وخروج يد موسى من عبه برصاء مثل الثلج . والضربات العشر التى أنزلت علي مصر» وكلها من أجل خروج العبريين من مصر والتحول إلى شعب فى أرض كنعان .. فباعتبار أن الكابالا تهدف إلى التفسير الباطنى للتوراة فلنا أن نتساء ل ماهو التفسير الباطنى للسحر ؟ والاجابة نجدها ببساطة في العلاقة الوثيقة التى بيناها بين السحر والعقل الجبرى .. فكما نعرف فإن العقل الجبرى يخص (الدين الجبرى) حيث التسليم المطلق.. وهذا هو التفسير الباطنى للسحر كمقابل للعقل الجبرى وبالتالى مشارك له فى المضمون .

وعندما ننتقل إلى مضمون التصوف الدينى نجده لايختلف عن مضمون (الدين الجبرى) حيث يسعى المتصوف إلى التسليم الدينى المطلق .. وبما أن شجرة الكابالا يحكمها العقل الجبرى فهو الأصل وبالتالى فإن مضمون التصوف نابع منه.. وبما أن العقل الجبرى يقابله السحر فبهذا نكون قد بينا صحة قولنا بأن مضمون التصوف الدينى فى الكابالا نابع من السحر وأن الأصل فى الكابالا هو السحر وليس التصوف .. والواقع أننا نكون فى غنى عن هذا التحليل اذا قلنا ببساطة أننا بصدد فترة من التاريخ كان يسود فيها السحر .. بل إننا بصدد أجيال عديدة من العبريين احتكت بالثقافة المصرية التى عرفت السحر .. فمن الطبيعى إذن أن يستخدموا السحر كما فعل المصريون ولو بمنطق أنه اذا كان عدوى يستخدم السحر فلأ حاربه بنفس السلاح وهو ماذكرناه لتونا بشأن وجود السحر فى سفر «الخروج» .

إلا أن الشعب المختار استخدم السحر فيما لم يستخدمه المصريون حيث ساوى بين مضمون التصوف ومضمون السحر ومن ثم ساوى بينهما وبين العقل الجبرى ـ بحكم العلاقة الوثيقة بينه وبين السحر ـ وقد فعل الشعب المختار ذلك بسبب ربوبيته أو بالأصح ألوهيته . وهذا موضوعنا التالى.

## الصعود بالجسد وليس الصعود بالروح

فى بداية حديثنا عن شجرة الكابالا رأينا العلاقة بين كلمة السر التى تتيح للروح التغلب علي القوى الشريرة التى تعوق صعود الروح إلى الطبقات العليا ـ وبين السحر لدى المصريين

(١) بعد أن كان قد تم إعلاء التلمود على التوراة وأصبح من يدرسها لايستحق ثوابا بعكس من يدرس تفاسير التلمود (راجع الفصل التاسع تحت عنوان «ثنائية التلمود وتوظيف الدين لحساب السياسة» ) .

(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام » (ص ٤٨ ) .

الذى يؤدى نفس المهمة بشأن صعود الروح إلى عالم السماء .. وإذا كنا نتحدث عن روح المتوفى فإن السحرة فى الكابالا يعتقدون بأن صعود الروح «لايستلزم أن يموت الإنسان بل يمكن الصعود بممارسة الطقوس السحرية المناسبة التى تصعد بالروح إلى أعلى دون الوفاة» (١) .. وفى رأينا أن هذا يرجع إلي ربوبية أو بالأصح ألوهية الشعب المختار التى جعلته يعطى نفسه «حق التدخل في صياغة القانون الإلهى» (٢) وهو مايعنى الخروج على قانون العقل الجبرى .. وإذا كان هذا يتعارض مع سابق قولنا بأن تسليم الشعب المختار بالسحر يعنى التسليم للعقل الجبرى .. وإذا كان خروج السحر لديه على قانون العقل الجبرى هو مجرد وهم راجع إلى وهم الربوبية ومن ثم الألوهية .. إلا أن هذا الخروج الوهمى على قانون العقل الجبرى يعتبر فى حد ذاته تسليما للعقل الجبرى .

ولكى نبين مانعنيه نعود إلى صعود الروح دون وفاة لنجد أنه يعنى الصعود بالجسد (وسبق وبينا تحت عنوان « الكابالا وتحقيق ذات الشعب المختار» أن صعود الروح يعنى صعود الذات الذي يتضمن صعود الجسد) . والجسد مادة يحكمها العقل الجبرى .. وسبق وبينا أن الجسد موصل روحى جيد بحكم تعلقه بالعقل الجبرى .. وباعتبار أن الجسد مادة وأن الساحر يعتبر أن المبادىء التى يستخدمها فى ممارسته للسحر هى ذاتها قوانين العقل الجبرى التي تحكم المادة فإنه يمكن القول بأن السحر ـ مثل الجسد ـ موصل روحى جيد .. وهذا فى رأينا هو مفهوم التصوف ـ النابع من السحر ـ عند أهل الكابالا حيث التصوف ـ مثله مثل السحر ـ موصل روحى جيد للوصول إلى الذات العليا .. وهى نتيجة إيجابية تؤكد قولنا بأن الخروج الوهمى على قانون العقل الجبرى الناتج عن وهم الربوبية ومن ثم الألوهة يعتبر فى حد ذاته تسليما للعقل الجبرى .

ومعنى ذلك أن غلبة العقل الجبرى تنفى ربوبية ـ وبالتالى ألوهية ـ الشعب المختار وتجعله يتجه إلي الذات العليا بدلا من ذاته وهو مايعنى ضمنا نفى تضخم الذات الناتج عن الربوبية .. وبديهى أن حكم العقل الجبرى هذا هو نفس حكم السحر وذلك بحكم العلاقة الوثيقة بين الاثنين وأيضا هو نفس حكم التصوف بحكم أنه نابع من السحر .

والخلاصة أن التصوف فى الكابالا ـ مثله مثل أى تصوف ـ هو وسيلة اتصال بالذات العليا ـ ولكن يبقى أن الذات العليا فى الكابالا يمثلها إله من صنع البشر يسرى عليه قانون العقل الجبرى .. وهنا يأتى دور تأثر فلسفة الكابالا بالأصل المصرى الذى أخذت عنه حيث تم ـ كما أوضحنا سابقا ـ تحويل (الدين الاختيارى) إلى (الدين الجبرى) حيث التسليم المطلق ومن ثم الوصول إلى التوحيد فى ديانة «آتون» .

---

(١) «العلم والسحر» (ص ٤٣ - ٤٤ ) .

(٢) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام » (ص ٤٥ ) .

## الكابالا والتوحيد

إذا كان تحليلنا لشجرة الكابالا قد قادنا إلي التوحيد .. فالواقع أن التوحيد كامن فى شجرة الكابالا بحكم أن العقل الجبرى يحكمها .. فالعقل الجبرى يتعلق بـ (الدين الجبرى) أى دين الفطرة الذى يجعل الإنسان يدرك ـ رغم تعدد آلهته ـ وجود إله واحد وإن كان يتمثل فى أحد عناصر الطبيعة التى يحكمها العقل الجبرى .. وإذا كان ظاهر ذلك هو تأليه العقل الجبرى (١) فباطنه هو الوصول بالإنسان إلى فكرة التوحيد قبل أن يأتى الدين المنزل ويدرك عن طريقه الواحد الحق الذى وضع قانون العقل الجبرى .. وهذا المنطق التطورى للوعى بالتوحيد يؤكد حتمية امتداد شجرة الحياة المصرية فى شجرة الكابالا حيث الأولى تمثل الإدراك الفطرى (اللاشعورى) للواحد الحق فى ديانة «آتون» والثانية تمثل الادراك الناضج (الشعورى) للواحد الحق فى أول ديانة منزلة وهى الدين اليهودى .

وبذلك نكون قد كشفنا عن القيمة الحقيقية لفلسفة الكابالا وعن جوهرها الملموس فى السحر الذى بنيت على أساسه بحكم الحقبة التاريخية المعاصرة لها (٢) وبحكم تأثرها بالسحر المصرى .. بالإضافة إلى وهم الربوبية وتضخم الذات اللذين نتجا عن عقدة الأسر فى مصر واللذين جعلا الشعب المختار يسقط الحاجز بين عالم السماء الإلهى وعالم الأرض البشرى ويعتنق مبدأ السحر الذى يقول : «كما هو الخلق الأعلى يكون الخلق الأسفل» (٣) .. «أى أن الإنسان صورة مصغرة للآلهة وأنه الخليفة فى الأرض» (٤) .. فهو بذلك خليفة يجمع من حيث الربوبية بين اللاهوت والناسوت .. ويجمع من حيث تضخم الذات بين ذات الإله وذاته ..

ونعود إلى مبدأ السحر الذى ذكرناه والذى يقول : «كما هو الخلق الأعلى يكون الخلق الأسفل» لنجد فى هذه العبارة إضافة إلى ما قدمناه بشأن مصرية أصل الكابالا .. فالعبارة المذكورة تذكرنا بتماثل عالم السماء وعالم الأرض عند المصريين مثل نيل السماء ونيل الأرض .. وإذا كانت هذه العبارة تخص السحر ففى رأينا أن الفكر الدينى المصرى الذى تصور تماثل عالم السماء وعالم الأرض هو فى الحقيقة نابع من السحر وبالتحديد السحر التشاكلى حيث أعتقد الإنسان أن مايتمناه فى عالم السماء سيتحقق طبقا لما يفعله فى عالم الأرض .. وهو نفس مايفعله الساحر مع تمثال الشمع ـ مثلا ـ ليحدث مايماثله مع الشخص الذى يشبهه التمثال .

«ويزعم السحرة منذ الأزل أن لهم كتابا مقدسا وجد أول ماوجد على شكل لوح من حجر الزبر جد مكتوب عليه أسرار الحياة والكون .. وأول جملة مكتوبة فيه (هى العبارة التى ذكرناها)

---

(١) أى مذهب المادية الذى يجعل المادة أصلا للكون .. بعكس مذهب المثالية الذى يجعل العقل أصلا للكون .

(٢) بغض النظر عن أن أحد الكتابين الأساسيين للكابالا وهو « الزهار» قد كتب فى القرن ١٣ م . إذ أن الكتاب الآخر وهو «سفريتزرا» قد كتب فى أرض بابل (أثناء الشتات البابلى) فى الفترة ما بين القرنين ٣ ، ٦ ق. م .

(٣) «العلم والسحر» (ص ١٣٢) .

(٤) «العلم والسحر» (ص ١٣٢ ) .

«كما هو الخلق الأعلى يكون الخلق الأسفل» ومع ظهور الديانة اليهودية نسب هذا اللوح المخطوط إلى أحد أحفاد آدم . وأول من عثر عليه كانت سارة زوجة إبراهيم (١) .. وعلى هذا يمكننا القول بأن تعرف العبريين على السحر المصرى بدأ منذ زيارة ابراهيم لمصر (حيث أدعى لدى الفرعون أن سارة أخته وليست زوجته) كما وأن نسبة اللوح السحرى- الذى بينا علاقته بالثقافة المصرية - إلى أحد أحفاد آدم بعد ظهور الديانة اليهودية يعنى نَسَبته إلي أحد أحفاد الشعب المختار الذى يرمز آدم إليه .. فمن البديهى إذن وصف خيمة الاجتماع بأنها «شبه السماويات وظلها» (٢) و«أمثلة الأشياء التى فى السماوات» (٣) وذلك طبقا لمبدأ «كما هو الخلق الأعلى يكون الخلق الأسفل» .

ونعود إلى القيمة الحقيقية التى كشفناها لمضمون فلسفة الكابالا وهى الإيمان بالواحد الحق عن طريق الدين المنزل حيث نجد أن التاريخ يؤكد ذلك .. فالكابالا كما قلنا ظهرت نتيجة الدعوة إلي الالتزام بالتوراة الأصلية المنزلة .. وكان لابد أن يواكب ذلك تخليص الشعب المختار من فكرة الربوبية التي تتعارض مع المضمون الحقيقى للكابالا .. ومن هنا ظهر كتاب «دليل الحائرين» لموسى بن ميمون الذى وضع فيه أسس الإيمان بالواحد الحق وهى الأسس التى «أصبحت متأصلة فى العبادة اليهودية حتى الآن» (٤) .. وفيما يلى نورد أهم هذه الأسس كما نورد تعليقنا عليها بين قوسين :

١ - وجود الله (وهو غير (الله) التوراتى الذى = «إيل») .

٢ - أنه واحد لاشريك له (وهو مايعنى إلغاء فكرة ربوبية وألوهية الشعب المختار).

٣ - أنه لايتكون من مادة (أى أنه ليس إلها من عناصر الطبيعة مثل «إيل» و «يهوه» ) (وفى هذا اعتراف صريح بأن الشعب المختار كان يعبد آلهة مادية) .

٤ - أن موسى أعلى الأنبياء (بعد أن كان إلها عينه «الرب» )

٥ - أن التوراة وحى من عند الله لموسى (وهو مايعنى العودة إلى التوراة الأصلية وإلغاء التحريف الذى أدخل عليها .. وهو المعنى الذى نجده في النقطة التالية)

٦ - أن التوراه لاتتبدل ولاتتغير (وفى هذا اعتراف بتحريف التوراة)

ونتوقف عند ملحوظة بشأن كتاب «دليل الحائرين» وهى أنه أخذ عليه إهماله للرحمة والمحبة التى هى من صفة الإله الواحد» (٥) .. وهى ملحوظة تنم عن عدم التخلص نهائيا من القسوة والبغضاء لدى الآلهة السابقة التى واجه بها الشعب المختار تاريخه مع مصر .

(١) «العلم والسحر» (ص ١٣٢)
(٢) «عبرانيين» ( ٨:٥)
(٣) «عبرانيين» (٢٣:٩)
(٤) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية الى الإسلام» (ص ٤٦)
(٥) «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية الى الإسلام» (ص٤٧)

ورغم ذلك فقد كان للثقافة الدينية المصرية الفضل فى ظهور فلسفة الكابالا التى تعتبر من وجهة نظرنا أعظم ماتمخضت عنه الثقافة اليهودية من حيث المضمون الذى كشفنا عنه والذى خلص الشعب المختار من ضباب الربوبية وتضخم الذات الذى حجب عنه إدراك الواحد الحق عن طريق دينه المنزل .

وبعد أن بينا علاقة الكابالا بالثقافة المصرية .. يبقى أن نبين أيضا علاقة اسمها بالثقافة المصرية (١) .

## أصل اسم الكابالا

قد أوضحنا بما لايدع مجالا للشك علاقة الكابالا بالثقافة المصرية على المستويين الدينى والفلسفى .. فلا غرابة إذن أن نقول إن هناك علاقة بين إسم الكابالا وبين الرمزين (با) و (كا) اللذين ابتدعتهما العبقرية الروحية للإنسان المصرى قديما .. وباعتبار أن شجرة الحياة تمثل تطور البشرية بصفة عامة وتطور الشعب المختار بصفة خاصة .. فعلى هذا نقول الآتى :

١ ـ إن شجرة الحياة تمثل الإنسان روحا وعقلا وجسدا .. وهذا يتمثل فى (با) كرمز للروح أو العقل و(كا) كرمز للجسد .. وعلى هذا فإن (با) + (كا) = (باكا) رمز الإنسان (٢) .

٢ ـ إن شجرة الحياة يغلب فيها العقل الجبرى (الجسد) على العقل الاختيارى (العقل) .. ومن هنا جاءت أسبقية (كا) على (با) فى الاسم (كابالا) .

وننتقل إلى المقطع الثالث فى الإسم (كابالا) وهو (لا) الذى يمكن إرجاعه إلى الآتى :

على أساس أن شجرة الحياة فى الكابالا منسوبة ـ حسب رأى أصحابها ـ إلى الله .. فهى «شجرة الله» .

وعلى أساس أن شجرة الحياة = (كابا) يكون اسمها «كابا الله» .وبإسقاط الهاء أثناء النطق يصبح «كابالله» وبتخفيف النطق يصبح «كابالا» .

وعلى أساس أن (كابا) = الإنسان يكون معنى «كابالا» هو «إنسان الله» .. وباعتبار أن المقصود هو الشعب المختار يكون معنى «كابالا» هو «شعب الله المختار» .

ولكننا توصلنا إلى أن شجرة الكابالا لا تنتسب إلى الله ـ كما يزعم أصحابها ـ وإنما تنتمى إلى إله من صنع البشر وهو إله الشمس بحكم الأصل المصرى للشجرة .. والمطلوب هو معرفة الإله الذى نسبت إليه شجرة الكابالا قبل نسبتها إلى الله .. وستكون وسيلتنا إلى ذلك هى الصفات التى نعرفها عن ذلك الإله أى صفات (التاج) .. فمن صفات (التاج) أنه (الأب) .. وكما نعرف فإن صفات (مثلث التاج) تنعكس على المثلث الذى يليه وهو (مثلث الأخلاق) حيث نجد أن

---

(١) بينا ذلك فى كتاب «صدمة العرى» ونعيد بيانه هنا لمن لم يقرأه .. وذلك استكمالا لموضوع الكابالا .
(٢) راجع فى ذلك كتاب «صدمة العرى» تحت عنوان «الرمز الشمولى باكا» .

أولى طبقاته «تسمى» شيسيد» وهى كلمة عبرية تعنى الرحمة والعاطفة الصادقة .. أو السيد مثل الأب ورب العائلة والحنان الأبوى (١) .. والمطلوب هو البحث عن إله له نفس الصفات .

ويحدثنا د. سيد القمنى عن إله يسميه «الأب الودود» وهو إله قمرى عبده المعينيون (٢) واسمه (ود) «ويعنى الأب الودود أو الحنون .. والرحمة والمحبة» (٣) .. وواضح أن صفات الأب القمرى (ود) هى نفس صفات الأب الذى تمثله طبقة «الرحمة» فى الكابالا .. والأب بمنطق الثالوث يحتم وجود الإبن .. ومن هنا نجد «اعتقاد المعينيين أنهم أبناء مباشرون للقمر (ود) حتى أطلقوا على أنفسهم (هـ .. ود) والهاء تفيد الانتساب والبنوة ويصبح المعنى (أبناء ود) أو الأبناء الذين في الأرض للأب الذى فى السماء (٤) .

وحين نطبق ذلك على شجرة الكابالا باعتبار أن (كابا) يرمز للإنسان يكون اسمها (كابا ود) أى (ابن ود) أو (أبناء ود) أو (شعب ود) حيث المقصود هو الشعب المختار .. ولكن رغم التطابق الموجود بين صفات الأب القمرى (ود) وصفات الأب فى شجرة الكابالا إلا أنه ليس هناك علاقة بين (ود) والمقطع (لا) الذى نبحث عن أصله .. ومع ذلك فقد خرجنا مما سبق بمؤشر يوضح أن طريق بحثنا يجب أن يستمر فى مجال عبادة القمر (وهو أمر بديهى بالنسبة لشجرة الكابالا المصرية (الشمسية) التى تجنست بالهوية القمرية) .

ونعود الى د. سيد القمنى حيث يحدثنا عن إله قمرى آخر ويقول :

«كان (إل) اسما إلهيا فى بلاد الرافدين وبلاد الشام القديمة .. وهو فيما يؤكد لنا «د. جواد علي ونولدكه وآخرون» إله سامى معروف فى كل العبادات السامية .. كذلك يؤكد لنا «ديتلف نيلسن» أن معبودا باسم (إل) كان معروفا فى كل بقاع جزيرة العرب .. ويرى أنه كان إسما ذا دلالة عامة يستعمل كبديل لكل إسم إلهى فى حديث الغائب فيقال (إل كذا) ويتبع (إل) الإله المقصود . ويضيف «نلسن أن (إل) ورد كعلم لإله خاص فى النقوش السبئية والقتبانية .. وقد أفادنا «ريكمانز» أن (إل) قد جاء فى النقوش السبئية يحمل اللقبين (فخر) بمعنى العظيم و(تعلى) بمعنى تعالى .. كما أفادنا «هوبر» بأنه قد عثر على (إل) فى النقوش الثمودية بالصيغة (إله ن) وتعنى الله» (٥) .

وهكذا يصل بنا (إل) إلى الله .. ومن ثم يعيدنا هذا إلى قولنا السابق بأن «كابالا» أصلها «كابا الله» ولكننا توصلنا إلي عدم صحة نسبة الكابالا إلى الله الحق وأوضحنا أن لها جذورا تمتد إلى العقيدة الشمسية المصرية حيث لايوجد إله يدعى (إل) .

---

(١) «العلم والسحر» ( ص ٤٦)
(٢) « نسبة إلى معين وهى دولة قديمة باليمن عاصرت دولة سبأ وقطبان وحضر موت فى القرن ٧ ق . م . وكانت عاصمتها تسمى «معين» (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٢٤) لاحظ أن أول كتاب للكابالا ظهر فى الفترة ما بين ٣٠٠ ، ٦٠٠ ق . م .
(٣) «الاسطورة والتراث» ( ص ١١٦ ١١٧)
(٤) «الأسطورة والتراث» (ص ١١٧)
(٥) «الأسطورة والتراث»» ( ص ١١٨ ، ١١٩)

ولكن العقيدة الشمسية تخص السماء حيث النجوم والكواكب .. والطبقة الثانية من الكابالا تحتوى على النجوم والسدائم ثم تليها سبع طبقات تعبر عن الكواكب السبعة المعروفة حينئذ» (١) . الأمر الذى يقودنا إلى البحث عن ضالتنا فى عبادات أخرى لسيارات السماء . وأفضل مفتاح للبحث هو مبدأ التزواج بين الآلهة الذى يحتمه منطق الثواليث لاسيما أننا بصدد تزاوج بين شجرة الكابالا العبرية (القمرية) والشجرة الأصلية المصرية (الشمسية) .. والقمر ذكر والشمس أنثى والمطلوب إذن ثالوث تزوج فيه القمر «إل» من الشمس .. والثالوث المطلوب هو (الأب) « إل» و(الأم) «إلات» و (الإبن) «عثتر» .

ولكن (إل) إله رعوى .. والعبريون بدأوا بالثقافة الرعوية القمرية وانتهوا إلى الثقافة الزراعية الشمسية وتحول إسم إله القمر الأب (إل) إلى (إيل) (٢) وإسم إلهة الشمس الأم (إلات) إلى (إيلات) .. وإلهة الشمس كنجم شرط لوجود «الحياة» وهى كأم صانعة «للحياة» (٣) ومن هنا ـ فى رأينا ـ كان اسم شجرة «الحياة» فى الكابالا التى تنتمى أصلا إلى الثقافة الشمسية .. وعلى هذا الأساس نستبعد أن يكون إسم الأب (إيل) هو أصل المقطع (لا) فى الإسم «كابالا» ويبقى إسم الأم (إيلات) .. وبهذا يكون أصل الإسم «كابالا» هو (كابا إيلات) وباختزال الألفين المتتاليين إلى ألف واحدة وبحذف الياء التى بعدهما وبإهمال نطق التاء يصبح «كابالا» .

وإذا كنا قد توصلنا إلى هذه النتيجة عن طريق الإله (ود) الذى تنطبق صفاته كأب على صفات (الأب) فى شجرة الكابالا فمعنى هذا أن الكابالا لها جذور تمتد إلى ماقبل الإله العبرى القديم (إيل) وهذا أمر طبيعى إذ أن أى ثقافة فى تاريخ البشرية هى حلقة متصلة فى سلسلة ثقافات سبقتها وبالتالى فهى تحمل البعض أو الكثير مما فيها وفقا لظروفها .. وعلى سبيل المثال «فإن الإله (إيل) عند العبريين الذين عرفوه أيضا باسم (الله) قد حمل ذات الصفات التى صبغه بها اليمنيون .. صفات الأب الحنون الرحيم .. فنجده فى الأدب الأوغاريتى «الكنعانى» هو «أبو الآلهة» وهو (إل .د. ف اد) أى إله الرحمة والشفقة لأن لفظة (ف اد) يقابلها فى العربية (الفؤاد) أما حرف الدال فهو للإضافة وهو أيضا (ل.ط ف ن) أى لطفان أى كثير اللطف» (٤) .

أما بالنسبة للكابالا فالحديث عنها لم ينته بعد .. إذ أنها تحمل الرسالة التى من غيرها يصبح هذا الكتاب من حيث الهدف غير ذى قيمة .

---

(١) «العلم والسحر» (ص ٤٣) .

(٢) أما الرافديون القدماء فقد عرفوه بالاسم «إيلو» مع اضافة حرف الواو للتفخيم فهو اسم جمع ونوع من جمع الجلالة .. ولكن الآراميين عرفوه بالاسم «إله» كذلك العبريون عرفوه بالاسمين «إيل والله» (الاسطورة والتراث ص ١٣٠) .

(٣) سبق أن نسبنا (الأم الشمولية) أو (الذات الشمولية) الي الثقافة الشمسية .

(٤) «الاسطورة والتراث» ( ص ١٣٠، ١٣١).

# القسـم الثالث

# الرســالة

# الفصل الرابع والعشرون :

# قراءة فى بروتوكولات حكماء صهيون

■ **تذكـرة**

- دعوة إلى الشجاعة

■ **من الكابالا إلى البروتوكولات**

- الحركة الصهيونية تدعو إلي إقامة وطن قومي لليهود .
- التعريف بالبروتوكولات

■ **العالم يعمل فى خدمة الصهيونية**

- عملاء اليهود فى كل مكان بدءا من الأشخاص العاديين إلى الملوك والرؤساء.
- رأى عباس العقاد.
- أمثلة من البروتوكولات تبين عمالة العالم للصهيونية سواء عن وعى أو غير وعى.

■ **حسنات فى حكومة اليهود العالمية**

- أمثلة من البروتوكولات تبين ما فيها من محاسن .

■ **مسألة الأمميين «البهائم»**

- تناقض المحاسن الموجودة فى البروتوكولات مع وصفها لشعوب العالم بأنهم بهائم
- تحليل استخدام صفة «بهائم»

■ **البروتوكولات تعكس شخصية الشعب المختار**

- (١) فكرة «الشعب المختار»

(٢) الربوبية والألوهية

(٣) تضخم الذات

(٤) عقدة الطفل اليتيم

(٥) ازدواج الشخصية

## ■ البروتوكولات يحكمها العقل الجبرى

- مفهوم الحق والقوة والأخلاق فى البروتوكولات وعند نيتشه.
- تحليل شعار الثورة الفرنسية من وجهة نظر البروتوكولات
- مفهوم الذرائعية «الغاية تبرر الواسطة» بين البروتوكولات وكتاب «الأمير» لمكيافيللى.

## ■ خلاص العالم فى الحكومة العالمية

- تعدد الحكومات ليس فى صالح الشعوب.
- العالم تحكمة الدولة الأقوى.
- ما وراء تشويه وجه البروتوكولات
- قيام دولة إسرائيل يفصل بين صفحتين .
- الأرض الصالحة لقيام الحكومة العالمية.

## ■ حكومة الجمال

- توظيف الكابالا لحساب البروتوكولات = توظيف العقل الجبرى لحساب العقل الجبرى = توظيف الجمال لحساب الجمال .
- (الجمال الاختيارى) و (الجمال الجبرى) ومحاولة توظيف الأول لحساب الأخير عن طريق فلسفة الجمال .
- اعتبار القبح قيمة خيرة مثله مثل الجمال .
- الفطرة - أى العقل الجبرى - تفرق بين القبح والجمال.
- التغلب على طبيعة العقل الاختيارى الذى لا يستطيع أن يعمل إلا من خلال المقارنة بين الأضداد.
- ربط الجمال بصلاحية الأداء الوظيفى لظواهر الكون.
- الخلاص فى الرمز والمفهوم الرمزى للإنسان.

- الفرق بين (الخير الجمالى) و (الخير الأخلاقى).
- العلاقة بين الذات الجماعية «الوجود بالقوة» والذات الفردية «الوجود بالفعل» .
- تطبيق ما سبق على أسطورة «نرسيس».
- الفرق بين (العدل الاختيارى) الإنسانى و (العدل الجبرى) اللا إنسانى وتوظيف الأول لحساب الأخير.
- مفهوم الإنسان الأعلى والفرق بين دكتاتورية العقل الاختيارى ودكتاتورية العقل الجبرى.
- ملامح دكتاتورية العقل الجبرى فى البروتوكولات.

## التحدى

- معالجة القضية الكلية قبل القضايا الجزئية وليس العكس
- تحديد التزام اليهود أمام العالم والتزام العالم أمام اليهود على أساس قيام دولة إسرائيل.

## كلمة أخيرة

- تاريخ البشرية فى جملة.
- خدعة التفاؤل بالمستقبل.
- اقتران تعدد الحكومات بقانون الفعل ورد الفعل.
- البشرية تسير فى طريق الأخلاق الخطأ.
- قراء ة فى تقرير لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى».

## تذكرة

فى القسم الأول من الكتاب (الإنسان والشجرة) وضعت أساس التعرف على شخصية الشعب المختار.

وفى القسم الثانى (الشعب المختار) تعرفنا على شخصية الشعب المختار توطئة لتوجيه الرسالة التى أهدف إليها.

وفى القسم الثالث (الرسالة) نكون قد وصلنا إلى الهدف الذى قلت فى المقدمة إنه بدونه لا داعى لقراء ة هذا الكتاب.

وقبل أن أبدأ فى التمهيد للرسالة علينا أن نتذكر ما قلته فى مقدمة الكتاب من أننى قصدت تناول شخصية الشعب المختار بمنطق يخصه وهو «اعرف نفسك» ومنطق يخص العالم وهو «اعرف جارك» وليس «اعرف عدوك» وذلك اعتبارا للمساعى الرامية إلى السلام.. وعلى هذا قلت إنه مهما بلغت سوء ات الشعب المختار فى هذا البحث فلنؤجل الحكم بشأنها إلى حين قراء ة الفصل الأخير الذى يمثل رسالة موجهة إلى الشعب المختار وإلى العالم إذ أنها رسالة موضوعية تعرض سوء ات كل من الطرفين ولا تدين طرفا دون الآخر وذلك خروجا على قاعدة إدانة الشعب المختار على طول الخط وتبرئة العالم على طول الخط.. فهى رسالة تتحدى الطرفين كلا فيما يخصه من أجل تحقيق السلام.. وقد توقفت عند وصفى لهذه الرسالة بالموضوعية حيث قلت إن جميع مشاكل البشر ترجع إلى صعوبة أن يكونوا موضوعيين .. وإن الذاتية تتعارض مع أول شرط للتواصل بين إنسان وإنسان أو بين شعب وشعب وهو أن يضع كل منهما نفسه مكان الآخر.. وإنه بدون هذا الشرط لن ينصلح حال العالم.. وأضيف الآن إلى قولى هذا أن الموضوعية تحتاج إلى شجاعة .. وأملى أيها القارىء أن تصحبنى فى هذا الفصل بشجاعة.

## من الكابالا إلى البروتوكولات

كانت قضية الشعب المختار هى تحقيق الذات بالتحول الفعلى من قبيلة إلى شعب وهو ما يعنى قيام دولة أو مملكة.. وفى قراء تنا لنجمة داود بينا قيام المملكة الأولى وسقوطها الحتمى بسبب إقامتها على أساس شعب وهمى.. ثم فى قراء تنا للكابالا بينا كيفية تحقيق الذات عامة (١) وبالتالى تحقيق ذات الشعب المختار عن طريق التخلص من وهم نجمة داود.. وقد قلنا (٢) إنه إذا

(١) باعتبار الهوية المصرية الأصلية للكابالا حيث قام شعب مصر رائد شعوب العالم.

(٢) فى ختام الفصل الثانى والعشرين.

كان الشعب المختار قد استطاع أخيرا أن يكون شعبا بالفعل له وطن ومعترفا به دوليا فالفضل فى ذلك يرجع إلى فلسفة الكابالا.. ونضيف الآن أن ذلك يخص المستوى النظرى وأن تحقيقه قد احتاج إلى التحول من الفكر الفلسفى إلى الفكر العملى.. فباعتبار أن فلسفة الكابالا تتعلق بالدين فقد طبق عليها مبدأ توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا وهو ما تم فى الحركة الصهيونية (١) (انظر الهامش) التى دعت إلى إقامة وطن قومى يهودى وهو ما يعنى التحول الفعلى إلى شعب ومن ثم التخلص من نقص نجمة داود الذى أدى إلى انهيار المملكة الأولى وهو ما يعنى عودة مملكة داود.. ولأنها مملكة الشعب المختار فهى تعلو على كل الممالك.. وهذا يقودنا إلى بروتوكولات حكماء صهيون التى أفرزتها الحركة الصهيونية.

ففى عام ١٨٩٧ أقيم فى مدينة بال بسويسرا مؤتمر جمع نحو ثلاثمائة من أعتى حكماء صهيون برئاسة زعيمهم تيودور هرتزل - أبو الصهيونية وموسى اليهود فى العصر الحديث - وقد قرروا فى هذا المؤتمر خطة سرية لحكم العالم تحت تاج ملك من نسل داود.. وقد كان يمكن ألا يعلم أحد شيئا عن ذلك لولا تسرب بعض وثائق المؤتمر المعروفة الآن ببروتوكولات حكماء

---

١ - جاء فى «إسرائيليات» (ص ١٣) أن الحركة الصهيونية سياسية غير دينية. وفى رأينا أن هذا الوصف لا يتفق وشخصية الشعب المختار الذى يعزز قراراته الدنيوية برفعها إلى مستوى القرارات الإلهية والدليل على ذلك أن الحركة الصهيونية دعت فى البداية إلى إقامة وطن قومى فى أى مكان ثم تغير الوضع عندما حُدّد الوطن بأرض كنعان (فلسطين) التى منحوها لأنفسهم بقرار إلهى. وعلى هذا نصحح وصف الحركة الصهيونية بأنها سياسية غير دينية فنصفها بأنها حركة سياسية توظف الدين لحسابها.

و«فكرة الصهيونية فى حد ذاتها عاشت خلال قرون طويلة كناحية من النواحى اليهودية والمسيحية على السواء. فى اليهودية كانت تعيش نتيجة ربط اليهودية بالمملكة العبرية القديمة فى فلسطين. وفى المسيحية بدأت توجد منذ عصر كرومويل حين كان هناك اعتقاد بأن مرور ألف سنة على رسالة المسيح سيضمن إعادة اليهود إلى فلسطين. ولكن الصهيونية كحركة صهيونية ليست سوى من مواليد القرن التاسع عشر. فبعد حادث اغتيال القيصر اسكندر الثانى فى روسيا سنة ١٨٨١ أرادت السلطات الروسية أن تجعل من اليهود كبش الفداء فى هذا الحادث فاندلعت عاصفة من ذبح اليهود واضطهادهم أدت إلى موجة من الهجرة إلى غرب أوروبا وأمريكا. ولكن ثلاثة آلاف ذهبوا فى تلك السنة إلى فلسطين وفى سنة ١٨٨٢ أقاموا مستعمرة «ريشون ليزيون» بالقرب من يافا. وفى نفس تلك السنة ظهرت فى روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم CHIBBATH ZION أى «حب صهيون» وكان أنصارها يتجمعون فى حلقات اسمها «أحباء صهيون». وكانت أهداف هذه الجماعات هى الهجرة إلى فلسطين وإحياء اللغة العبرية. وهكذا ظهرت لأول مرة بنور الصهيونية السياسية. وكان ليون بنسكر LEON PINSKER رئيسا لإحدى جماعات أحباء صهيون وهو أول من دعا إلى إقامة وطن قومى لليهود (إسرائيليات ص ١٤، ١٥).

صهيون.. ولمن لم يطلع على تلك البروتوكولات نقدم عنها فكرة موجزة فنقول (١) إن لليهود منذ قرون خطة سرية للاستيلاء على العالم (٢) وجعله مملكة واحدة يحكمها ملك يهودى يكون مقره فى أورشليم أولا ثم يستقر إلى الأبد فى روما ومن ثم فهم يسعون إلى هدم الحكومات لا سيما الملكية.. ومن وسائلهم لتحقيق ذلك إغراء الملوك باضطهاد الشعوب وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك متوسلين لذلك بنشر مبادىء الحرية والمساواة ونحوهما مع تفسيرها تفسيرا خاصا يؤذى الجانبين.. ومن وسائلم أيضا إفساد الملوك والزعماء.. وهم يرون أن الحكم صناعة مقدسة لا يتقنها إلا نخبة موهوبة من اليهود وأن السياسة ليست من عمل الأمميين أى غير اليهود.. وأنه يجب أن توضع تحت أيدى اليهود كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمسارح وشركات السينما والمدارس والجامعات والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها(٣).

ومن أهم مخططاتهم وضع أسس الاقتصاد العالمى على أساس الذهب (٤) الذى يحتكرونه لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى مع إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كى لا يستريح العالم أبدا فيضطر إلى الاستعانة بهم لفك أزماته ومن ثم يرضى مستسلما للسلطة اليهودية العالمية.

وإذا كان هذا التعريف الموجز بمخطط البروتوكولات يجعل القارىء إما مستخفا وإما ناقما فكلا الأمرين خطأ.. فالمستخف هو امتداد للعقلية التى ظننت يوما أنها ستلقى إسرائيل فى البحر.. والناقم يعميه الغضب عن أن الخطر ليس فى البروتوكولات بقدر ما هو فى استجابة العالم لمخططاتها بل وإسهامه فى تحقيقها.. وعلى هذا نقول : قبل أن يدين العالم اليهود فليدن نفسه.. ومن لا يقر هذا القول فلينتظر حتى نريه دليل صحته بل وحتى نريه أن العالم يعمل – عن وعى أو غير وعى – فى خدمة الصهيونية.

## العالم يعمل فى خدمة الصهيونية

إن من يقرأ البروتوكولات يجدها مليئة بإشارات متكررة إلى العملاء من غير اليهود الذين يعملون من أجلها على مختلف المستويات من الأشخاص العاديين إلى الملوك والرؤساء.. وفى شتى

---

(١) ما نورده عن البروتوكولات مأخوذ عن كتاب «الخطر اليهودى» (ص ٢٩ – ٣١).

(٢) «يستفاد من الصهيونية اليهودية السرية أن سليمان والعلماء اليهود من قبل قد فكروا سنة ٩٢٩ ق.م فى استنباط مكيدة لفتح العالم فتحا سلميا لصهيون» (الخطر اليهودى ص ٢٣٥) .

(٣) هذا ما تحقق الآن فعلا وإن لم يبلغ مداه. فمعظم الحكومات فى الأمم الكبرى كأفريقيا وروسيا وبريطانيا وفرنسا والمجامع الدولية مثل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل ومن قبلها عصبة الأمم. ووفود الأمم السياسية إليها. واليونسكو تبدو خاضعة لنفوذ اليهود أو تتكون أكثريتها من أعضاء يهود أو صنائعهم» («الخطر اليهودى» ص ٢٤٤ هامش ١).

(٤) «من الأسس الاقتصادية المعتمدة نظرية تقويم كل شىء بالذهب. وهى نظرية خاطئة لأن الذهب ليس مقوما، وإن مقدرة الدولة الاقتصادية لا تقوم بما عندها من الذهب – وإن كان هذا ما يريد أن يؤكده اليهود – لكن مقدرة كل دولة تقاس بمنتجاتها وخيراتها التى تقدمها للعالم ولو لم تملك من الذهب شيئا» («الخطر اليهودى» ص ٢٤٢ هامش ١).

المجالات مثل الصحافة ووكالات الأنباء والفن والأدب والفلسفة والدين والشرطة والطب والمحاماة والتدريس والفكر المذهبى إلخ.. ونتوقف عند الفكر المذهبى لنقول إن الصهيونية لم تجند العملاء على مستوى الأفراد فقط بل إنها جندت دولا بأكملها وهى الدول الشيوعية (١).. ونتوقف هنا لنذكر هذا القول لعباس العقاد : « ولن تفهم المدارس الحديثة فى أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التى لا شك فيها وهى أن اصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان. فاليهودى كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والإيمان (٢). (انظر الهامش ) واليهودى دوركايم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة (٣) بالأوضاع المصطنعة ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب. واليهودى – أو نصف اليهودى – سارتر (٤) وراء الوجودية التى نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال. ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية بل الأزياء الفكرية كلما شاع منها فى أوروبا مذهب جديد. ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراء ها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود» (٥) .. ويجانب قول العقاد هذا فالبروتوكولات تشهد به صراحة ومثال ذلك قول البروتوكول (٥) : «إن من بين مواهبنا الإدارية التى نعدها لأنفسنا موهبة حكم الجماهير والأفراد بالنظريات المؤلفة بدهاء».

---

(١) «معظم أعضاء المجلس الشيوعى الذى يحكم روسيا الآن (سنة ١٩٥١) من اليهود الصرحاء. فالأعضاء سبعة عشر هم: ستالين رئيس المجلس وكاجانوفتش نائبه ثم بيريا وفيرشيلوف ومولوتوف وشفيرنيك وكيرتشينستين وجوركين وإليا أيرهمبرج وديفنسكى وهيمنسبرج وميخليس وفرمين وجودى ولوزوفسكى وكافتانوف وبيتر ليفنتسكى وهؤلاء يهود صرحاء إلا ثلاثة هم ستالين وفيرشيلوف ومولوتوف. ولكن زوجات الثلاثة يهوديات. وفيهم يهودى الأم أو الجدة أو صنيعة مجهول النسب من صنائع اليهود. كما أن أسماء كثير من اليهود بينهم مزدوجة فلكل منهم اسمه اليهودى الأصيل المستور واسمه الحركى المشهور الذى يخفى الاسم اليهودى الأصيل» («الخطر اليهودى» «ص ٧٢ هامش ١»)

(٢) والمفكرون والأدباء الذين ينتجون أعمالا تتمشى – عن قصد أو غير قصد – مع هدف الصهيونية بشأن الدين يتم تصعيدهم إلى المستوى العالمى ويتم منحهم مختلف الجوائز وعلى رأسها جائزة نوبل. وإذا كان إنتاج بعض هؤلاء المفكرين والأدباء يرجع إلى اقتناع حر أى أنهم لم يزيفوا فكرهم من أجل الشهرة والجائزة فإن غيرهم يفعل ذلك مثل أديب قصصى ومسرحى هاجم شيكسبير بفجاجة مفضوحة والمعروف أن اليهود يكرهونه بسبب مسرحيته «تاجر البندقية».. فمن الذى يلام أولا : اليهود أم من باع فكره طمعا فى الجائزة ؟

(٣) «إن اليهود يحاولون فى روسيا تحطيم نظام الأسرة لأنه أقوى عقبة ضد نظامهم» («الخطر اليهودى» ص ١٦٣ هامش ١ ) والبروتوكول (١٠) يقول صراحة : «سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين – أى غير اليهود – ونفسد أهميتها التربوية».

(٤) ألف سارتر كتابا بعنوان «عدو السامية» يدافع فيه عن اليهود على أساس نظريته الفلسفية فى «الإنسان» التى تقول إنه لا يوجد شيء اسمه الطبيعة الإنسانية يحدد صفات الإنسان حين مولده. ولكن يوجد شيء اسمه «موقف» يجد الإنسان نفسه فيه وعلى أساسه تتحدد طبيعته. وعلى هذا يفسر سارتر طبيعة اليهود وتصرفاتهم طبقا لموقف الاضطهاد الذى يتخذه العالم ضدهم.

(٥) «الخطر اليهودى» (ص ٨٢ ٨٣)

والخلاصة أن العالم يقوم بدرجات متفاوتة بدور العميل للصهيونية سواء عن وعى أو غير وعى.. ومن ينزعج من هذا القول أو يستهجنه أو يرفضه نقول له صبرا حتى نقدم لك بعض الشواهد على ذلك من البروتوكولات ذاتها:

## بروتوكول ( ٢ )

● «وسنختار من بين العامة رؤساء لهم ميول العبيد. ولن يكونوا مدربين على فن الحكم. ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا» : وما أكثر قطع الشطرنج التى قدمها ويقدمها العالم على رقعة الشطرنج الصهيونية عن طريق حكام لهم ميول العبيد وجهلة بفن الحكم.

● «إن تحقيق حرية الكلام قد وُلد فى الصحافة غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة فسقطت فى أيدينا. ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا» : ونفس الشيء يسرى على وكالات الأنباء التى يخضع معظمها لليهود. فهل ندين الصهيونية أم ندين الحكومات المسئولة عن ذلك؟

## بروتوكول ( ٣ )

● «لقد مسخ الثرثارون المجالس البرلمانية مجالس جدلية»: وهذا ينطبق بالأكثر على معظم برلمانات العالم الثالث فكأن هذه البرلمانات تعمل لحساب الصهيونية.

● «نحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التى يؤججها الضيق والفقر. وهذه المشاعر هى وسائلنا التى نكتسح بها بعيدا كل من يصدوننا عن سبيلنا»: وفى هذا يقول مترجم البروتوكولات: «من هنا يظهر أن الشيوعيين وغيرهم الذين لا يعرفون طريقا لاستغلال الإنسان إلا على هذا النحو ليسوا غير منفذين للسياسة الصهيونية ولو بغير وعى» (١).. ونضيف إلى ذلك بعض الثورات التى قامت فى العالم الثالث معتمدة على إشعال نار الحقد لدى الفقراء ضد الأغنياء زاعمة أنها قامت لتساوى بين الطبقات ثم انتهت إلى نفس الوضع بل وألعن بعد أن احتل الثوار طبقة الأغنياء.

● «نحن الآن – كقوة دولية – فوق المتناول. لأنه لو هاجمتنا إحدى الحكومات الأممية لقامت لنصرنا أخريات»: وهو ما يحدث بالفعل.. أى أن الحكومات التى تخطط الصهيونية للحكم مكانها تساعدها على ذلك بمعاداة بعضها البعض.. وفى العالم العربى أمثلة صارخة على ذلك.

---

(١) «الخطر اليهودى» (ص ١٣٧ هامش ١) .

## بروتوكول (٥)

● «قد يتمكن الأمميون فترة من أن يسوسونا ولكنا مع ذلك لسنا فى حاجة إلى الخوف من أى خطر ما دمنا فى أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضا» : والتعليق على الفقرة السابقة يكفى.

● «إن المشكلة الرئيسية هى كيف نضعف عقول الشعب بالانتقاد وكيف نفقدها قوة الإدارك التى تخلق نزعة المعارضة»: وفى هذا يقول مترجم البروتوكولات : « إن النقد على غير أساس يربك العقول ويضللها ويغريها بالإفراط فى الجدل لمجرد الجدل لا لرغبة فى معرفة الحق. وهو من شر البلايا التى تسلط على الشعوب الجاهلة»(١).. وهذا يحدث عادة فى الدول التى تتفشى فيها الأمية والتى لا يتحرك حكامها جديا لمحاربتها حتى يظلوا يعلقون أخطاء هم على الشعب الذى لجهله لا يدرك افتراء حكامه عليه ومن ثم يشعر بالذنب بينما المذنب يظل بعيدا عن المعارضة.. والخلاصة أن هذه الحكومات التى تستغل جهل الشعب لتلبسه أخطاء ها هى حكومات مساندة للصهيونية سواء أدركت ذلك أو لم تدرك.. ويشاركها فى هذا كتاب السلطة وإعلاميوها الذين يعزفون نفس النغمة - نغمة تخطىء الشعب دون الحكومة - متجاهلين أو جاهلين أنه لا يوجد خطأ فى أى شعب إلا وحكامه هم مصدر الخطأ.

● «فى كل الأزمان كانت الأمم - وكذلك الأفراد - تأخذ الكلمات على أنها أفعال. ولذلك فإننا - على سبيل التظاهر فحسب - سننظم هيئات يبرهن أعضاؤها بالخطب البليغة على مساعدتها فى سبيل التقدم ويثنون عليها.. وهؤلاء سيكونون ثرثارين بلا حد حتى أنهم سينهكون الشعب بخطبهم»: فهلا يذكرنا هذا بزعماء الطبل الأجوف الذين يضللون شعوبهم بالوعود الزائفة ويطيلون فى الخطب بغير طائل؟ أما الهيئات المشار إليها فسنترك للقارىء مهمة اكتشافها.

● «ولضمان الرأى العام يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحى لكل أساليب الأراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون فى متاهتهم. وعندئذ سيفهمون أن خير ما يسلكون من طرق هو ألا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية.. ويجب أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والقوانين العرفية فى البلاد حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح فى ظلامها المطبق»: أفليس هذا ما تفعله معظم حكومات العالم الثالث؟ وأفلا تقوم هذه الحكومات - مُدركة أو غير مدركة - بدور المنفذ لمخططات الصهيونية من أجل أن يجيء اليوم الذى ينطبق فيه على شعوب العالم قول البرتوكول (٥): « حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليا » !! ولا يعتبرن أحد هذا من شطح الخيال فالشعوب التى يقهرها حكام من أبنائها قد يصل بها الإحباط إلى أن تستجير

---

(١) «الخطر اليهودى» (ص ١٤٦ هامش ١).

بحكومة أجنبية.. وكم سمعنا أناسا فى دول تخلصت من الاستعمار يتحسرون على أيامه بسبب إذلال حكوماتهم الوطنية لهم.. وكما أنه أهون على الإنسان أن يقهره غريب من أن يقهره قريب فكذلك أهون على أى شعب أن تقهره حكومة أجنبية من أن تقهره حكومة بلده.

## بروتوكول ( ٩)

● «إننا نخشى تحالف القوة الحاكمة فى الأمميين مع قوة الرعاع العمياء. غير أننا قد اتخذنا كل الاحتياطات لمنع احتمال وقوع هذا الحادث فقد أقمنا بين القوتين سدا قوامه الرعب الذى تحسه القوتان كل من الأخرى» : فكم من حكومات وخاصة فى العالم الثالث تسهم فى إقامة حاجز بينها وبين الشعب فكأنها تعمل فى خدمة الصهيونية؟

## بروتوكول ( ١٠)

● «إن الحكومات تقنع فى السياسة بالجانب المبهرج الزائف. فكيف يتاح لهم الوقت لكى يختبروا بواطن الأمور ونوابهم الممثلون لهم REPRESENTATIVES لا يفكرون إلا فى الملذات؟» : ونضيف إلى الملذات الفساد بمختلف أنواعه.

● «وحين ننجز انقلابنا السياسى (أى إقامة الحكومة العالمية الصهيونية) سنقول للناس : لقد كان كل شىء يجرى فى غاية السوء. حينئذ سيحملوننا على أكتافهم عاليا فى انتصار وأمل» : فهل ينكر أحد أن ما يجرى فى المجتمع الدولى قد بلغ غاية السوء؟ فكأن المجتمع الدولى يفرش البساط لانقلاب الصهيونية السياسى.

● «سنعوق الرجال ذوى العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة » : وهو ما يحدث بالذات فى معظم الثورات - التى هى فى الحقيقة انقلابات عسكرية - حيث تؤمن نفسها بالاستعانة بأهل الثقة ونبذ أهل الخبرة.. وهو ما يتفق وهدف الصهيونية.

● «إن مجلس الشعب سينتخب الرئيس ويحميه ويستره. ولكننا سنحرم هذا المجلس سلطة تقديم القوانين وتعديلها. فهذه السلطة سنعطيها الرئيس الذى سيكون العوبة خالصة فى أيدينا MARE PUPPET. وسنعطى الرئيس سلطة إعلان الحكم العرفى.. وسيكوم حتما لرئيس الجمهورية أن يعين رئيسا ووكيلا لمجلس النواب ومثلهما لمجلس الشيوخ.. وسيكون لرئيس الجمهورية حق دعوة البرلمان وحله. وسيكون له فى حالة الحل إرجاء الدعوة لبرلمان جديد. ولكى لا يتحمل الرئيس المسئولية سنغرى الوزراء وكبار الموظفين الذين يحيطون بالرئيس كى يموهوا أوامره بأن يصدروا التعليمات من جانبهم وبذلك نضطرهم إلى تحمل المسئولية بدلا من الرئيس. وهو «أى الرئيس» سينقض القوانين وسيكون له أيضا حق اقتراح قوانين وقتية جديدة. بل له كذلك

إجراء تعديلات فى العمل الدستورى للحكومة محتجا بذلك بأنه أمر تقتضيه سعادة البلاد» : وكما يقول مترجم البروتوكولات فنحن بصدد «حكومة أوتقراطية دكتاتورية فى حقيقتها وديمقراطية شورية فى ظاهرها. إذ يكون ممثلو الأمة أستارا أو آلات تنفذ ما تريده الإدارة الممثلة فى الرئيس وأعوانه. والحكومة الاوتقراطية هى أمل اليهود لسهولة العبث بها» (١) وما أكثر الحكام – وخاصة فى العالم الثالث – الذين تحيلهم شهوة الحكم المطلق إلى عملاء للصهيونية – عن وعى أو غير وعى – حتى ينتهى الأمر كما فى نهاية البروتوكول (١٠) بأن يصرخ الناس مستغيثين ومطالبين بقيام الحكومة الصهيونية العالمية لتنقذهم من حكامهم (راجع تعليقنا على الفقرة الأخيرة فى بروتوكول ٥) بل إن بعض أنظمة الحكم فى منطقة الشرق الأوسط تجعل شعوبها تنظر إلى نظام الحكم الإسرائيلى على أنه واحة للديمقراطية المنشودة فى صحراء الدكتاتورية أو الديمقراطية المزيفة. وكم من الجرائم ترتكب باسم الديمقراطية (الزائفة).

## بروتوكول (١٣)

● «إن الحاجة يوميا إلى الخبز ستُكره الأميين على أن يقبضوا ألسنتهم ويظلوا خدمنا الأذلاء» : وهذا ما تحققه للصهيونية الدول ذات الأنظمة الاقتصادية الفاسدة التى تجعلها عاجزة عن إطعام نفسها. أو الدول التى تشغل المواطنين بالجرى وراء رغيف الخبز.

● «ولكى نذهل الناس المضعضعين عن مناقشة المسائل السياسية نمدهم بمشكلات جديدة» : وما أكثر الحكام الذين يتبعون هذا الأسلوب مع المواطنين لكى يلهوهم عن الانشغال بالسياسة .. فكأنهم بذلك يعملون لصالح الصهيونية.

## بروتوكول (١٦)

● « ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتيانا ذوى أفكار عن الاصلاحات الدستورية. ولن يسمح للجامعات أيضا أن تخرج فتيانا ذوى اهتمام بالمسائل السياسية» : وهذا ما تفعله حكومات الكثير من الدول فى العالم الثالث من أجل حماية نفسها ولكنها بذلك تعمل لحساب الصهيونية.

● «لقد وضعنا نظام اخضاع عقول الناس بما يسمى نظام التربية البرهانية DEMONSTRATIVE EDUCATION يجعل الأميين غير قادرين على التفكير باستقلال» : التربية البرهانية تعتمد أساسا على الاستدلال النظرى وذلك بخلاف التربية التجريبية التى تعتمد على اجراء التجارب والتى يرجع إليها الفضل فى التطور والتقدم العلمى الذى حدث منذ عصر

(١) «الخطر اليهودى» (ص ١٦٨ هامش ١) .

النهضة. وللأسف وكما يقول مترجم البرتوكولات فإن «التربية فى أكثر مدارسنا برهانية ومن شأن هذه الطريقة أن تفقد الإنسان ملكة الملاحظة والاستقلال فى إدراك الحقائق.. فهى تمسخ العقل وتمد له فى الغرور والعمى والكسل والتواكل» (١) .. وكل هذا فى صالح الصهيونية .

## بروتوكول ( ٢٠ )

● «الحكام الأمميون من جراء إهمالهم أو بسبب فساد وزرائهم أو جهلهم قد جروا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا حتى أنهم لا يستطيعون تأدية هذه الديون وكل دين - كأنه سيف داموكليز DAM OCLES - يعلق على رءوس الحاكمين الذين يأتون إلى أصحاب البنوك منا» : وهكذا فإن كل دولة تغرق فى الدين بسبب فساد نظامها تساعد الصهيونية على تحقيق أهدافها.

## بروتوكول ( ٢٣ )

● «إن البطالة هى الخطر الأكبر على الحكومة وستكون هذه البطالة قد أنجزت عملها حالما نبلغ عن طريقها السلطة» : ومعنى هذا أنه بقدر حجم البطالة الموجودة فى أى دولة بقدر إسهامها - شاءت أو أبت - فى تنفيذ مخطط الصهيونية .



وبعد أن قدمنا الكثير من الأمثلة الدالة على إسهام العالم - عن قصد أو غير قصد - فى تحقيق مخطط البروتوكولات فلا يظن أحد أن جميع سوءات الحكام والحكومات يرجع - كما تصوّر البروتوكولات - إلى تخطيط الصهيونية.. فنحن مع مترجم البروتوكولات فى قوله : «وليلاحظ أنه من الغباء القول بأن اليهود هم القائمون بكل هذه الحركات السياسية والفكرية (٢). فبعضها من عملهم وعمل صنائعهم وبعضها من عمل غيرهم إنسانيا وطبيعيا . ولكنهم كالملاح الماهر ينتفع لتسيير سفينته بكل تيار وكل ريح مهما يكن اتجاهه ويسخره لمصلحته سواء كان موافقا أو معاكسا له» (٣) .. والقول بعكس ذلك معناه أن العالم مسلوب الإرادة تماما أمام إرادة اليهود..

ولكن إذا كان قيام حكومة اليهود العالمية يعتمد على رفض الشعوب لسوءات حكوماتها فهناك ما يغريها فى حكومة اليهود ذاتها وهو ما فيها من حسنات تحلم بها أغلبية شعوب العالم وتتمناها.

---

(١) «الخطر اليهودى» (ص ٢٠٢ هامش ١) .

(٢) وهو ما يعبر عنه البروتوكول (١٠) بعبارة : «وهذا ما سيكون مدبرا على أيدينا»

(٣) «الخطر اليهودى» (ص ٨٤) .

## حسنات فى حكومة اليهود العالمية

يقول البروتوكول العاشر بشأن قيام حكومة اليهود العالمية : «إن حكمنا سيبدأ فى اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين فرقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكوماتهم فيصرخون هاتفين : اخلعوهم وأعطونا حاكما عالميا واحدا يستطيع أن يوحدنا ويمحق كل أسباب الخلاف.. حاكما يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللذين لا يمكن أن يوجدا فى ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا» .. وإذا كان من الطبيعى أن تفعل الشعوب ذلك نتيجة معاناتها من الحكام وفساد الحكومات فما البال وحكومة اليهود العالمية فيها من الحسنات ما يكفى وحده لجذب الشعوب إليها؟ وفيما يلى بعض الأمثلة من البروتوكولات سنوردها بدون تعليق تاركين ذلك للقارىء.

### بروتوكول (١٥)

● «إن أحد مبادئنا الأساسية هو مراقبة الموظفين الإداريين. وهذا على الخصوص لإرضاء الأمة فإن لها الحق الكامل فى أن يكون للحكومة موظفون إداريون صالحون ».

### بروتوكول (٢٠)

● «حين نصل إلى السلطة سنتجنب فرض ضرائب ثقيلة على الجمهور. وسنتذكر دائما ذلك الدور الذى ينبغى أن نلعبه وأعنى به دور الحامى الأبوى».

● «سيكون فرض ضرائب تصاعدية على الأملاك هو خير الوسائل لمواجهة التكاليف الحكومية. وهكذا تدفع الضرائب دون أن يرهق الناس ودون أن يفلسوا».

● «يجب أن يفهم الأغنياء أن واجبهم هو التخلى للحكومة عن جانب من ثروتهم الزائدة. لأن الحكومة تضمن لهم تأمين حيازة ما تبقى من أملاكهم وتمنحهم حق كسب المال بوسائل نزيهة.. نزيهة لأن إدارة الأملاك ستمنع السرقة بأسس قانونية».

● «الاصلاح الاجتماعى يجب أن يكون فى طليعة برنامجنا. كما أنه الضمان الأساسى للسلام ولذلك فلن يحتمل التأخير. إن فرض الضرائب على الفقراء هو أصل كل الثورات.. إن النفقات الحكومية يجب أن يدفعها من هم أقدر على دفعها.. مثل هذا الاجراء سيوقف الحقد من جانب الطبقات الفقيرة على الأغنياء الذين سيعتدون الدعامة المالية الضرورية للحكومة. وسترى هذه الطبقات أن الأغنياء هم حماة السلام والسعادة لأن الطبقات الفقيرة ستفهم أن الأغنياء ينفقون على وسائل إعدادها للمنافع الاجتماعية» .

● «ولكى لا تحدث مماطلات فى دفع الأموال المستحقة للحكومة سيصدر الحاكم نفسه أوامر عن مدة دفع هذه المبالغ. وبهذا ستنتهى المحاباة التى تظهرها أحيانا وزارات المالية نحو هيئات معينة» (١) (انظر الهامش) .

● «ولن يكون للملك أملاك شخصية.. وأقارب الملك - إلا وارثه الذى ستحتمل الحكومة نفقاته - سيكون عليهم كلهم أن يعملوا موظفين حكوميين أو يعملوا عملا آخر لينالوا حق امتلاك الثروة. ولن يؤهلهم امتيازهم بأنهم من الدم الملكى لأن يعيشوا عالة على نفقة الدولة».

● «إن المقابلات التى يمليها أدب السلوك - وهى مضيعة لوقت الملك الثمين - ستكون معدومة لكى تتاح له فرصة النظر فى شئون الدولة. ولن يكون الملك فى حكومتنا محوطا بالحاشية الذين يرقصون عادة فى خدمة الملك من أجل الأبهة ولا يهتمون إلا بأمورهم مبتعدين جانبا عن العمل لسعادة الدولة» (٢) (انظر الهامش) .

● «سنرتب نظام ميزانيتنا الحكومية بحيث لا يكون الملك نفسه ولا أصغر الكتبة فى مقام لا يلاحظ فيه اختلاسه لأصغر جزء من المال. ولا استعماله إياه فى غرض آخر غير الغرض الموضوع له فى التقدير الأول للميزانية» (٣) (انظر الهامش) .

## بروتوكول ( ٢٢ )

● «سنبرهن على أننا المتفضلون الذين أعادوا السلام المفقود والحرية الضائعة للعالم المكروب. وسوف نمنح العالم الفرصة لهذا السلام وهذه الحرية».

## بروتوكول ( ٢٤ )

● إن أعضاء كثيرين من نسل داود سيعدون ويربون الملوك وخلفاء هم الذين لن ينتخبوا بحق الوراثة (٤) (انظر الهامش) بل بمواهبهم الخاصة .. وسيوضع مكان الخلفاء المباشرين للملك غيرهم إذا حدث أثناء تربيتهم ما يدل على أنهم مستهترون بالشهوات أو ضعاف العزيمة أو فى حال إظهار أى ميل آخر قد يكون مضرا بسلطتهم وربما يردهم عاجزين عن الحكم.. ولن يأتمن شيوخنا على أزمّة الحكم إلا الرجال القادرين على أن يحكموا حكما حازما».

---

(١) «من المؤسف أن بعض الحكومات تحتمل مماطلة كثير من الرأسماليين الأغنياء فى دفع الضرائب المفروضة عليهم حتى تضيع بمضى المدة. أو تصالحهم على دفع جزء منها وترك جزء على حين أنها تتشدد فى معاملة الصغار. وربما يكون دفع الصغار للضريبة المطلوبة كافيا لتعطيل أعمالهم أو إفلاسهم وخراب بيوتهم» (الخطر اليهودى ص ٢١٩ هامش ١) .

(٢) «من المؤسف أن كثيرا من الحكام فى الأمم المتأخرة محوطون بأمثال هذه الحاشية من الإمعات والانتهازيين الذين لا تهمهم إلا مصالحهم الذاتية» (الخطر اليهودى ص ٢١٨ هامش١).

(٣) إن هذا البند وحده ليسعد معظم شعوب العالم الثالث الذين جنى رؤساؤهم المليارات مستغلين مناصبهم .

(٤) وذلك رغم أن النظام الملكى يعتمد على الوراثة بعكس النظام الجمهورى . فما البال وبعض جمهوريات العالم الثالث التى نتجت عن الانقلابات العسكرية يتوارث فيها العسكريون كرسى الرئاسة ؟!

● «وإذا مرض ملكنا أو فقد مقدرته على الحكم فسيكره على تسليم أزمّة الحكومة إلى من أثبتو بأنفسهم أنهم أقدر على الحكم.. ويجب ضرورة أن يكون للملك رأس قادر على تصريف خططنا ولذلك لن يعتلى العرش قبل أن يتثبت حكماؤنا من قوته العقلية».

● «وعلى ملك إسرائيل أن لا يخضع لسلطان أهوائه الخاصة لا سيما الشهوانية. وعليه أن لا يسمح للغرائز البهيمية أن تتمكن من عقله. إن الشهوانية - أشد من أى هوى آخر - تدمر بلا ريب كل قوى الفكر والتنبؤ بالعواقب. وهى تصرف عقول الرجال نحو أسوأ جانب فى الطبيعة الإنسانية. إن قطب العالم فى شخص الحاكم العالمى الخارج من بذرة إسرائيل ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه».

## مسألة الأمميين (البهائم)

سوف نسترجع من حسنات حكومة صهيون التى قدمناها توا العبارات التى تعلن فيها عن قيامها بدور الحامى الأبوى للشعب.. وعن منح السلام والحرية للشعب.. ثم عن تضحية الملك بأهوائه الشخصية من أجل مصلحة الشعب.. فنحن بهذه العبارات بصدد حكومة مثالية وملك مثالى يكرس نفسه من أجل شعبه المكون من كل شعوب العالم.. وفى الوقت نفسه نحن بصدد تناقض عجيب إذ أن شعوب العالم تلك - التى تمنحها حكومة صهيون الحماية الأبوية والسلام والحرية - هى فى نظر اليهود مجرد بهائم.. وهى نظرة أساسية تحرص البروتوكولات على توضيحها من بداية البروتوكول الأول حيث يضع أساس التعامل مع العالم فيقسمه إلى اليهود والجوييم (١) أى الأمميين (٢) .. ومعنى الكلمة عندهم البهائم حيث نجد على سبيل المثال فى البروتوكول (١١): «إن الأمميين قطيع من الغنم» وفى البروتوكول (١٥) : «إن أولئك الأمميين الذين يظهرون كالنمورة هم كالغنم غباوة» و «أولئك البهائم من الأمميين» و«عقل الأممى ذو طبيعة بهيمية محضة» وفى البروتوكول (٢٠) : «عقول الأمميين المطلقة البهيمية».

ونعود إلى قولنا: قبل أن يدين العالم اليهود فليدن نفسه.. فعلى مر التاريخ كم من حكومات عاملت وتعامل شعوبها معاملة البهائم؟ وكم من شعوب عاملت وتعامل شعوبا غيرها معاملة البهائم ويشهد على ذلك تجارة الرقيق والأنظمة الدكتاتورية والاستعمارية والعنصرية وأشهرها النازية.. ولا نستثنى من ذلك الأنظمة الديمقراطية حيث نجد فى بعضها تطبيقا حرفيا لفكرة الشعب الذى يعتبر شعوبا أخرى من البهائم وذلك عندما طارد الأمريكيون الزنوج فى

---

(١) GOYEM حسب النطق بالعبرية ومفردها GOY ومعناها القوم أو الأمة لغير اليهود. وتجمع أحيانا على طريقة الإنجليزية GOYS .

(٢) يقول مترجم البروتوكولات : «وضعنا كلمة أمميين مقابل كلمة GENTILES (أى جوييم) إتباعا لمترجمى العهدين القديم والجديد إلى العربية» («الخطر اليهودى» ص ٥٦ هامش ١).

أفريقيا وصادوهم بالشباك كما الوحوش فى الغابة ثم شحنوهم فى السفن إلى أمريكا كما تشحن البهائم ثم عاملوهم بأقل مما تعامل به البهائم إذ خصصوا أماكن للبيض يدخلونها مع كلابهم ويحرمون دخولها على الزنوج.

إن مترجم البروتوكولات حين يحدثنا عن تقسيم الشعب المختار للعالم إلى يهود وأمميين يقول الآتى : «قديما قسم الرومان الناس قسمين : رومانا وبرابرة.. وقسمهم العرب قسمين : عربا وعجما.. وقسمهم اليهود منذ خمسة وثلاثين قرنا قسمين : يهودا وجوييم أى أمميين» (١) .. فقول المترجم هذا فيه إقرار بأن اليهود لم يبتدعوا شيئا لم يفعله غيرهم.. فالواقع أنه لا فرق بين الرومان والعرب واليهود من حيث إعلاء طرف على آخر ومن حيث مضمون نظرة الطرف المستعلى على المستعلى عليه.. وإنما كان ما فعله اليهود مصدرا للاستفزاز لأنهم عبروا عن هذا المضمون المشترك تعبيرا صريحا ومباشرا - بعكس ما فعله الرومان والعرب - وذلك عندما استخدموا كلمة (بهائم) مقابل كلمة (برابرة) عند الرومان وكلمة (عجم) عند العرب.. والخلاصة أن الرومان والعرب واليهود أو بعبارة عامة : أن الشعوب التى تعلى نفسها على شعوب أخرى لا يختلف مضمون نظرتها إلى تلك الشعوب عن مضمون نظرة اليهود.. إلا أن اليهود انفردوا بالتعبير عن هذا المضمون صراحة بكلمة بهائم.. فلماذا ؟!

الإجابة نجدها فى العنوان التالى :

## البروتوكولات تعكس شخصية الشعب المختار

كما نعرف فإن شخصية الشعب المختار مبنية على وهم الربوبية ومن ثم تضخم الذات ومن ثم العلو على ذوات شعوب العالم وهو ما تترجمه البروتوكولات إلى حكم الشعب المختار لشعوب العالم.. ولكن لأن حقيقة الشعب المختار أنه فى حكم القبيلة التى ترعى الغنم (البهائم) (٢) فمن هنا كان التقابل بين شعوب العالم كرعية للشعب المختار و (البهائم) كرعية للقبيلة .. ومن هنا كان استخدام اليهود لكلمة (بهائم) مقابل كلمة (برابرة) عند الرومان وكلمة (عجم) عند العرب.. (وهذا يسرى على وصف غير اليهود بالبهائم فى التلمود). وإذا كنا قد بنينا هذا التفسير على أساس رؤيتنا بأن البروتوكولات تعكس شخصية الشعب المختار.. فسوف نعزز ذلك بالأمثلة الآتية:

---

(١) «الخطر اليهودى» (ص ٥٦).

(٢) فى الأمثلة التى قدمناها من البروتوولات نجد وصف الأمميين بالغنم بجانب وصفهم بالبهائم.

١ - **فكرة «الشعب المختار»** : نجدها فى البروتوكول (٥) : «إننا نقرأ فى شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض». وفى البروتوكول (١٥) : «وهذا الاختلاف فى العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذى يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله» وفى البروتوكول (٢٠) : «وهذا يبرهن على حقيقة أننا الشعب الذى اختاره الله».

٢ - **الربوبية والألوهية** : نجدها فى البروتوكول (١٥) : «إننا نوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية» وفى البرتوكول (٢٢) : «إن حكمنا هو إرادة الله». وفى البروتوكول (٢٣) : «صلوا لله واركعوا أمام ذلك «الملك» الذى يحمل آية التقدير الأزلى للعالم. والذى يقود الله ذاته نجمه. فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه HIMSELF قادرا على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة» وواضح هنا أن «الملك» يقوم بدور المخلص مثل المسيح وبالتالى فهو يجمع مثله بين الناسوت واللاهوت.. (ولكن لأن الشعب المختار يعلى أمور الدنيا على أمور الدين.. ولأن المسيح لم يقم بدور «الملك» الذى يعيد إليهم سلطانهم الدنيوى فقد رفضوه ) (١).

٣ - **تضخم الذات** : نجده فى البروتوكول (٥): «نحن أقوياء جدا فعلى العالم أن يعتمد علينا وأن ينيب إلينا» وفى البروتوكول (١٥): «إن كل مخلوق فى هذا العالم خاضع لسلطة. إن لم تكن سلطة إنسان فسلطة ظروف أو سلطة طبيعته الخاصة . فهى - مهما تكن الحال - سلطة شىء أعظم قوة منه. وإذن فلنكن نحن الشىء الأعظم قوة».

٤ - **عقدة الطفل اليتيم** : فى الفصل الخامس شبهنا قبيلة العبريين المرفوضة فى مصر بالطفل اليتيم أو اللقيط الذى يعيش وسط أطفال غير يتامى (المصريين) وأبوهم هو الفرعون.. وفى الفصل السادس بينا كيف عوض العبريون افتقادهم إلى الأب عن طريق الأب البديل موسى (وذلك عن طريق التقابل بين الطرفين من حيث الطفولة والبنوة واليتم أو صفة اللقيط) ثم رأينا بعد ذلك كيف واجه الشعب المختار هذه المسألة عن طريق مبدأ قلب الأوضاع . وها هو الآن يطبق نفس المبدأ فى البروتوكولات فيجعل نفسه (عن طريق الملك الصهيونى) مكان الأب (الذى كان يمثله الفرعون) ويجعل الأمميين (وضمنهم المصريون أساسا) مكان الطفل..

(١) «كان اليهود ينتظرون المسيح المخلص الذى يخلصهم من العبودية بعد تشتتهم ويعيد إليهم ملكهم الدنيوى. فلما ظهر يسوع أو عيسى فى صورة قديس وحاول تخليصهم روحيا وخلقيا من شرورهم ولم يظهر فى صورة ملك يعيد إليهم سلطانهم الدنيوى أنكروه واضطهدوه. وهم حتى الآن ينتظرون المسيح المخلص فى صورة ملك من نسل داود يخلصهم من الاستعباد والتشتت. وهذا المخلص هو الذى يخلص الإنسانية من الخطيئة كما يقولون هنا وكما تقول كتبهم المقدسة (انظر سفر أشعيا وما بعده مثلا) كما أن هذا المخلص هو الذى يعيد مملكة صهيون فى نظرهم أيضا ويخضع لهم الأمم جميعا» («الخطر اليهودى» ص ٢٣١ هامش ١) .

ولنقرأ على هذا الأساس ما ورد فى البروتوكول (١٥) : « وتعتبر سياستنا أن كل الأمم أطفال.... إن حكومتنا ستحمل مظهر الثقة الأبوية PATRIARCHAL فى شخص ملكنا ... وستعتده أمتنا ورعايانا فوق الأب الذى يعنى بسد كل حاجاتهم ويرعى كل أعمالهم ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض[1] (انظر الهامش) وسيكون للجمهور هذا الشعور العميق بتوقيره توقيرا يقارب العبادة».

ونلاحظ أن توقير الملك الصهيونى توقيرا يقارب العبادة ينطبق على توقير المصريين للفرعون الذى لم يحظ الشعب المختار بأبوته فجعلوا ملكهم (الأبوى) مكانه طبقا لمبدأ قلب الأوضاع .

٥ - **ازدواج الشخصية** : نجده فى الجمع الشاذ الذى بيناه فى البروتوكولات بين الحسنات والسيئات أو بين الخير والشر وكأننا أمام د . چيكل ومستر هايد.

## البروتوكولات يحكمها العقل الجبرى

يقول البروتوكول الأول بشأن شعوب العالم أى الأمميين : «إنهم خضعوا فى الطور الأول من الحياة الاجتماعية للقوة الوحشية العمياء.. ثم خضعوا للقانون. وما القانون فى الحقيقة إلا هذه القوة ذاتها مقنعة فحسب. وهذا يؤدى بنا إلى تقرير أن قانون الطبيعة هو : الحق يكمن فى القوة» وترجمة ذلك أن البشرية كان يحكمها فى البداية قانون الطبيعة (العقل الجبرى) حيث القوة هى الفيصل.. ثم بعد ذلك انتقلت البشرية إلى القانون الوضعى (العقل الاختيارى) حيث الأخلاق هى الفيصل [2].. ولأن البروتوكولات يحكمها العقل الجبرى الذى له الغلبة على العقل الاختيارى فهى تغلِّب قانون الطبيعة على القانون الوضعى ومن ثم تغلِّب القوة على الأخلاق.. وهى تعبر عن ذلك فى البروتوكول المذكور بأن الحق - كقيمة أخلاقية - يكمن فى القوة .. وبأن «كلمة (الحق) فكرة مجردة قائمة على غير أساس فهى كلمة لا تدل على أكثر من أعطنى ما أريد لكى أبرهن بهذا على أنى أقوى منك» وهو ما يعنى توظيف الأخلاق - أى الحق - لحساب القوة وليس العكس.. وما يسرى على الأخلاق يسرى على الدين.. ومن هنا كان ترويج اليهود لفلسفة نيتشه [3] حيث أنه «ينظر إلى الدين والأخلاق بوصفهما شكلين من الأشكال التى تظهر فيها إرادة القوة لدى الضعفاء. فالرجل المتدين هو الرجل الذى يشعر أنه ليس حرا فيكبت ميوله الغريزية. والأخلاق كما تظهر عند العبيد هى وسيلة من أجل سيادة الضعفاء. والإرادة القوية

---

(١) «وستتذكر دائما ذلك الدور الذى يجب أن نؤديه وأعنى به دور الحامى الأبوى» . (بروتوكول ٢٠).

(٢) تذكر إله الشمس عندما كان يمثل الطبيعة (العقل الجبرى) ثم تحول إلى إله خلقى (العقل الاختيارى) .

(٣) «إن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل» (الخطر اليهودى ص ١٣٢) وقد تنبأ نيتشه فى كتابه «وراء الخير والشر» لفلسفة ماركس اليهودية الشيوعية بالانتشار وحدد الدولة التى ستعتنقها وهى روسيا. وما كان أحد يتصور يومئذ ذلك. فتحققت نبوءته وأكرهت روسيا بالعنف والخديعة على احتضان شيوعية ماركس اليهودى على أيدى اليهود» (نفس المصدر ص ١٣٢ هامش ١) .

أيضا تأخذ شكل الأخلاق ولكن ليس من أجـل الأخلاق فى ذاتها. إنها تريد أن تستخدم الأخلاق كوسيلة» (١) .. ومفهومنا لذلك حسب موضوعنا أن اليهود يجعلون من قوانين العقل الجبرى - رغم عدم تعلقه بالأخلاق - قيما أخلاقية يرد ون بها أخلاقيات العقل الاختيارى التى يرفضونها.. ومثال ذلك شعـار الثورة الفرنسية ذو القيم الأخلاقية الثلاث التى تخص العـقل الاختيـارى: «حرية . مساواة . إخاء».

فبالنسبة لقيمة «الحرية» نجد فى البروتوكول (١٢) أن «الحرية هى حق عمل ما يسمح به القانون» والمقصود بالقانون هو العقل الجبرى الذى يمثله الشعب المختار ولذا يستمر القول السابق: «القانون لن يسمح إلا بما نرغب نحن فيه» - أى نحن الشعب المختار ممثلو العقل الجبرى - وهو قول يستند إلى غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى أى غلبة القانون المطلق حيث الحرية ليس لها إلا وجه واحد (حرية جبرية) على القوانين النسبية حيث «الحرية - كما يقول نفس البروتوكول - يمكن أن تفسر بوجوه شتى» وهو قول لا نملك إلا الاعتراف بأنه يعبر عن نقطة ضعف القيم الأخلاقية إذ أن تعدد وجهات النظر بشأن الحرية ينتج عنه الخلافات بين الأفراد والجماعات والشعوب ومن ثم الصراعات والحروب.. ومن هنا نفهم قول البروتوكول (١) : «كنا قديما أول من صاح فى الناس «الحرية . المساواة . الإخاء» كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعارات وقد حرمت بتردادها العالم من نجاحه وحرمت الفرد من حريته الشخصية».. فاليهود يزعمون أنهم هم الذين وضعوا شعار الثورة الفرنسية وهم الذين أشعلوها متنبئين بأن شعارها سيعم العالم وفى الوقت نفسه سينقلب الغرض منه إلى العكس.. وسواء صح أو لم يصح زعمهم بأنهم واضعو شعار الثورة الفرنسية ومشعلوها فإن الذى صح بالفعل هو أن الغرض من هذا الشعار قد انقلب فعلا إلى العكس حيث اختلفت مفاهيمه باختلاف المذاهب والأجناس والأديان إلخ.. فمثلا حرية الرأسمالى تتعارض مع حرية الشيوعى وحرية الأبيض تتعارض مع حرية الأسود وهكذا.. فلا عجب إذن أن نجد فى البروتوكول(٣) هذا القول : «إن كلمة الحرية تزج بالمجتمع فى نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة» أى حتى قوة العقل الجبرى.. وهو أمر بديهى حيث أنها حرية تخص العقل الاختيارى الذى يتعارض مع العقل الجبرى.

وكما ينقلب الهدف من «الحرية» إلي العكس فكذلك بالنسبة إلى «المساواة» و«الإخاء» (وأحوال العالم تشهد بذلك وتجعله ملوما قبل أن يلوم الشعب المختار على مفهومه الذاتى المحض لتلك الشعارات) فمن حيث «المساواة» - وكذلك «الإخاء» - كقيمة أخلاقية تخص العقل الاختيارى وتهدف إلى المساواة بين البشر.. فلأنها تتعارض مع تميز الشعب المختار على شعوب العالم فهو يردها بقيمة أخلاقية هى فى الواقع قانون للعقل الجبرى يعبر عنه البروتوكول (١) بقوله : « إنه لا مساواة فى الطبيعة.. وإن الطبيعة قد خلقت أنماطا غير متساوية فى العقل والشخصية»..

(١) «نيتشه عد و المسيح» (ص ٩٢) .

فالشعب المختار يرفض فكرة المساواة بحيث نجد فى البرتوكول (٤) أنه «يمكن أن لا يكون للحرية ضرر إذا كانت نقية من أفكار المساواة» .. فهى بهذا المعنى حرية تخص العقل الجبرى أى حرية جبرية يتساوى حكمها على المخلوقات دون المساواة بينها.. أى يسرى حكمها على جميع شعوب العالم بما فيها الشعب المختار دون مساس بتميزه عليها وخاصة التميز العقلى وهو ما يعبر عنه البرتوكول (٥) بهذا القول : «إننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين نقارن بالعقل» .. والواقع أن البروتوكولات مبنية على أساس تميز الشعب المختار على شعوب العالم من حيث العقل.. والبروتوكول (١٥) يعبر عن ذلك صراحة فى قوله : «هذا الاختلاف فى العقلية بيننا وبين الأمميين يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله» وباعتبار أن البروتوكولات - وبالتالى الشعب المختار - يحكمها العقل الجبرى فالمقصود بـ (الله) هو إله القمر «إيل» أحد عناصر الطبيعة [1].. أى أن الطبيعة هى التى اختارت الشعب المختار لتميزه العقلى وذلك وفقا لقانون الانتخاب الطبيعى الذى يختار الأفضل.. ويؤكد ذلك استمرار القول السابق: «إن الطبيعة قد قدرتنا تقديرا لقيادة العالم وحكمه».. وعندما نقول الطبيعة فكأننا نقول العقل الجبرى أى أن العقل الجبرى اختار الشعب المختار ليحكم العالم [2] (انظر الهامش) وعلى هذا فسوف يحكمه بقوانين العقل الجبرى - أو حسب تعبير البروتوكول (٢٢) : «الروح الحقة للقوانين التى وضعتها الطبيعة لحكم النوع البشرى» - بل إن الملك سيكون بمثابة العقل الجبرى ذاته حيث أن البروتوكول (٢٤) يقول : «وسيرى الناس فى شخص الملك مثلا للقدر نفسه.. ولن يعرف أحد أهداف الملك حين يصدر أوامره».. فكما نعرف فإن عجز العقل الاختيارى عن معرفة الخير من الشر يجعله عاجزا عن معرفة ما وراء ظواهر العقل الجبرى.. وبالتالى ما وراء أوامر الملك.. وكما نعرف أيضا فإن العقل الجبرى يتعلق بالخير فقط وبالتالى فإن أوامر الملك تتعلق بالخير فقط.. وهكذا يذكرنا ملك صهيون بالإله «رع» قبل أن يصبح إلها خلقيا يتعلق بالعقل الاختيارى أى عندما كان إلها للطبيعة يحكم البشر بقوانين العقل الجبرى حيث الخير فقط.

ولكن إذا كان ذلك يتفق وكون البروتوكولات يحكمها العقل الجبرى الذى يتعلق بالخير فقط إلا أنه سبق ورأينا أن البروتوكولات تجمع بين الخير والشر.. وفى هذا تناقض نرجعه إلى تعامل البروتوكولات مع الأمميين الذى يمثلون شعوب العالم إذ أن الشعوب تتعلق بالعقل الاختيارى حيث الخير والشر.. وقد سبق وأوضحنا أن شرور العالم ليست كلها من فعل الصهيونية وأن معظمها

---

(١) ذكرنا كثيرا أن العبريين جمعوا بين «إيل» و (الله) .

(٢) وهذا يعزز سابق قولنا بأن الشتات الأكبر كان نتيجة رغبة لا شعورية لدى الشعب المختار. فهو لكى يحكم العالم يجب أن يظل مقتصرا على هويته الأصلية (العقل الجبرى) أى يجب ألا يتحول إلى شعب حيث أن (العقل الجبرى + العقل الاختيارى) = تحقيق الذات) أى التحول إلى شعب. وهذا يؤكد ما قلناه فى المقدمة من أن الكيان اليهودى العالمى (حيث لا شعب) أهم وأخطر من الكيان اليهودى الإسرائيلى (حيث قيام شعب). كما وأن الرغبة اللاشعورية فى الشتات تمثل فى رأينا الدافع الكامن وراء رفض يهود الشتات للحركة الصهيونية وقيام إسرائيل. (بخصوص رفض اليهود للحركة الصهيونية انظر الفصل السابع من كتاب «الأيديولوجية الصهيونية» القسم الأول. والفصل الثانى من كتاب «إسرائيليات» ).

يخص الأمميين وأما الشر الذى يخص البروتوكولات فمعظمه ناتج عن أنها تستثمر فساد المنحرفين من حكام وحكومات الأمميين حتى تفقد الشعوب إيمانها بتلك الأنظمة وتجد ملاذها فى نظام حكومة البروتوكولات الخيرة بحكم تعلقها بالعقل الجبرى.. وعلى ذلك فإن الفرق بين الشر الذى يخص الأمميين والشر الذى يخص البروتوكولات يتمثل فى الآتى :

- الشر الذى يخص الأمميين معظمه سبب.. والشر الذى يخص البروتوكولات معظمه نتيجة لهذا السبب.
- الشر الذى يخص الأمميين معظمه ينتهى إلى شر.. والشر الذى يخص البروتوكولات معظمه ينتهى إلى خير.

وعلى ذلك فنحن لا نتفق ووجهة النظر التى تربط بين البروتوكولات وكتاب «الأمير» لمكيافيلى إذ أنه شتان بين ما يخص العقل الجبرى «البروتوكولات» وما يخص العقل الاختيارى «كتاب الأمير» .. وسوف نوضح ذلك من خلال المبدأ الذرائعى الذى اقترن بأفكار مكيافلى وهو «الغاية تبرر الوسيلة».. فعندما ننظر إلى هذا المبدأ من وجهة نظر المكيافيلية فسنجد أن الغاية تجمع بين الخير والشر.. فمثلا الدكتاتورية كغاية تعتبر خيرا بالنسبة للدكتاتور وشرا بالنسبة للشعب الذى يحكمه.. ونفس المنطق يسرى على الوسيلة التى توصل إلى الغاية.. أما عندما ننظر إلى نفس المبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» من وجهة نظر البروتوكولات التى يحكمها العقل الجبرى حيث الخير فقط فسنجد أن نسبية الخير والشر لا وجود لها ومن ثم فإن كلا من الغاية والوسيلة خير لدى الحاكم والمحكوم.. وعلى ذلك نفهم قول البروتوكول (١) : «إن الغاية تبرر الوسيلة . وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقى بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد».. فطبقا للمفهوم الذى قدمناه نترجم هذا القول بأن المقصود بـ «ما هو خير وأخلاقى» هو الخير النسبى المتعلق بالعقل الاختيارى حيث الخير يمكن أن يكون شرا والعكس كذلك وبالتالى فإن الأخلاق التى تفصل بين الخير والشر تكون نسبية أيضا.. فمثلا أخلاقيات الدكتاتور خير فى نظره وشر فى نظر الشعب وأخلاقيات الشعب خير فى نظره وشر فى نظر الدكتاتور.. وعلى هذا كانت الدعوة فى البروتوكولات إلى عدم الالتفات إلى «ما هو خير وأخلاقى» بقدر الالتفات إلى «ما هو ضرورى ومفيد» وباعتبار أن «ما هو خير وأخلاقى» يخص العقل الاختيارى حيث الخير والشر فإن «ما هو ضرورى ومفيد» يخص بالمقابل العقل الجبرى حيث الخير فقط.. وعلى هذا نفهم ما هو «ضرورى» على أنه جبرى وما هو «مفيد» على أنه خير مطلق.

## خلاص العالم فى الحكومة العالمية

إذا نظرنا من خلال ما سبق إلى الحكومة العالمية التى تطرحها البروتوكولات بغض النظر عن جنسيتها .. أو بعبارة أخرى إذا نظرنا من خلال ما سبق إلى فكرة الحكومة العالمية فى حد

ذاتها لوجدنا أنها تمثل الشكل الأمثل للحكم الذى يحقق للمحكوم الخير المطلق.. أو بعبارة واقعية : الذى يحقق للمحكوم الخير أكثر مما يحققه تعدد الحكومات وهى فى أفضل أشكالها وحالاتها(١).. فما البال وتعدد الحكومات أصلا ليس فى صالح الشعوب ؟.. وبيان ذلك أن منطق السيطرة كان ولا يزال يسود البشرية ومن ثم فإن العالم تحكمه الدولة الأقوى (٢) التى تتدخل فى سيادة الدول الأقل قوة وتملى عليها إرادتها وفقا لمصالحها.. وهى إذا صادفت حاكما ليس على هواها فما أسهل أن تزيحه إما عن طريق المرض الذى يبدو طبيعيا أو عن طريق الاغتيال أو الانقلاب العسكرى أو الحرب الأهلية إلخ.. والنتيجة أن معظم حكام الدول الضعيفة يعملون لحساب الدولة الأقوى على حساب شعوبهم حرصا على بقائهم - ومن أجل الاستهلاك المحلى يعلنون فى خطبهم رفضهم لأى تدخل أجنبى ويرفعون شعارات الحرية وهم فى الحقيقة عبيد ويفرضون على شعوبهم العبودية - ومن هنا قلنا إن تعدد الحكومات ليس فى صالح الشعوب.. ومعنى هذا أن خلاص العالم يتمثل فى قيام حكومة عالمية وهى بالتأكيد ليست الحكومة التى تتمثل فى الدولة الأقوى التى تستغل الدول الضعيفة إذ المطلوب هو حكومة تمثل شعوب العالم مجتمعة فى شعب واحد وتعمل لخير هذا الشعب الواحد.. فإذا افترضنا أن هذه الحكومة تتمثل فى حكومة اليهود على أساس أن البروتوكولات التى تمهد لها تمثل العقل الجبرى حيث الخير فقط.. فسوف نصطدم بأن هناك ما يشوه هذا الوجه الخير إذ أن من يسعى لتحقيق الخير للآخرين يفعل ذلك عن حب وهو مالا نجده فى البروتوكولات.. فهى تخطط لقيام حكومة تحقق للعالم السلام الذى يحلم به وتقدم له حاكما يقوم بدور الأب الحامى لرعاياه ويطرح أهواء ه الشخصية لمصلحة شعبه.. ولكنها تفعل ذلك بروح التآمر على شعوب العالم والتعالى عليها وتحقيرها.. وباختصار فإن من يقرأ البروتوكولات لا يجد فيها جملة واحدة تعبر عن روح الود والتعاطف نحو العالم الذى تخطط لقيام حكومة تحقق له السلام الذى يحلم به.. ولكن لا عجب فى ذلك حين نذكر الأساس الذى بنينا عليه رسالتنا وهو أن فترة الأسر والاضطهاد التى عاشها العبريون فى مصر هى المحرك اللاشعورى والشعورى أو بلغة فرويد هى العقدة النفسية وراء شخصية وتاريخ وتصرفات الشعب المختار.. فقد رأينا كيف انعكست تجربة الأسر على موقف الشعب المختار من شعب مصر ومن ثم من جميع شعوب العالم.. وهو الموقف الذى كشفنا عنه فى قصص التوراة وفى التلمود والكابالا وأخيرا فى البروتوكولات.

وكما رأينا فقد نتج عن عقدة الأسر والاضطهاد أن كانت قضية القضايا لدى الشعب المختار هى أن يكون شعبا صاحب وطن .. ولابد أن القارىء قد سبقنا إلى القول بأن

---

(١) وقد كان جان جاك روسو على حق فى قوله باستحالة التوصل إلى الديمقراطية الكاملة.

(٢) ولا يختلف الأمر بوجود دولة منافسة إذ أن الاثنتين تتقاسمان حكم العالم إلى أن ينتهى الوضع بتفوق أحديهما كما حدث مؤخرا بين أمريكا والاتحاد السوفييتى. كما وأن المسألة يمكن أن تتمثل فى عصبة من الدول الكبرى التى تتحكم فى الدول الصغرى وتمنح نفسها دونها حق الفيتو .. إلخ .

**قيام دولة إسرائيل قد حل عقدة الأسر والاضطهاد لدى الشعب المختار ومن ثم لم يعد هناك مبرر لموقفه من شعوب العالم (الأمميين) كما لم يعد هناك مبرر لفكرة «الشعب المختار» وبالتالى ما يتعلق بها من تضخم الذات والربوبية والألوهية وازدواج الشخصية إلخ.. وهى الصفات الكامنة وراء تشويه الوجه الخير للبروتوكولات ومن ثم تشويه فكرة الحكومة العالمية التى فيها خلاص العالم.. ويكون القارىء بقوله هذا قد وصل بنفسه إلى الهدف الذى قصدناه من أول كلمة فى بحثنا هذا وهو اعتبار قيام دولة إسرائيل فاصلا بين صفحتين: صفحة تفتقر إلى كلمة سلام.. وصفحة عنوانها «السلام» وبكل لغات العالم كناية عن أن المسئولية مشتركة – لا نقول بين جانبين : اليهود والعالم .. وإنما بين شعوب العالم بما فيها شعب اليهود[1]** .. فبهذا ينتهى منطق: «أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى ع الغريب» ويسود منطق : «نحن على الغريب» حيث «نحن» تعنى جميع شعوب العالم بما فيها شعب اليهود وحيث «الغريب» هو أى شعب أو على الأصح أى دولة تشوه صفحة السلام.. بهذا يتم إعلاء السلام فوق الحواجز الناجمة عن اختلاف الجنسيات والقوميات واللغات والديانات إلخ.. فتصبح شعوب العالم بمثابة شعب واحد ومن ثم يصبح لا معنى لتعدد الحكومات.. وتلك هى الأرض الصالحة لقيام الحكومة العالمية أيا كانت هويتها طالما أنها تعلى السلام فوق أى هوية ومن ضمنها هويتها.. وهو ما نوضحه تحت العنوان التالى.

## حكومة الجمال

تحت العنوان «من الكابالا إلى البروتوكولات» قلنا إنه إذا كان الشعب المختار قد استطاع أخيرا أن يكون شعبا بالفعل له وطن ومعترفا به دوليا فالفضل فى ذلك يرجع إلى فلسفة الكابالا.. وقلنا إن ذلك يسرى على المستوى الفلسفى وإن تحقيقه احتاج إلى التحول من الفكر النظرى إلى الفكر العملى .. وباعتبار أن فلسفة الكابالا تتعلق بالدين فقد طبق عليها مبدأ توظيف أمور الدين لحساب أمور الدنيا وهو ما تم فى الحركة الصهيونية التى قامت على يدها دولة إسرائيل والتى تمخضت عن البروتوكولات حيث التخطيط لحكومة عالمية.. والخلاصة أنه تم توظيف الكابالا لحساب البروتوكولات.. وبما أن الكابالا يحكمها العقل الجبرى.. وبما أن البروتوكولات تمثل العقل الجبرى.. إذن فقد تم توظيف العقل الجبرى لحساب العقل الجبرى.

---

(١) «عندما ظهرت الصهيونية أول ما ظهرت على المسرح السياسى الدولى كانت الاستجابة اليهودية لها أبعد ما تكون عن الترحيب» «ولكن على الرغم من الموقف المعادى الذى واجهته الصهيونية فى بادىء الأمر إلا أن الدارس لا يملك إلا أن يعترف أنها قد أصبحت «حركة شعبية» تتمتع بتأييد عدد كبير من اليهود» (الأيديولوجية الصهيونية ص ٢٢٧، ٢٣٧) وإذا كان المؤلف د. عبدالوهاب المسيرى له تحفظات على تحول موقف اليهود من رفض الصهيونية إلى تقبلها. فنحن نتحدث عن شعب اليهود باعتبار وحدة شعوب العالم بعيدا عن الصهيونية وهو ما سنبينه فى منطق تقبلنا للحكومة العالمية .

والعقل الجبرى فى شجرة الكابالا يتمثل فى طبقة التوازن.. وفى علم الاستاطيقا (١) نجد أن تعريفات الجمال مهما اختلفت وتنوعت لا تخرج فى مضامينها عن قانون التوازن الذى يخص العقل الجبرى.. وعلى هذا فإن (الجمال = التوازن = العقل الجبرى) .. وعلى هذا فإن توظيف الكابالا لحساب البروتوكولات الذى قلنا إنه يعنى توظيف العقل الجبرى لحساب العقل الجبرى يعنى بالتالى توظيف الجمال لحساب الجمال وهو ما يعنى الجمال المجرد أو الجمال المطلق.. وهو بالطبع كذلك بحكم تعلقه بالعقل الجبرى.. ولكن رغم أن البروتوكولات تمثل العقل الجبرى حيث الخير المطلق إلا أنها - كما رأينا - تجمع بين الخير والشر نتيجة تعاملها مع العقل الاختيارى حيث الخير والشر.. وهذا ينقلنا إلى نوع آخر من الجمال يخص العقل الاختيارى وهو الجمال الذاتى أو النسبى حيث يمكن أن يكون الشىء جميلا من وجهة نظر وغير جميل من وجهة نظر أخرى.

والخلاصة أن الجمال لا يخرج عن نوعين (٢) : جمال (موضوعى) يتعلق بالعقل الجبرى أى بالخير فقط ونسميه (الجمال الجبرى).. وجمال (ذاتى) يتعلق بالعقل الاختيارى أى بالخير والشر ونسميه (الجمال الاختيارى).. والمطلوب تخليص الجمال الاختيارى من الشر مع احتفاظه بذاتيته.. وإذا بدا هذا مستحيلا لأن الذات هى مصدر الشر فهو ممكن إذا استطعنا توظيف الجمال الاختيارى لحساب الجمال الجبرى.. أى توظيف الذاتية لحساب الموضوعية.. والواقع أن البشرية تسعى عن طريق فلسفة الجمال إلى تحقيق هذه المعادلة الصعبة وفى الوقت نفسه تقاومها بسبب طبيعة الذات الاستقلالية.. وهو ما نبينه من خلال الآتى:

١ - فى القرن الخامس ق . م ظهرت نظريات بشأن الجمال وتلاقت مع الفلسفة اليونانية فى بحثها عن الحقيقة فأصبح شأنها شأن الجمال بالنسبة لتلك النظريات.. وقد تم ذلك على يد الفلاسفة السفسطائيين الذين نظروا إلى الحقيقة على أنها نسبية بمعنى أن ما يبدو للإنسان أنه حق فهو حق.. وبالتالى ما يبدو للإنسان أنه جميل فهو جميل.. **وهذا يخص (الجمال الاختيارى)** .

٢ - ثم جاء أفلاطون معترضا على وجهة النظر السابقة حيث اعتبر أن الحقيقة هى الحقيقة الرياضية الثابتة التى لا تتغير بتغير وجهات النظر وأن الجمال الهندسى هو الجمال الذى يعبر عن هذه الحقيقة الثابتة لكل ما فى الكون.. **وهذا يخص (الجمال الجبرى)** .

٣ - ثم جاء أرسطو بفكرة الحقيقة الممكنة الوقوع.. فهى حقيقة - وبالتالى الجمال - متغيرة تغير الامكانيات ووجهات النظر.. **وهذا يخص (الجمال الاختيارى)** .

---

(١) استاطيقا . علم يدرس طبيعة الجمال والفن والمبادىء التى ينبنى عليها التعبير الفنى فى مختلف وسائله وله مدرستان : إحداهما تجعل الجمال موضوعيا كائنا فى الشىء الجميل نفسه. والأخرى تجعله مرهونا بالإدراك الذاتى عند الشخص المدرك (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٢) راجع الهامش السابق.

٤ – ثم ارتبط الجمال عند سقراط بالخير والمنفعة بمعنى أن كل ما يحقق خيرا ونفعا فهو جميل.. وارتباط الجمال بـ «النفعية» يتناقض مع ارتباطه بالخير إذ أن «النفعية» ينتج عنها الخير والشر معا.. فما هو خير لى قد يكون شرا لغيرى.. **وهذا يخص (الجمال الاختيارى)** .

٥ – ثم جاء الرومانسيون والمثاليون الذين رفضوا ارتباط الجمال بالخيرية والنفعية ونادوا بالجمال المطلق.. **وهذا يخص (الجمال الجبرى)** .

٦ – ثم جاء من الرومانسيين والمثاليين من نادوا برفض فكرة الجمال المطلق وعلى رأسهم تولستوى الذى عاد إلى ربط الجمال بما فيه خير ومنفعة المجتمع.. **وهذا يخص (الجمال الاختيارى)** .

٧ – ثم جاء المحدثون من الفلاسفة التجريبيين [١] وقالوا : «إن الجمال ليس سوى صفة يضيفها الإنسان على الموجودات» [٢] .. **وهذا يخص (الجمال الاختيارى)** .

ونلاحظ فى المراحل السبع التى قدمناها أن نسبة (الجمال الاختيارى) إلى (الجمال الجبرى) هى (٥ : ٢) مما يؤكد طغيان الذاتية على الموضوعية نتيجة رفض العقل الاختيارى التسليم للعقل الجبرى ومن ثم رفضه التسليم بوجود الجمال المطلق مستقلا عن الإنسان.. وهو ما يعبر عنه قول بروتاجوراس : الإنسان مقياس كل شىء.

وإذا كان تعلق العقل الجبرى بالخير فقط يميزه على العقل الاختيارى الذى يتعلق بالخير والشر فإن العقل الاختيارى يحاول تعويض هذا النقص [٣] من خلال طبيعته المتعلقة بالأخلاق التى جعلته يبتكر فكرة القيم.. ومن ثم دخلت فلسفة الجمال فيما يسمى بفلسفة القيم.. أى أن العقل الاختيارى لكى يعوض نقصه الجمالى أضفى على الجمال صفته الأخلاقية فكأنه بذلك يداوى النقص بنقص آخر هو النقص الأخلاقى حيث أن العقل الاختيارى – متضمنا تعلقه بالأخلاق – يتعلق بالخير والشر وهو ما لابد أن ينعكس على الجمال المتعلق بالخير فقط.. ومن هنا لجأت الفلسفة للخروج من هذا المأزق الذى أوقعها فيه العقل الاختيارى إلى جعل القبح قيمة خيرة مثله مثل الجمال.. فكأن العقل الاختيارى يدافع عما فعله بقوله : «إذا كان سعيى إلى الخير يضطرنى إلى الارتباط بالشر فلأجعلن الشر قيمة خيرة وعلى ذلك فإذا كان الجمال خيرا فليكن القبح أيضا خيرا».. وهو يبرر منطقه هذا مستغلا نقطة ضعفه وهى عجزه عن معرفة الخير من الشر فيزعم أنه على حق إذ ما أدراه إذا ما كان الجمال يمكن أن يكون خيرا أو شرا وبالتالى القبح؟ .. ولكن ذلك الزعم وغيره من الحيل والأساليب التى يلجأ إليها العقل الاختيارى ليبرر

---

(١) نسبة إلى المنهج العلمى التجريبى الذى انتهجته الفلسفة الحديثة .

(٢) «فلسفة الجمال» (ص ٨١) .

(٣) طبقا لنظرية «صدمة العرى» فإن النقص هنا يرجع إلى انفصال العقل الاختيارى عن العقل الجبرى وهو ما ينتج عنه «صدمة العرى» وعلى هذا فإن محاولة تعويض النقص تعنى محاولة التغلب على «صدمة العرى» وهى هنا صدمة العرى الأخلاقى.

تمرده على العقل الجبرى يصطدم بواقع لا مفر منه وهو أن الفطرة تجعله يفرق بين الجمال والقبح بعيدا عن المؤثرات الذاتية وبعيدا عن عدم قدرته على معرفة الخير من الشر.. وعندما نقول «الفطرة» فكأننا نقول العقل الجبرى.. وهكذا مهما تحايل العقل الاختيارى فى مكابرته أمام العقل الجبرى فإنه يجد نفسه فى النهاية أمامه وجها لوجه.

ومع ذلك فإن العقل الاختيارى يستمر فى المكابرة وطرح الحجج فيقول : «إذا كان مطلوبا منى أن ألتزم بالجمال فقط فإن تنفيذ ذلك يجعلنى فى حاجة إلى القبح حتى أتعرف على الجمال عن طريق مقارنته به» .. وهو يقول ذلك متجاهلا أن الرد عليه هو نفس القول السابق بأن الفطرة – أى العقل الجبرى – تستطيع أن تميز الجمال بدون مقارنته بالقبح حيث أن الجمال يمثل قانون التوازن الخاص بالعقل الجبرى.. ولكن بقدر ما يبدو هذا القول بسيطا بقدر ما هو صعب التحقيق بسبب مكابرة العقل الاختيارى ومن ثم تغلب طبيعته الاختيارية التى تجعله لا يعمل إلا من خلال المقارنة بين الأضداد.. ولأنه لا مفر من هذا الأمر الواقع فليس هناك سوى حل واحد وهو إيجاد وسيلة تجمع بين طبيعة العقل الاختيارى التى تجعله لا يعمل إلا من خلال المقارنة بين الأضداد.. وبين إدراكه للجمال بدون مقارنته بالقبح.. وما نعنيه هو إيجاد وسيلة تجعل العقل الاختيارى يدرك الجمال من خلال مقارنته بالجمال أو على الأصح من خلال مقارنته بالأقل جمالا (من وجهة نظره) ومعنى هذا أنه مطلوب وسيلة تتعلق بالجمال فقط وتلغى شيئا اسمه القبح.. ولكى نتعرف على هذه الوسيلة يجب أن نتوسع فى تعريفنا للجمال والقبح.

فقد قلنا إن الجمال يمثل قانون التوازن.. ومضمون التوازن هو ملاء مة مواصفات ظواهر الكون لأداء وظائفها.. فالإنسان مثلا يحتاج إلى ساقين لأداء وظيفة المشى.. فهو جميل من حيث هذه الجزئية [١] وهو قبيح إذا فقد ساقيه أو إحديهما أو ولد بساق أطول من الأخرى أو بذراع مكان الساق إلخ.. ونفس الحكم يسرى على الحيوان والنبات والجماد (وإذا كنا بهذا نربط بين الجمال و«النفعية» فهى هنا نفعية تخص العقل الجبرى حيث الخير فقط بعكس نفعية العقل الاختيارى) وسوف نطبق هذا المبدأ على الفن [٢] حيث نجد على سبيل المثال أن المصور قد يرسم الجسم ناقصا أو يتصرف فى نظام أعضائه أو يتلاعب فى نسبه أو يكعبه أو يجرده إلخ.. وسوف نحدد علاقة ذلك بالجمال والقبح على أساس ارتباط الجمال بمضمون التوازن وهو ملاء مة مواصفات ظواهر الكون لأداء وظائفها [٣] .

---

(١) وأذكر فى هذا المعنى قول الأستاذ الدكتور على المفتى جراح العيون المعروف بأن هناك علاقة موجبة بين جمال شكل الجراحة ونجاحها أى صلاحيتها لأداء وظيفتها.

(٢) الفن يتعلق بالعقل الاختيارى وإن كان يتعلق بالعقل الجبرى من حيث الجمال. فالفنان حر فى اختيار عناصر الكون التى تخص موضوعه الفنى ولكنه ليس حرا بشأن القوانين والقواعد التى تخص الجمال.

(٣) وما يظهر فى الطبيعة من أخطاء وتشوهات خلقية أثناء مسيرة التطور فإن العقل الجبرى سرعان ما يتخلص منها. وقاعدة الانتخاب الطبيعى تؤكد أن الخروج على قانون التوازن يعتبر قيمة سلبية يرفضها العقل الجبرى بعكس الفنان حين يقبل القبح ويجعله قيمة إيجابية.

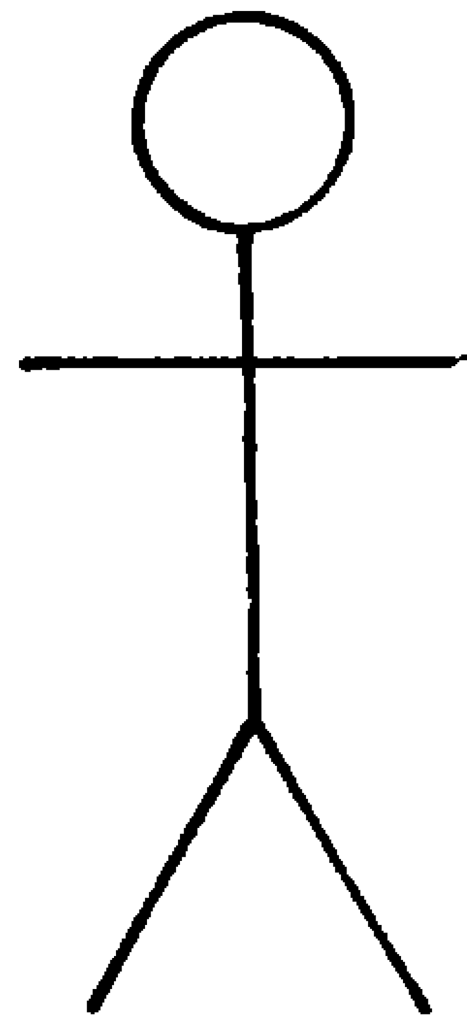
فبخصوص النقص الجسمانى فالمسألة لا تحتاج إلى تعليق إذ أن أى نقص فى الجسم يؤثر على أداء وظائفه ومن ثم فهو قبيح.

أما بخصوص التصرف فى نظام أعضاء الجسم كأن يجعل الفنان العين فى الجبين أو يجعل الأنف مكان الأذن فهذا يعد قبحا لأنه يعطل وظائف هذه الأعضاء بل ويتلف الجسم كله.

وأما بخصوص التكعيب فهو لا يعطل وظائف الجسم فحسب بل إنه يلغيه تماما إذ أنه يحوله من العضوية إلى الآلية.. وتفسير ذلك أن التكعيب يعتمد على الخطوط المستقيمة والزوايا .. وعندما نحلل مسار حركة الآلة مهما بلغت من الرقى والتعقيد نجده فى النهاية مجرد خطوط مستقيمة منفصلة تتواصل فى زوايا تحدد اتجاهاتها وذلك بخلاف الحركة العضوية التى تمتد فى خط انسيابى متصل تتغير اتجاهاته فى منحنيات (١) .

وأما بخصوص التلاعب فى النسب فنجد على سبيل المثال أن «موديليانى» يبالغ فى طول رقبة الشخصية التى يرسمها.. وهى مبالغة مشروعة لسببين: أولهما أن طول الرقبة يختلف فعلا من شخص لآخر.. وثانيهما أن مبالغة موديليانى فى طول الرقبة لا تعوقها عن أداء وظيفتها إذ أنه لا يجعلها فى طول رقبة الزرافة الذى يلائم تغذيتها على أوراق الشجر.. ومع ذلك فإن التلاعب فى النسب الطبيعية يمكن أن يجنح بالجمال إلى القبح نتيجة تعرض الفنان لإغراء ات العلاقات التشكيلية التى تدفعه إلى المبالغة فى التلاعب بنسب أعضاء الجسم لدرجة تعوقه عن أداء وظائفه.

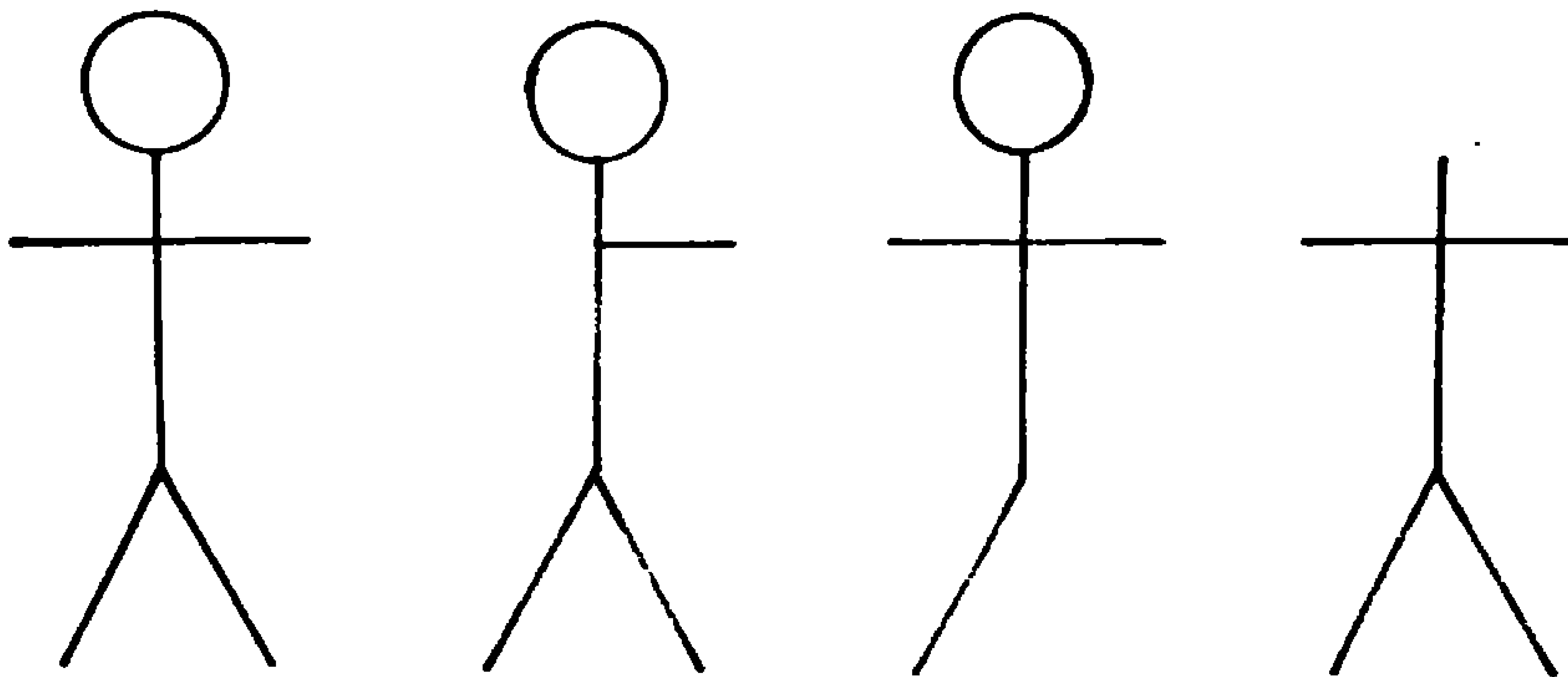
وأما بخصوص التجريد فبداية نقول إن ما سبق يكاد يكون دعوة للعودة إلى الفن الاغريقى – وما يماثله – حيث كان الفنان يصور الجسم البشرى وسائر ظواهر الكون بأسلوب لا يتعارض مع أدائها الوظيفى.. وعلى هذا يبدو لأول وهلة أننا سنحكم على الفن التجريدى بالقبح.. ولكن ماذا لو أن المصور رسم الإنسان على هيئة دائرة تمثل الرأس ويمتد من أسفلها خط يمثل الجذع ويتفرع عند أعلاه خطان يمثلان الذراعين ومن أسفله خطان يمثلان الرجلين؟ (شكل ٢٧) .



(شكل ٢٧)

(١) يرى برجسون فى «فلسفة الضحك» أننا نضحك على الإنسان حين يتصرف بطريقة آلية. فالضحك إعلان عن رفض الخروج على قانون العقل الجبرى ومن ثم الإخلال بوظائف ظواهر الكون .

إن هذا الشكل الطفولى أو البدائى لجسم الإنسان لا يعوقه عن أداء وظائفه باعتبار أن هذا التلخيص الشديد أو هذا التجريد لا يعنينا وإنما الذى يعنينا هو عدم نقصان الجسم.. فالتجريد بهذا المعنى يدخل فى عداد الجمال.. ولكن قد يقال إن هذا الرسم يجعل الجسم ناقصا.. وعلى سبيل المثال فإن الدائرة التى تمثل الرأس ينقصها الأذنان والعينان والأنف والفم.. فكأن صاحب هذا القول يطلب أن نرسم خارج جانبى الدائرة علامتين تمثلان الأذنين وأن ترسم داخل الدائرة نقطتين تمثلان العينين وخطا رأسيا يمثل الأنف وآخر أفقيا يمثل الفم.. وحسب هذا المنطق سنقول نحن أين إنسانا العينين وأين فتحتا الأنف وأين شفتا الفم إلخ؟ وواضح من هذا المنطق أنه يجرنا إلى مطالب لا نهاية لها تصل إلى مسام الوجه وشعيراته الزغبية إلخ.. وما نريد قوله هو أن الواقعية التسجيلية مطلب عبثى يستحيل تحقيقه فضلا عن أنه يلهينا تماما عن تحقيق الهدف الذى نقصده وهو التعبير عن كمال الجسم بمنطق يجعله صالحا لأداء وظائفه.. وذلك بعكس التجريد الذى يجعلنا حين نذكر رأس الإنسان مثلا فإن ما يتبادر إلى الذهن هو الرأس بما يشمله من أعضاء.. وكذلك بالنسبة للجذع والأطراف ثم بالنسبة للجسم ككل.. وأبسط دليل على ذلك نجده فى (شكل ٢٨) حيث ندرك من أول نظرة أن الرسوم الثلاثة الأولى تمثل الجسم ناقصا بعكس الرسم الرابع .



**(شكل ٢٨)**

ونفس الحكم الذى يسرى على التجريد يسرى على الرمز باعتبار أن الرسم المجرد الذي انتهينا إليه يرمز للإنسان.. فالتجريد يمكن أن يؤدى إلى الرمز.. ومثال ذلك أن وظيفة الزواج هى استمرارية الحياة عن طريق النسل.. وتجريد هذه الاستمرارية يتمثل فى الشكل الدائرى.. ورمزية الشكل الدائرى تتمثل فى دبلة الزواج وعلى هذا فإن كمال شكل الدبلة الدائرى يجعلها فى عداد الجمال ونقصانه يجعلها فى عداد القبح.. ومثال ذلك أيضا أن بلدا ما وظيفته الزراعة .. وتجريد الزرع يتمثل فى اللون الأخضر ومن ثم فإن العلم الجميل الذى يرمز لهذا البلد هو العلم الأخضر وما عدا ذلك يعتبر قبحا.

أما وقد انتهينا إلى أن التجريد - وبالتالى الرمز - هو الأسلوب الوحيد الذى يدخل فى عداد الجمال فقد آن الأوان لأن نعود إلى بحثنا عن حل يجمع بين طبيعة العقل الاختيارى التى تجعله لا يعمل إلا من خلال المقارنة بين الأضداد وبين إدراكه للجمال بدون مقارنته بالقبح.. وقد قلنا إن الحل يتوقف على وجود وسيلة تجعل العقل الاختيارى يدرك الجمال من خلال مقارنته بالجمال أو على الأصح من خلال مقارنته بالأقل جمالا.. وقلنا إن معنى هذا أنه مطلوب وسيلة تتعلق بالجمال فقط ولا مجال فيها للقبح.. وهذا ما نجده فى التجريد والرمز الذى يؤدى إليه.. فالعقل الاختيارى أثناء عملية التجريد سوف يتصرف على أساس أن الجميل يعتبر قبيحا بالنسبة للأجمل منه وهكذا.. وبذلك نكون قد تمشينا مع طبيعة العقل الاختيارى التى لا تعمل إلا من خلال المقارنة بين الأضداد وحققنا فى الوقت نفسه التزامنا بالسير فى طريق الجمال فقط من أجل الوصول إلى الجمال المجرد أو الجمال المطلق.

وقد يطعن أحد فيما ذهبنا إليه فيقول إن التجريد فى حد ذاته هو عملية اختزال أى حذف للتفاصيل وإن التفاصيل هنا هى قيم جمالية وإن تفاوتت درجاتها.. وإنه باعتبار أن الجمال خير فلا يصح أن يسرى عليه الحذف الذى يمثل فعلا سلبيا يقابل فعل الهدم وهو ما يعنى أن التجريد يهدم الخير.. وردنا على ذلك أن صاحب هذا القول يتحدث بلسان العقل الاختيارى المتعلق بالخير والشر أو بالموجب و(السالب) الذى تنسب إليه فعالية الحذف.. فى حين أن التجريد كما قدمنا يمثل العقل الجبرى حيث الخير (الجمال) فقط أى القيم الموجبة فقط.. وبالتالى فإن الحذف كفعل سلبى إما أنه لا يجد ما يحقق فعاليته وإما أنه يتحول إلى فعل ايجابى عن طريق الانتخاب الطبيعى والتخلص من الأخطاء الطارئة كما يحدث بالنسبة للعقل الجبرى (راجع هامش ٣ ص ٤٢٨) وعلى هذا فإن الاختزال فى التجريد يعنى البناء وليس الهدم وبالتالى ينتفى القول بأن التجريد يهدم الخير.

ولنر الآن إلى ماذا توصلنا عملية البناء عن طريق التجريد بالمفهوم الذى قدمناه.

إن الفنان أثناء اختزاله للموضوع الذى يتناوله يظل يحذف التفاصيل الجميلة لحساب الأجمل إلى أن تأتى لحظة يجد فيها أن استمراره فى عملية الاختزال سيفقد الموضوع قدرته الوظيفية.. وفى هذه اللحظة يكون قد وصل إلى الرمز.. ونتوقف هنا لنمر بتجربة بسيطة وهى أن

ننظر إلى صور بعض الأشخاص الذين نعرفهم.. فلا شك أن مشاعرنا نحوهم ستتراوح بين الإيجاب والسلب لأسباب مختلفة بعضها يخص المظهر والبعض الآخر يخص المخبر.. ومضمون ذلك أننا نقع تحت تأثير «الفعل» بين طرفين هما الناظر والمنظور وما ينتج عن ذلك من خير وشر بسبب «الذاتية» و«النفعية».. ولكن حين نجرد صور أولئك الأشخاص إلى الرمز الذى يمثل الإنسان (شكل ٢٧) فسوف تنتفى الفروق بينهم ويندمج الجميع فى رمز الإنسان الذى يتضمن الناظر إليهم ومن ثم ينتفى «الفعل» بينه وبينهم وما ينتج عنه من خير وشر فلا يبقى إلا الخير فقط.. ونذكر قول سارتر: «الجحيم هو الآخرون» فهو كذلك لأن كل واحد من الآخرين يمثل «هو» وكل «هو» له «أنا» التى تخصه والتى تتعارض مع «أنا» التى تخصنى.. ولكى ينتفى هذا التعارض يجب أن تندمج جميع «الأنات» الخاصة (بما فيها أنا شخصيا) فى «أنا» عامة تخص جميع البشر.. ويوم أن يتحقق ذلك ستعيش البشرية فى محبة وأخوة وسلام و .... ولن أسترسل لأنه من المؤكد أن هناك من يقاطعنى معترضا فى سخرية بأننى أدعو إلى نظرية طوباوية يستحيل تحقيقها.. ولكن ليس معنى هذا أن نتراجع كما ليس معناه أن نتمسك بالمستحيل إذ أننا بصدد أمر لا يمكن تحقيقه على المستوى الكيفى ولكن يمكن تحقيقه على المستوى الكمى .. بمعنى أنه إذا كان من المستحيل تغيير طبيعة البشر التى تجمع بين الخير والشر فليس من المستحيل تقليل كمية الشر إلى أقصى ما يمكن.. وتحقيق ذلك يأتى عن طريق التربية التى تبنى منهج الحياة منذ الطفولة بحيث ينشأ الإنســان وقد ترسب فى لا وعيه أن مبدأ الجمال للجمال هو مفتاح الطريق إلى الخير وأنه شتان بين أن نكون خيرين استجابة للقيم الجمالية وأن نكون خيرين استجابة للقيم الأخلاقية.. وعلى سبيل المثال فإن الإنسان الذى لا يعتدى على الزهرة استجابة لجمالها لهو أفضل بمقدار ١٨٠° من الإنسان الذى يفعل ذلك استجابة للافتة «ممنوع قطف الزهور».. ففعل الخير بدافع الجمال أى (الخير الجمالى) يتم تلقائيا دون أمر أو نهى بعكس فعل الخير بدافع الأخلاق أى (الخير الأخلاقى) كما وأن (الخير الجمالى) يتعلق بالخير فقط بحكم تعلق الجمال بالعقل الجبرى فى حين أن (الخير الأخلاقى) يتعلق بالخير والشر بحكم تعلق الأخلاق بالعقل الاختيارى.. وكما نعلم فإن الشر قد بدأ عند نهى آدم عن الأكل من الشجرة حيث انتقل الوضع من (الخير الجمالى) إلى (الخير الأخلاقى) ومن ثم انتقل آدم من التسليم المطلق والتلقائى إلى الاختيار بين أن يطيع أمر النهى أو لا يطيع.. وكما نعلم فقد انتهى - بدافع تحقيق الذات - إلى عدم الطاعة ومنذ ذلك الحين ومأساة البشر ترجع إلى ترجيح (الخير الأخلاقى) على (الخير الجمالى).. وإذا كان معنى هذا أن خلاص البشرية يتمثل فى (الخير الجمالى) حيث التسليم المطلق فليس معنى ذلك إلغاء إرادة الإنسان وحرمانه من الاختيار وهو ما يعنى إلغاء ذاته فقد سبق وبينا أن (الخير الجمالى) يتم تحقيقه عن طريق الاختيار بين الجميل والأجمل .. وبهذا نكون قد حققنا المعادلة الصعبة التى أشرنا إليها فى بداية موضوعنا وهى توظيف الذاتية لحساب الموضوعية.

ونخلص مما سبق بأنه لكى يعم الخير يجب علينا – فى حدود الكم الممكن لا الكيف المستحيل – أن نغلب (الخير الجمالى) على (الخير الأخلاقى) أى نغلب الجمال على موضوع الجمال ذاته وهو ما يعنى تقديرنا لجمال الزهرة أكثر من تقديرنا للزهوة ذاتها.. وقبل أن نحكم على هذا القول بأنه تقليل من شأن الجوهر لحساب المظهر أى تقليل من شأن الزهرة لحساب جمالها نذكِّر أنفسنا بمفهوم اقتران الجمال بالأداء الوظيفى لموضوع الجمال لندرك على الفور أن ما بدا لنا فى ظاهره ضد الزهرة هو فى حقيقة الأمر لصالحها.. ولتوضيح ذلك سنفترض أننا ننظر إلى جمال الزهرة على أنه مستقل عن أداء وظيفتها ونسأل أنفسنا: ماذا يحدث حين نرى زهرة أجمل منها؟ لا شك أننا سنعتبر الزهرة الأولى قبيحة ونهملها حتى تذبل وتموت.. وهذا لا يحدث حين نقرن جمال الزهرة بأدائها لوظيفتها لأننا حينئذ نلغى تأثرنا بدرجة جمالها فنساوى بينها وبين بقية الزهور أى نجعلها «رمزا» يمثل جميع الزهور.. وقس على ذلك نظرتنا إلى جميع ظواهر الكون حيث تتلاشى كل ظاهرة فى هويتها الجماعية ويصبح (الكل = ١) و(١ = الكل).

ولكن إذا قبلنا ذلك بالنسبة لظواهر الكون من جماد ونبات وحيوان فلن نقبله بالنسبة للإنسان لأن تلاشى هويته فى الهوية الجماعية يعنى تلاشى ذاته.. وأنا شخصيا قبل غيرى لن أجادل بشأن ذلك لأننى أرفض التنازل عن ذاتى بأى حال من الأحوال.. وهنا نعود إلى سابق قولنا بأننا بصدد أمر لا يمكن تحقيقه على المستوى الكيفى ولكن يمكن تحقيقه على المستوى الكمى.. بمعنى أنه إذا كان من غير المعقول أن نطالب أنفسنا بالتنازل عن ذواتنا فمن المعقول أن نطالب أنفسنا بالحد من ذاتيتنا **(ولن نذكر تضخم الذات لدى الشعب المختار إذ أن الكلام يخص جميع البشر)**.

ومع ذلك فإن تلاشى الذات فى الذات الجماعية لا يستدعى الجزع والرفض بل يستدعى الحماس والقبول لأنه حين نتأمل مضمونه نجده فى صالحنا فهو وإن كان فى ظاهره ينفى الذات إلا أنه فى باطنه يؤكد وجودها بل إن نفيه يعنى نفى الذات.. وسوف نبين ذلك من خلال «الوجود بالقوة»(١) و«الوجود بالفعل» (٢) .. فإذا اعتبرنا أن الذات الجماعية تمثل الوجود بالقوة الذى يحوى جميع ذوات البشر فإن كل ذات على حدة تمثل الوجود بالفعل .. وبما أن الوجود بالقوة يحوى الوجودات بالفعل فإن نفيه يعنى نفى جميع ذوات البشر ومن ضمنها – وهو المهم – ذاتى أنا شخصيا .. ولكن رغم سهولة الاقتناع بهذا المنطق نظريا إلا أنه من الصعب جدا تطبيقه عمليا

---

(١) مصطلح فلسفى معناه الكمون أو الامكان الذى يخرج إلى التعين والعلن إذا صادفته الظروف المواتية. فقطعة المرمر قبل نحتها تمثالا يكون التمثال موجودا فيها بالقوة. فإذا نحته المثال أصبح موجودا بالفعل. ويفسر أرسطو العالم بمبدأين هما : المادة والصورة. فالمادة الأولية فيها إمكان أن تتشكل على أى نحو معين فتكون شيئا بذاته أى أنها تكون أى شىء بالقوة، فإذا ما أضيف إليها ما هية معينة جعلتها شيئا بالفعل.

(٢) مصطلح فلسفى معناه أن يكون الشىء موجودا فعلا متعين الصفات بعد أن كان مجرد إمكان .. فقطعة المرمر فيها إمكان أن تنحت ليخرج منها تمثال موجود بالقوة. فإذا تم نحت التمثال أصبح موجودا بالفعل. وعند أرسطو أن الذى يحول الشىء من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل هو حلول الصورة فى المادة.

وذلك بسبب انفصال الوجود بالفعل عن الوجود بالقوة رغم أنه نابع منه وهو تناقض لا يوجد إلا لدى الإنسان لأن المتسبب فيه هو الذات.. ونوضح ذلك فنقول على سبيل المثال إن كتلة الرخام التى صنع منها مايكل انجلو تمثال موسى تمثل الوجود بالقوة وتمثال موسى يمثل الوجود بالفعل.. فرغم أن كتلة الرخام يمكن أن يخرج منها عدد لا نهاية له من التماثيل مختلفة الهوية إلا أن ماهية تمثال موسى تفرض نفسها وتنفى الماهية الجماعية لكتلة الرخام.. والواقع أن الذى يفعل ذلك هو الذات التى تستقبل التمثال وتمنحه ماهيته إذ بدونها يكون وجوده مثل عدمه.. ولحظة أن يتم ذلك تنتقل القضية من التمثال إلى (ذات) المستقبِل ويصبح وجود التمثال بمثابة تحقيق وجودها هى .. ولكى تحمى الذات هذا الوجود الذى يخصها - أى لكى تحمى نفسها - فإنها تنفى إمكانية خروج تماثيل غير تمثال موسى من كتلة الرخام التى خرج منها.. أى أنها تنفى الوجود بالقوة.. ويرجع ذلك إلى مقدرة الذات على تحقيق وجودها من خلال الواقع المحدود - وهو التمثال - وعجزها عن تحقيق ذلك من خلال الواقع اللا محدود وهو التماثيل التى لا نهاية لها الكامنة فى كتلة الرخام .. وبعبارة أخرى فإن الذات تستطيع أن تحقق وجودها من خلال الوجود بالفعل وتعجز عن ذلك من خلال الوجود بالقوة لأنه يمثل الكون اللامتناهى أى العقل الجبرى المنفصلة عنه بحكم تعلقها بالعقل الاختيارى.. وهى تحاول أن تتغلب أو على الأصح أن تتهرب من ذلك العجز بأن تنفى المتسبب فيه وتحتل مكانه.. فالذات من أجل إثبات وجودها تجعل وجودها بالفعل وجودا بالقوة ينفى الوجود بالقوة الأصلى أو على أقل تقدير يفضل نفسه عليه عملا بمبدأ «أنا قبل غيرى» حتى لو كان الغير هو الذات الجماعية للبشرية كلها (**ولن نذكر موقف الشعب المختار من شعوب العالم لأن الكلام يخص الجميع**) فلا عجب أن تغرق الذات فى الأنانية والرغبة فى نفى الغير ولو بالقتل.. ويشهد على ذلك أن أول جريمة فى تاريخ البشرية سببها رفض ذات قايين المتعلقة بالزراعة لذات هابيل المتعلقة بالرعى.. وبديهى أن ينعكس ذلك على العلاقة بين المجتمع الزراعى والمجتمع الرعوى.. أى أن ما يحدث على المستوى الفردى يحدث على المستوى الجماعى حيث نجد عددا من الأفراد يجمعهم عامل مشترك - مثل الدين أو الجنسية أو المذهب السياسى أو النظام الاقتصادى أو النشاط الإجرامى إلخ - وهذا العامل المشترك يجعلهم وجودا بالقوة ينفى أى وجود غيره أو يفضل نفسه عليه .. ويتمثل هذا فى الفتن والحروب والاستعمار والاضطهاد إلخ ( **ولن نذكر اضطهاد مصر للعبريين لأن الكلام يخص جميع دول العالم**) وعلى سبيل المثال فإن إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما يرجع إلى تحول الوجود بالفعل المتمثل فى الجانب الأمريكى إلى وجود بالقوة ينفى الوجود بالقوة الأصلى بما فيه - وهو المقصود - أهالى هيروشيما.. كما وأن الطيار الذى ألقى القنبلة ما كان ليفعل ذلك دون تحويل نفسه من وجود بالفعل على المستوى الفردى إلى وجود بالقوة على المستوى الجماعى يمثل الشعب الأمريكى (*وهو ما نسميه الانتماء الوطنى وكم من الجرائم تركب باسم الوطنية*) ونفس

التحليل ينطبق على هتلر كوجود بالفعل على المستوى الفردى تحول إلى وجود بالقوة على المستوى الجماعى يتمثل فى الجنس الآرى المتعصب ضد بقية أجناس العالم وبالذات اليهود.

وكما أوضحنا فإن القضية ترجع أساسا إلى محدودية اتصال الوجود بالفعل بالوجود بالقوة .. فالإنسان مهما بلغت علاقته بالآخرين فإن عددهم يكاد لا يساوى شيئا بالنسبة لعدد البشر أجمعين.. ولعل أبلغ تعبير عن ذلك نجده فى المثل «أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى ع الغريب» فإذا كنا قد أرجعناه فى قصة نوح إلى موقف السامية من الحامية إلا أنه يسرى على كل العلاقات بين البشر بصفة عامة.. فهو وإن كان المقصود به - وبحسن نية - التعبير عن فضيلة التضامن بين الإخوة والأقرباء إلا أنه ينتهى إلى معاداتهم لكل إخوانهم فى البشرية باعتبارهم غرباء .. وقبل أن يوصف قولنا هذا بالمغالاة فلنتأمل تأثير هذا المثل على وجدان الإنسان وما يترتب عليه من تعصب وتحزب فى العلاقة بين الأفراد والجماعات ومن ثم الشعوب.. وهكذا فإن هذا المثل يعبر عن مأساة البشرية بكل ما فيها من عداء واعتداء.. كما وأنه فى الوقت نفسه يلعب دورا أساسيا كسبب لهذه المأساة.

والخلاص كما قلنا يتمثل فى المفهوم الرمزى لظواهر الكون - ومن بينها الإنسان - حيث لا يكون هناك فضل لظاهرة على أخرى أو لإنسان على آخر إذ أن الكل قد خلق لكى يؤدى وظيفته.. ويوم أن نزرع فى وجدان الأجيال هذا المفهوم لن يعتدى إنسان على إنسان ولن يعتدى الإنسان على الطبيعة.. وإذا كانت الذات هى مرجع الداء فى اعتداء الإنسان على أخيه الإنسان فإن المفهوم الرمزى للإنسان يلغى الفوارق بين البشر ومن ثم تنتمى ذات كل منا إلى الذات الكلية.. ومرة أخرى نقول إنه إذا كان هذا يتعارض مع طبيعة الذات الاستقلالية فليس المطلوب إلغاء طبيعتها وإنما المطلوب التخفيف من حدة استقلاليتها إلى أقصى درجة.. وأستأذن القارئ فى تلخيص ما أرمى إليه بجملة قلتها فى إحدى مسرحياتى [1] وهى : «إن مشكلتنا أننا لسنا جميعا جسدا واحدا داخل جلد واحد» وقد أرجعت ذلك إلى أن «مشكلتنا أن لكل منا اسمه» وقد عنيت بذلك أن لكل منا ذاته التى تجعله يظل يقول (أنا) ويظل يتصرف من خلال هذه (الأنا) دون اعتبار لوجود (نحن) .. فقضية خلاصنا هى ترويض نواتنا على العبور من (أنا) إلى (نحن) وكل خطوة نخطوها على هذا الطريق تبعدنا عن تدمير أنفسنا وأيضا عن تدمير البيئة التى نعيش فيها.. وإذا كان موضوع الجمال هو الذى تطرق بنا إلى هذه القضية فإن طريق العبور يتمثل فى مفهوم الجمال الذى قدمناه بشأن صلاحية عناصر الكون لأداء وظائفها.. ويوم أن نضع أرجلنا على هذا الطريق فسوف تتناغم وظيفة الفرد (أنا) مع وظيفة المجموع (نحن) وبالتالى مع وظيفة الكون الذى يشمل (أنا ونحن) ومن ثم سننقذ أنفسنا من مصير «نرسيس» الذى راح ضحية انفصال (أنا) - أو انفصال (نحن) باعتباره رمزا للبشر - عن الكون وجدير بالذكر أن مأساة «نرسيس» سببها عشقه لجمال صورته دون مفهوم الجمال الذى قدمناه.

---

(١) مسرحية «لا تسدلوا الستار».

فالأسطورة تقول إن «نرسيس» (١) رفض الاستجابة لحب إلهة المياه «إيكو» فعاقبته إلهة العدالة «نميزيس» بأن أوقعته فى حب صورته المنعكسة على صفحة الماء بحيث غرق فيه ثم بعد ذلك حولته إلى زهرة نرجس.. وسوف نفسر هذه الأسطورة على أساس اقتران الجمال بالأداء الوظيفى لظواهر الكون أى على أساس قانون العقل الجبرى الذى يحفظ توازن الكون.. فالمياه ظاهرة كونية تمثلها الإلهة «إيكو» .. ورفض «نرسيس» للمياه يعنى رفضه لقانون العقل الجبرى الذى يحفظ توازن الكون .. والتوازن معناه عدم طغيان جانب على آخر أى معناه العدالة التى ترمز إليها الإلهة «نميزيس».. فكأن «نرسيس» عندما رفض «إيكو» رفض «نميزيس» أى رفض العدالة أى رفض العقل الجبرى.. ولأنه لا مهرب من سلطة العقل الجبرى فقد حولت «نميزيس» أو حول العقل الجبرى «نرسيس» إلى عنصر يخص العقل الجبرى فقط وهو زهرة البنفسج.. وما نعنيه هو أن «نرسيس» عندما تمرد على سلطة العقل الجبرى قد فعل ذلك بسبب العقل الاختيارى حيث الذات الفردية (أنا) التى ترفض أو تنفى الذات الجماعية (نحن) فكانت النتيجة أنه استغرق فى ذاته المنعكسة على صفحة الماء حتى غرق .. وسبق وقلنا إن تلاشى الذات فى ذات الجماعة يجعل الإنسان مجرد رمز لجميع البشر.. فلو أن «نرسيس» نظر إلى صورته كما ننظر إلى الرسم المجرد للإنسان لما ميز نفسه على بقية البشر بسبب جماله حيث يقترن حينئذ مفهوم الجمال بالأداء الوظيفى للإنسان – بعيدا عن جمال صورته أو عدمه – ومن ثم لا يكون هناك فرق بين إنسان وآخر وبالتالى لا يكون هناك نفى من إنسان لآخر أو نفى من شعب لآخر **(وإذا كنا أثناء بحثنا قد نسبنا النرجسية إلى الشعب المختار (٢) فالكلام الآن يخص جميع الشعوب) .**

وما قلناه عن علاقة الإنسان بالإنسان نقوله عن العلاقة بين الإنسان وظواهر الكون.. فحين ينظر إليها بالمفهوم الذى يربطها بأداء وظائفها بعيدا عن أهوائه الذاتية فلن يعيث فيها فسادا فيدمرها ويدمر بالتالى نفسه (٣) .. ومثال ذلك واضح فى الأخطار التى تهددنا بسبب تلوث البيئة وتدمير طبقة الأوزون.

★★★

ولقد تطرقنا إلى ما سبق تحت عنوان «حكومة الجمال» الذى قلنا إننا سنوضح من خلاله رؤيتنا بشأن الحكومة العالمية .. وهو ما نبينه فيما يلى :

قلنا إن الأرض الصالحة لقيام حكومة عالمية هو أن تصبح شعوب العالم بمثابة شعب واحد لا يفرقه اختلاف الجنسيات والقوميات واللغات والديانات إلخ.. وهذا يتحقق من خلال مفهوم

---

(١) تناولت هذه الأسطورة بتوسع فى كتاب «صدمة العرى» . تحت عنوان «نظرة جديدة إلى أسطورة نرسيس» كما أرجعت هذه الأسطورة اليونانية إلى أصلها المصرى وذلك تحت عنوان «نظرة جديدة إلى ماعت» .

(٢) الفصل الخامس .

(٣) تناولت ذلك بتوسع فى كتاب «صدمة العرى» تحت عنون «الهدف من تميز عقل الإنسان».

*الجمال الذى قدمناه والذى انتهى إلى المفهوم الرمزى لظواهر الكون - ومن بينها الإنسان* كل قرار لا فضل لظاهرة على أخرى أو لإنسان على آخر أيا كانت هويته.

وباعتبار أن (العقل الجبرى = التوازن = الجمال = العدل) فإن (حكومة الجمال = حكومة العدل) [1] (انظر الهامش ) .. وكما أن ( الجمال الجبرى) موضوعى بعكس (الجمال الاختيارى) الذاتى.. فكذلك (العدل الجبرى) بعكس (العدل الاختيارى) فهو - أى العدل الجبرى - عدل مطلق لا ظلم فيه لأنه منزه عن «النفعية» بعكس العدل النسبى حيث مبدأ : العدل الذى يناسبنى خير ولو كان ظلما لغيرى والعدل الذى لا يناسبنى شر ولو كان يناسب غيرى.. وكم من المظالم تقع فى ظل رمز العدالة المعصوبة العينين لأنها تحكم بقوانين العقل الاختيارى الذى تجعله طبيعته يغمض عينا عن شىء ويفتح عينا على آخر.. وبين هاتين العينين قد يُظلم البرىء ويُبرأ الظالم بدءا من أصغر محكمة إلى محكمة العدل الدولية.

وإذا كان العقل الاختيارى وبالتالى (العدل الاختيارى) يخص الإنسان وحده وبالتالى الإنسانية فكم من المظالم ترتكب باسم الإنسانية.. وعلى هذا فإن الحكومة العالمية التى نعنيها تحقق (العدل الجبرى) بكونها لا إنسانية.. وقبل أن ننزعج من هذا القول نوضح ما نعنيه بالإنسانى واللا إنسانى.. فالإنسانى يخص العقل الاختيارى أى يخص القوانين الوضعية التى يضعها الإنسان والتى لا تحقق العدل المطلق.. واللا إنسانى يخص العقل الجبرى أى يخص القانون الذى وضعه الخالق حيث العدل المطلق.. والإنسان هو الكائن الوحيد الذى يجمع بين العقل الاختيارى والعقل الجبرى أى بين القانون الوضعى والقانون الإلهى.. ولكى يسمو نحو العدل الإلهى عليه أن يوظف (العدل الاختيارى) لحساب (العدل الجبرى) أى عليه أن يسمو فوق الخير والشر المتعلقين بالعقل الاختيارى ليصل إلى الخير المطلق المتعلق بالعقل الجبرى.. وهذا هو التحدى الأكبر الذى يواجه إرادة الإنسان إذ المطلوب منه أن يكبت إنسانيته (انظر إهداء الكتاب) وهذا يقودنا إلى الإنسان الأعلى عند نيتشه SUPERMAN **(ولا نذكر نيتشه باعتبار**

---

(١) عن العلاقة بين الجمال والعدل أقدم هذا الحوار من مسرحية لى بعنوان «حكم شهر زاد».
شهر زاد : بلغنى يا ملك البلاد.. ويا أبا أولادى.. أنه كان يوجد وزير يهوى العدل.. وكان مليكه يكره العدل.. فعمل له غسيلا للعقل.. حتى ينسى مفهوم العدل.. ثم إن الوزير المسكين.. هجر المملكة وهو حزين.. وراح يضرب فى الأرض كما الرحالة.. طالبا من الله أن يرشده إلى معنى العدالة.. وطال به السفر والترحال .. حتى وصل إلى واد ساحر الجمال.. ثم إنه سمع هاتفا ينادى: يا وزير العدل.. اعلم أن الجمال من صور العدل.. فتعجب الوزير وقال: كيف ؟.. فقال الهاتف : ألا ترى أن شرط الجمال .. التعادل فى الألوان والأشكال؟.. قال نعم.. قال الهاتف: والتعادل معناه العدل.. قال الوزير: إذن الرسم عدل والموسيقى عدل.. ومن أسماء الله الحسنى العدل.. وخر ساجدا وهو يقول: سبحانك يارب أنت جميل تحب الجمال .. وأنت عادل تحب العدل.

شهريار : معنى هذا أن أقول : «قاضى الجمال» بدلا من «قاضى العدل» . و«عيناك عادلتان» بدلا من «عيناك جميلتان» .

(وأضيف من نشيد الإنشاد : «عيناك حمامتان» حيث أن الحمامة رمز للسلام.. والسلام قرين العدل) .

**حماس اليهود لما يناسبهم من أفكاره[1] وبالذات ما يخص «إرادة القوة» إذ أن العالم بصفة عامة - وليس اليهود وحدهم - يتصرف بمفهوم «أن إرادة القوة هى سعى متواصل إلى مزيد من القوة».. وطبقا لسباق القوة نجد فى البروتوكول (١٥) : «فلنكن نحن الأعظم قوة».. وما نعنيه هو أن حديثنا عن نيتشه يخص جميع شعوب العالم بما فيهم شعب اليهود)** فإذا كانت «إرادة القوة» هى سبيل نيتشه لتحقيق الإنسان الأعلى الذى يعلو فوق الخير والشر سعيا إلى الخير المطلق .. وإذا كان العقل الجبرى - الذى يتعلق بالخير المطلق - له الغلبة على العقل الاختيارى.. فلا مفر من إعلاء «إرادة القوة» إلى مستوى العقل الجبرى حتى يمكنها تحقيق الإنسان الأعلى.. أو بعبارة أخرى.. لا مفر من تسليم العقل الاختيارى (الإنسانى) للعقل الجبرى (اللاإنسانى) حتى يمكن تحقيق الإنسان الأعلى حسب مفهومنا.. فهو إنسان لا إنسانى بمعنى أنه منزه عن «الذاتية» و«النفعية» اللتين تخصان العقل الاختيارى [3] وعلى هذا فهو يصلح لتولى الحكومة العالمية التى تحقق (العدل الجبرى) بكونها لا إنسانية.

كما وأن هذه الحكومة بحكم تعلقها بالعقل الجبرى صاحب الغلبة على العقل الاختيارى.. أى بحكم تعلقها بـ (العدل الجبرى) (المطلق) صاحب الغلبة على (العدل الاختيارى) (النسبى) هى حكومة دكتاتورية .. وهى ليست دكتاتورية العقل الاختيارى (الذاتية) حيث العدل فى خدمة الدكتاتور بل هى دكتاتورية العقل الجبرى (الموضوعية) حيث الدكتاتور فى خدمة العدل.. ولأن البروتوكولات تمثل العقل الجبرى فليس مستغربا أن نجد فيها ملامح دكتاتورية العقل الجبرى وإن كانت تشوهها ملامح دكتاتورية العقل الاختيارى بسبب موقف الشعب المختار من شعوب العالم الذى أرجعنا إليه تناقض البروتوكولات الذى سبق أن بيناه فى جمعها بين المحاسن التى تتمناها شعوب العالم والمساوىء التى ترفضها.. وفيما يلى بعض ملامح دكتاتورية العقل الجبرى الموجودة فى البروتوكولات وقد فصلناها عما يشوبها من ملامح دكتاتورية العقل الاختيارى:

فلأن العقل الجبرى محكم فى قوانينه .. ولأن قوانينه لها الغلبة على قوانين العقل الاختيارى فهى سارية دون قيد أو شرط ودون استئناف .. وهكذا حكومة دكتاتورية العقل الجبرى

---

(١) تشهد البروتوكولات بأن اليهود كانوا وراء نجاح نيتشه وترويج أفكاره حيث نجد فى البروتوكول (٢) : « إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل» وكذلك نجد فى الجزء الأول من رسائل حاييم وايزمان الرجل الذى قاد الحركة الصهيونية وأصبح أول رئيس لإسرائيل - نجده قد ذكر نيتشه مرارا وتكرارا فى رسائله إلى زوجته فيقول على سبيل المثال فى رسالة كتبها فى ١٩٠٢/٨/٣ : «إنى ارسل إليك نيتشه . فلتتعلمى أن تقرأيه وتفهميه. فهو أفضل وأجمل شىء أستطيع أن أرسله إليك» (نيتشه عدو المسيح ص ٢٣٨) .

(٢) «نيتشه عدو المسيح» (ص ٢٠١) .

(٣) وهذا هو مفهومنا لتفوق الإنسان على إنسانيته بخصوص الإنسان الأعلى عند نيتشه (انظر «هكذا تكلم زرادشت» ص ٢٤٠ - ٢٤٩).

حيث نجد فى البرتوكول (١٥) : «وستكون أوتقراطيتنا مكينة فى كل أعمالها ولذلك فإن كل قرار سيتخذه أمرنا العالى سيقابل بالاجلال والطاعة دون قيد ولا شرط. وسنلغى حق استئناف الأحكام».. ولا شك أن أى إنسان سيؤمن على ذلك طالما أنه صادر من دكتاتورية العقل الجبرى حيث العدل المطلق.. وبالتالى فسوف نرفض الجملة التى وردت بشأن إلغاء استئناف الأحكام وهى: «ونقصره على مصلحتنا فحسب» فهى جملة تخص دكتاتورية العقل الاختيارى حيث العدل النسبى (وفى هذا مثال لما ذكرناه من تشويه لملامح دكتاتورية العقل الجبرى بملامح دكتاتورية العقل الاختيارى بسبب موقف الشعب المختار من شعوب العالم) .

وقد قلنا إنه فى دكتاتورية العقل الاختيارى يكون العدل فى خدمة الدكتاتور بعكس دكتاتورية العقل الجبرى حيث يكون الدكتاتور فى خدمة العدل.. وبعبارة أخرى فإن دكتاتور العقل الاختيارى يستخدم رعاياه لتحقيق مصالحه بعكس دكتاتور العقل الجبرى الذى يكرس نفسه لمصلحة رعاياه.. وهو ما نجده فى وصف ملك الحكومة التى تخطط لها البروتوكولات بأنه يسد كل احتياجات رعاياه ويرعى كل أعمالهم (١).. وباعتبار ان الملك الذى تتحدث عنه البروتوكولات يمثل دكتاتور العقل الجبرى.. وباعتبار أن العقل الاختيارى يعجز عن معرفة الخير من الشر فهو يعجز عن معرفة ما وراء أحكام الملك «ولن يعرف أحد أهداف الملك حين يصدر أوامره» (٢).. وكما أن العقل الجبرى يتعلق بالخير المطلق فكذلك أوامر الملك هى خير مطلق.. ومثل هذا الملك يمثل الحكومة الدكتاتورية بالمفهوم الذى قدمناه حيث الدكتاتور فى خدمة العدل ومن ثم فهو يستحق لدى الرعايا واجبات يؤدونها فى طاعة مطلقة.. وعلى هذا الأساس يمكنهم أن يتقبلوا قول البروتوكولات : «إننا نقيم استبدادنا على الحق RIGHT وعلى الواجب DUTY . فإن حق الحكومة فى الاصرار على أن يؤدى الناس واجبهم هو فى ذاته فرض للحاكم.. لأنه يقود الإنسانية فى الاتجاه الذى شرعته حقوق الطبيعة. أى الاتجاه نحو الطاعة » (٣) فحقوق (الطبيعة) هنا هى حقوق (العقل الجبرى).. والطاعة هنا هى للعقل الجبرى فى شخص الملك ممثل دكتاتورية العقل الجبرى التى هى أحق بالطاعة من دكتاتورية العقل الاختيارى.. ومادام العقل الجبرى يتعلق بالخير فقط والعقل الاختيارى يتعلق بالخير والشر.. إذن فليختر الإنسان أن تكون طاعته لدكتاتورية العقل الجبرى .. وبهذا المفهوم نقرأ ما جاء فى البروتوكولات: «إن كل مخلوق فى هذا العالم خاضع لسلطة. إن لم تكن سلطة إنسان فسلطة ظروف أو سلطة طبيعته الخاصة. فهى – مهما تكن الحال – سلطة شىء أعظم قوة منه. وإذن فلنكن نحن الشىء الأعظم قوة» (٤) وذلك باعتبار أن المقصود بالشىء الأعظم قوة هو دكتاتورية العقل الجبرى.. وهى الأعظم قوة بحكم غلبة

---

(١) بروتوكول (١٥) .
(٢) بروتوكول (٢٤) .
(٣) بروتوكول (١٥) .
(٤) بروتوكول (١٥) .

العقل الجبرى على العقل الاختيارى .. فهى بمثابة القدر.. ومن هنا فإن البروتوكولات ترى فى ملك دكتاتورية العقل الجبرى «مثلا للقدر نفسه» (١)

وقد سبق وبينا معنى قولنا بأن دكتاتورية العقل الجبرى تحقق العدل المطلق بكونها لا إنسانية ومن ثم فإن القائم عليها لا بد أن يكون لا إنسانيا.. وهو يكون كذلك بتخلصه من أهواء العقل الاختيارى الذى يخص الإنسان أى بتخلصه من «الذاتية» و«النفعية» .. ومن هنا تُختتم البروتوكولات بهذا القول : «إن قطب العالم فى شخص الحاكم العالمى الخارج من بذرة إسرائيل ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه» ولنا تحفظ على عبارة «الخارج من بذرة إسرائيل» إذ أن ملك الحكومة العالمية كما نعنيه يمثل رمز الإنسان الذى يسرى عليه قولنا عن حكومة الجمال بأنها تعلو فوق الحواجز الناجمة عن اختلاف الجنسيات والقوميات واللغات والديانات إلخ .

## التحدى

انتهينا إلى ما جاء فى ختام البرتوكولات من أن ملك حكومة صهيون العالمية – مع اعتبار التحفظ الذى ذكرناه – سيطرح كل أهوائه الشخصية من أجل مصلحة شعبه.. و(شعبه) هذه تعود على شعوب العالم أى الأمميين أو (الجوييم) التى تعنى البهائم .. وهكذا تجمع البروتوكولات بين تحقير شعوب العالم وتضحية الملك بكل أهوائه الشخصية من أجل مصلحة شعوب العالم.. ولا غرابة فى هذا التناقض والبروتوكولات كما بينا تجمع بين النقيضين : العقل الجبرى حيث الخير فقط والعقل الاختيارى حيث الخير والشر.. ونظرا لغلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى فقد انتهت بتغليب الخير على الشر.

ونتوقف هنا لنقول إن غلبة العقل الجبرى على العقل الاختيارى لاتخرج عن وضعين : أولهما ينتفى فيه وجود العقل الاختيارى كما فى الجماد أو يكاد كما فى الحيوان (٢) .. وثانيهما يتم فيه توظيف العقل الاختيارى لحساب العقل الجبرى كما فى الإنسان.. وعلى هذا فإن غلبة العقل الجبرى لا تعنى إلغاء العقل الاختيارى ومن ثم لا تعنى الوصول إلى الخير المطلق بل تعنى الوصول إلى أقرب درجة من الخير المطلق وإلا فمعنى ذلك إلغاء الذات لدى الإنسان – ومن هنا كان إهداء الكتاب إلى من (يكبت) وليس (يلغى) إنسانيته من أجل خلاص الإنسان – وقد سبق وقلنا إنه إذا كان من غير المعقول أن نطالب أنفسنا بالتنازل عن ذواتنا فمن المعقول أن نطالب أنفسنا بالحد من ذاتيتنا.. وإنه لكى يعم الخير يجب علينا – فى حدود الكم الممكن لا الكيف المستحيل – أن نغلب (الخير الجمالى) (الموضوعى) على (الخير الأخلاقى) (الذاتى) .. وهذا هو

---

(١) بروتوكول (٢٤) .

(٢) كما نعرف فإن العقل الاختيارى شرط لوجود الذات . وسبق وأوضحنا أن بذرة الذات موجودة فى الحد الأدنى من الإنسان وهو الحيوان (راجع الفصل الثانى عشر تحت عنوان «حواء الجزء تحكم آدم الكل» ).

التحدى الذى يواجهنا والذى يجب علينا أن نواجهه.. وصيغة الجمع هنا تشمل كل شعوب العالم بما فيها الشعب المختار.. وذلك أن معالجة القضايا الجزئية بعيدا عن القضية الكلية لا يجدى شيئا فى حين أن معالجة القضية الكلية يتبعها تلقائيا معالجة جميع القضايا الجزئية.. وبعبارة أخرى فإن معالجة القضايا الجزئية مستقلة عن القضية الكلية يحيلها من (وجودات بالفعل) إلى (وجودات بالقوة) ينفى كل منها الآخر كما تنفى جميعها (الوجود بالقوة) الأصلى وهو القضية الكلية ومن ثم تنتفى جميع (الوجودات بالفعل) أى القضايا الجزئية.. ومثال ذلك أن قضية فلسطين تعتبر قضية كلية فى نظر الفلسطينيين وكذلك قضية البوسنة تعتبر قضية كلية فى نظر البوسنيين.. والنتيجة أن كلا من القضيتين تنفى الأخرى.. أما إذا نظرنا إليهما فى إطار القضية الأصلية وهى قضية البشرية ككل فسوف تتم معالجة القضيتين تلقائيا بمجرد معالجة القضية الكلية .

إن القضية تتلخص فى أن الذات الكلية التى تمثل البشرية منقسمة إلى نوات منعزلة عن بعضها البعض وكل منها تعتبر نفسها ذاتا كلية.. والنتيجة ليست فى صالح البشرية.. والخلاص فى الحكومة العالمية بالمفهوم الذى قدمناه لحكومة الجمال والذى يتخطى الحواجز الناتجة عن اختلاف الجنسيات والقوميات واللغات والديانات إلخ.. وباعتبار أن حكومة البروتوكولات – بعيدا عما يشوهها كما سبق وبينا – تحمل هذا المفهوم فهى إذن تتخطى الحواجز الناتجة عن اختلاف الجنسيات والقوميات واللغات والديانات إلخ.. أى أنها حكومة تمثل كل شعوب العالم وليس الشعب المختار وحده.. وهذا هو التحدى الذى نضعه ليس أمام اليهود فقط وإنما أمام جميع جنسيات العالم .. فبالنسبة لليهود يتمثل التحدى فى التخلى عن فكرة حكمهم للعالم عن طريق حكومة البروتوكولات .. وبالنسبة للعالم يتمثل التحدى فى قبول حكومة البروتوكولات باعتبار أنها – حسب المفهوم الذى قدمناه – شمولية الهوية مما ينفى نسبتها إلى البروتوكولات .. ولكن رغم ذلك قد يقال ولماذا لا يخطط العالم لحكومة عالمية غير حكومة البروتوكولات؟ والجواب : إن أى حكومة عالمية بمفهوم حكومة الجمال الذى قدمناه لن يختلف عن حكومة البروتوكولات إذ أن الحكومة التى نعنيها تمثل العقل الجبرى والبروتوكولات تمثل العقل الجبرى.. كما وأن البروتوكولات كما قلنا هى المقابل لشجرة الكابالا التى يحكمها العقل الجبرى.. وشجرة الكابالا – كما سبق وبينا – بجانب أنها تخص الشعب المصرى قبل أن تخص الشعب المختار فهى تخص أصلا الجنس البشرى.. ومن هنا قلنا إن حكومة البروتوكولات أو إن حكومة الجمال تمثل كل شعوب العالم وليس الشعب المختار وحده.

وإذا كانت جميع اليوتوبيات (١) التى عرفها العالم قد فشلت فى تحقيق رسالتها فذلك لأنها تخص العقل الاختيارى ومن ثم فهى مبنية على أساس (الخير الأخلاقى) (الذاتى) حيث

---

(١) من أشهر اليوتوبيات «جمهورية أفلاطون» و«يوتوبيا» لتوماس مور و«مدينة الله» للقديس أوجستين و«مدينة الشمس» لكامبالا و«أطلنتس الجديدة» لفرنسيس بيكون و«آراء أهل المدينة الفاضلة» للفارابى و«يوتوبيا حديثة» لويلز .

الخير والشر وذلك على عكس يوتوبيا العقل الجبرى المبنية على أساس (الخير الجمالى) (الموضوعى) حيث الخير فقط.. وشتان بين يوتوبيا تسعى إلى الخير عن طريق الأخلاق (النسبية) ويوتوبيا تسعى إلى الخير عن طريق الجمال (المطلق) .

وبقدر هذه القيمة التى بيناها لحكومة الجمال بقدر أهمية وخطورة التحدى الذى طرحناه على اليهود وعلى العالم.. وهو تحدى يفرض التزاما على كل من الطرفين نحو الآخر.. وهذا الالتزام مبنى على أساس المبدأ الذى سبق أن أشرنا إليه وهو اعتبار قيام إسرائيل فاصلا بين صفحتين أو بين الرغبة فى التحول إلى شعب صاحب وطن .. وتحقيق هذه الرغبة بقيام دولة إسرائيل.. ( راجع ذلك ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ ) وعلى هذا فإن الالتزام الذى يخص العالم هو الاعتراف بدولة إسرائيل وهو ما حدث بالفعل بدءا من وعد بلفور وانتهاء بالسير فى طريق السلام .. وبالمقابل يكون الالتزام الذى يخص اليهود هو التخلص من شخصية ما قبل قيام إسرائيل.. أى التخلص من إفرازات ذاكرة المدى البعيد الذى يمتد إلى فترة وجود العبريين فى مصر.. فإذا تم ذلك.. وأكرر القول: فإذا تم ذلك .. سيصبح من حقهم على العالم أن يبرىء شخصية ما قبل قيام إسرائيل بأنها كانت نتيجة فقدان الأمان والرغبة الفطرية المشروعة فى تحقيق الذات.. أما إذا لم يتم ذلك فسيصبح من حق العالم أن يدين شخصية ما قبل قيام إسرائيل وسيكون من حقه أن يقول : شتان بين دولة قامت من أجل تحقيق الذات ودولة قامت من أجل تضخم الذات.

وإذا كان آدم كرمز للشعب المختار قد تعامل مع شجرة المعرفة طمعا فى شجرة الحياة.. فالشجرة لا تحيى بدون جذر.. وما أعمق قول الشاعر جبران : الجذر شجرة تنبذ الشهرة...

## حتى لاتنتحر البشرية

لابد أن من القراء من هو فى حالة تعجب أو تهكم أو عدم رضا لأننى أنهيت هذا البحث عن «الشعب المختار» برسالة تدعو إلى قيام حكومة عالمية شمولية الهوية.. ولابد أن معظم هؤلاء القراء من منطقة الشرق الأوسط وبالتحديد من الدول المحتكة بتواجد دولة إسرائيل.. وما أعنيه أن شعوب هذه الدول بحكم ما عايشوه منذ قيام دولة إسرائيل من الصعب أن يخرجوا بفكرهم من وطأة تجربة الحاضر إلى المستقبل البعيد.. أو من النظرة المحلية المحدودة إلى النظرة العالمية الشمولية.. كما وقد سبق وأوضحت فى مقدمة الكتاب أن الكيان اليهودى العالمى أهم وأخطر من الكيان الإسرائيلى .. وعلى ذلك قلت إن هذا البحث - على عكس المتوقع والمعتاد بحكم تاريخنا مع إسرائيل - لا يتناول الشعب المختار برؤية محلية تخص الشعوب المعنية فى الشرق الأوسط وإنما يتناول الشعب المختار برؤية تخص الكيان الأصلى اليهودى الذى ينبع منه كيان إسرائيل.

وإلى هؤلاء وأولئك القراء أقول الآتى : كلنا نعرف حكاية الملك الذى طلب من وزيره أن يسجل له تاريخ البشرية وبعد سنوات طويلة جاء ه الوزير بعدد كبير من المجلدات الضخمة وكان

الملك على فراش الموت فقال له : يا وزيرى لم يعد فى العمر متسع فاختصر لى تاريخ البشرية فى جمله واحدة.. فقال الوزير: الإنسان يقتل أخاه الإنسان.. وأضيف إلى قول الوزير أن الإنسان سيظل يقتل أخاه الإنسان مادامت البشرية موجودة.. وهى إضافة أقولها بمنتهى الثقة وبمنتهى التأكد.. وقبل أن تتهمنى أيها القارئ بالتشاؤم سأتهمك بأنك – عفوا – غافل عن الخدعة التى يرتكبها البشر وهى خدعة التفاؤل بالمستقبل وما يتعلق بها من شعارات مثل : من أجل غد أفضل.. والعمل من أجل الأجيال القادمة .. والإعداد لدخول القرن القادم.. إلخ .. وحقيقة الأمر أن الغد لن يكون أفضل وأن العمل من أجل الأجيال القادمة لن يجعل حالها أفضل وأن حالنا فى أى قرن لن يتطور إلى الأفضل فى القرن الذى يليه .. وإنما الذى يتطور إلى الأفضل هو وسيلة قتل الإنسان لأخيه الإنسان .. فالسلاح الحجرى الذى قتل به قابين هابيل قد تطور إلى سلاح معدنى ثم بارودى وكيميائى وميكروبى وذرى والمسلسل مستمر .. وقبل أن تتهمنى أيها القارئ بأننى لا أرى من التطور إلا وجهه المظلم ألفت نظرك إلى أن الميزانيات التى تخصصها الدول لتطوير التكنولوجيا من أجل الحرب هى أضعاف أضعاف ما تخصصها لتطوير التكنولوجيا من أجل السلم.. ومن عار البشرية أن معظم الانجازات فى مختلف المجالات الخاصة بالسلم مرجعها البحوث الخاصة بالحرب .. فهل نتباهى بالليزر مثلا لأننا أثناء تطويعه كسلاح حربى اكتشفنا «فى السكة» BY THE WAY أنه يصلح كسلاح جراحى ؟!

إن ذلك لا يحدث إلا فى ظل تعدد الدول والحكومات حيث لا مفر من الصراع وقتل الأقوى للأضعف سواء عن طريق الحرب المباشرة أو الحرب غير المباشرة وما أكثر وسائلها من إرهاب ومخدرات وتجويع إلخ .. بالاضافة إلى تنصيب حكام موالين يؤدون مهمة الجلاد لحساب أسيادهم.. وإذا قلت لى أيها القارئ إن هذا يحدث فى دول غير ديمقراطية أو ذات ديمقراطية مزيفة فردى عليك أن بعض الدول الأقوى التى تمارس قهر الدول الأضعف تحكمها أنظمة ديمقراطية يضرب بها المثل ولكنها فى صراعها وسط غابة الدول القوية توظف ديمقراطيتها تلك من أجل مصلحتها وضد مصلحة الغير.. ومثال ذلك أن يوافق البرلمان بنظام التصويت الديمقراطى على استعمار دولة ضعيفة أو على عدم منح الاستقلال لدولة مستعمرة.. ومرة أخرى أذكر أن جان جاك روسو كان على حق فى رؤيته بأنه من المستحيل التوصل إلى الديمقراطية المثالية.

إن تعدد الدول والحكومات يقترن حتما بقانون الفعل ورد الفعل المضاد.. فكل قوة تبرز فى المجتمع الدولى لابد أن تبرز أمامها قوة تناهضها.. وإذا كان الوزير قد لخص تاريخ البشرية للملك بقوله : الإنسان يقتل أخاه الإنسان.. فيمكن تلخيصه بأن دولا تقهر دولا أخرى.. والنتيجة حروب وسباق تسلح واستنزاف شعوب.. وأين الآن امبراطوريات وممالك العالم القديم؟ وماذا كانت ستكون النتيجة لو أن الطاقات والميزانيات التى كرست للحروب من أجل قيام تلك

الامبراطوريات والممالك قد تم تكريسها للسلم؟.. لا شك أن الإجابة تفوق الخيال.. ولكن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا فى ظل حكومة عالمية بالمفهوم الذى قدمناه حيث يسود قانون الأوانى المستطرقة بدلا من قانون الفعل ورد الفعل المضاد.

إن من أصحاب الأمجاد القديمة من يحلم بعودة تلك الأمجاد .. فمثلا إيران تحلم بإعادة مجد الفرس والعراق يحلم بإعادة مجد بغداد والعرب عموما يحلمون بأمجاد الماضى.. والذى يحدث أن الدول الأقوى تستغل لحسابها أحلام الدول الأضعف (حرب إيران – العراق . وحرب العراق – الكويت) والنتيجة خسارة طرفى كل من الحربين ومكسب الدول الأقوى.. والسيناريو مستمر.. ولو افترضنا أن أحلام هذا أو ذاك قد تحققت وأن أمجاد الماضى قد عادت فسأذكر من جديد قانون الفعل ورد الفعل المضاد.. وسأذكر شهادة التاريخ بعدم بقاء الحال على ما هو عليه.. وسأضرب مثلا بأمريكا وأقول إنها لن تظل الأقوى إلى مالا نهاية.. فقبلها كانت الامبراطورية البريطانية التى لا تغرب عنها الشمس.. ومنذ قريب كان الاتحاد السوفييتى ندا لأمريكا.. ومرة أخرى أسأل : ماذا كانت ستكون النتيجة لو أن الطاقات والميزانيات التى كرست من أجل الصراع قد كرست من أجل التعاون؟.. **بل ماذا كانت ستكون النتيجة لو أن البشرية منذ بداية وعيها قد كرست طاقاتها وفقا لقاعدة الأوانى المستطرقة؟.. لابد أن الإجابة : تحقيق الجنة الأرضية.. ولكن البشرية لم تحقق ذلك لأنها منذ بداية وعيها تسير فى طريق المفهوم الخطأ للأخلاق.. فإذا كان المقصود ببداية وعى البشرية هو بزوغ الضمير وتكوُّن الأخلاق منذ ٥٠٠٠ سنة تقريبا.. وإذا كان «برستد» يرى أننا مازلنا فى مستهل تكوين أخلاقنا وأن الإنسان سوف يصل يوما إلى مستوى النضج الأخلاقى الذى يجعله يقلع عن مبدأ صراع القوة – إذا كان «برستد» يرى هذا ففى رأيى أنه لن يحدث إلا إذا كان المقصود بـ «النضج الأخلاقى» تصحيح مفهوم الأخلاق وفقا لمفهوم الجمال الذى قدمته.. وبدون ذلك ستظل البشرية سائرة فى طريق الأخلاق الخطأ حيث الحكم الأول والأخير لـ «الذاتية» و«النفعية» وسيظل كل فرد – وبالتالى كل شعب وكل دولة – منحرفا فى طريق (أنا) عن طريق (نحن) أو بعبارة أخرى سيظل كل وجود بالفعل يعتبر نفسه وجودا بالقوة نافيا بذلك الوجود بالقوة الأصلى.. وهذا هو انتحار البشرية.**

## كلمة أخيرة .. من وحى تقرير لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى»

وآخر ما أسوقه إليك أيها القارىء بشأن دعوتى إلى قيام حكومة عالمية شمولية الهوية هو أن العالم بدأ يدرك أن خلاصه لن يتحقق إلا عن طريق حكومة عالمية.. ومن علامات ذلك تكوين لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى».. ففى عام ١٩٩١ اجتمع فى مدينة ستوكهولم نحو ثلاثين من

الشخصيات العامة لمناقشة احتياجات التسعينات .. وفى مبادرة ستوكهولم المتعلقة بالأمن العالمى اقترحوا إنشاء لجنة لاستطلاع الفرص الناجمة عن انتهاء الحرب الباردة لبناء نظام أكثر فعالية لأمن العالم وإدارة شئون المجتمع العالمى.. وفى عام ١٩٩٢ أنشئت هذه اللجنة وهى تضم ثمانية وعشرين عضوا من مختلف دول العالم(١).. وفيما يلى سأقدم بعض اللمحات مما جاء فى تقرير هذه اللجنة لكى أوضح صحة قولى بأن العالم بدأ يدرك أن خلاصه فى قيام حكومة عالمية .. ولكن لأنه محكوم من الدول الكبرى فهو يحاول أن يجمع بين الداء والدواء أى بين تعدد الحكومات والحكومة الواحدة.. بالاضافة إلى أن هذا يتم على أساس القيم الأخلاقية الخطأ.

إن أول ما نلاحظه هو أن عبارة (لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى») تحمل بذرة التفكير فى حكومة عالمية تدير شئون العالم.. ولكننا نجد على لسان الرئيسين المناوبين (٢) للجنة قولهما : «إن تعبير إدارة شئون المجتمع العالمى» لا يعنى إقامة حكومة للعالم. ويجب ألا يحدث أى سوء فهم من جراء التشابه بين التعبيرين. فنحن لا نقترح تحركا نحو إقامة حكومة عالمية لأننا لو سرنا فى هذا الاتجاه فقد نجد أنفسنا فى عالم أقل ديمقراطية حتى من عالم اليوم. عالم أكثر مسايرة للسلطة وأكثر ترحيبا بمطامع الهيمنة وأكثر تدعيما لأدوار الدول والحكومات منه لحقوق الشعوب»(٣) .. فبتحليل هذا القول نجد أن «التشابه بين التعبيرين» المشار إليهما وهما : (إدارة شئون المجتمع العالمى) و( حكومة عالمية ) - نجد أن هذا التشابه له مغزى ايجابى بشأن قيام حكومة عالمية .. ولكن لأن العالم محكوم من الدول الكبرى فمن هنا كان التنبيه على عدم حدوث أى سوء فهم من جراه التشابه بين التعبيرين.. ومن هنا أيضا - وكما قلت - كانت محاولة الجمع بين الداء والدواء أى بين تعدد الحكومات والحكومة الواحدة.. ومن هنا تأتى إدانة فكرة الحكومة العالمية بأنها قد توصلنا إلى عالم أقل ديمقراطية وأكثر مسايرة للسلطة وأكثر ترحيبا بمطامح الهيمنة وأكثر تدعيما لأدوار الدول والحكومات منه لحقوق الشعوب.. وهى إدانة خاطئة لفكرة الحكومة العالمية لسبب بسيط وهو أنه لا وجود لحكومات فى ظل الحكومة العالمية وبالتالى لن يكون هناك مسايرة للسلطة أو ترحيب بمطامح الهيمنة أو تدعيم لأدوار الحكومات على حساب حقوق الشعوب .. أما عن التخوف من أن نجد أنفسنا فى ظل الحكومة العالمية فى عالم أقل ديمقراطية فالواقع أن الديمقراطية زادت أو نقصت ليس لها اعتبار حيث أن الحكومة العالمية - التى أعنيها - تمثل دكتاتورية العقل الجبرى حيث العدل الموضوى (المطلق) وذلك على عكس ديمقراطية العقل الاختيارى حيث العدل الذاتى (النسبى).. وكما أوضحت فإن دكتاتورية العقل الجبرى تستمد عدلها الموضوعى من كونها لا إنسانية وذلك على عكس «إدارة شئون المجتمع العالمى» التى تسترشد «بالقيم الإنسانية» (٤) .. ولأن القيم الإنسانية قيم نسبية فإن ما يصلح منها لجماعة

---

(١) السويد . غانا . إندونيسيا. كوستاريكا . ألمانيا. المكسيك. الولايات المتحدة. الجمهورية التشيكية. المملكة المتحدة . كينيا . أوغندا. البرازيل. الصين. الكويت. اسبانيا . جنوب أفريقيا . زمبابوى. فرنسا . أورجواى. جمهورية كوريا. اليابان. الهند. هولندا. السنغال. كندا . روسيا.

(٢) انجفار كارلسون وشريداث رامفال.

(٣) «جيران فى عالم واحد» (ص ١٦) .

(٤) «جيران فى عالم واحد» (ص ١٦) .

لا يصلح لأخرى وما يناسب منها عصرا لا يناسب آخرا.. وهو ما يعترف به رئيسا لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى» بقولهما : « نحن لا ندعى أننا نقدم برنامج عمل يصلح لكل العصور»(١).

إن تقرير لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى» فى إشارته إلى ضرورة استحداث أخلاق عالمية يرى أننا نحتاج إلى طرق جديدة لكى يفهم بعضنا بعضا.. وهو يستشهد بما كتبته باربرا وود إلى «اللجنة البابوية للعدل والسلام» حيث تقول : «إن أهم تغيير يستطيع أن يقوم به الناس هو تغيير طريقتهم للنظر إلى العالم. إننا نستطيع أن نغير وظائفنا وجيراننا بل وبلادنا وقاداتنا ونظل رغم ذلك كما كنا دائما. ولكن دعونا نغير زاوية رؤيتنا الأساسية وسوف يتغير كل شيء - أولوياتنا وقيمنا وأحكامنا ومطالبنا - وقد حدث مرارا وتكرارا فى تاريخ الأديان أن حدد هذا الانقلاب الشامل فى التخيل بداية حياة جديدة» (٢).. إن هذا القول يبين إدراك العالم لحاجته إلى تغيير جذرى لقيمه.. وكما أوضحت فإن هذا التغيير يتمثل فى تصحيح مفهوم الأخلاق - وبالتالى القيم - وفقا لمفهوم (الجمال الجبرى) الذى قدمته .. ولكن هذا أبعد ما يكون عن التغيير الذى تعنيه باربرا وود والذى تقول إنه حدث مرارا وتكرارا.. فتكرار التغيير هنا يحمل معنى الفشل.. وهو تكرار راجع إلى أن باربرا وود تتحدث عن قيم العقل الاختيارى (النسبية) أى المتغيرة وذلك عكس قيم العقل الجبرى (المطلقة) أى الثابتة.

ومرة أخرى بشأن إدراك العالم لأهمية التغيير الجذرى نجد أن لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى» تذكر فى تقريرها قول فاكلاف هافيل فى خطابه أمام الكونجرس الأمريكى عام ١٩٩٣ : «من دون ثورة عالمية فى مجال الوعى الإنسانى لن يتغير شيء للأفضل فى وجودنا كبشر . وستكون الكارثة التى يتجه إليها العالم أمرا لا يمكن تجنبه» (٣).. فإذا كان ذكر هذا القول يعكس وعى العالم بالخطر الذى يحدق به إلا أن مفهومه لـ «ثورة عالمية فى مجال الوعى الإنسانى» يختلف عن مفهومى وهو تصحيح مفهوم الأخلاق وفقا لمفهوم الجمال الذى قدمته.. فبدون ذلك ستظل البشرية سائرة فى طريق الأخلاق الخطأ حيث الحكم الأول والأخير لـ «الذاتية» و«النفعية» وحيث سيظل كل فرد - وبالتالى كل شعب وكل دولة - منحرفا فى طريق (أنا) عن طريق (نحن) .

إنه على مدى تاريخ البشرية ظهر مصلحون نادوا بقيم تهدف إلى إصلاح البشر ورغم ذلك ظل الإنسان على حاله لأنه يتعامل مع قيم تخص العقل الاختيارى.. ولجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى» لا يختلف دورها عن دور أولئك المصلحين ومثال ذلك ما ورد فى تقرير هذه اللجنة بشأن سعيها إلى أخلاقيات للجوار العالمى حيث يقول : «ينبغى أن يتعامل الناس مع الآخرين على النحو الذى يرغبون فى أن يعاملوا به» (٤) .. فلوفتشت فى أقدم الحضارات لوجدت ما يحمل هذا المعنى الذى يقابل قولنا «عامل الناس كما تحب أن يعاملوك» و«أحب لغيرك ما تحب لنفسك» إلخ.. بل إن

---

(١) «جيران فى عالم واحد» (ص ١٦).
(٢) «جيران فى عالم واحد» (ص ٦٧)
(٣) «جيران فى عالم واحد» (ص ٣٧٣) .
(٤) «جيران فى عالم واحد» (ص ٦٨) .

المسيح وصل إلى القول «أحبوا أعداء كم» ومع ذلك لم يتغير حال البشربل وبكل تأكيد لن يتغير.. وهو ما يشهد به التقرير فى قوله : «إن على المجتمع العالمى أن يؤكد **من جديد** أهمية التسامح واحترام الآخر» (١) (انظر الهامش) ولقد أكدت على عبارة «من جديد» لأنها تعبر عن استمرار الفشل وتذكرنى بقول مارك توين الساخر : «ليس أسهل من الاقلاع عن التدخين بدليل أننى أفعل ذلك يوميا».. فكم من مرة أكد - وسيؤكد - المجتمع العالمى أهمية التسامح واحترام الآخر؟ الإجابة : إنه سيفعل ذلك إلى مالا نهاية وذلك بسبب موقف الذات (أنا) من (الآخر).. ورغم ذلك فإن لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى» تجمع الاثنين (أنا) و(الآخر) فى (نحن) قاصدة بذلك (الأمم المتحدة) (٢) .. وهى بهذا تناقض نفسها بعد قولها : «وتوصف الأمم المتحدة فى عواصم كثيرة - خاصة خلال الأزمات الدولية التى تشمل هذه البلدان - بأنها (هم) وليس (نحن) وتلك هى الطريقة التى تعامل بها عادة» (٣).. بل إن تقرير اللجنة يقول صراحة : « لم يخامر شعوب العالم أبدا إحساس بأن الأمم المتحدة هى ملك لهم» (٤) وهو أمر بديهى طالما أن مجلس الأمن تحكمه الدول الكبرى الخمس (٥) صاحبة حق «الفيتو».. ومع ذلك يتحدث التقرير عن إصلاح الأمم المتحدة وإلغاء حق «الفيتو» (٦) وهو حديث ينم عن تفاؤل مبنى على حسن النية وكما يقول دانتى فإن الطريق إلى جهنم مفروش بالنيات الحسنة.. وهى هنا تتمثل فى الاعتقاد بإمكان الجمع بين (أنا) و(الآخر) فى (نحن) وهو ما يستحيل تحقيقه فى ظل قيم العقل الاختيارى.. وهذا هو جوهر الخلاف بين رؤية «إدارة شئون المجتمع العالمى» لاصلاح العالم والرؤية التى قدمتها بشأن الحكومة العالمية.. فرؤيتها تخص العقل الاختيارى حيث (الذاتية) ورؤيتى تخص العقل الجبرى حيث (الموضوعية) .. والأنانية وليدة الذاتية .. و«إدارة شئون المجتمع العالمى» تسلم بهذا فى قولها بأن «الأنانية ستصبح هى الأداة العبقرية لتدمير الإنسان لذاته» (٧) .. ثم تستمر قائلة : «ولكن وجود القيادة ليس كافيا لتفادى حدوث هذا. فالأمل لابد أن يتمثل فى الناس الذين يطالبون قادتهم بالاستنارة ويرفضون قبول البديل المتمثل فى إنسانية هى فى حالة حرب مع نفسها» (٨) وهو قول يمثل استمرار التفاؤل المبنى على حسن النية إذ أنه يعتمد على تحكم الناس فى قادتهم وهو وإن

---

(١) «جيران فى عالم واحد» (ص ٧٣) وهو قول يجيء بعد قول ميثاق الأمم المتحدة التى انشئت منذ خمسين عاما : « لقد استقر عزمنا على أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معا فى سلام وحسن جوار» (وانظر حال العالم) وجدير بالذكر أن منظمة الأمم المتحدة جاء ت نتيجة للحرب العالمية الثانية ومن ثم نجد فى الديباجة الخاصة بالمنظمة هذا القول : « نحن شعوب الأمم المتحدة قد الينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف» وهو قول يشير إلى الحرب العالمية الثانية وإلى الحرب العالمية الأولى التى سبقتها والتى تمخضت عن إنشاء منظمة عصبة الأمم التى كان هدفها أيضا تلافى الحرب مثلها مثل منظمة الأمم المتحدة التى جاءت بعدها . والأمر لايحتاج إلى تعليق.

(٢) «جيران فى عالم واحد» (ص ٢٥٣) .

(٣) «جيران فى عالم واحد» (ص ٢٥٣) .

(٤) «جيران فى عالم واحد» (ص ٢٥٢) .

(٥) وهى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى والصين وفرنسا والمملكة المتحدة

(٦) «جيران فى عالم واحد» (ص ٢٦٦) .

(٧) «جيران فى عالم واحد» (ص ٣٧٦) .

(٨) «جيران فى عالم واحد» (ص ٣٧٤) .

أمكن تحقيقه بدرجة ما فى ظل الأنظمة الديمقراطية نسبيا إلا أنه يستحيل فى ظل الأنظمة الديمقراطية المزيفة أو الأنظمة الاستبدادية وما أكثرها.. ومعنى ذلك أن يظل العالم منقسما إلى شعوب عليا وشعوب دنيا والنتيجة تحكم القيادة الأعلى فى القيادة الأدنى.

إن العيب فى النهاية يكمن فى نظرة «إدارة شئون المجتمع العالمى» إلى القيادة العالمية فى إطار تعدد الحكومات.. وهى تعترف بهذا العيب فى قولها : «إن الخلافات والصراعات السياسية بين الدول. والحساسية بشأن العلاقة بين المسئولية الدولية والسيادة والمصالح الوطنية.... تشكل جميعها عقبات كبيرة أمام القيادة على الصعيد الدولى» (١).. وأظنك أيها القارىء قد سبقتنى إلى القول بأن الحل الأمثل هو وحدة القيادة العالمية دون تعدد الحكومات ووحدة شعوب العالم دون تعدد الشعوب.. والواقع أن «إدارة شئون المجتمع العالمى» - رغم تقيدها بقيم العقل الاختيارى - تدرك ذلك إذ تقول : «وهذه القيادة لا يمكن حبسها داخل أسوار محلية بل يجب أن تصل لما وراء البلد والعنصر والدين والثقافة واللغة وأسلوب الحياة (٢).. وهذا يتفق وقولى بشأن الحكومة العالمية بأنها تتخطى الحواجز الناجمة عن اختلاف الجنسيات والقوميات واللغات والديانات إلخ فتصبح شعوب العالم بمثابة شعب واحد ومن ثم يصبح لا معنى لتعدد الحكومات.. وهذا الاتفاق بين القولين يؤكد ما قلته سابقا من أن العالم بدأ يدرك أن خلاصه فى قيام حكومة عالمية ولكن لأنه محكوم من الدول الكبرى فهو يحاول أن يجمع بين الداء والدواء أى بين تعدد الحكومات والحكومة الواحدة.

إن تخبط «إدارة شئون المجتمع العالمى» - أو إن تخبط العالم - بشأن القيادة العالمية قد تم حسمه فى رؤيتى التى قدمتها باسم حكومة الجمال والتى تنطبق على حكومة البروتوكولات بحكم تعلق الاثنتين بالعقل الجبرى.. فمع استمرار التحفظات التى سجلتها بشأن البروتوكولات سأعيد ذكر ما جاء بها من أن قطب العالم فى شخص الحاكم العالمى ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه.. وعلى ضوء هذا القول سأذكر بعض ما أوردته من تقرير «إدارة شئون المجتمع العالمى» حيث نخرج بالآتى :

● يقول التقرير إن الأنانية ستصبح هى الأداة العبقرية لتدمير الإنسان لذاته.. وهذا لا يحدث فى ظل حاكم يطرح كل أهوائه الشخصية من أجل مصلحة شعبه.

● ثم يقول التقرير إن وجود القيادة ليس كافيا لتفادى حدوث ذلك وإن الأمل لابد أن يتمثل فى مطالبة الناس لقادتهم بالاستنارة.. وقد وصفت ذلك بأنه تفاؤل مبنى على حسن النية إذ أنه يعتمد على تحكم الناس فى قادتهم.. أما الحاكم الذى نحن بصدده فليس فى حاجة إلى الاستنارة لأنه بحكم تمثيله للعقل الجبرى هو مصدر الاستنارة.

● ويقول التقرير إن الخلافات والصراعات السياسية بين الدول والحساسية بين المسئولية الدولية والسيادة والمصالح الوطنية تشكل جميعها عقبات كبيرة أمام القيادة على الصعيد العالمى.. وكل هذا يتعلق بتعدد الحكومات والشعوب وهو ما ينتفى فى ظل دكتاتورية العقل الجبرى حيث الحاكم الواحد والشعب الواحد وحيث الدكتاتور فى خدمة العدل المطلق وهو مالا يتحقق فى ظل أرقى الأنظمة الديمقراطية.

---

(١) «جيران فى عالم واحد» (ص ٣٧٤) .

(٢) «جيران فى عالم واحد» ( ص ٣٧٣) .

# المراجــع

١ – القرآن الكريم
٢ – «الكتاب المقدس أى كتب العهد القديم والعهد الجديد» المطبعة الأمريكانية بيروت ١٩٠٢ .
٣ – «الموسوعة العربية الميسرة» دار القلم ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ١٩٦٥.
٤ «مختار الصحاح» المطبعة الأميرية ١٩٢٠.
٥ – محمد الصابونى «صفوة التفاسير» دار القرآن الكريم . بيروت . الطبعة الرابعة ١٩٨١ .
٦ – د . أحمد مدحت سلام «هل نحن وحدنا فى هذا الكون» مركز الأهرام للترجمة والنشر.
٧ – محمد متولى الشعراوى «الشيطان والإنسان» مكتبة الشعراوى الإسلامية . أخبار اليوم.
٨ – والاس بدج «آلهة المصريين» ترجمة : محمد حسين يونس . مكتبة مدبولى .
٩ – د . كارل ساجان «الكون» ترجمة : نافع أيوب لبّس. عالم المعرفة. الكويت . أكتوبر ١٩٩٣ العدد ١٧٨ .
١٠ – د . سيد القمنى «الأسطورة والتراث» سينا للنشر . الطبعة الأولى ١٩٩٢.
١١ – جيمس هنرى برستد «فجر الضمير» ترجمة الدكتور سليم حسن. مكتبة مصر.
١٢ – سير جيمس فريزر «الغصن الذهبى» ترجم بإشراف د . أحمد أبوزيد. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . الجزء الأول ١٩٧١.
١٣ – د . عبدالرحمن نور الدين «العلم والسحر» دار الهلال ١٩٩٠ .
١٤ – السير والس بدج «كتاب الموتى» ترجمة وتعليق د . فيليب عطية . مكتبة مدبولى ١٩٨٨.
١٥ – د . سيد محمود القمنى «أوزيريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة» دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٨.
١٦ – سهيل ديب «التوراة بين الوثنية والتوحيد» دار النفائس. الطبعة الثانية ١٩٨٥.
١٧ – سيجموند فرويد «موسى والتوحيد» ترجمة د . عبدالمنعم الحفنى. مطبعة الدار المصرية الطبعة الثانية ١٩٧٣.
١٨ – عباس العقاد «المسيح» المكتبة العصرية. صيدا . بيروت .
١٩ – محمد قاسم محمد (إعداد) «التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبى بابل» مطابع ستار برس للطباعة والنشر ١٩٩٢ .
٢٠ – د . فؤاد حسنين على «التوراة الهيروغليفية» دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.

٢١ – د . عبد الرحمن نور الدين «رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام» دار الهلال ١٩٩٢.

٢٢ – د . محمد غلاب «إخوان الصفا» دار الكاتب العربى للطباعة والنشر. المكتبة الثقافية العدد ١٩٠ سنة ١٩٦٨.

٢٣ – د . عبدالمنعم أبو بكر «إخناتون» دار القلم . المكتبة الثقافية . العدد ٣٥ سنة ١٩٦١.

٢٤ – د . لويس عوض «المسرح المصرى» دار إيزيس للنشر والطبع والتوزيع.

٢٥ – مصطفى محمود «التوراة» دار المعارف ١٩٩٠ .

٢٦ – أحمد فؤاد الأهوانى «الكندى فيلسوف العرب» المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. سلسلة «أعلام العرب» . العدد ٢٦ .

٢٧ – د . مصطفى محمود «عالم الأسرار» أخبار اليوم. سلسلة «كتاب اليوم» العدد ٣٣١ سنة ١٩٩٢.

٢٨ – محمد صبرى (ترجمة وإعداد) «التلمود شريعة بنى إسرائيل» مكتبة مدبولى.

٢٩ – نورمان بيريل «بزوغ العقل البشرى» ترجمة إسماعيل حقى. مكتبة نهضة مصر ١٩٦٤.

٣٠ – الدكتور القس لبيب ميخائيل «هل المسيح هو الله» لوجوس برنت سنتر. الطبعة الخامسة ١٩٩٤ .

٣١ – غطاس عبدالملك الخشبة «رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج» دار الهلال ١٩٩٠ .

٣٢ – فردريك أنجلز «أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية» دار الفارابى .

٣٣ – كمال الصليبى «خفايا التوراة» دار الساقى . طبعة ثانية ١٩٩١ .

٣٤ – مجدى محمد مرجان «الله واحد أم ثالوث» دار النهضة العربية ١٩٧٢ .

٣٥ – د . على زيغور «أغسطينوس مع مقدمات فى العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة» دار اقرأ. الطبعة الأولى ١٩٨٣ .

٣٦ – باسمة الكيال «أصل الإنسان وسر الوجود (فلسفة العقول)». دار مكتبة الهلال . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٣٧ – د . سيد القمنى «النبى إبراهيم والتاريخ المجهول» سينا للنشر ١٩٩٠ .

٣٨ – د . محمد فياض «المرأة المصرية القديمة» دار الشروق ١٩٩٥.

٣٩ – أحمد بهاء الدين «إسرائيليات» دار الهلال . سلسلة كتاب الهلال العدد ١٦٨ مارس ١٩٦٥.

٤٠ – محمد خليفة التونسى (ترجمة) «الخطر اليهودى» مكتبة الخانجى. ١٩٧٢.

٤١ – د . يسرى إبراهيم «نيتشه عدو المسيح» سينا للنشر ١٩٩٠ .

٤٢ – د . أميرة بقطر «فلسفة الجمال» المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. المكتبة الثقافية (٧٤)، ١٩٦٢.

٤٣ - د . عبد الوهاب محمد المسيرى «الأيديولوجية الصهيونية» عالم المعرفة . العدد (٦٠ - ٦١) يونيه ١٩٨٨ .

٤٤ - محمد وحيد خياطة «المرأة والألوهية» سورية . اللاذقية. ١٩٨٤.

٤٥ - «جيران في عالم واحد» (نص تقرير لجنة «إدارة شئون المجتمع العالمى») مراجعة : عبد السلام رضوان . عالم المعرفة . العدد (٢٠١) سبتمبر ١٩٩٥.

٤٦ - داڤيد أڤيدان «إذاعة من قمر صناعى» إصدار مكتبة ومطبعة السروجي للطباعة والنشر . عكا .

٤٧ - د . سيد محمود القمنى «الحزب الهاشمى» سيناء للنشر ١٩٩٠ .

٤٨ - رؤوف أبو سعدة «من إعجاز القرآن» دار الهلال. الجزء الأول ١٩٩٣ الجزء الثانى ١٩٩٤.

٤٩ - فريدريك نيتشه «هكذا تكلم زرادشت» ترجمة فليكى فارس . مطبعة جريدة البصير . الاسكندرية . ١٩٣٨.

٥٠ - «دراسات فى المجتمع الاسرائيلى » إعداد وتحرير عادل مناع وعزمى بشارة . مركز دراسات المجتمع العربى فى إسرائيل ١٩٩٥ .

٥١ - عزت الأمير «صدمة العرى» من مطبوعات دار الهلال ١٩٩٣ .

٥٢ - عزت الأمير «لا تسدلوا الستار» مسرحية ضمن مجموعة مسرحيات بعنوان «الإنسان يصعد من جديد» الهيئة المصرية العامة للكتاب . سلسلة المسرح العربى ١٩٨٦.

٥٣ - عزت الأمير «حكم شهر زاد» مسرحية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . سلسلة المسرح العربى ١٩٨٧.

٥٤ - صحف ومجلات .

# الفهرس

صفحة

# للمؤلف

- رغبة سرية (رواية) كتابات معاصرة ١٩٧٠
- محاكمة شهر زاد (مسرحية) الهيئة المصرية العامة للكتاب. سلسلة الابداع المسرحى ١٩٨٥
- الإنسان يصعد من جديد

  لا تسدلوا الستار

  الحقيقة عارية جدا

  } (ثلاث مسرحيات) الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة المسرح العربى ١٩٨٦ .
- حكم شهرزاد (مسرحية) الهيئة المصرية العامة للكتاب . سلسلة المسرح العربى ١٩٨٧ .
- حماريات (مقالات ساخرة) مكتبة مدبولى ١٩٩٠
- صدمة العرى (نظرية جديدة فى علم النفس) من مطبوعات دار الهلال ١٩٩٣
- رغبة سرية (رواية) الهيئة المصرية العامة للكتاب . سلسلة الرواية العربية ١٩٩٤ طبعة جديدة.
- دكاترة وسباكين (مسرحية) الهيئة المصرية العامة للكتاب. سلسلة الرواية العربية ١٩٩٤.
- شعراء وأدباء السلام فى إسرائيل ( نقد) ١٩٩٦
- انفجار (مسرحية) (تحت الطبع)

رقم الإيداع ١٣٥٠٢ / ١٩٩٦
الترقيم الدولى ٢ - ١٩٢ - ٢٣٦ - ٩٧٧ ISBN
٢٧٠٧ / ١٩٩٦

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية

لقد قصدت تناول شخصية الشعب المختار بمنطق يخصه ومنطق يخص العالم بما فيه الشرق الأوسط .. أما المنطق الذى يخصه فهو «اعرف نفسك» وأما المنطق الذى يخص العالم بما فيه الشرق الأوسط فهو «إعرف جارك» وليس «إعرف عدوك» وذلك اعتبارا للمساعى الرامية إلى السلام على المستوى العالمى والشرق أوسطى .. وعلى هذا فمهما بلغت سوءات الشعب المختار فى هذا البحث فلنؤجل الحكم بشأنها إلى حين قراءة الفصل الأخير الذى يمثل رسالة موجهة إلى الشعب المختار وإلى العالم .. فهى رسالة «موضوعية» تعرض سوءات كل من الطرفين ولا تدين طرفا دون الآخر وذلك خروجا على قاعدة إدانة الشعب المختار على طول الخط وتبرئة العالم على طول الخط .. وهى رسالة تتحدى الطرفين كلا فيما يخصه من أجل تحقيق السلام .. وعلى هذا فالبحث كله يعتبر تمهيدا لهذه الرسالة الموضوعية ومن ثم فبدون الفصل الأخير ينتفى الهدف من هذا الكتاب ويصبح لا داعى لقراءته .

والموضوعية تحتاج إلى الشجاعة .. وأملى أيها القارىء أن تصحبنى فى هذا الكتاب .. بشجاعة .

وأعود إلى كلمة موضوعية التى وصفت بها الرسالة فأقول إن جميع مشاكل البشر ترجع إلى صعوبة أن يكونوا موضوعيين .. فالذاتية تتعارض مع أول شرط للتواصل بين إنسان وإنسان أو بين شعب وشعب وهو أن يضع كل منهما نفسه مكان الآخر .. وبدون هذا الشرط لن ينصلح حال العالم .. وإذا كانت ( الذات ) هى محور قضية الإنسان فإن إغراقه فى ( الذاتية ) يقضى عليه مثلما حدث لـ « نرسيس » .. وكم سنتعلم من هذه الأسطورة أثناء هذا البحث وبالذات فى الفصل الأخير .




عـزت الأ

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية